

تاريخ الطبري

الطبري ج ٣

[١]

تاريخ الامم والملوك للامام أبي جعفر محمد بن جرير الطبري الجزء الثالث [قوبلت هذه الطبعة على النسخة المطبوعة] [بمطبعة " بريل " بمدينة ليدن في سنة ١٨٧٩ م] راجعه وصححه وضبطه نخبة من العلماء الاجلاء منشورات مؤسسة الاعلمي للمطبوعات بيروت - لبنان ص. ب ٧١٢٠

[٢]

بسم الله الرحمن الرحيم ثم دخلت سنة أربعة عشرة ففي أول يوم من المحرم سنة أربعة عشرة فيما كتب إلى به السري عن شعيب عن سيف عن محمد وطلحة وزياد بإسنادهم خرج عمر حتى نزل على ماء يدعى صرارا فعسكر به ولا يدري الناس ما يريد أيسير أم يقيم وكانوا إذا أرادوا أن يسألوه عن شئ رموه بعثمان أو بعيد الرحمن بن عوف وكان عثمان يدعى في إمارة عمر رديفا قالوا والرديف بلسان العرب الذي بعد الرجل والعرب تقول ذلك للرجل الذي يرجونه بعد رئيسهم وكانوا إذا لم يقدر هذان على علم شئ مما يريدون ثلثوا بالعباس فقال عثمان لعمر ما بلغك ما الذي تريد فنأدى الصلاة جامعة فاجتمع الناس إليه فأخبرهم الخبر ثم نظر ما يقول الناس فقال العامة سر وسر بنا معك فدخل معهم في رأيهم وكره أن يدعهم حتى يخرجهم منه في رفق فقال استعدوا وأعدوا فإنني سائر إلا أن يجئ رأي هو أمثل من ذلك ثم بعث إلى أهل الرأي فاجتمع إليه وجوه أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وأعلام العرب فقال أحضروني الرأي فإنني سائر فاجتمعوا جميعا وأجمع ملؤهم على أن يبعث رجلا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ويقيم ويرميه بالجنود فإن كان الذي يشتهي من الفتح فهو الذي يريد ويريدون وإلا أعاد رجلا وندب جندا آخر وفي ذلك ما يغيظ العدو ويرعوى المسلمون ويجئ نصر الله بإنجاز موعود الله فنأدى عمر الصلاة جامعة فاجتمع الناس إليه وأرسل إلى علي عليه السلام وقد استخلفه على المدينة فاتاه وإلى طلحة وقد بعثه على المقدمة فرجع إليه وعلي المجنبتين الزبير وعبد الرحمن بن عوف فقام في الناس فقال إن الله عزوجل قد جمع على الاسلام أهله فألف بين القلوب وجعلهم فيه إخوانا والمسلمون فيما بينهم كالجسد لا يخلو منه شئ من شئ أصاب غيره وكذلك يحق على المسلميين

[٣]

أن يكونوا أمرهم شورى بينهم بين ذوى الرأي منهم فالناس تبع لمن قام بهذا الامر ما اجتمعوا عليه ورضوا به لزم الناس وكانوا فيه تبعاً لهم ومن أقام بهذا الامر تبع لاولى رأيهم ما رأوا لهم ورضوا به لهم من مكيدة في حرب كانوا فيه تبعاً لهم يا أيها الناس إنني إنما كنت كرجل منكم حتى صرفني ذوو الرأي منكم عن الخروج فقد رأيت أن أقيم وأبعث رجلا وقد أحضرت هذا الامر من قدمت ومن خلفت وكان علي عليه السلام خليفته على المدينة وطلحة على مقدمته

بالاعوص فأحضرهما ذلك (كتب إلي السري) عن شعيب عن سيف عن محمد بن إسحاق عن صالح بن كيسان عن عمر بن عبد العزيز قال لما انتهى قتل أبي عبيد بن مسعود إلى عمر واجتماع أهل فارس على رجل من آل كسرى نادى في المهاجرين والانصار وخرج حتى أتى صرارا وقدم طلحة بن عبيد الله حتى يأتي الاعوص وسمى لميمنته عبدالرحمن بن عوف ولميسرته الزبير بن العوام واستخلف عليا رضى الله عنه على المدينة واستشار الناس فكلهم أشار عليه بالسير إلى فارس ولم يكن استشار في الذي كان حتى نزل بصرار ورجع طلحة فاستشار ذوى الرأي فكان طلحة ممن تابع الناس وكان عبدالرحمن ممن نهاه فقال عبدالرحمن فما فديت أحدا بأبي وأمي بعد النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم قبل يومئذ ولا بعده فقلت يا بأبي وأمي اجعل عجزها بي وأقم وابعث جندا فقد رأيت قضاء الله لك في جنودك قبل وبعد فإنه إن يهزم جيشك ليس كهزيمتك وإنك إن تقتل أو تهزم في أنف الامر خشيت أن لا يكبر المسلمون وأن لا يشهدوا أن لا إله إلا الله أبدا وهو في ارتياد من رجل وأتى كتاب سعد على حفف مشورتهم وهو على بعض صدقات نجد فقال عمر فأشيروا علي برجل فقال عبدالرحمن وجدته قال من هو قال الاسد في برائه سعد بن مالك وماله أولو الرأي (كتب إلي السري) عن شعيب عن سيف عن خليل بن زفر عن أبيه قال كتب المثنى إلى عمر باجتماع فارس على يزيدجرد وبيعوثهم ويحال أهل الذمة فكتب إليه عمر أن تنح إلى البر وادع من يليك وأقم منهم قريبا على حدود أرضك وأرضهم حتى يأتيك أمرى وعاجلتهم الاعاجم

[٤]

فزاحفتهم الزحوف وثار بهم أهل الذمة فخرج المثنى بالناس حتى ينزل العراق ففرقهم فيه من أوله إلى آخره فأقاموا ما بين غضى إلى الققطانة مسالحة وعادت مسالحة كسرى وتغوره واستقر أمر فارس وهم في ذلك هائبون مشفقون والمسلمون متدفقون قد ضروا بهم كالاسد ينازع فريسته ثم يعاود الكر وأمرأؤهم يكفكفونهم لكتاب عمر وإمداد المسلمين (كتب إلي السري) بن يحيى عن شعيب بن إبراهيم عن سيف بن عمر عن سهل بن يوسف عن القاسم بن محمد قال قد كان أبو بكر استعمل سعدا على صدقات هوازن بنجد فأقره عمر وكتب إليه فيمن كتب إليه من العمال حين استنفر الناس أن ينتخب أهل الخيل والسلاح ممن له رأي ونجدة فرجع إليه كتاب سعد بمن جمع الله له من ذلك الضرب فوافق عمر وقد استشارهم في رجل فأشاروا عليه به عند ذكره (كتب إلي السري) عن شعيب عن سيف عن محمد وطلحة بإسنادهما قالا كان سعد بن أبي وقاص على صدقات هوازن فكتب إليه عمر فيمن كتب إليه بانتخاب ذوي الرأي والنجدة ممن كان له سلاح أو فرس فجاءه كتاب سعد إنني قد انتخبت لك ألف فارس (مؤد) ؟ كلهم له نجدة ورأي وصاحب حيطة يحوط حريم قومه ويمنع ذمارهم إليهم انتهت أحسابهم ورأيهم فشانك بهم ووافق كتابه مشورتهم فقالوا قد وجدته قال فمن قالوا الاسد عاديا قال من قالوا سعد فانتهى إلى قولهم فأرسل إليه فقدم عليه فأمره على حرب العراق وأوصاه فقال يا سعد سعد بنو وهيب لا يغرنك من الله إن قيل خال رسول الله صلى الله عليه وسلم وصاحب رسول الله فإن الله عزوجل لا يمحو السيئ بالسيئ ولكنه يمحو السيئ بالحسن فإن الله ليس بينه وبين أحد نسب إلا طاعته فالناس شريفهم ووضيعهم في ذات الله سواء الله ربهم وهم عباده يتفاضلون بالعافية ويدركون ما عنده بالطاعة فانظر الامر الذي رأيت النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم عليه منذ بعث إلى أن فارقتنا فالزمه فإنه الامر هذه عظمتي إياك إن تركتها ورغبت عنها حبط عملك وكنت من الخاسرين ولما أراد أن يسرحه دعاه فقال إنني قد وليتك حرب العراق فاحفظ وصيتي فإنك تقدم على أمر شديد كربه لا يخلص منه إلا

الحق فعود نفسك ومن معك الخير واستفتح به وأعلم أن لكل عادة عتادا فعتاد الخير الصبر فالصبر الصبر على ما أصابك أو نابتك يجتمع لك خشية الله واعلم أن خشية الله تجتمع في أمرين في طاعته واجتناب معصيته وإنما أطاعه من أطاعه بغير الدنيا وحب الآخرة وعصاه من عصاه بعب الدنيا وبغض الآخرة وللقلوب حقائق ينشئها الله إنشاء منها السر ومنها العلانية فأما العلانية فأن يكون حامده وذامه في الحق سواء وأما السر فيعرف بظهور الحكمة من قلبه على لسانه وبمحبته الناس فلا ترهد في التحجب فان النبيين قد سألوا محبتهم وإن الله إذا أحب عبدا حبه وإذا أبغض عبدا بغضه فاعتبر منزلتك عند الله تعالى بمنزلتك عند الناس ممن يشرع معك في أمرك ثم سرحه فيمن اجتمع إليه بالمدينة من نفي المسلمين فخرج سعد بن أبي وقاص من المدينة قاصدا العراق في أربعة آلاف ثلاثة ممن قدم عليه من اليمن والسراة وعلى أهل السراوات حميضة بن النعمان بن حميضة البارقي وهم بارق والمع وغانم وسائر إخوانهم في سبعمائة من أهل السراة وأهل اليمن ألفان وثلاثمائة منهم النخع بن عمرو وجميعهم يومئذ أربعة آلاف مقاتلتهم وذرايرهم ونسأؤهم وأتاهم عمر في عسكرهم فأرادهم جميعا على العراق فأبوا إلا الشام وأبى إلا العراق فسمح نصفهم فأمضاهم نحو العراق وأمضى النصف الآخر نحو الشام (كتب إلى السري) عن شعيب عن سيف عن حنش النخعي عن أبيه وغيره منهم أن عمر أتاهم في عسكرهم فقال إن الشرف فيكم يا معشر النخع لمتريع سيرا مع سعد فنزعوا إلى الشام وأبى إلا العراق وأبوا إلا الشام فسمح نصفهم إلى الشام ونصفهم إلى العراق (كتب إلى السري) عن شعيب عن سيف عن محمد وطلحة والمستنير وحنش قالوا وكان فيهم من حضرموت والصدف ستمائة عليهم شداد بن ضمعج وكان فيهم ألف وثلثمائة من مذحج على ثلاثة رؤساء عمرو بن معديكرب على بني منبه وأبو سيرة بن ذؤيب على جعفى ومن في حلف جعفى من إخوة جزء وزبيدة وأنس الله ومن لفهم وبزبد بن الحارث الصدائي على صداء وجنب ومسلية في ثلثمائة هؤلاء شهدوا من مذحج فيمن خرج من المدينة مخرج سعد منها وخرج معه من

قيس عيلان ألف عليهم بشر بن عبدالله الهلالي (كتب إلى السري) عن شعيب عن سيف عن عبيدة عن إبراهيم قال خرج أهل القادسية من المدينة وكانوا أربعة آلاف ثلاثة آلاف منهم من أهل اليمن وألف من سائر الناس (كتب إلى السري) عن شعيب عن سيف عن محمد وطلحة وسهل عن القاسم قالوا وشيعهم عمر من صرار إلى الاعوص ثم قام في الناس خطيبا فقال إن الله تعالى إنما ضرب لكم الامثال وصرف لكم القول ليحيى بها القلوب فان القلوب ميتة في صدورها حتى يحييها الله من علم شيئا فليبتغ به وإن للعدل أمارات وتباشير فأما الامارات فالحياء والسخاء واللين واللين وأما التباشير فالرحمة وقد جعل الله لكل أمر بابا ويسر لكل باب مفتاحا فباب العدل الاعتبار ومفتاحه الزهد والاعتبار ذكر الموت بتذكر الاموات والاستعداد له بتقديم الاعمال والزهد أخذ الحق من كل أحد قبله حق وتأدية الحق إلى كل أحد له حق ولا تصانع في ذلك أحدا واكتف بما يكفيك من الكفاف فان من لم يكفه الكفاف لم يغنه شئ إنني بينكم وبين الله وليس بيني وبينه أحد وإن الله قد الزمنى دفع الدعاء عنه فأنهوا شكاتكم إلينا فمن لم يستطع فإلى من يبلغناها نأخذ له الحق غير متعتع وأمر سعد بالسير وقال إذا انتهيت إلى زود

فانزل بها وتفرقوا فيما حولها وانذب من حولك منهم وانتخب أهل النجدة والرأي والقوة والعدة (كتب إلي السري) عن شعيب عن سيف عن محمد بن سوقة عن رجل قال مرت السكون مع أول كندة مع حصين بن نمير السكوني ومعاوية بن خديج في أربعمئة فاعترضهم فإذا فيهم فتية دلم سباط مع معاوية ابن خديج فأعرض عنهم ثم أعرض ثم أعرض حتى قيل له مالك ولهؤلاء قال إني عنهم لمتردد وما مر بي قوم من العرب أكره إلي منهم ثم أمضاهم فكان بعد يكثر أن يتذكروهم بالكراهية وتعجب الناس من رأي عمر وكان منهم رجل يقال له سودان ابن حمران قتل عثمان بن عفان رضى الله عنه وإذا منهم حليف لهم يقال له خالد ابن ملجم قتل علي بن أبي طالب رحمه الله وإذا منهم معاوية بن خديج فهض في قوم منهم يتبع قتلة عثمان يقتلهم وإذا منهم قوم يقرون قتلة عثمان (كتب إلي

[٧]

السري) عن شعيب عن سيف عن محمد وطلحة عن ماهان وزياد باسناده قالوا وأمد عمر سعدا بعد خروجه بألفي يمانى وألفي نجدى مؤد من غطفان وسائر قيس فقدم سعد زرود في أول الشتاء فنزلها وتفرقت الجنود فيما حولها من أمواه بني تميم وأسد وانتظر اجتماع الناس وأمر عمر وانتخب من بني تميم والرباب أربعة آلاف ثلاثة آلاف تميمي وألف ربي وانتخب من بني أسد ثلاثة آلاف وأمرهم أن ينزلوا على حد أرضهم بين الحزن والبسيطة فأقاموا هنالك بين سعد بن أبي وقاص وبين المثنى بن حارثة وكان المثنى في ثمانية آلاف من ربيعة ستة آلاف من بكر بن وائل وألفان من سائر ربيعة أربعة آلاف ممن كان انتخب بعد فصول خالد وأربعة آلاف كانوا معه ممن بقي يوم الجسر وكان معه من أهل اليمن ألفان من بجيلة وألفان من قضاة وطبئ ممن انتخبوا إلى ما كان قبل ذلك على طيئ عدي بن حاتم وعلى قضاة عمرو بن وبرة وعلى بجيلة جرير بن عبدالله فبينا الناس كذلك سعد يرجو أن يقدم عليه المثنى والمثنى يرجو أن يقدم عليه سعد مات المثنى من جراحته التي كان جرحها يوم الجسر انتقضت به فاستخلف المثنى على الناس بشير بن الخصامية وسعد يومئذ بزود ومع بشير يومئذ وجوه أهل العراق ومع سعد وفود أهل العراق الذين كانوا قدموا على عمر منهم فرات بن حيان العجلي وعتيبة فردهم مع سعد (كتب إلي السري) عن شعيب عن سيف عن محمد باسناده وزياد عن ماهان قالوا فمن أجل ذلك اختلف الناس في عدد أهل القادسية فمن قال أربعة آلاف فلمخرجهم مع سعد من المدينة ومن قال ثمانية آلاف فلاجتماعهم بزود ومن قال تسعة آلاف فللحاق القيسيين ومن قال اثنا عشر ألفا فلدقوف بني أسد من فروع الحزن بثلاثة آلاف وأمر سعدا بالاقدام فأقدم ونهض إلى العراق وجموع الناس بشراف وقدم عليه مع قدمه شراف الأشعث بن قيس في ألف وسبعمئة من أهل اليمن فجميع من شهد القادسية بضعة وثلاثون ألفا وجميع من قسم عليه في القادسية نحو من ثلاثين ألفا (كتب إلي السري) عن شعيب عن سيف عن عبدالملك بن عمير عن زياد عن جرير قال كان أهل اليمن ينزعون إلى الشام وكانت مضر تنزع إلى العراق فقال

[٨]

عمر أرحامكم أرسخ من أرحامنا ما بال مضر لا تذكر أسلافها من أهل الشام (كتب إلي السري) عن شعيب عن سيف عن أبي سعد بن المرزبان عن حدثه عن محمد بن حذيفة بن اليمان قال لم يكن أحد من العرب أجراً على فارس من ربيعة فكان المسلمون يسمونهم ربيعة الاسد إلى ربيعة الفرس وكانت العرب في جاهليتها تسمى

فارس الاسد والروم الاسد (كتب إلى السري) عن شعيب عن سيف عن طلحة عن ماهان قال قال عمر والله لاضرربن ملوك العجم بملوك العرب فلم يدع رئيسا ولاذا رأي ولا ذا شرف ولا ذا سطة ولا خطيبا ولا شاعرا إلا رماهم به فرماهم بوجهه الناس وعرهم (كتب إلى السري) عن شعيب عن سيف عن عمرو عن الشعبي قال كان عمر قد كتب إلى سعد مرتحله من زرود أن ابعث إلى فرج الهند رجلا ترضاه يكون بحاله ويكون ردا لك من شئ إن أتاك من تلك التخوم فبعث المغيرة بن شعبة في خمسمائة فكان بحيال الابله من أرض العرب فأتى غصيا ونزل على جرير وهو فيما هنالك يومئذ فلما نزل سعد بشراف كتب إلى عمر بمنزله وبمنازل الناس فيما بين غصيا إلى الجبانة فكتب إليه عمر إذا جاءك كتابي هذا فاعشر الناس وعر عليهم وأمر على أجنادهم وعبهم ومر رؤساء المسلمين فليشهدوا وقدرهم وهم شهود ثم وجههم إلى أصحابهم وواعدهم القادسية واضمم إليك المغيرة بن شعبة في خيله واكتب إلي بالذي يستقر عليه أمرهم فبعث سعد إلى المغيرة فانضم إليه وإلى رؤساء القبائل فأتوه فقدر الناس وعباهم بشراف وأمر أمراء الأجناد وعر العرفاء فعرف على كل عشرة رجلا كما كانت العرافات أزمان النبي صلى الله عليه وسلم وكذلك كانت إلى أن فرض العطاء وأمر على الرايات رجالا من أهل السابقة وعشر الناس وأمر على الاعشار رجالا من الناس لهم وسائل في الاسلام وولى الحروب رجالا فولى على مقدماتها ومجنباتها وساققتها ومحرداتها وطلائعتها ورجلها وركبانها فلم يفصل إلا على تعبئة ولم يفصل منها إلا بكتاب عمر وإذنه فأما أمراء التعبئة فاستعمل زهرة بن عبدالله ابن قتادة بن الحوية بن مرثد بن معاوية بن معن بن مالك بن أرثم بن جشم بن

[٩]

الحارث الاعرج وكان ملك هجر قد سوده في الجاهلية ووفده على النبي صلى الله عليه وسلم فقدمه ففصل بالمقدمات بعد الاذن من شراف حتى انتهى إلى العذيب واستعمل على الميمنة عبدالله بن المعتم وكان من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وكان أحد التسعة الذين قدموا على النبي صلى الله عليه وسلم فتممهم طلحة بن عبيد الله عشرة فكانوا عرافة واستعمل على الميسرة شرحبيل بن السمط بن شرحبيل الكندي وكان غلاما شابا وكان قد قاتل أهل الردة ووفى الله فعرف ذلك له وكان قد غلب الأشعث على الشرف فيما بين المدينة إلى أن اختطت الكوفة وكان أبوه ممن تقدم إلى الشام مع أبي عبيدة بن الجراح وجعل خليفته خالد بن عرفطة وجعل عاصم بن عمرو التميمي ثم العمري على الساقية وسواد بن مالك التميمي على الطلائع وسلمان بن ربيعة الباهلي على المجردة وعلى الرجل حمال بن مالك الاسدي وعلى الركبان عبدالله بن ذي السهمين الخثعمي فكان أمراء التعبئة يلون الأمير والذين يلون أمراء التعبئة أمراء الاعشار والذين يلون أمراء الاعشار أصحاب الرايات والذين يلون أصحاب الرايات والقواد رءوس القبائل وقالوا جميعا لا يستعين أبو بكر في الردة ولا على الأعاجم بمرثد واستنفرهم عمر ولم يول منهم أحد (كتب إلي السري) عن شعيب عن سيف عن مجالد وعمرو بإسنادهما وسعيد بن المرزبان قالوا بعث عمر الاطية وجعل على قضاء الناس عبدالرحمن بن ربيعة الباهلي ذا النور وجعل إليه الاقباض وقسمة الفئ وجعل داعيتهم ورائدهم سلمان الفارسي (كتب إلي السري) عن شعيب عن سيف عن أبي عمر وعن أبي عثمان النهدي قال والترجمان هلال الهجري والكتاب زياد بن أبي سفيان فلما فرغ سعد من تعبئته وأعد لكل شئ من أمره جماعا ورأسا كتب بذلك إلى عمر وكان من أمر سعد فيما بين كتابه إلى عمر بالذي جمع عليه الناس وبين رجوع جوابه ورحله من شراف إلى القادسية قدوم المعنى بن حارثة وسلمى بنت خصفة التيمية تيم اللات إلى سعد بوصية المثني وكان قد أوصى بها وأمرهم أن

يعجلوها على سعد بزود فلم يفرغوا لذلك وشغلهم عنه قابوس بن قابوس بن المنذر وذلك أن الأراذ مرد بن

[١٠]

الأراذبه بعثه إلى القادسية وقال له ادع العرب فأنت على من أجابك وكن كما كان أبؤك فنزل القادسية وكاتب بكر بن وائل بمثل ما كان النعمان يكتبهم به مقاربة ووعيدا فلما انتهى إلى المعنى خيره أسرى المعنى من ذي قار حتى بينه فأنامه ومن معه ثم رجع إلى ذي قار وخرج منها هو وسلمى إلى سعد بوضيعة المثنى بن حارثة ورأيه فقدموا عليه وهو بشراف يذكر فيها أن رأيه لسعد ألا يقاتل عدوه وعدوهم يعني المسلمين من أهل فارس إذا استجمع أمرهم وملؤهم في عقر دارهم وأن يقاتلهم على حدود أرضهم على أدنى حجر من أرض العرب وأدنى مدرة من أرض العجم فإن يظهر الله المسلمين عليهم فلهم ما وراءهم وإن يكن الأخرى فأؤا إلى فئة ثم يكونوا أعلم بسبيلهم وأجرأ على أرضهم إلى أن يرد الله الكرة عليهم فلما انتهى إلى سعد رأي المثنى ووصيته ترحم عليه وأمر المعنى على عمله وأوصى بأهل بيته خيرا وخطب سلمى فتزوجها وبنى بها وكان في الأعرشار كلها بضعة وسبعون بدريا وثلاثمائة وبضعة عشر ممن كانت له صحبة فيما بين بيعة الرضوان إلى ما فوق ذلك وثلاثمائة ممن شهد الفتح وسبعمائة من أبناء الصحابة في جميع أحياء العرب وقدم على سعد وهو بشراف كتاب عمر بمثل رأي المثنى وقد كتب إلى أبي عبيدة مع كتاب سعد ففصل كتاباهما إليهما فأمر أبا عبيدة في كتابه بصرف أهل العراق وهم ستة آلاف ومن اشتهى أن يلحق بهم وكان كتابه إلى سعد أما بعد فسر من شراف نحو فارس بمن معك من المسلمين وتوكل على الله واستعن به على أمرك كله واعلم فيما لديك أنك تقدم على أمة عددهم كثير وعدتهم فاضلة وبأسهم شديد وعلى بلد منيع وإن كان سهلا كؤود ليجوره وفيوضه ودأدئه إلا أن توافقوا غيضا من فيض وإذا لقيتم القوم أو أحدا منهم فابدءوهم الشد والضرب وإياكم والمناظرة لجموعهم ولا يخذعنكم فانهم خدعة مكرة أمرهم غير أمركم إلا أن تجادوهم وإذا انتهيت إلى القادسية والقادسية باب فارس في الجاهلية وهي أجمع تلك الابواب لمادتهم ولما يريدونه من تلك الأصل وهو منزل رغب خصيب حصين دونه قناطر وأنهار ممتنعة فتكون مسالحك على أنقابها ويكون الناس بين الحجر والمدر على حافات الحجر وحافات

[١١]

المدر والجراخ بينهما ثم الزم مكانك فلا تبرحه فإنهم إذا أحسوك أنغضتهم ورموك بجمعهم الذي يأتي على خيلهم ورجلهم وخدمهم وخدمهم فإن أنتم صبرتم لعدوكم واحتسبتم لقتاله ونوئتم الامانة رجوت أن تنصروا عليهم ثم لا يجتمع لكم مثلهم أبدا إلا أن يجتمعوا وليست معهم قلوبهم وإن تكن الأخرى كان الحجر في أديباركم فانصرفت من أدنى مدرة من أرضهم إلى أدنى حجر من أرضكم ثم كنتم عليها أجرأ وبها أعلم وكانوا عنها أجبن وبها أجهل حتى يأتي الله بالفتح عليهم ويرد لكم الكرة. وكتب إليه أيضا باليوم الذي يرتحل فيه من شراف فإذا كان يوم كذا وكذا فارتحل بالناس حتى تنزل فيما بين عذيب الهجانات وعذيب القوادس وشرق بالناس وغرب بهم ثم قدم عليه جواب كتاب عمر أما بعد فتعاهد قلبك وحادث جندك بالموعظة والنية والحسبة ومن غفل فليحدثهما والصبر الصبر فإن المعونة تأتي من الله على قدر النية والاجر على قدر الحسبة والحذر الحذر على من أنت عليه وما أنت بسبيله واسألوا الله العافية وأكثروا من قول لا حول ولا قوة إلا بالله واكتب إلى أين بلغك جمعهم ومن

رأسهم الذي يلي مصادمتكم فإنه قد منعتني من بعض ما أردت الكتاب به قلة علمي بما هجمتم عليه والذي استقر عليه أمر عدوكم فصف لنا منازل المسلمين والبلد الذي بينكم وبين المدائن صفة كأني أنظر إليها وإجعلني من أمركم على الجلية وخف الله وارجه ولا تدل بشئ وإعلم أن الله قد وعدكم وتوكل لهذا الأمر بما لا خلف له فاحذر أن تصرفه عنك ويستبدل بكم غيركم فكتب إليه سعد بصفة البلدان القادسية بين الخندق والعتيق وإن ما عن يسار القادسية بحر أخضر في جوف لاج إلى الحيرة بين طريقين فأما أحدهما فعلى الظهر وأما الآخر فعلى شاطئ نهر يدعى الحوض يطلع بمن سلكه على ما بين الخورنق والحيرة وأما عن يمين القادسية إلى الولاية فيض من فيوض مياههم وأن جميع من صالح المسلمين من أهل السواد قبلي ألب لاهل فارس قد خفوا لهم واستعدوا لنا وأن الذي أعدوا لمصادمتنا رستم في أمثال له منهم فهم يحاولون إنغاضنا وإقحامنا ونحن نحاول إنغاضهم وإبرازهم وأمر الله بعد ماض وقضاؤه مسلم إلى ما قدر لنا وعلينا فنسال

[١٢]

الله خير القضاء وخير القدر في عافية فكتب إليه عمر قد جاءني كتابك وفهمته فأقم بمكانك حتى تنفض الله لك عدوك وإعلم أن لها ما بعدها فإن منحك الله أدبارهم فلا تنزع عنهم حتى تقتحم عليهم المدائن فإنه خرابها إن شاء الله وجعل عمر يدعو لسعد خاصة ويدعون له معه وللمسلمين عامة فقدم زهرة سعد حتى عسكر بعذيب الهجانات ثم خرج في أثره حتى ينزل على زهرة بعذيب الهجانات وقدمه فنزل زهرة القادسية بين العتيق والخندق بحيال القنطرة وقديس يومئذ أسفل منها بميل (كتب الي السري) عن شعيب عن سيف عن القعقاع بإسناده قال وكتب عمر إلى سعد إنني قد ألقى في روعي أنكم إذا لقيتم العدو هزمتموهم فاطرحوا الشك وأثروا التقية عليه فإن لآعب أحد منكم أحدا من العجم بأمان أو قرفه بإشارة أو بلسان كان لا يدري الاعجمي ما كلمه به وكان عندهم أمانا فأجروا ذلك له مجرى الامان وإياكم والضحك والوفاء الوفاء فإن الخطاء الوفاء بقية وإن الخطاء بالعدو الهلكة وفيها وهنكم وقوة عدوكم وذهاب ربحكم وإقبال ربحهم وإعلموا أنني أحذركم أن تكونوا شيئا على المسلمين وسببا لتوهينهم (كتب إلي السري) عن شعيب عن سيف عن عبدالله بن مسلم العكلي والمقدام بن أبي المقدام عن أبيه عن كرب بن أبي كرب العكلي وكان في المقدمات أيام القادسية قال قدمنا سعد من شراف فنزلنا بعذيب الهجانات ثم ارتحل فلما نزل علينا بعذيب الهجانات وذلك في وجه الصبح خرج زهرة بن الحوية في المقدمات فلما رفع لنا العذيب وكان من مسالحهم استبتنا على بروجهم ناسا فما نشاء أن نرى على برج من بروجهم رجلا أو بين شرفتين إلا رأيناه وكنا في سرعان الخيل فأمسكنا حتى تلاحق بنا كثف ونحن نرى أن فيها خيلا ثم أقدمنا على العذيب فلما دنونا منها خرج رجل يركض نحو القادسية فانتبهنا إليه فدخلناه فإذا ليس فيه أحد وإذا ذلك الرجل هو الذي كان يتراءى لنا على البروج وهو بين الشرف مكيدة ثم انطلق يخبرنا فطلبناه فأعجزنا وسمع بذلك زهرة فاتبعنا فلحق بنا وخلفنا وأتبعه وقال إن أفلت الربئ وأتاهم الخبر فلحقه بالخندق فطعنه فجدله فيه وكان أهل القادسية يتعجبون من شجاعة

[١٣]

ذلك الرجل ومن علمه بالحرب لم ير عين قوم قط أثبت ولا أربط جأشا من ذلك الفارسي لولا بعد غايته لم يلحق به ولم يصبه زهرة ووجد

المسلمون في العذيب رماحا ونشابا وأسقاطا من جلود وغيرها انتفع بها المسلمون ثم بث الغارات وسرحهم في جوف الليل وأمرهم بالغارة على الحيرة وأمر عليهم بكير بن عبدالله الليثي وكان فيها الشماخ الشاعر القيسي في ثلاثين معروفين بالنجدة والبأس فسروا حتى جازوا السيلحين وقطعوا جسرها يريدون الحيرة فسمعوا جلبة وأرغلة فأحجموا عن الاقدام وأقاموا كميناً حتى يتبينوا فما زالوا كذلك حتى جازوا بهم فإذا خيول تقدم تلك الغوغاء فتركوها فنغذت الطريق إلى الصين وإذا هم لم يشعروا بهم وإنما ينتظرون ذلك العين لا يريدونهم ولا يابهون لهم إنما همتهم الصين وإذا أخت أرازمرد بن أراذيه مرزبان الحيرة ترف إلى صاحب الصين وكان من أشرف العجم فسار معها من يبلغها مخافة ما هو دون الذي لقوا فلما انقطعت الخيل عن الزواف والمسلمون كمين في النخل وجازت بهم الاثقال حمل بكير على شيرزاد بن أراذيه وهو بينها وبين الخيل فقصر صلبه وطارت الخيل على وجوهها وأخذوا الاثقال وابنة أراذيه في ثلاثين امرأة من الدهاقين ومائة من التوابع ومعهم ما لا يدري قيمته ثم عاج واستاق ذلك فصيح سعدا يعذيب الهجانات بما أفاء الله على المسلمين فكبروا تكبيرة شديدة فقال سعد أقسم بالله لقد كبرتم تكبيرة قوم عرفت فيهم العز فقسم ذلك سعد على المسلمين فالخمس نغله وأعطى المجاهدين بقية فوقع منهم موقعا ووضع سعد بالعذيب خيلا تحوط الحريم وانضم إليها حاطة كل حريم وأمر عليهم غالب بن عبدالله الليثي ونزل سعد القادسية فنزل بقديس ونزل زهرة بحيان قنطرة العتيق في موضع القادسية اليوم وبعث بخبر بكير وبنزوله قديسا فأقام بها شهرا ثم كتب إلى عمر لم يوجه القوم اليها أحدا ولم يسندوا حربا إلى أحد علمناه ومتى ما يبلغنا ذلك نكتب به واستنصر الله فأنا بمنحاة دنيا عريضة دونها بأس شديد قد تقدم اليها في الدعاء إليهم فقال (ستدعون إلى قوم أولى بأس شديد) وبعث سعد في مقامه ذلك إلى أسفل الفرات عاصم بن عمرو فسار حتى أتى

ميسان فطلب غنما أو بقرا فلم يقدر عليها وتحصن منه من في الافدان ووعلوا في الأجام ووعل حتى أصاب رجلا علي طف أجمة فسأله واستدله على البقر والغنم فحلف له وقال لا أعلم وإذا هو راعي ما في تلك الأجمة فصاح منها ثور كذب والله وها نحن أولاء فدخل فاستاق الثيران وأتى بها العسكر فقسم ذلك سعد على الناس فأخصبوا أياما وبلغ ذلك الحجاج في زمانه فأرسل إلى نفر ممن شهدها أحدهم نذير ابن عمرو والوليد بن عبد شمس وزاهر فسألهم فقالوا نعم نحن سمعنا ذلك ورأيناه واستقناها فقال كذبتم فقالوا كذلك إن كنت شهدتها وغبنا عنها فقال صدقتم فما كان الناس يقولون في ذلك قالوا آية تبشير يستدل بها على رضا الله وفتح عدونا فقال والله ما يكون هذا إلا والجمع أبرار أتقياء قالوا والله ما ندري ما أجنت قلوبهم فأما ما رأينا فانا لم نر قوما قط أزهد في الدنيا منهم ولا أشد لها بغضا ما اعتد على رجل منهم في ذلك اليوم بواحدة من ثلاث لا بجبن ولا بغدر ولا بغلول وكان هذا اليوم يوم الأباقر وبث الغارات بين كسكر والانباء فجووا من الأطعمة ما كانوا يستكفون به زمانا وبعث سعد عيوناً إلى أهل الحيرة والى صلوبا ليعلموا له خبر أهل فارس فرجعوا إليه بالخبر بأن الملك قد ولى رستم بن الفرخزاد الارمني حربه وأمره بالعسكرة فكتب بذلك إلى عمر فكتب إليه عمر لا يكرهك ما يأتيك عنهم ولا ما يأتونك به واستعن بالله وتوكل عليه وابعث إليه رجالا من أهل المنطرة والرأي والجلد يدعونه فإن الله جاعل دعاءهم توهينا لهم وفلجا عليهم واكتب الي في كل يوم ولما عسكر رستم بساباط كتبوا بذلك إلى عمر (كتب إلي السري) عن شعيب عن سيف عن أبي ضمرة عن ابن سيرين واسماعيل بن أبي خالد عن قيس بن أبي حازم قال لما بلغ سعدا

فصول رستم إلى ساباط أقام في عسكره لاجتماع الناس * فأما اسماعيل فإنه قال كتب إليه سعد أن رستم قد ضرب عسكره بساباط دون المدائن وزحف إلينا * وأما أبو ضمرة فإنه قال كتب إليه أن رستم قد عسكر بساباط وزحف إلينا بالخيل والفيول وزهاء فارس وليس شئ أهم إلي ولا أنا له أكثر ذكرا مني لما أحببت أن أكون عليه ونستعين بالله ونتوكل عليه وقد بعثت فلانا وفلانا وهم ما وصفت (كتب إلي السري)

[١٥]

عن شعيب عن سيف عن عمرو والمجالد باسنادهما وسعيد بن المرزبان أن سعد بن أبي وقاص حين جاءه أمر عمر فيهم جمع نفرا عليهم نجار ولهم آراء ونفرا لهم منظر وعليهم مهابة ولهم آراء فأما الذين عليهم نجار ولهم آراء ولهم اجتهاد فالنعمان بن مقرن وبسر بن أبي رهم وحملة بن جوية الكناني وحنظلة بن الربيع التميمي وفرات ابن حيان العجلي وعدي بن سهيل والمغيرة بن زرة بن النباش بن حبيب وأما من لهم منظر لاجسامهم وعليهم مهابة ولهم آراء فعاتر بن حاجب والأشعث بن قيس والحارث بن حسان وعاصم بن عمرو وعمرو بن معديكرب والمغيرة بن شعبة والمعنى بن حارثة فبعثهم دعاة إلى الملك * حدثني محمد بن عبدالله بن صفوان الثقفي قال حدثنا أمية بن خالد قال حدثنا أبو عوانة عن حصين بن عبدالرحمن قال قال أبو وائل جاء سعد حتى نزل القادسية ومعه الناس قال لا أدري لعلنا لا نزيد على سبعة آلاف أو نحو من ذلك والمشركون ثلاثون ألفا أو نحو ذلك فقالوا لنا لا يدي لكم ولا قوة ولا سلاح ما جاء بكم ارجعوا قال قلنا لا نرجع وما نحن براجعين فكانوا يضحكون من نبلنا ويقولون دوك دوك وبشبهونها بالمغازل قال فلما أبينا عليهم أن نرجع قالوا ابعثوا إلينا رجلا منكم عاقلا يبين لنا ما جاء بكم فقال المغيرة بن شعبة أنا فعبر إليهم ففعد مع رستم على السرير فنخروا وصاحوا فقال إن هذا لم يزدني رفعة ولم ينقص صاحبكم قال رستم صدقت ما جاء بكم قال أنا كنا قوما في سوق ضلالة فبعث الله فينا نبيا فهدانا الله به ورزقنا على يديه فكان مما رزقنا حبة زعمت تنبت بهذا البلد فلما أكلناها وأطعمناها أهلينا قالوا لا صبر لنا عن هذه أنزلونا هذه الأرض حتى نأكل من هذه الحبة فقال رستم إذا نقتلكم فقال إن قتلتمونا دخلنا الجنة وإن قتلناكم دخلتم النار وأديتم الجزية قال فلما قال أديتم الجزية نخروا وصاحوا وقالوا لا صلح بيننا وبينكم فقال المغيرة تعبرون إلينا أو نعبر اليكم فقال رستم بل نعبر اليكم فاستأجر المسلمون حتى عبر منهم من عبر فحملوا عليهم فهزموهم قال حصين فحدثني رجل منا يقال له عبيد بن جحش السلمي قال لقد رأيتنا وأنا لنطأ على ظهور الرجال ما مسهم سلاح قتل بعضهم بعضا ولقد رأيتنا أصبنا جرابا من كافور فحسبناه ملحا لا نشك أنه ملح فطبخنا لحما فجعلنا نلقيه

[١٦]

في القدر فلا نجد له طعما فمر بنا عبادي معه قميص فقال يا معشر المعريين لا تفسدوا طعامكم فان ملح هذه الأرض لا خير فيه هل لكم أن تأخذوا هذا القميص به فأخذناه منه واعطيناه منا رجلا يلبسه فجعلنا نطيف به ونعجب منها فلما عرفنا الثياب إذا ثمن ذلك القميص درهمان قال ولقد رأيتني أقرب إلى رجل عليه سواران من ذهب وسلاحه فجاء فما كلمته حتى ضربت عنقه قال فانهمزوا حتى انتهوا إلى الصراة فطلبناهم فانهمزوا حتى انتهوا إلى المدائن فكان المسلمون يكوئى وكان مسلحة المشركين بدير المسلاخ فأتاهم المسلمون فالتقوا فهزم المشركون حتى نزلوا بشاطئ دجلة فمنهم

من عبر من كلواذى ومنهم من عبر من أسفل المدائن فحصرهم حتى ما يجدون طعاما يأكلونه إلا كلابهم وسنانيرهم فخرجوا ليلا فلقوا بجلولاء فاتاهم المسلمون وعلى مقدمة سعد هاشم بن عتبة وموضع الوقعة التي ألحقهم منها فريد قال أبو وائل فبعث عمر بن الخطاب حذيفة بن اليمان على أهل الكوفة ومجاشع بن مسعود على أهل البصرة (كتب إلي السري) عن شعيب عن سيف عن عمرو بن محمد عن الشعبي وطلحة عن المغيرة قالوا فخرجوا من العسكر حتى قدموا المدائن احتجاجا ودعاة ليزدجرد فطووا رستم حتى انتهوا إلى باب يزدجرد فوقفوا على خيول عروات معهم جنائب وكلها صهال فاستأذنوا فحبسوا وبعث يزدجرد إلى وزيره ووجه أرضه يستشيرهم فيما يصنع بهم ويقول لهم وسمع بهم الناس فحضرهم ينظرون إليهم وعليهم المقطعات والبرود وفي أيديهم سياط دقاق وفي أرجلهم النعال فلما اجتمع رأيهم أذن لهم فأدخلوا عليه (كتب إلي السري) عن شعيب عن سيف عن طلحة عن بنت كيسان الضبية عن بعض سبايا القادسية ممن حسن إسلامه وحضر هذا اليوم الذي قدم فيه وفود العرب قال وثاب إليهم الناس ينظرون إليهم فلم أر عشرة قط يعدلون في الهيئة بألف غيرهم وخيلهم تخبط ويوعد بعضها بعضا وجعل أهل فارس يسوءهم ما يرون من حالهم وحال خيلهم فلما دخلوا على يزدجرد أمرهم بالجلوس وكان سيئ الأدب فكان أول شئ دار بينه وبينهم أن أمر الترجمان بينه وبينهم فقال سلهم ما يسمون هذه الأردية فسأل

[١٧]

النعمان وكان على الوفد ما تسمى رءاءك قال البرد فتطير وقال بردجهان وتغيرت ألوان فارس وشق ذلك عليهم ثم قال سلهم عن أحذيتهم فقال ما تسمون هذه الأحذية فقال النعال فعاد لمثلها فقال ناله ناله في أرضنا ثم سأله عن الذي في يده فقال سوط والسوط بالفارسية الحريق فقال احرقوا فارس أحرقهم الله وكان نظيره على أهل فارس وكانوا يجدون من كلامه (كتب إلي السري) عن شعيب عن سيف عن عمرو عن الشعبي بمثله وزاد ثم قال الملك سلهم ما جاء بكم وما دعاكم إلى غزونا والولوع ببلادنا أمن أجل أنا أجمناكم وتشاغلنا عنكم اجترأتم علينا فقال لهم النعمان بن مقرن إن شئتم أحببت عنكم ومن شاء أثرته فقالوا بل تكلم وقالوا للملك كلام هذا الرجل كلامنا فتكلم النعمان فقال إن الله رحمننا فأرسل إلينا رسولا يدلنا على الخير ويأمرنا به ويعرفنا الشر وينهانا عنه ووعدنا على إجابته خير الدنيا والآخرة فلم يدع إلى ذلك قبيلة إلا صاروا فرقتين فرقة تقاربه وفرقة تباعده ولا يدخل معه في دينه إلا الخواص فمكث بذلك ما شاء الله أن يمكث ثم أمر أن ينبذ إلى من خالفه من العرب وبدأ بهم وفعل فدخلوا معه جميعا على وجهين مكره عليه فاغتبط وطائع أتاه فإزداد فعرفنا جميعا فضل ما جاء به على الذي كنا عليه من العداوة والضيق ثم أمرنا أن نبدأ بمن يلينا من الأمم فندعوهم إلى الانصاف فنحن ندعوكم إلى ديننا وهو دين حسن الحسن وقبح القبيح كله فان أبيتم فأمر من الشر هو أهون من آخر شر منه الجزاء فان أبيتم فالمناجزة فان أبيتم إلى ديننا خلفنا فيكم كتاب الله وأقمناكم عليه أن تحكموا بأحكامه ونرجع عنكم وشأنكم وبلادكم وإن اتقيمونا بالجزء قبلنا ومنعناكم وإلا قاتلناكم قال فتكلم يزدجرد فقال إنني لا أعلم في الأرض أمة كانت أشقى ولا أقل عددا ولا أسوأ ذات بين منكم قد كنا نوكل بكم قرى الضواحي فيكفونناكم لا تغزوكم فارس ولا تطمعون أن تقوموا لهم فان كان عدد لحق فلا يغرنكم منا وإن كان الجهد دعاكم فرضنا لكم قوتا إلى خصبكم وأكرمنا وجوهكم وكسوناكم وملكنا عليكم ملكا يرفق بكم فأسكت القوم فقال المغيرة بن زرارة بن النباش الأسدي فقال أيها الملك إن هؤلاء

رؤوس العرب ووجوههم وهم أشرف يستحيون من الاشراف وإنما يكرم الاشراف الاشراف ويعظم حقوق الاشراف الاشراف ويفخم الاشراف الاشراف وليس كل ما أرسلوا به جموعه لك ولا كل ما تكلمت به أجاوبك عليه وقد أحسنوا ولا يحسن بمثلهم إلا ذلك فجأوبني لآكون الذي أبلغك ويشهدون على ذلك إنك قد وصفتنا صفة لم تكن بها عالما فأما ما ذكرت من سوء الحال فما كان أسوأ حالا منا وأما جوعنا فلم يكن يشبه الجوع كنا نأكل الخنافس والجعلان والعقارب والحيات فنرى ذلك طعامنا وأما المنازل فانما هي ظهر الارض ولا نلبس إلا ما غزلنا من أوبار الابل وأشعار الغنم ديننا أن يقتل بعضنا بعضا ويغير بعضنا على بعض وإن كان أحدنا ليدفن ابنته وهي حية كراهية أن تأكل من طعامنا فكانت حالنا قبل اليوم على ما ذكرت لك فبعث الله إلينا رجلا معروفا نعرف نسبه ونعرف وجهه ومولده فأرصه خير أرضنا وحسبه خير أحسابنا وبيته أعظم بيوتنا وقبيلته خير قبيلتنا وهو بنفسه كان خيرنا في الحال التي كان فيها أصدقنا وأحلمنا فدعانا إلى أمر فلم يجبه أحد أول من ترب كان له وكان الخليفة من بعده فقال وقلنا وصدق وكذبنا وزاد ونقصنا فلم يقل شيئا إلا كان فخذف الله في قلوبنا التصديق له وإتباعه فصار فيما بيننا وبين رب العالمين فما قال لنا فهو قول الله وما أمرنا فهو أمر الله فقال لنا إن ربكم يقول إنني أنا الله وحدي لا شريك لي كنت إذ لم يكن شيء وكل شيء هالك إلا وجهي وأنا خلقت كل شيء وإلي يصير كل شيء وإن رحمتي أدرتكم فبعثت إليكم هذا الرجل لادللكم ؟ على السبيل التي بها أنجيكم بعد الموت من عذابي ولاحللكم داري دار السلام فنشهد عليه أنه جاء بالحق من عند الحق وقال من تابعكم على هذا فله ما لكم وعليه ما عليكم ومن أبى فأعرضوا عليه الجزية ثم امنعوه مما تمنعون منه أنفسكم ومن أبى فقاتلوه فأنا الحكم بينكم فمن قتل منكم أدخلته جنتي ومن بقى منكم أعقبته النصر على من ناوأه فاختر إن شئت الجزية عن يد وأنت صاعر وإن شئت فالسيف أو تسلم فتنجى نفسك فقال أتستقبلني بمثل هذا فقال ما استقبلت إلا من كلمني ولو كلمني غيرك لم أستقبلك به فقال لولا

أن الرسل لا تقتل لقتلتكم لا شيء لكم عندي فقال ائتوني بوقر من تراب فقال احملاه على أشرف هؤلاء ثم سوفوه حتى يخرج من باب المدائن ارجعوا إلى صاحبكم فأعلموه أنني مرسل اليكم رستم حتى يديكم ويدفيه في خندق القادسية وينكل به ويكم من بعد ثم أوردته بلادكم حتى أشغلكم في أنفسكم بأشد مما نالكم من سابور ثم قال من أشرفكم فسكت القوم فقال عاصم بن عمرو وافاتت لياخذ التراب أنا أشرفهم أنا سيد هؤلاء فحملني فقال أكذاك فقالوا نعم فحملة على عنقه فخرج به من الأيوان والدار حتى أتى راحلته فحملة عليها ثم انجذب في السير فأتوا به سعدا وسبقهم عاصم فمر بباب قديس فطواه فقالوا بشروا الأمير بالظفر ظفرنا إن شاء الله ثم مضى حتى جعل التراب في الحجر ثم رجع فدخل على سعد فأخبره الخبر فقال أبشروا فقد والله أعطانا الله أقاليد ملكهم وجاء أصحابه وجعلوا يزدادون في كل يوم قوة ويزداد عدوهم في كل يوم وهنا واشتد ما صنع المسلمون وصنع الملك من قبول التراب على جلساء الملك وراح رستم من ساباط إلى الملك يسأله عما كان من أمره وأمرهم وكيف راهم فقال الملك ما كنت أرى أن في العرب مثل رجال رأيتم دخلوا علي وما أنتم بأعقل منهم ولا أحسن جوابا منهم وأخبره بكلام متكلمهم وقال لقد صدقني القوم لقد وعد القوم أمرا ليدركنه أو ليموتن عليه على أنني قد وجدت أفضلهم أحققهم لما ذكروا الجزية أعطيته ترابا فحملة على رأسه فخرج به ولو شاء أتقى

بغيره وأنا لا أعلم قال أبا الملك إنه لاعقلهم وتطير إلى ذلك وأبصرها دون أصحابه وخرج رستم من عنده كئيبا غضبان وكان منجما كاهنا فبعث في أثر الوفد وقال لثقتة ان أدركهم الرسول تلافينا أرضنا وإن أعجزوه سلبكم الله أرضكم وأبناءكم فرجع الرسول من الحيرة بفواتهم فقال ذهب القوم بأرضكم غير ذي شك ما كان من شأن ابن الحجابة الملك ذهب القوم بمفاتيح أرضنا فكان ذلك مما زاد الله به فارس غيظا وأغار بعد ما خرج الوفد إلى يزدجرد إلى أن جاءوا إلى صيادين قد أصطادوا سمكا وسار سواد بن مالك التميمي إلى النجاف والغراض إلى جنبها فاستاق ثلثمائة دابة من بين بغل وحمار وثور فأوقروها سمكا واستاقوها

[٢٠]

فصبحوا العسكر فقسم السمك بين الناس سعد وقسم الدواب ونفل الخمس إلا ما رد على المجاهدين منه وأسهم على السبي وهذا يوم الحيتان وقد كان الأزادمرد ابن الأزابه خرج في الطلب فعطف عليه سواد وفوارس معه فقاتلهم علي فنظرة السيلحين حتى عرفوا أن الغنيمة قد نجت ثم اتبعوها فأبلغوها المسلمين وكانوا انما يقرمون إلى اللحم فاما الحنطة والشعير والتمر والحبوب فكانوا قد اكتسبوا منها ما اكتفوا به لو أقاموا زمانا فكانت السرايا انما تسرى للحوم ويسمون أيامها بها ومن أيام اللحم يوم الابقار ويوم الحيتان وبعث مالك بن ربيعة بن خالد التميمي تيم الرباب ثم الواثلي ومعه المساور بن النعمان التيمي ثم الربيعي في سرية أخرى فأغارا على الفيوم فأصابا إبلا لبني تغلب والنمر فشلاها ومن فيها فغدوا بها على سعد فنحرت الابل في الناس وأخصبوا وأغار على النهرين عمرو بن الحارث فوجدوا على باب ثوراء مواشي كثيرة فسلكوا أرض شيلي وهي اليوم نهر زياد حتى أتوا بها العسكر وقال عمر وليس بها يومئذ الا نهران وكان بين قدوم خالد العراق ونزول سعد القادسية سنتان وشئ وكان مقام سعد بها شهرين وشيئا حتى ظفر قال والاسناد الاول وكان من حديث فارس والعرب بعد البويب ان الانوشجان ابن الهريد خرج من سواد البصرة يريد أهل غضى فاعترضه أربعة نفر على أفناء تميم وهم بإزائهم المستورد وهو على الرباب وعبد الله بن زيد يسانده الرباب بينهما وجزء بن معاوية وابن النابغة يسانده سعد بينهما والحسن بن نيار والاعور ابن بشامة يسانده على عمرو والحسين بن معبد والشبه على حنظلة فقتلوه دونهم وقدم سعد فانضموا إليه هم وأهل غضى وجميع تلك الفرق (كتب إلى السري) عن شعيب عن سيف عن محمد وطلحة وعمرو بإسنادهم قالوا وعج أهل السواد إلى يزدجرد بن شهريار وأرسلوا إليه أن العرب قد نزلوا القادسية بأمر ليس يشبهه الا الحرب وان فعل العرب مذ نزلوا القادسية لا يبقى عليه شئ وقد أحربوا ما بينهم وبين الفرات وليس فيما هنالك أنيس إلا في الحصون وقد ذهب الدواب وكل شئ لم يحتمله الحصون من الاطعمة ولم يبق إلا أن يستنزلونا

[٢١]

فإن أبطأ عنا الغيات أعطيناهم بأيدينا وكتب إليه بذلك الملوك الذين لهم الضياع بالطف وأعانوهم عليه وهيجه على بعته رستم ولما بدا ليزدجرد أن يرسل رستم أرسل إليه فدخل عليه فقال له إنني أريد أن أوجهك في هذا الوجه وإنما يعد للامور على قدرها وأنت رجل أهل فارس اليوم وقد ترى ما جاء من أهل فارس من أمر لم يأتهم مثله منذ ولى آل أردشير فأراه أن قد قبل منه وأثنى عليه فقال له الملك قد أحب أن أنظر فيما لديك لاعرف ما عندك فصف لي العرب وفعلمهم

منذ نزلوا القادسية وصف لي العجم وما يلقون منهم فقال رستم صف ذئاب صادفت غرة من رعاء فأفسدت فقال ليس كذلك إني إنما سألتك رجاء أن تعرب صفتهم فأقويك لتعمل على قدر ذلك فلم تصب فافهم عني إنما مثلهم ومثل أهل فارس كمثل عقاب أوفى على جبل بأوي إليه الطير بالليل فتبيت في سفحه في أوكارها فلما أصبحت تجلت الطير فأبصرته يرقبها فإن شذ منها شئ اختطفه فلما أبصرته الطير لم تنهض من مخافته وجعلت كلما شذ منها طائر اختطفه فلو نهضت نهضة واحدة ردته وأشد شئ يكون في ذلك أن تنجوا كلها إلا واحدا وإن اختلفت لم تنهض فرقة إلا هلكت فهذا مثلهم ومثل الاعاجم فاعمل على قدر ذلك فقال له رستم أيها الملك دعني فإن العرب لا تزال تهاب العجم ما لم تضرهم بي ولعل الدولة أن تثبت بي فيكون الله قد كفى ونكون قد أصبنا المكيدة ورأي الحرب فإن الرأي فيها والمكيدة أنفع من بعض الظفر فأبى عليه وقال أي شئ بقى فقال رستم إن الاناة في الحرب خير من العجلة وللاناة اليوم موضع وفتال جيش بعد جيش أمثل من هزيمة بمرة وأشد على عدونا فلج وأبى فخرج حتى ضرب عسكره بساباط وجعلت تختلف إلى الملك الرسل ليرى موضعا لاعفائه وبعثه غيره ويجتمع إليه الناس وجاء العيون إلى سعد بذلك من قبل الحيرة وبنى صلوبا وكتب إلى عمر بذلك ولما كثرت الاستغاثة على يزيدجرد من أهل السواد على يدي الأزادمراد ابن الأزادبه جشعت نفسه واتقى الحرب برستم وترك الرأي وكان ضيقا لجوجا فاستحث رستم فأعاد عليه رستم القول وقال أيها الملك لقد اضطررتي تضييع الرأي إلي إعظام نفسي وتزكيتها ولو أجد من ذلك بدا لم أتكلم به فأنشدك الله في نفسك

[٢٢]

وأهلك وملكك دعني أقم بعسكري وأسرح الجالوس فإن تكن لنا فذلك وإلا فأنا على رجل وابعث غيره حتى إذا لم يجد بدا ولا حيلة صبرنا لهم وقد وهناهم وحسرتناهم ونحن جامون فأبى إلا أن يسير (كتاب إلي السري) عن شعيب عن سيف عن النضر بن السري الضبي عن ابن الرقيل عن أبيه قال لما نزل رستم بساباط وجمع آلة الحرب وأداتها بعث على مقدمته الجالوس في أربعين ألفا وقال ازحف زحفا ولا تنجذب إلا بأمرى واستعمل على ميمنته الهرمزان وعلى ميسرته مهران بن بهرام الرازي وعلى ساقته البيروزان وقال رستم ليشرح الملك ان فتح الله علينا القوم فهو وجهنا إلي ملكهم في دارهم حتى نشغلهم في أصلهم وبلادهم إلى أن يقبلوا المسألة أو يرضوا بما كانوا يرضون به فلما قدمت وفود سعد على الملك ورجعوا من عنده رأى رستم فيما يرى النائم رؤيا فكرهها وأحس بالشر وكره لها الخروج ولقاء القوم واختلف عليه رأيه واضطرب وسأل الملك أن يمضي الجالوس ويقيم حتى ينظر ما يصنعون وقال إن غناء الجالوس كغنائني وإن كان اسمي أشد عليهم من اسمه فإن ظفر فهو الذي نريد وإن يكن الأخرى وجهت مثله ودفعنا هؤلاء القوم إلى يوم ما فإني لا أزال مرجوا في أهل فارس ما لم أهزم ينشطون ولا أزال مهيبا في صدور العرب ولا يزالون يهابون الأقدام ما لم أباشرهم فإن باشرتهم اجترؤا آخر دهرهم وانكسر أهل فارس آخر دهرهم فبعث مقدمته أربعين ألفا وخرج في ستين ألفا وساقته في عشرين ألفا (كتب إلي السري) عن شعيب عن سيف عن محمد وطلحة وزياد وعمرو بإسنادهم قالوا وخرج رستم في عشرين ومائة ألف كلهم متبوع وكانوا باتباعهم أكثر من مائة ألف وخرج من المدائن في ستين ألف متبوع (كتب إلي السري) عن شعيب عن سيف عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة أن رستم زحف لسعد وهو بالقادسية في ستين ألف متبوع (كتب إلي السري) عن شعيب عن سيف عن محمد وطلحة وزياد وعمرو بإسنادهم قالوا لما أبى الملك إلا السير كتب رستم إلى أخيه وإلى رؤس أهل بلاده من رستم إلى البندوان مرزبان الباب وسهم أهل فارس الذي كان لكل

كون يكون فيفض الله به كل جند عظيم شديد ويفتح به كل حصن حصين ومن يليه فرموا حصونكم وأعدوا واستعدوا فكأنكم بالعرب قد وردوا بلادكم وقارعوكم عن أرضكم وأبناءكم وقد كان من رأبي مدافعتهم ومطاولتهم حتى تعود سعودهم نحوسا فأبى الملك (كتب إلى السري) عن شعيب عن سيف عن الصلت بن بهرام عن رجل أن يزدجرد لما أمر رستم بالخروج من ساباط كتب إلى أخيه بنحو من الكتاب الاول وزاد فيه فإن السمكة قد كدرت الماء وأن النعائم قد حسنت وحسنت الزهرة واعتدل الميزان وذهب بهرام ولا أرى هؤلاء القوم إلا سيظهرون علينا ويستولون على ما يلينا وان أشد ما رأيت أن الملك قال لتسيرن إليهم أو لاسيرن إليهم أنا بنفسي فأنا سائر إليهم (كتب الي السري) عن شعيب عن سيف عن النضر بن السري عن ابن الرفيل عن أبيه قال كان الذي جراً يزدجرد على ارسال رستم غلام جابان منجم كسرى وكان من أهل فرات بادقلى فأرسل إليه فقال ما ترى في مسير رستم وحرب العرب اليوم فخافه على الصدق فكذبه وكان رستم يعلم نحوا من علمه فتقل عليه مسيره لعلمه وخف على الملك لما غره منه وقال إني أحب أن تخبرني بشئ أراه أطمئن به إلى قولك فقال الغلام لزرنا الهندي أخبره فقال سلني فسأله فقال أيها الملك يقبل طائر فيقع على إيوانك فيقع منه شئ في فيه هاهنا وخط دارة فقال العبد صدق والطائر غراب والذي في فيه درهم وبلغ جابان أن الملك طلبه فأقبل حتى دخل عليه فسأله عما قال غلامه فحسب فقال صدق ولم يصب هو عقق والذي في فيه درهم فيقع منها على هذا المكان وكذب زرنا ينزو الدرهم فيستقر هاهنا ودور دارة أخرى فما قاموا حتى وقع على الشرفات عقق فسقط منها الدرهم في الخط الاول فنزا فاستقر في الخط الآخر ونافر الهندي جابان حيث خطاه فأتيا ببقرة نتوج فقال الهندي سخلتها غراء سوداء فقال جابان كذبت بل سوداء صبغاء فخرت البقرة فاستخرجت سخلتها فإذا هي ذنبها بين عينيهما فقال جابان من هاهنا أتى زرنا وشجعاه على إخراج رستم فأمصاه وكتب جابان إلى جشنسماه أن أهل فارس قد زال أمرهم وأدبل عدوهم عليهم

وذهب ملك المجوسية وأقبل ملك العرب وأدبل دينهم فاعتقد منهم الذمة ولا تخلينك الامور والعجل العجل قيل أن تؤخذ فلما وقع الكتاب إليه خرج حشنسماه إليهم حتى أتى المعنى وهو في خيل بالعتيق وأرسله إلى سعد فاعتقد منه على نفسه وأهل بيته ومن استجاب له ورده وكان صاحب أخبارهم وأهدى للمعنى فالودق فقال لامرأته ما هذا فقالت أظن البائسة امرأته أراغت العصيدة فأخطأها فقال المعنى بؤسا لها (كتاب الي السري) عن شعيب عن سيف عن محمد وطلحة وزياد وعمرو باسنادهم قالوا لما فصل رستم من ساباط لقيه جابان على القنطرة فشكا إليه وقال ألا ترى ما أرى فقال له رستم أما أنا فأفاد بخشاش وزمام ولا أجد بدا من الانقياد وأمر الجالنوس حتى قدم الحيرة فمضى واضطرب فسطاطه بالنجف وخرج رستم حتى ينزل بكوثي وكتب إلى الجالنوس والأزادمرد أصيبا لي رجلا من العرب من جند سعد فركبا بأنفسهما طليعة فأصابا رجلا فبعثا به إليه وهو بكوثي فاستخبره ثم قتله (كتب إلى السري) عن شعيب عن سيف عن النضر بن السري عن ابن الرفيل عن أبيه قال لما فصل رستم وأمر الجالنوس بالتقدم إلى الحيرة أمره أن يصيب له رجلا من العرب فخرج هو والأزادمرد سرية في مائة حتى انتهيا إلى القادسية فأصابا رجلا دون قنطرة القادسية فاخطفاه ففر الناس

فأعجزوهم إلا ما أصاب المسلمون في أخرياتهم فلما انتهيا إلى النجف سرحا به إلى رستم وهو بكوثي فقال له رستم ما جاء بكم وماذا تطلبون قال جئنا نطلب موعود الله قال وما هو قال أرضكم وأبناؤكم ودماءكم إن أبيتم أن تسلموا قال رستم فإن قتلتم قبل ذلك قال في موعود الله ان من قتل منا قبل ذلك أدخله الجنة وأنجز لمن بقي منا ما قلت لك فنحن على يقين فقال رستم قد وضعنا إذا في أيديكم قال ويحك يا رستم إن أعمالكم وضعتكم فأسلمكم الله بها فلا يغرنك ما ترى حولك فإنك لست تجاول الانس إنما تجاول القضاء والقدر فاستشيط غضبا فأمر به فضربت عنقه وخرج رستم من كوثي حتى ينزل ببرز فغضب أصحابه الناس أموالهم ووقعوا على النساء وشربوا الخمر فضج العلوج إلى رستم وشكوا إليه ما يلقون في أموالهم وأبنائهم فقام فيهم فقال يا معشر

[٢٥]

أهل فارس والله لقد صدق العربي والله ما أسلمنا الا أعمالنا والله للعرب في هؤلاء وهم لهم ولنا حرب أحسن سيرة منكم إن الله كان ينصركم على العدو ويمكن لكم في البلاد بحسن السيرة وكف الظلم والوفاء بالعهود والاحسان فأما إذا تحولتم عن ذلك إلى هذه الاعمال فلا أرى الله إلا مغيرا ما بكم وما أنا بأمن أن ينزع الله سلطانه منكم وبعث الرجال فلقطوا له بعض من يشكى فأتى بنفر فضرب أعناقهم ثم ركب ونادى في الناس بالرحيل فخرج ونزل بحيال دير الاعور ثم أنصب إلى الملقاط فعسكر مما يلي الفرات بحيال أهل النجف بحيال الخورنق إلى الغربيين ودعا بأهل الحيرة فأوعدهم وهم بهم فقال له ابن ببيعة لا تجمع علينا اثنتين إن تعجز عن نصرتنا وتلومنا على الدفع عن أنفسنا وبلادنا فسكت (كتب إلى السري) عن شعيب عن سيف عن عمرو عن الشعبي والمقدام الحارثي عمم ذكره قالا دعا رستم أهل الحيرة وسراده إلى جانب الدير فقال يا أعداء الله فرحتم بدخول العرب علينا بلادنا وكنتم عيوننا لهم علينا وفويتموهم بالاموال فاتقوه بابن ببيعة وقالوا له كن أنت الذي تكلمه فتقدم فقال أما أنت وقولك أنا فرحنا بمجيئهم فماذا فعلوا وبأي ذلك من أمورهم نفرح أنهم ليزعمون أنا عبيد لهم وما هم على ديننا وإنهم ليشهدون علينا أنا من أهل النار وأما قولك أنا كنا عيوننا لهم فما الذي يحوجهم إلى أن نكون عيوننا لهم وقد هرب أصحابكم منهم وخلوا لهم القرى فليس يمنعهم أحد من وجه أرادوه إن شاؤا أخذوا يمينا أو شمالا وأما قولك إنا قويناهم بالاموال إنا صانعناهم بالاموال عن أنفسنا إذ لم تمنعونا مخافة أن نسبي وأن نحرب وتقتل مقاتلتنا وقد عجز منهم من لقيهم منكم فكنا نحن أعجز ولعمري لانتم أحب إلينا منهم وأحسن عندنا بلاء فامنعونا منهم نكن لكم أعوانا وإنما نحن بمنزلة علوج السواد عبيد من غلب فقال رستم صدقكم الرجل (كتب إلى السري) عن شعيب عن سيف عن النضر عن ابن الرقيل عن أبيه قال رأي رستم بالدير أن ملكا جاء حتى دخل عسكر فارس فختم السلاح أجمع (كتب إلى السري) عن شعيب عن سيف عن محمد وأصحابه وشاركهم النضر بإسناده قالوا ولما اطمان رستم أمر الجالنوس

[٢٦]

أن يسير من النجف فسار في المقدمات فنزل فيما بين النجف والسيلحين وارتحل رستم فنزل النجف وكان بين خروج رستم من المدائن وعسكرته بساباط وزحفه منها إلى أن لقي سعدا أربعة أشهر لا يقدم ولا يقاقل رجاء أن يضجروا بمكانهم وأن يجهدوا فينصرفوا وكره قتالهم مخافة أن يلقى ما لقي من قبله وطاولهم لولا ما جعل الملك يستعجله وينهضه ويقدمه حتى اقتحمه فلما نزل

رستم النجف عادت عليه الرؤيا فرأى ذلك الملك ومعه النبي صلى الله عليه وسلم وعمر فأخذ الملك سلاح أهل فارس فختمه ثم دفعه إلى النبي صلى الله عليه وسلم فدفعه النبي صلى الله عليه وسلم إلى عمر فأصبح رستم فازداد حزنا فلما رأى الرفيل ذلك رغب في الاسلام فكانت داعيته إلى الاسلام وعرف عمر أن القوم سيطاولونهم فعهد إلى سعد وإلى المسلمين أن ينزلوا حدود أرضهم وأن يطاولوهم أبدا حتى ينغضوهم فنزلوا القادسية وقد وطئوا أنفسهم على الصبر والمطاولة وأبى الله إلا أن يتم نوره فأقاموا وإطمأنوا فكانوا يغيرون على السواد فانتسفوا ما حولهم فحووه وأعدوا للمطاولة وعلى ذلك جاؤا أو يفتح الله عليهم وكان عمر يمدهم بالاسواق إلى ما يصيبون فلما رأى ذلك الملك ورستم وعرفوا حالهم وبلغهم عنهم فعلهم علم أن القوم غير منتهين وأنه إن أقام لم يتركوه فرأى أن يشخص رستم ورأى رستم أن ينزل بين العتيق والنجف ثم يطاولهم مع المنازلة ورأى أن ذلك أمثل ما هم فاعلون حتى يصيبوا من الاحجام حاجتهم أو تدور لهم سعود (كتب إلي السري) عن شعيب عن سيف عن محمد وطلحة وزياد بإسنادهم قالوا وجعلت السرايا تطوف ورستم بالنجف والجالنوس بين النجف والسيلحين وذو الحاجب بين رستم والجالنوس والهرمزان ومهران على مجنبيه والبيرزان على ساقته وزاد ابن بهيش صاحب فرات سرى على الرجالة وكنارى على المجردة وكان جنده مائة وعشرين ألفا ستين ألف متبوع مع الرجل الشاكري ومن الستين ألفا خمسة عشر ألف شريف متبوع وقد تسلسلوا وتقارنوا لتدور عليهم رحى الحرب (كتب إلى السري) عن شعيب عن سيف عن محمد بن قيس عن موسى بن طريف قال قال الناس لسعد لقد ضاق بنا المكان فأقدم فزبر من كلمه بذلك وقال إذا

كفيتم الرأي فلا تكلفوا فإننا لن نقدم إلا على رأي ذوى الرأي فاسكتوا ما سكتنا عنكم وبعث طليحة وعمرا في غير خيل كالطليحة وخرج سواد وحميضة في مائة مائة فأغاروا على النهرين وقد كان سعد نهاهما أن يمعنا وبلغ رستم فأرسل إليهم خيلا وبلغ سعدا أن خيله قد وعلت فدعا عاصم بن عمرو وجابرا الاسدي فأرسلهما في آثارهم يقتصانها وسلكا طريقهما وقال لعاصم إن جمعكم قتال فأنت عليهم فلقبهم بين النهرين وإصطيميا وخيل أهل فارس محتوشتهم يريدون تخلص ما بين أيديهم وقد قال سواد لحميضة اختر إما أن تقيم لهم وأستاق الغنيمة أو أقيم لهم وتستاق الغنيمة قال أقم لهم ونهتهم عني وأنا أبلغ لك الغنيمة فأقام لهم سواد وانجذب حميضة فلقبه عاصم بن عمرو فطن حميضة أنها خيل للاعاجم أخرى فصد عنها منحرفا فلما تعارفوا ساقها ومضى عاصم إلى سواد وقد كان أهل فارس تنفذوا بعضها فلما رأوا الاعاجم عاصما هربوا وتنفذ سواد ما كانوا ارتجعوا فأتوا سعدا بالفتح والغنائم والسلامة وقد خرج طليحة وعمرو فأما طليحة فأمره بعسكر رستم وأما عمرو فأمره بعسكر الجالنوس فخرج طليحة وحده وخرج عمرو في عدة فبعث قيس بن هبيرة في آثارهما فقال إن لقيت قتالا فأنت عليهم وأراد إذلال طليحة لمعصيته وأما عمرو فقد أطاعه فخرج حتى تلقى عمرا فسأله عن طليحة فقال لا علم لي به فلما انتهبا إلى النجف من قبل الجوف قال له قيس ما تريد قال أريد أن أعير على أذننى عسكرهم قال في هؤلاء قال نعم قال لا أدعك والله وذاك أتعرض المسلمين لما لا يطيقون قال وما أنت وذاك قال إنني أمرت عليك ولو لم أكن أميرا لم أدعك وذاك وشهد له الاسود بن يزيد في نفر أن سعدا قد استعمله عليك وعلى طليحة إذا اجتمعتم فقال عمرو والله يا قيس إن زمانا تكون على فيه أميرا لزمان سوء لان أرجع عن دينكم هذا إلى ديني الذي كنت عليه وأقاتل عليه حتى أموت أحب إلي من أن تتامر علي ثانية وقال لئن عاد صاحبك الذي بعثك لمثلها لنفارقته قال ذاك اليك

بعد مرتك هذه فرده فرجعا إلى سعد بالخبر وبأعلاج وأفراس وشكا كل واحد منهما صاحبه أما قيس فشكا عصيان عمرو وأما عمرو فشكا غلظة

[٢٨]

قيس فقال سعد يا عمرو الخير والسلامة أحب إلي من مصاب مائة بقتل ألف أتعمد إلى حلبة فارس فتصدمهم بمائة ان كنت لاراك أعلم بالحرب مما أرى فقال ان الامر لكما قلت وخرج طليحة حتى دخل عسكرهم في ليلة مقمرة فتوسم فيه فهتك أطناب بيت رجل عليه واقتاد فرسه ثم خرج حتى مر بعسكر ذي الحجاب فهتك على رجل آخر بيته وحل فرسه ثم دخل على الجالنوس عسكره فهتك على آخر بيته وحل فرسه ثم خرج حتى أتى الخراة وخرج الذي كان بالنجف والذي كان في عسكر ذي الحجاب فاتبعه الذي كان في عسكر الجالنوس فكان أولهم لحاقا به الجالنوسى ثم الحاجبي ثم النجفي فأصاب الاولين وأسر الآخر وأتى به سعدا فأخبره وأسلم فسماه سعد مسلما ولزم طليحة فكان معه في تلك المغازي كلها (كتب إلي السري) عن شعيب عن سيف عن أبي عمرو عن أبي عثمان النهدي قال كان عمر قد عهد إلى سعد حين بعثه إلى فارس ألا يمر بماء من المياه بذي قوة ونجدة ورتاسة إلا أشخصه فإن أبى انتخبه فأمره عمر فقدم القادسية في اثني عشر ألفا من أهل الايام وأناس من الحمراء استجابوا للمسلمين فأعانوهم أسلم بعضهم قبل القتال وأسلم بعضهم غب القتال فأشركوا في الغنيمة وفرضت لهم فرائض أهل القادسية ألفين ألفين وسألوا عن أمنع قبائل العرب فعداوا تميما فلما دنا رستم ونزل النجف بعث سعد الطلائع وأمرهم أن يصبوا رجلا ليسأله عن أهل فارس فخرجت الطلائع بعد اختلاف فلما أجمع ملا الناس أن الطليعة من الواحد إلى العشرة سمحوا فأخرج سعد طليحة في خمسة وعمرو بن معديكرب في خمسة وذلك صبيحة قدم رستم الجالنوس وذا الحجاب ولا يشعرون بفصولهم من النجف فلم يسيروا إلا فرسخا وبعض آخر حتى راوا مسالحيهم وسرحهم على الطفوف قد ملؤها فقال بعضهم ارجعوا إلى أميركم فانه سرحكم وهو يرى أن القوم بالنجف فأخبروه الخبر وقال بعضهم ارجعوا لا ينذر بكم عدوكم فقال عمرو لاصحابه صدقتم وقال طليحة لاصحابه كذبتهم ما بعثتم لتخبروا عن السرح وما بعثتم إلا للبر قالوا فما تريد قال أريد أن أخاطر القوم أو أهلك فقالوا أنت

[٢٩]

رجل في نفسك غدر ولن تغلح بعد قتل عكاشة بن محصن فارجع بنا فأبى وأتى سعدا الخبر برحيلهم فبعث قيس بن هبيرة الاسدي وأمره على مائة وعليهم إن هو لقيهم فانتهم إليهم وقد افترقوا فلما رآه عمرو قال تجلدوا له وأروه أنهم يريدون الغارة فردهم ووجد طليحة قد فارقهم فرجع بهم فأتوا سعدا فأخبروه بقرب القوم ومضى طليحة وعارض المياه على الطفوف حتى دخل عسكر رستم وبات فيه يجوسه وينظر ويتوسم فلما أدبر الليل خرج وقد أتى أفضل من توسم في ناحية العسكر فإذا فرس له لم ير في خيل القوم مثله وفسطاط أبيض لم ير مثله فانتضى سيفه فقطع مقود الفرس ثم ضمه إلى مقود فرسه ثم حرك فرسه فخرج يعدو به وينذر به الناس والرجل فتنادوا وركبوا الصعبة والذلول وعجل بعضهم أن يسرح فخرجوا في طلبه فأصبح وقد لحقه فارس من الجند فلما غشيه ووبأ له الريح ليطعنه عدل طليحة فرسه فنذر الفارسي بين يديه فكر عليه طليحة فقصم ظهره بالرمح ثم لحق به آخر ففعل به مثل ذلك ثم لحق به آخر وقد رأى مصرع صاحبيه وهما ابنا عمه فازداد حنقا فلما لحق

بطليحة وبوأ له الرمح عدل طليحة فرسه فنذر الفارسي أمامه وكر عليه طليحة ودعاه إلى الاسار فعرف الفارسي أنه قاتله فاستأسر وأمره طليحة أن يركض بين يديه ففعل ولحق الناس فرأوا فارسي الجند قد قتلوا وقد أسر الثالث وقد شارف طليحة عسكرهم فأحجموا عنه ونكصوا وأقبل طليحة حتى غشى العسكر وهم على تعبئة فأفرغ الناس وجوزوه إلى سعد فلما انتهى إليه قال ويحك ما وراءك قال دخلت عساكرهم وجستها منذ الليلة وقد أخذت أفضلهم توسما وما أدري أصبت أم أخطأت وها هو ذا فاستخبره فأقيم الترجمان بين سعد وبين الفارسي فقال له الفارسي أتؤمنني على دمي إن صدقتك قال نعم الصدق في الحرب أحب إلينا من الكذب قال أخبركم عن صاحبكم هذا قبل أن أخبركم عن قبلي باشرت الحروب وغشيتها وسمعت بالابطال ولقيتها منذ أنا غلام إلى أن بلغت ما ترى ولم أر ولم أسمع بمثل هذا أن رجلا قطع عسكرين لا يجترئ عليهما الابطال إلا عسكر فيه سبعون ألفا يخدم الرجل منهم الخمسة والعشرة إلى ما هو دون فلم يرض أن يخرج كما دخل حتى سلب فارس

[٣٠]

الجند وهتك أطناب بيته فأنذره فأنذرنا بأنه به فطلبناه فأدرکه الاول وهو فارس الناس يعدل ألف فارس فقتله فأدرکه الثاني وهو نظيره فقتله ثم أدركته ولا أظن أنني خلفت بعدي من يعدلني وأنا الثائر بالقتيلين وهما ابنا عمي فرأيت الموت فاستأسرت ثم أخبره عن أهل فارس بأن الجند عشرون ومائة ألف وأن الاتباع مثلهم خدام لهم وأسلم الرجل وسماه سعد مسلما وعاد إلى طليحة وقال لا والله لا تهزمون ما دتم على ما أرى من الوفاء والصدق والاصلاح والمؤاساة لا حاجة لي في صحبة فارس فكان من أهل البلاء يومئذ (كتب إلي السري) عن شعيب عن سيف عن محمد بن قيس عن موسى بن طريف قال قال سعد لقيس بن هبيرة الاسدي اخرج يا عاقل فإنه ليس وراءك من الدنيا شئ تحنو عليه حتى تأتيني بعلم القوم فخرج وسرح عمرو بن معديكرب وطليحة فلما حاذى القنطرة لم يسر إلا يسيرا حتى لحق فانتهى إلى خيل عظيمة منهم بحيالها ترد عن عسكرهم فإذا رستم قد ارتحل من النجف فنزل منزل ذي الحاجب فارتحل الجالانوس فنزل ذو الحاجب منزله والجالانوس يريد طيزناباذ فنزل بها وقدم تلك الخيل وأن ما حمل سعدا على إرسال عمرو وطليحة معه لمقالة بلغته عن عمرو وكلمة قالها لقيس بن هبيرة قبل هذه المرة فقال قاتلوا عدوكم يا معشر المسلمين فأنشب القتال وطاردهم ساعة ثم إن قيسا حمل عليهم فكانت هزيمتهم فأصاب منهم اثني عشر رجلا وثلاثة أسراء وأصاب أسلابا فأتوا بالغنيمة سعدا وأخبروه الخبر فقال هذه بشرى إن شاء الله إذا لقيتم جمعهم الاعظم وحدهم فلهم أمثالها ودعا عمرا وطليحة فقال كيف رأيتما قيسا فقال طليحة رأيناه أكمانا وقال عمر والامير أعلم بالرجال منا قال سعد إن الله تعالى أحيانا بالاسلام وأجيا به قلوبا كانت ميتة وأمات به قلوبا كانت حية وإنى أحذركما أن تؤثرا أمر الجاهلية على الاسلام فتموت قلوبكما وأنتما حيان الزما السمع والطاعة والاعتراف بالحقوق فما رأى الناس كأقوام أعزهم الله بالاسلام (كتب إلي السري) عن شعيب عن سيف عن محمد وطليحة وعمرو وزياد وشاركهم المجالد وسعيد بن المرزبان قالوا فلما أصبح رستم من الغد من يوم نزل السيلحين قدم

[٣١]

الجالنوس وذا الحاجب فارتحل الجالنوس فنزل من دون القنطرة بحيان
زهرة ونزل إلى صاحب المقدمة ونزل ذو الحاجب منزله بطيزاباد ونزل
رستم منزل ذي الحاجب بالخرارة ثم قدم ذا الحاجب فلما انتهى إلى
العتيق تياسر حتى إذا كان بحيان قديس خندق خندقا وارتحل
الجالنوس فنزل عليه وعلى مقدمته أعني سعدا زهرة بن الحوية
وعلى مجنبيه عبدالله بن المعتم وشرحبييل بن السمط الكندي
وعلى مجردته عاصم بن عمرو وعلى المرامية فلان وعلى الرجل
فلان وعلى الطلائع سواد بن مالك وعلى مقدمة رستم الجالنوس
وعلى مجنبيه الهرمزان ومهران وعلى مجردته ذو الحاجب وعلى
الطلائع البيروزان وعلى الرجالة زاذين بهيش فلما انتهى رستم إلى
العتيق وقف عليه بحيان عسكر سعد ونزل الناس فما زالوا يتلاحقون
وينزلهم فينزلون حتى أعتموا من كثرتهم فبات بها تلك الليلة
والمسلمون ممسكون عنهم قال سعيد بن المرزبان فلما أصبحوا من
ليلتهم بشاطئ العتيق غدا منجم رستم على رستم برؤيا أريها من
الليل قال رأيت الدلو في السماء دلوا أفرغ ماؤه ورأيت السمكة
سمكة في ضحاح من الماء تضطرب ورأيت النعائم والزهرة تزدهر
قال ويحك هل أخبرت بها أحدا قال لا قال فاكتمها (كتب إلي السري)
عن شعيب عن سيف عن مجالد عن الشعبي قال كان رستم منجما
فكان يبكي مما يرى ويقدم عليه فلما كان بظهر الكوفة رأى أن عمر
دخل عسكر فارس ومعه ملك فختم على سلاحهم ثم حزمه ودفعه
إلى عمر (كتب إلي السري) عن شعيب عن سيف عن إسماعيل
بن أبي خالد عن قيس بن أبي حازم وكان قد شهد القادسية قال
كان مع رستم ثمانية عشر فيلا ومع الجالنوس خمسة عشر فيلا
(كتب إلي السري) عن شعيب عن سيف عن المجالد عن الشعبي
قال كان مع رستم يوم القادسية ثلاثون فيلا (كتب إلي السري) عن
شعيب عن سيف عن سعيد بن المرزبان عن رجل قال كان مع
رستم ثلاثة وثلاثون فيلا منها فيل سابور الأبيض وكانت الفيلة تألفه
وكان أعظمها وأقدمها (كتب إلي السري) عن شعيب عن سيف عن
النضر عن ابن الرقيل عن أبيه قال كان معه

[٣٢]

ثلاثة وثلاثون فيلا معه في القلب ثمانية عشر فيلا ومعه في
المجنبيين خمسة عشر فيلا (كتب إلي السري) عن شعيب عن
سيف عن المجالد وسعيد وطلحة وعمرو وزباد قالوا فلما أصبح رستم
من ليلته التي باتها بالعتيق أصبح راكبا في خيله فنظر إلى
المسلمين ثم صعد نحو القنطرة وقد حزر الناس فوقف بحيانهم دون
القنطرة وأرسل إليهم رجلا إن رستم يقول لكم أرسلوا إلينا رجلا
نكلمه ويكلمنا وأنصرف فأرسل زهرة إلى سعد بذلك فأرسل إليه
المغيرة بن شعبة فأخرجه زهرة إلى الجالنوس فأبلغه الجالنوس
رستم (كتب إلي السري) عن شعيب عن سيف عن النضر عن ابن
الرقيل عن أبيه قال لما نزل رستم على العتيق وبات به أصبح غاديا
على التصفح والحزر فساير العتيق نحو خفان حتى أتى على منقطع
عسكر المسلمين ثم صعد حتى انتهى إلى القنطرة فتأمل القوم
حتى أتى على شئ يشرف منه عليهم فلما وقف على القنطرة
رأسل زهرة فخرج إليه حتى واقفه فأراده على أن يصالحهم ويجعل
له جعلاً على أن ينصرفوا عنه وجعل يقول فيما يقول أنتم جيراننا وقد
كانت طائفة منكم في سلطاننا فكنا نحسن جوارهم ونكف الأذى
عنهم ونوليهم المرافق الكثيرة ونحفظهم في أهل باديتهم فترعهم
مراعينا ونميرهم من بلادنا ولا نمنعهم من التجارة في شئ من
أرضنا وقد كان لهم في ذلك معاش يعرض لهم بالصلح وإنما يخبره
بصنيعهم والصلح يريد ولا يصرح فقال له زهرة صدقت قد كان ما تذكر
وليس أمرنا أمر أولئك ولا طلبتنا طلبتهم إنا لم نأتكم لطلب الدنيا إنما
طلبتنا وهمتنا الآخرة كنا كما ذكرت يدين لكم من ورد عليكم منا
ويضرع إليكم يطلب ما في أيديكم ثم بعث الله تبارك وتعالى إلينا

رسولا فدعانا إلى ربه فأجابه فقال لنبيه صلى الله عليه وسلم إنني قد سلطت هذه الطائفة على من لم يدن بدينني فانا منتقم بهم منهم وأجعل لهم الغلبة ما داموا مقرين به وهو دين الحق لا يرغب عنه أحد إلا ذل ولا يعتصم به أحد إلا عز فقال له رستم وما هو قال أما عموده الذي لا يصلح منها شئ إلا به فشهادة أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله والاقرار بما جاء به من عند الله تعالى قال ما أحسن هذا وأي شئ أيضا قال وإخراج العباد من عبادة

[٣٣]

العباد إلى عبادة الله تعالى قال حسن وأي شئ أيضا قال والناس بنو آدم وحواء اخوة لآب وأم قال ما أحسن هذا ثم قال له رستم أريت لو أني رضيت بهذا الأمر وأجبتكم إليه ومعني قومي كيف يكون أمركم أترجعون قال إي والله ثم لا تقرب بلادكم أبدا الا في تجارة أو حاجة قال صدقتني والله أما ان أهل فارس منذ ولى أزدشير لم يدعوا أحدا يخرج من عمله من السفلة كانوا يقولون إذا خرجوا من أعمالهم تعدوا طورهم وعادوا أشرافهم فقال له زهرة نحن خير الناس للناس فلا نستطيع أن نكون كما تقولون نطيع الله في السفلة ولا يضرنا من عصى الله فينا فانصرف عنه ودعا رجال فارس فذاكرهم هذا فجموا من ذلك وأنفوا فقال أبعدمكم الله وأسحقكم أخزي الله آخر عنا وأجبننا فلما انصرف رستم ملت إلى زهرة فكان اسلامي وكنت له عديدا وفرض لي فرائض أهل القادسية (كتب إلى السري) عن شعيب عن سيف عن محمد وطلحة وعمرو وزياد بإسنادهم مثله قالوا وأرسل سعد إلى المغيرة بن شعبة وبسر بن أبي رهم وعرفجة بن هرثمة وحذيفة بن محصن وربيعي بن عامر وقرقة بن زاهر التيمي ثم الوائلي ومذعور بن عدي العجلي والمضارب ابن يزيد العجلي ومعبد بن مرة العجلي وكان من دهاة العرب فقال أني مرسلكم إلى هؤلاء القوم فما عندكم قالوا جميعا نتبع ما تأمرنا به وننتهي إليه فإذا جاء أمر لم يكن منك فيه شئ نظرنا أمثل ما ينبغي وأنفعه للناس فكلمناهم به فقال سعد هذا فعل الحزمة اذهبوا فتهيئوا فقال ربيعي بن عامر ان الاعاجم لهم آراء وأداب وامتى ناتهم جميعا يروا انا قد احتفلنا بهم فلا تزدهم على رجل فمالؤه جميعا على ذلك فقال فسرحوني فسرحه فجرخ ربيعي ليدخل على رستم عسكره فاحتبسه الذين على الفنطرة وأرسل إلى رستم لمجيئه فاستشار عظماء أهل فارس فقال ما ترون أنباهي أم نتهاون فأجمع ملؤهم على التهاون فآظهروا الزبرج وبسطوا البسط والنمارق ولم يتركوا شيئا ووضع لرستم سرير الذهب والبيس زينته من الانماط والوسائد المنسوجة بالذهب وأقبل ربيعي يسير على فرس له زباء قصيرة معه سيف له مشوف وغمده لفافة ثوب خلق ورمحه معلوب بقد معه حجة من جلود البقر

[٣٤]

على وجهها أديم أحمر مثل الرغيف ومعه قوسه ونبله فلما غشى الملك وانتهى إليه والى أدنى البسط قيل له انزل فحملها على البساط فلما استوت عليه نزل عنها وربطها بوسادتين فشققهما ثم أدخل الحبل فيهما فلم يستطيعوا أن ينهوه وانما أروه التهاون وعرف ما أرادوا استخراجهم وعليه درع له كأنها اضاة ويلمفه عباءة بعيره قد جابها وتدرعها وشدها على وسطه بسلب وقد شد رأسه بمعجزته وكان أكثر العرب شعرة ومعجزته نسعة بعيره ولرأسه أربع صفائر قد قمن قياما كأنهن قرون الوعلة فقالوا ضع سلاحك فقال اني لم أتكم فأضع سلاحي بأمركم أنتم دعوتموني فإن أبيتم أن أتاكم إلا كما أريد والا رجعت فاخبروا رستم فقال ائذنوا له هل هو الا رجل واحد فاقبل يتوكأ على رمحه وزجه نصل يقارب الخطو وبرز النمارق والبسط فما

ترك لهم نمرقة ولا بساطا الا أفسده وتركه منهتكا مخرقا فلما دنا من رستم تعلق به الحرس وجلس على الارض وركز رمحه بالبسط فقالوا ما حملك على هذا قال إنا لا نستحب القعود على زينتك هذه فكلمه فقال ما جاء بكم قال الله ابتعثنا والله جاء بنا لنخرج من شاء من عبادة العباد إلى عبادة الله ومن ضيق الدنيا إلى سعتها ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام فأرسلنا بدينه إلى خلقه لندعوهم إليه فمن قبل منا ذلك قبلنا ذلك منه ورجعنا عنه وتركناه وأرضه بليها دوننا ومن أبى قاتلناه أبدا حتى نفضى إلى موعود الله قال وما موعود الله قال الجنة لمن مات على قتال من أبى والظفر لمن بقى فقال رستم قد سمعت مقالتيكم فهل لكم أن تؤخروا هذا الأمر حتى ننظر فيه وتنظروا قال نعم كما أحب اليكم أيوما أو يومين قال لا بل حتى نكتب أهل رأينا ورؤساء قومنا وأراد مقارنته ومدافعتة فقال إن مما سن لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وعمل به أئمتنا أن لا نمكن الأعداء من أذاننا ولا نؤجلهم عند اللقاء أكثر من ثلاث فنحن مترددون عنكم ثلاثا فانظر في أمرك وأمرهم واختر واحدة من ثلاث بعد الاجل اختر الإسلام وندعك وأرضك أو الجزاء فنقبل ونكف عنك وإن كنت عن نصرنا غنيا تركناك منه وإن كنت إليه محتاجا منعناك أو المنايذة في اليوم الرابع ولسنا نبدأك فيما بيننا وبين

[٣٥]

اليوم الرابع إلا أن تبدأنا أنا كفيل لك بذلك على أصحابي وعلى جميع من ترى قال أسيدهم أنت قال لا ولكن المسلمين كالجسد بعضهم من بعض يجير أديانهم على أعلاهم فخلص رستم برؤوسه أهل فارس فقال ما ترون هل رأيتم كلاما قط أوضح ولا أعز من كلام هذا الرجل قالوا معاذ الله لك أن تميل إلى شئ من هذا وتدع دينك لهذا الكلب أما ترى إلى ثيابه فقال ويحكم لا تنظروا إلى الثياب ولكن انظروا إلى الرأي والكلام والسيره ان العرب تستخف باللباس والمأكل ويصنون الاحساب ليسوا مثلكم في اللباس ولا يرون فيه ما ترون وأقبلوا إليه يتناولون سلاحه ويزهدونه فيه فقال لهم هل لكم إلى أن تروني فأريكم فأخرج سيفه من خرقه كأنه شعلة نار فقال القوم اغمده فغمده ثم رمى ترسا ورموا جحفته فخرق ترسهم وسلمت جحفته فقال يا أهل فارس إنكم عظيمم الطعام واللباس والشراب وأنا صغرناهن ثم رجع إلى أن ينظروا إلى الاجل فلما كان من الغد بعثوا أن ابعث اليها ذلك الرجل فبعث إليهم سعد حذيفة بن محصن فأقبل في نحو من ذلك الزي حتى إذا كان على أدنى البساط قيل له انزل قال ذلك لو جئتمكم في حاجتي فقولوا لملككم أله الحاجة أم لي فإن قال لي فقد كذب ورجعت وتركتكم فإن قال له لم أتكم الا على ما أحب فقال دعوه فجاء حتى وقف عليه ورستم على سريره فقال انزل قال لا أفعل فلما أبى سأله ما بالك جئت ولم يجرئ صاحبنا بالامس قال إن أميرنا يجب أن يعدل بيننا في الشدة والرخاء فهذه نوبتي قال ما جاء بكم قال إن الله عزوجل من علينا بدينه وأرانا آياته حتى عرفناه وكنا له منكرين ثم أمرنا بدعاء الناس إلى واحدة من ثلاث فأبوا أجابوا إليها قبلناها الاسلام وبنصرف عنكم أو الجزاء ونمنعكم إن احتجتم إلى ذلك أو المنايذة فقال أو الموادعة إلى يوم ما فقال نعم ثلاثا من أمس فلما لم نجد عنده إلا ذلك رده وأقبل على أصحابه فقال ويحكم ألا ترون إلى ما أرى جاءنا الاول بالامس فغلبنا على أرضنا وحقر ما نعظم وأقام فرسه على زبرجتنا وربطه به فهو في يمن الطائر ذهب بأرضنا وما فيها إليهم مع فضل عقله وجاءنا هذا اليوم فوقف علينا فهو في يمن الطائر يقوم على أرضنا دوننا حتى أغضبهم وأغضبوه فلما كان من

[٣٦]

الغد أرسل ابعثوا الينا رجلا فيبعثوا إليهم المغيرة بن شعبة (كتب إلى السري) عن شعيب عن سيف عن أبي عثمان النهدي قال لما جاء المغيرة إلى القنطرة فبعبرها إلى أهل فارس حبسوه واستأذنوا رستم في إجازته ولم يغيروا شيئا من شارتهم تقوية لتهاونهم فأقبل المغيرة بن شعبة والقوم في زيهم عليهم التيجان والثياب المنسوجة بالذهب وبسطهم على غلوة لا يصل إلى صاحبهم حتى يمشي عليهم غلوة وأقبل المغيرة وله أربع ضفائر يمشي حتى جلس معه على سريره ووسادته فوثبوا عليه فترتوه وأنزلوه ومغثوه فقال كانت تبلغنا عنكم الاحلام ولا أرى قوما أسفه منكم إنا معشر العرب سواء لا يستعبد بعضنا بعضا إلا أن يكون محاربا لصاحبه فظننت أنكم تواسون قومكم كما نتواسى وكان أحسن من الذي صنعتم أن تخبروني أن بعضكم أرباب بعض وإن هذا الأمر لا يستقيم فيكم فلا نصنعه ولم أتكم ولكن دعوتموني اليوم علمت أن أمركم مضمحل وأنكم مغلوبون وأن ملكا لا يقوم على هذه السيرة ولا علي هذه العقول فقالت السفلة صدق والله العربي وقالت الدهاقين والله لقد رمى بكلام لا يزال عبيدنا ينزعون إليه قاتل الله أولينا ما كان أحققهم حين كانوا يصغرون أمر هذه الامة فمآزحه رستم ليمحو ما صنع وقال له يا عربي إن الحاشية قد تصنع ما لا يوافق الملك فيتراخى عنها مخافة أن يكسرهما عما ينبغي من ذلك فالامر على ما تحب من الوفاء وقبول الحق ما هذه المغازل التي معك قال ما ضر الجمرة ألا تكون طويلة ثم راماهم وقال ما بال سيفك رثا قال رث الكسوة حديد المضربة ثم عاطاه سيفه ثم قال له رستم تكلم أم أتكلم فقال المغيرة أنت الذي بعثت إلينا فتكلم فأقام الترجمان بينهما وتكلم رستم فحمد قومه وعظم أمرهم وطوله وقال لم نزل متمكنين في البلاد ظاهرين على الأعداء أشرفا في الامم فليس لاحد من الملوك مثل عزنا وشرفنا وسلطاننا نصر على الناس ولا ينصرون علينا إلا اليوم واليومين أو الشهر والشهرين للذنوب فإذا انتقم الله فرضى رد إلينا عزنا وجمعنا لعدو ناشر يوم هو آت عليهم ثم إنه لم يكن في الناس أمة أصغر عندنا أمرا منكم كنتم أهل قشف ومعيشة سيئة لا تراكم شيئا ولا نعدكم وكنتم إذا قحطت أرضكم وأصابكم السنة استغثتم بناحية أرضنا فنأمر لكم

بالشئ من التمر والشعير ثم نردكم وقد علمت أنه لم يحملكم على ما صنعتم إلا ما أصابكم من الجهد في بلادكم فأنا أمر لاميركم بكسوة وبغل وألف درهم وأمر لكل رجل منكم بوقر تمر وبثوبين وتنصرفون عنا فإنى لست أشتهى أن أقتلكم ولا أسركم فتكلم المغيرة بن شعبة فحمد الله وأثنى عليه وقال إن الله خالق كل شئ ورآقه فمن صنع شيئا فانما هو يصنعه والذي له وأما الذي ذكرت به نفسك وأهل بلادك من الظهور على الأعداء والتمكن في البلاد وعظم السلطان في الدنيا فنحن نعرفه ولسنا ننكره فالله صنعه بكم ووضعه فيكم وهوله دونكم وأما الذي ذكرت فينا من سوء الحال وضيق المعيشة واختلاف القلوب فنحن نعرفه ولسنا ننكره والله ابتلانا بذلك وصيرنا إليه والدنيا دول ولم يزل أهل شدائدها يتوقعون الرخاء حتى يصيروا إليه ولم يزل أهل رخائها يتوقعون الشدائد حتى تنزل بهم ويصيروا إليها ولو كنتم فيما أتاكم الله ذوى شكر كان شكركم يقصر عما أوتيتهم وأسلمكم ضعف الشكر إلى تغير الحال ولو كنا فيما ابتلينا به أهل كفر كان عظيم ما تتابع علينا مستجلبا من الله رحمة يرفه بها عنا ولكن الشأن غير ما تذهبون إليه أو كنتم تعرفوننا به إن الله تبارك وتعالى بعث فينا رسولا ثم ذكر مثل كلام الاول حتى انتهى إلى قوله وإن احتجت إلينا أن نمنعك فكن لنا عبدا تؤدي الجزية عن يد وأنت صاغر وإلا السيف إن أبيت فنخر نخرة واستشيط غضبا ثم حلف بالشمس لا يرتفع لكم الصبح غدا حتى أقتلكم أجمعين فانصرف المغيرة وخلص رستم تألغا بأهل فارس وقال

أين هؤلاء منكم ما بعد هذا ألم يأتكم الأولان فحسراكم واستحراجكم ثم جاءكم هذا فلم يختلفوا وسلكوا طريقا واحدا ولزموا أمرا واحدا هؤلاء والله الرجال صادقين كانوا أم كاذبين والله لئن كان بلغ من إربهم وصونهم لسرهم أن لا يختلفوا فما قوم أبلغ فيما أرادوا منهم لئن كانوا صادقين ما يقوم لهؤلاء شئ فلجوا وتجلدوا وقال والله إنني لأعلم أنكم تصغون إلي ما أقول لكم وإن هذا منكم رثاء فازدادوا لاجحة (كتب إلى السري) عن شعيب عن سيف عن النضر عن ابن الرفيل عن أبيه قال فأرسل مع المغيرة رجلا وقال له إذا قطع القنطرة ووصل إلى أصحابه فناد إن الملك كان منجما قد حسب لك ونظر في أمرك فقال إنك غدا

[٣٨]

تفقاً عينك ففعل الرسول فقال المغيرة بشرتني بخير وأجر ولولا أن أجاهد بعد اليوم أشباهكم من المشركين لتميت أن الأخرى ذهبت أيضا فراهم يضحكون من مقالته ويتعجبون من بصيرته فرجع إلى الملك بذلك فقال أطيعوني يا أهل فارس وإنني لأرى لله فيكم نقمة لا تستطيعون ردها عن أنفسكم وكانت خيولهم تلتقي على القنطرة لا تلتقي إلا عليها فلا يزالون يبدؤن المسلمين والمسلمون كافون عنهم الثلاثة الايام لا يبدءونهم فإذا كان ذلك منهم صدوهم وردعوهم (كتب إلى السري) عن شعيب عن سيف عن محمد عن عبيد الله عن نافع عن ابن عمر قال كان ترجمان رستم من أهل الحيرة يدعى عبود (كتب إلى السري) عن شعيب عن سيف عن مجالد عن الشعبي وسعيد بن المرزبان قالا دعا رستم بالمغيرة فجاء حتى جلس على سريره ودعا رستم ترجمانه وكان عربيا من أهل الحيرة يدعى عبود فقال له المغيرة ويحك يا عبود أنت رجل عربي فأبلغه عني إذا أنا تكلمت كما تبلغني عنه فقال له رستم مثل مقالته وقال له المغيرة مثل مقالته إلى إحدى ثلاث خلال إلى الإسلام ولكم فيه ما لنا وعليكم فيه ما علينا ليس فيه تفاضل بيننا أو الجزية عن يد وأنتم صاغرون قال ما صاغرون قال أن يقوم الرجل منكم على رأس أحدنا بالجزية يحمده أن يقبلها منه إلى آخر الحديث والإسلام أحب إلينا منهما (كتب إلى السري) عن شعيب عن سيف عن عبيدة عن شقيق قال شهدت القادسية غلاما بعد ما احتملت فقدم سعد القادسية في اثني عشر ألفا وبها أهل الايام فقدمت علينا مقدمات رستم ثم زحف إلينا في ستين ألفا فلما أشرف رستم على العسكر قال يا معشر العرب ابعثوا إلينا رجلا يكلمنا ونكلمه فبعث إليه المغيرة بن شعبة ونفرا فلما أتوا رستم جلس المغيرة على السرير فنخر أخو رستم فقال المغيرة لا تنخر فما زادني هذا شرفا ولا نقص أخاك فقال رستم يا مغيرة كنتم أهل شقاء حتى بلغ وإن كان لكم أمر سوى ذلك فأخبرونا ثم أخذ رستم سهما من كنانته وقال لا تروا إن هذه المغازل تغني عنكم شيئا فقال المغيرة مجيبا له فذكر النبي صلى الله عليه وسلم فكان مما رزقنا الله على يديه حبة تنبت في أرضكم هذه فلما أذفناها عيالنا قالوا لا صبر لنا عنها فجتنا

[٣٩]

لنطعمهم أو نموت فقال رستم إذا تموتون أو تقتلون فقال المغيرة إذا يدخل من من قتل منا الجنة ويدخل من قتلنا منكم النار ويطفر من بقى منا بمن بقى منكم فنحن نخيرك بين ثلاث خلال إلى آخر الحديث فقال رستم لا صلح بيننا وبينكم (كتاب إلى السري) عن شعيب عن سيف عن محمد وطلحة وزياد قالوا أرسل إليهم سعد بقية ذوى الرأي جميعا وحبس الثلاثة فخرجوا حتى أتوه ليعظموا عليه استقباحا فقالوا له إن أميرنا يقول لك إن الجوار يحفظ الولاة

وانى أدعوك إلى ما هو خير لنا ولك العافية أن تقبل ما دعاك الله إليه
ونرجع إلى أرضنا وترجع إلى أرضك وبعضنا من بعض إلا أن داركم لكم
وأمركم فيكم وما أصبتم مما وراءكم كان زيادة لكم دوننا وكنا لكم
عونا على أحد إن أرادكم أو قوى عليكم واتق الله يا رستم ولا يكونن
هلاك قومك على يدك فإنه ليس بينك وبين أن تعبط به إلا أن تدخل
فيه وتطرد به الشيطان عنك فقال إنني قد كلمت منكم نفرا ولو أنهم
فهموا عنى رجوت أن تكونوا قد فهمتم وإن الامثال أوضح من كثير من
الكلام وسأضرب لكم مثلكم تبصروا أنكم كنتم أهل جهد في
المعيشة وقشف في الهيئة لا تمتنعون ولا تنتصفون فلم نسئ
حواركم ولم ندع مواساتكم تقحمون المرة بعد المرة فميركم ثم
نردكم وتأتوننا أجراء وتجارا فنحسن اليكم فلما تطاعتم بطعامنا
وشربتم شرابنا وأظلمكم ظلنا وصفتكم لقومكم فدعوتموهم ثم أتيتونا
بهم وانما مثلكم في ذلك ومثلنا كمثل رجل كان له كرم فرأى فيه
ثعلبا فقال وما ثعلب فانطلق الثعلب فدعا الثعلاب إلى ذلك الكرم
فلما اجتمعن عليه سد عليهن صاحب الكرم الحجر الذي كن يدخلن
منه فقتلهن وقد علمت أن الذي حملكم على هذا الحرص والطمع
والجهد فارجعوا عنا عامكم هذا وامتاروا حاجتكم ولكم العود كلما
احتجتم فانى لا أشتهى أن أقتلكم (كتب إلى السري) عن شعيب
عن سيف عن عمارة بن القعقاع الضبي عن رجل من يربوع شهدها
قال وقال وقد أصاب أناس كثير منكم من أرضنا ما أرادوا ثم كان
مصيرهم القتل والهرب ومن سن هذا لكم خير منكم وأقوى وقد رأيتم

[٤٠]

أنتم كلما أصابوا شيئا أصيب بعضهم ونجا بعضهم وخرج مما كان
أصاب ومن أمثالكم فيما تصنعون مثل جردان ألفت جرة فيها حب
وفي الجرة ثقب فدخل الاول فأقام فيها وجعل الآخر ينقلن منها
ويرجعن ويكلمنه في الرجوع فيأبى فانتهى سمن الذي في الجرة
فاشتاق إلى أهله ليربهم حسن حاله فضاق عليه الجحر ولم يطق
الخروج فشكا الفلق إلى أصحابه وسألهم المخرج فقلن له ما أنت
بخارج منها حتى تعود كما كنت قبل أن تدخل فكف وجوع نفسه
وبقى في الخوف حتى إذا عاد كما كان قبل أن يدخلها أنى عليه
صاحب الجرة فقتله فاخرجوا ولا يكونن هذا لكم مثلا (كتب إلى
السري) عن شعيب عن سيف عن النضر عن ابن الرقيل عن أبيه قال
وقال لم يخلق الله خلقا أولع من ذباب ولا أضر ما خلاكم يا معشر
العرب ترون الهلاك ويدليكم فيه الطمع وسأضرب لكم مثلكم إن
الذباب إذا رأى العسل طار وقال من يوصلني إليه وله درهم حتى
يدخله لا ينهنه أحد إلا عصاه فإذا دخله غرق ونشب وقال من
يخرجني وله أربعة دراهم وقال أيضا إنما مثلكم مثل ثعلب دخل جحرا
وهو مهزول ضعيف إلى كرم فكان فيه يأكل ما شاء الله فرآه صاحب
الكرم ورأى ما به فرحمه فلما طال مكثه في الكرم وسمن وصلحت
حاله وذهب ما كان به من الهزال أشر فجعل يعيث بالكرم ويفسد
أكثر مما يأكل فاشتد على صاحب الكرم فقال لا أصبر على هذا من
أمر هذا فأخذ له خشبة واستعان عليه غلماناه فطلبوه وجعل
يراوغهم في الكرم فلما رأى أنهم غير مقلعين عنه ذهب ليخرج من
الجحر الذي دخل منه فنشب اتسع عليه وهو مهزول وضاق عليه
وهو سمين فجاءه وهو على تلك الحال صاحب الكرم فلم يزل يضربه
حتى قتله وقد جتتم وأنتم مهازيل وقد سمنتم شيئا من سمن
فانظروا كيف تخرجون وقال أيضا إن رجلا وضع سلا وجعل طعامه فيه
فأتى الجردان فخرقوا سله فدخلوا فيه فأراد سده فقبل له لا تفعل
إذا يخرقنه ولكن انقب بحياله ثم اجعل فيها قصبة مجوفة فإذا جاءت
الجرذان دخلن من القصبة وخرجن منها فكلما طلع عليكم جرد
قتلتموه وقد سددت عليكم فاباكم أن تقتحموا القصبة فلا يخرج منها
أحد

إلا قتل وما دعاكم إلى ما صنعتم ولا أرى عددا ولا عدة (كتب إلى السري) عن شعيب عن سيف عن محمد وطلحة باسنادهما وزياد معهما قالوا فتكلم القوم فقالوا أما ما ذكرتم من سوء حالنا فيما مضى وانتشار أمرنا فلما تبلغ كنهه يموت الميت منها إلي النار ويبقى الباقي منا في بؤس فبينما نحن في أسوأ ذلك بعث الله فينا رسولا من أنفسنا إلى الانس والجن رحمة رحم بها من أراد رحمته ونقمة ينتقم بها ممن رد كرامته فبدأ بنا قبيلة قبيلة فلم يكن أحد أشد عليه ولا أشد إنكارا لما جاء به ولا أجهد على قتله ورد الذي جاء به من قومه ثم الذين يلونهم حتى طابقناه على ذلك كلنا فنصبتنا له جميعا وهو وحده فرد ليس معه إلا الله تعالى فأعطى الظفر علينا فدخل بعضنا طوعا وبعضنا كرها ثم عرفنا جميعا الحق والصدق لما أتانا به من الآيات المعجزة وكان مما أتانا به من عند ربنا جهاد الأدنى فالأدنى فسرنا بذلك فيما بيننا نرى أن الذي قال لنا ووعدنا لا يخرم عنه ولا ينقض حتى اجتمعت العرب على هذا وكانوا من اختلاف الرأي فيما لا يطيق الخلائق تأليفهم ثم أتيناكم بأمر ربنا نجاهد في سبيله وننفذ لأمره وننتجز موعوده وندعوكم إلى الإسلام وحكمه فان أحببتمونا تركناكم ورجعنا وخلقنا فيكم كتاب الله وإن أبيتم لم يحل لنا إلا أن نعطاكم القتال أو تفتدوا بالجزية فان فعلتم وإلا فان الله قد أورثنا أرضكم وأبناءكم وأموالكم فاقبلوا نصيحتنا فوالله لاسلامكم أحب إلينا من غنائمكم ولقتالكم بعد أحب إلينا من صلحكم وأما ما ذكرت من رثائتنا وقتلتنا فان أداتنا الطاعة وقتالنا الصبر وأما ما ضربتم لنا من الامثال فانكم ضربتم للرجال والامور الجسام وللجد والهزل ولكنا سنضرب مثلكم انما مثلكم مثل رجل غرس أرضا واختار لها الشجر والحب وأجرى إليها الانهار وزينها بالقصور وأقام فيها فلاحين يسكنون قصورها ويقومون على جناتها فخلا الفلاحون في القصور على ما لا يجب وفي الجنان بمثل ذلك فأطال نظرتهم فلما لم يستحيوا من تلقاء أنفسهم استعجبهم فكابروه فدعا إليها غيرهم وأخرجهم منها فان ذهبوا عنها تخطفهم الناس وإن أقاموا فيها صاروا خولا لهؤلاء يملكونهم ولا يملكون عليهم فيسومونهم

الخسف أبدا ووالله إن لو لم يكن ما نقول لك حقا ولم يكن إلا الدنيا لما كان لنا عما ضربنا به من لذيذ عيشكم ورأينا من زيرجكم من صبر ولقارعناكم حتى نغلبكم عليه فقال رستم أعبرون إلينا أم نعبر إليكم فقالوا بل اعبروا إلينا فخرجوا من عنده عيشا وأرسل سعد إلى الناس أن يقفوا موافقهم وأرسل إليهم شأنكم والعبور فأرادوا القنطرة فأرسل إليهم لا ولا كرامة أما شئ قد غلبناكم عليه فلن نرده عليكم تكلفوا معبرا غير القناطر فباتوا يسكرون العتيق حتى الصباح بامتعتهم يوم أرماث (كتب إلى السري) عن شعيب عن سيف عن محمد عن عبيد الله عن نافع وعن الحكم قالا لما أراد رستم العبور أمر بسكر العتيق بحيال قادس وهو يومئذ أسفل منها اليوم مما يلي عين الشمس فباتوا ليلتهم حتى الصباح بسكرون العتيق بالتراب والقصب والبراذع حتى جعلوه طريقا واستتم بعد ما ارتفع النهار من الغد (كتب إلى السري) عن شعيب عن سيف عن محمد وطلحة وزياد باسنادهم قالوا ورأى رستم من الليل أن ملكا نزل من السماء فأخذ قسي أصحابه فحتم عليها ثم صعد بها إلى السماء فاستيقظ مهموما محزونا فدعا خاصته فقصها عليهم وقال إن الله ليعظنا لو أن فارس تركوني أتعظ أما ترون النصر قد رفع عنا وترون الريح مع عدونا وأنا لا نقوم لهم في فعل ولا منطلق ثم هم يريدون مغالبة بالجزية فعبروا بأثقالهم حتى نزلوا على ضفة العتيق (كتب إلى السري) عن

شعيب عن سيف عن الاعمش قال لما كان يوم السكر لبس رستم درعين ومغفرا وأخذ سلاحه وأمر بفرسه فأسرج فأتى به فوثب فإذا هو عليه لم يمسه ولم يضع رجله في الركاب ثم قال غدا ندقهم دقا فقال له رجل إن شاء الله فقال وإن لم يشأ (كتب إلى السري) بن يحيى عن شعيب عن سيف عن محمد وطلحة وزياد باسنادهم قالوا قال رستم إنما ضغا الثعلب حين مات الاسد يذكرهم موت كسرى ثم قال لأصحابه قد خشيت أن تكون هذه سنة القروذ ولما عبر أهل فارس أخذوا مصافهم وجلس رستم على سريره وضرب

[٤٣]

عليه طيارة وعبى في القلب ثمانية عشر فيلا عليها الصناديق والرجال وفي المجنبتين ثمانية وسبعة عليها الصناديق والرجال وأقام الجالنوس بينه وبين ميمنته والبيرزان بينه وبين ميسرته وبقيت القنطرة بين خيلين من خيول المسلمين وخيول المشركين وكان يزدجرد وضع رجلا على باب إيوانه إذ سرح رستم وأمره بلزومه وإخباره وآخر حيث يسمعه من الدار وآخر خارج الدار وكذلك على كل دعوة رجلا فلما نزل رستم قال الذي بساباط قد نزل فقالة الآخر حتى قاله الذي على باب الأيوان وجعل بين كل مرحلتين على كل دعوة رجلا فكلما نزل وارتحل أو حدث أمر قاله فقالة الذي يليه حتى يقوله الذي يلي باب الأيوان فنظم ما بين العتيق والمدائن رجلا وترك البرد وكان ذلك هو الشأن وأخذ المسلمون مصافهم وجعل زهرة وعاصم بين عبدالله وشرحبيل ووكل صاحب الطلائع بالطراد وخطب بين الناس في القلب والمجنبتين ونادى مناديه ألا إن الحسد لا يحل إلا على الجهاد في أمر الله يا أيها الناس فتحاسدوا وتغايروا على الجهاد وكان سعد يومئذ لا يستطيع أن يركب ولا يجلس به حيون وإنما هو على وجهه في صدره وسادة هو مكب عليها مشرف على الناس من القصر يرمى بالرقاع فيها أمره ونهيه إلى خالد بن عرفة وهو أسفل منه وكان الصف إلى جنب القصر وكان خالد كالخليفة لسعد لو لم يكن سعد شاهدا مشرفا (كتب إلى السري) عن شعيب عن سيف عن القاسم بن الوليد الهمداني عن أبيه عن أبي نمران قال لما عبر رستم تحول زهرة والجالنوس فجعل سعد زهرة مكان ابن السمط وجعل رستم الجالنوس مكان الهرمزان وكان بسعد عرق النساء ودماميل وكان إنما هو مكب واستخلف خالد بن عرفة على الناس فاختلف عليه الناس فقال احمولوني وأشرفوا بي على الناس فارتقوا به فأكب مطلعا عليهم والصف في أصل حائط قديس يأمر خالدًا فيأمر خالد الناس وكان ممن شغب عليه وجوه من وجوه الناس فهم بهم سعد وشتمهم وقال أم والله لولا أن عدوكم بحضرتكم ليجلتكم نكالا لغيركم فحبسهم ومنهم أبو محجن الثقفي وقيدهم في القصر وقال جرير أما إنني بايعت رسول الله صلى الله عليه وسلم على أن أسمع وأطيع لمن

[٤٤]

ولاه الله الامر وإن كان عبدا حبشيا وقال سعد والله لا يعود أحد بعدها يحبس المسلمين عن عدوهم ويشاغلهم وهم يبايئهم إلا سنت به سنة يؤخذ بها من بعدي (كتب إلى السري) عن شعيب عن سيف عن محمد وطلحة وزياد باسنادهم قالوا أن سعدا خطب من يليه يومئذ وذلك يوم الاثنين في المحرم سنة أربعة عشر بعد ما تهدم على الذين اعترضوا على خالد بن عرفة فحمد الله وأثنى عليه وقال إن الله هو الحق لا شريك له في الملك وليس لقوله خلف قال الله جل ثناؤه (ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر أن الأرض يرثها عبادي الصالحون) إن هذا ميراثكم وموعود ربكم وقد أباحها لكم منذ

ثلاث حجج فأنتم تطعمون منها وتأكلون منها وتقتلون أهلها وتجبنونهم وتسبونهم إلى هذا اليوم بما نال منهم أصحاب الأيام منكم وقد جاءكم منهم هذا الجمع وأنتم وجوه العرب وأعيانهم وخيار كل قبيلة وعز من وراءكم فإن تزهّدوا في الدنيا وترغبوا في الآخرة جمع الله لكم الدنيا والآخرة ولا يقرب ذلك أحدا إلى أجله وإن تفشلوا وتهنوا وتضعفوا تذهب ربحكم وتويقوا آخرتكم. وقام عاصم بن عمر وفي المجردة فقال إن هذه بلاد قد أحل الله لكم أهلها وأنتم تنالون منهم منذ ثلاث سنين ما لا ينالون منكم وأنتم الاعلون والله معكم إن صبرتم وصدقتموهم الضرب والطعن فلکم أموالهم ونسأؤهم وأبناؤهم وبلادهم وإن خرتم وفشلتم والله لكم من ذلك جار وحافظ لم يبق هذا الجمع منكم باقية مخافة أن تعودوا عليهم بعائدة هلاك الله اذكروا الأيام وما منحكم الله فيها أولا ترون أن الارض وراءكم بسابس قفار ليس فيها خمر ولا وزر يعقل إليه ولا يمتنع به اجعلوا همكم الآخرة وكتب سعد إلي الرايات إنى قد استخلفت عليكم خالد بن عرفة وليس يمعني أن أكون مكانه إلا وجعي الذي يعودني وما بي من الجنون فإنى مكب علي وجهي وشخصي لكم باد فاسمعوا له وأطيعوا فإنه إنما يأمركم بأمرى ويعمل برأىي فقرئ على الناس فرأدهم خيرا وانتهاوا إلى رأيه وقبلوا منه وتناثوا على السمع والطاعة وأجمعوا على عذر سعد والرضا بما صنع (كتب إلى السري) عن شعيب عن سيف عن حلام عن مسعود قال وخطب

[٤٥]

أمير كل قوم أصحابه وسير فيهم وتحاضوا على الطاعة والصبير وتواصوا ورجع كل أمير إلى موقفه بمن وإلاه من أصحابه عند المواقف ونادى منادى سعد بالظهر ونادى رستم بأدشهان مرندر أكل عمر كبدي أحرق الله كبده علم هؤلاء حتى علموا (كتب إلى السري) عن شعيب قال حدثنا سيف عن النضر عن ابن الرقيل قال لما نزل رستم النجف بعث منها عينا إلى عسكر المسلمين فانغمس فيهم بالقادسية كبعض من ند منهم فرأهم يستأكون عند كل صلاة ثم يصلون فيقتربون إلى موافقهم فرجع إليه فأخبره بخبرهم وسيرتهم حتى سأل ما طعامهم فقال مكثت فيهم ليلة لا والله ما رأيت أحد منهم يأكل شيئا إلا أن يمصوا عيدانا لهم حين يمسون وحين ينامون وقيل أن يصبحوا فلما سار فنزل بين الحصن والعتيق وافقهم وقد أذن مؤذن سعد الغداة فرأهم يتحششون فننادى في أهل فارس أن يركبوا ففعل له ولم قال أما ترون إلى عدوكم قد نودي فيهم فتحششوا لكم قال عينه ذلك إنما تحششهم هذا للصلاة فقال بالفارسية وهذا تفسيره بالعربية أتانى صوت عند الغداة وإنما هو عمر الذي يكلم الكلاب فيعلمهم العقل فلما عبروا تواقفوا وأذن مؤذن سعد للصلاة فصلى سعد وقال رستم أكل عمر كبدي (كتب إلى السري) قال حدثنا شعيب عن سيف عن محمد وطلحة وزياد باسنادهم قالوا وأرسل سعد الذين انتهى إليهم رأى الناس والذين انتهت إليهم نجدتهم وأصناف الفضل منهم إلى الناس فكان منهم من ذوي الرأي النفر الذين أتوا رستم المغيرة وحذيفة وعاصم وأصحابهم ومن أهل النجدة طليحة وقيس الاسدي وغالب وعمرو بن معدكرب وأمثالهم ومن الشعراء الشماخ والحطيئة وأوس بن مغراء وعبدة بن الطبيب ومن سائر الاصناف أمثالهم وقال قبل أن يرسلهم انطلقوا فقوموا في الناس بما يحق عليكم ويحق عليهم عند مواطن البأس فإنكم من العرب بالمكان الذي أنتم به وأنتم شعراء العرب وخطباؤهم وذووا رأيهم ونجدتهم وسادتهم فسيروا في الناس فذكروهم وحرصوهم على القتال فساروا فيهم فقال قيس ابن هبيرة الاسدي أيها الناس احمداوا الله على ما هداكم له وأبلاكم بذكركم واذكروا

آلاء الله وارغبوا إليه في عاداته فان الجنة أو الغنيمة أمامكم وإنه ليس وراء هذا القصر إلا العراء والأرض القفر والظراب الخش والفلوات التي لا يقطعها الأدلة وقال غالب أيها الناس احمدا الله على ما أبلاكم وسلوه يزدكم وادعوه يحبكم يا معاشر معد ما علتكم اليوم وأنتم في حصونكم يعني الخيل ومعكم من لا يعصيكم يعني السيوف اذكروا حديث الناس في غد فانه بكم غدا يبدأ عنده وبمن بعدكم يثنى وقال ابن الهذيل الأسدي يا معاشر معد اجعلوا حصونكم السيوف وكونوا عليهم كأسود الاجم وتريدوا لهم تبرد النمر وادرعوا العجاج وثقوا بالله وعضوا الابصار فإذا كلت السيوف فانها مأمورة فأرسلوا عليهم الجنادل فانها يؤذن لها فيما لا يؤذن للحديد فيه وقال بسر بن أبي رهم الجهني احمدا الله وصدقوا قولكم بفعل فقد حمدتم الله على ما هداكم له ووجدتموه ولا إله غيره وكبرتموه وأمنتم بنبيه ورسله فلا تموتن إلا وأنتم مسلمون ولا يكون شئ بأهون عليكم من الدنيا فانها تأتي من تهاون بها ولا تميلوا إليها فتتهرب منكم لتميل بكم انصروا الله ينصركم وقال عاصم بن عمرو يا معاشر العرب انكم أعيان العرب وقد صمدتم الاعيان من العجم وإنما تخاطرون بالجنة ويخاطرون بالدنيا فلا يكون على دنياهم أحوط منكم على آخرتكم لا تحدثوا اليوم أمرا تكونون به شينا على العرب غدا وقال ربيع بن البلاد السعدي يا معاشر العرب قاتلوا للدين والدنيا وسارعوا إلى مغفرة من ربكم وحنة عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين وإن عظم الشيطان عليكم الامر فاذكروا الاخبار عنكم بالمواسم ما دام للاخبار أهل وقال ربعي بن عامر إن الله قد هداكم للاسلام وجمعكم به وأراكم الزيادة وفي الصبر الراحة فعودوا أنفسكم الصبر تعتادوه ولا تعودوها الجزع فتعتادوه وقام كلهم بنحو من هذا الكلام وتواتق الناس وتعاهدوا واهتاجوا لكل ما كان ينبغي لهم وفعل أهل فارس فيما بينهم مثل ذلك وتعاهدوا وتواصوا واقتنوا بالسلاسل وكان المقترنون ثلاثين ألفا (كتب إلى السري) عن شعيب عن سيف عن مجالد عن الشعبي أن أهل فارس كانوا عشرين ومائة ألف معهم ثلاثون فيلا مع كل

فيل أربعة آلاف (كتب إلى السري) بن يحيى عن شعيب عن سيف عن حلام عن مسعود بن خراش قال كان صف المشركين على شفير العتيق وكان صف المسلمين مع حائط قديس الخندق من ورائهم فكان المسلمون والمشركون بين الخندق والعتيق ومعهم ثلاثون ألف مسلسل وثلاثون فيلا تقاتل وفيلة عليها الملوك وقوف لا تقاتل وأمر سعد الناس أن يقرأوا على الناس سورة الجهاد وكانوا يتعلمونها (كتب إلى السري) عن شعيب عن سيف عن محمد وطلحة وزياد باسنادهم قالوا قال سعد الزموا موافقكم لا تحركوا شيئا حتى تصلوا الظهر فإذا صليتم الظهر فاني مكبر تكبيرة فكبروا واستعدوا واعلموا أن التكبير لم يعطه أحد قبلكم واعلموا أنما أعطيتموه تأييدا لكم ثم إذا سمعتم الثانية فكبروا ولتستم عدتكم ثم إذا كبرت الثالثة فكبروا ولينشط فرسانكم الناس ليبرزوا وليطاردوا فإذا كبرت الرابعة فزحفوا جميعا حتى تخالطوا عدوكم وقولوا لا حول ولا قوة إلا بالله (كتب إلى السري) عن شعيب عن سيف عن عمرو بن الريان عن مصعب بن سعد مثله (كتب إلى السري) عن شعيب عن سيف عن زكرياء عن أبي اسحاق قال أرسل سعد يوم القادسية في الناس إذا سمعتم التكبير فشدوا شسوع نعالكم فإذا كبرت الثانية فتهيؤا فإذا كبرت الثالثة فشدوا النواجز على الاضراس واحملوا (كتب إلى السري) بن يحيى عن شعيب عن سيف عن محمد وطلحة وزياد باسنادهم قالوا لما صلى سعد الظهر أمر الغلام الذي كان ألزمه عمر اياه وكان من القراء ان يقرأ سورة الجهاد وكان المسلمون

بتعلمونها كلهم فقراً على الكتيبة الذين يلونه سورة الجهاد فقرئت في كل كتيبة فهشت قلوب الناس وعيونهم وعرفوا السكنينة مع قراءتها (كتب إلى السري) عن شعيب عن سيف عن محمد وطلحة وزياد بإسنادهم قالوا لما فزع القراء كبر سعد فكبر الذين يلونه تكبيره وكبر بعض الناس بتكبير بعض فتحشجش الناس ثم ثنى فاستتم الناس ثم ثلث فبرز أهل النجدات فأنشوا القتال وخرج من أهل فارس أمثالهم فاعتوروا الطعن والضرب وخرج غالب بن عبد الله الاسدي وهو يقول

[٤٨]

قد علمت واردة المسائح * ذات اللبان والبنان الواضح أنى سماه البطل المشايخ * وفارج الامر المهم الفادح فخرج إليه هرمز وكان من ملوك الباب وكان متوجاً فأسره غالب أسراً فجاء سعدا فأدخل وانصرف غالب إلى المطاردة وخرج عاصم بن عمرو وهو يقول قد علمت بيضاء صفراء اللب * مثل اللجين إذ تغشاه الذهب أنى امرؤ لا من يعينه السبب * مثلى على مثلك يغيره العتب فطارده رجلا من أهل فارس فهرب منه وأتبعه حتى إذا خالط صفهم التقى بفارس معه بغلة فترك الفارس البغل واعتصم بأصحابه فحموه واستاق عاصم البغل والرجل حتى أفضى به إلى الصف فإذا هو خيـاز الملك وإذا الذي معه لطف الملك الاخبصة والعسل المعقود فأتى به سعدا ورجع إلى موقفه فلما نظر فيه سعد قال انطلقوا به إلى أهل موقفه وقال إن الامير قد نفلكم هذا فكلوه فنفلهم إياه قالوا وبيننا الناس ينتظرون التكبير الرابعة إذ قام صاحب رجالة بني نهد قيس بن حذيم ابن جرثومة فقال يا بني نهد انهدوا إنما سميتم نهدا لتفعلوا فبعث إليه خالد بن عرفطة والله لتكفن أو لاولين عملك غيرك فكف ولما تطاردت الخيل والفرسان خرج رجل من القوم ينادى مرد ومرد فانتدب له عمرو بن معديكرب وهو بحياله فبارزه فاعتنقه ثم جلد به الارض فذبحه ثم التفت إلى الناس فقال إن الفارسي إذا فقد قوسه وإنما هو تيس ثم تكتبت الكتائب من هؤلاء وهؤلاء (كتب إلى السري) عن شعيب عن سيف عن إسماعيل بن أبي خالد عن قيس بن أبي حازم قال مر بنا عمرو بن معديكرب وهو يحضض الناس بين الصفين وهو يقول إن الرجل من هذه الاعاجم إذا ألقى مزراقه وإنما هو تيس فبينما هو كذلك يحرضنا إذ خرج إليه رجل من الاعاجم فوقف بين الصفين فرمى بنشابية فما أخطات سية قوسه وهو متنكبها فالتفت إليه فحمل عليه فاعتنقه ثم أخذ بمنطقته فاحتمله فوضعه بين يديه فجاء به حتى إذا دنا منا كسر عنقه ثم وضع سيفه على حلقه فذبحه ثم ألقاه ثم قال هكذا فاصنعوا بهم فقلنا يا أبا ثور من يستطيع

[٤٩]

أن يصنع كما تصنع وقال بعضهم غير إسماعيل وأخذ سوريه ومنطقته ويلمق ديباج عليه (كتب إلى السري) عن شعيب عن سيف عن إسماعيل بن أبي خالد عن قيس بن أبي حازم أن الاعاجم وجهت إلى الوجه الذي فيه بجيلة ثلاثة عشر فيلا (كتب إلى السري) عن شعيب عن سيف عن إسماعيل بن أبي خالد قال كانت يعني وقعة القادسية في المحرم سنة أربعة عشر في أوله وكان قد خرج من الناس إليهم فقال له أهل فارس أحلنا فأحالهم على بجيلة فصرفوا إليهم ستة عشر فيلا (كتب إلى السري) عن شعيب عن سيف عن محمد وطلحة وزياد قالوا لما تكتبت الكتائب بعد الطراد حمل أصحاب القبلة عليهم ففرقت بين الكتائب فابذعرت الخيل فكادت بجيلة أن تؤكل فرت عنها خيلها نفاقاً وعمن كان معهم في مواقفهم وبقيت الرجالة من أهل المواقف فأرسل سعد إلى بني أسد ذبوا عن بجيلة

ومن لافها من الناس فخرج طليحة بن خويلد وحمال بن مالك وغالب ابن عبدالله والربيل بن عمرو في كتائبهم فباشروا الغيلة حتى عدلو لها ركبائها وإن على كل فيل عشرين رجلا (كتب إلي السري) عن شعيب عن سيف عن محمد ابن قيس عن موسى بن طريف أن طليحة قام في قومه حين استصرخهم سعد فقال يا عشيرتاه إن المنوه باسمه الموثوق به وإن هذا لو علم أن أحدا أحق بإغاثة هؤلاء منكم استغاثهم ابتدؤهم الشدة وأقدموا عليهم إقدام الليوث الحربة وإنما سميتم أسدا لتفعلوا فعله شدوا ولا تصدوا وكروا ولا تفروا لله در ربيعة أي فرى يفرون وأي قرن يغنون هل يوصل إلى موافقهم فأغنوا عن موافقكم أعانكم الله شدوا عليهم باسم الله فقال المعرور بن سويد وشقيق فشدوا والله عليهم فما زالوا يطعنونهم ويضربونهم حتى حبسنا الغيلة عنهم فأخرت وخرج إلى طليحة عظيم منهم فبارزه فما لبثه طليحة أن قتله (كتب إلي السري) عن شعيب عن سيف عن محمد وطلحة وزياد قالوا وقام الأشعث بن قيس فقال يا معشر كندة لله در بني أسد أي فرى يفرون وأي هذ يهذون عن موافقهم منذ اليوم أغنى كل قوم ما يليهم وأنتم تنتظرون من يكفيكم البأس أشهد ما أحسنتم إسوة قومكم

[٥٠]

العرب منذ اليوم وإنهم ليقتلون ويقاتلون وأنتم جثاة على الركب تنظرون فوثب إليه عدد منهم عشرة فقالوا عثر الله جدك إنك لتؤسنا جاهدا ونحن أحسن الناس موقفا فمن أين خذلنا قومنا العرب وأسأنا إسوتهم فما نحن معك فنهد ونهدوا فأزالوا الذين يباؤهم فلما رأى أهل فارس ما تلقى الغيلة من كتيبة أسد رموهم بدهم وبدروا المسلمين الشدة عليهم ذو الحجاب والجالنوس والمسلمون ينتظرون التكبير الرابعة من سعد فاجتمعت حلبة فارس على أسد ومعهم تلك الغيلة وقد ثبتوا لهم وقد كبر سعد الرابعة فزحف إليهم المسلمون ورحى الحرب تدور على أسد وحملت الفيول على الميمنة والميسرة على الخيول فكانت الخيول تحجم عنها وتحيد وتلح فرسانهم على الرجل يشمسون بالخيل فأرسل سعد إلى عاصم ابن عمرو فقال يا معشر بني تميم أستم أصحاب الابل والخيول أما عندكم لهذه الغيلة من حيلة قالوا بلى والله ثم نادى في رجال من قومه رماة وآخرين لهم ثقافة فقال لهم يا معشر الرماة ذبوا ركبنا الغيلة عنهم بالنبل وقال يا معشر أهل الثقافة استدبروا الغيلة فقطعوا وضنها وخرج يحميهم والرحى تدور على أسد وقد جالت الميمنة والميسرة غير بعيد وأقبل أصحاب عاصم على الغيلة فأخذوا بأذنانها وذبابذ توابيتها فقطعوا وضنها وارتفع عواؤهم فما بقى لهم يومئذ فيل إلا أعرى وقتل أصحابها وتقابل الناس ونفس عن أسد وردوا فارسا عنهم إلى موافقهم فاقتتلوا حتى غربت الشمس ثم حتى ذهب هداة من الليل ثم رجع هؤلاء وهؤلاء وأصيب من أسد تلك العشية خمسمائة وكانوا رداء للناس وكان عاصم عادية الناس وحاميتهم وهذا يومها الاول وهو يوم أرماث (كتب إلي السري) عن شعيب عن سيف عن الغصن عن القاسم عن رجل من بني كنانة قال جالت المجنبات ودارت على أسد يوم أرماث فقتل تلك العشية منهم خمسمائة رجل فقال عمرو بن شاس الاسدي جلبنا الخيل من أكتاف نيق * إلى كسرى فوافقها رعالا تركن لهم على الاقسام شجوا * وبالحقوبن أباما طوالا وداعية بفارس قد تركنا * تبكي كلما رأت الهلالا

[٥١]

قتلنا رستما وبنيه قسرا * تثير الخيل فوقهم الهبالا تركنا منهم حيث
التقينا * قياما ما يريدون ارتحالا وفر البيزان ولم يحامى * وكان على
كتيبته وبالا ونجى الهرمزان حذار نفس * وركض الخيل موصلة عجالا
وقال أيضا لقد علمت بنو أسد بأنا * أولوا الاحلام إن ذكروا الحلوما وأنا
النازلون بكل ثغر * ولو لم نلفه إلا هشيما ترى فينا الجياد مسومات
* مع الابطال يعلكن الشكيما ترى فينا الجياد مجلحات * تنهنه عن
فوارسها الخصوما بجمع مثل سلم مكفهر * تشبههم إذا اجتمعوا
قروما بمثلهم تلاقى يوم هيج * إذا لاقيت بأسا أو خصوما نفينا فارسا
عما أرادت * وكانت لا تحاول أن تريما يوم أغواث (كتب إلى السري)
عن شعيب عن سيف عن محمد وطلحة قالا وكان سعد قد تزوج
سلمى بنت خصة امرأة المثنى بن حارثة قبله بشراف فنزل بها
القادسية فلما كان يوم أرماث وجال الناس وكان لا يطيق جلسة إلا
مستوفرا أو على بطنه جعل سعد يتململ ويحول جزعا فوق القصر
فلما رأت ما يصنع أهل فارس قالت وامثنياه ولا مثنى للخيل اليوم
هي عند رجل قد أضجره ما يرى من أصحابه وفي نفسه فطم
وجهها وقال أين المثنى من هذه الكتيبة التي تدور عليها الرحي
يعني أسدا وعاصما وخيله فقالت أغيرة وجينا قال والله لا يعذرنني
اليوم أحد إذا أنت لم تعذرنني وأنت ترين ما بي والناس أحق ألا
يعذرنني فتعلقها الناس فلما ظهر الناس لم يبق شاعرا إلا اعتد بها
عليه وكان غير جبان ولا ملوم ولما أصبح القوم من الغد أصبحوا على
تعبية وقد وكل سعد رجالا بنقل الشهداء إلى العذيب ونقل الرثيث
فأما الرثيث فأسلموا إلى النساء يقمن عليهم إلى قضاء الله عزوجل
عليهم وأما الشهداء فدفنواهم

هنالك على مشرق وهو واد بين العذيب وبين عين الشمس في
عدوتيه جميعا الدنيا منهما إلى العذيب والقصى منهما من العذيب
والناس ينتظرون بالقتال حمل الرثيث والاموات فلما استقلت بهم
الابل وتوجهت بهم نحو العذيب طلعت نواصي الخيل من الشام وكان
فتح دمشق قبل القادسية بشهر فلما قدم على أبي عبيدة كتاب
عمر بصرف أهل العراق أصحاب خالد ولم يذكر خالد بن خالد
فحبسه وسرح الجيش وهم ستة آلاف خمسة آلاف من ربيعة ومضر
وألف من افناء اليمن من أهل الحجاز وأمر عليهم هاشم بن عتبة بن
أبي وقاص وعلى مقدمته القعقاع بن عمرو ففعله أمامه وجعل على
إحدى مجنبيه قيس بن هبيرة بن عبد يغوث المرادي ولم يكن شهد
الايام أتاهم وهم باليرموك حين صرف أهل العراق وصرف معهم
وعلى المجنبة الاخرى الهزهاز بن عمرو العجلي وعلى الساقة أنس
بن عباس فانجذب القعقاع وطوى وتعجل فقدم على الناس صبيحة
يوم أغواث وقد عهد إلى أصحابه أن يتقطعوا أعشارا وهم ألف فكلما
بلغ عشرة مدى البصر سرحوا في آثارهم عشرة فقدم القعقاع
أصحابه في عشرة فأتى الناس فسلم عليهم وبشرهم بالجنود فقال
يا أيها الناس إنى قد جئتمكم في قوم والله ان لو كانوا بمكانكم ثم
أحسوكم حسدوكم حظوتها وحاولوا أن يطيروا بها دونكم فاصنعوا كما
أصنع فتقدم ثم نادى من يبارز فقالوا فيه بقول أبي بكر لا يهزم جيش
فيهم مثل هذا وسكنوا إليه فخرج إليه ذو الحاجب فقال له القعقاع
من أنت قال أنا بهمن جاذويه فنادى يا لثارات أبي عبيد وسليط
وأصحاب يوم الجسر فاجتلدا فقتله القعقاع وجعلت خيله ترد قطعاً
وما زالت ترد إلى الليل وتنشط الناس وكان لم يكن بالامس مصيبة
وكانما استقبلوا قتالهم بقتل الحاجبي وللحاق القطع وانكسرت
الاعاجم لذلك ونادى القعقاع أيضا من يبارز فخرج إليه رجلان أحدهما
البيزان والآخر البندوان فانضم إلى القعقاع الحارث بن ظبيان بن
الحارث أخو بني تيم اللات فبارز القعقاع البيزان فضربه فأذري رأسه
وبارز ابن ظبيان البندوان فضربه فأذري رأسه وتوردهم فرسان

المسلمين وجعل القعقاع يقول يا معاشر المسلمين باسروهم
بالسيوف فانما يحصد

[٥٣]

بها الناس فتواصى الناس وتشايعوا إليهم فاجتلدوا بها حتى المساء فلم ير أهل فارس في هذا اليوم شيئاً مما يعجبهم وأكثر المسلمون فيهم القتل ولم يقاتلوا في هذا اليوم على فيل كانت توابيتها تكسرت بالامس فاستأنفوا علاجها حين أصبحوا فلم ترتفع حتى كان الغد (كتب إلى السري) عن شعيب عن سيف عن مجالد عن الشعبي قال كانت امرأة من النخع لها بنون أربعة شهدوا القادسية فقالت لبنيتها إنكم أسلمتم فلم تبدلوا وهاجرتم فلم تثربوا ولم تبكم البلاد ولم تفحمتكم السنة ثم جئتم بأمكم عجوز كبيرة فوضعتموها بين يدي أهل فارس والله إنكم لبنو رجل واحد كما أنكم بنو امرأة واحدة ما خنت أباكم ولا فضحت حالكم انطلقوا فاشهدوا أول القتال وآخره فأقبلوا يشتدون فلما غابوا عنها رفعت يديها إلى السماء وهي تقول اللهم اذفع عن بني فرجعوا إليها وقد أحسنوا القتال ما كلم منهم رجل كلما فرأيتهم بعد ذلك يأخذون ألفين ألفين من العطاء ثم يأتون أمهم فيلقونه في حجرها فترده عليهم وتقسمه فيهم على ما يصلحهم ويرضيهم (كتب إلى السري) عن شعيب عن سيف عن محمد وطلحة وزباد قالوا فازر القعقاع يومئذ ثلاثة نفر من بني يربوع رياحيين وجعل القعقاع كلما طلعت قطعة كبر وكبر المسلمون ويحمل ويحملون اليربوعيون نعيم بن عمرو بن عتاب وعتاب بن نعيم بن عتاب ابن الحارث بن عمرو بن همام وعمرو بن شبيب بن زنياع بن الحارث بن ربيعة أحد بني زيد وقدم ذلك اليوم رسول لعمر بأربعة أسياف وأربعة أفراس يقسمها فيمن انتهى إليه البلاء إن كنت لقيت حرباً فدعا حمال بن مالك والربيل بن عمرو ابن ربيعة والوالبيين وطلحة بن خويلد الفقعسي وكلهم من بني أسد وعاصم بن عمرو التميمي فأعطاهم الأسياف ودعا القعقاع بن عمرو واليربوعيين فحملهم على الأفراس فأصاب ثلاثة من بني يربوع ثلاثة أرباعها وأصاب ثلاثة من بني أسد ثلاثة أرباع السيوف فقال في ذلك الربيل بن عمرو لقد علم الأقبام أنا أحقهم * إذا حصلوا بالمرهفات البواتر وما فتئت خلي عشيّة أرمثوا * يذودون رهوا عن جموع العشائر

[٥٤]

لذن غدوة حتى أتى الليل دونهم * وقد أفلحت أخرى الليالي الغواير وقال القعقاع في شأن الخيل لم تعرف الخيل العراب سواءنا * عشية أعوات بجنب القوادس عشية رحنا بالرماح كأنها * على القوم ألوان الطيور الرسارس (كتب إلى السري) عن شعيب عن سيف عن القاسم بن سليم بن عبد الرحمن السعدي عن أبيه قال كان يكون أول القتال في كل أيامها المطاردة فلما قدم القعقاع قال يا أيها الناس اصنعوا كما أصنع فنأدى من يبارز فبرز له ذو الحاجب فقتله ثم البيروزان فقتله ثم خرج الناس من كل ناحية وبدأ الحرب والطحان وحمل بنو عم الفقعاع يومئذ عشرة عشرة من الرجال على إبل قد البسوها فهي مجللة مبرقعة وأطافت بهم خيولهم بعمومهم وأمرهم أن يحملوا على خيلهم بين الصفيين يتشبهون بالفيلة ففعلوا بهم يوم أعوات كما فعلت فارس يوم أرمات فجعلت تلك الإبل لا تصمد لقليل ولا لكثير إلا نفرت بهم خيلهم وركبتهم خيول المسلمين فلما رأى ذلك الناس استننوا بهم فلقى فارس من الإبل يوم أعوات أعظم مما لقي المسلمون من الفيلة يوم أرمات وحمل رجل من بني تميم ممن كان بحمي العشرة يقال له سواد وجعل يتعرض للشهادة فقتل

بعد ما حمل وأبطأت عليه الشهادة حتى تعرض لرستم يريده فأصيب
دونه (كتب إلى السري) عن شعيب عن سيف عن الغصن عن العلاء
ابن زياد والقاسم بن سليم عن أبيه قالا خرج رجل من أهل فارس
ينادي من يبارز فبرز له علباء بن جحش العجلي فنحاه علباء
فأسجره ونفحه الآخر فأمعاه وخرا فأما الفارسي فمات من ساعته
وأما الآخر فانتثرت أمعاؤه فلم يستطع القيام فعالج إدخالها فلم يأت
له حتى مر به رجل من المسلمين فقال يا هذا أعني على بطني
فأدخله له فأخذ بصفاقيه ثم زحف نحو صف فارس ما يلتفت إلى
المسلمين فأدركه الموت على رأس ثلاثين ذراعاً من مصرعه إلى
صف فارس وقال أرجو بها من ربنا ثواباً * قد كنت ممن أحسن الضرابا
(كتب إلى السري) عن شعيب عن سيف عن الغصن عن العلاء
والقاسم

[٥٥]

عن أبيه قالا وخرج رجل من أهل فارس فنادى من يبارز فبرز له
الاعرف ابن الاعلم العقيلي فقتله ثم برز له آخر فقتله وأحاطت به
فوارس منهم فصرعوه ونذر سلاحه عنه فأخذه فغير في وجوههم
بالتراب حتى رجع إلى أصحابه وقال في ذلك وإن يأخذوا بزى فإنني
مجرب * خروج من الغماء محتضر النصر وإنى لحام من وراء عشيرتي
* ركوب لآثار الهوى محفل الأمر (كتب إلى السري) عن شعيب عن
سيف عن الغصن عن العلاء والقاسم عن أبيه قالا فحمل القعقاع
يومئذ ثلاثين حملة كلما طلعت قطعة حمل حملة وأصاب فيها وجعل
يرتجز ويقول أزعجهم عمداً بها إزعاجاً * أظعن طعنا صائباً تجاجاً أرجو
به من جنة أفواجا (كتب إلى السري) عن شعيب عن سيف عن
محمد وطلحة وزياد قالوا قتل القعقاع يوم أغواث ثلاثين في ثلاثين
حملة كلما حمل حملة قتل فيها فكان آخرهم بزرجمهر الهمداني
وقال في ذلك القعقاع حوته جياشة (بالنفس) ؟ * هدارة مثل شعاع
الشمس في يوم أغواث قليل الفرس * أنخس بالقوم أشد النخس
حتى تفتض ؟ معشري ونفسي وبارز الاعور بن قطبة شهربراز
سجستان فقتل كل واحد منهما صاحبه فقال أخوه في ذلك لم أر
يوماً كان أحلى وأمر * من يوم أغواث إذ افتر الثغر من غير ضحك كان
أسوى وأبر (كتب إلى السري) عن شعيب عن سيف عن محمد
وطلحة وزياد وشاركهم ابن محراق عن رجل من طيئ قالوا وقاتلت
الفرسان يوم الكتائب فيما بين أن أصبحوا إلى انتصاف النهار فلما
عدل النهار تراخف الناس فاقتتلوا بها صتيتاً حتى

[٥٦]

انتصف الليل فكانت ليلة ارمات تدعى الهدأة وليلة أغواث تدعى
السواد والنصف الاول يدعى السواد ثم لم يزل المسلمون يرون في
يوم أغواث في القادسية الظفر وقتلوا فيه عامة أعلامهم وجالت فيه
خيل القلب وثبت رجلهم فلولا أن خيلهم كرت أخذ رستم أخذاً فلما
ذهب السواد بات الناس على مثل ما بات عليه القوم ليلة ارمات ولم
يزل المسلمون ينتمون لدن أمسوا حتى تغايروا فلما أمسى سعد
وسمع ذلك نام وقال لبعض من عنده إن تم الناس على الانتماء فلا
توقطني فإنهم أقوى على عدوهم وإن سكتوا ولم ينتم الآخرون فلا
توقطني فإنهم على السوء فإن سمعتهم ينتمون فأيقطني فإن
انتماءهم من السوء فقالوا ولما اشتد القتال بالسواد وكان أبو محجن
قد حبس وقيد فهو في القصر فصعد حين أمسى إلى سعد
يستعفيه ويستقيله فزبره ورده فنزل فأتى سلمى بنت خصفة فقال
يا سلمى يا بنت آل خصفة هل لك إلى خير قالت وما ذاك قال تخلين
عني وتعيريني باللقاء فله علي إن سلمني الله أن أرجع إليك حتى

أضع رجلي في قيدي فقالت وما أنا وذاك فرجع يرسف في قيوده ويقول كفى حزنا أن تزدى الخيل بالقنا * وأترك مشددا علي وثاقا إذا قمت عناني الحديد واغلقت * مصارع دوني قد تصم المناديا وقد كنت ذا مال كثير وإخوة * فقد تركوني واحدا لا أبا لي والله عهد لا أخيس بعهده * لئن فرجت أن لا أزور الحوانيا فقالت سلمى إنني استخرت الله ورضيت بعهدك فأطلقته وقالت أما الفرس فلا أعيرها ورجعت إلى بيتها فاقتادها فأخرجها من باب القصر الذي يلي الخندق فركبها ثم دب عليها حتى إذا كان بحيال الميمنة كبر ثم حمل على ميسرة القوم يلعب برمحه وسلاحه بين الصفيين فقالوا بسرجه وقال سعيد والقاسم عريا ثم رجع من خلف المسلمين إلى الميسرة فكبر وحمل على ميمنة القوم يلعب بين الصفيين برمحه وسلاحه ثم رجع من خلف المسلمين إلى القلب فنذر أمام الناس فحمل على القوم يلعب بين الصفيين برمحه وسلاحه وكان يقصف الناس ليلتذ قصفا منكرا وتعجب الناس

[٥٧]

منه وهم لا يعرفونه ولم يروه من النهار فقال بعضهم أوائل أصحاب هاشم أو هاشم نفسه وجعل سعد يقول وهو مشرف على الناس مكب من فوق القصر والله لولا محبس أبي محجن لقلت هذا أبو محجن وهذه البلقاء وقال بعض الناس إن كان الخضر يشهد الحروب فنظن صاحب البلقاء الخضر وقال بعضهم لولا أن الملائكة لا تباشر القتال لقلنا ملك يثبتنا ولا يذكره الناس ولا يبهون له لأنه بات في محبسه فلما انتصف الليل حاجز أهل فارس وتراجع المسلمون وأقبل أبو محجن حتى دخل من حيث خرج ووضع عن نفسه وعن دابته وأعاد رجليه في قيديه وقال لقد علمت ثقيف غير فخر * بانا نحن أكرمهم سيوفا وأكثرهم دروعا سابغات * وأصبرهم إذا كرهوا الوقوفا وأنا وفدهم في كل يوم * فإن عميو فسل بهم عريفا وليلة قادس لم يشعروا بي * ولم أشعر بمخرجي الزحوفا فإن احبس فذلکم بلائي * وإن أترك أذيقهم الحتوفا فقالت له سلمى يا أبا محجن في أي شئ حبسك هذا الرجل قال إما والله ما حبسني بجرام أكلته ولا شربته ولكني كنت صاحب شراب في الجاهلية وأنا أمرؤ شاعر يدب الشعر على لساني بيعته على شفتي أحيانا فيساء لذلك ثنائي ولذلك حبسني قلت إذا مت فادفن إلى أصل كرمة * تروى عظامي بعد موتي عروقها ولا تدفني بالفلاة فإنني * أخاف إذا ما مت أن لا أذوقها وتروى بخمر الحص لحدني فإنني * أسير لها من بعد ما قد أسوقها ولم تزل سلمى مغاضبة لسعد عشية ارمات وليلة الهداة وليلة السواد حتى إذا أصبحت أتته وصالحته وأخبرته خبرها وخبر أبي محجن فدعا به فأطلقه وقال اذهب فما أنا مؤاخذك بشئ تقوله حتى تفعله قال لا جرم والله لا أجيب لساني إلى صفة قبيح أبدا

[٥٨]

يوم عماس (كتب إلي السري) ابن يحيى عن شعيب عن سيف عن محمد وطلحة وزياد بإسنادهم وابن مخراق عن رجل من طيئ قالوا فاصبحوا من اليوم الثالث وهم على مواقفهم وأصبحت الاعاجم على مواقفهم وأصبح ما بين الناس كالرجلة الحمراء يعني الحرة سيل في عرض ما بين الصفيين وقد قتل من المسلمين ألفان من رثيث وميت ومن المشركين عشرة آلاف من رثيث وميت وقال سعد من شاء غسل الشهداء ومن شاء فليدفنهم بدمائهم وأقبل المسلمون على قتلاهم فاحرزوهم فجعلوهم من وراء ظهورهم وأقبل الذين يجمعون القتلى يحملونهم إلى المقابر ويبلغون الرثيث إلى النساء وحاجب بن زيد على الشهداء وكان النساء والصبيان يحفرون القبور في اليومين

يوم أعاوث ويوم إرمات بعدوتي مشرق فدفن ألفان وخمسمائة من أهل القادسية وأهل الأيام فمر حاجب وبعض أهل الشهادة وولادة الشهداء في أصل نخلة بين القادسية والعذيب وليس بينهما يومئذ نخلة غيرها فكان الرثيث إذا حملوا فأنتهى بهم إليها وأحدهم يعقل سألهم أن يقفوا به تحتها يستروح إلي ظلها ورجل من الجرحى يدعى بجيرا يقول وهو مستظل بظلها ألا يا اسلمى يا نخلة بين قادس * وبين العذيب لا يجاورك النخل ورجل من بني ضبة أو من بني ثور يدعى غيلان يقول: ألا يا اسلمى يا نخلة بين جرعة * يجاورك الجمال دونك والرغل ورجل من بني تيم الله يقال له ربعي يقول: أيا نخلة الجرعاء يا جرعت العدى * سقتك الغواصي والغيوث الهواطل وقال الاعور بن قطبة: أيا نخلة الركبان لا زلت فانضري * ولا زال في أكناف جرعائك النخل وقال عوف بن مالك التميمي ويقال التميمي تيم الرباب: أيا نخلة دون العذيب بتلعة * سقيت الغواصي المدجنات من النخل

[٥٩]

(كتب إلي السري) عن شعيب عن سيف عن محمد وطلحة وزيد قالوا وبات القعقاع ليلته كلها يسرب أصحابه إلى المكان الذي فارقه فيه من الامس ثم قال إذا طلعت لكم الشمس فأقبلوا مائة مائة كلما توارى عنكم مائة فليتبعتها مائة فان جاء هاشم فذاك وإلا جددتم للناس رجاء وجدا ففعلوا ولا يشعر بذلك أحدا وأصبح الناس على موافقهم قد أحرزوا قتلهم وخلوا بينهم وبين حاجب بن زيد وقتلى المشركين بين الصفيين قد أضيعوا وكانوا لا يعرضون لامواتهم وكان مكانهم مما صنع الله للمسلمين مكيدة فتحها ليشد بها أعصاب المسلمين فلما ذر قرن الشمس والقعقاع يلاحظ الخيل وطلعت نواصيها كبر وكبر الناس وقالوا جاء المدد وقد كان عاصم بن عمرو أمر أن يصنع مثلها فجاءوا من قبل خفان فتقدم الفرسان وتكتبت الكتاب فاختلوا الضرب والطعن ومددهم متتابع فما جاء آخر أصحاب القعقاع حتى انتهى إليهم هاشم وقد طلعا في سبعمائة فأخبروه برأي القعقاع وما صنع في يوميه فعبي أصحابه سبعين سبعين فلما جاء آخر أصحاب القعقاع خرج هاشم في سبعين معه فيهم فيس بن هبيرة بن عبد يغوث ولم يكن من أهل الأيام إنما أتى من اليمن اليرموك فانتدب مع هاشم فأقبل هاشم حتى إذا خالط القلب كبر، كبر المسلمون وقد أخذوا مصافهم وقال هاشم أول القتال المطاردة ثم المراماة فأخذ قوسه فوضع سهمها على كبدها ثم نزع فيها فرفعت فرسه رأسها فخل أذنها فضحك وقال واسواتاه من رمية رجل كل من رأى ينتظره أين ترون سهمي كان بالغا فليل العتيق فنزقها وقد نزع السهم ثم ضربها حتى بلغت العتيق ثم ضربها حتى بلغت العتيق ثم ضربها فاقبلت به تخرفهم حتى عاد إلى موقفه وما زالت مقانبه تطلع إلى الأولى وقد بات المشركون في علاج توابيتهم حتى أعادوها وأصبحوا على موافقهم واقبلت القبلة معها الرجالة يحمونها أن تقطع وضنها ومع الرجالة فرسان يحمونهم إذا أرادوا كتيبة دلفوا لها بغيل واتباعه لينفروا بهم خيلهم فلم يكن ذلك منهم كما كان بالامس لان الفيل إذا كان وحده ليس معه أحد كان أوحش وإذا أطافوا به كان أنس فكان القتال كذلك حتى عدل النهار وكان يوم عماس من أوله إلى آخره شديدا

[٦٠]

العرب والعجم فيه على السواء ولا يكون بينهم نقطة إلا تعاورها الرجال بالاصوات حتى تبلغ يزدجرد فيبعث إليهم أهل النجدات ممن بقى عنده فيقوون بهم وأصبحت عنده للذي لقي بالامس الامداد

على البرد فلولا الذي صنع الله للمسلمين بالذي ألهم القعقاع في
اليومين وأتاح لهم بهاشم كسر ذلك المسلمين (كتب إلى السري)
عن شعيب عن سيف عن مجالد عن الشعبي قال قدم هاشم بن
عتبة من قبل الشام معه قيس بن المكشوح المرادي في سبعمائة
بعد فتح اليرموك ودمشق فتعجل في سبعين فيهم سعيد بن نمران
الهمداني قال مجالد وكان قيس بن أبي حازم مع القعقاع في مقدمة
هاشم (كتب إلى السري) عن شعيب عن سيف عن جندب ابن
جرعب عن عصمة الوابلي وكان قد شهد القادسية قال قدم هاشم
في أهل العراق من الشام فتعجل في أناس ليس معه أحد من
غيرهم إلا نغير منهم ابن المكشوح فلما دنا تعجل في ثلثمائة فوافق
الناس وهم على موافقهم فدخلوا مع الناس في صفوفهم (كتب إلى
السري) عن شعيب عن سيف عن مجالد عن الشعبي قال كان
اليوم الثالث يوم عماس ولم يكن في أيام القادسية مثله خرج الناس
منه على السواء كلهم على ما أصابه كان صابرا وكلما بلغ منهم
المسلمون بلغ الكافرون من المسلمين مثله وكلما بلغ الكافرون من
المسلمين بلغ المسلمون من الكافرين مثله (كتب إلى السري) عن
شعيب عن سيف عن عمرو بن الريان عن اسماعيل بن محمد بن
سعد قال قدم هاشم بن عتبة القادسية يوم عماس فكان لا يقاتل
إلا على فرس أنثى لا يقاتل على ذكر فلما وقف في الناس رمى
بسهم فأصاب أذن فرسه فقال واسواتاه من هذه أين ترون سهمي
كان بالغا ولم يصب أذن الفرس قالوا كذا وكذا فأجال فنزل وترك فرسه
ثم خرج يضربهم حتى بلغ حيث قالوا (كتب إلى السري) عن شعيب
عن سيف عن محمد وطلحة وزياد قالوا وكان في الميمنة (كتب إلى
السري) عن شعيب عن سيف عن عمرو بن الريان عن اسماعيل بن
محمد كنا نرى أنه كان على الميمنة وما كان عامة جنن الناس ألا
البراذع براذع الرجال قد أعرضوا فيها الجريد وعصب من لم يكن له
وقاية رؤسهم بالانساع (كتب إلى السري) عن

[١١]

شعيب عن سيف عن أبي كيران الحسن بن عتبة أن قيس بن
المكشوح قال مقدمه من الشام مع هاشم وقام فيمن يليه فقال
لهم يا معشر العرب إن الله قد من عليكم بالاسلام وأكرمكم بمحمد
صلى الله عليه وسلم فأصبحتم بنعمة الله إخوانا دعوتكم واحدة
وأمركم واحد بعد إذ أنتم يعدو بعضكم على بعض عدو الاسد ويختطف
بعضكم بعضا اختطاف الذئب فانصروا الله ينصركم وتنجزوا من الله فتح
فارس فإن إخوانكم من أهل الشام قد أنجز الله لهم فتح الشام
وانتال القصور الحمر والحصون الحمر (كتب إلى السري) عن شعيب
عن سيف عن المقدم الحارثي عن الشعبي قال قال عمرو بن
معديكرب اني حامل على الفيل ومن حوله لفيل يائزهم فلا تدعوني
أكثر من جزر جزور فإن تأخرتم عني فقد تم أبا ثور فأنى لكم مثل أبي
ثور فإن أدركتموني وجدتموني وفي يدي السيف فحمل فما انثنى
حتى ضرب فيهم وستره الغبار فقال أصحابه ما تنتظرون ما أنتم
بخلقاء أن تدكوه وإن فقدتموه فقد المسلمون فارسهم فحملوا حملة
فأفرج المشركون عنه بعد ما صرعوه وطعنوه وإن سيفه لفي يده
يضاربهم وقد طعن فرسه فلما رأى أصحابه وانفرج عنه أهل فارس
أخذ برجل فرس رجل من أهل فارس فحركه الفارسي فاضطرب
الفرس فالتفت الفارسي إلى عمرو فهم به وأبصره المسلمون
فغشوه فنزل عنه الفارسي وحاضر إلى أصحابه فقال عمرو أمكنوني
من لجامه فأمكنوه من فركبه (كتب إلى السري) عن شعيب عن
سيف عن عبدالله بن المغيرة العبيدي عن الاسود بن قيس عن
أشياخ لهم شهدوا القادسية قالوا لما كان يوم عماس خرج رجل من
العجم حتى إذا كان بين الصفين هدر وشقشيق ونادى من يبارز
فخرج رجل منا يقال له شبر ابن علقمة وكان قصيرا قليلا دميما فقال
يا معشر المسلمين قد أنصفكم الرجل فلم يجبه أحد ولم يخرج إليه

أحد فقال أما والله لولا أن تزدروني لخرجت إليه فلما رأى أنه لا يمنع أخذ سيفه وحجفته وتقدم فلما رآه الفارسي هدر ثم نزل إليه فاحتمله فجلس على صدره ثم أخذ سيفه ليذبحه ومقود فرسه مشدود بمنطقته فلما استل السيف حاص الفرس حيصه فجذبه المقود فقلبه عنه فأقبل عليه وهو

[٦٢]

يسحب فافترشه فجعل أصحابه يصيحون به فقال صيحوا ما بدا لكم فوالله لا أفارقه حتى أقتله وأسلمه فذبحه وسلبه ثم أتى به سعدا فقال إذا كان حين الظهر فأنتني فوافاه بالسلب فحمد الله سعد وأثنى عليه ثم قال اني قد رأيت أن أنحله إياه وكل من سلب سلبا فهو له فباعه بأثنى عشر ألفا (كتب إلى السري) عن شعيب عن سيف عن محمد وطلحة وزياد قالوا ولما رأى سعد الفيلة تفرق بين الكتائب وعادت لفعالها يوم ارمات أرسل إلى أولئك المسلمة ضخم ومسلم ورافع وعشيق وأصحابهم من الفرس الذين أسلموا فدخلوا عليه فسألهم عن الفيلة هل لها مقاتل فقالوا نعم المشارف والعيون لا ينتفع بها بعدها فأرسل إلى القعقاع وعاصم ابني عمرو أكفياني الأبيض وكانت كلها ألفة له وكان بإزائهما وأرسل إلى حمال والربيل أكفياني الفيل الأجرى وكانت ألفة له كلها وكان بإزائها فأخذ القعقاع وعاصم رمحين أضمين لينين ودبا في خيل ورجل فقالا اكتنفوه لتحيروه وهما مع القوم ففعل حمال والربيل مثل ذلك فلما خالطوهما اكتنفوهما فنظر كل واحد منهما يمنة ويسرة وهما يريدان أن يتخطيا فحمل القعقاع وعاصم والفيل متشاغل بمن حوله فوضعا رمحيهما معا في عيني الفيل الأبيض وقبع ونفض رأسه فطرح سائسه ودلى مشفره فنفحه القعقاع فرمى به ووقع لجنبه فقتلوا من كان عليه وحمل حمال وقال للربيل اختر إما أن تضرب المشفر وأطعن في عينه أو تطعن في عينه وأضرب مشفره فاختر الضرب فحمل عليه وهو متشاغل بملاحظة من اكتنفه لا يخاف سائسه إلا على بطانه فانفرد به أولئك فطعنه في عينه فأقعى ثم استوى ونفحه الربيل فأبان مشفره وبصر به سائسه فبقر أنفه وجبينه بفأسه (كتب إلى السري) عن شعيب عن سيف عن مجالد عن الشعبي قال قال رجلان من بني أسد يقال لهما الربيل وحمال يا معشر المسلمين أي الموت أشد قالوا أن يشد على هذا الفيل فنزقا فرسيهما حتى إذا قاما على السنايك ضرباهما على الفيل الذي بإزائهما فطعن أحدهما في عين الفيل فوطئ الفيل من خلفه وضرب الآخر مشفره فضربه سائس الفيل ضربة شائنة بالطبرزين في وجهه فأفلت بها هو والربيل وحمل القعقاع

[٦٣]

وأخوه على الفيل الذي بإزائهما ففقا عينيهِ وقطعا مشفره فبقى متلدا بين الصفيين كلما أتى صف المسلمين وخزوه وإذا أتى صف المشركين نخسوه (كتب إلى السري) عن شعيب عن سيف عن عمرو عن الشعبي قال كان في الفيلة فيلان يعلمان الفيلة فلما كان يوم القادسية حملوهما على القلب فأمر بهما سعد القعقاع وعاصم التميميين وحمالا والربيل الاسديين فذكر مثل الاول إلا أن فيه وعاش بعد وصاح الفيلان صياح الخنزير ثم ولى الأجرى الذي عور فوثب في العتيق فأتبعته الفيلة فخرجت صف الاعاجم فعبرت العتيق في أثره فأثت المدائن في توابعها وهلك من فيها (كتب إلى السري) عن شعيب عن سيف عن محمد وطلحة وزياد قالوا فلما ذهبت الفيلة وخلص المسلمون بأهل فارس ومال الظل تزاحف المسلمون وحماهم فرسانهم الذين قاتلوا أول النهار فاجتلدوا بها حتى أمسوا

على حرد بالسيوف وهم في ذلك على السواء لان المسلمين حين فعلوا بالفيول ما فعلوا تكتبت كتائب الابل المجففة فعرقبوا فيها وكفكفوا عنها وقال في ذلك القعقاع بن عمرو حضض قومي مضرحي بن يعمر * فله قومي حين هزوا العوالي وما خام عنها يوم سارت جموعنا * لاهل قديس يمنعون المواليا فان كنت قاتلت العدو فليلته * فاني لالقي في الحروب الدواهيا فيولا اراها كالبيوت مغيرة * اسمل اعيانا لها وماقيا كتب إلي السري عن شعيب عن سيف عن محمد وطلحة وزياد قالوا لما أمسى الناس من يومهم ذلك وطعنوا في الليل اشتد القتال وصبر الفريقان فخرجا على السواء إلا الغماغم من هؤلاء وهؤلاء فسميت ليلة الهرير لم يكن قتال بليل بعدها بالقادسية (قال أبو جعفر) كتب إلى السري عن شعيب عن سيف عن عمرو بن محمد بن قيس عن عبدالرحمن بن جيش ان سعدا بعث ليلة الهرير طليحة وعمرا إلى مخاضة أسفل من العسكر ليقوما عليها خشية أن يأتيه القوم منها وقال لهما إن وجدتما القوم قد سبقوكما إليها فانزلا بحيالهم وإن لم تجداهم علموا بها فأقيما حتى يأتكما أمرى وكان عمر قد عهد إلى سعد ألا يولى رؤساء أهل الردة على مائة فلما انتهى إلى المخاضة

[٦٤]

فلم يريا فيها أحدا قال طليحة لو خضنا فأتينا الاعاجم من خلفهم فقال عمرو لا بل نعبّر أسفل فقال طليحة إن الذي أقوله أنفع للناس فقال عمرو إنك تدعوني إلى ما لا أطيق فافترقا فأخذ طليحة نحو العسكر من وراء العتيق وحده وسفل عمرو باصحابهما جميعا فأغاروا وثارث بهم الاعاجم وخشى سعد منهما الذي كان فبعث قيس بن المكشوح في آثارهما في سبعين رجلا وكان من أولئك الرؤساء الذين نهى عنهم أن يوليهم المائة وقال إن لحقتهم فأت عليهم فخرج نحوهم فلما كان عند المخاضة وجد القوم يكر دون عمرا وأصحابه فنهه الناس عنه وأقبل قيس على عمرو يلومه فتلاحيا فقال أصحابه إنه قد أمر عليك فسكت وقال يتأمر علي رجل قد قاتلته في الجاهلية عمر رجل فرجع إلى العسكر وأقبل طليحة حتى إذا كان بحيال السكر كبر ثلاث تكبيرات ثم ذهب فطلبه القوم فلم يدروا أين سلك وسفل حتى خاض ثم أقبل إلى العسكر فأتى سعدا فأخبره فاشتد ذلك على المشركين وفرح المسلمون وما يدرون ما هو (كتب إلي السري) عن شعيب عن سيف عن قدامة الكاهلي عن حدثه أن عشرة إخوة من بني كاهل بن أسد يقال لهم بنو حرب جعل أحدهم يرتجز ليلتئذ ويقول أنا ابن حرب ومعى مخراقي * أضر بهم بصارم رفراف إذ كره الموت أبو إسحاق * وحاشت النفس على التراقي صبرا عفاق إنه الفراق وكان عفاق أحد العشرة فأصيب فخذ صاحب هذا الشعر يومئذ فأنشأ يقول صبرا عفاق إننا الاساورة * صبرا ولا تغررك رجل نادره فمات من ضربته يومئذ (كتب إلي السري) عن شعيب عن سيف عن النضر عن ابن الرقيل عن أبيه عن حميد بن أبي شجار قال بعث سعد طليحة في حاجة فتركها وعبر العتيق فدار إلى عسكر القوم حتى إذا وقف على ردم النهر كبر ثلاث تكبيرات فراع أهل فارس وتعجب المسلمون فكف بعضهم عن بعض للنظر في ذلك فارسلت الاعاجم في ذلك وسأل المسلمون عن ذلك ثم إنهم عادوا وجددوا

[٦٥]

تعبية وأخذوا في أمر لم يكونوا عليه في الايام الثلاثة والمسلمون على تعبيتهم وجعل طليحة بقول لا تعدموا امرء ضعفكم وخرج مسعود بن مالك الاسدي وعاصم ابن عمرو التميمي وابن ذي

البردين الهلالي وابن ذي السهمين وقيس بن هبيرة الاسدي وأشباههم فطاردوا القوم وانبعثوا للقتال فإذا القوم لمة لا يشدون ولا يريدون غير الزحف فقدموا صفا له أذنان وأتبعوا آخر مثله وآخر وآخر حتى تمت صفوفهم ثلاثة عشر صفا في القلب والمجنبتين كذلك فلما أقدم عليهم فرسان العسكر راموهم فلم يعطفهم ذلك عن ركوبهم ثم لحقت بالفرسان الكتائب فأصيب ليلتند خالد بن يعمر التميمي ثم العمري فحمل القعقاع على ناحيته التي رمى بها مزدلفا فقاموا على ساق فقال القعقاع سقى الله يا خوصاء قبر ابن يعمر * إذا ارتحل السفار لم يترحل سقى الله أرضا حلها قبر خالد * ذهاب غواد مدجنات تجلجل فأقسمت لا ينفك سيفي يحسهم * فإن زحل الاقوام لم أتزحل فزاحفهم والناس على راياتهم بغير إذن سعد فقال سعد اللهم اغفرها له وانصره قد أذنت له إذ لم يستأذني والمسلمون على موافقهم إلا من تكتب أو طاردهم وهم ثلاثة صفوف فصف فيه الرجالة أصحاب الرماح والسيوف وصف فيه المرامية وصف فيه الخيول وهم أمام الرجالة وكذلك الميمنة وكذلك الميسرة وقال سعد ان الامر الذي صنع القعقاع فإذا كبرت ثلاثا فزحفوا فكبر تكبيرة فتهيؤا ورأى الناس كلهم مثل الذي رأى والرحى تدور على القعقاع ومن معه (كتب إلي السري) عن شعيب عن سيف عن عبيد الله بن عبد الأعلى عن عمرو بن مرة قال وقام قيس بن هبيرة المرادي فيمن يليه ولم يشهد شيئا من لياليها إلا تلك الليلة فقال إن عدوكم قد أبى إلا المزاحفة والرأي رأي أميركم وليس بأن تحمل الخيل ليس معها الرجالة فان القوم إذا زحفوا وطاردهم عدوهم على الخيل لا رجال معهم عقروا بهم ولم يطبقوا أن يقدموا عليهم فتيسروا للحملة فتيسروا وانتظروا التكبيرة وموافقة حمل الناس وان شباب الاعاجم لتجوز صف المسلمين (كتب

إلي السري) عن شعيب عن سيف عن المستنير بن يزيد عن حدثه قال وقال دريد بن كعب النخعي وكان معه لواء النخع إن المسلمين قد تهيؤا للمزاحفة فاسبقوا المسلمين الليلة إلى الله والجهاد فانه لا يسبق الليلة أحد إلا كان ثوابه على قدر سبقه نافسوه في الشهادة وطبوا بالموت نفسا فإنه أنجى من الموت إن كنتم تريدون الحياة وإلا فالآخرة ما أردتم (كتب إلي السري) عن شعيب عن سيف عن الاجلح قال قال الأشعث بن قيس يا معشر العرب إنه لا ينبغي أن يكون هؤلاء القوم أجراً على الموت ولا أسخى أنفسا عن الدنيا تنافسوا الأزواج والاولاد ولا تجزعوا من القتل فانه أمانى الكرام ومنايا الشهداء وترجل (كتب إلي السري) عن شعيب عن سيف عن عمرو بن محمد قال قال حنظلة بن الربيع وأمراء الاعشار ترحلوا أيها الناس وافعلوا كما نفعل ولا تجزعوا مما لا بد منه فالصبر أنجى من الفزع وفعل طليحة وغالب وحمال وأهل النجدات من جميع القبائل مثل ذلك (كتب إلي السري) عن شعيب عن سيف عن عمرو والنضر بن السري قالا ونزل ضرار ابن الخطاب القرشي وتتابع على التسرع إليهم الناس كلهم فيما بين تكبيرات سعد حين استبطؤه فلما كبر الثانية حمل عاصم بن عمرو وحتى انضم إلى القعقاع وحملت النخع وعصى الناس كلهم سعدا فلم ينتظروا الثالثة إلا الرؤساء فلما كبر الثالثة زحفوا فلحقوا بأصحابهم وخالطوا القوم فاستقبلوا الليل استقبالا بعد ما صلوا العشاء (كتب إلي السري) عن شعيب عن سيف عن الوليد بن عبد الله بن أبي طيبة عن أبيه قال حمل الناس ليلة الهرير عامة ولم ينتظروا بالحملة سعدا وكان أول من حمل القعقاع فقال اللهم اغفرها له وانصره وقال واتميامه سائر الليلة ثم قال أرى الامر ما فيه هذا فإذا كبرت ثلاثا فاحملوا فكبر واحدة فلحقهم أسد فقيل قد حملت أسد فقال اللهم اغفرها لهم وانصرهم وأسداه سائر الليلة ثم قيل حملت النخع فقال اللهم اغفرها لهم وانصرهم وانخعاه سائر الليلة ثم قيل حملت بجيلة

فقال اللهم اغفرها لهم وانصرهم وابجiltاه ثم حملت الكنود فقيل
حملت كندة فقال واكندتاه ثم زحف الرؤساء بمن انتظر التكبيره
فقامت حربهم على ساق حتى الصباح

[٦٧]

فذلك ليلة الهرير (كتب إلى السري) عن شعيب عن سيف عن
محمد بن نويرة عن عمه أنس بن الحليس قال شهدت ليلة الهرير
فكان صليل الحديد فيها كصوت القيون ليلتهم حتى الصباح أفرغ
عليهم الصبر إفراغا وبات سعد بليلة لم يبت بمثلها ورأى العرب
والعجم أمرا لم يروا مثله قط وانقطعت الاصوات والابحار عن رستم
وسعد وأقبل سعد على الدعاء حتى إذا كان وجه الصبح انتهى
الناس فاستدل بذلك على أنهم الاعلون وأن الغلبة لهم (كتب إلى
السري) عن شعيب عن سيف عن عمرو بن محمد عن الاعور بن
بيان المنقري قال أول شئ سمعه سعد ليلتئذ مما يستدل به على
الفتح في نصف الليل الباقي صوت القعقاع بن عمرو وهو يقول نحن
قتلنا معشرا وزائدا * أربعة وخمسة وواحدنا نحسب فوق اللبد
الاساودا * حتى إذا ماتوا دعوت جاهدنا الله ربي واحترزت عامدا (كتب
إلى السري) عن شعيب عن سيف عن عمرو بن الاعور ومحمد عن
عمه والنضر عن ابن الرقيل قالوا اجتلدوا تلك الليلة من أولها حتى
الصباح لا ينطقون كلامهم الهرير فسميت ليلة الهرير (كتب إلى
السري) عن شعيب عن سيف عن عمرو بن الريان عن مصعب بن
سعد قال بعث سعد في تلك الليلة بجادا وهو غلام إلى الصف إذ لم
يجد رسولا فقال انظر ما ترى من حالهم فرجع فقال ما رأيت أي بني
قال رأيتم يلعبون فقال أو يجدون (كتب إلى السري) عن شعيب
عن سيف عن محمد بن جرير العبيدي عن عابس الجعفي عن أبيه
قال كانت بإزاء جعفي يوم عماس كتيبة من كتاب العجم عليهم
السلاح التام فازدلفوا لهم فجالدوهم بالسيوف فرأوا أن السيوف لا
تعمل في الحديد فارتدعوا فقال حميضة ما لكم قالوا لا يجوز فيهم
السلاح قال كما أنتم حتى أريكم انظروا فحمل على رجل منهم فدق
ظهره بالرمح ثم التفت إلى أصحابه فقال ما أراهم إلا يموتون دونكم
فحملوا عليهم فأزالوهم إلى صفهم (كتب إلى السري) عن شعيب
عن سيف عن مجالد عن الشعبي قال لا والله ما شهدنا من كندة
خاصة إلا سيمائة وكان يازأهم ترك

[٦٨]

الطبري فقال الاشعث يا قوم ازحفوا لهم فزحف لهم في سيمائة
فأزالهم وقتل تركا فقال راجزهم نحن تركنا تركهم في المصطره *
مختصبا من بهران الابهره (ليلة القادسية) (كتب إلى السري) عن
شعيب عن سيف عن محمد وطلحة وزياد قالوا وأصبحوا ليلة
القادسية وهي صيحة ليلة الهرير وهي تسمى ليلة القادسية من
بين تلك الايام والناس حسرى لم يغمضوا ليلتهم كلها فسار القعقاع
في الناس فقال إن الدبرة بعد ساعة لمن بدأ القوم فاصبروا ساعة
واحملوا فإن النصر مع الصبر فأثروا الصبر على الجزع فاجتمع إليه
جماعة من الرؤساء وصمدوا لرستم حتى خالطوا الذين دونه مع
الصبح ولما رأت ذلك القبائل قام فيها رجال فقام قيس بن عبد يغوث
والاشعث بن قيس وعمرو بن معديكرب وابن ذي السهمين الخنعمي
وابن ذي البردين الهلالي فقالوا لا يكون هؤلاء أحد في أمر الله منكم
ولا يكون هؤلاء لاهل فارس أجرا على الموت منكم ولا أسخى
أنفسا عن الدنيا تنافسوها فحملوا مما يليهم حتى خالطوا الذين
بإزائهم وقام في ربيعة رجال فقالوا أنتم أعلم الناس بفارس وأجراهم
عليهم فيما مضى فما يمنعكم اليوم أن تكونوا أجرا مما كنتم بالجره

فكان أول من زال حين قام قائم الظهيرة الهرمزان والبيرزان فتأخروا وثبتا حيث انتهيا وانفجر القلب حين قام قائم الظهيرة وركد عليهم النقع وهبت ريح عاصف فقلعت طيارة رستم عن سريره فهوت في العتيق وهي دبور ومال الغبار عليهم وانتهى القعقاع ومن معه إلى السرير فعثروا به وقد قام رستم عنه حين طارت الريح بالطيارة إلى بغال قد قدمت عليه بمال يومئذ فهي واقفة فاستظل في ظل بغل وحمله وضرب هلال بن علفة الحمل الذي رستم تحته فقطع حباله ووقع عليه أحد العدلين ولا يراه هلال ولا يشعر به فأزال من ظهره فقارا ويضربه ضربة فنفتحت مسكا ومضى رستم نحو العتيق فرمى بنفسه فيه واقتحمه هلال عليه فتناوله وقد عام وهلال قائم

[٦٩]

فأخذ برجله ثم خرج به إلى الجد فضرب جبينه بالسيف حتى قتله ثم جاء به حتى رمى به بين أرجل البغال وصعد السرير ثم نادى قتلت رستم ورب الكعبة إلي فاطافوا به وما يحسون السرير ولا يرونه وكبروا وتنادوا وانبت قلب المشركين عندها وانهمزوا وقام الجالونوس على الردم ونادى أهل فارس إلى العبور وانسفر الغبار فاما المقترنون فانهم جشعوا فتهافتوا في العتيق فوخزهم المسلمون برماحهم فما أفلت منهم مخبروهم ثلاثون ألفا وأخذ ضرار بن الخطاب درفش كايان فعوض منها ثلاثين ألفا وكانت قيمتها ألف ألف ومائتي ألف وقتلوا في المعركة عشرة آلاف سوى من قتلوا في الايام قبله (كتب إلى السري) عن شعيب عن سيف عن عطية عن عمرو بن سلمة قال قتل هلال بن علفة رستم يوم القادسية (كتب إلي السري) عن شعيب عن سيف عن ابن مخراق عن أبي كعب الطائي عن أبيه قال أصيب من الناس قبل ليلة الهرير ألفان وخمسمائة وقتل ليلة الهرير ويوم القادسية ستة آلاف من المسلمين فدفنوا في الخندق بحيال مشرق (كتب إلي السري) عن شعيب عن سيف عن محمد وطلحة وزياد قالوا لما انكشف أهل فارس فلم يبق منهم بين الخندق والعتيق أحد وطبقت القتلى ما بين قديس والعتيق أمر سعد زهرة باتباعهم فنادى زهرة في المقدمات وأمر القعقاع بمن سفلى وشرحبيل بمن علا وأمر خالد بن عرفطة بسلب القتلى وبدفن الشهداء فدفن الشهداء شهداء ليلة الهرير ويوم القادسية حول قديس ألفان وخمسمائة وراء العتيق بحيال مشرق ودفن شهداء ما كان قبل ليلة الهرير على مشرق وجمعت الاسلاب والاموال فجمع منها شئ لم يجمع قبله ولا بعده مثله وأرسل سعد إلى هلال فدعى له فقال ابن صاحبك قال رميت به تحت أبغل قال اذهب فجئ به فذهب فجاء به فقال جرده إلا ما شئت فأخذ سلبه فلم يدع عليه شيئا ولما رجع القعقاع وشرحبيل قال لهذا أغد فيما طلب هذا وقال لهذا أغد فيما طلب هذا فعلا هذا وسفل هذا حتى بلغا مقدار الخرارة من القادسية وخرج زهرة بن الحوية في آثارهم وانتهى إلى الردم وقد بثقوه ليمنعوهم به من الطلب فقال زهرة يابكير أقدم فضرب فرسه وكان

[٧٠]

بقاتل على الاناس فقال ثبي أطلال فتجمعت وقالت وثبا وسورة البقرة وأوثب زهرة وكان عن حصان وسائر الخيل فاقتحمته وتتابع على ذلك ثلثمائة فارس ونادى زهرة حيث كاعتت الخيل خذوا أيها الناس على القنطرة وعارضونا فمضى ومضى الناس إلى القنطرة يتبعونه فلحق بالقوم والجالونوس في آخرهم يحميهم فشاولة زهرة فاختلفا ضربتين فقتله زهرة وأخذ سلبه وقتلوا ما بين الخرارة إلى السيلحين إلى النجف وأمساوا فرجعوا فباتوا بالقادسية (كتب إلي

(السري) عن شعيب عن سيف عن عبدالله بن شبرمة عن شقيق قال اقتحمنا القادسية صدر النهار فترجعنا وقد أتى الصلاة وقد أصيب المؤذن فتشاح الناس في الاذان حتى كادوا أن يجتلدوا بالسيوف فأقرع سعد بينهم فخرج سهم رجل فأذن (ثم رجع الحديث) وتراجع الطلب الذين طلبوا من علا على القادسية ومن سفل عنها وقد أتى الصلاة وقد قتل المؤذن فتشاحوا على الاذان فأقرع بينهم سعد وأقاموا بقية يومهم ذلك وليلتهم حتى رجع زهرة وأصبحوا وهم جميع لا ينتظرون أحدا من جندهم وكتب سعد بالفتح وبعده من قتلوا ومن أصيب من المسلمين وسمى لعمر من يعرف مع سعد بن عميلة الفزاري (كتب إلي السري) عن شعيب عن سيف عن النضر عن ابن الرفيل عن أبيه قال دعاني سعد فأرسلني أنظر له في القتلى وأسمى له رؤسهم فأتيته فأعلمته ولم أر رستم في مكانه فأرسل إلى رجل من التيم يدعى هلالا فقال ألم تبلغني أن قتلت رستم قال بلى قال فما صنعت به قال ألقيته تحت قوائم الايغل قال فكيف قتلته فأخبره حتى قال ضربت جبينه وأنفه قال فجئنا به فأعطاه سلبه وكان قد تخفف حين وقع إلى الماء فباع الذي عليه بسبعين ألفا وكانت قيمة قلنسوته مائة ألف لو ظفر بها وجاء نفر من العباد حتى دخلوا على سعد فقالوا أيها الامير رأينا حسد رستم على باب قصرك وعليه رأس غيره وكان الضرب قد شوهه فضحك (كتب إلى السري) عن شعيب عن سيف عن محمد وطلحة وزباد قالوا وقال الديلم ورؤساء أهل المسالحي الذين استجابوا للمسلمين وقتلوا معهم على غير الاسلام اخواننا الذين دخلوا في هذا الامر من أول الشأن أصوب منا وخير ولا

والله لا يفلح أهل فارس بعد رستم الا من دخل في هذا الامر منهم فأسلموا وخرج صبيان العسكر في القتلى ومعهم الاداوى يسقون من به رمق من المسلمين ويقتلون من به رمق من المشركين وانحدروا من العذيب مع العشاء قال وخرج زهرة في طلب الجالنوس وخرج القعقاع وأخوه وشرحبيل في طلب من ارتفع وسفل فقتلوه في كل قرية وأجمة وشاطئ نهر ورجعوا فوافوا صلاة الظهر وهنا الناس أميرهم وأثنى على كل حي خيرا وذكره منهم (كتب إلي السري) عن شعيب عن سيف عن سعيد بن المرزبان قال خرج زهرة حتى أدرك الجالنوس ملكا من ملوكهم بين الخراة والسيلحين وعليه يارقان وقلبان وقرطان على برذون له قد خضد فحمل عليه فقتله قال والله إن زهرة يومئذ لعلى فرس له ما عنانها إلا من حبل مضفور كالمقود وكذلك حزامها شعر منسوج فجاء بسلبه إلى سعد فعرف الاسارى الذين عند سعد سلبه فقالوا هذا سلب الجالنوس فقال له سعد هل أعانك عليه أحد قال نعم قال من قال فنقله الله سلبه (كتب إلي السري) عن شعيب عن سيف عن عبيدة عن ابراهيم قال كان سعد استكثر له سلبه فكتب فيه إلى عمر فكتب إليه عمر إنني قد نقلت من قتل رجلا سلبه فدفعه إليه فباعه بسبعين ألفا * وعن سيف عن البرمکان والمجالد عن الشعبي قال لحق به زهرة فرفع له الكرة فما يخطئها بنشابة فالتقيا فضربه زهرة فجد له ولزهرة يومئذ ذؤابة وقد سود في الجاهلية وحسن بلاؤه في الاسلام وسابقة وهو يومئذ شاب فتدرع زهرة ما كان على الجالنوس فيبلغ بضعة وسبعين ألفا فلما رجع إلى سعد نزع سلبه وقال ألا انتظرت اذني وتكاتبا فكتب عمر إلى سعد تعمد إلى مثل زهرة وقد صلى بمثل ما صلى به وقد بقى عليك من حريك ما بقى تكسر قرنه وتفسد قلبه امض له سلبه وفضله على أصحابه عند العطاء بخمسمائة * وعن سيف عن عبيد عن عصمة قال كتب عمر إلى سعد أنا أعلم بزهرة منك وإن زهرة لم يكن ليغيب من سلب سلبه شيئا فإن كان الذي سعى به إليك كاذبا فلقاه الله مثل زهرة في

عضديه يارقان وإنى قد نفلت كل من قتل رجلا سلبه فدفعه إليه
فباعه بسبعين ألفا * وعن سيف عن عبيدة عن إبراهيم وعامر أن

[٧٢]

أهل البلاء يوم القادسية فضلوا عند العطاء بخمسائة خمسمائة
في أعطياتهم خمسة وعشرين رجلا منهم زهرة وعصمة الضبي
والكلج وأما أهل الايام فإنه فرض لهم على ثلاثة آلاف فضلوا على
أهل القادسية * وعن سيف عن عبيدة عن يزيد الضخم قال فقبل
لعمرو لو ألحقت بهم أهل القادسية فقال لم أكن لألحق بهم من لم
يدركهم وقيل له في أهل القادسية لو فضلت من بعدت داره على ما
قاتلهم بفنائهم قال وكيف أفضلهم عليهم على بعد دارهم وهم شجن
العد وما سويت بينهم حتى استطبتهم فهلا فعل المهاجرين بالانصار
إذ قاتلوا بفنائهم مثل هذا * وعن سيف عن المجالد عن الشعبي
وسعيد بن المرزبان عن رجل من بني عيس قال لما زال رستم عن
مكانه ركب بغلا فلما دنا منه هلال نزع له نشابة فأصاب قدمه
فشكها في الركاب وقال بيايه فأقبل عليه هلال فزلق فدخل تحت
البغل فلما لم يصل إليه قطع عليه المال ثم نزل إليه ففلق هامته *
وعن سيف عن عبيدة عن شقيق قال حملنا على الاعاجم يوم
القادسية حملة رجل واحد فهزمهم الله فلقد رأيتني أشرت إلى
إسوار منهم فجاء إلى وعليه السلاح التام فضربت عنقه ثم أخذت ما
كان عليه * وعن سيف عن سعيد بن المرزبان عن رجل من بني
عيس قال أصاب أهل فارس يومئذ بعد ما انهزموا ما أصاب الناس
قبلهم قتلوا حتى إن كان الرجل من المسلمين ليدعو الرجل منهم
فيأتيه حتى يقوم بين يديه فيضرب عنقه وحتى إنه ليأخذ سلاحه
فيقتله به وحتى إنه ليأمر الرجلين أحدهما بصاحبه وكذلك في العدة
* وعن سيف عن يونس بن أبي اسحاق عن أبيه عن شهدائها قال
أبصر سلمان ابن ربيعة الباهلي أناسا من الاعاجم تحت راية لهم قد
حفرها لها وجلسوا تحتها وقالوا لا نبرح حتى نموت فحمل عليهم
فقتل من كان تحتها وسلبهم وكان سلمان فارس الناس يوم
القادسية وكان أحد الذين مالوا بعد الهزيمة على من ثبت والآخر
عبدالرحمن بن ربيعة ذو النور ومال على آخرين قد تكتبوا ونصبوا
للمسلمين فطحنهم بخيله * وعن سيف عن الغصن عن القاسم عن
البهلي أن الشعبي قال كان يقال لسلمان أبصر بالمفاصل من الجازر
بمفاصل الجزوز فكان موضع المحبس

[٧٣]

اليوم دار عبدالرحمن بن ربيعة والتي بينها وبين دار المختار دار
سلمان وأن الاشعث ابن قيس استقطع فناء كان قدامها هو اليوم
في دار المختار فأقطعه فقال له ما جراك علي يا أشعث والله لئن
حزتها لأضربك بالجنثى يعني سيفه فانظر ما يبقى منك بعد فصدف
عنها ولم يتعرض لها * وعن سيف عن المهلب ومحمد وطلحة
وأصحابه قالوا وثبت بعد الهزيمة بضع وثلاثون كتيبة استفتلوا وامتحيوا
من الفرار فأبادهم الله فصمد لهم بضعة وثلاثون من رؤساء
المسلمين ولم يتبعوا فالة القوم فصمد سلمان بن ربيعة لكتيبة وعبد
الرحمن بن ربيعة ذو النور لآخرى فصمد لكل كتيبة منها رأس من
رؤساء المسلمين وكان قتال أهل هذه الكتائب من أهل فارس على
وجهين فمنهم من كذب فهرب ومنهم من ثبت حتى قتل فكان ممن
هرب من أمراء تلك الكتائب الهرمزان وكان بإزاء عطارذ واهود وكان
بإزاء حنظلة ابن الربيع وهو كاتب النبي صلى الله عليه وسلم وزاد بن
بهيش وكان بإزاء عاصم ابن عمرو وفارن وكان بإزاء القعقاع بن عمرو
وكان ممن استقتل شهريار بن كنارا وكان بإزاء سلمان وابن الهرزد

وكان يازاء عبدالرحمن والفرخان الاهوازي وكان يازاء بسر بن أبي رهم الجهني وخسرو شنوم الهمذاني وكان يحياي ابن الهذيل الكاهلي ثم إن سعدا اتبع بعد ذلك القعقاع وشرحبيل من صوب في هزيمته أو سعد عن العسكر واتبع زهرة بن الحوية الجالوس ذكر حديث ابن إسحاق (قال أبو جعفر الطبري رحمه الله) رجع الحديث إلى حديث ابن إسحاق قال ومات المثني بن حارثة وتزوج سعد بن أبي وقاص امرأته سلمى ابنة خصفة وذلك في سنة أربعة عشر وأقام تلك الحجة للناس عمر بن الخطاب ودخل أبو عبيدة ابن الجراح تلك السنة دمشق فشتا بها فلما أصافت الروم سار هرقل في الروم حتى نزل أنطاكية ومعه من المستعربة لخم وجذام ويقين وبلبي وعاملة وتلك القبائل من قضاة وغسان وبشر كثير ومعه من أهل أرمينية مثل ذلك فلما نزلها أقام بها

[٧٤]

وبعث الصقلار خصيا له فسار بمائة ألف مقاتل معه من أهل أرمينية اثنا عشر ألفا عليهم جرحة ومعه من المستعربة من غسان وتلك القبائل من قضاة اثنا عشر ألفا عليهم جبلة بن الايهم الغساني وسائرهم من الروم وعلي جماعة الناس الصقلار خصي هرقل وسار إليهم المسلمون وهو أربعة وعشرون ألفا عليهم أبو عبيدة ابن الجراح فالتقوا باليرموك في رجب سنة خمسة عشر فاقتتل الناس قتالا شديدا حتى دخل عسكر المسلمين وقاتل نساء من نساء قريش بالسيوف حين دخل العسكر منهن أم حكيم بنت الحارث بن هشام حتى سابقن الرجال وقد كان انضم إلى المسلمين حين ساروا إلى الروم ناس من لخم وجذام فلما رأوا جد القتال فروا ونجوا إلى ما كان قريبهم من القرى وخذلوا المسلمين * حدثنا ابن حميد قال حدثنا سلمة عن محمد بن إسحاق عن يحيى بن عروة بن الزبير عن أبيه قال قال قائل من المسلمين حين رأى من لخم وجذام ما رأى القوم لخم وجذام في الهرب * ونحن والروم بمرج نضطرب فإن يعودوا بعدها لا نصطحب * حدثنا ابن حميد قال حدثنا سلمة عن ابن إسحاق عن وهب بن كيسان عن عبدالله ابن الزبير قال كنت مع أبي الزبير عام اليرموك فلما تعبي المسلمون للقتال ليس الزبير لامته ثم جلس على فرسه ثم قال لموليين له احبسا عبدالله بن الزبير معكما في الرجل فإنه غلام صغير قال ثم توجه فدخل في الناس فلما اقتتل الناس والروم نظرت إلى ناس وقوف على تل لا يقاتلون مع الناس قال فأخذت فرسا للزبير كان خلفه في الرجل فركبته ثم ذهبت إلى أولئك الناس فوقففت معهم فقلت انظر ما يصنع الناس فإذا أبو سفيان بن حرب في مشيخة من قريش من مهاجرة الفتح وقوفا لا يقاتلون فلما رأوني وأوا غلاما حدثا فلم يتقوني قال فجعلوا والله إذا مال المسلمون وركبتهم الجرب للروم يقولون إيه إيه بلاصفر فإذا مالت الروم وركبتهم المسلمون قالوا يا ويح بلاصفر فجعلت أعجب من قولهم فلما هزم الله الروم ورجع الزبير جعلت أحدثه خبرهم قال فجعل يضحك ويقول قاتلهم الله

[٧٥]

أبوا إلا ضغنا وماذا لهم إن يظهر علينا الروم لنحن خير لهم منهم ثم إن الله تبارك وتعالى أنزل نصره فهزمت الروم وجموع هرقل التي جمع فأصيب من الروم أهل أرمينية والمستعربة سبعون ألفا وقتل الله الصقلار وباهان وقد كان هرقل قدمه مع الصقلار حين لحق به فلما هزمت الروم بعث أبو عبيدة عياض بن غنم في طلبهم فسلك الاعماق حتى بلغ ملطية فصالحه أهلها على الجزية ثم انصرف ولما سمع هرقل بذلك بعث إلى مقاتلتها ومن فيها فساقهم إليه وأمر

بملطية فحرقته وقتل من المسلمين يوم اليرموك من قريش من بني أمية بن عبد شمس عمرو بن سعيد بن العاصي وأبان بن سعيد بن العاصي ومن بني مخزوم عبدالله بن سفيان بن عبد الأسد ومن بني سهم سعيد بن الحارث بن قيس قال وفي آخر سنة خمسة عشرة قتل الله رستم بالعراق وشهد أهل اليرموك حين فرغوا منه يوم القادسية مع سعد بن أبي وقاص وذلك أن سعدا حين حسر عنه الشتاء سار من شراف يريد القادسية فسمع به رستم فخرج إليه بنفسه فلما سمع بذلك سعد وقف وكتب إلى عمر يستمده فبعث إليه عمر المغيرة بن شعبة الثقفي في أربع مائة رجل مددا من المدينة وأمد بقيس ابن مكشوح المرادي في سبعمائة فقدموا عليه من اليرموك وكتب إلى أبي عبيدة أن أمد سعد بن أبي وقاص أمير العراق بألف رجل من عندك ففعل أبو عبيدة وأمر عليهم عياض بن غنم الفهري وأقام تلك الحجة للناس عمر بن الخطاب سنة خمسة عشرة وقد كان لكسرى مرابطة في قصر بني مقاتل عليها النعمان بن قبيصة وهو ابن حية الطائي ابن عم قبيصة بن إياس بن حية الطائي صاحب الحيرة فكان في منظره له فلما سمع بسعد بن أبي وقاص سأل عنه عبدالله بن سنان بن جرير الاسدي ثم الصيداوي فقبل له رجل من قريش فقال أما إذ كان قرشيا فليس بشيء والله لاجاهدنه القتال إنما قريش عبيد من غلب والله ما يمتعون خفيرا ولا يخرجون من بلادهم إلا بخفير فغضب حين قال ذلك عبدالله بن سنان الاسدي فأمهله حتى إذا دخل عليه وهو نائم فوضع الرمح بين كتفيه فقتله ثم لحق بسعد فأسلم وقال في قتله النعمان بن قبيصة

لقد غادر الاقوام ليلة أدلجوا * بقصر العبادي ذا الفعال مجدلا دلفت له تحت العجاج بطعنة * فأصبح منها في النجيع مرملا أقول له والرمح في نغض كتفه * أبا عامر عنك اليمين تحللا سقيت بها النعمان كأسا روية * وعاطيته بالرمح سما مثملا تركت سباع الجو يعرفن حوله * وقد كان عنها لابن حية معزلا كفيت قريشا إذ تغيب جمعها * وهدمت للنعمان عزا مؤثلا ولما لحق سعد بن أبي وقاص المغيرة بن شعبة وقيس بن مكشوح فيمن معهما سار إلى رستم حين سمع به حتى نزل قادس قرية إلى جانب العذيب فنزل الناس بها ونزل سعد في قصر العذيب وأقبل رستم في جموع فارس ستين ألفا مما أحصى لنا في ديوانه سوى التابع والرقيق حتى نزل القادسية وبينه وبين الناس العتيق جسر القادسية وسعد في منزله وجع قد خرج به قرح شديد ومعه أبو محجن بن حبيب الثقفي محبوس في القصر حبسه في شرب الخمر فلما أن نزل بهم رستم إليهم أن ابعثوا إلي رجلا منكم جليدا أكلمه فبعثوا إليه المغيرة بن شعبة فجاءه وقد فرق رأسه أربع فرق فرقة بين يديه إلى ففاه وفرقة إلى أذنيه ثم عقص شعره وليس بردا له ثم أقبل حتى انتهى إلى رستم ورستم من وراء الجسر العتيق مما يلي العراق والمسلمون من ناحيته الأخرى مما يلي الحجاز فيما بين القادسية والعذيب فكلمه رستم فقال إنكم معشر العرب كنتم أهل شقاء وجهد وكنتم تأتوننا من بين تاجر وأجير ووافد فأكلتم من طعامنا وشربتم من شرابنا واستظللتم من ظلالنا فذهبتكم فدعوتكم أصحابكم ثم أتيتمونا بهم وإنما مثلكم مثل رجل كان له حائط من عنب فرأى فيه ثعلبا واحدا فقال ما ثعلب واحد فانطلق الثعلب فدعا الثعلب إلى الحائط فلما اجتمعن فيه جاء الرجل فسد الحجر الذي دخلن منه ثم قتلن جميعا وقد أعلم أن الذي حملكم على هذا معشر العرب الجهد الذي قد أصابكم فارجعوا عنا عامكم هذا فانكم قد شغلتمونا عن عمارة بلادنا وعن عدونا ونحن نوفر لكم ركائبكم قمحا وتمرا ونامر لكم بكسوة فارجعوا عنا عافاكم الله فقال المغيرة

ابن شعبة لا تذكر لنا جهدا إلا وقد كنا في مثله أو أشد منه أفضلنا في أنفسنا عيشا الذي يقتل ابن عمه ويأخذ ماله فيأكله ناكل الميتة والدم والعظام فلم نزل كذلك حتى بعث الله فينا نبيا وأنزل عليه الكتاب فدعانا إلى الله وإلى ما بعثه به فصدقنا وكذبنا منا آخر فقاتل من صدقه من كذبه حتى دخلنا في دينه من بين موقن به وبين مقهور حين استبان لنا أنه صادق وأنه رسول من عند الله فأمرنا أن نقاتل من خالفنا وأخبرنا أن من قتل منا على دينه فله الجنة ومن عاش ملك وظهر على من خالفه فنحن ندعوك إلى أن تؤمن بالله ورسوله وتدخل في ديننا فإن فعلت كانت لك بلادك لا يدخل عليك فيها إلا من أحببت وعليك الزكاة والخمس وإن أبيت ذلك فالجزية وإن أبيت ذلك قاتلتناك حتى يحكم الله بيننا وبينك قال له رستم ما كنت أظن أني أعيش حتى أسمع منكم هذا معشر العرب لا أمسى غدا حتى أفرغ منكم وأقتلكم كلكم ثم أمر بالعتيق أن يسكر فبات ليلته يسكر بالزرع والتراب والقصب حتى أصبح وقد تركه طريقا مهيبا وتعبي له المسلمون فجعل سعد على جماعة الناس خالد بن عرفة حليف بني أمية بن عبد شمس وجعل على ميمنة الناس جرير بن عبدالله البجلي وجعل على ميسرتهم قيس بن المكشوح المرادي ثم زحف إليهم رستم وزحف إليه المسلمون وما عامة جنهم فما حدثنا ابن حميد قال حدثنا سلمة عن محمد بن إسحاق عن عبدالله بن أبي بكر غير برادع الرجال قد عرضوا فيها الجريد يترسون بها عن أنفسهم وما عامة ما وضعوه على رؤوسهم إلا أنساع الرجال يطوى الرجل نسع رحله على رأسه يتقى به والفرس فيما بينهم من الحديد والبيلامق فاقتلوا قتالا شديدا وسعد في القصر ينظر معه سلمى بنت خصفة وكانت قبله عند المثنى بن حارثة فجالت الخيل فرعبت سلمى حين رأت الخيل فقالت وامثياه ولا مثنى لي اليوم فغار سعد فلطم وجهها فقالت أغيرة وجينا فلما رأى أبو محجن ما تصنع الخيل حيث جالت وهو ينظر من قصر العذيب وكان مع سعد فيه قال كفى حزنا أن تردى الخيل بالقنا * وأترك مشدودا علي وثاقيا إذا قمت عناني الحديد وأعلقت * مصاريع دوني لا تجيب المناديا

وقد كنت ذا مال كثير وإخوة * فقد تركوني واحدا إلا أخا ليا فكلم زبراء أم ولد سعد وكان عندها محبوبا وسعد في رأس الحصن ينظر إلى الناس فقال يا زبراء أطلقيني ولك علي عهد الله وميثاقه لئن لم أقتل لأرجعن إليك حتى تجعلني الحديد في رجلي فأطلقته وحملته على فرس لسعد بلقاء وختل سبيله فجعل يشد على العدو وسعد ينظر فجعل سعد يعرف فرسه وينكرها فلما أن فرغوا من القتال وهزم الله جموع فاوس رجع أبو محجن إلى زبراء فأدخل رحله في قيده فلما نزل سعد من رأس الحصن رأى فرسه تعرف فعرف أنها قد ركبت فسأل عن ذلك زبراء فأخبرته خبر أبي محجن فخلى سبيله * حدثنا ابن حميد قال حدثنا سلمة قال حدثنا محمد بن إسحاق قال وقد كان عمرو بن معديكرب شهد القادسية مع المسلمين * حدثنا ابن حميد قال حدثنا سلمة عن ابن إسحاق عن عبد الرحمن بن الأسود النخعي عن أبيه قال شهدت القادسية فلقد رأيت غلاما منا من النخع يسوق ستين أو ثمانين رجلا من أبناء الأحرار فقلت لقد أذل الله أبناء الأحرار * حدثنا ابن حميد قال حدثنا سلمة عن محمد بن إسحاق عن اسماعيل بن أبي خالد مولى بجيلة عن قيس ابن أبي حازم البجلي وكان ممن شهد القادسية مع المسلمين قال كان معنا يوم القادسية رجل من ثقف فلحق بالفرس مرتدا فأخبرهم أن بأس الناس في الجانب الذي به بجيلة قال وكنا ربع الناس فوجهوا إلينا ستة عشر فيلا وإلى سائر الناس فيلين وجعلوا يلقون تحت أرجل خيولنا حسك الحديد ويرشقوننا بالنشاب فكانه المطر علينا وقرنوا

خيلهم بعضها إلى بعض لئلا يفروا قال وكان عمرو بن معديكرب يمر بنا فيقول يا معشر المهاجرين كونوا أسودا فإنما الأسد من أغنى شأنه فإنما الفارسي تيس إذا ألقى نيزكه قال وكان إسوار منهم لا يكاد تسقط له نشابة فقلنا له يا أبا ثور اتق ذلك الفارسي فإنه لا تقع له نشابة فتوجه إليه ورماه الفارسي بنشابة فأصاب قوسه وحمل عليه عمرو فاعتنقه فذبحه واستليه سوارين من ذهب ومنطقة من ذهب ويلمقا من ديباج وقتل الله رستم وأفاء على المسلمين عسكره وما فيه وإنما المسلمون ستة آلاف أو سبعة آلاف وكان الذي قتل رستم هلال

[٧٩]

ابن علفة التيمي رآه فتوجه إليه فرماه رستم بنشابة فأصاب قدمه وهو يتبعه فشكها إلى ركاب سرجه رستم يقول بالفارسية بيايه أي كما أنت وحمل عليه هلال بن علفة فضربه فقتله ثم أحتز رأسه فعلقه وولت الفرس فأتبعهم المسلمون يقتلونهم فلما بلغت الفرس الحرارة نزلوا فشربوا من الخمر وطعموا من الطعام ثم خرجوا يتعجبون من رميهم وأنه لم يعمل في العرب وخرج جالنوس فرفعوا له كرة فهو يرميها ويشكها بالنشاب ولحق بهم فرسان من المسلمين وهم هنالك فشد على جالنوس زهرة بن حوية التيمي فقتله وانهمزت الفرس فلحقوا بدير قره وما وراءه ونهض سعد بالمسلمين حتى نزل بدير قره على من هنالك من الفرس وقد قدم عليهم وهم بدير قره عياض بن غنم في مدده من أهل الشام وهم ألف رجل فأسهم له سعد ولأصحابه مع المسلمين فيما أصابوا بالقادسية وسعد وجع من قرحته تلك وقال جرير بن عبدالله أنا جرير كنيته أبو عمر * قد نصر الله وسعد في القصر وقال رجل من المسلمين أيضا نقاتل حتى أنزل الله نصره * وسعد باب القادسية معصم فأبنا وقد أمت نساء كثيرة * ونسوة سعد ليس فيهم أيم قال ولما بلغ ذلك من قولهما سعدا خرج إلى الناس فاعتذر إليهم وأراههم ما به من القرع في فخذه وأليته فعذره الناس ولم يكن سعد لعمري يجبن فقال سعد يجيب جريرا فيما قال وما أرجو بجيلة غير أنى * أوئل أجرهم يوم الحساب فقد لقيت خيولهم خيولا * وقد وقع الفوارس في ضراب وقد دلفت بعرضتهم فيول * كان زهاءها إبل جراب ثم إن الفرس هربت من دبرقرة إلى المدائن يريدون نهاوند واحتملوا معهم الذهب والفضة والديباج والفرند والحريز والسلاح وثياب كسرى وبناته خلوا ما سوى ذلك وأتبعهم سعد الطلب من المسلمين فبعث خالد بن عرفة حليف بني

[٨٠]

أمية ووجه معه عياض بن غنم في أصحابه وجعل على مقدمة الناس هاشم بن عتبة ابن أبي وقاص وعلى ميمنتهم جرير بن عبدالله البجلي وعلى ميسرتهم زهرة بن حوية التيمي وتخلف سعد لما به من الوجع فلما أفرق سعد من وجعه ذلك أتبع الناس بمن بقى معه من المسلمين حتى أدركهم دون دجلة على بهرسيير فلما وضعوا على دجلة العسكر والاتقال طلبوا المخاضة فلم يهتدوا لها حتى أتى سعدا عالج من أهل المدائن فقال أدلكم على طريق تدركونهم قبل أن يمعتوا في السير فخرج بهم على مخاضة بقطربل فكان أول من خاض المخاضة هاشم بن عتبة في رحله فلما جاز اتبعته خيله ثم أجاز خالد بن عرفة بخيلة ثم أجاز عياض بن غنم بخيله ثم تتابع الناس فحاضوا حتى أجازوا فرعموا أنه لم يهتد لتلك المخاضة بعد ثم ساروا حتى انتهوا إلى مظلم ساباط فأشفق الناس أن يكون به كمين للعدو فتردد الناس وجبنوا عنه فكان أول من دخله

بجيشه هاشم بن عتبة فلما أجاز ألاح للناس بسيفه فعرف الناس أن ليس به شئ تخافونه فأجاز بهم خالد بن عرفطة ثم لحق سعد بالناس حتى انتهوا إلى جلولاء وبها جماعة من الفرس فكانت وقعة جلولاء بها فهزم الله الفرس وأصاب المسلمون بها من الفئ أفضل مما أصابوا بالقادسية وأصيب ابنة لكسرى يقال لها منجاة ويقال بل ابنة ابنه وقال شاعر من المسلمين يا رب مهر حسن مطهم * يحمل أثقال الغلام المسلم ينجو إلى الرحمن من جهنم * يوم جلولاء ويوم رستم ويوم زحف الكوفة المقدم * ويوم لاقى ضيقة مهزم وخر دين الكافرين للغم ثم كتب سعد إلى عمر بما فتح الله على المسلمين فكتب إليه عمر أن قف ولا تطلبوا غير ذلك فكتب إليه سعد أيضا إنما هي سرية أدركناها والارض بين أيدينا فكتب إليه عمر أن قف مكانك ولا تتبعهم واتخذ للمسلمين دار جهرة ومنزل جهاد ولا تجعل بيني وبين المسلمين بحرا فنزل سعد بالناس الانبار فاجتووها وأصابتهم بها الحمى فلم توافقهم فكتب سعد إلى عمر يخبره بذلك فكتب إلى

[٨١]

سعد أنه لا تصلح العرب الا حيث يصلح البعير والشاة في منابت العشب فانظر فلاة في جنب البحر فارتد للمسلمين بها منزلا قال فسار سعد حتى نزل كويبة عمر بن سعد فلم توافق الناس مع الذباب والحمى فبعث سعد رجلا من الانصار يقال له الحارث بن سلمة ويقال بل عثمان بن حنيف أخا بني عمرو بن عوف فارتاد لهم موضع الكوفة اليوم فنزلها سعد بالناس وخط مسجدها وخط فيها الخطط للناس وقد كان عمر بن الخطاب خرج في تلك السنة إلى الشام فنزل الجابية وفتحت عليه إيلياء مدينة بيت المقدس وبعث فيها أبو عبيدة بن الجراح حنظلة بن الطفيل السلمي إلى حمص ففتحها الله على يديه واستعمل سعد بن أبي وقاص على المدائن رجلا من كندة يقال له شرحبيل بن السمط وهو الذي يقول فيه الشاعر ألا ليتني والمرء سعد بن مالك * وزبراء وابن السمط في لجة البحر ذكر أحوال أهل السواد (كتب إلى السري) عن شعيب عن سيف عن عبد الملك بن عمير عن قبيصة ابن جابر قال قال رجل منا يوم القادسية مع الفتح نقاتل حتى أنزل الله نصره * وسعد بباب القادسية معصم فأبنا وقد أمت نساء كثيرة * ونسوة سعد ليس فيهن أيم فبعث بها في الناس فبلغت سعدا فقال اللهم إن كان كاذبا أو قال الذي قال رباء وسمعة وكذبا فاقطع عني لسانه ويده وقال قبيصة فوالله إنه لواقف بين الصفين يومئذ إذ أقبلت نشابة لدعوة سعد حتى وقعت في لسانه فبيس شقه فما تكلم بكلمة حتى لحق بالله (كتب إلى السري) عن شعيب عن سيف عن المقدم بن شريح الحارثي عن أبيه قال قال جرير يومئذ أنا جرير كنيته أبو عمرو * قد نصر الله وسعد في القصر فأشرف عليه سعد فقال وما أرجوا بجيلة غير أنى * أو مل أجرها يوم الحساب

[٨٢]

وقد لقيت خيولهم خيولا * وقد وقع الفوارس في الضراب فلولا جمع قعقاع بن عمرو * حمال للجوا في الكذاب هم متعوا جموعكم بطعن * وضرب مثل تشقيق الالهاب ولولا ذاك ألفتهم رعاغا * تشل جموعكم مثل الذباب (كتب إلى السري) عن شعيب عن سيف عن القاسم بن سليم بن عبد الرحمن السعدي عن عثمان بن رجاء السعدي قال كان سعد بن مالك أجرا الناس وأشجعهم انه نزل قسرا غير حصين بين الصفين فأشرف منه على الناس ولو أعراه الصف فوافق ناقة أخذ برمته فوالله ما أكرته هول تلك الايام ولا أقلفه (كتب إلى السري) عن شعيب عن سيف عن سليمان بن بشير عن أم

كثير امرأة همام بن الحارث النخعي قالت شهدنا القادسية مع سعد مع أزواجنا فلما أتانا أن قد فرغ من الناس شددنا علينا ثيابنا وأخذنا الهراوي ثم أتينا القتلى فما كان من المسلمين سقيناه ورفعناه وما كان من المشركين أجهزنا عليه وتبعنا الصبيان نوليهم ذلك ونصرفهم به (كتب إلى السري) عن شعيب عن سيف عن عطية وهو ابن الحارث عن أدرك ذلك قال لم يكن من قبائل العرب أحد أكثر امرأة يوم القادسية من بجيلة والنخع وكان في النخع سبعمائة امرأة فارغة وفي بجيلة ألف فصاهر هؤلاء ألف من أحياء العرب وهؤلاء سبعمائة وكانت النخع تسمى أصهار المهاجرين وبجيلة وإنما جراًهم على الانتقال بأنقالهم توطئة خالد والمثنى بعد خالد وأبي عبيدة بعد المثنى وأهل الأيام فلاقوا بأسا بعد ذلك شديدا (كتب إلى السري) عن شعيب عن سيف عن محمد والمهلب وطلحة قالوا وكان بكير بن عبدالله الليثي وعتيبة بن فرقد السلمى وسماك بن خرشة الانصاري وليس بأبي دجاجة قد خطبوا امرأة يوم القادسية وكان مع الناس نساءهم وكانت مع النخع سبعمائة امرأة فارغة وكانوا يسمون أختان المهاجرين حتى كان قريبا فتزوجهن المهاجرون قبل الفتح وبعد الفتح حتى استوعبوهن فصار اليهن سبعمائة رجل من الافناء فلما فرغ الناس خطب هؤلاء النفر هذه المرأة وهي أروى ابنة عامر الهلالية هلال النخع وكانت أختها هنيذة تحت القعقاع بن عمرو التميمي

[٨٣]

فقال لاختها استشيرى زوجك أيهم يراه لنا ففعلت وذلك بعد الواقعة وهم بالقادسية فقال القعقاع سأصفهم في الشعر فانظري لاختك وقال إن كنت حاولت الدراهم فانكحي * سماكا أبا الانصار أو ابن فرقد وإن كنت حاولت الطعان فيممي * بكيرا إذا ما الخيل جالت عن الردى وكلهم في ذروة المجد نازل * فشأنكم إن البيان عن الغد وقالوا وكانت العرب توقع وقعة العرب وأهل فارس في القادسية فيما بين العذيب إلى عدن أبين وفيما بين الابله وأبله يرون أن ثبات ملكهم وزواله بها وكانت في كل بلد مصيخة إليها تنظر ما يكون من أمرها حتى إن كان الرجل ليريد الأمر فيقول لا أنظر فيه حتى أنظر ما يكون من أمر القادسية فلما كانت وقعة القادسية سارت بها الجن فأتت بها ناسا من الانس فسبقت أخبار الانس إليهم قالوا فبدرت امرأة ليلا على جبل بصنعاء لا يدري من هي وهي تقول حبيت عنا عكرم ابنة خالد * وما خير زاد بالقليل المصرد وحيثك عنى الشمس عند طلوعها * وحياتك عنى كل ناج مفرد وحيثك عنى عصبة نخعية * حسان الوجوه آمنوا بمحمد أقاموا لكسرى يضربون جنوده * بكل رقيق الشفرتين مهند إذا ثوب الداعي أناخوا بكلل * من الموت تسود الغياطل مجرد وسمع أهل اليمامة مجتازا يغنى بهذه الابيات وجدنا الاكثرين بني تميم * غداة الروع أصبرهم رجالا هم ساروا بأرعن مكفهر * إلى لجب فزرتهم رعالا بحور للاكاسر من رجال * كاسد الغاب تحسبهم جبالا تركن لهم بقادس عز فخر * وبالخيفين أياما طوالا مقطعة أكفهم وسوق * بمردى حيث قابلت الرجالا قال وسمع بنحو ذلك في عامة بلاد العرب (كتب إلى السري) عن شعيب عن سيف عن محمد والمهلب وطلحة قالوا وكتب سعد بالفتح وبعده من قتلوا

[٨٤]

وبعدة من أصيب من المسلمين وسمى لعمر من يعرف مع سعد بن عميلة الفزاري وشاركهم النضر بن السري عن ابن الرفيل بن ميسور وكان كتابه أما بعد فان الله نصرنا على أهل فارس ومنحهم سنن من كان قبلهم من أهل دينهم بعد قتال طويل وزلزال شديد وقد لقوا

المسلمين بعدة لم ير الراؤن مثل زهائها فلم ينفعهم الله بذلك بل سلبهموه ونقله عنهم إلى المسلمين واتبعهم المسلمون على الانهار وعلى طفوف الآجام وفي الفجاج وأصيب من المسلمين سعد بن عبيد القارئ وفلان وفلان ورجال من المسلمين لا نعلمهم الله بهم عالم كانوا يذوون بالقرآن إذا جن عليهم الليل دوى النحل وهم أساد الناس لا يشبههم الاسود ولم يفضل من مضى منهم من بقى إلا بفضل الشهادة إذ لم يكتب لهم (كتب إلى السري) عن شعيب عن سيف عن مجالد بن سعيد قال لما أتى عمر بن الخطاب نزول رستم القادسية كان يستخبر الركبان عن أهل القادسية من حين يصبح إلى انتصاف النهار ثم يرجع إلى أهله ومنزله قال فلما لقي البشير سأله من أين فأخبره قال يا عبد الله حدثني قال هزم الله العدو وعمر يخب معه ويستخبره والآخر يسير على ناقته ولا يعرفه حتى دخل المدينة فإذا الناس يسلمون عليه بإمرة المؤمنين فقال الرجل فهلا أخبرتني رحمك الله إنك أمير المؤمنين وجعل عمر يقول لا عليك يا أخي (كتب إلى السري) عن شعيب عن سيف عن محمد وطلحة والمهلب وزباد قالوا وأقام المسلمون في انتظار بلوغ البشير وأمر عمر يقيمون أقباضهم ويحزرون جندهم ويرمون أمورهم قالوا وتتابع أهل العراق من أصحاب الايام الذين شهدوا اليرموك ودمشق ورجعوا ممدنين لاهل القادسية فتوافوا بالقادسية من الغد ومن بعد الغد وجاء أولهم يوم أعواث وأخرهم من بعد الغد من يوم الفتح وقدمت أمداد فيها مراد وهمدان ومن أفناء الناس فكتبوا فيهم إلى عمر يسألونه عما ينبغي أن يسار به فيهم وهذا الكتاب الثاني بعد الفتح مع نذير بن عمرو ولما أتى عمر الفتح قام في الناس فقرا عليهم الفتح وقال إنى حريص على أن لا أدع حاجة إلا سدتها ما اتسع بعضنا لبعض فإذا عجز ذلك عنا تأسينا في عيشنا حتى نستوي

في الكفاف ولوددت أنكم علمتم من نفسي مثل الذي وقع فيها لكم ولست معلمكم إلا بالعمل إنى والله ما أنا بملك فأستعبدكم وإنما أنا عبدالله عرض علي الامانة فإن آبيتها ورددتها عليكم وأتبعتم حتى تشبعوا في بيوتكم وترووا سعادت وإن أنا حملتها واستتبعتمك إلى بيتي شقيت ففرحت قليلا وحزنت طويلا وبقيت لا أقال ؟ ولا أرد فأستعقب قالوا وكتبوا إلى عمر مع أنس بن الحليس أن أقواما من أهل السواد ادعوا عهدا ولم يقيم علي عهد أهل الايام لنا ولم يف به أحد علمناه إلا أهل بانيقا وبسما وأهل أليس الآخرة وادعى أهل السواد أن فارس أكرهوهم وحشروهم فلم يخالفوا إلينا ولم يذهبوا في الارض وكتب مع أبي الهياج الاسدي يعني ابن مالك أن أهل السواد جلوا فجاءنا من أمسك بعهدة ولم يجلب علينا فتممنا لهم ما كان بين المسلمين قبلنا وبينهم وزعموا أن أهل السواد قد لحقوا بالمدائن فأحدث إلينا فيمن تم وفيمن جلا وفيمن ادعى أنه استكره وحشر فهرب ولم يقاتل أو استسلم فانا بأرض رغبة في الارض خلاء من أهلها وعدنا قليل وقد كثر أهل صلحنا وإن أعمر لها وأوهن لعدونا تألفهم فقام عمر في الناس فقال إنه من يعمل بالهوى والمعصية يسقط حظه ولا يضر إلا نفسه ومن يتبع السنة وبيته إلى الشرائع ويلزم السبيل النهج ابتغاء ما عند الله لاهل الطاعة أصاب أمره وظفر بحظه وذلك بأن الله عزوجل يقول (ووجدوا ما عملوا حاضرا ولا يظلم ربك أحدا) وقد ظفر أهل الايام والقوادس بما يليهم وجلا أهله وأتاهم من أقام على عهدهم فما رأيكم فيمن زعم أنه استكره وحشر وفيمن لم يدع ذلك ولم يقيم وجلا وفيمن أقام ولم يدع شيئا ولم يجلب وفيمن استسلم فأجمعوا على أن الوفاء لمن أقام وكف لم يزه غلبه الا خيرا وأن من ادعى فصدق أو وفى فيمنزلتهم وإن كذب نبذ إليهم وأعادوا صلحهم وأن يجعل أمر من جلا إليهم فإن شأوا وادعوهم وكانوا لهم على ذمة وإن شأوا تموا على منعهم من

أرضهم ولم يعطوهم إلا القتال وأن يخيروا من أقام واستسلم الجزاء أو الجلاء وكذلك الفلاح وكتب جواب كتاب أنس ابن الحليس أما بعد فإن الله جل وعلا أنزل في كل شئ رخصة في

[٨٦]

بعض الحالات إلا في أمرين العدل في السيرة والذكر فأما الذكر فلا رخصة فيه في حالة ولم يرض منه إلا بالكثير وأما العدل فلا رخصة فيه في قريب ولا بعيد ولا في شدة ولا رخاء والعدل وإن روى لنا فهو أقوى وأطفاً للجور وأقمع للباطل من الجور وإن روى شديداً فهو أنكش للكفر فمن تم على عهده من أهل السواد ولم يعن عليكم بشئ فلهم الذمة وعليهم الجزية وأما من ادعى أنه استكره ممن لم يخالفهم إليكم أو يذهب في الأرض فلا تصدقوهم بما ادعوا من ذلك إلا أن تشاؤوا وإن لم تشاؤوا فابذ إليهم وأبلغوهم مأمئهم وأجابهم في كتاب أبي الهياج أما من أقام ولم يجلب وليس له عهد فلهم ما لاهل العهد بمقامهم لكم وكفهم عنكم إجابة وكذلك الفلاحون إذا فعلوا ذلك وكل من ادعى ذلك فصدق فلهم الذمة وإن كذبوا نبذ إليهم وأما من أعان وجلا فذلك أمر جعله الله لكم فإن شئتم فادعوهم إلى أن يقيموا لكم في أرضهم ولهم الذمة وعليهم الجزية وإن كرهوا ذلك فاقسموا ما أفاء الله عليكم منهم فلما قدمت كتب عمر على سعد بن مالك والمسلمين عرضوا على من يليهم ممن جلا وتنحى عن السواد أن يتراجعوا ولهم الذمة وعليهم الجزية فتراجعوا وصاروا ذمة كمن تم ولزم عهده إلا أن خراجهم أثقل فأنزّلوا من ادعى الاستكراه وهرب منزلتهم وعقدوا لهم وأنزلوا من أقام منزلة ذي العهد وكذلك الفلاحين ولم يدخلوا في الصلح ما كان لآل كسرى ولا ما كان لمن خرج معهم ولم يجبههم إلى واحدة من اثنتين الاسلام أو الجزاء فصارت فينا لمن أفاء الله عليه فهي والصوافي الاولى ملك لمن أفاء الله عليه وسائر السواد ذمة وأخذوهم بخراج كسرى وكان خراج كسرى على رؤس الرجال على ما في يد أيهم من الحصة والاموال وكان مما أفاء الله عليهم ما كان لآل كسرى ومن صوب معهم وعبال من قاتل معهم وماله وما كان لبيوت النيران والأجام ومستنقع المياه وما كان للسكك وما كان لآل كسرى فلم يثأت قسم ذلك الفئ الذي كان لآل كسرى ومن صوب معهم لأنه كان متفرقا في كل السواد فكان يليه لاهل الفئ من وثقوا به وتراضوا عليه فهو الذي يتداعاه أهل الفئ لاعظم السواد وكانت الولاية عند

[٨٧]

تنازعهم فيها تهاون بقسمة بينهم فذلك الذي شبه على الجهلة أمر السواد ولو أن الحلماء جامعوا السفهاء الذين سألوا الولاية قسمة لقسموه بينهم ولكن الحلماء أبوا فتايح الولاية الحلماء وترك قول السفهاء كذلك صنع على رحمه الله وكل من طلب إليه قسم ذلك وإنما تابع الحلماء وترك قول السفهاء وقالوا لئلا يضرب بعضهم وجوه بعض (كتب إلي السري) عن شعيب عن سيف عن محمد بن قيس عن عامر الشعبي قال قلت له السواد ما حاله قال أخذه عنوة وكذلك كل أرض إلا الحصون فجلا أهلها فدعوا إلى الصلح والذمة فأجابوا وتراجعوا فصاروا ذمة وعليهم الجزاء ولهم المنعة وذلك هو السنة كذلك صنع رسول الله صلى الله عليه وسلم بدومة وبقي ما كان لآل كسرى ومن خرج معهم فينا لمن أفاء الله عليه (كتب إلي السري) عن شعيب عن سيف عن طلحة وسفيان عن ماهان قالوا فتح الله السواد عنوة وكذلك كل أرض بينها وبين نهر بلخ إلا حصنا ودعوا إلى الصلح فصاروا ذمة وصارت لهم أرضهم ولم يدخلوا في ذلك أموال آل

كسرى ومن اتبعهم فصارت فينا لمن أفاء الله عليه ولا يكون شئ من الفتوح فينا حتى يقسم وهو قوله ما غنمتم من شئ مما اقتسمتم (كتب إلي السري) عن شعيب عن سيف عن إسماعيل بن مسلم عن الحسن بن أبي الحسن قال عامة ما أخذ المسلمون عنوة فدعاهم إلى الرجوع والذمة وعرضوا عليهم الجزاء فقبلوه ومنعواهم * وعن سيف عن عمرو بن محمد عن الشعبي قال قلت له إن أناسا يزعمون أن أهل السواد عبيد فقال فعلام يؤخذ الجزاء من العبيد أخذ السواد عنوة وكل أرض علمتها إلا حصنا في جبل أو نحوه فدعوا إلى الرجوع فرجعوا وقبل منهم الجزاء وصاروا ذمة وإنما يقسم من الغنائم ما تغنم فأما ما لم يغنم وأجاب أهله إلى الجزاء من قبل أن يتغنم فلهم حرت السنة بذلك (كتب إلي السري) عن شعيب عن سيف عن أبي ضمرة عن عبدالله بن المستورد عن محمد بن سيرين قال البلدان كلها أخذت عنوة إلا حصون قليلة عاهدوا قبل أن ينزلوا ثم دعوا يعني الذين أخذوا عنوة إلى الرجوع والجزاء فصاروا ذمة أهل السواد والجبل كله أمر لم يزل يصنع في أهل الفئ وإنما عمل عمر

[٨٨]

والمسلمون في هذا الجزاء والذمة على آخر ما عمل به رسول الله صلى الله عليه وسلم في ذلك وقد كان بعث خالد بن الوليد من تبوك إلى دومة الجندل فأخذها عنوة وأخذ ملكها أكيدر بن عبد الملك أسيرا فدعاه إلى الذمة والجزاء وقد أخذت بلاده عنوة وأخذ أسيرا وكذلك فعل بابني عريض وقد أخذوا فدعيا أنهما أوداؤه ففقد لهما على الجزاء والذمة وكذلك كان أمر يحنة بن ربيعة صاحب أيلة وليس المعمول به من الاشياء كرواية الخاصة من روى غير ما عمل به أئمة العدول المسلمون فقد كذب وطعن عليهم * وعن سيف عن حجاج الصواف عن مسلم مولى حذيفة قال تزوج المهاجرون والانصار في أهل السواد يعني في أهل الكتابين منهم ولو كانوا عبيدا لم يستحلوا ذلك ولم يحل لهم أن ينكحوا إماء أهل الكتاب لان الله تعالى يقول (ومن لم يستطع منكم طولا) الآية ولم يقل فتياهم من أهل الكتابين * وعن سيف عن عبدالملك بن أبي سليمان عن سعيد بن جبير قال بعث عمر بن الخطاب إلى حذيفة بعد ما ولاه المدائن وكثر المسلمات أنه بلغني أنك تزوجت امرأة من أهل المدائن من أهل الكتاب فطلقها فكتب إليه لا أفعل حتى تخبرني أحلال أم حرام وما أردت بذلك فكتب إليه لا بل حلال ولكن في نساء الاعاجم خلافة فان أقبلتم عليهن غلبنكم على نسائكم فقال الآن فطلقها (كتب إلي السري) عن شعيب عن سيف عن أشعث بن سوار عن أبي الزبير عن جابر قال شهدت القادسية مع سعد فتزوجنا نساء أهل الكتاب ونحن لا نجد كبير مسلمات فلما قفلنا فمنا من طلق ومنا من أمسك وعن سيف عن عبدالملك بن أبي سليمان عن سعيد بن جبير قال أخذ السواد عنوة فدعوا إلى الرجوع والجزاء فأجابوا إليه فصاروا ذمة إلا ما كان لآل كسرى وأتباعهم فصار فينا لاهله وهو الذي يتحجى أهل الكوفة إلى أن جهل ذلك فحسبوه السواد كله وأما سوادهم فذلك * وعن سيف عن المستنير بن يزيد عن ابراهيم بن يزيد النخعي قال أخذ السواد عنوة فدعوا إلى الرجوع فمن أجاب فعليه الجزية وله الذمة ومن أبى صار ماله فينا فلا يحل بيع شئ من ذلك الفئ فيما بين الجبل إلى العذيب من أرض السواد ولا في الجبل *

[٨٩]

وعن سيف عن محمد بن قيس عن الشعبي بمثله لا يحل بيع شئ من ذلك الفئ فيما بين الجبل والعذيب وعن سيف عن عمرو بن محمد عن عامر قال أقطع الزبير وخباب وابن مسعود وابن ياسر وابن

هبأر أزمان عثمان فان يكن عثمان أخطأ فالذين قبلوا منه الخطأ أخطأ وهم الذين أخذنا عنهم ديننا وأقطع عمر طلحة وجرير ابن عبدالله والربيل بن عمرو وأقطع أبا مفرز دار الفيل في عدد ممن أخذنا عنهم وإنما القطائع على وجه النفل من خمس ما أفاء الله * وكتب عمر إلى عثمان بن حنيف مع جرير أما بعد فأقطع جرير بن عبدالله قدر ما يقوته لا وكس ولا شطط فكتب عثمان إلى عمر ان جريرا قدم علي بكتاب منك تقطعه ما يقوته فكرهت أن أمضى ذلك حتي أراجعك فيه فكتب إليه عمر أن قد صدق جرير فأنفذ ذلك وقد أحسنت في مؤامرتي وأقطع أبا موسى وأقطع علي رحمه الله كردوس بن هانئ الكردوسية وأقطع سويد بن غفلة الجعفي * وعن سيف عن ثابت بن هريم عن سويد بن غفلة قال استقطعت عليا رحمه الله فقال اكتب هذا ما أقطع علي سويدا أرضا لدا ذوبه ما بين كذا إلى كذا وما شاء الله * وعن سيف عن المستنير عن ابراهيم بن يزيد قال قال عمر إذا عاهدتم قوما فابروا إليهم من معرفة الجيوش فكانوا يكتبون في الصلح لمن عاهدوا ونبرا إليكم من معرفة الجيوش (وقال الواقدي) كانت وقعة القادسية وافتتاحها سنة ستة عشر وكان بعض أهل الكوفة يقول كانت وقعة القادسية سنة خمسة عشر قال والثبت عندنا أنها كانت في سنة أربعة عشر وأما محمد بن اسحاق فانه قال كانت سنة خمسة عشر وقد مضى ذكرى الرواية عنه بذلك ذكر بناء البصرة (قال أبو جعفر) وفي سنة أربعة عشرة أمر عمر بن الخطاب رحمه الله فيما زعم الواقدي الناس بالقيام في المساجد في شهر رمضان بالمدينة وكتب إلى الامصار يأمر المسلمين بذلك (وفي) هذه السنة أعني سنة أربعة عشرة وجه عمر بن الخطاب عتبة بن غزوان إلى البصرة وأمر بنزلها بمن معه وقطع مادة أهل فارس عن

[٩٠]

الذين بالمدائن ونواحيها منهم في قول المدائني وروايته وزعم سيف أن البصرة مصرت في ربيع سنة ستة عشر وأن عتبة بن غزوان إنما خرج إلى البصرة من المدائن بعد فراغ سعد من جلواء وتكريت والحصنين وجهه إليها سعد بأمر عمر (كتب إلى السري) عن شعيب عنه فحدثني عمر بن شبة قال حدثنا علي بن محمد عن أبي مخنف عن مجالد عن الشعبي قال قتل مهران سنة أربعة عشر في صفر فقال عمر لعتبة يعني ابن غزوان قد فتح الله عزوجل علي إخوانكم الحيرة وما حولها وقتل عظيم من عظامتها ولمست أمن أن يمدوهم إخوانهم من أهل فارس فإني أريد أوجهك إلى أرض الهند لتمنع أهل تلك الجزيرة من امداد اخوانهم علي اخوانكم وتقاتلهم لعل الله أن يفتح عليكم فسر علي بركة الله واتق الله ما استطعت واحكم بالعدل وصل الصلاة لوقتها وأكثر ذكر الله فأقبل عتبة في ثلثمائة وبضعة عشر رجلا وضوى إليه قوم من الاعراب وأهل البوادي فقدم البصرة في خمسمائة يزيدون قليلا أو ينقصون قليلا فنزلها في شهر ربيع الاول أو الآخر سنة أربعة عشر والبصرة يومئذ تدعى أرض الهند فيها حجارة بيض خشن فنزل الخريبة وليس بها الا سبع دساكر بالزابوقة والخريبة وموضع بني تميم والازد ثنتان بالخريبة وثنان بالازد وثنان في موضع بني تميم وواحدة بالزابوقة فكتب إلى عمر ووصف له منزله فكتب إليه عمر اجمع للناس موضعا واحدا ولا تفرقهم فأقام عتبة أشهرا لا يغزو ولا يلقي أحدا * وأما محمد بن بشار فانه حدثنا قال حدثنا صفوان بن عيسى الزهري قال حدثنا عمرو بن عيسى أبو نعامه العدوي قال سمعت خالد بن عمير وشويسا أبا الرقاد قالا بعث عمر ابن الخطاب عتبة بن غزوان فقال له انطلق أنت ومن معك حتى إذا كنتم في أقصى أرض العرب وأدنى أرض العجم فأقيموا فأقبلوا حتى إذا كانوا بالمريد وجدوا هذا الكذان قالوا ما هذه البصرة فساروا حتى بلغوا حيال الجسر الصغير فإذا فيه حلفاء وقصب نابتة فقالوا ههنا أمرتم فنزلوا دون صاحب الفرات فأتوه فقالوا إن ههنا قوما معهم راية وهم يريدونك فأقبل في أربعة آلاف إسوار فقال ما هم الا

ما أرى اجعلوا في أعناقهم الحبال وأتوني بهم فجعل عتبة يرجل وقال إني شهدت الحرب مع النبي صلى الله عليه وسلم حتى إذا زالت الشمس قال احملا فحملوا عليهم فقتلوهم أجمعين فلم يبق منهم أحد الا صاحب الفرات أخذه أسيرا فقال عتبة ابن غزوان ابغوا لنا منزلا هو أنزه من هذا وكان يوم عكاك وومد فرفعوا له منبرا فقام يخطب فقال إن الدنيا قد تصرمت وولت حذاء ولم يبق منها إلا صباية كصباية الاناء ألا وإنكم منتقلون منها إلى دار القرار فانتقلوا بخير ما يحضرتكم وقد ذكر لي لو أن صخرة ألقيت من شفير جهنم هوت سبعين خريفا ولتملأته أوعجبتكم ولقد ذكر لي أن ما بين مصراعين من مصاريع الجنة مسيرة أربعين عاما وليأتين عليه يوم وهو كظيط ولقد رأيتني وأنا سابع سبعة مع النبي صلى الله عليه وسلم ما لنا طعام إلا ورق السمر حتى تقرحت أشداقنا والتقطت بردة فشققتها بيني وبين سعد فما منا من أولئك السبعة من أحد إلا وهو أمير مصر من الامصار وسيجربون الناس بعدنا وعن سيف عن محمد وطلحة والمهلب وعمرو قالوا لما توجه عتبة بن غزوان المازني من بني مازن بن منصور من المدائن إلى فرج الهند نزل على الشاطئ بحيال جزيرة العرب فأقام قليلا ثم أرز ثم شكوا ذلك حتى أمره عمر بأن ينزل الحجر بعد ثلاثة أوطان إذا جتوا الطين فنزلوا في الرابعة البصرة والبصرة كل أرض حجارتها حص وأمر لهم بنهر يجري من دجلة فساقوا إليها نهرا للشفة وكان أيطال أهل البصرة اليوم وإيطان أهل الكوفة الكوفة اليوم في شهر واحد فأما أهل الكوفة فكان مقامهم قبل نزولها المدائن إلى أن وطئوها وأما أهل البصرة فكان مقامهم على شاطئ دجلة ثم أرزو مرات حتى استقروا وبدؤا فخنسوا فرسخا وجروا معهم نهرا ثم فرسخا ثم جروه ثم فرسخا ثم جروه ثم أتوا الحجر ثم جروه واختطت على نحو من خطط الكوفة وكان على إنزال البصرة أبو الجرباء عاصم ابن الدلف أحد بني غيلان بن مالك بن عمرو بن تميم وقد كان قطبة بن قتادة فيما حدثني عمر قال حدثنا المدائني عن النضر بن إسحاق السلمي عن قطبة بن قتادة السدوسي يغير بناحية الخريبة من البصرة كما كان المثنى بن حارثة الشيباني يغير بناحية الحيرة فكتب

إلى عمر يعلمه مكانه وأنه لو كان معه عدد يسير ظفر بمن قبله من العجم فنفاهم من بلادهم وكانت الاعاجم بتلك الناحية قد هابوه بعد وقعة خالد بنهر المرأة فكتب إليه عمر إنه أتاني كتابك أنك تغير على من قبلك من الاعاجم وقد أصبت ووفقت أقم مكانك واحذر على من معك من أصحابك حتى يأتيك أمرى فوجه عمر شريح ابن عامر أحد بني سعد بن بكر إلى البصرة فقال له كن رداء للمسلمين بهذه الجزيرة فاقبل إلى البصرة فترك بها قطبة ومضى إلى الاهواز حتى انتهى إلى دارس وفيها مسلحة للاعاجم فقتلوه وبعث عمر عتبة بن غزوان * حدثنا عمر قال حدثني علي عن عيسى بن يزيد عن عبدالمك بن حذيفة ومحمد بن الحجاج عن عبدالمك بن عمير قال إن عمر قال لعتبة بن غزوان إذ وجهه إلى البصرة يا عتبة إني قد استعملتك على أرض الهند وهي حومة من حومة العدو وأرجو أن يكفيك الله ما حولها وأن يعينك عليها وقد كتبت إلى العلاء بن الحضرمي أن يمدك بعرفجة بن هرثمة وهو ذو مجاهدة للعدو ومكابده فإذا قدم عليك فاستشره وقربه وإدع إلى الله فمن أجابك فاقبل منه ومن أبى فالجزية عن صغار وذلة والا فالسيف في غير هوادهة واتق الله فيما وليت وأياك أن تنازعك نفسك إلى كبر يفسد عليك إختوك وقد صحبت رسول الله صلى الله عليه وسلم فعززت به

بعد الذلة وقويت به بعد الضعف حتى صرت أميرا مسلطا وملكا مطاعا تقول فيسمع منك وتأمرك فيطاع أمرك فيألفها نعمة إن لم ترفعك فوق قدرك وتبترك على من دونك احتفظ من النعمة احتفاظك من المعصية ولهى أخوفهما عندي عليك أن تستدرجك وتخدعك فتسقط سقطة تصير بها إلى جهنم أعيذك بالله ونفسي من ذلك أن الناس أسرعوا إلى الله حين رفعت لهم الدنيا فأرادوها فأرد الله ولا ترد الدنيا واتق مصارع الظالمين * حدثني عمر بن شبة قال حدثنا علي قال حدثنا أبو إسماعيل الهمداني وأبو مخنف عن مجالد ابن سعيد عن الشعبي قال قدم عتبة بن غزوان البصرة في ثلثمائة فلما رأى منبت القصب وسمع نقيق الضفادع قال إن أمير المؤمنين أمرني أن أنزل أقصى البر من أرض العرب وأدنى أرض الريف من أرض العجم فهذا حيث واجب علينا فيه

[٩٣]

طاعة إمامنا فنزل الخريبة وبالبلبة خمسمائة من الاساورة يحمونها وكانت مرفأ السفن من الصين وما دونها فسار عتبة فنزل دون الاجانة فأقام نحو من شهر ثم خرج إليه أهل الابلية فناهضهم عتبة وجعل قطبة بن فتادة السدوسي وقسامة بن زهير المازني في عشرة فوارس وقال لهما كونا في ظهرنا فتردان المنهزم وتمنعان من أرادنا من ورائنا ثم التقوا فما اقتتلوا مقدار جزر جزور وقسمها حتى منحهم الله أكتافهم وولوا منهزمين حتى دخلوا المدينة ورجع عتبة إلى عسكره فأقاموا أياما وألقى الله في قلوبهم الرعب فأخرجوا عن المدينة وحملوا ما خف لهم وعبروا إلى الفرات وخلصوا المدينة فدخلها المسلمون فأصابوا متاعا وسلاحا وسبيا وعينا فاقتمسوا العين فأصاب كل رجل منهم درهمان وولى عتبة نافع بن الحارث أقباض الابلية فأخرج خمسة ثم قسم الباقي بين من أفاءه الله عليه وكتب بذلك مع نافع بن الحارث وعن بشير بن عبيد الله قال قتل نافع بن الحارث يوم الابلية تسعة وأبو بكر ستة وعن داود بن أبي هند قال أصاب المسلمون بالابلية من الدراهم ستمائة درهم فأخذ كل رجل درهمين ففرض عمر لاصحاب الدرهمين ممن أخذهما من فتح الابلية في الفين من العطاء وكانوا ثلثمائة رجل وكان فتح الابلية في رجب أو في شعبان من هذه السنة وعن الشعبي قال شهد فتح الابلية مائتان وسبعون فيهم أبو بكر ونافع بن الحارث وشبل بن معبد والمغيرة بن شعبة ومجاشع بن مسعود وأبو مريم البلوي وربيعة بن كلدة بن أبي الصلت الثقفي والحجاج وعن عباية بن عبد عمرو قال شهدت فتح الابلية مع عتبة فبعث نافع بن الحارث إلى عمر رحمه الله بالفتح وجمع لنا أهل دست ميسان فقال عتبة أرى أن نسير إليهم فسرنا فلقينا مرزبان دست ميسان فقاتلناه فانهزم أصحابه وأخذ أسيرا فأخذ قباؤه ومنطقته فبعث به عتبة مع أنس بن حجية اليشكري وعن أبي المليح الهذلي قال بعث عتبة أنس بن حجية إلى عمر بمنطقة مرزبان دست ميسان فقال له عمر كيف المسلمون قال انثالت عليهم الدنيا فهم يهيلون الذهب والفضة فرغب الناس في البصرة فاتوها وعن علي ابن زيد قال لما فرغ عتبة من الابلية جمع له مرزبان دست ميسان فسار إليه عتبة

[٩٤]

من الابلية فقتله ثم سرح مجاشع بن مسعود إلى الفرات وبها مدينة ووفد عتبة إلى عمر وأمر المغيرة أن يصلي بالناس حتى يقدم مجاشع من الفرات فإذا قدم فهو الامير فظفر مجاشع بأهل الفرات ورجع إلى البصرة وجمع الفيلىكان عظيم من عطاء أذربقباد للمسلمين فخرج إليه المغيرة بن شعبة فلقية بالمرغاب فظفر به

فكتب إلى عمر بالفتح فقال عمر لعتبة من استعملت على البصرة قال مجاشع بن مسعود قال تستعمل رجلا من أهل الوبر على أهل المدر تدري ما حدث قال لا فاخبره بما كان من أمر المغيرة وأمره أن يرجع إلى عمله فمات عتبة في الطريق واستعمل عمر المغيرة بن شعبة وعن عبدالرحمن بن جوشن قال شخص عتبة بعد ما قتل مرزبان دست ميسان ووجه مجاشعا إلى الفرات واستخلفه على عمله وأمر المغيرة بن شعبة بالصلاة حتى يرجع مجاشع من الفرات وجمع أهل ميسان فلقبهم المغيرة وظهر عليهم قبل قدوم مجاشع من الفرات وبعث بالفتح إلى عمر (الطبري) بإسناده عن قتادة قال جمع أهل ميسان للمسلمين فسار إليهم المغيرة وحلف المغيرة الاثقال فلقى العدو دون دجلة فقالت أردة بنت الحارث بن كلدة لو لحقنا بالمسلمين فكنا معهم فاعتقدت لواء من خمارها واتخذ النساء من خمرهن رايات وخرجن يردن المسلمين فانتھين إليهم والمشركون يقاتلونهم فلما رأى المشركون الرايات مقبلة ظنوا أن مددا أتى المسلمين فانكشفوا وأتبعهم المسلمون فقتلوا منهم عدة وعن حارثة بن مضرب قال فتحت الابله عنوة فقسم بينهم عتبة ككة يعني خبزا أبيض * وعن محمد بن سيرين مثله (قال الطبري) وكان ممن سبى من ميسان يسار أبو الحسن البصري وأرطبان جد عبدالله بن عون بن أرطبان وعن المثنى بن موسى بن سلمة بن المحبق عن أبيه عن جده قال شهدت فتح الابله فوقع لي في سهمي قدر نحاس فلما نظرت إذا هي ذهب فيها ثمانون ألف منقال فكتب في ذلك إلى عمر فكتب أن يصبر يمين سلمة بالله لقد أخذها يوم أخذها وهي عنده نحاس فإن حلف سلمت إليه وإلا قسمت بين المسلمين قال فحلفت فسلمت لي قال المثنى فأصول أموالنا اليوم منها وعن عمرة ابنة قيس قالت لما خرج الناس لقتال أهل الابله خرج زوجي

وابني معهم فأخذوا الدرهمين ومكوك زبيب مكوك زبيب وإنهم مضوا حتى إذا كانوا حيال الابله قالوا للعدو نعبر إليكم أو تعبرون إلينا قال بل اعبروا إلينا فأخذوا خشب العشر فأوثقوه وعبروا إليهم فقال المشركون لا تأخذوا أولهم حتى يعبر آخرهم فلما صاروا على الأرض كبروا تكبيرة ثم كبروا الثانية فقامت دوابهم على أرجلها ثم كبروا الثالثة فجعلت الدابة تضرب بصاحبها الأرض وجعلنا ننظر إلى رؤس تندر ما نرى من يضربها وفتح الله على أيديهم (المدايني) قال كانت عند عتبة صفية بنت الحارث بن كلدة وكانت أختها أردة بنت الحارث عند شبل بن معبد الجلي فلما ولى عتبة البصرة انحدر معه اصهاره أبو بكره ونافع وشبل بن معبد وانحدر معهم زياد فلما فتحوا الابله لم يجدا قاسما يقسم بينهم فكان زياد قاسمهم وهو ابن أربع عشرة سنة له ذؤابة فأجروا عليه كل يوم دهمين * وقيل ان إمارة عتبة البصرة كانت سنة خمسة عشر وقيل ستة عشر والاول أصح فكانت إمارته عليها ستة أشهر واستعمل عمر على البصرة المغيرة بن شعبة فبقى سنتين ثم رمى بما رمى واستعمل أبا موسى وقيل استعمل بعد عتبة أبا موسى وبعده المغيرة (وفيها) أعنى سنة أربعة عشر ضرب عمر ابنه عبيد الله وأصحابه في شراب شربوه أبا محجن وحج بالناس في هذه السنة عمر بن الخطاب وكان على مكة عتاب بن أسيد في قول وعلى اليمين يعلى بن منية وعلى الكوفة سعد بن أبي وقاص وعلى الشام أبو عبيدة ابن الجراح وعلى البحرين عثمان بن أبي العاص وقيل العلاء بن الحضرمي وعلى عمان حذيفة بن محصن ثم دخلت سنة خمس عشرة قال ابن جرير قال بعضهم فيها مصر سعد بن أبي وقاص الكوفة دلهم عليها ابن بقليلة قال لسعد أدلك على أرض ارتفعت عن البق وانحدرت عن الغلاة فدلهم على موضع الكوفة اليوم

ذكر الوقعة بمرج الروم (وفي هذه السنة) كانت الوقعة بمرج الروم وكان من ذلك أن أبا عبيدة خرج بخالد بن الوليد من فحل إلى حمص وانصرف بمن أضيف إليهم من اليرموك فنزلوا جميعا على ذي الكلاع وقد بلغ الخبر هرقل فبعث توذر البطريق حتى نزل بمرج دمشق وغربها فبدأ أبو عبيدة بمرج الروم وجمعهم هذا وقد هجم الشتاء عليهم والجراح فيهم فاشية فلما نزل على القوم بمرج الروم نازله يوم نزل عليه شنس الرومي في مثل خيل توذرا امدادا لتوذرا ورداء لاهل حمص فنزل في عسكر على حدة فلما كان من الليل أصبحت الارض من توذرا بلاقع وكان خالد بازائه وأبو عبيدة بازاء شنس وأتى خالد الخبر أن توذرا قد رحل إلى دمشق فأجمع رأيه ورأى أبي عبيدة أن يتبعه خالد فأتبعه خالد من ليلته في جريدة وقد بلغ يزيد بن أبي سفيان الذي فعل فاستقبله فاقتلوا ولحق بهم خالد وهم يقتلون فأخذهم من خلفهم فقتلوا من بين أيديهم ومن خلفهم فأناموهم ولم يفلت منهم إلا الشريد فأصاب المسلمون ما شأوا من ظهر وأداة وثياب وقسم ذلك يزيد بن أبي سفيان على أصحابه وأصحاب خالد ثم انصرف يزيد إلى دمشق وانصرف خالد إلى أبي عبيدة وقد قتل خالد توذرا وقال خالد نحن قتلنا توذرا وشوذرا * وقبله ما قد قتلنا حيدرا نحن أزرنا الغيضة الاكيدرا وقد ناهد أبو عبيدة بعد خروج خالد في أثر توذرا شنس فاقتلوا بمرج الروم فقتلهم مقتلة عظيمة وقتل أبو عبيدة شنس وامتلا المرج من قتلاهم فأننت منهم الارض وهرب من هرب منهم فلم يفلت منهم وركب أكساءهم إلى حمص ذكر فتح حمص (حكى الطبري) عن سيف في كتابه عن أبي عثمان قال ولما بلغ هرقل الخبر بمقتل أهل المرج أمر أمير حمص بالسير والمضي إلى حمص وقال إنه بلغني أن طعامهم

لحوم الابل وشرابهم ألبانها وهذا الشتاء فلا تقاتلوهم إلا في كل يوم بارد فإنه لا يبقى إلى الصيف منهم أحد هذا جل طعامه وشرابه وارتحل من عسكره ذلك فأتى الرهاء وأخذ عامله بحمص وأقبل أبو عبيدة حتى نزل على حمص وأقبل خالد بعده حتى ينزل عليها فكانوا يغادون المسلمين ويراوحونهم في كل يوم بارد ولقى المسلمون بها بردا شديدا والروم حصارا طويلا فأما المسلمون فصبروا ورابطوا وأفرغ الله عليهم الصبر وأعقبهم النصر حتى اضطرب الشتاء وإنما تمسك القوم بالمدينة رجاء أن يهلكهم الشتاء * وعن أبي الزهراء القشيري عن رجل من قومه قال كان أهل حمص يتواصون فيما بينهم ويقولون تمسكوا فإنهم حفاة فإذا أصابهم البرد تقطعت أقدامهم مع ما يأكلون ويشربون فكانت الروم تراجع وقد سقطت أقدام بعضهم في خفافهم وإن المسلمين في النعال ما أصيب أصعب أحد منهم حتى إذا انخنس الشتاء قام فيهم شيخ لهم يدعوهم إلى مصالحة المسلمين قالوا كيف والملك في سلطانه وعزه ليس بيننا وبينهم شئ فتركهم وقام فيهم آخر فقال ذهب الشتاء وانقطع الرجاء فما تنتظرون فقالوا البرسام وإنما يسكن في الشتاء ويظهر في الصيف فقال إن هؤلاء قوم يعانون ولان تاتوهم بعهد وميثاق خير من أن تؤخذوا عنوة أجيوني محمودين قبل أن تجيوني مذمومين فقالوا شيخ خرف ولا علم له بالحرب وعن أشياخ من غسان وبلقين قالوا أثاب الله المسلمين على صبرهم أيام حمص أن زلزل بأهل حمص وذلك أن المسلمين ناهدوهم فكبروا تكبيرة زلزلت معها الروم في المدينة وتصعدت الحيطان ففزعوا إلى رؤسائهم وإلى ذوي رأيهم ممن كان يدعوهم إلى المسالمة فلم يجيبوهم وأذلوهم بذلك ثم كبروا الثانية فتهافتت منها دور كثيرة وحيطان وفزعوا إلى رؤسائهم وذوي رأيهم

فقالوا ألا ترون إلى عذاب الله فأجابوهم لا يطلب الصلح غيركم فأشرفوا فنادوا الصلح الصلح ولا يشعر المسلمون بما حدث فيهم فأجابوهم وقبلوا منهم على انصاف دورهم وعلى أن يترك المسلمون أموال الروم وبنيانهم لا ينزلونه عليهم فتركوه لهم فصالح بعضهم على صلح دمشق على دينار وطعام على كل جريب أبدا أيسروا أو أعسروا وصالح بعضهم على قدر طاقتهم إن

[٩٨]

زاد ماله زيد عليه وإن نقص نقص وكذلك كان صلح دمشق والاردن بعضهم على شئ إن أيسروا وإن أعسروا وبعضهم على قدر طاقتهم وولوا معاملة ماجلا ملوكهم عنه وبعث أبو عبيدة السمط بن الاسود في بني معاوية والاشعث بن مثناس في السكون مع ابن عابس والمقداد في بلى وبلالا وخالدا في الجيش والصبح ابن شتير وذهيل بن عطية وذاشمستان فكانوا في قصبته وأقام في عسكره وكتب إلى عمر بالفتح وبعث بالاخماس مع عبدالله بن مسعود وقد وفده وأخبره خبر هرقل وأنه عبر الماء إلى الجزيرة فهو بالرهاء ينغمس أحيانا ويطلع أحيانا فقدم ابن مسعود على عمر فردّه ثم بعثه بعد ذلك إلى سعد بالكوفة ثم كتب إلى أبي عبيدة أن أقم في مدينتك وادع أهل القوة والجلد من عرب الشام فاني غير تارك البعثة اليك بمن يكاتفك إن شاء الله حديث قنسرين وعن أبي عثمان وجارية قالا وبعث أبو عبيدة بعد فتح حمص خالد بن الوليد إلى قنسرين فلما نزل بالحاضر زحف إليهم الروم وعليهم ميناك وهو رأس الروم وأعظمهم فيهم بعد هرقل فالتقوا بالحاضر فقتل ميناك ومن معه مقتلة لم يقتلوا مثلها فأما الروم فماتوا على دمه حتى لم يبق منهم أحد وأما أهل الحاضر فارسلوا إلى خالد انهم عرب وانهم إنما حشروا ولم يكن من رأيهم حربهم فقبل منهم وتركهم ولما بلغ عمر ذلك قال أمر خالد نفسه يرحم الله أبا بكر هو كان أعلم بالرجال مني وقد كان عزله والمثنى مع قيامه وقال اني لم أعزلهما عن ربيّة ولكن الناس عظموهما فخشيت أن يوكلوا اليهما فلما كان من أمره وأمر قنسرين ما كان رجوع عن رأيهم وسار خالد حتى نزل قنسرين فتحصنوا منه فقال إنسكم لو كنتم في السحاب لحملنا الله إليكم أو لانزلكم الله إلينا قال فنظروا في أمرهم وذكروا ما لقي أهل حمص فصالحوه على صلح حمص فأبى إلا على إخراج المدينة فأخر بها واتطأت حمص وقنسرين فعند ذلك خنس هرقل وإنما كان سبب خنوسه أن خالدا حين قتل ميناك ومات الروم على دمه وعقد لاهل الحاضر

[٩٩]

وترك قنسرين طلع من قبل الكوفة عمر بن مالك من قبل قرقيسيا وعبد الله ابن المعتم من قبل الموصل والوليد بن عقبة من بلاد بني تغلب في تغلب وعرب الجزيرة وطووا مدائن الجزيرة عن نحو هرقل وأهل الجزيرة في حران والرقّة ونصيبين وذواتها لم يغرضوا عرضهم حتى يرجعوا إليهم إلا أنهم خلفوا في الجزيرة الوليد لئلا يؤتوا من خلفهم فأدرب خالد وعياض مما يلي الشام وأدرب عمر وعبد الله مما يلي الجزيرة ولم يكونوا أدربوا قبله ثم رجعوا فهي أول مدرية كانت في الاسلام سنة ستة عشر فرجع خالد إلى قنسرين فنزلها وأنته امرأته فلما عزله قال إن عمر ولاني الشام حتى إذا صارت بثنية وعسلا عزلني (قال أبو جعفر الطبري) ثم خرج هرقل نحو القسطنطينية فاختلف في حين شخوصه إليها وتركه بلاد الشام فقال ابن اسحاق كان ذلك سنة خمسة عشر وقال سيف كان سنة ستة عشر ذكر خبر ارتحال هرقل إلى القسطنطينية ذكر سيف عن أبي الزهراء القشيري عن رجل من بني قشير قالوا لما خرج هرقل

من الرهاء واستتبع أهلها قالوا نحن ههنا خير منا معك وأبوا أن يتبعوه وتفرقوا عنه وعن المسلمين وكان أول من أنبح كلابها وانفر دجاجها زياد بن حنظلة وكان من الصحابة وكان مع عمر بن مالك مسانده وكان حليفا لبني عبد بن قصي وقيل ذلك ما قد خرج هرقل حتى شمشاط فلما نزل القوم الرهاء أدرب فنغذ نحو القسطينية ولحقه رجل من الروم كان أسيرا في أيدي المسلمين فأفلت فقال أخبرني عن هؤلاء القوم فقال أحدثك كأنك تنظر إليهم فرسان بالنهار ورهبان بالليل ما يأكلون في ذمتهم إلا بثمن ولا يدخلون إلا بسلام يقفون على من حاربهم حتى يأتوا عليه فقال لئن كنت صدقتني ليرثن ما تحت قدمي هاتين * وعن عبادة وخالد أن هرقل كان كلما حج بيت المقدس فخلف سورية وطعن في أرض الروم التفت فقال عليك السلام يا سورية تسليم مودع لم يقض منك وطره وهو عائد فلما توجه المسلمون نحو حمص عبر الماء فنزل الرهاء فلم يزل بها حتى طلع أهل

[١٠٠]

الكوفة وفتحت قنسرين وقتل ميناس فخنس عند ذلك إلى شمشاط حتى إذا فصل منها نحو الروم علا على شرف فالتفت ونظر نحو سورية وقال عليك السلام يا سورية سلاما لا اجتماع بعده ولا يعود إليك رومي أبدا إلا خائفا حتى يولد المولود المشؤم ويا ليتة لا يولد ما أحلى فعله وأمر عاقبته على الروم * وعن أبي الزهراء وعمرو بن ميمون قالا لما فصل هرقل من شمشاط داخل الروم التفت إلى سورية فقال قد كنت سلمت عليك تسليم المسافر فأما اليوم فعليك السلام يا سورية تسليم المفارق ولا يعود إليك رومي أبدا إلا خائفا حتى يولد المولود المشؤم وليته لم يولد ومضى حتى نزل القسطنطينية وأخذ أهل الحصون التي بين اسكندرية وطرسوس معه لئلا يسير المسلمون في عمارة ما بين أنطاكية وبلاد الروم وشعت الحصون فكان المسلمون لا يجدون بها أحدا وربما كمن عندها الروم فاصابوا غرة المتخلفين فاحتاط المسلمون لذلك ذكر فتح قيسارية وحصر غزة ذكر سيف عن أبي عثمان وأبي حارثة عن خالد وعبادة قالا لما انصرف أبو عبيدة وخالد إلى حمص من فحل نزل عمرو وشرحبيل على بيسان فافتتحاها وصالحته الاردن واجتمع عسكر الروم بأجنادين وبيسان وغزة وكتبوا إلى عمر بتفرقهم فكتب إلى يزيد بأن يدفئ ظهورهم بالرجال وأن يسرح معاوية إلى قيسارية وكتب إلى عمرو يأمره بصدم الارطوبون وإلى علقمة بصدم الفيقار وكان كتاب عمر إلى معاوية أما بعد فاني قد وليتك قيسارية فسر إليها واستنصر الله عليهم وأكثر من قول لا حول ولا قوة إلا بالله الله ربنا وثقتنا ورجاؤنا ومولانا نعم المولى ونعم النصير فانتهى الرجلان إلى ما أمرا به وسار معاوية في جنده حتى نزل على أهل قيسارية وعليهم ابني فهزمه وحصره في قيسارية ثم أنهم جعلوا يراحفونه وجعلوا لا يراحفونه من مرة إلا هزمهم وردهم إلى حصنهم ثم زاحفوه آخر ذلك وخرجوا من صياصيمهم فاقتتلوا في حفيظة واستماتة فبلغت

[١٠١]

قتلاهم في المعركة ثمانين ألفا وكملها في هزيمتهم مائة ألف وبعث بالفتح مع رجلين من بني الضبيب ثم خاف منهما الضعف فبعث عبدالله بن علقمة الفراسي وزهير ابن الحلاب الختعمي وأمرهما أن يتبعاهما ويسبقاهما فلحقاهما فطوباهما وهما نائمان وابن علقمة يتمثل وهي هجيره أرق عيني أخوا جذام * كيف أنام وهما أمامي إذ يرحلان والهجير طامي * أخو حشيم وأخو حرام وانطلق علقمة بن مجزز فحصر الفيقار بغزة وجعل يرأسله فلم يشفه مما يريد أحد فأناه

كانه رسول علقمة فأمر الفيقلار رجلا أن يقعد له بالطريق فإذا مر قتله ففطن علقمة فقال إن معي نفرا شركائي في الرأي فأطلق فأتيتك بهم فبعث إلى ذلك الرجل لا تعرض له فخرج من عنده ولم يعد وفعل كما فعل عمر بالارطيون وانتهى بدير معاوية إلى عمر بالخبر فجمع الناس وأباتهم على الفرخ ليلا فحمد الله وقال لتحمدوا الله على فتح قيسارية وجعل معاوية قبل الفتح ويعده يحبس الاسرى عنده ويقول ما صنع ميخائيل بأسرانا صنعنا بأسراهم مثله ففطمه عن العبث بأسرى المسلمين حتى افتتحها ذكر فتح بيسان ووقعة أجنادين ولما توجه علقمة إلى غزة وتوجه معاوية إلى قيسارية صمد عمرو بن العاصي إلى الارطيون وممر يازائه وخرج معه شرحبيل بن حسنة على مقدمته واستخلف على عمل الاردن أبا الاعور وولى عمرو بن العاصي مجنبيه عبدالله بن عمرو وجنادة ابن تميم المالكي مالك بن كنانة فخرج حتى ينزل على الروم بأجنادين والروم في حصونهم وخنادقهم وعليهم الارطيون وكان الارطيون أدهى الروم وأبعدها غورا وأنكاهها فعلا وقد كان وضع بالرملة جندا عظيما وبإيلياء جندا عظيما وكتب عمرو إلى عمر بالخبر فلما جاءه كتاب عمرو قال قد رمينا أرطيون الروم وبأرطيون العرب فانظروا عم تتفرج وجعل عمر رحمه الله من لدن وجه أمراء الشام يمد

[١٠٢]

كل أمير جند وبرميه بالامداد حتى إذا أتاه كتاب عمرو بتفريق الروم كتب إلى يزيد أن يبعث معاوية في خيله إلى قيسارية وكتب إلى معاوية بإمرته على قتال أهل قيسارية وليشغلهم عن عمرو وكان عمرو قد استعمل علقمة بن حكيم الفراسي ومسروق بن فلان العكي على قتال أهل إيلياء فصاروا بإزاء أهل إيلياء فشغلوهم عن عمرو وبعث أبا أيوب المالكي إلى الرملة وعليها التذارق وكان بإزائهما ولما تتابعت الامداد على عمرو بعث محمد بن عمرو مددا لعلقمة ومسروق وبعث عمارة ابن عمرو بن أمية الضمري مددا لابي أيوب وأقام عمرو على أجنادين لا يقدر من الارطيون على سقطة ولا تشفيه الرسل فوليه بنفسه فدخل عليه كأنه رسول فأبلغه ما يريد وسمع كلامه وتأمل حصونه حتى عرف ما أراد وقال أرطيون في نفسه والله إن هذا لعمرو أو إنه للذي يأخذ عمرو برأيه وما كنت لاصيب القوم بأمر أعظم عليهم من قتله ثم دعا حرسيا فساره بقتله فقال اخرج فقم مكان كذا وكذا فإذا مر بك فاقتله وفطن له عمرو فقال قد سمعت مني وسمعت منك فأما ما قلت فقد وقع مني موقعا وأنا واحد من عشرة بعثنا عمر بن الخطاب مع هذا الولي لنكافئه ويشهدنا أموره فارجع فأتيتك بهم الآن فإن رأوا في الذي عرضت مثل الذي أرى فقد رآه أهل العسكر والامير وإن لم يروه رددتهم إلى مأمنهم وكنت على رأس أمرك فقال نعم ودعا رجلا فساره وقال اذهب إلى فلان فرده إلي فرجع إليه الرجل وقال لعمرو انطلق فجئ بأصحابك فخرج عمرو ورأى أن لا يعود لمثلها وعلم الرومي بأنه قد خدعه فقال خدعني الرجل هذا أدهى الخلق فبلغت عمر فقال غلبه عمرو لله عمرو وناهده عمرو وقد عرف مأخذه وعاقبته والتقوا ولم يجد من ذلك بدا فالتقوا بأجنادين فاقتتلوا قتالا شديدا كقتال اليرموك حتى كثرت القتلى بينهم ثم إن أرطيون انهزم في الناس فأوى إلى إيلياء ونزل عمرو أجنادين ولما أتى أرطيون إيلياء أفرج له المسلمون حتى دخلها ثم أزالهم إلى أجنادين فانضم علقمة ومسروق ومحمد بن عمرو وأبو أيوب إلى عمرو بأجنادين وكتب أرطيون إلى عمرو بأنك صديقي ونظيري أنت في قومك مثلي في قومي والله لا تفتتح من فلسطين شيئا

[١٠٣]

بعد أجنادين فارجح ولا تغر فتلقني ما لقي الذين قبلك من الهزيمة فدعا عمرو رجلا يتكلم بالرومية فأرسله إلى أرتطون وأمره أن يغرب ويتنكر وقال استمع ما يقول حتى تخبرني به إذا رجعت إن شاء الله وكتب إليه جاءني كتابك وأنت نظيري ومثلي في قومك لو أخطأتك خصلة تجاهلت فضيلتي وقد علمت أنني صاحب فتح هذه البلاد وأستعدى عليك فلانا وفلانا وفلانا لوزرائه فأقرئهم كتابي ولينظروا فيما بيني وبينك فخرج الرسول على ما أمره به حتى أتى أرتطون فدفع إليه الكتاب بمشهد من النفر فاقرأه فضحكوا وتعجبوا وأقبلوا على أرتطون فقالوا من أين علمت أنه ليس بصاحبها قال صاحبها رجل اسمه عمر ثلاثة أحرف فرجع الرسول إلى عمرو فعرف أنه عمر وكتب إلى عمر يستمده ويقول إنني أعالج حربا كؤدا صدوما وبلادا ادخرت لك فرأيتك ولما كتب عمرو إلى عمرو بذلك عرف أن عمرا لم يقل إلا بعلم فنأدى في الناس ثم خرج فيهم حتى نزل بالجابية وجميع ما خرج عمر إلي الشام أربع مرات فأما الأولى فعلى فرس وأما الثانية فعلى بعير وأما الثالثة فقصر عنها إن الطاعون مستعر وأما الرابعة فدخلها على حمار فاستخلف عليها وخرج وقد كتب مخرجه أول مرة إلى أمراء الاجناد أن يوافوه بالجابية ليوم سماه لهم في المجردة وأن يستخلفوا على أعمالهم فلقوه حيث رفعت لهم الجابية فكان أول من لقيه يزيد ثم أبو عبيدة ثم خالد على الخيول عليهم الديباج والحرير فنزل وأخذ الحجارة فرماهم بها وقال سرع سرع مالفتم عن رأيكم إياي تستقبلون في هذا الزم وإنما شبعتم منذ سنتين سرع مانتد لكم البطنة وتالله لو فعلتموها على رأس المائتين لاستبدلت بكم غيركم فقالوا يا أمير المؤمنين إنها يلامقة وإن علينا السلاح قال فنعم إذا وركب حتى دخل الجابية وعمرو وشرحبيل بأجنادين لم يتحركا من مكانهما ذكر فتح بيت المقدس وعن سالم بن عبد الله قال لما قدم عمر رحمه الله الجابية قال له رجل من يهود يا أمير المؤمنين لا ترجع إلى بلادك حتى يفتح الله عليك إيلياء فبينما عمر

[١٠٤]

ابن الخطاب بها إذ نظر إلى كردوس من خيل مقبل فلما دنوا منه سلوا السيوف فقال عمر هؤلاء قوم يستأمنون فأمنوهم فأقبلوا فإذا هم أهل إيلياء فصالحوه على الجزية وفتحوها له فلما فتحت عليه دعا ذلك اليهودي فقيل له إن عنده لعلما قال فسأله عن الدجال وكان كثير المسألة عنه فقال له اليهودي وما مسألتك عنه يا أمير المؤمنين فأنتم والله معشر العرب تقتلونهم دون باب لد بضعة عشرة ذراعا وعن سالم قال لما دخل عمر الشام تلقاه رجل من يهود دمشق فقال السلام عليك يا فاروق أنت صاحب إيلياء لا والله لا ترجع حتى يفتح الله إيلياء وكانوا قد أشجوا عمرا وأشجاهم ولم يقدر عليها ولا على الرملة فبينما عمر معسكرا بالجابية فرز الناس إلى السلاح فقال ما شأنكم فقالوا ألا ترى الخيل والسيوف فنظر فإذا كردوس يلمعون بالسيوف فقال عمر مستأمنة ولا تراعوا وأمنوهم فأمنوهم وإذا هم أهل إيلياء فأعطوه واكتتبوا منه على إيلياء وحيزها والرملة وحيزها فصارت فلسطين نصفين نصف مع أهل إيلياء ونصف مع أهل الرملة وهم عشر كور وفلسطين تعدل الشام كله وشهد ذلك اليهودي الصلح فسأله عمر عن الدجال فقال هو من بني بنيامين وأنتم والله يا معشر العرب تقتلونهم على بضعة عشرة ذراعا من باب لد وعن خالد وعبادة قالا كان الذي صالح على فلسطين العوام من أهل إيلياء والرملة وذلك أن أرتطون والتذار ولحقا بمصر مقدم عمر الجابية وأصيبا بعد في بعض الصوائف وقيل كان سبب قدوم عمر إلى الشام إن أبا عبيدة حضر بيت المقدس فطلب أهله منه أن يصالحهم على صلح أهل مدن الشام وأن يكون المتولي للعقد عمر بن الخطاب فكتب إليه بذلك فسار عن المدينة وعن عدي بن سهل قال لما استمد أهل الشام عمر على أهل فلسطين استخلف عليا وخرج

ممداهم فقال علي أبن تخرج بنفسك انك تريد عدوا كلبا فقال إني أبادر بجهاد العدو موت العباس إنكم لو قد فقدتم العباس لانقض بكم الشر كما تنتقض أول الحبل قال وانضم عمرو وشرحبيل إلى عمر بالجابية حين جرى الصلح فيما بينهم فشهد الكتاب وعن خالد وعبادة قال صالح عمر أهل إيلياء بالجابية وكتب لهم فيها

[١٠٥]

الصلح لكل كورة كتابا واحدا ما خلا أهل إيلياء بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما أعطى عبدالله عمر أمير المؤمنين أهل إيلياء من الامان أعطاهم أمانا لانفسهم وأموالهم ولكنائسهم وصلبانهم وسقيمها وبريئها وسائر ملتها أنه لا تسكن كنائسهم ولا تهدم ولا ينتقض منها ولا من حيزها ولا من صليبهم ولا من شئ من أموالهم ولا يكرهون على دينهم ولا يضار أحد منهم ولا يسكن بإيلياء معهم أحد من اليهود وعلى أهل إيلياء أن يعطوا الجزية كما يعطي أهل المدائن وعليهم أن يخرجوا منها الروم والصوت فمن خرج منهم فإنه آمن على نفسه وماله حتى يبلغوا مأمهم ومن أقام منهم فهو آمن وعليه مثل ما على أهل إيلياء من الجزية ومن أحب من أهل إيلياء أن يسير بنفسه وماله مع الروم ويخلى بيعهم وصلبهم فإنهم آمنون على أنفسهم وعلى بيعهم وصلبهم حتى يبلغوا مأمهم ومن كان بها من أهل الارض قبل مقتل فلان فمن شاء منهم قعد وعليه مثل ما على أهل إيلياء من الجزية ومن شاء سار مع الروم ومن شاء رجع إلى أهله فإنه لا يؤخذ منهم شئ حتى يحصد حصادهم وعلى ما في هذا الكتاب عهد الله وذمة رسوله وذمة الخلفاء وذمة المؤمنين إذا أعطوا الذي عليهم من الجزية شهد على ذلك خالد بن الوليد وعمرو بن العاصي وعبد الرحمن بن عوف ومعاوية بن أبي سفيان وكتب وحضر سنة خمسة عشر فاما سائر كتبهم فعلى كتاب لد بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما أعطى عبدالله أمير المؤمنين أهل لد ومن دخل معهم من أهل فلسطين أجمعين أعطاهم أمانا لانفسهم وأموالهم ولكنائسهم وصلبهم وسقيمهم وبريئهم وسائر ملتهم أنه لا تسكن كنائسهم ولا تهدم ولا ينتقض منها ولا من حيزها ولا مللها ولا من صليبهم ولا من أموالهم ولا يكرهون على دينهم ولا يضار أحد منهم وعلى أهل لد ومن دخل معهم من أهل فلسطين أن يعطوا الجزية كما يعطي أهل مدائن الشام وعليهم ان يخرجوا مثل ذلك الشرط إلى آخره ثم سرح إليهم وفرق فلسطين على رجلين فجعل علقمة بن حكيم على نفسها وأنزله الرملة وعلقمة بن مجزز على نصفها وأنزله إيلياء فنزل كل واحد منهما في عمله في الجنود التي معه وعن سالم

[١٠٦]

قال استعمل علقمة بن مجزز على ايلياء وعلقمة بن حكيم على الرملة في الجنود التي كانت مع عمرو وضم عمرا وشرحبيل إليه بالجابية فلما انتهيا إلى الجابية وافقا عمر رحمه الله راكبا فقبلا ركبتيه وضم عمر كل واحد منهما محتضنها وعن عبادة وخالد قالا ولما بعث عمر بأمان أهل ايلياء وسكنها الجند شخص إلى بيت المقدس من الجابية فرأى فرسه يتوجى فنزل عنه وأتى ببرذون فركبه فهزه فنزل فضرب وجهه برادته ثم قال قبح الله من علمك هذا ثم دعا بفرسه بعد ما أجمه أياما يوقحه فركبه ثم سار حتى انتهى إلى بيت المقدس وعن أبي صافية شيخ من بني شيبان قال لما أتى عمر الشام أتى ببرذون فركبه فلما سار جعل يتخلج به فنزل عنه وضرب وجهه وقال لا علم الله من علمك هذا من الخيلاء ولم يركب برذونا قبله ولا بعده وفتحت ايلياء وأرضها كلها على يديه ما

خلا أجنادين على يدي عمرو وقيسارية على يدي معاوية وعن أبي عثمان وأبي حارثة قالا افتتحت ايلياء وأرضها على يدي عمر في ربيع الآخر سنة ستة عشر وعن أبي مريم مولى سلامة قال شهدت فتح ايلياء مع عمر رحمه الله فسار من الجابية فاصلا حتى يقدم ايلياء ثم مضى حتى يدخل المسجد ثم مضى حتى يدخل المسجد ثم مضى نحو محراب داود ونحن معه فدخله ثم قرأ سجدة داود فسجد وسجدنا معه وعن رجاء بن حيوة عمن شهد قال لما شخص عمر من الجابية إلى ايلياء فدنا من باب المسجد قال ارقبوا لي كعبا فلما انفرد به الباب قال لبيك اللهم لبيك بما هو أحب اليك ثم قصد المحراب محراب داود عليه السلام وذلك ليلا فصلى فيه ولم يلبث أن طلع الفجر فأمر المؤذن بالاقامة فتقدم فصلى بالناس وقرأ بهم " ص " وسجد فيها ثم قام وقرأ بهم في الثانية صدر بني اسرائيل ثم ركع ثم انصرف فقال علي بكعب فأتى به فقال أين ترى أن نجعل المصلى فقال إلى الصخرة فقال ضاهيت والله اليهودية يا كعب وقد رأيتك وخلعتك نعليك فقال أحببت أن أباشره بقدمي فقال قد رأيتك بل نجعل قبلته صدره كما جعل رسول الله صلى الله عليه وسلم قبلة مساجدنا صدورها اذهب اليك فإننا لم نؤمر بالصخرة ولكننا أمرنا بالكعبة فجعل قبلته صدره ثم قام من مصلاه إلى كناسة

[١٠٧]

قد كانت الروم قد دفنت بها بيت المقدس في زمان بني اسرائيل فلما صار إليهم أبرزوا بعضها وتركوا سائرها وقال يا أيها الناس اصنعوا كما أصنع وحثا في أصلها وحثا في فرج من فروج قبائنه وسمع التكبير من خلفه وكان يكره سوء الرعة في كل شئ فقال ما هذا فقالوا كبر كعب وكبر الناس بتكبيره فقال علي به فأتى به فقال يا أمير المؤمنين إنه قد تنبأ على ما صنعت اليوم نبي منذ خمسمائة سنة فقال وكيف فقال إن الروم أغاروا على بني اسرائيل فأدبلوا عليهم فدفنوه ثم أدبلوا فلم يفرغوا له حتى أغارت عليهم فارس فبغوا على بني اسرائيل ثم أدبلت الروم عليهم إلى أن وليت فبعث الله نبيا على الكناسة فقال أبشري أوري شلم عليك الفاروق ينفيك مما فيك وبعث إلى القسطنطينية نبي فقام على تلها فقال يا قسطنطينية ما فعل أهلك بييتي أخربوه وشبهوك كعرش وتأولوا على فقد قضيت عليك أن أجعلك جلاء يوما ما لا ياوي إليك أحدا ولا يستظل فيك علي أيدي بني القادر وسبا وودان فما أمسوا حتى ما بقي منه شئ وعن ربيعة الشامي بمثله وزاد أنك الفاروق في جندي المطيع ويدركون لاهلك بئارك في الروم وقال في قسطنطينية أدعك جلاء بارزة للشمس لا ياوي اليك أحد ولا تظليته وعن أنس بن مالك شهدت ايلياء مع عمر فيينا هو يطعم الناس يوما بها أتاه راهبها وهو لا يشعر أن الخمر محرمة فقال هل لك في شراب نجده في كتينا حلالا إذا حرمت الخمر فدعاه به فقال من أي شئ هذا فأخبره أنه طبخه عصيرا حتى صار إلى ثلثه فغرف بإصبعه ثم حركه في الاناء فشطره فقال هذا طلاء فشبهه بالقطران وشرب منه وأمر أمراء الاجناد بالشام به وكتب في الامصار إنى أتيت بشراب مما قد طبخ من العصير حتى ذهب ثلثاه وبقي ثلثه كالطلاء فأطبخوه وارزقوه المسلمين وعن أبي عثمان وأبي حارثة قالا ولحق أرطوبون بمطر مقدم عمر الجابية ولحق به من أحب ممن أبى الصلح ثم لحق عند صلح أهل مصر وغلبيهم بالروم في البحر وبقي البحر وبقي بعد ذلك فكان يكون على صوائف الروم والتقوى هو وصاحب صائفة المسلمين فيختلف هو ورجل من قيس يقال له ضريس فقطع يد القيسي وقتله

[١٠٨]

القيسي فقال فإن يكن أرطيون الروم أفسدها * فإن فيها بحمد الله منتفعا بنانتان وجرموز أقيم به * صدر القنابة إذا ما أنسوا فرعا وإن يكن أرطيون الروم قطعها * فقد تركت بها أوصاله قطعاً وقال زياد بن حنظلة تذكرت حرب الروم لما تناولت * وإذ نحن في عام كثير نزائله وإذ نحن في أرض الحجاز وبيننا * مسيرة شهر بينهن بلابله وإذ أرطيون الروم يحمى بلاده * يحاوله قرم هناك يساجله فلما رأى الفاروق أزمان فتحها * سما بجنود الله كيما يصاله فلما أحسوه وخافوا صواله * أتوه وقالوا أنت ممن نواصله وألقت إليه الشام أفلاذ بطنها * وعيشا خصيبا ما تعد مأكله أباح لنا ما بين شرق ومغرب * موارد أعقاب بنتها قرامله وكم مثقل لم يضطلع باحتماله * تحمل عبا حين شالت شوائله وقال أيضا سما عمر لما أتته رسائل * كأصيد يحمى صرمة الحي أعيدا وقد عضلت بالشام أرض بأهلها * تريد من الاقوام من كان أنجدا فلما أتاه ما أتاه أجابهم * بجيش ترى منه الشبائك سجدا وأقبلت الشام العريضة بالذي * أراد أبو حفص وأزكى وأزيدا فقسط فيما بينهم كل جزية * وكل رقاد كان أهنا وأحمدا ذكر فرض العطاء وعمل الديوان وفي هذه السنة فرض عمر للمسلمين الفروض ودون الدواوين وأعطى العطايا على السابقة وأعطى صفوان بن أمية والحارث بن هشام وسهيل بن عمرو في أهل الفتح أقل ما أخذ من قبلهم فامتنعوا من أخذه وقالوا لا نعترف أن يكون أحد

[١٠٩]

أكرم منا فقال إني إنما أعطيتكم على السابقة في الاسلام لا على الاحساب قالوا فنعم إذا وأخذوا وخرج الحارث وسهيل بأهليهما نحو الشام فلم يزالا مجاهدين حتى أصيبا في بعض تلك الدروب وقيل ماتا في طاعون عمواس ولما أراد عمر وضع الديوان قال له علي وعبد الرحمن بن عوف ابدأ بنفسك قال لا بل ابدأ بعمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم الاقرب فالاقرب ففرض للعباس وبدأ به ثم فرض لاهل بدر خمسة آلاف خمسة آلاف ثم فرض لمن بعد بدر إلى الحديدية أربعة آلاف أربعة آلاف ثم فرض لمن بعد الحديدية إلى أن أفلح أبو بكر عن أهل الردة ثلاثة آلاف ثلاثة آلاف في ذلك من شهد الفتح وقاتل عن أبي بكر ومن ولى الايام قبل القادسية كل هؤلاء ثلاثة آلاف ثلاثة آلاف ثم فرض لاهل القادسية وأهل الشام ألفين ألفين وفرض لاهل البلاء البارع منهم ألفين وخمسمائة ألفين وخمسمائة فليل له لو ألحقت أهل القادسية بأهل الايام فقال لم أكن لالحقهم بدرجة من لم يدركوا وقيل له قد سويت من بعدت داره بمن قربت داره وقاتلهم عن فئانه فقال من قربت داره أحق بالزيادة لانهم كانوا رداء للحوق وشجى للعدو فهلا قال المهاجرون مثل قولكم حين سويتنا بين السابقين منهم والانصار فقد كانت نصرة الانصار بفنائهم وهاجر إليهم المهاجرون من بعد وفرض لمن بعد القادسية واليرموك ألفا ألفا ثم فرض للروادف المثني خمسمائة خمسمائة ثم للروادف الثلث بعدهم ثلثمائة ثلثمائة سوى كل طبقة في العطاء قويتهم وضعيفهم عربهم وعجمهم وفرض للروادف الربيع على مائتين وخمسين وفرض لمن بعدهم وهم أهل هجر والعباد على مائتين وألحق بأهل بدر أربعة من غير أهلها الحسن والحسين وأبا ذر وسلمان وكان فرض للعباس خمسة وعشرين ألفا وقيل اثني عشر ألفا وأعطى نساء النبي صلى الله عليه وسلم عشرة آلاف عشرة آلاف إلا من جرى عليها الملك فقال نسوة رسول الله صلى الله عليه وسلم ما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يفضلنا عليهم في القسمة فسو بيننا ففعل وفضل عائشة بألفين لمحبة رسول الله صلى الله عليه وسلم إياها فلم تأخذ وجعل نساء أهل بدر في خمسمائة

خمسمائة ونساء من بعدهم إلى الحديبية على أربعمائة أربعمائة ونساء من بعد ذلك إلى الايام ثلاثمائة ثلثمائة ونساء أهل القادسية مائتين مائتين ثم سوى بين النساء بعد ذلك وجعل الصبيان سواء على مائة مائة ثم جمع ستين مسكينا وأطعمهم الخبز فأحصوا ما أكلوا فوجدوه يخرج من حريبتين ففرض لكل إنسان منهم ولعياله حريبتين في الشهر وقال عمر قبل موته لقد ههمت أن أجعل العطاء أربعة آلاف أربعة آلاف ألفا يجعلها الرجل في أهله وألفا يزودها معه وألفا يتجهز بها وألفا يتفرق بها فمات قبل أن يفعل (قال أبو جعفر الطبري) كتب إلى السري عن شعيب عن سيف عن محمد وطلحة والمهلب وزباد والمجالد وعمرو عن الشعبي واسماعيل عن الحسن وأبي ضمرة عن عبدالله بن المستورد عن محمد بن سيرين ويحيى بن سعيد عن سعيد ابن المسيب والمستنير بن يزيد عن إبراهيم وزهرة عن أبي سلمة قالوا فرض عمر العطاء حين فرض لاهل الفئ الذين أفاء الله عليهم وهم أهل المدائن فصاروا بعد إلى الكوفة انتقلوا عن المدائن إلى الكوفة والبصرة ودمشق وحمص والاردن وفلسطين ومصر وقال الفئ لاهل هؤلاء الامصار ولمن لحق بهم وأعانهم وأقام معهم ولم يفرض لغيرهم إلا فيهم سكنت المدائن والقرى وعليهم جرى الصلح وإليهم أدى الجزاء وبهم سدت الفروج ودوخ العدو ثم كتب في إعطاء أهل العطاء أعطياتهم إعطاء واحدا سنة خمسة عشر وقال قائل يا أمير المؤمنين لو تركت في بيوت الاموال عدة لكون إن كان فقال كلمة ألقاها الشيطان على فيك وقاني الله شرها وهي فتنة لمن بعدي بل أعد لهم ما أمرنا الله ورسوله طاعة الله ورسوله فهما عدتنا التي بها أفضينا ألى ما ترون فإذا كان هذا المال ثمن دين أحدكم هلكتكم (كتب إلى السري) عن شعيب عن سيف عن محمد والمهلب وطلحة وعمرو وسعيد قالوا لما فتح الله على المسلمين وقتل رستم وقدمت على عمر الفتوح من الشام جمع المسلمين فقال ما يحل للوالي من هذا المال فقالوا جميعا أما لخاصته فقوته وقوت عياله لا وكس ولا شطط وكسوتهم وكسوته للشئاء والصيلف ودابتان إلى جهاده وحوائجه وحملائه إلى حجه وعمرته والقسم بالسوية أن يعطى أهل البلاء على قدر

بلائهم ويرم أمور الناس بعد ويتعاهدهم عند الشدائد والنوازل حتى تكشف ويبدأ بأهل الفئ (كتب إلى السري) عن شعيب عن سيف عن محمد عن عبيد الله بن عمر عن نافع عن ابن عمر قال جمع الناس عمر بالمدينة حين انتهى إليه فتح القادسية ودمشق فقال إني كنت امرأة تاجرا يغنى الله عيالي بتجارتني وقد شغلتموني بأمركم فماذا ترون أنه يحل لي من هذا المال فأكثر القوم وعلي عليه السلام ساكت فقال ما تقول يا علي فقال ما أصلحك وأصلح عيالك بالمعروف ليس لك من هذا المال غيره فقال القوم القول قول ابن أبي طالب (كتب إلى السري) عن شعيب عن سيف عن محمد عن عبيدالله عن نافع عن أسلم قال قام رجل إلى عمر بن الخطاب فقال ما يحل لك من هذا المال فقال ما أصلحني وأصلح عيالي بالمعروف وحلة الشتاء وحلة الصيف وراحلة عمر للحج والعمرة ودابة في حوائجه وجهاده (كتب إلى السري) عن شعيب عن سيف عن مبشر بن الفضيل عن سالم بن عبدالله قال لما ولي عمر قعد على رزق أبي بكر الذي كانوا فرضوا له فكان بذلك فاشتدت حاجته فاجتمع نفر من المهاجرين منهم عثمان وعلي وطلحة والزبير فقال الزبير لو قلنا لعمر في زيادة زبيدها إياه في رزقه فقال علي ودنا قبل ذلك فإنتقلوا بنا فقال عثمان إنه عمر فهلما فلنستبرئ ما عنده من وراء تأتي حفصة فنسألها ونستكتمها فدخلوا عليها وأمروها أن تخبر بالخبر عن نفر ولا تسمى له أحدا إلا أن يقبل وخرجوا من عندها

فلقيت عمر في ذلك فعرفت الغضب في وجهه وقال من هؤلاء قالت لا سبيل إلى علمهم حتى أعلم رأيك فقال لو علمت من هم لسؤت وجوههم أنت بيني وبينهم أنشدك بالله ما أفضل ما اقتنى رسول الله صلى الله عليه وسلم في بيتك من الملبس قالت ثوبين ممشقين كان يلبسهما للوفد ويخطب فيهما للجمع قال فأبي الطعام ناله عندك أرفع قالت خبزنا خبزة شعير فصبنا عليها وهي حارة أسفل عكة لنا فجعلناها هشة دسمة فأكل منها وتطعم منها استطابة لها قال فأبي مبسط كان يبسطه عندك كان أوطأ قالت كساء لنا تخين كنا نربعه في الصيف فنجعله تحتنا فإذا كان الشتاء بسطنا نصفه

[١١٢]

وتدثرنا بنصفه قال يا حفصة فأبلغهم عني أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قدر فوضع الفضول مواضعها وتبلغ بالترحية واني قدرت فوالله لاضعن الفضول مواضعها ولا تبلغن بالترحية وإنما مثلى ومثل صاحبي كثلثة سلخوا طريقا فمضى الأول وقد تزود وزاد فبلغ ثم اتبعه الآخر فسلك طريقه فأفضى إليه ثم اتبعه الثالث فان لزم طريقهما ورضى بزادهما لحق بهما وكان معهما وإن سلك غير طريقهما لم يجامعهما (كتب إلى السري) عن شعيب عن سيف عن عطية عن أصحابه والضحاك عن ابن عباس قال لما افتتحت القادسية وصالح من صالح من أهل السواد وافتتحت دمشق وصالح أهل دمشق قال عمر للناس اجتمعوا فأحضروني علمكم فيما أفاء الله على أهل القادسية وأهل الشام فاجتمع رأى عمر وعلي علي أن يأخذوا من قبل القرآن فقالوا ما أفاء الله على رسوله من أهل القرى يعني من الخمس فله وللرسول إلى الله وإلى الرسول من الله الأمر وعلى الرسول القسم ولذي القربى واليتامى والمساكين الآية ثم فسروا ذلك بالآية التي تليها للفقراء المهاجرين الآية فأخذوا الأربعة الأخماس على ما قسم عليه الخمس فيمن بدئ به وثنى وثلث وأربعة أخماس لمن أفاء الله عليه المغنم ثم استشهدوا على ذلك أيضا واعلموا أنما غنمتم من شئ فإن لله خمس فقسم الأخماس علي ذلك واجتمع على ذلك عمر وعلي وعمل به المسلمون بعده فبدأ المهاجرين ثم بالانصار ثم التابعين الذين شهدوا معهم وأعانوهم ثم فرض الأعطية من الجزاء على من صالح أو دعى إلى الصلح من جزائه مردود عليهم بالمعروف وليس في الجزاء أخماس والجزاء لمن منع الذمة ووفى لهم ممن ولي ذلك منهم ولمن لحق بهم فأعانهم إلا أن يؤاسوا بفضله من طيب أنفس منهم من لم ينل مثل الذي نالوا (قال الطبري) وفي هذه السنة أعني سنة خمسة عشر كانت وقعت في قول سيف بن عمرو في قول ابن اسحاق كان ذلك في سنة ستة عشر وقد ذكرنا الرواية بذلك عنه قبل وكذلك ذلك في قول الواقدي نذكر الآن الأخبار التي وردت بما كان بين ما ذكرت من الحروب إلى انقضاء السنة التي ذكرت أنهم اختلفوا فيما كان فيها من ذلك

[١١٣]

(كتب إلى السري) عن شعيب عن سيف عن محمد والمهلب وعمرو وسعيد قالوا عهد عمر إلى سعد حين أمره بالسير إلى المدائن أن يخلف النساء والعيال بالعتيق ويجعل معهم كتفا من الجند ففعل وعهد إليه أن يشركهم في كل مغنم ما داموا يخلفون المسلمين في عيالاتهم قالوا وكان مقام سعد بالقادسية بعد الفتح شهرين في مكاتبة عمر في العمل بما ينبغي فقدم زهرة نحو اللسان واللسان لسان البر الذي أدلعه في الريف وعليه الكوفة اليوم والحيرة قبل اليوم والخيرجان معسكر به فرفض ولم يثبت حين سمع بمسيرهم

إليه فلحق بأصحابه قالوا فكان مما يلعب به الصبيان في العسكر وتلقيه النساء عليهم وهم على شاطئ العتيق أمر كان النساء يلعبن به في زرود وذي قارى وتلك الامواه حين أمروا بالسير في حمادى إلى القادسية وكان كلا ما أبدن فيه كالاويد من الشعر لانه ليس بين حمادى ورجب شئ العجب كل العجب * بين حمادى ورجب * أمر قضاة قد وحب يخبره من قد شجب * تحت غبار ولجب حبر يوم برس قال ثم إن سعدا ارتحل بعد الفراغ من أمر القادسية كله وبعد تقدم زهرة ابن الحوية في المقدمات إلى اللسان ثم أتبعه عبدالله بن المعتم ثم أتبع عبدالله شرحبيل بن السمط ثم أتبعهم هاشم بن عتبة وقد ولاه خلافته عمل خالد بن عرفطة وجعل خالدًا على الساقية ثم أتبعهم وكل المسلمين فارس مؤد قد نقل الله إليهم ما كان في عسكر فارس من سلاح وكراع ومال لايام بقين من شوال فسار زهرة حتى ينزل الكوفة والكوفة كل حصاء وسهلة حمراء مختلطتين ثم نزل عليه عبدالله وشرحبيل وارتحل زهرة حين نزل عليه نحو المدائن فلما انتهى إلى برس لقيه بها بصهري في جمع فناوشوه فهزمهم فهرب بصهري ومن معه إلى بابل وبها فالة القادسية وبقايا رؤسائهم النخيران ومهران الرازي والهرمزاني وأشباهم فأقاموا

[١١٤]

واستعملوا عليهم الفيرزان وقدم عليهم بصهري وقد نجا بطعنة فمات منها (كتب إلى السري) عن شعيب عن سيف عن النضر بن السري عن ابن الرقيل عن أبيه قال طعن زهرة بصهري في يوم برس فوقع في النهر فمات من طعنته بعد ما لحق ببابل ولما هزم بصهري أقبل بسطام دهقان برس فاعتقد من زهرة وعقد له الجسور وأتاه بخبر الذين اجتمعوا ببابل يوم بابل قالوا ولما أتى بسطام زهرة بالخبر عن الذين اجتمعوا ببابل من فلال القادسية أقام وكتب إلى سعد بالخبر ولما نزل سعد على من بالكوفة مع هاشم بن عتبة وأتاه الخبر عن زهرة باجتماع الفرس ببابل على الفيرزان قدم عبدالله وأتبعه شرحبيل وهاشما ثم ارتحل بالناس فلما نزل عليهم برس قدم زهرة فاتبعه عبدالله وشرحبيل وهاشما وأتبعهم فنزلوا على الفيرزان ببابل وقد قالوا نقاتلهم دستا قبل أن نفترق فاقتلوا ببابل فهزمهم في أسرع من لفت الرداء فانطلقوا على وجوههم ولم يكن لهم همة الا الافتراق فخرج الهرمزاني متوجها نحو الاهواز فأخذها فأكلها ومهرجان فذق وخرج الفيرزان معه حتى طلع على نهاوند وبها كنوز كسرى فأخذها وأكل الماهين وصدم النخيران ومهران الرازي للمدائن حتى عبرا بهرسيير إلى جانب دجلة الآخر ثم قطعوا الجسر وأقام سعد ببابل أياما وبلغه أن النخيران قد خلف شهریار دهقانًا من دهاقين الباب بكوثي في جمع فقدم زهرة ثم اتبعه الجنود فخرج زهرة حتى ينزل على شهریار بكوثي بعد قتل فيومان والفرخان فيما بين سورا والدير (كتب إلى السري) عن شعيب عن سيف عن النضر بن السري عن ابن الرقيل عن أبيه قال كان سعد قدم زهرة من القادسية فمضى متسعبا في حربه وجنده ثم لم يلق جمعا فهزمهم إلا قدم أتبعهم لا يمرون بأحد إلا قتلوه ممن لحقوا به منهم وأقام لهم حتى إذا قدمه من بابل قدم زهرة بكير بن عبدالله الليثي وكثير بن شهاب السعدي أخا الغلاق حين عبر الصراة فيلحقون بأخريات القوم

[١١٥]

وفيهم فيومان والفرخان هذا ميسانى وهذا أهوازي فقتل بكير الفرخان وقتل كثير فيومان بسورا ثم مضى زهرة حتى جاوز سورا ثم

نزل وأقبل هاشم حتى نزل عليه وجاء سعد حتى ينزل عليهم ثم قدم زهرة فسار تلقاء القوم وقد أقاموا له فيما بين الدبر وكوثي وقد استخلف النخيرجان ومهران على جنودهما شهريار دهقان الباب ومضيا إلى المدائن وأقام شهريار فيما هنالك فلما التقوا بأكتاف كوثي جيش شهريار وأوائل الخيل خرج فنأدى ألا رجل ألا فارس منكم شديد عظيم يخرج إلي حتى أنكل به فقال زهرة لقد أردت أن أبارزك فاما إذ سمعت قولك فإني لا أخرج إليك إلا عبدا فإن أقمت له قتلك إن شاء الله بيغيبك وإن فررت منه فإنما فررت من عبد وكأيدته ثم أمر أبا نباتة نائل بن جعشم الاعرجي وكان من شجعان بني تميم فخرج إليه ومع كل واحد منهما الرمح وكلاهما وثيق الخلق إلا أن الشهريار مثل الجمل فلما رأى نائلا ألقى الرمح ليعتنقه وألقى نائل رمحه ليعتنقه وانتضيا سيفيهما فاجتلدا ثم اعتنقا فخرا عن دابتيهما فوقع على نائل كأنه بيت فضغطة بفخذه وأخذ الخنجر وأراغ حل ازرار درعه فوقعته ابهامه في نائل فحطم عظمها ورأى منه فتورا فتاوره فجلد به الأرض ثم قعد على صدره وأخذ خنجره فكشف درعه عن بطنه فطعن في بطنه وجنبه حتى مات فأخذ فرسه وسواريه وسلبه وانكشف أصحابه فذهبوا في البلاد وأقام زهرة بكوثي حتى قدم عليه سعد فأتى به سعدا فقال سعد عزمت عليك يا نائل بن جعشم لما لبست سواريه وقبائه ودرعه ولتركين برذونه وغنمه ذلك كله فانطلق فتدفع سلبه ثم أتاه في سلاحه على دابته فقال اخلع سواريك إلا أن ترى حربا فتلبسهما فكان أول رجل من المسلمين سور بالعراق (كتب إلي السري) عن شعيب عن سيف عن محمد وطلحة والمهلب وعمرو وسعيد قالوا فأقام سعد بكوثي أياما وأتى المكان الذي جلس فيه ابراهيم عليه السلام بكوثي فنزل جانب القوم الذين كانوا يبشرون ابراهيم وأتى البيت الذي كان فيه ابراهيم عليه السلام محبوسا فنظر إليه وصلى علي رسول الله وعلى ابراهيم وعلى أنبياء الله صلوات الله عليهم وقرأ " وتلك الايام نداولها بين الناس "

[١١٦]

حديث بهرسيير في ذي الحجة سنة خمسة عشر في قول سيف (كتب إلي السري) عن شعيب عن سيف عن محمد وطلحة والمهلب وعمرو والنضر عن ابن الرقيل قالوا ثم إن سعدا قدم زهرة إلى بهرسيير فمضى زهرة من كوثي في المقدمات حتى ينزل بهرسيير وقد تلقاه شيرزاد بساباط بالصلح وتادية الجزاء فأمضاه إلى سعد فأقبل معه وتبعته المجنبات وخرج هاشم وخرج سعد في أثره وقد فل زهرة كتيبة كسرى بوران حول المظلم وانتهى هاشم إلى مظلم ساباط ووقف لسعد حتى لحق به فوافق ذلك رجوع المقرط أسد كان لكسرى قد ألفه وتخيره من أسود المظلم وكانت به كتاب كسرى التي تدعى بوران وكانوا يحلفون بالله كل يوم لا يزول ملك فارس ما عشنا فبادر المقرط الناس حين انتهى إليهم سعد فنزل إليه هاشم فقتله وسمى سيفه المنن فقبل سعد رأس هاشم وقبل هاشم قدم سعد فقدمه سعد إلى بهرسيير فنزل إلى المظلم وقرأ " أولم تكونوا أقسمتم من قبل ما لكم من زوال " فلما ذهب من الليل هدأة ارتحل فنزل على الناس بهرسيير وجعل المسلمون كلما قدمت خيل على بهرسيير وقفوا ثم كبروا فكذلك حتى نجز آخر من مع سعد فكان مقامه بالناس على بهرسيير شهرين وعبروا في الثالث * وحج بالناس في هذه السنة عمر بن الخطاب وكان عامله فيها على مكة عتاب بن أسيد وعلى الطائف يعلى بن منبة وعلى اليمامة والبحرين عثمان بن أبي العاص وعلى عمان حذيفة بن محصن وعلى كور الشام أبو عبيدة بن الجراح وعلى الكوفة وأرضها سعد بن أبي وقاص وعلى قضائها أبو فروة وعلى البصرة وأرضها المغيرة بن شعبه ثم دخلت سنة ست عشرة (قال أبو جعفر) ففيها دخل المسلمون مدينة بهرسيير وافتتحوا المدائن وهرب منها يزدجرد

بن شهریار ذکر بقية خبر دخول المسلمين مدينة بهرسير (كتب إلى السري) عن شعيب عن سيف عن محمد وطلحة والمهلب وقالوا لما

[١١٧]

نزل سعد على بهرسير بث الخيول فأغارت على ما بين دجلة إلى من له عهد من أهل الفرات فأصابوا مائة ألف فلاح فحسبوا فأصاب كل منهم فلاحاً وذلك ان كلهم فارس ببهرسير فخذق لهم فقال له شيرزاد دهقان ساباط انك لا تصنع بهؤلاء شيئاً إنما هؤلاء علوج لأهل فارس لم يجرؤ اليك فدعهم الي حتى يفرق لكم الرأي فكتب عليه بأسمائهم ودفعهم إليه فقال شيرزاد انصرفوا إلى قراكم وكتب سعد إلى عمر إنا وردنا بهرسير بعد الذي لقينا فيما بين القادسية وبهرسير فلم يأتنا أحد لقتال فبثت الخيول فجمعت الفلاحين من القرى والآجام فر رأيك فأجابه إن من أتاكم من الفلاحين إذا كانوا مقيمين لم يعينوا عليكم فهو أمانهم ومن هرب فأدرتموه فشانكم به فلما جاء الكتاب خلى عنهم وراسله الدهاقين فدعاهم إلى الاسلام والرجوع أو الجزاء ولهم الذمة والمنعة فترجعوا على الجزاء والمنعة ولم يدخل في ذلك ما كان لال كسرى ومن دخل معهم فلم يبق في غربي دجلة إلى أرض العرب سوادي إلا آمن واعتبط بملك الاسلام واستقبلوا الخراج وأقاموا على بهرسير شهرين يرمونها بالمجانيق ويدبون إليهم بالدبابات ويقاتلونهم بكل عدة (كتب الي السري) عن شعيب عن سيف عن المقدم بن شريح الحارثي عن أبيه قال نزل المسلمون على بهرسير وعليها خنادقها وحرسها وعدة الحرب فرموهم بالمجانيق والعرادات فاستصنع سعد شيرزاد المجانيق فنصب على أهل بهرسير عشرين منجنيقاً فشغلوهم بها (كتب إلي السري) عن شعيب عن سيف عن النضر بن السري عن ابن الرقيل عن أبيه قال فلما نزل سعد على بهرسير كانت العرب مطيفة بها والعجم متحصنة فيها وربما خرج الاعاجم يمشون على المسنجات المشرفة على دجلة في جماعتهم وعدتهم لقتال المسلمين فلا يقومون لهم فكان آخر ما خرجوا في في رجالة وناشبة وتجردوا للحرب وتبايعوا على الصبر فقاتلهم المسلمون فلم يثبتوا لهم فكذبوا وتولوا وكانت على زهرة بن الحوية درع مفصومة فقبل له لو أمرت بهذا الفصم فسرد فقال ولم قالوا نخاف عليك منه قال إني لكريم على الله ان ترك سهم فارس الجند كله ثم أتاني من هذا الفصم حتى يثبت في

[١١٨]

فكان أول رجل من المسلمين أصيب يومئذ بنشابة فثبتت فيه من ذلك الفصم فقال بعضهم انزعوها عنه فقال دعوني فان نفسي معي ما دامت في لعلى أن أصيب منهم بطعنة أو ضربة أو خطوة فمضى نحو العدو فضرب بسيفه شهربراز من أهل اصطخر فقتله وأحيط به فقتل وانكشفوا (كتب إلي السري) عن شعيب عن سيف عن عبد الله بن سعيد بن ثابت عن عمرة ابنة عبدالرحمن بن أسعد عن عائشة أم المؤمنين قالت لما فتح الله عزوجل وقتل رسنم وأصحابه بالقادسية وفضت جموعهم أتبعهم المسلمون حتى نزلوا المدائن وقد ارفضت جموع فارس ولحقوا بجبالهم وتفرقت جماعتهم وفرسانهم إلا أن الملك مقيم في مدينتهم معه من بقى من أهل فارس على أمره (كتب إلى السري) عن شعيب عن سيف عن سماك بن فلان الهجيمي عن أبيه ومحمد بن عبدالله عن أنس بن الحليس قال بينا نحن محاصرو بهرسير بعد زحفهم وهزيمتهم أشرف علينا رسول فقال إن الملك يقول لكم هل لكم إلى المصالحة على أن لنا ما يلينا من دجلة وجبلنا ولكم ما يليكم من دجلة إلى جبلكم

أما شيعتم لا أشيع الله بطونكم فيدر الناس أبو مفرز الاسود ابن قطبة وقد أنطقه الله بما لا يدري ما هو ولا نحن فرجع الرجل ورأبناهم يقطعون إلى المدائن فقلنا يا أبا مفرز ما قلت له فقال له والذي بعث محمدا بالحق ما أدري ما هو إلا أن على سكينه وأنا أرجو أن أكون قد أنطقت بالذي هو خير وانتاب الناس يسألونه حتى سمع بذلك سعد فجاءنا فقال يا أبا مفرز ما قلت فوالله إنهم لهراب فحدثه بمثل حديثه إيانا فنأدى في الناس ثم نهد بهم وإن مجانيقنا لتخطر عليهم فما ظهر على المدينة أحد ولا خرج إلينا إلا رجل نادى بالامان فأمناه فقال ان بقى فيها أحد فما يمنعكم فتسورها الرجال وافتحنها فما وجدنا فيها شيئا ولا أحدا إلا أسارى أسرناهم خارجا منها فسألناهم وذلك الرجل لاي شئ هربوا فقالوا بعث الملك اليكم يعرض عليكم الصلح فأجبتموه بأنه لا يكون بيننا وبينكم صلح أبدا حتى نأكل عسل إفريذين بأترج كوئى فقال الملك واويله إلا أن الملائكة تكلم على السننهم ترد علينا وتجيئنا عن العرب والله لئن لم يكن كذلك ما هذا إلا

[١١٩]

شئ ألقى على في هذا الرجل لننتهي فأرزوا إلى المدينة القصوى (كتب إلي السري) عن شعيب عن سيف عن محمد وطلحة والمهلب وعمرو وسعيد قالوا لما دخل سعد والمسلمون بهرسير أنزل سعد الناس فيها وتحول العسكر إليها وحاول العبور فوجدوهم قد ضموا السفن فيما بين البطائح وتكرت ولما دخل المسلمون بهرسير وذلك في جوف الليل لاح لهم الأبيض فقال ضرار بن الخطاب الله أكبر أبيض كسرى هذا ما وعد الله ورسوله وتبعوا التكبير حتى أصبحوا * فقال محمد وطلحة وذلك ليلة نزلوا على بهرسير (كتب إلى السري) عن شعيب عن سيف عن الاعمش عن حبيب بن صهبان أبي مالك قال دفعنا إلى المدائن يعني بهرسير وهي المدينة الدنيا فحصرنا ملكهم وأصحابه حتى أكلوا الكلاب والسنائير قال ثم لم يدخلوا حتى ناداهم مناد والله ما فيها أحد فدخلوها وما فيها أحد حديث المدائن القصوى التي كان فيها منزل كسرى قال سيف وذلك في صفر سنة ستة عشر قالوا ولما نزل سعد بهرسير وهي المدينة الدنيا طلب السفن ليعبر بالناس إلى المدينة القصوى فلم يقدر على شئ ووجدهم قد ضموا السفن فأقاموا بهرسير أياما من صفر يريدونه على العبور فيمنعه الأبقاء على المسلمين حتى أتاه علاج فدلوه على مخاضة تخاض إلى صلب الوادي فأبى وتردد عن ذلك وفجئهم المد فرأى رؤيا أن خيول المسلمين اقتحمتها فعبرت وقد أقبلت من المد بأمر عظيم فعزم لتأويل رؤياه على العبور وفي سنة جود صيفها متتابع فجمع سعد الناس فحمد الله وأثنى عليه وقال إن عدوكم قد اعتصم منكم بهذا البحر فلا تخلصون إليه معه وهم يخلصون اليكم إذا شاءوا فينا وشونكم في سفنهم وليس وراءكم شئ تخافون أن تؤتوا منه فقد كفاكموهم أهل الايام وعطلوا ثغورهم وأفنوا ذادتهم وقد رأيت من الراى أن تبادروا جهاد العدو بنياتكم قبل أن تحصركم الدنيا ألا إنني قد عزمت على قطع هذا البحر إليهم فقالوا جميعا عزم الله لنا ولك على الرشد فافعل فندب سعد الناس إلى العبور ويقول من يبدأ ويحمى

[١٢٠]

لنا الفراض حتى تتلاحق به الناس لكيلا يمنعوهم من الخروج فانتدب له عاصم ابن عمرو ذو البأس وانتدب بعده ستمائة من أهل النجدات فاستعمل عليهم عاصما فسار فيهم حتى وقف على شاطئ دجلة وقال من ينتدب معي لنمنع الفراض من عدوكم ولنحميكم حتى

تعبروا فانتدب له ستون منهم أصم بنى ولاد وشرحبيل في أمثالهم فجعلهم نصفين على خيول إناث وذكورة ليكون أساس لعموم الخيل ثم اقتحموا دجلة واقتحم بقية الستمائة على أثرهم فكان أول من فصل من الستين أصم التيم والكليج وأبو مفرز وشرحبيل وحجل العجلي ومالك بن كعب الهمداني وغلانم من بني الحارث بن كعب فلما رأهم الاعاجم وما صنعوا أعدوا للخيل التي تقدمت سعدا مثلها فاقتموا عليهم دجلة فأعاموها إليهم فلقوا عاصما في السرعان وقد دنا من الفراض فقال عاصم الرماح الرماح أشرعوها وتوخوا العيون فالتقوا فاطعنوا وتوخى المسلمون عيونهم فلولوا نحو الجد والمسلمون يشمسون بهم خيلهم ما يملك رجالها منع ذلك منها شيئا فلحقوا بهم في الجد فقتلوا عامتهم ونجا من نجا منهم عورانا وتزلزلت بهم خيولهم حتى انتقضت عن الفراض وتلاحق الستمائة بأوائلهم الستين غير متعتين ولما رأى سعد عاصما على الفراض قد منعها أذن للناس في الاقتحام وقال قولوا نستعين بالله ونتوكل عليه حسينا الله ونعم الوكيل لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم وتلاحق عظم الجند فركبوا اللجة وان دجلة لترمى بالزبد وانها لمسودة وإن الناس ليتحدثون في عومهم وقد اقتربوا ما يكثرثون كما يتحدثون في مسيرهم على الارض ففجأوا أهل فارس بأمر لم يكن في حسابهم فأجهضوهم وأعجلوهم عن جمهور أموالهم ودخلها المسلمون في صفر سنة ستة عشر واستولوا على ذلك كله مما بقى في بيوت كسرى من الثلاثة آلاف ألف ومما جمع شيرى ومن بعده وفي ذلك يقول أبو بجيدة نافع بن الاسود وأسلنا على المدائن خيلا * بحرها مثل برهن أريضا فانتلنا خزائن المرء كسرى * يوم ولوا وحاص منا جريضا

[١٢١]

(كتب إلى السري) عن شعيب عن سيف عن الوليد بن عبد الله بن أبي طيبة عن أبيه قال لما أقام سعد على دجلة أتاه عالج فقال ما يقيمك لا يأتي عليك ثلاثة حتى يذهب يزدجرد بكل شئ في المدائن فذلك مما هيجه على القيام بالدعاء إلى العبور (كتب إلي السري) عن شعيب عن سيف عن رجل عن أبي عثمان النهدي في قيام سعد في الناس في دعائهم إلى العبور بمثله وقال طبقتنا دجلة خيلا ورجلا ودواب حتى ما يرى الماء من الشاطئ أحد فخرجت بنا خيلنا إليهم تنفض أعرافها لها صهيل فلما رأى القوم ذلك انطلقوا لا يلوون على شئ فانتبهنا إلى القصر الأبيض وفيه قوم قد تحصنوا فأشرف بعضهم فكلمنا فدعوناهم وعرضنا عليهم فقلنا ثلاث تختارون منهن أبتن شئتم قالوا وما هن قلنا الاسلام فان أسلمتم فلكم ما لنا وعليكم ما علينا وإن أبيتم فالجزية وإن أبيتم فمناجزتكم حتى يحكم الله بيننا وبينكم فأجابنا مجيبهم لا حاجة لنا في الاولى ولا في الآخرة ولكن الوسطى (كتب إلي السري) عن شعيب عن سيف عن عطية بمثله قال والسفير سلمان (كتب إلي السري) عن شعيب عن سيف عن النضر بن السري عن ابن الرقيل قال لما هزموهم في الماء وأخرجوهم إلى الفراض ثم كشفوهم عن الفراض أجلوهم عن الاموال إلا ما كانوا تقدموا فيه وكان في بيوت أموال كسرى ثلاثة آلاف ألف ثلاث مرات فبعثوا مع رستم بنصف ذلك وأقروا نصفه في بيوت الاموال (كتب إلي السري) عن شعيب عن سيف عن بدر بن عثمان عن أبي بكر بن حفص بن عمر قال قال سعد يومئذ وهو واقف قبل أن يقحم الجمهور وهو ينظر إلى حماة الناس وهم يقاثلون على الفراض والله ان لو كانت الخرساء يعني الكتيبة التي كان فيها القعقاع بن عمرو وحمال بن مالك والربيل بن عمرو فقاتلوا قتال هؤلاء القوم هذه الخيل لكانت أجزاء وأعنت وكتيبة عاصم هي كتيبة الاهوال فشيبه كتيبة الاهوال لما رأى منهم في الماء والفراض بكتيبة الخرساء قال ثم انهم تنادوا بعد هنات قد اعتروها عليهم ولهم فخرجوا حتى لحقوا بهم فلما استووا على الفراض هم وجميع كتيبة

الاهوال بأسرهم أقحم سعد الناس وكان الذي يساير سعدا في
الماء سلمان الفارسي فعامت بهم

[١٢٢]

الخيال وسعد يقول حسبنا الله ونعم الوكيل والله لينصرن الله وليه
وليظهرن الله دينه وليهزمن الله عدوه إن لم يكن في الجيش بغى أو
ذنوب تغلب الحسنات فقال له سلمان الاسلام جديد ذلت لهم والله
البحور كما ذل لهم البر أما والذي نفس سلمان بيده ليخرجن منه
أفواجا فطبقوا الماء حتى ما يرى الماء من الشاطئ ولهم فيه أكثر
حديثا منهم في البر لو كانوا فيه فخرجوا منه كما قال سلمان لم
يفقدوا شيئا ولم يغرق منهم أحد (كتب إلي السري) عن شعيب عن
سيف عن أبي عمر دثار عن أبي عثمان النهدي أنهم سلموا من عند
آخرهم إلا رجلا من بارقي يدعى غرقدة زال عن ظهر فرس له شقراء
كأنني أنظر إليها تنفض أعرافها عريا والغريق طاف فتنى القعقاع بن
عمرو عنان فرسه إليه فأخذ بيده فجره حتى عبر فقال البارقي وكان
من أشد الناس أعجز الاخوات أن يلدن مثلك يا قعقاع وكان للقعقاع
فيهم خوولة (كتب إلي السري) عن شعيب عن سيف عن محمد
وطلحة والمهلب وعمرو وسعيد قالوا فما ذهب لهم في الماء يومئذ
إلا قدح كانت علاقته رثة فانقطعت فذهب به الماء فقال الرجل الذي
كان يعاوم صاحب القدح معيرا له أصابه القدر فطاح فقال والله انى
لعلى جديلة ما كان الله ليسليني قد حي من بين أهل العسكر فلما
عبروا إذا رجل ممن كان يحمى الفراض قد سفل حتى طلع عليه
أوائل الناس وقد ضربته الرياح والامواج حتى وقع إلى الشاطئ
فتناوله برمحه فجاء به إلى العسكر فعرفه فأخذه صاحبه وقال للذي
كان يعاومه ألم أقل لك وصاحبه حليف لقريش من عنز يدعى مالك
بن عامر والذي قال طاح يدعى عامر بن مالك (كتب إلي السري)
عن شعيب عن سيف عن القاسم بن الوليد عن عمير الصائدي قال
لما اقتحم سعد الناس في دجلة اقترنوا فكان سلمان قرين سعد
إلى جانبه يسايره في الماء وقال سعد ذلك تقدير العزيز العليم والماء
يطمو بهم وما يزال فرس يستوى قائما إذا أعى ينشز له تلة
فيسترح عليها كأنه على الأرض فلم يكن بالمدائن أمر أعجب من
ذلك وذلك يوم الماء وكان يدعى يوم الجرائم (كتب إلي السري) عن
شعيب عن سيف عن محمد والمهلب وطلحة وعمرو وسعيد قالوا
كان يوم ركوب دجلة يدعى يوم الجرائم لا يعيي أحد

[١٢٣]

الا أنشزت له جرثومة يريح عليها (كتب إلي السري) عن شعيب عن
سيف عن اسماعيل بن أبي خالد عن قيس بن أبي حازم قال خصنا
دجلة وهى تطفح فلما كنا في أكثرها ماء لم يزل فارس واقف ما يبلغ
الماء حزامه (كتب إلي السري) عن شعيب عن سيف عن الأعمش
عن حبيب بن صهبان أبي مالك قال لما دخل سعد المدينة الدنيا
وقطع القوم الجسر وضمو السفن قال المسلمون ما تنتظرون بهذه
النطقة فاقترح رجل فخاص الناس فما غرق منهم إنسان ولا ذهب
لهم متاع غير أن رجلا من المسلمين فقد قد حاله انقطعت علاقته
فرايته يطفح على الماء (كتب إلي السري) عن شعيب عن سيف
عن محمد والمهلب وطلحة قالوا وما زالت حماة أهل فارس يقاتلون
على الفراض حتى أتاهم أت فقال علام تقتلون أنفسكم فوالله ما
في المدائن أحد (كتب إلي السري) عن شعيب عن سيف عن
محمد وطلحة والمهلب وعمرو وسعيد قالوا لما رأى المشركون
المسلمين وما يهيمون به بعثوا من يمنعهم من العبور وتحملوا
فخرجوا هرابا وقد أخرج يزدجرد قبل ذلك وبعد ما فتحت بهرسير عياله

إلى حلوان فخرج يزدجرد بعد حتى ينزل حلوان فلحق بعياله وخلف
مهران الرازي والنخيجان وكان بيت المال بالنهروان وخرجوا معهم بما
قدروا عليه من حر متاعهم وخفيفه وما قدروا عليه من بيت المال
وبالنساء والذراري وتركوا الخزائن من الثياب والمتاع والأبنة والفضول
والالطاف والادهان ما لا يدري ما قيمته وخلفوا ما كانوا أعدوا للحصار
من البقر والغنم والاطعمة والأشربة فكان أول من دخل المدائن كتيبة
الاهوال ثم الخرساء فأخذوا في سككها لا يلقون فيها أحدا ولا
يحسونه إلا من كان في القصر الأبيض فأحاطوا بهم ودعواهم
فاستجابوا لسعد على الجزاء والذمة وتراجع إليهم أهل المدائن على
مثل عهدهم ليس في ذلك ما كان لآل كسرى ومن خرج معهم ونزل
سعد القصر الأبيض وسرح سعد زهرة في المقدمات في آثار القوم
إلى النهروان فخرج حتى انتهى إلى النهروان وسرح مقدار ذلك في
طلبهم من كل ناحية (كتب إلى السري) عن شعيب عن سيف عن
الاعمش عن حبيب

[١٢٤]

ابن صهبان أبي مالك قال لما عبر المسلمون يوم المدائن دجلة
فنظروا إليهم يعبرون جعلوا يقولون بالفارسية ديوان أمد وقال بعضهم
لبعض والله ما تقاتلون الانس وما تقاتلون إلا الجن فانهمزوا (كتب إلى
السري) عن شعيب عن سيف عن عطية بن الحارث وعطاء بن
السائب عن أبي البيخري قال كان رائد المسلمين سلمان الفارسي
وكان المسلمون قد جعلوه داعية أهل فارس قال عطية وقد كانوا
أمروه بدعاء أهل بهرسير وأمروه يوم القصر الأبيض فدعاهم ثلاثا قال
عطية وعطاء وكان دعاؤه إياهم أن يقول إنى منكم في الاصل وأنا
أرق لكم ولكم في ثلاث أدعوكم إليها ما يصلحكم أن تسلموا فأخواننا
لكم ما لنا وعليكم ما علينا وإلا فالجزية وإلا نابذناكم على سواء إن
الله لا يحب الخائنين قال عطية فلما كان اليوم الثالث في بهرسير أبوا
أن يجيبوا إلى شئ فقاتلهم المسلمون حين أبوا ولما كان اليوم
الثالث في المدائن قبل أهل القصر الأبيض وخرجوا ونزل سعد القصر
الأبيض واتخذ الأيوان مصلى وإن فيه لتمثيل حص فما حركها (كتب
إلى السري) عن شعيب عن سيف عن محمد وطلحة والمهلب
وشاركهم سماك الهجيمي قالوا وقد كان الملك سرب عياله حين
أخذت بهرسير إلى حلوان فلما ركب المسلمون الماء خرجوا هرابا
وخيلهم على الشاطئ يمنعون المسلمين وخيلهم من العبور
فاقتتلوا هم والمسلمون قتالا شديدا حتى ناداهم مناد علام تقتلون
أنفسكم فوالله ما في المدائن من أحد فانهمزوا واقتحمها الخيول
عليهم وعبر سعد في بقية الجيش (كتب إلى السري) عن شعيب
عن سيف عن محمد وطلحة والمهلب قالوا أدرك أوائل المسلمين
أخريات أهل فارس فأدرك رجل من المسلمين يدعى ثعيفا أحد بني
عدى ابن شريف رجلا من أهل فارس معترضا على طريق من طرقها
يحمى أدبار أصحابه ف ضرب فرسه على الاقدام عليه فأحجم ولم
يقدم ثم ضربه للهرب فتقاعس حتى لحقه المسلم ف ضرب عنقه
وسلبه (كتب إلى السري) عن شعيب عن سيف عن عطية وعمرو
ودثار أبي عمر قالوا كان فارس من فرسان العجم في المدائن يومئذ
مما يلي جازر ف قيل له قد دخلت العرب وهرب أهل فارس فلم يلتفت
إلى قولهم

[١٢٥]

وكان واثقا بنفسه ومضى حتى دخل بيت أعلاج له وهم ينقلون ثيابا
لهم قال مالك قالوا أخرجتنا الزنابير وعلبتنا على بيوتنا فدعا بجلاشق
وبطين فجعل يرميهن حتى ألزقهن بالحيطان فأفناهن وانتهى إليه

الفرع فقام وأمر علجا فأسرج له فانقطع حزامه فشدته على عجل وركب ثم خرج فوقف ومر به رجل قطعنه وهو يقول: خذها وأنا ابن المخارق فقتله ثم مضى ما يلتفت إليه (كتب إلى السري) عن شعيب عن سيف عن سعيد بن المرزبان بمثله وإذا هو ابن المخارق بن شهاب قالوا وأدرك رجل من المسلمين رجلا منهم معه عصاة يتلاومون ويقولون من أي شئ فررنا ثم قال قائل منهم لرجل منهم إرفع لي كرة فرماها لا يخطئ فلما رأي ذلك عاج وعاجوا معه وهو أمامهم فانتهى إلى ذلك الرجل فرماه من أقرب مما كان يرمي منه الكرة ما يصيبه حتى وقف عليه الرجل ففلق هامته وقال أنا ابن مشرط الحجارة وتفار عن الفارسي وأصحابه وقالوا جميعا محمد والمهلب وطلحة وعمرو وأبو عمر وسعيد قالوا ولما دخل سعد المدائن فرأى خلوتها وانتهى إلى إيوان كسرى أقبل يقرأ " كم تركوا من جنات وعبون وزروع ومقام كريم ونعمة كانوا فيها فاكهين كذلك وأورثناها قوما آخرين " وصلى فيه صلاة الفتح ولا تصلى جماعة فصلى ثمانين ركعات لا يفصل بينهن واتخذة مسجدا وفيه تماثيل الحص رجال وخيل ولم يمتنع ولا المسلمون لذلك وتركوها على حالها قالوا وأتم سعد الصلاة يوم دخلها وذلك أنه أراد المقام بها وكانت أول جمعة بالعراق جمعت جماعة بالمدائن في صفر سنة ستة عشر ذكر ما جمع من فئ أهل المدائن (كتب إلى السري) عن شعيب عن سيف عن محمد والمهلب وعقبة وعمرو وأبي عمر وسعيد قالوا نزل سعد إيوان كسرى وقدم زهرة وأمره أن يبلغ النهروان فبعث في كل وجه مقدار ذلك لنفي المشركين وجمع الفيء ثم تحول إلى القصر بعد ثلاثة ووكل بالاقباض عمرو بن عمرو بن مقرن وأمره بجمع ما في القصر والايوان

[١٢٦]

والدور وإحصاء ما يأتيه به الطلب وقد كان أهل المدائن تنهبوا عند الهزيمة غارة ثم طاروا في كل وجه فما أفلت أحد منهم بشئ لم يكن في عسكر مهران بالنهروان ولا بخيط ألح عليهم الطلب فتنقذوا ما في أيديهم ورجعوا بما أصابوا من الاقباض فضموه إلى ما قد جمع وكان أول شئ جمع يومئذ ما في القصر الابيض ومنازل كسرى وسائر دور المدائن (كتب إلى السري) عن شعيب عن سيف عن الأعمش عن حبيب بن صهبان قال دخلنا المدائن فأتينا على قباب تركية مملوءة سلالا مختمة بالرصاص فما حسبناها إلا طعاما فإذا هي آنية الذهب والفضة فقسمت بعد بين الناس وقال حبيب وقد رأيت الرجل يطوف ويقول من معه بيضاء بصفراء وأتينا على كافور كثير فما حسبناه إلا ملحا فجعلنا نعجن به حتى وجدنا مرارته في الخبز (كتب إلى السري) عن شعيب عن سيف عن النضر ابن السري عن ابن الرقيل عن أبيه الرقيل بن ميسور قال خرج زهرة في المقدمة يتبعهم حتى انتهى إلى جسر النهروان وهم عليه فازدحموا فوقع بغل في الماء ففعلوا وكلبوا عليه فقال زهرة إنى أقسم بالله لهذا البغل لشأنا ما كلب القوم عليه ولا صبروا للسيوف بهذا الموقف الضنك إلا لشئ بعد ما أرادوا تركه وإذا الذي عليه حلية كسرى ثيابه وخرزاته ووشاحه ودرعه التي كان فيها الجوهر وكان يجلس فيها للمباهاة وترجل زهرة يومئذ حتى إذا أراحهم أمر أصحابه بالبغل فاحتملوه فأخرجوه فجأؤا بما عليه حتى رده إلى الاقباض ما يدرون ما عليه وارترز يومئذ زهرة فدى لقومي اليوم أخوالي وأعمامي * هم كرهوا بالنهر خذلاني وإسلامي هم فليجوا بالبغل في الخصارم * بكل قطاع شؤن الهام وصرعوا الفرس على الأكام * كأنهم نعم من الانعام (كتب إلى السري) عن شعيب عن سيف عن هبيرة بن الأشعث عن جده الكلج قال كنت فيمن خرج في الطلب فإذا أنا ببغالين قد ردا الخيل عنهما بالنشاب فما بقي معهما غير نشابتين فألظت بهما فاجتمعا فقال أحدهما لصاحبه أرمه

وأحميك أو أرميه وتحميني فحمى كل واحد منهما صاحبه حتى رميا بها ثم إنى حملت عليهما فقتلتها وحثت بالبعليين ما أدري ما عليهما حتى أبلغتهما صاحب الاقباض وإذا هو يكتب ما يأتيه به الرجال وما كان في الخزائن والدور فقال علي رسلك حتى ننظر ما معك فحططت عنهما فإذا سقطان على أحد البعليين فيهما تاج كسرى مفسخا وكان لا يحمله إلا اسطواناتان وفيهما الجواهر وإذا على الآخر سقطان فيهما ثياب كسرى التي كان يلبس من الدباج المنسوج بالذهب المنظوم بالجواهر وغير الدباج منسوجا منظوما (كتب إلي السري) عن شعيب عن سيف عن محمد وطلحة والمهلب قالوا وخرج القعقاع بن عمرو يومئذ في الطلب فلحق بفارسي يحمى الناس فاقتتلا فقتله وإذا مع المقتول جنيبة عليها عيبتان وغلافان في أحدهما خمسة أسياف وفي الآخر ستة أسياف وإذا في العيبتين أدرع فإذا في الأدرع درع كسرى ومغفرة وساقاه وساعدها ودرع هرقل ودرع خاقان ودرع داهر ودرع بهرام شوبين ودرع سياوخش ودرع النعمان وكانوا استلبوا ما لم يرثوا استلبوها أيام غزاتهم خاقان وهرقل وداهر وأما النعمان وبهرام فحين هربا وخالفا كسرى وأما أحد الغلافين ففيه سيف كسرى وهرمز وقباد وفيروز وإذا السيوف الأخر سيف هرقل وخاقان وداهر وبهرام وسياوخش والنعمان فجاء به إلى سعد فقال اختر أحد هذه الاسياف فاختر سيف هرقل وأعطاه درع بهرام وأما سائرهما فنفلها في الخرساء إلا سيف كسرى والنعمان لبيعنوا بهما إلى عمر لتسمع بذلك العرب لمعرفتهم بهما وحبسوهما في الأخماس وحلى كسرى وتاجه وثيابه ثم بعنوا بذلك إلى عمر ليراه المسلمون ولتسمع بذلك العرب وعلى هذا الوجه سلب خالد بن سعيد عمرو بن معديكرب سيفه الصمصامة في الردة والقوم يستحيون من ذلك (كتب إلي السري) عن شعيب عن سيف عن عبيدة بن معتب عن رجل من بني الحارث ابن طريف عن عصمة بن الحارث الضبي قال خرجت فيمن خرج يطلب فأخذت طريقا مسلوكا وإذا عليه حمار فلما رأني حثه فلحق بآخر قدامه فمالا وحثا حماريهما فأنتهيا إلى جدول قد كسر جسره فثبتنا حتى أتيتهما ثم تفرقا ورماني أحدهما فألظظت

به فقتلته وأفلت الآخر ورجعت إلى الحمامين فأتيتهما بهما صاحب الاقباض فنظر فيما على أحدهما فإذا سقطان في أحدهما فرس من ذهب مسرج بسرج من فضة على ثفره ولبيه الباقوت والزمرد منظوم على الفضة ولجام كذلك وفارس من فضة مكلل بالجواهر وإذا في الآخر ناقة من فضة عليها شليل من ذهب وبطان من ذهب ولها شناق أو زمام من ذهب وكل ذلك منظوم بالباقوت وإذا عليها رجل من ذهب مكلل بالجواهر كان كسرى يضعهما إلى اسطواناتي التاج (كتب إلي السري) عن شعيب عن سيف عن هبيرة بن الأشعث عن أبي عبدة العنبري قال لما هبط المسلمون المدائن وجمعوا الاقباض أقبل رجل يحق معه فدفعه إلى صاحب الاقباض فقال الذين معه ما رأينا مثل هذا قط ما يعدله ما عندنا ولا يقاربه فقالوا هل أخذت منه شيئا فقال أما والله لولا الله ما أتيتكم به فعرفوا أن للرجل شأنا فقالوا من أنت فقال لا والله لا أخبركم لتحمدوني ولا غيركم ليقرظوني ولكني أحمد الله وأرضى بثوابه فأتبعوه رجلا حتى أنتهى إلى أصحابه فسأل عنه فإذا هو عامر بن عبد قيس (كتب إلي السري) عن شعيب عن سيف عن محمد وطلحة والمهلب وعمرو وسعيد قالوا قال سعد والله إن الجيش لذو أمانة ولولا ما سبق لاهل بدر لقلت وأيم الله على فضل أهل بدر لقد تتبععت من أقوام منهم هنات وهنات

فيما أحرزوا ما أحسبها ولا أسمعها من هؤلاء القوم (كتب إلي السري) عن شعيب عن سيف عن مبشر بن الفضيل عن جابر بن عبدالله قال والله الذي لا إله إلا هو ما اطلعنا على أحد من أهل القادسية أنه يريد الدنيا مع الآخرة ولقد اتهمنا ثلاثة نفر فما رأينا كالذي هجمنا عليه من أمانتهم وزهدهم طليحة بن خويلد وعمرو بن معديكرب وقيس بن المكشوح (كتب الي السري) عن شعيب عن سيف عن محمد بن قيس العجلي عن أبيه قال لما قدم بسيف كسرى على عمر ومنطقته وزبرجه قال إن أقواما أدوا هذا لذو أمانة فقال علي إنك عفت فعفت الرعية (كتب الي السري) عن شعيب عن سيف عن عمرو والمجالد عن الشعبي قال قال عمر حين نظر إلى

[١٢٩]

سلاح كسرى إن أقواما أدوا هذا لذو أمانة ذكر صفة قسم الفئ الذي أصيب بالمدائن بين أهله وكانوا فيما زعم سيف ستين ألفا (كتب إلي السري) عن شعيب عن سيف عن محمد وطلحة وعمرو وسعيد والمهلب قالوا ولما بعث سعد بعد نزوله المدائن في طلب الأعاجم بلغ الطلب النهروان ثم تراجعوا ومضى المشركون نحو حلوان فقسم سعد الفئ بين الناس بعد ما خمسه فأصاب الفارس اثنا عشر ألفا وكلهم كان فارسا ليس فيهم راجل وكانت الجنائب في المدائن كثيرة (كتب إلي السري) عن شعيب عن سيف عن المجالد عن الشعبي بمثله وقالوا جميعا ونفل من الأخماس ولم يجهدوا في أهل البلاء وقالوا جميعا قسم سعد دور المدائن بين الناس وأوطنوها والذي ولى القبض عمرو ابن عمرو المزني والذي ولى القسم سلمان بن ربيعة وكان فتح المدائن في صفر سنة ست عشرة قالوا ولما دخل سعد المدائن أتم الصلاة وصام وأمر الناس بآيوان كسرى فجعل مسجدا للاعياد ونصب فيه منبرا فكان يصلى فيه وفيه التماثيل ويجمع فيه فلما كان الفطر قيل ابرزوا فإن السنة في العيدين البراز فقال سعد صلوا فيه قال فصلى فيه وقال سواء في عقر القرية أو في بطنها (كتب الي السري) عن شعيب عن سيف عن عمرو عن الشعبي قال لما نزل سعد المدائن وقسم المنازل بعث إلى العيالات فأنزلهم الدور وفيها المرافق فأقاموا بالمدائن حتى فرغوا من جلواء وتكريت والموصل ثم تحولوا إلى الكوفة (كتب إلي السري) عن شعيب عن سيف عن محمد وطلحة وزياد والمهلب وشاركهم عمرو وسعيد وجمع سعد الخمس وأدخل فيه كل شئ أراد أن يعجب منه عمر من ثياب كسرى وجليه وسيفه ونحو ذلك وما كان يعجب العرب أن يقع إليهم ونفل من الأخماس وفضل بعد القسم بين الناس وإخراج الخمس والقطف فلم يعتدل قسمته فقال للمسلمين هل لكم في أن تطيب أنفسنا عن أربعة أخماسه فنبعث به إلى عمر فيضعه حيث يرى فانا

[١٣٠]

لا نراه يتفق قسمته وهو بيننا قليل وهو يقع من أهل المدينة موقعا فقالوا نعم هاء الله إذا فبعث به على ذلك الوجه وكان القطف ستين ذراعا في ستين ذراعا بساطا واحدا مقدار جريب فيه طرق كالصور ونصوص كالانهار وخلال ذلك كالدير وفي حافاته كالارض المزروعة والارض المبجلة بالنبات في الربيع من الحرير على قضبان الذهب ونواره بالذهب والفضة وأشباه ذلك فلما قدم على عمر نفل من الخمس أناسا وقال إن الأخماس ينفل منها من شهد ومن غاب من أهل البلاء فيما بين الخمسين ولا أرى القوم جهدوا الخمس بالنفل ثم قسم الخمس في مواضعه ثم قال أشيروا علي في هذا القطف

فأجمع ماؤهم على أن قالوا قد جعلوا ذلك لك فرأيتك إلا ما كان من علي فإنه قاله يا أمير المؤمنين الأمر كما قالوا ولم يبق إلا التروية إنك إن تقبله على هذا اليوم لم تعدم في غد من يستحق به ما ليس له قال صدقتني ونصحتني فقطعه بينهم (كتب إلي السري) عن شعيب عن سيف عن عبد الملك ابن عمير قال أصاب المسلمون يوم المدائن بهار كسرى ثقل عليهم أن يذهبوا به وكانوا يعدونه للشتاء إذا ذهب الرياحين فكانوا إذا أرادوا الشرب شربوا عليه فكأنهم في رياض بساط ستين في ستين أرضه بذهب ووشيه بفصوص وثمره بجوهر وورقه بحرير وماء الذهب وكانت العرب تسميه القطف فلما قسم سعد فيأهم فضل عنهم ولم يتفق قسمته فجمع سعد المسلمين فقال إن الله قد ملا أيديكم وقد عسر قسم هذا البساط ولا يقوى على شرائه أحد فأرى أن تطيبوا به نفسا لامير المؤمنين يضعه حيث شاء ففعلوا فلما قدم على عمر المدينة رأى رؤيا فجمع الناس فحمد الله وأثنى عليه واستشارهم في البساط وأخبرهم خبره فمن بين مشير بقيضه وآخر مفوض إليه وآخر مرقق فقام على حين رأى عمر بأبى حين انتهى إليه فقال لم تجعل علمك جهلا ويقينك شكا إنه ليس لك من الدنيا إلا ما أعطيت فأمضيت أو لبيت فأبليت أو أكلت فأفانيت قال صدقتني فقطعه فقسمه بين الناس فأصاب عليا قطعة منه فباعها بعشرين ألفا وما هي بأجود تلك القطع (كتب إلي السري) عن شعيب عن سيف عن محمد وطلحة والمهلب وعمرو وسعيد قالوا

[١٣١]

وكان الذي ذهب بالاخماس أخماس المدائن بشير بن الخصاصية والذي ذهب بالفتح حليس بن فلان الاسدي والذي ولى القبض عمرو والقيسم سلمان قالوا ولما قسم البساط بين الناس أكثر الناس في فضل أهل القادسية فقال عمر أولئك أعيان العرب وغررها اجتمع لهم مع الاخطار الذين هم أهل الايام وأهل القوادس قالوا ولما أتى بحلى كسرى وزيه في المباهاة وزيه في غير ذلك وكانت له عدة أزياء لكل حالة زي قال علي بمحلم وكان أجسم عربي يومئذ بأرض المدينة فأليس تاج كسرى على عمودين من خشب وصب عليه أوشحته وقلانده وثيابه وأجلس للناس فنظر إليه عمر ونظر إليه الناس فرأوا أمرا عظيما من أمر الدنيا وفتنتها ثم قام عن ذلك فأليس زيه الذي يليه فنظروا إلى مثل ذلك في غير نوع حتى أتى عليها كلها ثم ألبسه سلاحه وقلده سيفه فنظروا إليه في ذلك ثم وضعه ثم قال والله إن أقواما ما أدوا هذا لذوو أمانة ونفل سيف كسرى محلما وقال أحرق بامرئ من المسلمين غرته الدنيا هل يبلغن مغرور منها إلا دون هذا أو مثله وما خير امرئ مسلم سيقه كسرى فيما يضره ولا ينفعه أن كسرى لم يزد على أن تشاغل بما أوتى عن آخرته فجمع لزوج امرأته أو زوج ابنته أو امرأة ابنه ولم يقدم لنفسه فقدم امرؤ لنفسه ووضع الفضول مواضعها تحصل لها وإلا حصلت للثلاثة بعده وأحرق بمن جمع لهم أو لعدو جارف (كتب إلي السري) عن شعيب عن سيف عن محمد ابن كريب عن نافع بن جبير قال قال عمر مقدم الاخماس عليه حين نظر إلى سلاح كسرى وثيابه وحليه مع ذلك سيف النعمان بن المنذر فقال لجبير إن أقواما أدوا هذا لذو أمانة إلى من كنتم تنسبون النعمان فقال جبير كانت العرب تنسبه إلى الاشلاء أشلاء قنص وكان أحد بني عجم بن قنص فقال خذ سيفه فنقله إياه فجهل الناس عجم وقالوا لخم وقالوا جميعا وولى عمر سعد بن مالك صلاة ما غلب عليه وحره فولى ذلك وولى الخراج النعمان وسويدا ابني عمرو بن مقرن سويدا على ما سقى الفرات والنعمان على ما سقت دجلة وعقدوا الجسور ثم ولى عملهما واستعفيا حذيفة بن أسيد وجابر بن عمرو المزني ثم ولى عملهما بعد حذيفة بن اليمان وعثمان

ابن حنيف * وقال وفي هذه السنة أعنى سنة ست عشرة كانت وقعة جلولاء كذلك حدثنا ابن حميد قال حدثنا سلمة عن ابن إسحاق وكتب إلي السري يذكر أن شعبا حدثه عن سيف بذلك ذكر الخبر عن وقعة جلولاء الوقعة (كتب إلي السري) عن شعيب عن سيف عن إسماعيل بن أبي خالد عن قيس بن أبي حازم قال لما أقمنا بالمدائن حين هبطناها واقتسمنا ما فيها وبعثنا إلى عمر بالاخماس وأوطناها أتانا الخبر بأن مهران قد عسكر بجلولاء وخذق عليه وأن أهل الموصل قد عسكروا بتكريت (كتب إلي السري) عن شعيب عن سيف عن الوليد بن عبدالله بن أبي طيبة البجلي عن أبيه بمثله وزاد فيه فكتب سعد بذلك إلى عمر فكتب إلى سعد أن سرح هاشم بن عتبة إلى جلولاء في اثني عشر ألفا واجعل على مقدمته الفعقاع بن عمرو وعلى ميمنته سعر بن مالك وعلى ميسرته عمرو بن مالك بن عتبة واجعل على ساقته عمرو بن مرة الجهني (كتب إلي السري) عن شعيب عن سيف عن محمد وطلحة والمهلب وزياد قالوا وكتب عمر إلى سعد إن هزم الله الجندين جند مهران وجند الانطاق فقدم الفعقاع حتى يكون بين السواد وبين الجبل على حد سوادكم * وشاركهم عمرو وسعيد قالوا وكان من حديث أهل جلولاء أن الاعاجم لما انتهوا بعد الهرب من المدائن إلى جلولاء وافترقت الطرق بأهل أذربيجان والباب وأهل الجبال وفارس تذاوموا وقالوا إن افترقتم لم تجتمعوا أبدا وهذا مكان يفرق بيننا فهلما فلتجتمع للعرب به ولنقاتلهم فإن كانت لنا فهو الذي نريد وإن كانت الأخرى كنا قد قضينا الذي علينا وأبلىنا عذرا فاحتفروا الخندق واجتمعوا فيه على مهران الرازي ونفذ يزدجرد إلى حلوان فنزل بها ورماهم بالرجال وخلف فيهم الاموال فأقاموا في خندقهم وقد أحاطوا به الحسك من الخشب إلا طرقتهم قال عمرو عن عامر الشعبي كان أبو بكر لا يستعين في حربه بأحد من أهل الردة حتى مات وكان عمر قد استعان بهم فكان لا يؤمر منهم أحدا إلا على النفر وما دون ذلك وكان لا يعدل أن يؤمر الصحابة إذا وجد من يجزي

عنه في حربه فإن لم يجد ففي التابعين بإحسان ولا يطمع من أنبعث في الردة وكان رؤساء أهل الردة في تلك الحروب حشوة إلى أن ضرب الاسلام بجرانه * ثم اشترك عمرو ومحمد والمهلب وطلحة وسعيد فقالوا ففصل هاشم بن عتبة بالناس من المدائن في صفر سنة ست عشرة في اثني عشر ألفا منهم وجوه المهاجرين والانصار وأعلام العرب ممن ارتد وممن لم يرتد فسار من المدائن إلى جلولاء أربعا حتى قدم عليهم وأحاط بهم فحاصروهم وطاولهم أهل فارس وجعلوا لا يخرجون عليهم إلا إذا أرادوا وراحفهم المسلمون بجلولاء ثمانين زحفا كل ذلك يعطى الله المسلمين عليهم الظفر وغلبوا المشركين على حسك الخشب فاتخذوا حسك الحديد (كتب إلى السري) عن شعيب عن سيف عن عقبة بن مكرم عن بطن ابن بشر قال لما نزل هاشم على مهران بجلولاء حصرهم في خندقهم فكانوا يراحفون المسلمين في زهاء وأهاويل وجعل هاشم يقوم في الناس ويقول إن هذا المنزل منزل له ما بعده وجعل سعد يمدده بالفرسان حتى إذا كان أخيرا احتفلوا للمسلمين فخرجوا عليهم فقام هاشم في الناس فقال أبلوا الله بلاء حسنا يتم لكم عليه الأجر والمغنم واعملوا لله فالتقوا فاقتتلوا وبعث الله عليهم ريحا أظلمت عليهم البلاد فلم يستطيعوا إلا المحاجزة فتهاقت فرسانهم في الخندق فلم يجدوا بدا من أن يجعلوا فرسا مما يليهم تصعد منه خيلهم فأفسدوا حصنهم وبلغ ذلك المسلمين فنظروا إليه فقالوا

أنهض إليهم ثانية فندخله عليهم أو نموت دونه فلما نهذ المسلمون الثانية خرج القوم فرموا حول الخندق مما يلي المسلمين بحسك الحديد لكيلا يقدم عليهم الخيل وتركوا للمجال وجها فخرجوا على المسلمين منه فاقتتلوا قتالا شديدا لم يقتتلوا مثله إلا ليلة الهرير إلا أنه كان أكمش وأعجل وانتهى القعقاع بن عمرو في الوجه الذي زاحف فيه إلى باب خندقهم فأخذ به وأمر مناديا فنادى يا معشر المسلمين هذا أميركم قد دخل خندق القوم وأخذ به فأقبلوا إليه ولا يمنعكم من بينكم وبينه من دخوله وإنما أمر بذلك ليقوى المسلمين به فحمل المسلمون ولا يشكون إلا أن هاشما فيه فلم يقر لحملتهم شئ حتى انتهوا إلى باب الخندق فإذا هم بالقعقاع بن عمرو قد أخذ به وأخذ المشركون

[١٣٤]

في هزيمة يمنية ويسرة عن المجال الذي بحيال خندقهم فهلكوا فيما أعدوا للمسلمين فعقرت دوابهم وعادوا رجالة وأنعمهم المسلمون فلم يفلت منهم إلا من لا يعد وقتل الله منهم يومئذ ألف فجللت القتلى المجال وما بين يديه وما خلفه فسميت جلولا بما جلتها من قتلاهم فهي جلولا الواقعة (كتب إلي السري) عن شعيب عن سيف عن عبيدالله بن محفز عن أبيه قال إنني لفي أوائل الجمهور مدخلهم ساباط ومظلمها وإني لفي أوائل الجمهور حين عبروا دجلة ودخلوا المدائن ولقد أصبت بها تمثالا لو قسم في بكر بن وائل لسد منهم مسدا عليه جوهر فأديته فما لبثنا بالمدائن إلا قليلا حتى بلغنا أن الاعاجم قد جمعت لنا بجلولا جمعا عظيما وقدموا عيالاتهم إلى الجبال وحبسوا الاموال فبعث إليهم سعد عمرو بن مالك بن عتبة بن أهب بن عبد مناف بن زهرة وكان جند جلولا اثني عشر ألفا من المسلمين على مقدمتهم القعقاع بن عمرو وكان قد خرج فيهم وجوه الناس وفرسانهم فلما مروا ببابل مهروذ صالحه دهقانها على أن يفرش له جريب أرض دراهم ففعل وصالحه ثم مضى حتى قدم عليهم بجلولا فوجدتهم قد خندقوا وتحصنوا في خندقهم ومعهم بيت مالهم وتواثقوا وتعاهدوا بالنيران أن لا يفرؤا ونزل المسلمون قريبا منهم وجعلت الامداد تقدم على المشركين كل يوم من حلوان وجعل يمدهم بكل من أمده من أهل الجبال واستمد المسلمون سعدا فأمدهم بمائتي فارس ثم مائتين ثم مائتين ولما رأى أهل فارس أمداد المسلمين بادروا بقتال المسلمين وعلى خيل المسلمين يومئذ طليحة ابن فلان أحد بني عبد الدار وعلى خيل الاعاجم خرزاد بن خر هرمز فاقتتلوا قتالا شديدا لم يقاتلوا المسلمين مثله في موطن من المواطن حتى أنفذوا النبل وحتى أنفذوا النشاب وقصفوا الرماح حتى صاروا إلى السيوف والطبرزيات فكانوا بذلك صدر زهراهم إلى الظهر ولما حضرت الصلاة صلى الناس إيماء حتى إذا كان بين الصلاتين خنست كتيبة وجاءت أخرى فوقفت مكانها فأقبل القعقاع بن عمرو على الناس فقال أهالتكم هذه قالوا نعم نحن مكلون وهم مريحون والكال يخاف العجز إلا أن يعقب فقال إنا حاملون عليهم ومجادوهم وغير كافين ولا مقلعين حتى يحكم

[١٣٥]

الله بيننا فاحملوا عليهم حملة رجل واحد حتى نخالطوهم ولا يكذب أحد منكم فحمل فانفروا فما نهذه أحد عن باب الخندق وأبسه الليل رواقه فأخذوا يمنية ويسرة وجاء في الامداد طليحة وقيس بن المكشوح وعمرو بن معديكرب وحجر بن عدي فوافقوهم قد تجاوزوا مع الليل ونادى منادى القعقاع بن عمرو وأين تجاوزون وأميركم في الخندق فتغار المشركون وحمل المسلمون فأدخل الخندق فأتى

فسطاطا فيه مرافق وثياب وإذا فرش على انسان فأنبشه فإذا امرأة كالغزال في حسن الشمس فأخذتها وثيابها فأديت الثياب وطلبت في الجارية حتى صارت إلى فاتخذتها أم ولد (كتب إلي السري) عن شعيب عن سيف عن حماد بن فلان البرجمي عن أبيه أن خارجة بن الصلت أصاب يومئذ ناقة من ذهب أو فضة موشحة بالدر والياقوت مثل الجفرة إذا وضعت على الأرض وإذا عليها رجل من ذهب موشح كذلك فجاء بها وبه حتى أداهما (كتب إلي السري) عن شعيب عن سيف عن محمد وطلحة والمهلب وعمرو وسعيد والوليد بن عبد الله والمجالد وعقبة بن مكرم قالوا وأمر هاشم القعقاع بن عمرو بالطلب فطلبهم حتب بلغ خانقين ولما بلغت الهزيمة يزدجرد سار من حلوان نحو الجبال وقدم القعقاع حلوان وذلك أن عمر كان كتب إلى سعد إن هزم الله الجندين جند مهران وجند الانطاق فقدم القعقاع حتى يكون بين السواد والجبل على حد سوادكم فنزل القعقاع بحلوان في جند من الافناء ومن الحمراء فلم يزل بها إلى أن تحول الناس من المدائن إلى الكوفة فلما خرج سعد من المدائن إلى الكوفة الحق به القعقاع واستعمل على الثغر قباذ وكان من الحمراء وأصله من خراسان ونفل منها من شهدها وبعض من كان بالمدائن نائبا وقالوا واشتركوا في ذلك وكتبوا إلي عمر بفتح جلولاء وينزل القعقاع حلوان واستأذنه في اتباعهم فأبى وقال لوددت أن بين السواد وبين الجبل سدا لا يخلصون إلينا ولا نخلص إليهم حسينا من الريف السواد إنني آثرت سلامة المسلمين على الانفال قالوا ولما بعث هاشم القعقاع في آثار القوم أدرك مهران بخانقين فقتله وأدرك الفيرزان فنزل وتوقل في الطراب وخلي فرسه وأصاب القعقاع سبايا فبعث بهم

[١٣٦]

إلى هاشم من سباياهم واقتسموهم فيما اقتسموا من الفئ فأتخذن فولدن في المسلمين وذلك السبي ينسب إلى جلولاء فيقال سبي جلولاء ومن ذلك السبي أم الشعبي وقعت لرجل من بني عيس فولدت فمات عنها فخلف عليها شراحيل فولدت له عامرا ونشأ في بني عيس (كتب إلي السري) عن شعيب عن سيف عن محمد وطلحة والمهلب قالوا واقتسم فئ جلولاء على كل فارس تسعة آلاف تسعة آلاف وتسعة من الدواب ورجع هاشم بالاخماس إلى سعد (كتب إلي السري) عن شعيب عن سيف عن عمرو عن الشعبي قال أفاء الله على المسلمين ما كان في عسكرهم بجلولاء وما كان عليهم وكل دابة كانت معهم الا اليسير لم يفلتوا بشئ من الاموال وولى قسم ذلك بين المسلمين سلمان بن ربيعة فكانت إليه يومئذ الاقباض والاقسام وكانت العرب تسميه لذلك سلمان الخيل وذلك أنه كان يقسم لها ويقصر بما دونها وكانت العتاق عنده ثلاث طبقات وبلغ سهم الفارس بجلولاء مثل سهمه بالمدائن (كتب إلي السري) عن شعيب عن سيف عن المجالد وعمرو عن الشعبي قال اقتسم الناس فئ جلولاء على ثلاثين ألف ألف وكان الخمس ستة آلاف (كتب إلي السري) عن شعيب عن سيف عن محمد وطلحة والمهلب وسعيد قالوا ونفل سعد من اخماس جلولاء من أعظم البلاء ممن شهدها ومن أعظم البلاء ممن كان نائبا بالمدائن وبعث بالاخماس مع قضاعي ابن عمرو الدؤلي من الا ذهاب والاوراق والانية والثياب وبعث بالسبي مع أبي مفزر الاسود فمضيا (كتب إلي السري) عن شعيب عن سيف عن زهرة ومحمد بن عمرو قالا بعث الاخماس مع قضاعي وأبي مفزر والحساب مع زياد بن أبي سفيان وكان الذي يكتب للناس ويدونهم فلما قدموا على عمر كلم زياد عمر فيما جاء له ووصف له فقال عمر هل تستطيع أن تقوم في الناس بمثل الذي كلمتني به فقال والله ما على الأرض شخص أهيب في صدري منك فكيف لا أقوى على هذا من غيرك فقام في الناس بما أصابوا وبما صنعوا وبما يستأذنون فيه من الانسياح في البلاد فقال عمر هذا الخطيب المصقع فقال

إن جندنا أطلقوا * بالفعال لساننا (كتب إلى السري) عن شعيب عن سيف عن زهرة ومحمد عن أبي سلمة قال لما قدم على عمر بالاحماس من جلولاء قال عمر والله لا يجنه سقف بيت حتى اقسمه فبات عبدالرحمن بن عوف وعبد الله بن أرقم يحرسانه في صحن المسجد فلما أصبح جاء في الناس فكشف عنه جلابيه وهي الانطاع فلما نظر إلى ياقوته وزيرجده وجوهره بكى فقال له عبدالرحمن ما يبكيك يا أمير المؤمنين فوالله إن هذا لموطن شكر فقال عمر والله ما ذاك يبكيني وتالله ما أعطى الله هذا قوما إلا تحاسدوا وتباغضوا ولا تحاسدوا إلا ألقى بأسهم بينهم وأشكل على عمر في أحماس القادسية حتى خطر عليه ما أفاء الله يعني من الخمس فوضع ذلك في أهله فأجرى خمس جلولاء مجرى خمس القادسية عن ملا وتشاور وإجماع من المسلمين ونقل من ذلك بعض أهل المدينة (كتب إلي السري) عن شعيب عن سيف عن محمد وطلحة والمهلب وسعيد وعمرو قالوا وجمع سعد من وراء المدائن وأمر بالاحصاء فوجدهم بضعة وثلاثين ومائة ألف ووجدهم بضعة وثلاثين ألف أهل بيت ووجد قسمتهم ثلاثة لكل رجل منهم بأهلهم فكتب في ذلك إلى عمر فكتب إليه عمر أن أقر الفلاحين على حالهم إلا من حارب أو هرب منك إلى عدوك فأدركته وأجر لهم ما أجريت للفلاحين قبلهم وإذا كتبت اليك في قوم فأجروا أمثالهم مجراهم فكتب إليه سعد فيمن لم يكن فلاحا فأجابه أما من سوى الفلاحين فذاك اليكم ما لم تغنموه يعني تقتسموه ومن ترك أرضه من أهل الحرب فخلها فهي لكم فإن دعوتموهم وقبلتم منهم الجزاء ورددتموهم قبل قسمتها فذمة وإن لم تدعوهم ففئ لكم لمن أفاء الله ذلك عليه وكان أحطى بفئ الأرض أهل جلولاء استأثروا بفئ ما وراء النهران وشاركوا الناس فيما كان قبل ذلك فأقروا الفلاحين ودعوا من لج ووضعوا الخراج على الفلاحين وعلى من رجع وقبل الذمة واستصفوا ما كان لآل كسرى ومن لج معهم فينا لمن أفاء الله عليه لا يجاز بيع شئ من ذلك فيما بين الجبل إلى الجبل من أرض العرب إلا من أهله الذين أفاء الله عليهم ولم يجيزوا بيع ذلك فيما بين الناس يعني

فيمن لم يفئه الله تعالى عليه ممن يعاملهم ممن لم يفئه الله عزوجل عليه فأقره المسلمون لم يقتسموه لأن قسمته لم تتأ لهم فمن ذلك الأحام ومغيض المياه وما كان لبيوت النار ولسكك البرد وما كان لكسرى ومن جامعهم وما كان لمن قتل والارحام فكان بعد من يرق يسأل الولاة قسم ذلك فيمنعهم من ذلك الجمهور فأبوا ذلك فانتهوا إلى رأيهم ولم يجيبوا وقالوا لولا أن يضرب بعضكم وجوه بعض لفعلنا ولو كان طلب ذلك منهم على ملا لقسمها بينهم (كتب إلى السري) عن شعيب عن سيف عن طلحة بن الأعلم عن ماهان قال لم يثبت أحد من أهل السواد على العهد فيما بينهم وبين أهل الأيام إلا أهل قريات أخذوها عنوة كلهم نكت ما خلا أولئك القريات فلما دعوا إلى الرجوع صاروا ذمة وعليهم الجزاء ولهم المنعة إلا ما كان لآل كسرى ومن معهم فانه صافية فيما بين حلوان والعراق وكان عمر قد رضى بالسواد من الريف (كتب إلي السري) عن شعيب عن سيف عن طلحة عن ماهان قال كتبوا إلى عمر في الصوافي فكتب إليهم أن اعمدوا إلى الصوافي التي أضفاكموها الله فوزعوها على من أفاءها الله عليه أربعة أحماس للجدد وخمس في مواضعه إلي وإن أحبوا أن ينزلوها فهو الذي لهم فلما جعل ذلك إليهم رأوا أن لا يفتروا في بلاد العجم وأقروها حبسا لهم يولونها من تراصوا عليه

ثم يقتسمونها في كل عام ولا يولونها الا من أجمعوا عليه بالرضا وكانوا لا يجمعون إلا على الامراء كانوا بذلك في المدائن وفي الكوفة حين تحولوا إلى الكوفة (كتب إلى السري) عن شعيب عن سيف عن الوليد بن عبدالله بن أبي طيبة عن أبيه قال كتب عمر أن احتازوا فيأكم فانكم إن لم تفعلوا فتقادم الامر يلحج وقد قضيت الذي علي اللهم إنى أشهدك عليهم فاشهد (كتب إلى السري) عن شعيب عن سيف عن الوليد بن عبدالله عن أبيه قال فكان الفلاحون للطرق والجسور والاسواق والحرب والدلالة مع الجزاء عن أيديهم على قدر طاقتهم وكانت الدهاقين للجزية عن أيديهم والعمارة وعلى كلهم الارشاد وضيافة ابن السبيل من المهاجرين وكانت الضيافة لمن أفاءها الله خاصة ميراثا (كتب إلى السري) عن شعيب عن

[١٣٩]

سيف عن عبد العزيز بن سياه عن حبيب بن أبي ثابت بنحو منه وقالوا جميعا كان فتح جلولاء في ذي القعدة سنة ستة عشر في أوله بينها وبين المدائن تسعة أشهر وقالوا جميعا كان صلح عمر الذي صالح عليه أهل الذمة إنهم إن غشوا المسلمين لعدوهم برئت منهم الذمة وان سبوا مسلما أن ينهكوا عقوبة وان قاتلوا مسلما أن يقتلوا وعلى عمر منعتهم وبرئ عمر إلى كل ذي عهد من معرفة الجيوش (كتب إلى السري) عن شعيب عن سيف عن محمد بن عبدالله والمستنير عن ابراهيم بمثله (كتب إلى السري) عن شعيب عن سيف عن طلحة عن ماهان قال كان أشقى أهل فارس بجلولاء أهل الري كانوا بها حماة أهل فارس ففنى أهل الري يوم جلولاء وقالوا جميعا ولما رجع أهل جلولاء إلى المدائن نزلوا قطائعهم وصار السواد ذمة لهم الا ما أصفاهم الله به من مال الاكاسرة ومن لج معهم وقالوا جميعا ولما بلغ أهل فارس قول عمر ورأيه في السواد وما خلفه قالوا ونحن نرضى بمثل الذي رضوا به لا يرضى أكراد كل بلدان ينالوا من ريفهم (كتب إلى السري) عن شعيب عن سيف عن المستنير بن يزيد وحكيم بن عمير عن ابراهيم بن يزيد قال لا يحل اشتراء أرض فيما بين حلوان والقادسية والقادسية من الصوافي لانه لمن أفاءه الله عليه (كتب إلى السري) عن شعيب عن سيف عن عمرو بن محمد عن الشعبي مثله (كتب إلى السري) عن شعيب عن سيف عن محمد بن قيس عن المغيرة بن شبل قال اشترى جريز من أرض السواد صافية على شاطئ الفرات فأتى عمر فأخبره فرد ذلك الشراء وكرهه ونهى عن شراء شئ لم يقتسمه أهله (كتب إلى السري) عن شعيب عن سيف عن محمد بن قيس قال قلت للشعبي أخذ السواد عنوة قال نعم وكل أرض إلا بعض الفلأع والحصون فان بعضهم صالح وبعضهم غلب قلت فهل لاهل السواد ذمة اعتقدوها قبل الهرب قال لا ولكنهم لما دعوا ورضوا بالخراج وأخذ منهم صاروا ذمة (كتب إلى السري) عن شعيب عن سيف عن عبد العزيز عن حبيب بن أبي ثابت قال ليس لاحد من أهل السواد عقد إلا بني صلوبا وأهل الحيرة وأهل

[١٤٠]

كلواذى وقرى من قرى الفرات ثم غدروا ثم دعوا إلى الذمة بعدما غدروا وقال هاشم بن عتبة في يوم جلولاء يوم جلولاء ويوم رستم * ويوم زحف الكوفة المقدم ويوم عرض النهر المحرم * من بين أيام خلون صرم شيبين أصداعي فهن هرم * مثل ثغام البلد المحرم وقال أبو بجيد في ذلك ويوم جلولاء الواقعة أصبحت * كتابنا تردى بأسد عوانس فضضت جموع الفرس ثم أنتمهم * فتبا لاجساد المجوس النجائس وأفلتهن الفيرزان بجرعة * ومهران أردت يوم حر القوانس

أقاموا بدار للمنية موعدا * وللترب تحثوها خجوج الروامس * (كتب إلى السري) * عن شعيب عن سيف عن محمد وطلحة والمهلب وعمرو وسعيد قالوا وقد كان عمر رضى الله عنه كتب إلى سعد إن فتح الله عليكم جلولاء فسرح القعقاع بن عمرو في آثار القوم حتى ينزل حلوان فيكون رداً للمسلمين ويحز الله لكم سوادكم فلما هزم الله عزوجل أهل جلولاء أقام هاشم بن عتبة بجلولاء وخرج القعقاع بن عمرو في آثار القوم إلى خانقين في جند من أفناء الناس ومن الحمراء فأدرك سبياً من سبيهم وقتل مقاتلة من أدرك وقتل مهران وأفلت الفيرزان فلما بلغ يزدجرد هزيمة أهل جلولاء ومصاب مهران خرج من حلوان سائراً نحو الرى وخلف بجلوان خيلاً عليها خسروشنوم وأقبل القعقاع حتى إذا كان بقصر شيرين على رأس فرسخ من حلوان خرج إليه خسروشنوم وقدم الزينبي دهقان حلوان فلقيه القعقاع فاقتتلوا فقتل الزينبي واحتق فيه عميرة بن طارق وعبد الله فجعله وسلبه بينهما فعد عميرة ذلك حقرة وهرب خسروشنوم واستولى المسلمون على حلوان وأنزلها القعقاع الحمراء وولى عليهم قباذ ولم يزل القعقاع هنالك على الثغر والجزء بعد ما دعاهم فترجعوا وأقروا بالجزء إلى أن تحول سعد من المدائن إلى الكوفة فلحق به واستخلف قباذ على الثغر وكان أصله

[١٤١]

خراسانيا * وكان في هذه السنة أعنى سنة ستة عشر في رواية سيف فتح تكريت وذلك في جمادى منها ذكر الخبر عن فتحها (كتب إلى السري) عن شعيب عن سيف عن محمد وطلحة والمهلب وسعيد وشاركهم الوليد بن عبد الله بن أبي طيبة قالوا كتب سعد في اجتماع أهل الموصل إلى الانطاق وأقباله حتى نزل بتكريت وخذق فيه عليه ليحمى أرضه وفي اجتماع أهل جلولاء على مهران معه فكتب في جلولاء ما قد فرغنا منه وكتب في تكريت واجتماع أهل الموصل إلى الانطاق بها أن سرح إلى الانطاق عبد الله بن المعتم واستعمل على مقدمته ربعي بن الأفلح العنزي وعلى يمينته الحارث بن حسان الذهلي وعلى ميسرته فرات بن حيان العجلي وعلى ساقته هانئ بن قيس وعلى الخيل عرفجة بن هرثمة ففصل عبد الله بن المعتم في خمسة آلاف من المدائن فسار إلى تكريت أربعاً حتى نزل على الانطاق ومعه الروم وإياد وتغلب والنمر ومعه الشهاجرة وقد خندقوا بها فحصرهم أربعين يوماً فتزاحفوا فيها أربعة وعشرين زحفاً وكانوا أهون شوكة وأسرع أمراً من أهل جلولاء ووكل عبد الله بن المعتم بالعرب ليدعوهم إليه وإلى نصرته على الروم فهم لا يخفون عليه شيئاً ولما رأت الروم أنهم لا يخرجون خرقة إلا كانت عليهم ويهزمون في كل ما زاحفوهم تركوا أمراءهم ونقلوا متاعهم إلى السفن وأقبلت العيون من تغلب وإياد والنمر إلى عبد الله بن المعتم بالخبر وسأله للعرب السلم وأخبروه أنهم قد استجابوا له فأرسل إليهم إن كنتم صادقين بذلك فاشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله وأقروا بما جاء به من عند الله ثم أعلمونا رأيكم فرجعوا إليهم بذلك فردوهم إليه بالاسلام فردهم إليهم وقال إذا سمعتم تكبيرنا فاعلموا أنا قد نهدنا إلى الابواب التي تلينا لندخل عليهم منها فخذوا بالابواب التي تلي دجلة وكبروا واقتلوا من قدرتم عليه فانطلقوا حتى تواطئوهم على ذلك ونهد عبد الله والمسلمون لما يليهم

[١٤٢]

وكبروا وكبرت تغلب وإياد والنمر وقد أخذوا بالابواب فحسب القوم أن المسلمين قد أتوهم من خلفهم فدخلوا عليهم مما يلي دجلة

فبادروا الابواب التي عليها المسلمون فأخذتهم السيوف سيوف المسلمين مستقبلتهم وسيوف الربيعيين الذين أسلموا ليلتئذ من خلفهم فلم يفلت من أهل الخندق إلا من أسلم من تغلب وايد والنمر وقد كان عمر عهد إلى سعد إن هم هزموا أن يأمر عبدالله بن المعتم بتسريح ابن الافكل العنزي إلى الحصنين فسرح عبدالله بن المعتم ابن الافكل العنزي إلى الحصنين فاخذ بالطريق وقال أسبق الخير وسر ما دون القيل وأحى الليل وسرح معه تغلب وايد والنمر فقدمهم وعليهم عتبة بن الوعل أحد بني سعد بن جشم وذو القرط وأبو وداعة بن أبي كرب وابن ذي السنينة قنيل الكلاب وابن الحجير الايادي وبشر بن أبي حوط متساندين فسبقوا الخير إلى الحصنين ولما كانوا منها قريبا قدموا عتبة بن الوعل فادعى بالظفر والنفل والقفل ثم ذو القرط ثم ابن ذي السنينة ثم ابن الحجير ثم بشر ووقفوا بالابواب وقد أخذوا بها وأقبلت سرعان الخيل مع ربعي بن الافكل حتى افتحمت عليهم الحصنين فكانت إياها فنادوا بالإجابة إلى الصلح فاقام من استجاب وهرب من لم يستجب إلى أن أتاهم عبدالله بن المعتم فلما نزل عليهم عبدالله دعا من لج وذهب ووفى لمن أقام فتراجع الهرب واغتبط المقيم وصارت لهم جميعا الذمة والمنعة واقتسموا في تكريت على كل سهم ألف درهم للفارس ثلاثة آلاف وللراجل ألف وبعثوا بالاحماس مع فرات بن حيان وبالفتح مع الحارث بن حسان وولى حرب الموصل ربعي بن الافكل والخراج عرفجة بن هرثمة (وفي هذه السنة) أعنى سنة ست عشرة كان فتح ماسبذان أيضا * (ذكر الخبر عن فتحها) * (كتب إلى السري) عن شعيب عن سيف عن طلحة ومحمد والمهلب وعمرو وسعيد قالوا ولما رجع هاشم بن عتبة من جلولاء إلى المدائن بلغ سعدا أن آذين بن الهرمزان قد جمع جمعا فخرج بهم إلى السهل فكتب بذلك إلى عمر فكتب إليه عمران

[١٤٣]

ابعث إليهم ضرار بن الخطاب في جند واجعل على مقدمته ابن الهذيل الاسدي وعلى مجنبيه عبدالله بن وهب الراسبي حليف بجيلة والمضارب بن فلان العجلي فخرج ضرار بن الخطاب وهو أحد بني محارب بن فهر في الجند وقدم ابن الهذيل حتى انتهى إلى سهل ماسبذان فالتقوا بمكان يدعى بهندف فاقبتلوا بها فأسرع المسلمون في المشركين وأخذ ضرار آذين سلما فأسره فانهزم عنه جيشه فقدمه ف ضرب عنقه ثم خرج في الطلب حتى انتهى إلى السيروان فأخذ ماسبذان عنوة فتطائر أهلها في الجبال فدعاهم فاستجابوا له وأقام بها حتى تحول سعد من المدائن فأرسل إليه فنزل الكوفة واستخلف ابن الهذيل على ماسبذان فكانت أحد فروج الكوفة وفيها كانت وقعة قرقيسياء في رجب ذكر الخبر عن الوقعة بها (كتب إلى السري) عن شعيب عن سيف عن طلحة ومحمد والمهلب وعمرو وسعيد قالوا ولما رجع هاشم بن عتبة عن جلولاء إلى المدائن وقد اجتمعت جموع أهل الجزيرة فأمدوا هرقل على أهل حمص وبعثوا جندا إلى أهل هيت وكتب بذلك سعد إلى عمر فكتب إليه عمر أن ابعث إليهم عمر بن مالك بن عتبة بن نوفل ابن عبد مناف في جند وابعث على مقدمته الحارث بن يزيد العامري وعلى مجنبيه ربعي بن عامر ومالك بن حبيب فخرج عمر بن مالك في جنده سائرا نحو هيت وقدم الحارث بن يزيد حتى نزل على من بهيت وقد خندقوا عليهم فلما رأى عمر بن مالك امتناع القوم بخندقهم واعتصامهم به استطال ذلك فترك الاخبية على حالها وخلف عليهم الحارث بن يزيد محاصرهم وخرج في نصف الناس يعارض الطريق حتى يجئ قرقيسياء في غرة فأخذها عنوة فأجابوا إلى الجزاء وكتب إلى الحارث بن يزيد أنهم استجابوا فخل عنهم فليخرجوا وإلا فخذق على خندقهم خندقا أبوابه مما يليك حتى أرى من رأيي فسمحوا

بالاستجابة وانضم الجند إلى عمر والاعاجم إلى أهل بلادهم (وقال الواقدي) وفي هذه السنة غرب عمر أبا محجن الثقفي إلى باضع *

[١٤٤]

قال وفيها تزوج ابن عمر صفية بنت أبي عبيد * قال وفيها ماتت مارية أم ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم أم ابراهيم وصلى عليها عمر وقبرها بالبقيع في المحرم * قال وفيها كتب التاريخ في شهر ربيع الاول * قال وحدثني ابن أبي سبرة عن عثمان ابن عبيدالله بن أبي رافع عن ابن المسيب قال أول من كتب التاريخ عمر لسنتين ونصف من خلافته فكتب لست عشرة من الهجرة بمشورة علي بن أبي طالب حدثني عبدالرحمن بن عبدالله بن عبد الحكم قال حدثنا نعيم بن حماد قال حدثنا الدراوردي عن عثمان بن عبيدالله بن أبي رافع قال سمعت سعيد بن المسيب يقول جمع عمر بن الخطاب الناس فسألهم من أي يوم يكتب فقال علي من يوم هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم وترك أرض الشرك ففعله عمر * وحدثني عبدالرحمن قال حدثني يعقوب بن اسحاق بن أبي عتاب قال حدثنا محمد بن مسلم الطائفي عن عمرو بن دينار عن ابن عباس قال كان التاريخ في السنة التي قدم فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة وفيها ولد عبدالله بن الزبير * وحج بالناس في هذه السنة عمر بن الخطاب واستخلف على المدينة فيما زعم الواقدي زيد بن ثابت وكان عامل عمر في هذه السنة على مكة عتاب بن أسيد وعلى الطائف عثمان بن أبي العاص وعلى اليمن يعلى بن أمية وعلى اليمامة والبحرين العلاء بن الحضرمي وعلى عمان حذيفة ابن محصن وعلى الشام كلها أبو عبيدة بن الجراح وعلى الكوفة سعد بن أبي وقاص وعلى قضائها أبو قررة وعلى البصرة وأرضها المغيرة بن شعبة وعلى حرب الموصل ربعي بن الافكل وعلى الخراج بها عرفجة بن هرثمة في قول بعضهم وفي قول آخرين عتبة بن فرقد على الحرب والخراج وقيل ذلك كله كان إلى عبدالله بن المعتم وعلى الجزيرة عياض بن غنم الاشعري * (ثم دخلت سنة سبع عشرة) * (ففيها) اختطت الكوفة وتحول سعد بالناس من المدائن إليها في قول سيف بن عمر وروايته

[١٤٥]

ذكر سبب تحول من تحول من المسلمين من المدائن إلى الكوفة وسبب اختطاطهم الكوفة في رواية سيف (كتب إلى السري) عن شعيب عن سيف عن محمد وطلحة والمهلب وعمرو وسعيد قالوا لما جاء فتح جلولاء وحلوان ونزول القعقاع بن عمرو بحلوان فيمن معه وجاء فتح تكرب والحصنين ونزول عبدالله بن المعتم وابن الافكل الحصنين فيمن معه وقدمت الوفود بذلك على عمر فلما رأهم عمر قال والله ما هيئتكم بالهيئة التي أبدأتم بها ولقد قدمت وفود القادسية والمدائن وإنهم لكما أبدأوا ولقد انتكيتم فما غيركم قالوا وخومة البلاد فنظر في حوائجهم وعجل سراجهم وكان في وفود عبدالله بن المعتم عتبة بن الوعل وذو القرط وابن ذي السنينة وابن الحجير وبشر فعاقدوا عمر على بني تغلب ففقد لهم على أن من أسلم منهم فله ما للمسلمين وعليه ما عليهم ومن أبي فعليه الجزاء وإنما الاجبار من العرب على من كان في جزيرة العرب فقالوا إذا يهربون وينقطعون فيصيرون عجمًا فأمر أجمل الصدقة فقال ليس إلا الجزاء فقالوا تجعل جزيتهم مثل صدقة المسلم فهو مجهودهم ففعل على أن لا ينصروا وليدا ممن أسلم أبائهم فقالوا لك ذلك فهاجر هؤلاء التغلبيون ومن أطاعهم من النمرين والاياديين إلى سعد بالمدائن وخطوا معه بعد بالكوفة وأقام من أقام في بلاده على ما

أخذوا لهم على عمر مسلمهم وذمهم * (كتب إلى السري) عن شعيب عن سيف عن ابن شبرمة عن الشعبي قال كتب حذيفة إلى عمر إن العرب قد أترفت بطونها وخفت أعضادها وتغيرت ألوانها وحذيفة يومئذ مع سعد * (كتب إلى السري) عن شعيب عن سيف عن محمد وطلحة أصحابهما قالوا كتب عمر إلى سعد أنبئي ما الذي غير ألوان العرب ولحومهم فكتب إليه إن العرب خددهم وكفى ألوانهم وخومة المدائن ودجلة فكتب إليه إن العرب لا يوافقها إلا ما وافق أبلها من البلدان فابعث سلمان رائدا وحذيفة وكانا رائدي الجيش فيرتادا منزلا بريا بحريا ليس بيني وبينكم فيه بحر ولا جسر ولم يكن بقي

[١٤٦]

من أمر الجيش شئ إلا وقد أسنده إلى رجل فبعث سعد حذيفة وسلمان فخرج سلمان حتى يأتي الأنبار فسار في غربي الفرات لا يرضى شيئا حتى أتى الكوفة وخرج حذيفة في شرقي الفرات لا يرضى شيئا حتى أتى الكوفة والكوفة على حصاء وكل رملة حمراء يقال لها سهلة وكل حصاء وزمل هكذا متخلطين فهو كوفة فأتيا عليها وفيها ديرات ثلاثة دير حرقة ودير أم عمرو ودير سلسلة وخصاص خلال ذلك فأعجبتهما البقعة فنزلا فصليا وقال كل واحد منهما اللهم رب السماء وما أظلت ورب الأرض وما أقلت والريح وما ذرت والنجوم وما هوت والبحار وما جرت والشياطين وما أضلت والخصاص وما أجتت بارك لنا في هذه الكوفة واجعله منزل ثبات وكتب إلى سعد بالخبر * حدثني محمد ابن عبدالله بن صفوان قال حدثنا أمية بن خالد قال حدثنا أبو عوانة عن حصين ابن عبدالرحمن قال لما هزم الناس يوم جلولاء رجع سعد بالناس فلما قدم عمار خرج بالناس إلى المدائن فاجتووها قال عمار هل يصلح بها الأبل قالوا لا إن بها البعوض قال قال عمر إن العرب لا تصلح بأرض لا يصلح بها الأبل قال فخرج عمال بالناس حتى نزل الكوفة (كتب إلى السري) عن شعيب عن سيف عن مخلص بن قيس عن أبيه عن اليسر عن ثور قال ولما اجتوى المسلمون المدائن بعد ما نزلناها وأذاهم الغبار والذباب وكتب إلى سعد في بعثه رودا يرتادون منزلا بريا بحريا فإن العرب لا يصلحها من البلدان إلا ما أصلح البعير والشاة سأل من قبله عن هذه الصفة فيما بينهم فأشار عليه من رأى العراق من وجوه العرب باللسان وظهر الكوفة يقال له اللسان وهو فيما بين النهرين إلى العين عين بني الحذاء كانت العرب تقول ادلع البر لسانه في الريف فما كان يلي الفرات منه فهو الملطاط وما كان يلي الطين منه فهو النجاف فكتب إلى سعد يأمره به (كتب إلى السري) عن شعيب عن سيف عن محمد وطلحة والمهلب وعمرو وسعيد قالوا ولما قدم سلمان وحذيفة على سعد وأخبراه عن الكوفة وقدم كتاب عمر بالذي ذكرا له كتب سعد إلى القعقاع بن عمرو أن خلف على الناس بجلولاء قباذ فيمن

[١٤٧]

تبعكم لى من كان معه من الحمراء ففعل وجاء حتى قدم على سعد في جنده وكتب سعد إلى عبدالله بن المعتم أن خلف على الموصل مسلم بن عبدالله الذي كان أسر أيام القادسية فيمن استجاب لكم من الاساورة ومن كان معكم منهم ففعل وجاء حتى قدم على سعد في جنده فارتحل سعد بالناس من المدائن حتى عسكر بالكوفة في المحرم سنة سبعة عشر وكان بين وقعة المدائن ونزول الكوفة سنة وشهران وكان بين قيام عمر واختطاط الكوفة ثلاث سنين وثمانية أشهر اختطت سنة أربع من إمارة عمر في المحرم سنة سبعة عشر

من التأريخ وإعطوا العطايا بالمدائن في المحرم من هذه السنة قبل أن يرتحلوا وفي بهرسير في المحرم سنة ستة عشر واستقر بأهل البصرة منزلهم اليوم بعد ثلاث نزلات قبلها كلها ارتحلوا عنها في المحرم سنة سبعة عشر واستقر باقي قرارهما اليوم في شهر واحد وقال الواقدي سمعت القاسم ابن معن يقول نزل الناس الكوفة في آخر سنة سبعة عشر قال وحدثني ابن أبي الرقاد عن أبيه قال نزلوها حين دخلت سنة ثمانية عشر في أول السنة (رجع الحديث إلى حديث سيف) قالوا وكتب عمر إلى سعد بن مالك وإلى عتبة بن غزوان أن يتربعا بالناس في كل حين ربيع في أطيب أرضهم وأمر لهم بمعاونهم في الربيع من كل سنة وبإعطائهم في المحرم من كل سنة وبغيثهم عند طلوع الشعري في كل سنة وذلك عند إدراك الغلات وأخذوا قبل نزول الكوفة عطاءين (كتب إلي السري) عن شعيب عن سيف عن مخلد بن قيس عن رجل من بني أسد يدعى المغرور قال لما نزل سعد الكوفة كتب إلى عمر إنني قد نزلت بكوفة منزلا بين الحيرة والفرات برية وبحريا بنيت الحلي والنصي وخيرت المسلمين بالمدائن فمن أعجبه المقام فيها تركته فيها كالمسلحة فبقى أقوام من الافناء وأكثرهم بنو عيس (كتب إلى السري) عن شعيب عن سيف عن محمد وطلحة وعمرو وسعيد والمهلب قالوا ولما نزل أهل الكوفة الكوفة واستقرت بأهل البصرة الدار عرف القوم أنفسهم وثاب إليهم ما كانوا فقدوا ثم إن أهل الكوفة استأذنوا في بنيان القصب واستأذن فيه أهل البصرة فقال عمر العسكر أجد لحربكم وأذكي لكم وما أحب أن أخالفكم

[١٤٨]

وما القصب قالوا العكرش إذا روى قصب فصار قصبا قال فشأنكم فابتني أهل المصريين بالقصب ثم إن الحريق وقع بالكوفة وبالْبصرة وكان أشدهما حريقا الكوفة فاحترق ثمانون عريشا ولم يبق فيها قصبية في شوال فما زال الناس يذكرون ذلك فبعث سعد منهم نفرا إلى عمر يستأذنون في البناء باللبن فقدموا عليه بالخبر عن الحريق وما بلغ منهم وكانوا لا يدعون شيئا ولا يأتونه إلا وأمره فيه فقال افعلوا ولا يزيدن أحدكم على ثلاثة آيات ولا تطاولوا في البنيان والزموا السنة تلمزمكم الدولة فرجع القوم إلى الكوفة بذلك وكتب عمر إلى عتبة وأهل البصرة يمثل ذلك وعلى تنزيل أهل الكوفة أبو الهياج بن مالك وعلى تنزيل أهل البصرة عاصم بن الدلف أبو الجرباء قال وعهد عمر إلى الوفد وتقدم إلى الناس أن لا يرفعوا بنيانا فوق القدر قالوا وما القدر قال ما لا يقربكم من السرف ولا يخرجكم من القصد (كتب إلي السري) عن شعيب عن سيف عن محمد وطلحة والمهلب وعمرو وسعيد قالوا لما أجمعوا على أن يضعوا بنيان الكوفة أرسل سعد إلى أبي الهياج فأخبره بكتاب عمر في الطرق أنه أمر بالمناهج أربعين ذراعا وما يليها ثلاثين ذراعا وما بين ذلك عشرين وبالأزقة سبع أذرع ليس دون ذلك شئ وفي القطائع ستين ذراعا إلا الذي لبنى ضية فاجتمع أهل الرأي للتقدير حتى إذا أقاموا على شئ قسم أبو الهياج عليه فأول شئ خط بالكوفة وبنى حين عزموا على البناء المسجد فوضع أصحاب الصابون والتمارين من السوق فاختطوه ثم قام رجل في وسطه رام شديد النزع فرمى عن يمينه فأمر من شاء أن يبني وراء موقع ذلك السهم ورمى من بين يديه ومن خلفه وأمر من شاء أن يبني وراء موقع السهمين فترك المسجد في مربعة علوه من كل جوانبه وبنى ظلة في مقدمه ليست لها مجنبات ولا مواخير والمربعة لاجتماع الناس لئلا يزدحموا وكذلك كانت المساجد ما خلا المسجد الحرام فكانوا لا يشبهون به المساجد تعظيما لحرمة وكان ظلته مائتي ذراع على أساطين رخام كانت للأكاسرة سماؤها كاسمية الكنائس الرومية وأعلموا على الصحن بخندق لئلا يفتحمه أحد بنيان وبنوا لسعد دارا يحياه بينهما طريق منقب مائتي ذراع

وجعل فيها بيوت الاموال وهي قصر الكوفة اليوم بني ذلك له روربه من اجر بنيان الاكاسرة بالحيرة ونهج في الودعة من الصحن خمسة مناهج وفي قبلته أربعة مناهج وفي شرقيه ثلاثة مناهج وفي غربيه ثلاثة مناهج وعلمها فأنزل في ودعة الصحن سليمان وثقيفا مما يلي الصحن على طريقين وهمدان علي طريق وبجيلة على طريق آخر وتيم اللات على آخرهم وتغلب وأنزل في قبلة الصحن بني أسد على طريق وبين بني أسد والنخع طريق وبين النخع وكندة طريق وبين كندة والازد طريق وأنزل في شرقي الصحن الانصار ومزينة على طريق وتميم ومحارب على طريق وأسد وعامر علي طريق وأنزل في غربي الصحن بجالة وبجيلة على طريق وجديلة وأخلاق على طريق جهينة وأخلاق على طريق فكان هؤلاء الذين يلون الصحن وسائر الناس بين ذلك ومن وراء ذلك واقتسمت على السهمان فهذه مناهجها العظمى وبنوا مناهج دونها تحاذى هذه ثم تلاقيها آخر تتبعها وهي دونها في الذرع المحال من ورائها وفيما بينها وجعل هذه الطرقات من وراء الصحن ونزل فيها الاعشار من أهل الايام والقوادس وحمى لاهل الثغور والموصل أماكن حتى يوافقوا إليها فلما ردفتم الروادف البدء والثناء وكثروا عليهم ضيق الناس المحال فمن كانت رادفته كثيرة شخض إليهم وترك محلته ومن كانت رادفته قليلة أنزلوهم منازل من شخض إلى رادفته لقلته إذا كانوا جيرانهم وإلا وسعوا على روادفهم وضيقوا على أنفسهم فكان الصحن على حاله زمان عمر كله لا تطمع فيه القبائل ليس فيه الا المسجد والقصر والاسواق في غير بنيان ولا اعلام وقال عمر الاسواق على سنة المساجد من سبق إلى مقعد فهو له حتى يقوم منه إلى بيته أو يفرغ من بيعه وقد كانوا أعدوا مناخا لكل رادف فكان كل من يجئ سواء فيه وذلك المناخ اليوم دور بني البكاء حتى يأتوا بالهياج فيقوم في أمرهم حتى يقطع لهم حيث أحبوا وقد بنى سعد في الذي خطوا للقصر قصرًا بحيال محراب مسجد الكوفة اليوم فشيده وجعل فيه بيت المال وسكن ناحيته ثم إن بيت المال نقب عليه نقبا وأخذ من المال وكتب سعد بذلك إلى عمر ووصف له موضع الدار وبيوت

المال من الصحن مما يلي ودعة الدار فكتب إليه عمر أن انقل المسجد حتى تضعه إلى جنب الدار واجعل الدار قبلته فإن للمسجد أهلا بالنهار وبالليل وفيهم حصن لما لهم فنقل المسجد وأراغ بنيانه فقال له دهقان من أهل همذان يقال له روزبه بن بزرجمهر أنا أبنيه لك وأبني لك قصرًا فأصلهما ويكون بنيانا واحدا فخط قصر الكوفة على ما خط عليه ثم أنشأه من نقض اجر قصر كان للاكاسرة في ضواحي الحيرة على مساحته اليوم ولم يسمح به ووضع المسجد بحيال بيوت الاموال منه إلى منتهى القصر يمنا على القبلة ثم مد به عن يمين ذلك إلى منقطع رحبة علي بن أبي طالب عليه السلام والرحبة قبلته ثم مد به فكانت قبلة المسجد إلى الرحبة وميمنة القصر وكان بنيانه على أساطين من رخام كانت لكسرى بكنائس بغير مجنات فلم يزل على ذلك حتى بني أزمان معاوية بن أبي سفيان بنيانه اليوم على يدي زياد ولما أراد زياد بنيانه دعا بنيائين من بني الجاهلية فوصف لهم موضع المسجد وقدره وما يشتهي من طوله في السماء وقال اشتهى من ذلك شيئًا لا أقع على صفته فقال له بناء قد كان بناء لكسرى لا يجئ هذا إلا بأساطين من جبال أهواز تنقر ثم تثقب ثم تحشى بالرخاص وبسفايد الحديد فترفعه ثلاثين ذراعًا في السماء ثم تسقفه وتجعل له مجنات ومواخير فيكون أثبت له فقال هذه الصفة التي كانت نفسي تنازعني إليها

ولم تعبرها وغلق باب القصر وكانت الاسواق تكون في موضعه بين يديه فكانت غوغاؤهم تمنع سعدا الحديث فلما بنى ادعى الناس عليه ما لم يقل وقالوا قال سعد سكن عني الصوت وبلغ عمر ذلك وأن الناس يسمونه قصر سعد فدعا محمد بن مسلمة فسرحه إلى الكوفة وقال اعمد إلى القصر حتى تحرق بابه ثم ارجع عودك على بدئك فخرج حتى قدم الكوفة فاشترى حطبا ثم أتى به القصر فأحرق الباب وأتى سعد فأخبر الخبر فقال هذا رسول أرسل لهذا من الشام وبعث لينظر من هو فإذا هو محمد بن مسلمة فأرسل إليه رسولا بأن ادخل فأبى فخرج إليه سعد فأراده على الدخول والنزول فأبى وعرض عليه نفقة فلم يأخذ ودفع كتاب عمر إلى سعد بلغني أنك بنيت قصرا اتخذته حصنا ويسمى قصر سعد وجعلت

[١٥١]

بينك وبين الناس بابا فليس بقصرك ولكنه قصر الخيال انزل منه منزلا مما يلي بيوت الاموال واغلقه ولا تجعل على القصر بابا يمنع الناس من دخوله وتنفيهم به عن حقوقهم ليوافقوا مجلسك ومخرجك من دارك إذا خرجت فحلف له سعد ما قال الذي قالوا ورجع محمد بن مسلمة من فوره حتى إذا دنا من المدينة فنى زاده فتبلغ بلحاء من لحاء الشجر فقدم على عمر وقد سبق فأخبره خبره كله فقال فهلا قبلت من سعد فقال لو أردت ذلك كتبت لي به أو أذنت لي فيه فقال عمر إن أكمل الرجال رأيا من إذا لم يكن عنده عهد من صاحبه عمل بالحزم أو قال به ولم ينكل وأخبره بيمين سعد وقوله فصدق سعدا وقال هو أصدق ممن روى عليه ومن أبلغني (كتب إلي السري) عن شعيب عن سيف عن عطاء أبي محمد مولى اسحاق بن طلحة قال كنت أجلس في المسجد الأعظم قبل أن يبنيه زياد وليست له مجنبات ولا مواخير فأرى منه دير هند وباب الجسر (كتب إلي السري) عن شعيب عن سيف عن ابن شبرمة عن الشعبي قال كان الرجل يجلس في المسجد فيرى منه باب الجسر (كتاب إلي السري) عن شعيب عن سيف عن عمر بن عياش أخى أبي بكر بن عياش عن أبي كثير أن روزه بن بزرجمر بن ساسان كان همذانيا وكان على فرج من فروج الروم فأدخل عليهم سلاحا فأخافه الاكاسرة فلحق بالروم فلم يأمن حتى قدم سعد ابن مالك فبنى له القصر والمسجد ثم كتب معه إلى عمر وأخبره بحاله فأسلم وفرض له عمر وأعطاه وصرفه إلى سعد مع أكريائه والاكرياء يومئذ هم العباد حتى إذا كان بالمكان الذي يقال له قبر العبادي مات فحفروا له ثم انتظروا به من يمر بهم ممن يشهدونه موته فمر قوم من الاعراب وقد حفروا له على الطريق فاوهموه ليبرؤا من دمه وأشهدوهم ذلك فقالوا قبر العبادي وقيل قبر العبادي لمكان الاكرياء قال أبو كثير فهو والله أبى قال فقلت أفلا تخبر الناس بحاله قال لا (كتب إلي السري) عن شعيب عن سيف عن محمد وطلحة والمهلب وعمرو وسعيد وزياد قالوا ورجح الاعشار بعضهم بعضا رجحانا كثيرا فكتب سعد إلى عمر في تعديلهم فكتب إليه أن عدلهم فأرسل إلى قوم من نساب العرب وذوى رأيهم وعقلائهم

[١٥٢]

منهم سعيد بن نمران ومشعلة بن نعيم فعدلوهم عن الاسباع فجعلوهم أسباعا فصارت كنانة وحلفاؤها من الاحابيش وغيرهم وحديلة وهم بنو عمرو بن قيس عيلان سبعا وصارت قضاة ومنهم يومئذ غسان بن شمام وبجيلة وخنعم وكندة وحضرموت والازد سبعا وصارت مذحج وحمير وهمدان وحلفاؤهم سبعا وصارت تميم وسائر الرباب وهوازن سبعا وصارت أسد وعطفان ومحارب والنمر وضبيعة

وتغلب سبعا وصارت إباد وعك وعبد القيس وأهل هجر والحمراء سبعا فلم يزالوا بذلك زمان عمر وعثمان وعلي وعمامة إمارة معاوية حتى ربيعهم زياد * (إعادة تعريف الناس) * وعرفوهم على مائة ألف درهم فكانت كل عرافة من القادسية خاصة ثلاثة وأربعين رجلا وثلاثا وأربعين امرأة وخمسين من العيال لهم مائة ألف درهم وكل عرافة من أهل الأيام عشرين رجلا على ثلاثة آلاف وعشرين امرأة وكل عيل على مائة ألف درهم وكل عرافة من الرادفة الأولى ستين رجلا وستين امرأة وأربعين من العيال ممن كان رجالهم ألقوا على ألف وخمسمائة على مائة ألف درهم ثم على هذا من الحساب وقال عطية بن الحارث قد أدركت مائة عريف وعلي مثل ذلك كان أهل البصرة كان العطاء يدفع إلى أمراء الاسباع وأصحاب الرايات والرايات على أيادي العرب فيدفعونه إلى العرفاء والنقباء والامناء فيدفعونه إلى أهله في دورهم * (فتوح المدائن قبل الكوفة (كتب إلى السري) عن شعيب عن سيف عن محمد وطلحة والمهلب وعمرو وسعيد قالوا فتوح المدائن السواد وحلوان وماسبذان وقرقيسياء فكانت الثغور تغور الكوفة أربعة حلوان عليها القعقاع بن عمرو وماسبذان عليها ضرار بن الخطاب الفهري وقرقيسياء عليها عمر بن مالك أو عمرو بن عتبة بن نوفل بن عبد مناف والموصل عليها عبدالله بن المعتم فكانوا بذلك والناس مقيمون بالمدائن بعد ما تحول سعد إلى تمصير الكوفة وانضمام هؤلاء نفر إلى الكوفة واستخلافهم

[١٥٣]

على الثغور من يمسك بها ويقوم عليها فكان خليفة القعقاع على حلوان قباذ بن عبدالله وخليفة عبدالله على الموصل مسلم بن عبدالله وخليفة ضرار رافع بن عبدالله وخليفة عمر عشنق بن عبدالله وكتب إليهم عمر أن يستعينوا بمن احتاجوا إليه من الاساورة ويرفعوا عنهم الجزاء ففعلوا فلما اختطت الكوفة وأذن للناس بالبناء نقل الناس أبوابهم من المدائن إلى الكوفة فعلقوها على ما بنوا وأوطنوا الكوفة وهذه ثغورهم وليس في أيديهم من الريف إلا ذلك (كتب إلى السري) عن شعيب عن سيف عن مجالد عن عامر قال كانت الكوفة وسوادها والفروج حلوان والموصل وماسبذان وقرقيسياء ثم وافقهم في الحديث عمرو ابن الريان عن موسى بن عيسى الهمداني بمثل حديثهم ونهاهم عما وراء ذلك ولم يأذن لهم في الانسياح وقالوا جميعا ولي سعد بن مالك على الكوفة بعد ما اختطت ثلاث سنين ونصف سوى ما كان بالمدائن قبلها وعمالته ما بين الكوفة وحلوان والموصل وماسبذان وقرقيسياء إلى البصرة ومات عتبة بن غزوان وهو على البصرة قطع بعمله وسعد على الكوفة فولى عمر أبا سيرة مكان عتبة بن غزوان ثم عزل أبا سيرة عن البصرة واستعمل المغيرة ثم عزل المغيرة واستعمل أبا موسى الأشعري ذكر خبر حمص حين قصد من فيها من المسلمين صاحب الروم وفي هذه السنة قصدت الروم أبا عبيدة بن الجراح ومن معه من جند المسلمين بجمص لحربهم فكان من أمرهم وأمر المسلمين ما ذكر أبو عبيدة وهو فيما كتب به إلى السري عن شعيب عن سيف عن محمد وطلحة وعمرو وسعيد قالوا أول ما أذن عمر للجند بالكوفة بالانسياح أن الروم خرجوا وقد تكاثروا هم وأهل الجزيرة يريدون أبا عبيدة والمسلمين بجمص فضم أبو عبيدة إليه مسالحه وعسكروا بغناء مدينة حمص وأقبل خالد من قنسرين حتى انضم إليهم فيمن انضم من أمراء المسالح فاستشارهم أبو عبيدة في المناجزة أو التحصن إلى مجئ الغياث فكان خالد يأمره أن يناجزهم وكان سائرهم يأمرونه بأن يتحصن ويكتب إلى عمر فأطاعهم وعصى

[١٥٤]

خالدا وكتب إلى عمر بخروجهم عليه وشغبهم أجناد أهل الشام عنه
رقد كان عمر اتخذ في كل مصر على قدره خيولا من فضول أموال
المسلمين عدة لكون إن كان فكان بالكوفة من ذلك أربعة آلاف فرس
فلما وقع الخبر لعمر كتب إلى سعد ابن مالك أن اندب الناس مع
القعقاع بن عمرو وسرحهم من يومهم الذي يأتيك فيه كتابي إلى
حمص فإن أبا عبيدة قد أحبط به وتقدم إليهم في الجد والحث وكتب
أيضا إليه أن سرح سهيل بن عدي إلى الجزيرة في الجند وليأت الرقة
فإن أهل الجزيرة هم الذين استثاروا الروم على أهل حمص وإن أهل
قرقيسية لهم سلف وسرح عبدالله بن عتيان إلى نصيبين فإن أهل
قرقيسية لهم سلف ثم لينفصا حران والرهاء وسرح الوليد بن عتبة
على عرب الجزيرة من ربيعة وتنوخ وسرح عياض فإن كان قتال فقد
جعلت أمرهم جميعا إلى عياض بن غنم وكان عياض من أهل العراق
الذين خرجوا مع خالد بن الوليد ممدنين لاهل الشام وممن انصرف
أيام انصرف أهل العراق ممدنين لاهل القادسية وكان يرافد أبا عبيدة
فمضى القعقاع في أربعة آلاف من يومهم الذي أتاهم فيه الكتاب
نحو حمص وجرح عياض بن غنم وأمراء الجزيرة فأخذوا طريق الجزيرة
على الفراض وغير الفراض وتوجه كل أمير إلى الكوفة التي أمر عليها
فأتى سهيل الرقة وخرج عمر من المدينة مغيثا لابي عبيدة يريد
حمص حتى نزل الجابية ولما بلغ أهل الجزيرة الذين أعانوا الروم على
أهل حمص واستثاروهم وهم معهم مقيمون عن حديث من بالجزيرة
منهم بأن الجنود قد ضربت من الكوفة ولم يدروا الجزيرة يريدون أم
حمص فتفرقوا إلى بلدانهم وإخوانهم وخلوا الروم ورأى أبو عبيدة أمرا
لما انفضوا غير الاول فاستشار خالدا في الخروج فأمره بالخروج ففتح
الله عليهم وقدم القعقاع بن عمرو في أهل الكوفة في ثلاث من يوم
الوقعة وقدم عمر فنزل الجابية فكتبوا إلى عمر بالفتح وبقدوم المدد
عليهم في ثلاث وبالحكم في ذلك فكتب إليهم أن أشركوهم وقال
جزى الله أهل الكوفة خيرا يكفون حوزتهم ويمدون أهل الامصار (كتب
إلى السري) عن شعيب عن سيف عن زكرياء بن سياه عن
الشعبي قال استمد أبو عبيدة عمر وخرجت

عليه الروم وتابعهم النصارى فحصره فخرج وكتب إلى أهل الكوفة
فنفر إليهم في غداة أربعة آلاف على البغال يحبون الخيل فقدموا
على أبي عبيدة في ثلاث بعد الوقعة فكتب فيهم إلى عمر وقد
انتهى إلى الجابية فكتب إليه أن أشركهم فإنهم قد نفرنا اليكم
وتفرق لهم عدوكم (كتب إلى السري) عن شعيب عن سيف عن
طلحة عن ماهان قال كان لعمر أربعة آلاف فرس عدة لكون إن كان
يشتها في قبلة قصر الكوفة وميسرته ومن أجل ذلك يسمى ذلك
المكان الأري إلى اليوم ويربعا فيما بين الفرات والابيات من الكوفة
مما يلي العاقول فسمته الأعاجم آخر الشاهجان يعنون معلف الامراء
وكان قيمه عليها سلمان بن ربيعة الباهلي في نفر من أهل الكوفة
يصنع سوابقها ويجريها في كل عام وبالبيصرة نحو منها وقيمه عليها
جزء بن معاوية وفي كل مصر من الامصار الثمانية على قدرها فإن
نابتهم نائبة ركب قوم وتقدموا إلى أن يستعد الناس (كتب إلى
السري) عن شعيب عن سيف عن حلام عن شهر بن مالك بنحو
منه فلما فرغوا رجعوا * وفي هذه السنة أعني سنة سبع عشرة
افتتحت * (الجزيرة) * في رواية سيف وأما ابن اسحاق فإنه ذكر انها
افتتحت في سنة تسع عشرة من الهجرة وذكر من سبب فتحها ما
حدثنا ابن حميد قال حدثنا سلمة عنه أن عمر كتب إلى سعد بن
أبي وقاص ان الله قد فتح على المسلمين الشام والعراق فابعث من
عندك جندا إلى الجزيرة وأمر عليهم أحد الثلاثة خالد بن عرفطة أو
هاشم بن عتبة أو عياض بن غنم فلما انتهى إلى سعد كتاب عمر
قال ما آخر أمير المؤمنين عياض بن غنم آخر القوم الا أنه له فيه
هوى أن أوليه وأنا موليه فبعثه وبعث معه جيشا وبعث أبا موسى

الاشعري وابنه عمر بن سعد وهو غلام حدث السن ليس إليه من الامر شئ وعثمان بن أبي العاص بن بشر الثقفي وذلك في سنة تسع عشرة فخرج عياض إلى الجزيرة فنزل بجنده على الرهاء فصالحه أهلها على

[١٥٦]

الجزيرة وصالحت حران حين صالحت الرهاء فصالحه أهلها على الجزيرة ثم بعث أبا موسى الأشعري إلى نصيبين ووجه عمر بن سعد إلى رأس العين في خيل رداء للمسلمين وسار بنفسه في بقية الناس إلى دارا فنزل عليها حتى افتتحها فافتتح أبو موسى نصيبين وذلك في سنة تسع عشرة ثم وجه عثمان بن أبي العاص إلى أرمينية الرابعة فكان عندها شئ من قتال أصيب فيه صفوان بن المعطل السلمى شهيدا ثم صالح أهلها عثمان بن أبي العاص على الجزيرة على كل أهل بيت دينار ثم كان فتح قيسارية من فلسطين وهرب هرقل * وأما في رواية سيف فإن الخبر في ذلك فيما كتب به إلي السري عن شعيب عن سيف عن محمد والمهلب وطلحة وعمرو وسعيد قالوا خرج عياض بن غنم في أثر القعقاع وخرج القواد يعني حين كتب عمر إلى سعد بتوجيه القعقاع في أربعة آلاف من جنده مددا لابي عبيدة حين قصدته الروم وهو بجمص فسلكوا طريق الجزيرة على الفراض وغيرها فسلك سهيل بن عدى وجنده طريق الفراض حتى انتهى إلى الرقة وقد أرفض أهل الجزيرة عن حمص إلى كورهم حين سمعوا بمقبل أهل الكوفة فنزل عليهم فأقام محاصرتهم حتى صالحوه وذلك أنهم قالوا فيما بينهم أئتم بين أهل العراق وأهل الشام فما بقاؤكم على حرب هؤلاء وهؤلاء فبعثوا في ذلك إلى عياض وهو في منزل واسط من الجزيرة فرأى أن يقبل منهم فبايعوه وقبل منهم وكان الذي عقد لهم سهيل بن عدى عن أمر عياض لانه أمير القتال وأجروا ما أخذوا عنوة ثم أجابوا مجرى أهل الذمة وخرج عبدالله بن عبدالله بن عتيان فسلك على دجلة حتى انتهى إلى الموصل فعبر إلى بلد حتى أتى نصيبين فلقوه بالصلح وصنعوا كما صنع أهل الرقة وخافوا مثل الذي خافوا فكتبوا إلى عياض فرأى أن يقبل منهم فعقد لهم عبدالله ابن عبدالله وأجروا ما أخذوا عنوة ثم أجابوا مجرى أهل الذمة وخرج الوليد بن عقبة حتى قدم على بني تغلب وعرب الجزيرة فنهض معه مسلمهم وكافرهم إلا إياد ابن نزار فإنهم ارتحلوا بقليتهم فافتحموا أرض الروم فكتب بذلك الوليد إلى عمر ابن الخطاب ولما أعطى أهل الرقة ونصيبين الطاعة ضم عياض سهيلا وعبد الله

[١٥٧]

إليه فسار بالناس إلى حران فأخذ ما دونها فلما انتهى إليهم اتقوه بالاجابة إلى الجزيرة فقبل منهم وأجرى من أجاب بعد غلبه مجرى أهل الذمة ثم إن عياض سرح سهيلا وعبد الله إلى الرهاء فاتقوهما بالاجابة إلى الجزيرة وأجرى من دونهم مجراهم فكانت الجزيرة أسهل البلدان أمرا وأيسره فتحا فكانت تلك السهولة مهجنة عليهم وعلى من أقام فيهم من المسلمين وقال عياض بن غنم: من مبلغ الاقوام أن جموعنا * حوت الجزيرة يوم ذات زحام جمعوا الجزيرة والغياث فنفسوا * عمن بجمص غيابة القدم إن الاعزة والاكارم معشر * فضوا الجزيرة عن فراخ الهام غلبوا الملوك على الجزيرة فانتهوا * عن غزو من ياوى بلاد الشام ولما نزل عمر الجابية وفرغ أهل حمص أمد عياض بن غنم بحبيب بن مسلمة فقدم علي عياض مددا وكتب أبو عبيدة إلى عمر بعد انصرافه من الجابية يسأله أن يضم إليه عياض بن غنم إذ ضم خالدًا إلى المدينة فصرفه إليه وصرف سهيل ابن

عدي وعبد الله بن عبدالله إلى الكوفة ليصرفهما إلى المشرق واستعمل حبيب ابن مسلمة على عجم الجزيرة وحررها والوليد بن عقبة على عرب الجزيرة فأقاما بالجزيرة على أعمالهما * قالوا ولما قدم الكتاب من الوليد على عمر كتب عمر إلى ملوك الروم أنه بلغني أن حيا من أحياء العرب ترك دارنا وأتى دارك فوالله لتخرجنه أو لننذن إلى النصارى ثم لنخرجنهم إليك فأخرجهم ملك الروم فخرجوا فتم منهم على الخروج أربعة آلاف مع أبي عدي بن زياد وخسب بقيتهم فتفرقوا فيما يلي الشام والجزيرة من بلاد الروم فكل إيادي في أرض العرب من أولئك الأربعة الآلاف وأبي الوليد بن عقبة أن يقبل من بني تغلب إلا الاسلام فقالوا له أما من نقب على قومه في صلح سعد ومن كان قبله فأنتم وذاك وأما من لم ينقب عليه أحد ولم يجر ذلك لمن نقب فما سبيلك عليه فكتب فيهم إلى عمر فأجابه عمر انما ذلك لجزيرة العرب لا يقبل منهم فيها الا الاسلام فدعهم على أن لا ينصروا وليدا وأقبل منهم إذا أسلموا فقبل منهم على أن ينصروا وليدا ولا يمنعوا

[١٥٨]

أحدا منهم من الاسلام فأعطى بعضهم ذلك فأخذوا به وأبى بعضهم الا الجزاء فرضى منهم بما رضى من العباد وتنوخ (كتب إلي السري) عن شعيب عن سيف عن عطية عن أبي سيف التغلبي قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد عاهد وفدهم على أن لا ينصروا وليدا فكان ذلك الشرط على الوفد وعلى من وفدهم ولم يكن على غيرهم فلما كان زمان عمر قال مسلموهم لا تنفروهم بالخراج فيذهبوا ولكن ضعفوا عليهم الصدقة التي تأخذونها من أموالهم فيكون جزاء فانهم يعضون من ذكر الجزاء على أن لا ينصروا مولودا إذا أسلم أبأؤهم فخرج وفدهم في ذلك إلى عمر فلما بعث الوليد إليه برؤس النصارى وبيديانهم قال لهم عمر أدوا الجزية فقالوا لعمر أبلغنا مأمنا والله لئن وضعت علينا الجزاء لندخلن أرض الروم والله لنفصحن من بين العرب فقال لهم أنتم فضحتم أنفسكم وخالفتم أمتكم فيمن خالف وافترض من عرب الضاحية وتالله لتؤدنه وأنتم صغرة قماة ولئن هربتم إلى الروم لاكتبن فيكم ثم لاسيينكم قالوا فخذ منا شيئا ولا تسمه جزاء فقال أما نحن فنسميه جزاء وسموه أنتم ما شئتم فقال له علي بن أبي طالب يا أمير المؤمنين ألم يضعف عليهم سعد بن مالك الصدقة قال بلى وأصغى إليه فرضى به منهم جزاء فرجعوا على ذلك وكان في بني تغلب عز وامتناع ولا يزالون ينازعون الوليد فهم بهم الوليد وقال في ذلك إذا ما عصبت الرأس مني بمشوذ * فعيك مني تغلب ابنة وائل وبلغت عنه عمر فخاف أن يخرجوه وأن يضعف صبره فيسطو عليهم فعزله وأمر عليهم فرات ابن حيان وهند بن عمرو الجملي وخرج الوليد واستودع إبلا له حريث بن النعمان أحد بنى كنانة بن تيم من بني تغلب وكانت مائة من الابل فاحتانها بعدما خرج الوليد وكان فتح الجزيرة في سنة سبع عشرة في ذي الحجة * وفي هذه السنة أعني سنة سبع عشرة خرج عمر من المدينة يريد الشام حتى بلغ سرغ في قول ابن اسحاق حدثنا بذلك ابن حميد عن سلمة عنه وفي قول الواقدي ذكر الخبر عن خروجه إليها * حدثنا ابن حميد قال حدثنا سلمة عن محمد بن اسحاق قال خرج عمر إلى الشام

[١٥٩]

غازيا في سنة سبع عشرة حتى إذا كان بسرغ لقيه أمراء الاجناد فأخبروه أن الارض سقيمة فرجع بالناس إلى المدينة وقد كان عمر كما حدثنا ابن حميد قال حدثنا سلمة عن محمد بن اسحاق عن ابن

شهاب الزهري عن عبدالحميد بن عبدالرحمن بن زيد ابن الخطاب عن عبدالله بن الحارث بن نوفل عن عبدالله بن عباس خرج غازيا وخرج معه المهاجرين والانصار وأوعب الناس معه حتى إذا نزل بسرغ لقيه أمراء الاجناد أبو عبيدة بن الجراح ويزيد بن أبي سفيان وشرحبيل بن حسنة فأخبروه أن الارض سقيمة فقال عمر اجمع إلى المهاجرين الاولين قال فجمعتهم له فاستشارهم فاختلغوا عليه فمنهم القائل خرجت لوجه تريد فيه الله وما عنده ولا نرى أن يصدق عنه بلاء عرض لك ومنهم القائل أنه لبلاء وفناء ما نرى أن تقدم عليه فلما اختلغوا عليه قال قوموا عني ثم قال اجمع لي مهاجرة الانصار فجمعتهم له فاستشارهم فسلخوا طريق المهاجرين فكأنما سمعوا ما قالوا فقالوا مثله فلما اختلغوا عليه قال قوموا عني ثم قال اجمع لي مهاجرة الفتح من قريش فجمعتهم له فاستشارهم فلم يختلف عليه منهم اثنان وقالوا ارجع بالناس فإنه بلاء وفناء قال فقال لي عمر يا ابن عباس اصرخ في الناس فقل إن أمير المؤمنين يقول لكم أني مصبح على ظهر فأصبحوا عليه قال فأصبح عمر على ظهر وأصبح الناس عليه فلما اجتمعوا عليه قال أيها الناس اني راجع فارجعوا فقال له أبو عبيدة بن الجراح أفرارا من قدر الله قال نعم فرارا من قدر الله إلى قدر الله أرايت لو أن رجلا هبط واديا له عدوتان إحداهما خصبة والاخرى جدبة أليس يرعى من رعى الجدبة بقدر الله ويرعى من رعى الخصبة بقدر الله ثم قال لو غيرك يقول هذا يا أبا عبيدة ثم خلا به بناحية دون الناس فبينما الناس على ذلك إذ أتى عبدالرحمن بن عوف وكان متخلفا عن الناس لم يشهدهم بالامس فقال ما شأن الناس فأخبر الخبر فقال عندي من هذا علم فقال عمر فأنت عندنا الامين المصدق فماذا عندك قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول إذا سمعتم بهذا الوباء ببلد فلا تقدموا عليه وإذا وقع وأتمم به فلا تخرجوا فرارا منه ولا يخرجنكم إلا ذلك فقال عمر فله الحمد انصرفوا أيها الناس فانصرف بهم * حدثنا

[١٦٠]

ابن حميد قال حدثنا سلمة عن محمد بن اسحاق عن ابن شهاب الزهري عن عبدالله بن عامر بن ربيعة وسالم بن عبدالله بن عمر أنهما حدثاه أن عمر إنما رجع بالناس عن حديث عبدالرحمن بن عوف فلما رجع عمر رجع عمال الاجناد إلى أعمالهم * وأما سيف فإنه روى في ذلك ما كتب به إلي السري عن شعيب عن سيف عن أبي حارثة وأبي عثمان والربيع قالوا وقع الطاعون بالشام ومصر والعراق واستقر بالشام ومات فيه الناس الذين هم في كل الامصار في المحرم وصفر وارتفع عن الناس وكتبوا بذلك إلى عمر ما خلا الشام فخرج حتى إذا كان منها قريبا بلغه أنه أشد ما كان فقال وقال الصحابة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا كان بأرض وباء فلا تدخلوها وإذا وقع بأرض وأنتم بها فلا تخرجوا منها فرجع حتى ارتفع عنها وكتبوا بذلك إليه وبما في أيديهم من الموارد فجمع الناس في جمادى الاولى سنة سبع عشرة فاستشارهم في البلدان فقال إنى قد بدا لي أن أطوف على المسلمين في بلدانهم لانظر في آثارهم فأشيروا علي وكعب الاحبار في القوم وفي تلك السنة من إمارة عمر أسلم فقال كعب أيها تريد أن تبدأ يا أمير المؤمنين قال بالعراق قال فلا تفعل فان الشر عشرة أجزاء والخير عشرة أجزاء فجاء من الخير بالمشرق وتسعة بالمغرب وإن جزأ من الشر بالمغرب وتسعة بالمشرق وبها قرن الشيطان وكل داء عضال (كتب إلي السري) عن شعيب عن سيف عن سعيد عن الاصبع عن علي قال قام إليه علي فقال يا أمير المؤمنين والله إن الكوفة للهجرة بعد الهجرة وإنها لقية الاسلام وليأتين عليها يوم لا يبقى مؤمن إلا أتاها وحن إليها والله لينصرن بأهلها ما انتصر بالحجارة من قوم لوط (كتب إلي السري) عن شعيب عن سيف عن المطرح عن القاسم عن أبي أمامة قال وقال عثمان يا أمير المؤمنين إن المغرب أرض الشر وإن الشر قسم

مائة جزء فجزء في الناس وسائر الاجزاء بها (كتب الي السري) عن شعيب عن سيف عن يحيى التميمي عن أبي ماجد قال قال عمر الكوفة رمح الله وقبة الاسلام وجمجمة العرب يكفون ثغورهم ويمدون الامصار فقد ضاعت مواريث أهل عمواس فابداً بها (كتب إلي السري) عن شعيب عن سيف عن أبي عثمان

[١٦١]

وأبى حارثة والربيع بن النعمان قالوا قال عمر ضاعت مواريث الناس بالشام أبداً بها فأقسم الموارث وأقيم لهم ما في نفسي ثم أرجع فأنقلب في البلاد وأنبذ إليهم أمري فأتى عمر الشام أربع مرات مرتين في سنة ست عشرة ومرتين في سنة سبع عشرة لم يدخلها في الأولى من الآخريتين (كتب إلي السري) عن شعيب عن سيف عن بكر بن وائل عن محمد بن مسلم قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قسم الحفظ عشرة أجزاء فتسعة في الترك وجزء في سائر الناس وقسم البخل عشرة أجزاء فتسعة في فارس وجزء في سائر الناس وقسم السخاء عشرة أجزاء فتسعة في السودان وجزء في سائر الناس وقسم الشبق عشرة أجزاء فتسعة في الهند وجزء في سائر الناس وقسم الحياء عشرة أجزاء فتسعة في النساء وجزء في سائر الناس وقسم الحسد عشرة أجزاء فتسعة في العرب وجزء في سائر الناس وقسم الكبر عشرة أجزاء فتسعة في الروم وجزء في سائر الناس واختلف في خبر طاعون عمواس وفي أي سنة كان فقال ابن اسحاق ما حدثنا ابن حميد قال حدثنا سلمة عنه قال ثم دخلت سنة ثمانى عشرة ففيها كان طاعون عمواس فتفانى فيها الناس فتوفى أبو عبيدة بن الجراح وهو أمير الناس ومعاذ بن جبل ويزيد بن أبي سفيان والحارث بن هشام وسهيل بن عمرو وعتبة بن سهيل وأشرف الناس * وحدثني أحمد بن ثابت الرازي قال حدثنا عن اسحاق بن عيسى عن أبي معشر قال كان طاعون عمواس والجابية في سنة ثمانى عشرة * حدثنا ابن حميد قال حدثنا سلمة عن محمد بن اسحاق عن شعبة بن الحجاج عن المخارق بن عبدالله الجلي عن طارق بن شهاب الجلي قال أتينا أبا موسى وهو في داره بالكوفة لتحدث عنده فلما جلسنا قال لا عليكم أن تخفوا فقد أصيب في الدار إنسان بهذا السقم ولا عليكم أن تنزهوا عن هذه القرية فتخرجوا في فسيح بلادكم ونزهها حتى يرفع هذا الوباء سأخبركم بما يكره مما يتقى من ذلك أن يظن من خرج أنه لو أقام مات ويظن من أقام فأصابه ذلك أنه لو خرج لم يصبه فإذا لم يظن هذا

[١٦٢]

المرء المسلم فلا عليه أن يخرج وأن يتنزه عنه إنني كنت مع أبي عبيدة بن الجراح بالشام عام طاعون عمواس فلما اشتعل الوباء وبلغ ذلك عمر كتب إلي أبي عبيدة ليستخرجه منه أن سلام عليك أما بعد فإنه قد عرضت لي اليك حاجة أريد أن أشافهك فيها فعزمت عليك إذا نظرت في كتابي هذا ألا تضعه من يدك حتى تقبل إلي قال فعرف أبو عبيدة إنه إنما أراد أن يستخرجه من الوباء قال يغفر الله لأمير المؤمنين ثم كتب إليه يا أمير المؤمنين إنني قد عرفت حاجتك إلي وإنني في جند من المسلمين لا أجد بنفسى رغبة عنهم فليست أريد فرايقهم حتى يقضى الله في وفيهم أمره وقضاه فجللني من عزمتك يا أمير المؤمنين ودعني في جندي فلما قرأ عمر الكتاب بكى فقال الناس يا أمير المؤمنين أمات أبو عبيدة قال لا وكان قد قال ثم كتب إليه سلام عليك أما بعد فإنك أنزلت الناس أرضاً عميقة فارفعهم إلى أرض مرتفعة نزهة فلما أتاه كتابه دعاني فقال يا أبا

موسى إن كتاب أمير المؤمنين قد جاءني بما ترى فاخرج فارتد للناس منزلا حتى أتبعك بهم فرجعت إلى منزلي لارتحل فوجدت صاحبتني قد أصيبت فرجعت إليه فقلت له والله لقد كان في أهلي حدث فقال لعل صاحبتك أصيبت قلت نعم قال فأمر ببعيره فرحل له فلما وضع رجله في غرزه طعن فقال والله لقد أصبت ثم سار بالناس حتى نزل الجابية ورفع عن الناس الوباء * حدثنا ابن حميد قال حدثنا سلمة عن محمد بن اسحاق عن أبان بن صالح عن شهر ابن حوشب الاشعري عن رابة رجل من قومه وكان قد خلف على أمه بعد أبيه كان شهد طاعون عمواس قال لما اشتعل الوجد قام أبو عبيدة في الناس خطيبا فقال أيها الناس إن هذا الوجد رحمة بكم ودعوة نبيكم محمد صلى الله عليه وسلم وموت الصالحين قبلكم وإن أبا عبيدة يسأل الله أن يقسم له منه حظه فطعن فمات واستخلف على الناس معاذ بن جبل قال فقام خطيبا بعده فقال أما أيها الناس إن هذا الوجد رحمة بكم ودعوة نبيكم وموت الصالحين قبلكم وإن معاذ يسأل الله أن يقسم لآل معاذ منه حظهم فطعن ابنه عبدالرحمن بن معاذ فمات ثم قام فدعا به لنفسه فطعن في راحته فلقد رأيته ينظر إليها ثم يقبل ظهر كفه ثم يقول ما أحب أن لي بما فيك

[١٦٣]

شيئا من الدنيا فلما مات استخلف الناس عمرو بن العاصي فقام خطيبا في الناس فقال أيها الناس إن هذا الوجد إذا وقع فإنما يشتعل اشتعال النار فتجبلوا منه في الجبال فقال أبو وائلة الهذلي كذبت والله لقد صحبت رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنت شر من حماري هذا قال والله ما أرد عليك ما تقول وأيم الله لا نقيم عليه ثم خرج الناس فتفرقوا ورفعوا الله عنهم قال فبلغ ذلك عمر بن الخطاب من رأى عمرو بن العاصي فوالله ما كرهه * حدثنا ابن حميد قال حدثنا سلمة عن ابن اسحاق عن رجل عن أبي قلابة عبدالله بن زيد الجرهمي أنه كان يقول بلغني هذا من قول أبي عبيدة وقول معاذ بن جبل إن هذا الوجد رحمة بكم ودعوة نبيكم وموت الصالحين قبلكم فكنت أقول كيف دعا به رسول الله صلى الله عليه وسلم لامته حتى حدثني بعض من لا أتهم عن رسول الله أنه سمعه منه وجاءه جبريل عليه السلام فقال إن فناء أمتك يكون بالطعن أو الطاعون فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اللهم فناء الطاعون فعرفت أنها التي كان قال أبو عبيدة ومعاذ * حدثنا ابن حميد قال حدثنا سلمة عن محمد بن اسحاق قال ولما انتهى إلى عمر مصاب أبي عبيدة ويزيد بن أبي سفيان أمر معاوية بن أبي سفيان على جند دمشق وخراجها وأمر شرحبيل بن حسنة على جند الاردن وخراجها (وأما سيف) فانه زعم أن طاعون عمواس كان في سنة سبعة عشر (كتب إلي السري) عن شعيب عن سيف عن أبي عثمان وأبي حارثة والربيع بإسنادهم قالوا كان ذلك الطاعون يعنون طاعون عمواس موتانا لم ير مثله طمع له العدو في المسلمين وتخوفت له قلوب المسلمين كثر موته وطال مكثه مكث أشهر حتى تكلم في ذلك الناس (كتب إلي السري) عن شعيب عن سيف عن عبدالله بن سعيد عن أبي سعيد قال أصاب البصرة من ذلك موت ذريع فأمر رجل من بني تميم غلاما له أعجميا أن يحمل ابنا له صغيرا ليس له ولد غيره على حمار ثم يسوق به إلى سفوان حتى يلحقه فخرج في آخر الليل ثم اتبعه وقد أشرف على سفوان ودنا من ابنه وغلامه فرجع الغلام عقيرته يقول لن يعجزوا الله على حمار * ولا على ذي غرة مطار

[١٦٤]

قد يصبح الموت أمام الساري فشك حتى انتهى إليهم فإذا هم قال ويحك ما قلت قال ما أدري قال ارجع فرجع بإبنة وعلم أنه قد أسمع آية وأربها قال وعزم رجل على الخروج إلى أرض بها الطاعون فتردد بعد ما ظعن فإذا غلام له أعجمي يحدو به يا أيها المشعر هما لا تهم * إنك إن تكتب لك الحمى تحم (وفي هذه السنة) أعنى سنة سبع عشرة كان خروج عمر إلى الشام الخرجة الأخيرة فلم بعد إليها يعد ذلك في قول سيف وأما ابن إسحاق فقد مضى ذكره ذكر الخير عن سيف في ذلك والخير عما ذكره عن عمر في خروجه تلك أنه أحدث في مصالح المسلمين (كتب إلي السري) عن شعيب عن سيف عن أبي عثمان وأبي حارثة والربيع قالوا وخرج عمر وخلف عليا على المدينة وخرج معه بالصحابة وأغذوا السير واتخذ أيلة طريقا حتى إذا دنا منها تنحى عن الطريق واتبعه غلامه فنزل فبال ثم عاد فركب بغير غلامه وعلى رحله فرو مقلوب وأعطى غلامه مركبه فلما تلقاه أوائل الناس قالوا أين أمير المؤمنين قال أمامكم يعني نفسه وذهبوا هم إلى أمامهم فجاوزه حتى انتهى هو إلى أيلة فنزلها وقيل للمتلقين قد دخل أمير المؤمنين أيلة ونزلها فرجعوا إليه (كتب إلي السري) عن شعيب عن سيف عن هشام ابن عروة عن أبيه قال لما قدم عمر بن الخطاب أيلة ومعه المهاجرون والانصار دفع قميصا له كرابيس قد انجاب مؤخره عن قعدته من طول السير إلى الاسقف وقال اغسل هذا وارقعها فانطلق الاسقف بالقميص ورقعه وخط له آخر مثله فراح به إلى عمر فقال ما هذا قال الاسقف أما هذا فقميصك قد غسلته ورقعته وأما هذا فكسوة لك مني فنظر إليه عمر ومسحه ثم لبس قميصه ورد عليه ذلك القميص وقال هذا أنشفهما للعرق (كتب إلي السري) عن شعيب عن سيف عن عطية وهلال عن رافع بن عمر قال سمعت العباس بالجابية يقول لعمر أربع

[١٦٥]

من عمل بهن استوجب العدل الامانة في المال والتسوية في القسم والوفاء بالعدة والخروج من العيوب نطف نفس وأهلك (كتب إلي السري) عن شعيب عن سيف عن أبي عثمان والربيع وأبي حارثة بإسنادهم قالوا قسم عمر الارزاق وسمى الشواتي والصوائف وسد فروج الشام ومسالحها وأخذ يدور بها وسمى ذلك في كل كورة واستعمل عبدالله بن قيس على السواحل من كل كورة وعزل شرحبيل واستعمل معاوية وأمر أبا عبيدة وخالدا تحته فقال له شرحبيل أعن سخطة عزلتني يا أمير المؤمنين قال لا إنك لكما أحب ولكن أريد رجلا أقوى من رجل قال نعم فاعذرني في الناس لا تدركني هجنة فقام في الناس فقال أيها الناس أنى والله ما عزلت شرحبيل عن سخطة ولكني أردت رجلا أقوى من رجل وأمر عمرو بن عبيسه على الاهراء وسمى كل شئ ثم قام في الناس بالوداع (كتب إلي السري) عن شعيب عن سيف عن أبي ضمرة وأبي عمرو عن المستورد عن عدى ابن سهيل قال لما فرغ عمر من فروجه وأموره قسم المواريث فورث بعض الورثة من بعض ثم أخرجها إلى الأحياء من ورثة كل امرئ منهم (كتب إلي السري) عن شعيب عن سيف عن مجالد عن الشعبي وخرج الحارث بن هشام في سبعين من أهل بيته فلم يرجع منهم إلا أربعة فقال المهاجر بن خالد بن الوليد من يسكن الشام يعرس به * والشام إن لم يفننا كارب أفنى بنى ربيعة فرسانهم * عشرون لم يقصص لهم شارب ومن بنى أعمامهم مثلهم * لمثل هذا أعجب العاجب طعنا وطاعونا مناياهم * ذلك ما خط لنا الكاتب قال وقفل عمر من الشام إلى المدينة في ذي الحجة وخطب حين أراد القفول فحمد الله وأثنى عليه وقال ألا إني قد وليت عليكم وقضيت الذي علي في الذي ولاني الله من أمركم إن شاء الله قسطنا بينكم فياكم ومنازلكم ومغازيكم وأبلغنا ما لديكم فجنونا لكم الجنود وهيانا لكم الفروج وبواناكم ووسعنا عليكم ما بلغ

فيؤكم وما قاتلتم عليه من شأمكم وسمينا لكم أطماعكم وأمرنا لكم
بأعطائكم وأرزاقكم معاونكم

[١٦٦]

فمن علم علم شئ ينبغي العمل به فبلغنا نعمل به إن شاء الله ولا
قوة إلا بالله وحضرت الصلاة وقال الناس لو أمرت بلالا فأذن فأمره فأذن
فما بقى أحد كان أدرك رسول الله صلى الله عليه وسلم وبلال يؤذن
له إلا بكى حتى بل لحينه وعمر أشدهم بكاء وبكى من لم يدركه
ببكاؤهم ولذكره صلى الله عليه وسلم (كتب إلي السري) عن
شعيب عن سيف عن أبي عثمان وأبي حارثة قالوا فما زال خالد على
قنسرين حتى غزا غزوته التي أصاب فيها وقسم فيها ما أصاب
لنفسه (كتب إلي السري) عن شعيب عن سيف عن أبي المجالد
مثله قالوا وبلغ عمران خالدا الحمام فتدلك بعد النورة بثخين عصفر
معجون بخمر فكتب إليه بلغني أنك تدلك بخمر وإن الله قد حرم
ظاهر الخمر وباطنه كما حرم ظاهر الأثم وباطنه وقد حرم مس الخمر
إلا أن تغسل كما حرم شربها فلا تمسوها أجسادكم فإنها نجس وإن
فعلتم فلا تعودوا فكتب إليه خالد إنا قتلناها فعادت غسولا غير خمر
فكتب إليه عمر اني أظن آل المغيرة قد ابتلوا بالجفاء فلا أماتكم الله
عليه فانتهى إليه ذلك (وفي هذه السنة) أعنى سنة سبعة عشر
أدرب خالد بن الوليد وعباس بن غنم في رواية سيف عن شيوخه *
(ذكر ذلك) * (كتب إلي السري) عن شعيب عن سيف عن أبي
عثمان وأبي حارثة والمهلب قالوا وأدرب سنة سبعة عشر خالد
وعباس فسارا فأصابا أموالا عظيمة وكانا توجهها من الجابية فرجع عمر
إلى المدينة وعلى حمص أبو عبيدة وخالد تحت يديه على قنسرين
وعلى دمشق يزيد بن أبي سفيان وعلى الأردن معاوية وعلى
فلسطين علقمة بن مجزر وعلى الأهراء عمرو بن عبسة وعلى
السواحل عبدالله بن قيس وعلى كل عمل عامل فقامت مسالح
الشام ومصر والعراق على ذلك إلى اليوم لم تجز أمة إلى أخرى
عملها بعد إلا أن يقتحموا عليهم بعد كفر منهم فيقدموا مسالحهم
بعد ذلك فاعتدل ذلك سنة سبعة عشر (كتب إلي السري) عن
شعيب عن سيف عن أبي المجالد وأبي عثمان والربيع وأبي حارثة
قالوا ولما قفل خالد وبلغ الناس

[١٦٧]

ما أصابت تلك الطائفة انتجعه رجال فانتجع خالدا من أهل الآفاق
فكان الأشعث بن قيس ممن انتجع خالدا بقنسرين فأجازه بعشرة
آلاف وكان عمر لا يخفى عليه شئ في عمله كتب إليه من العراق
بخروج من خرج ومن الشام بجائزة من أجزى فيها فدعا البريد وكتب
معه إلى أبي عبيدة أن يقيم خالدا أو يعقله بعمامته وينزع عنه
قلنسوته حتى يعلمه ؟ من أين اجازة الأشعث أمن ماله أم من إصابة
أصابها فإن زعم أنها من إصابة أصابها فقد أقر بخيانه وإن زعم أنها من
ماله فقد أسرف واعزله على كل حال واضمم إليك عمله فكتب أبو
عبيدة إلى خالد فقدم عليه ثم جمع الناس وجلس لهم على المنبر
فقام البريد فقال يا خالد أمن مالك أجزت بعشرة آلاف أم من إصابة
فلم يجبه حتى أكثر عليه وأبو عبيدة ساكت لا يقول شيئا فقام بلال
إليه فقال إن أمير المؤمنين أمر فيك بكذا وكذا ثم تناول قلنسوته
فعقله بعمامته وقال ما تقول أمن مالك أم من إصابة قال لا بل من
مالي فأطلقه وأعاد قلنسوته ثم عممه بيده ثم قال نسمع ونطيع
لولاتنا ونفخم ونخدم موالينا قالوا وأقام خالد متحيرا لا يدري أمعزول
أم غير معزول وجعل أبو عبيدة لا يخبره حتى إذا طال على عمر أن
يقدم طن الذي قد كان فكتب إليه بالاقبال فأتى خالد أبا عبيدة فقال

رحمك الله ما أدت إلى ما صنعت كتممتني أمرا كنت أحب أن أعلمه قبل اليوم فقال أبو عبيدة إنني والله ما كنت لأروعك ما وجدت لذلك بدا وقد علمت أن ذلك يروعك قال فرجع خالد إلى قنسرين فخطب أهل عمله وودعهم وتحمل ثم أقبل إلى حمص فخطبهم وودعهم ثم خرج نحو المدينة حتى قدم على عمر فشكاه وقال لقد شكوتك إلى المسلمين وبالله إنك في أمري غير مجمل يا عمر فقال عمر من أين هذا الثرى قال من الانفال والسهمان ما زاد على الستين ألفا فلك فقوم عمر عروضة فخرجت إليه عشرون ألفا فأدخلها بيت المال ثم قال يا خالد والله إنك علي لكريم وإنك إلي لحبيب ولن تعاتبني بعد اليوم على شئ (كتب إلي السري) عن شعيب عن سيف عن عبدالله بن المستورد عن أبيه عن عدي بن سهيل قال كتب عمر إلى الامصار إنني لم أعزل خالدًا عن سخطه ولا خيانه

[١٦٨]

ولكن الناس فتنوا به فخفت أن يولكوا إليه ويبتلوا به فأحبت أن يعلموا أن الله هو الصانع وأن لا يكونوا بعرض فتنة (كتب إلي السري) عن شعيب عن سيف عن مبشر عن سالم قال لما قدم خالد على عمر قال عمر متمثلاً صنعت فلم يصنع كصنعك صانع * وما يصنع الاقوام فالله يصنع فأغرمه شيئاً ثم عوضه وكتب فيه إلى الناس بهذا الكتاب ليعذره عندهم وليبصرهم (وفي هذه السنة) أعني سنة سبعة عشر اعتمر عمر وبنى المسجد الحرام فيما زعم الواقدي ووسع فيه وأقام بمكة عشرين ليلة وهدم على أقوام أبوا أن يبيعوا ووضع أثمان دورهم في بيت المال حتى أخذوها قال وكان ذلك الشهر الذي اعتمر فيه رجبا وخلف على المدينة زيد بن ثابت قال الواقدي وفي عمرته هذه أمر بتجديد أنصاب الحرم فأمر بذلك محرمة بن نوفل والأزهر بن عبد عوف وجويطب بن عبدالعزيز وسعيد بن يربوع قال وحدثني كثير بن عبدالله المزني عن أبيه عن جده قال قدمنا مع عمر مكة في عمرته سنة سبع عشرة فمر بالطريق فكلمه أهل المياه أن يبتنوا منازل بين مكة والمدينة ولم يكن قبل ذلك بناء فأذن لهم وشرط عليهم أن ابن السبيل أحق بالظل والماء * (قال وفيها) * تزوج عمر ابن الخطاب أم كلثوم ابنة علي بن أبي طالب وهي ابنة فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ودخل بها في ذي القعدة * (قال وفي هذه السنة) * ولي عمر أبا موسى البصرة وأمره أن يشخص إليه المغيرة في ربيع الأول فشهد عليه فيما حدثني معمر عن الزهري عن ابن المسيب أبو بكره وشبل بن معبد البجلي ونافع بن كلدة وزباد قال وحدثني محمد بن يعقوب بن عتبة عن أبيه قال كان يختلف إلى أم جميل امرأة من بني هلال وكان لها زوج هلك قبل ذلك من ثقيف يقال له الحجاج بن عبيد فكان يدخل عليها فبلغ ذلك أهل البصرة فأعظموه فخرج المغيرة يوماً من الأيام حتى دخل عليها وقد وضعوا عليها الرصد فانطلق القوم الذين شهدوا جميعاً فكشفوا الستر وقد وأقعها فكتب أبو بكر إلى عمر فسمع صوته وبينه وبينه حجاب فقال أبو بكره قال نعم قال لقد جئت لشر قال إنما جاء بي المغيرة ثم قص عليه القصة فبعث عمر أبا موسى الأشعري

[١٦٩]

عاملاً وأمره أن يبعث إليه المغيرة فأهدى المغيرة لابني موسى عقيلة وقال إنني رضيتها لك فبعث أبو موسى بالمغيرة إلى عمر قال الواقدي وحدثني عبدالرحمن بن محمد ابن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم عن أبيه عن مالك بن أوس بن الحدائق قال حضرت عمر حيث قدم بالمغيرة وقد تزوج امرأة من بني مرة فقال له إنك

لغارغ القلب طويل الشبق فسمعت عمر يسأل عن المرأة فقال يقال لها الرقطاء وزوجها من ثقيف وهو من بني هلال * (قال أبو جعفر) * وكان سبب ما كان بين أبي بكر والشهادة عليه فيما كتب إلي السري عن شعيب عن سيف عن محمد والمهلب وطلحة وعمرو باسنادهم قالوا كان الذي حدث بين أبي بكر والمغيرة ابن شعبة أن المغيرة كان يناغيه وكان أبو بكر ينافره عند كل ما يكون منه وكانا بالبصرة وكانا متجاورين بينهما طريق وكانا في مشرتين متقابلتين لهما في داريهما في كل واحدة منهما كوة مقابلة الاخرى فاجتمع إلى أبي بكر نفر يتحدثون في مشرته فهبت ريح ففتحت باب الكوة فقام أبو بكر ليصفقه فبصر بالمغيرة وقد فتحت الريح باب كوة مشرته وهو بين رجلى امرأة فقال للنفر قوموا فانظروا فقاموا فنظروا ثم قال اشهدوا قالوا ومن هذه قال أم جميل ابنة الافقم وكانت أم جميل إحدى بني عامر بن صعصعة وكانت غاشية للمغيرة وتغشى الامراء والاشراف وكان بعض النساء يفعلن ذلك في زمانها فقالوا انما رأينا أعجازا ولا ندري ما الوجه ثم إنهم صمموا حين قامت فلما خرج المغيرة إلى الصلاة حال أبو بكر بينه وبين الصلاة وقال لا تصل بنا فكتبوا إلى عمر بذلك وتكاتبوا فبعث عمر إلى أبي موسى فقال يا أبا موسى إنني مستعملك أني أبعثك إلى أرض قد باض بها الشيطان وفرخ فالزم ما تعرف ولا تستبدل فيستبدل الله بك فقال يا أمير المؤمنين أعني بعدة من أصحاب رسول الله من المهاجرين والانصار فاني وجدتهم في هذه الامة وهذه الاعمال كالملاح لا يصلح الطعام إلا به قال فاستعن بمن أحببت فاستعان بتسعة وعشرين رجلا منهم أنس بن مالك وعمران بن حصين وهشام بن عامر ثم خرج أبو موسى فيهم حتى أتاه بالمريد وبلغ المغيرة أن أبا موسى قد أتاه بالمريد فقال والله ما جاء أبو موسى زائرا ولا

تاجرا ولكنه جاء أميرا فانهم لفي ذلك إذ جاء أبو موسى حتى دخل عليهم فدفع إليه أبو موسى كتابا من عمر وأنه لاوجز كتاب كتب به أحد من الناس أربع كلم عزل فيها وعاتب واستحث وأمر أما بعد فانه بلغني نبا عظيم فبعثت أبا موسى أميرا فسلم ما في يدك والعجل وكتب إلى أهل البصرة أما بعد فاني قد بعثت أبا موسى أميرا عليكم ليأخذ لضعيفكم من قويمكم وليقاتل بكم عدوكم وليدفع عن ذمتكم وليحصى لكم فياكم ثم ليقسمه بينكم ولينقى لكم طرفكم وأهدى له المغيرة وليدة من مولدات الطائف تدعى عقيلة وقال إنى قد رضيتها لك وكانت فارهة وارتحل المغيرة وأبو بكر ونافع بن كلدة وزياد وشبل بن معبد البجلي حتى قدموا على عمر فجمع بينهم وبين المغيرة فقال المغيرة سل هؤلاء الاعبد كيف رأوني مستقبلهم أو مستدبرهم وكيف رأوا المرأة أو عرفوها فان كانوا مستقبلي فكيف ثم استتر أو مستدبري فبأي شئ استحلوا النظر إلي في منزلي على امرأتي والله ما أتيت إلا امرأتي وكانت شبهها فبدأ بأبي بكر فشهد عليه انه رآه بين رجلى أم جميل وهو يدخله ويخرجه كالميل في المكحلة قال كيف رأيتهما قال مستدبرهما قال فكيف استثبت رأسيها قال تحاملت ثم دعا بشبل بن معبد فشهد بمثل ذلك فقال استدبرتهما أو استقبلتهما قال استقبلتهما وشهد نافع بمثل شهادة أبي بكر ولم يشهد زياد بمثل شهادتهم قال رأيتهم جالسا بين رجلى امرأة فرأيت قدمين مخضوبتين تخفقان واستين مكشوفتين وسمعت حفزانا شديدا قال هل رأيت كالميل في المكحلة قال لا قال فهل تعرف المرأة قال لا ولكن أشبهها قال ففتح وأمر بالثلاثة فجلدوا الحد وقرأ " فإذ لم يأتوا بالشهداء فأولئك عند الله هم الكاذبون فقال المغيرة اشفني من الاعبد فقال اسكت أسكت الله نامتك أما والله لو تمت الشهادة لرحمتك بأحجارك (وفي هذه السنة) أعني سنة سبع عشرة فتحت سوق الاهواز ومناذر ونهرتيري في قول بعضهم وفي قول آخرين كان ذلك في سنة ست عشرة من الهجرة ذكر الخبر عن

سبب فتح ذلك وعلى يدي من جرى (كتب إلي السري) يذكر أن شعيبا حدثه عن سيف بن عمر عن محمد وطلحة

[١٧١]

والمهلب وعمرو قالوا كان الهرمزان أحد البيوتات السبعة في أهل فارس وكانت أمته مهرجان قذق وكور الاهواز فهؤلاء بيوتات دون سائر أهل فارس فلما انهزم يوم القادسية كان وجهه إلى أمته فملكهم وقاتل بهم من أرادهم فكان الهرمزان يغير على أهل ميسان ودست ميسان من وجهين من مناذر ونهرتيري فاستمد عتبة بن غزوان سعدا فأمده سعد بنعيم بن مقرن ونعيم بن مسعود وأمرهما أن يأتيا أعلى ميسان ودستميسان حتى يكونا بينهما وبين نهرتيري ووجه عتبة بن غزوان سلمى بن القين وحرملة بن مريطة وكانا من المهاجرين مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وهما من بني العدوية من بني حنظلة فنزلا على حدود أرض ميسان ودستميسان بينهم وبين مناذر ودعوا بني العم فخرج إليهم غالب الوائلي وكليب بن وأبل الكليبي فتركا نعيما ونعيما ونكبا عنهما وأتيا سلمى وحرملة وقالوا أنتما من العشيرة وليس لكما مترك فإذا كان يوم كذا وكذا فانهدا للهرمزان فان أحدنا يثور بمناذر والآخر بنهرتيري فنقتل المقاتلة ثم يكون وجهنا اليكم فليس دون الهرمزان شئ إن شاء الله ورجعا وقد استجابا واستجاب قومهما بنو العم بن مالك قال وكان من حديث العمي والعمى مرة بن مالك بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم أنه تنخت عليه وعلى العصية بن امرئ القيس أفناء معد فعماه عن الرشيد من لم ير نصره فارس على الاردوان فقال في ذلك كعب بن مالك أخوه ويقال صدق بن مالك لقد عم عنها مرة الخير فانصمى * وصم فلم يسمع دعاء العشائر ليتنخ عنا رغبة عن بلادها * ويطلب ملكا عاليا في الاساور فهذا البيت سمي العم فقيل بنو العم عموه عن الصواب بنصره أهل فارس كقول الله تبارك وتعالى " عموا وضموا " وقال يربوع بن مالك لقد علمت عليا معد بأننا * غداة التباهي غر ذاك التبادر تنخنا على رغم العداة ولم ينح * بحي تميم والعديد الجماهر نفينا عن الفرس النبيط فلم يزل * لنا فيهم إحدى الهنات البهاتر

[١٧٢]

إذا العرب العلياء جاشت بحورها * فخرنا على كل البحور الزواجر وقال أيوب بن العصية بن امرئ القيس لنحن سبقنا بالتخوخ القبائلا * وعمدا تنخنا حيث جاؤا قنابلا وكنا ملوكا قد عززنا الاوائلا * وفي كل قرن قد ملكنا الحلائلا فلما كانت تلك الليلة ليلة الموعد من سلمى وحرملة وغالب وكليب والهرمزان يومئذ بين نهر تيري وبين دلت خرج سلمى وحرملة صبيحتها في تعبئة وأنهضا نعيما ونعيما فالتقوا هم والهرمزان بين دلت ونهر تيري وسلمى بن القين على أهل البصرة ونعيم بن مقرن على أهل الكوفة فاقتتلوا فبيناهم في ذلك أقبل المدد من قبل غالب وكليب وأتى الهرمزان الخبر بأن مناذر ونهر تيري قد أخذتا فكسر الله في ذرعه وذرع جنده وهزمه وإياهم فقتلوا منهم ما شاءوا وأصابوا منهم ما شاءوا واتبعوهم حتى وقفوا على شاطئ دجيل وأخذوا ما دونه وعسكروا بحيال سوق الاهواز وقد عبر الهرمزان جسر سوق الاهواز وأقام بها وصار دجيل بين الهرمزان وسلمى وحرملة ونعيم ونعيم وغالب وكليب (كتب إلي السري) عن شعيب عن سيف عن عبدالله بن المغيرة العبدي عن رجل من عبدالقيس يدعى صحارا قال قدمت على هرم بن حيان فيما بين الدلوث ودجيل بجلال من تمر وكان لا يصبر عنه وكان جل زاده إذا تزود التمر فإذا فنى انتخب له مزاد من جلال وهم ينغرون فيحملها فيأكلها

ويطعمها حيث ما كان من سهل أو جبل قالوا ولما دهم القوم الهرمزان ونزلوا بحباله من الاهواز رأى ما لا طاقة له به فطلب الصلح فكتبوا إلى عتبة بذلك يستأمرونه فيه وكتبه الهرمزان فأجاب عتبة إلى ذلك على الاهواز كلها ومهرجان قذق ما خلا نهر تيري ومناذر وما غلبوا عليه من سوق الاهواز فانه لا يرد عليهم ما تنقذنا وجعل سلمى بن القين على مناذر مسلحة وأمرها إلى غالب وحرملة على نهر تيري وأمرها إلى كليب فكانا على مسالح البصرة وقد هاجرت طوائف بني العم فنزلوا منازلهم من البصرة وجعلوا يتتابعون على ذلك وقد كتب بذلك عتبة إلى عمر ووفد وفدا (منهم) سلمى وأمره أن يستخلف على عمله وحرملة وكانا من الصحابة وغالب وكليب

[١٧٣]

ووفد وفود من البصرة يومئذ فأمرهم أن يرفعوا حوائجهم فكلهم قال أما العامة فأنت صاحبها ولم يبق إلا خواص أنفسنا فطلبوا لأنفسهم إلا ما كان من الاحنف ابن قيس فانه قال يا أمير المؤمنين إنك لكما ذكروا ولقد يعزب عنك ما يحق علينا إنهاؤه إليك مما فيه صلاح العامة وإنما ينظر الوالي فيما غاب عنه بأعين أهل الخبر ويسمع بأذانهم وأنا لم نزل منزل منزلا بعد منزل حتى أرزنا إلى البر وإن اخواننا من أهل الكوفة نزلوا في مثل حدقة البعير الغاسقة من العيون والعذاب والجنان الخصاب فتأتيهم ثمارهم ولم تخضد وأنا معشر أهل البصرة نزلنا سبخة هشاشة زعقة نشاشة طرف لها في الفلاة وطرف لها في البحر الاجاج يجرى إليها ما جرى في مثل مرئ النعامة دارنا فعمه ووظيفتنا ضيقة وعددنا كثير وأشرافنا قليل وأهل البلاء فينا كثير ودرهمنا كبير ووفيزنا صغير وقد وسع الله علينا وزادنا في أرضنا فوسع علينا يا أمير المؤمنين وزدنا وظيفة توظف علينا ونعيش بها فنظر إلى منازلهم التي كانوا بها إلى أن صاروا إلى الحجر فنقلهموه وأقطعهموه وكان مما كان لآل كسرى فصار فينا فيما بين دجلة والحجر فافتسموه وكان سائر ما كان لآل كسرى في أرض البصرة على حال ما كان في أرض الكوفة ينزلونه من أحبوا ويقتسمونه بينهم لا يستأثرون به على بدء ولا ثنى بعدما يرفعون خمسه إلى الوالي فكانت قطائع أهل البصرة نصفين نصفها مفسوم ونصفها متروك للعسكر وللاجتماع وكان أصحاب الالفين ممن شهد القادسية ثم أتى البصرة مع عتبة خمسة آلاف وكانوا بالكوفة ثلاثين ألفا فألحق عمر أعدادهم من أهل البصرة من أهل البلاء في الالفين حتى ساواهم بهم ألحق جميع من شهد الاهواز ثم قال هذا الغلام سيد أهل البصرة وكتب إلى عتبة فيه بأن يسمع منه ويشرب برأيه ورد سلمى وحرملة وغالبا وكليبا إلى مناذر ونهر تيري فكانوا عدة فيه لكون إن كان ليميزوا خراجها (كتب إلي السري) عن شعيب عن سيف عن محمد وطلحة والمهلب وعمرو قالوا بينا الناس من أهل البصرة ودمتهم على ذلك وقع بين الهرمزان وبين غالب وكليب في حدود الارضين اختلاف وادعاء فحضر ذلك سلمى وحرملة لينظروا فيما بينهم فوجدا غالبا وكليبا

[١٧٤]

محقين والهرمزان مبطلا فجالا بينه وبينهما فكفر الهرمزان أيضا ومنع ما قبله واستعان بالاكراذ فكثف جنده وكتب سلمى وحرملة وغالب وكليب بغى الهرمزان وظلمه وكفره إلى عتبة بن غزوان فكتب بذلك إلى عمر فكتب إليه عمر يأمره بأمره وأمدهم عمر بحرقوص بن زهير السعدي وكانت له صحبة من رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمره على القتال وعلى ما غلب عليه فنهد الهرمزان بمن معه وسلمى

وحرملة وغالب وكليب حتى إذا انتهوا إلى حسر سوق الاهواز أرسلوا إلى الهرمزان إما أن تعبروا إلينا وإما أن نعبر اليكم فقال اعبروا إلينا فعبروا من فوق الجسر فاقتتلوا فوق الجسر مما يلي سوق الاهواز حتى هزم الهرمزان ووجه نحو رامهرمز فأخذ على قنطرة أربك بقربة الشجر حتى حل برامهرمز وافتتح حرقوص سوق الاهواز فأقام بها ونزل الجبل واتسقت له بلاد سوق الاهواز إلى تستر ووضع الجزية وكتب بالفتح والاحماس إلى عمر ووفد وفدا بذلك فحمد الله ودعا له بالثبات والزيادة وقال الاسود بن سريع في ذلك وكانت له صحة لعمر ك ما أضع ابو أبينا * ولكن حافظوا فيمن يطيع أطاعوا ربهم وعصاه قوم * أضعوا أمره فيمن يضيع مجوس لا ينهضها كتاب * فلاقوا كبة فيها قبوع وولى الهرمزان على جواد * سريع الشد يثفنه الجميع وخلي سره الاهواز كرها * غداة الجسر إذ نجم الربيع وقال حرقوص: غلبنا الهرمزان على بلاد * لها في كل ناحية ذخائر سواء برهم والبحر فيها * إذا صارت نواجبها بواكر لها بحر يعج بجانبه * جعافر لا يزال لها زواجر وفيها فتحت تستر في قول سيف وروايته أعني سنة سبع عشرة وقال بعضهم فتحت سنة ست عشرة وبعضهم يقول في سنة تسع عشرة

[١٧٥]

ذكر الخبر عن فتحها (كتب إلي السري) * عن شعيب عن سيف عن محمد وطلحة والمهلب وعمرو قالوا لما انهزم الهرمزان يوم سوق الاهواز وافتتح حرقوص بن زهير سوق الاهواز أقام بها وبعث جزء بن معاوية في أثره بأمر عمر إلى سرق وقد كان عهد إليه فيه إن فتح الله عليهم أن يتبعه جزءا ويكون وجهه إلى سرق فخرج جزء في أثر الهرمزان والهرمزان متوجه إلى رامهرمز هاربا فما زال يقتلهم حتى انتهى إلى قرية الشجر وأعجزه بها الهرمزان فمال جزء إلى دورق من قرية الشجر وهي شاعرة برجلها ودورق مديعنة سرق فيها قوم لا يطيقون منعها فأخذها صافية وكتب إلى عمر بذلك وإلى عتبة وبدعائه من هرب إلى الجزاء والمنعة وإجابتهم إلى ذلك فكتب عمر إلى جزء بن معاوية وإلى حرقوص بن زهير بلزوم ما غلبا عليه وبالمقام حتى يأتيهما أمره وكتب إليه مع عتبة بذلك ففعلا وأستاذن جزء في عمران بلاده عمر فأذن له فشق الأنهار وعمر الموات ولما نزل الهرمزان رامهرمز وضافت عليه الاهواز والمسلمون حلال فيها فيما يديه طلب الصلح وراسل حرقوصا وجزءا في ذلك فكتب فيه حرقوص إلى عمر فكتب إليه عمر وإلى عتبة يأمره أن يقبل منه على ما لم يفتحوا منها علي رامهرمز وتستر والسوس وحندي سابور والبنين ومهرجا نقذق فأجابهم إلى ذلك فأقام أمراء الاهواز على ما أسند إليهم وأقام الهرمزان على صلحه يجبي إليهم ويمنعونه وإن غاوره أكراد فارس أعانوه وذبوا عنه وكتب عمر إلى عتبة أن أوفد على وفدا من صلحاء جند البصرة عشرة فوفد إلى عمر عشرة فيهم الاحنف فلما قدم على عمر قال إنك عندي مصد وقدق رأيتك رجلا فأخبرني أن ظلمت الذمة المظلمة نفروا أم لغير ذلك فقال لا بل لغير مظلمة والناس على ما تحب قال فنعم إذا انصرفوا إلى رجالكم فانصرف الوفد إلى رجالهم فنظر في ثيابهم فوجد ثوبا قد خرج طرفه من عيبة فشمه ثم قال لمن هذا الثوب منكم قال الاحنف لي قال فيكم أخذته فذكر ثمنا يسيرا ثمانية أو نحوها ونقص مما

[١٧٦]

كان أخذه به وكان قد أخذه بائني عشر قال فهلا بدون هذا ووضعت فضلته موضعا تغنى به مسلما حصوا وضعوا الفضول مواضعها تريحوا أنفسكم وأموالكم ولا تسرفوا فتخسروا أنفسكم وأموالكم إن نظر

امرؤ لنفسه وقدم لها يخلف له وكتب عمر إلى عتبة أن أعزب الناس عن الظلم واتقوا واحذروا أن يدال عليكم لغدر يكون منكم أو بغى فإنكم إنما أدركتم بالله ما أدركم على عهد عاهدكم عليه وقد تقدم إليكم فيما أخذ عليكم فأوفوا بعهد الله وقوموا على أمره يكن لكم عوناً وناصراً وبلغ عمران حرقوصاً نزل جبل الاهواز والناس يختلفون إليه والجبل كؤود يشق على من رامه فكتب إليه بلغني أنك نزلت منزلاً كؤوداً لا تؤتى فيه إلا على مشقة فأسهل ولا تشق على مسلم ولا معاهد وقم في أمرك على رجل تترك الآخرة وتصف لك الدنيا ولا تتركك فترة ولا عجلة فتكدر دنياك وتذهب آخرتك ثم إن حرقوصاً تحرر يوم صفين وبقي على ذلك وشهد النهروان مع الحرورية (وفي هذه السنة) أعني سنة سبعة عشر غزا المسلمون أرض فارس من قبل البحرين فيما زعم سيف ورواه ذكر الخبر بذلك (كتب إلي السري) يقول حدثنا شعيب قال حدثنا سيف عن محمد والمهلب وعمرو قالوا كان المسلمون بالبصرة وأرضها وأرضها يومئذ سوادها والاهواز على ما هم عليه إلى ذلك اليوم ما غلبوا عليه منها ففي أيديهم وما صولحوا عليه منها ففي أيدي أهله يؤدون الخراج ولا يدخل عليهم ولهم الذمة والمنعة وعميد الصلح الهرمزان وقد قال عمر حسينا لاهل البصرة سوادهم والاهواز وددت أن بيننا وبين فارس جبلاً من نار لا يصلون إلينا منه ولا نصل إليهم كما قال لاهل الكوفة وددت أن بينهم وبين الجبل جبلاً من نار لا يصلون إلينا منه ولا نصل إليهم وكان العلاء ابن الحضرمي على البحرين أزمان أبي بكر فعزله عمر وجعل قدامة بن المطعون مكانه ثم عزل قدامة ورد العلاء وكان العلاء يبارى سعدا لصعد صدعه القضاء بينهما

[١٧٧]

فطار العلاء على سعد في الردة بالفضل فلما ظفر سعد بالقادسية وأزاح الأكاسرة عن الدار وأخذ حدود ما يلي السواد واستعلى وجاء بأعظم مما كان العلاء جاء به سر العلاء أن يصنع شيئاً في الاعاجم فرجا أن يدال كما قد كان أدبل ولم يقدر العلاء ولم ينظر فيما بين فضل الطاعة والمعصية بجد وكان أبو بكر قد استعمله وأذن له في قتال أهل الردة واستعمله عمر ونهاه عن البحر فلم يقدر في الطاعة والمعصية وعواقبهما فندب أهل البحرين إلى فارس فتنسرعوا إلى ذلك وفرقهم أجنادا على أحدهما الجارود بن المعلى وعلى الآخر السوار بن همام وعلى الآخر خليد بن المنذر ابن ساوى وخليد على جماعة الناس فحملهم في البحر إلى فارس بغير إذن عمر وكان عمر لا يأذن لأحد في ركوبه غازياً يكره التغرير بجنده استناباً بالنبي صلى الله عليه وسلم وبأبي بكر لم يغز فيه النبي صلى الله عليه وسلم ولا أبو بكر فعبرت تلك الجنود من البحرين إلى فارس فخرجوا في إصطخر وبازاتهم أهل فارس وعلى أهل فارس الهريدا اجتمعوا عليه فجالوا بين المسلمين وبين سفنهم فقام خليد في الناس فقال أما بعد فإن الله إذا قضى أمراً جرت به المقادير حتى تصيبه وإن هؤلاء القوم لم يزيدوا بما صنعوا على أن دعوكم إلى حربهم وإنما جئتم لمحاربتهم والسفن والأرض لمن غلب فاستعينوا بالصبر والصلاة وإنها لكبيرة إلا على الخاشعين فأجابوه إلى ذلك فصلوا الظهر ثم ناهدوهم فاقتتلوا قتالاً شديداً في موضع من الأرض يدعى طابوس وجعل السوار يرتجز يومئذ ويذكر قومه ويقول: يا آل عبدالمعصية للقراع * قد حفل الامداد بالجراع وكلهم في سنن المصاع * يحسن ضرب القوم بالقطاع حتى قتل وجعل الجارود يرتجز ويقول: لو كان شيئاً أمماً أكلته * أو كان ماء سادماً جهرت له لكن بحراً جاءنا أنكرته حتى قتل ويومئذ ولي عبدالله بن السوار والمنذر بن الجارود حياتهما إلى أن ماتا وجعل خليد يومئذ يرتجز ويقول:

يال تميم أجمعوا النزول * وكاد جيش عمر يزول وكلكم يعلم ما أقول
 إنزلوا فنزلوا فاقتل القوم فقتل أهل فارس مقتلة لم يقتلوا مثلها
 قبلها ثم خرجوا يريدون البصرة وقد غرقت سفنهم ثم لم يجدوا إلى
 الرجوع في البحر سبيلا ثم وجدوا شهرك قد أخذ على المسلمين
 بالطرق فعسكروا وامتنعوا في نشوبهم ولما بلغ عمر الذي صنع
 العلاء من بعثه ذلك الجيش في البحر ألقى في روعه نحو من الذي
 كان فاشتد غضبه على العلاء وكتب إليه يعزله وتوعده وأمره بأثقل
 الاشياء عليه وأبغض الوجوه إليه بتأمير سعد عليه وقال الحق بسعد
 بن أبي وقاص فيمن قبلك فخرج بمن معه نحو سعد وكتب عمر إلى
 عتبة بن غزوان أن العلاء بن الحضرمي حمل جندا من المسلمين
 فأقطعهم أهل فارس وعصاني وأظنه لم يرد الله بذلك فخشيت
 عليهم إن لا ينصروا أن يغلبوا وينشبو فانذب إليهم الناس واضممهم
 إليك من قبل أن يجتاحوا فنذب عتبة الناس وأخبرهم بكتاب عمر
 فانتدب عاصم ابن عمرو وعرفجة بن هرثمة وحذيفة بن محصن
 ومجزأة بن ثور ونهار بن الحارث والترجمان بن فلان والحصين بن أبي
 الحر والاحنف بن قيس وسعد بن أبي العرجاء وعبد الرحمن بن سهل
 وضعصة بن معاوية فخرجوا في اثني عشر ألفا على البغال يجنبون
 الخيل وعليهم أبو سبرة بن أبي رهم أحد بني مالك بن حسل بن
 عامر بن لؤي والمسالح على حالها بالاهواز والذمة وهم ردة للغازي
 والمقيم فسار أبو سبرة بالناس وساحل لا يلقاه أحد ولا يعرض له
 حتى التقى أبو سبرة وخليد بحيث أخذ عليهم بالطرق غب وقعة
 القوم بطاوس وإنما كان ولي قتالهم أهل اصطخر وحدهم والشذاذ
 من غيرهم وقد كان أهل اصطخر حيث أخذوا على المسلمين
 بالطرق وأنشبوهم استصرخوا عليهم أهل فارس كلهم فضربوا إليهم
 من كل وجه وكورة فالتقوا هم وأبو سبرة بعد طاوس وقد توافت إلى
 المسلمين أمدادهم وإلى المشركين أمدادهم وعلى المشركين
 شهرك فاقتلوا ففتح الله على المسلمين وقتل المشركين وأصاب
 المسلمون منهم ما شاءوا وهي الغزاة التي شرفت فيها نابتة
 البصرة وكانوا

أفضل نوابت الامصار فكانوا أفضل المصريين نابتة ثم انكفؤوا بما أصابوا
 وقد عهد إليهم عتبة وكتب إليهم بالحث وقلة العرجة فانضموا إليه
 بالبصرة فخرج أهلها إلى منازلهم منها وتفرق الذين تنفذوا من أهل
 هجر إلى قبائلهم والذين تنفذوا من عبد القيس في موضع سوق
 البحرين ولما أحرز عتبة الاهواز وأوطأ فارس استأذن عمر في الحج
 فأذن له فلما قضى حجه استعفاه فأبى أن يعفيه وعزم عليه ليرجع
 إلى عمله فدعا الله ثم انصرف فمات في بطن نخلة فدفن وبلغ عمر
 فمر به زائرا لقبره وقال أنا قتلتك لولا أنه أجل معلوم وكتاب مرقوم
 وأثنى عليه بفضله ولم يخط فيمن اختط من المهاجرين وإنما ورث
 ولده منزلهم من فاختة ابنة غزوان وكانت تحت عثمان بن عفان وكان
 خباب مولاه قد لزم سمته فلم يخط ومات عتبة ابن غزوان على
 رأس ثلاث سنين ونصف من مفارقة سعد بالمدائن وقد استخلف
 على الناس أبا سبرة بن أبي رهم وعماله على حالهم ومسالحه
 على نهر تيري ومناذر وسوق الاهواز وسرق والهريزان برامهرمز
 مصالح عليها وعلى السوس والبنيان وجندي سابور ومهرجانذق
 وذلك بعد تنفذ الذين كان حمل العلاء في البحر إلى فارس ونزلهم
 البصرة وكان يقال لهم أهل طاوس نسبو إلى الوقعة وأقر عمر أبا
 سبرة بن أبي رهم على البصرة بقية السنة ثم استعمل المغيرة بن
 شعبه في السنة الثانية بعد وفاة عتبة فعمل عليها بقية تلك السنة
 والسنة التي تليها لم ينتقض عليه أحد في عمله وكان مرزوقا
 السلامة ولم يحدث شيئا إلا ما كان بينه وبين أبي بكره ثم استعمل

عمر أبا موسى على البصرة ثم صرف إلى الكوفة ثم استعمل عمر بن سراقه ثم صرف عمر بن سراقه إلى الكوفة من البصرة وصرّف أبو موسى إلى البصرة من الكوفة فعمل عليها ثانية (وفي هذه السنة) أعني سنة سبع عشرة كان فتح رامهرمز والسوس وتستر وفيها أسر الهرمزان في رواية سيف ذكر الخير عن فتح ذلك من روايته (كتب إلي السري) عن شعيب عن سيف عن محمد وطلحة والمهلب وعمرو قالوا ولم يزل يزدجرد يثير أهل فارس أسفا على ما خرج منهم فكتب يزدجرد

[١٨٠]

إلى أهل فارس وهو يومئذ بمرو يذكرهم الاحقاد ويؤنبهم أن قد رضيتم يا أهل فارس أن قد غلبتكم العرب على السواد وما والاه والاهواز ثم لم يرضوا بذلك حتى توردوكم في بلادكم وعقر داركم فتحركوا وتكاتبوا أهل فارس وأهل الاهواز وتعاهدوا وتواثقوا على النصرة وجاءت الاخبار حرقوص بن زهير وجاءت جزءا وسلمى وحرملة عن خير غالب وكليب فكتب سلمى وحرملة إلى عمر وإلى المسلمين بالبصرة فسبق كتاب سلمى وحرملة فكتب عمر إلى سعد أن ابعث إلى الاهواز بعثا كثيفا مع النعمان بن مقرن وعجل وابعث سويد بن مقرن وعبد الله بن ذي السهمين وجرير بن عبد الله الحميري وجرير بن عبد الله البجلي فليزلوا بازاء الهرمزان حتى يتبينوا أمره وكتب إلى أبي موسى أن ابعث إلى الاهواز جندا كثيفا وأمر عليهم سهل بن عدي أخا سهيل بن عدي وابعث معه البراء بن مالك وعاصم بن عمرو ومجزأة بن ثور وكعب بن سور وعرفجة بن هرثمة وحذيفة ابن محصن وعبد الرحمن بن سهل والحصين بن معبد وعلى أهل الكوفة وأهل البصرة جميعا أبو سيرة بن أبي رهم وكل من أتاه ممد له وخرج النعمان بن مقرن في أهل الكوفة فأخذ وسط السواد حتى قطع دجلة بحيال ميسان ثم أخذ البر إلى الاهواز على البغال يجنبون الخيل وانتهى إلى نهر تيرى فجازها ثم جاز مناذر ثم جاز سوق الاهواز وخلف حرقوصا وسلمى وحرملة ثم سار نحو الهرمزان والهرمزان يومئذ برامهرمز ولما سمع الهرمزان بمسير النعمان إليه بادره الشدة ورجا أن يفتطعه وقد طمع الهرمزان في نصر أهل فارس وقد أقبلوا نحوه ونزلت أوائل إمدادهم بتستر فالتقى النعمان والهرمزان بأربك فاقتتلا قتالا شديدا ثم إن الله عزوجل هزم الهرمزان للنعمان وأخلى رامهرمز وتركها ولحق بتستر وسار النعمان من أربك حتى ينزل برامهرمز ثم صعد لايذج فصالحه عليها تيرويه فقبل منه وتركه ورجع إلى رامهرمز فأقام بها * قالوا ولما كتب عمر إلى سعد وأبي موسى وسار النعمان وسهل سبق النعمان في أهل الكوفة سهلا وأهل البصرة ونكب الهرمزان وجاء سهل في أهل البصرة حتى نزلوا بسوق الاهواز وهم يريدون

[١٨١]

رامهرمز فأتتهم الوقعة وهم بسوق الاهواز وأتاهم الخبر أن الهرمزان قد لحق بتستر فمالوا من سوق الاهواز نحوه فكان وجههم منها إلى تستر ومال النعمان من رامهرمز إليها وخرج سلمى وحرملة وحرقوص وجزء فنزلوا جميعا على تستر والنعمان على أهل الكوفة وأهل البصرة متساندون وبها الهرمزان وجنوده من أهل فارس وأهل الجبال والاهواز في الخنادق وكتبوا بذلك إلى عمر واستمده أبو سيرة فأمدهم بأبي موسى فسار نحوهم وعلى أهل الكوفة النعمان وعلى أهل البصرة أبو موسى وعلى الفريقين جميعا أبو سيرة فحاصروهم أشهرا وأكثروا فيهم القتل وقتل البراء بن مالك فيما بين أول ذلك الحصار إلى أن فتح الله على المسلمين مائة مبارز سوى

من قتل في غير ذلك وقتل مجزأة بن ثور مثل ذلك وقتل كعب بن ثور مثل ذلك وقتل أبو تميمه مثل ذلك في عدة من أهل البصرة وفي الكوفيين مثل ذلك منهم حبيب بن قرّة وربيعي بن عامر وعامر بن عبد الاسود وكان من الرؤساء في ذلك ما ازدادوا به إلى ما كان منهم وزاحفهم المشركون في أيام تستر ثمانين زحفا في حصارهم يكون عليهم مرة ولهم أخرى حتى إذا كان في آخر زحف منها واشتد القتال قال المسلمون يا براء أقسم على ربك ليهزمنهم لنا فقال اللهم اهزمهم لنا واستشهدني قال فهزموهم حتى أدخلوهم خنادقهم ثم اقتحموها عليهم وأرزوا إلى مدينتهم وأحاطوا بها فبيناهم على ذلك وقد ضاقت بهم المدينة وطالت حريهم خرج إلى النعمان رجل فاستأمنه على أن يدلّه على مدخل يؤتون منه ورمى في ناحية أبي موسى بسهم قد وثقت بكم وأمنتكم واستأمنتكم على أن دلتكم على ما تأتون منه المدينة ويكون منه فتحها فأمنوه في نشابة فرمى إليهم بأخر وقال انهذوا من قبل مخرج الماء فإنكم ستفتحونها فاستشار في ذلك وندب إليه فانندب له عامر بن عبد قيس وكعب بن سور ومجزأة بن ثور وحسكة الحبطي وبشر كثير فنهذوا لذلك المكان ليلا وقد ندب النعمان أصحابه حين جاءه الرجل فانندب له سويد بن المثعبية وورقاء بن الحارث وبشر بن ربيعة الخثعمي ونافع بن زيد الحميري وعبد الله بن بشر الهلالي فنهذوا في بشر كثير فالتقوا هم وأهل البصرة

[١٨٢]

على ذلك المخرج وقد انسرب سويد وعبد الله بن بشر فاتبعهم هؤلاء وهؤلاء حتى إذا اجتمعوا فيها والناس على رجل من خارج كبروا فيها وكبر المسلمون من خارج وفتحت الابواب فاجتلدوا فيها فأنا مواكل مقاتل وأرز الهرمزان إلى القلعة وأطاف به الذين دخلوا من مخرج الماء فلما عاينوه وأقبلوا قبله قال لهم ما شئتم قد ترون ضيق ما أنا فيه وأنتم ومعني في جعبتي مائة نشابة ووالله ما تصلون إلي ما دام معني منها نشابة وما يقع لي سهم وما خير إسارى إذا أصبت منكم مائة بين قتيل أو جريح قالوا فتريد ماذا قال أن أضع يدي في أيديكم على حكم عمر يصنع بي ما شاء قالوا فلك ذلك فرمى بقوسه وأمكنهم من نفسه فشده ووثاقا واقتسموا ما أفاء الله عليهم فكان سهم الفارس ثلاثة آلاف والراجل ألفا ودعا صاحب الرمية بها فجاء هو والرجل الذي خرج بنفسه فقالا من لنا بالامان الذي طلبنا علينا وعلى من مال معنا قالوا ومن مال معكم من أغلق بابيه عليه مدخلكم فأجازوا ذلك لهم وقتل من المسلمين ليلتئذ أناس كثير وممن قتل الهرمزان بنفسه مجزأة بن ثور والبراء ابن مالك قالوا وخرج أبو سيرة في أثر الغل من تستر وقد قصدوا للسوس إلى السوس وخرج معه بالنعمان وأبي موسى ومعهم الهرمزان حتى اشمولوا على السوس وأحاط المسلمون بها وكتبوا بذلك إلى عمر فكتب عمر إلى عمر بن سراقبة بأن يسير نحو المدينة وكتب إلى أبي موسى فردّه على البصرة وقد ردّ أبا موسى على البصرة ثلاث مرات بهذه ورد عمر عليها مرتين وكتب إلى زر بن عبدالله بن كليب الفقيمي أن يسير إلى جندي سبابور فسار حتى نزل عليها وانصرف أبو موسى إلى البصرة بعد ما أقام إلى رجوع كتاب عمر وأمر عمر على جند البصرة المقرب الاسود بن ربيعة أحد بنى ربيعة بن مالك وكان الاسود وزر من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من المهاجرين وكان الاسود قد وفد على رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال جئت لاقرب إلى الله عزوجل بصحبتك فسماه المقرب وكان زر قد وفد على رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال فنى بطني وكثر إخوتنا فادع الله لنا فقال اللهم أوف لزر عميرته فتحول إليهم العدد وأوفد أبو سيرة وفدا

فيهم أنس بن مالك والاحنف بن قيس وأرسل الهرمزان معهم فقدموا مع أبي موسى البصرة ثم خرجوا نحو المدينة حتى إذا دخلوا هيوأ الهرمزان في هيئته فألبسوه كسوته من الديباج الذي فيه الذهب ووضعوا على رأسه تاجا يدعى الأذنين مكللا بالياقوت وعليه حليته كيما يراه عمر والمسلمون في هيئته ثم خرجوا به على الناس يريدون عمر في منزله فلم يجدوه فسألوا عنه فقبل جلس في المسجد لوفد قدموا عليه من الكوفة فانطلقوا يطلبونه في المسجد فلم يروه فلما انصرفوا مروا بغلمان من أهل المدينة يلعبون فقالوا لهم ما تلددكم تريدون أمير المؤمنين فإنه نائم في ميمنة المسجد متوسدا برنسه وكان عمر قد جلس لوفد أهل الكوفة في برنس فلما فرغ من كلامهم وارتفعوا عنه وأخلوه نزع برنسه ثم توسده فنام فانطلقوا ومعهم النظارة حتى إذا رآوه جلسوا دونه وليس في المسجد نائم ولا يقظان غيره والدرة في يده معلقة فقال الهرمزان أين عمر فقالوا هوذا وجعل الوفد يشيرون إلى الناس أن اسكنوا عنه وأصغى الهرمزان إلى الوفد فقال أين حرسه وحجابه عنه قالوا ليس له حارس ولا حاجب ولا كاتب ولا ديوان قال فينبغي له أن يكون نبيا فقالوا بل يعمل عمل الانبياء وكثر الناس فاستيقظ عمر بالجلية فاستوى جالسا ثم نظر إلى الهرمزان فقال الهرمزان قالوا نعم فتأمله وتأمل ما عليه وقال أعوذ بالله من النار وأستعين الله وقال الحمد لله الذي أذل بالاسلام هذا وأشياعه يا معشر المسلمين تمسكوا بهذا الدين واهتدوا بهدى نبيكم ولا تبطنركم الدنيا فإنها غرارة فقال الوفد هذا ملك الاهواز فكلمه فقال لا حتى لا يبقى عليه من حليته شئ فرمى عنه بكل شئ عليه إلا شيئا يستره وألبسوه ثوبا صفيقا فقال عمر هيه يا هرمزان كيف رأيت وبال الغدر وعاقبة أمر الله فقال يا عمر إنا وإياكم في الجاهلية كان الله قد خلى بيننا وبينكم فغلبناكم إذ لم يكن معنا ولا معكم فلما كان معكم غلبتمونا فقال عمر إنما غلبتمونا في الجاهلية باجتماعكم وتفرقنا ثم قال عمر ما عذرك وما حجتك في انتفاضك مرة بعد مرة فقال أخاف أن تقتلني قبل أن أخبرك قال لا تخف ذلك واستسقى ماء فأتى به في قدح غليظ فقال لو مت عطشا لم أستطع أن

أشرب في مثل هذا فأتي به في إناء يرضاه فجعلت يده ترجف وقال إني أخاف أن أقتل وأنا أشرب الماء فقال عمر لا بأس عليك حتى تشربه فأكفأه فقال عمر أعيدوا عليه ولا تجمعوا عليه القتل والعطش فقال لا حاجة لي في الماء إنما أردت أن أستأمن به فقال له عمر إني قاتلك قال قد أمنتني فقال كذبت فقال أنس صدق يا أمير المؤمنين قد أمنتته قال ويحك يا أنس أنا أو من من قاتل مجزأة والبراء والله لتأتين بمخرج أو لعاقبتك قال قلت له لا بأس عليك حتى تخبرني وقلت لا بأس عليك حتى تشربه وقال له من حوله مثل ذلك فأقبل على الهرمزان وقال خدعتني والله لا أنخدع إلا لمسلم فأسلم ففرض له على ألفين وأنزله المدينة (كتب إلي السري) عن شعيب عن سيف عن أبي سفيان طلحة بن عبدالرحمن عن ابن عيسى قال كان الترجمان يوم الهرمزان المغيرة بن شعبة إلى أن جاء المترجم وكان المغيرة يفته شيئا من الفارسية فقال عمر للمغيرة قل له من أي أرض أنت فقال المغيرة از كدام أرضيه فقال مهرجاني فقال تكلم بحجتك قال كلام حي أو ميت قال بل كلام حي قال قد أمنتني قال خدعتني إن للمخدوع في الحرب حكمه لا والله لا أو منك حتى تسلم فأيقن أنه القتل أو الإسلام فأسلم ففرض له على ألفين وأنزله المدينة وقال للمغيرة ما أراك بها حاذقا ما أحسنها منكم أحد إلا خب وما خب إلا دق إياكم وإياها فإنها تنقض الاعراب وأقبل زيد فكلمه وأخبر عمر بقوله والهرمزان يقول عمر (كتب إلى السري) عن

شعيب عن سيف عن محمد وطلحة وعمر وعن الشعبي وسفيان عن الحسن قال قال عمر للوفد لعل المسلمين يفضون إلى أهل الذمة بأذى وبأمور لها ما ينتقصون بكم فقالوا ما نعلم إلا وفاء وحسن ملكة قال فكيف هذا فلم يجد عند أحد منهم شيئا يشفيه ويبصر به مما يقولون إلا ما كان من الاحنف فقال يا أمير المؤمنين أخبرك أنك نهيتنا عن الانسياح في البلاد وأمرتنا بالاقْتِصَارَ على ما في أيدينا وإن ملك فارس حي بين أظهرهم وإنهم لا يزالون يساجلوننا ما دام ملكهم فيهم ولم يجتمع ملكان فاتفقا حتى يخرج أحدهما صاحبه وقد رأيت أنا لم نأخذ شيئا بعد شئ إلا بانيعائهم

[١٨٥]

وأن ملكهم هو الذي يبعثهم ولا يزال هذا دأبهم حتى يأذن لنا فالمسيح في بلادهم حتى نزيله عن فارس ونخرجه من مملكته وعز أمته فهناك ينقطع رجاء أهل فارس ويضربوا جاشا فقال صدقتني والله وشرحت لي الأمر عن حقه ونظر في حوائجهم وسرحهم وقدم الكتاب على عمر باجتماع أهل نهاوند وانتهاء أهل مهرجانقدق وأهل كور الأهواز إلى رأي الهرمزان ومشيتته فذلك كان سبب إذن عمر لهم في الانسياح ذكر فتح السوس (اختلف) أهل السير في أمرها فأما المدائني فإنه فيما حدثني عنه أبو زيد قال لما انتهى فل جلولاء إلى يزدجرد وهو بخلوان دعا بخاصته والموبذ فقال إن القوم لا يلقون جمعا إلا فلوهم فما ترون فقال الموبذ نرى أن تخرج فتنزّل إصطخر فإنها بيت المملكة وتضم إليك خزائنك وتوجه الجنود فأخذ برأيه وسار إلى أصبهان ودعا سياه فوجهه في ثلاثمائة فيهم سبعون رجلا من عظمائهم وأمره أن ينتخب من كل بلدة يمر بها من أحب فمضى سياه وتبعه يزدجرد حتى نزلوا اصطخر وأبو موسى محاصر السوس فوجه سياه إلى السوس والهرمزان إلى تستر فنزل سياه الكلبيانية وبلغ أهل السوس أمر جلولاء ونزول يزدجرد اصطخر منهزما فسألوا أبا موسى الأشعري الصلح فصالحهم وسار إلى رامهرمز وسياه بالكلبيانية وقد عظم أمر المسلمين عنده فلم يزل مقيما حتى صار أبو موسى إلى تستر فتحول سياه فنزل بين رامهرمز وتستر حتى قدم عمار بن ياسر فدعا سياه الرؤساء الذين كانوا خرجوا معه من أصبهان فقال قد علمتم أنا كنا نتحدث أن هؤلاء القوم أهل الشقاء والبؤس سيغلبون على هذه المملكة وتروث دوابهم في إيوانات اصطخر ومصانع الملوك ويشدون خيولهم بشجرها وقد غلبوا على ما رأيتم وليس يلقون جندا إلا فلوهم ولا ينزلون بحصن إلا فتحوه فانظروا لانفسكم قالوا رأينا رأيك قال فليكنني كل رجل منكم حشمة والمنقطعين إليه فإني أرى أن ندخل في دينهم ووجهوا شيرويه في عشرة من الاساورة إلى أبي موسى يأخذ شروطا على أن يدخلوا في الاسلام

[١٨٦]

فقدم شيرويه على أبي موسى فقال إنا قد رغبنا في دينكم فنسلم على أن نقاتل معكم العجم ولا نقاتل معكم العرب وإن قاتلنا أحد من العرب منعتونا منه وننزل حيث شئنا ويكون فيمن شئنا منكم وتلحقونا بأشراف العطاء ويعقد لنا الامير الذي هو فوقك بذلك فقال أبو موسى بل لكم ما لنا وعليكم ما علينا قالوا لا نرضى وكتب أبو موسى إلى عمر بن الخطاب فكتب إلى أبي موسى أعطهم ما سألوكم فكتب أبو موسى لهم فأسلموا وشهدوا معه حصار تستر فلم يكن أبو موسى يرى منهم جدا ولا نكابة فقال لسياه يا أعور ما أنت وأصحابك كما كنا نرى قال لسنا مثلكم في هذا الدين ولا بصائرنا كبصائركم وليس لنا فيكم حرم نحامي عنهم ولم تلحقنا بأشراف

العطاء ولنا سلاح وكراع وأنتم حسر فكتب أبو موسى إلى عمر في ذلك فكتب إليه عمر أن ألحقهم على قدر البلاء في أفضل العطاء وأكثر شئ أخذه أحد من العرب ففرض لمائة منهم في ألفين ألفين ولستة منهم في ألفين وخمسمائة لسياه وخسرو ولقيه مقلاص وشهريار وشهرويه وشيرويه وافروذين فقال الشاعر: لما رأى الفاروق حسن بلائهم * وكان بما يأتي من الامر أبصرا فسن لهم ألفين فرضا وقد رأى * ثلاثمئين فرص عك وحميرا قال فحاصروا حصنا بفارس فانسل سياه في آخر الليل في زي العجم حتى رمى بنفسه إلى جنب الحصن ونضح ثيابه بالدم وأصبح أهل الحصن فرأوا رجلا في زيهم صريعا فظنوا أنه رجل منهم أصيبوا به ففتحوا باب الحصن ليدخلوه فثار وقتلهم حتى خلوا عن باب الحصن وهربوا ففتح الحصن وحده ودخله المسلمون وقوم يقولون فعل هذا الفعل سياه بتستر وحاصروا حصنا فمشى خسرو إلى الحصن فأشرف عليه رجل منهم يكلمه فرماه خسرو بنشابة فقتله * وأما سيف فانه قال في روايته ما كتب به إلى السري عن شعيب عنه عن محمد وطلحة وعمرو وذيثار أبي عمر عن أبي عثمان قالوا لما نزل: أبو سيرة في الناس على السوس وأحاط المسلمون بها وعليهم شهريار أخو الهرمزان ناوشوهم مرات كل ذلك يصيب أهل السوس في المسلمين فأشرف عليهم يوما الرهبان والقسيسون فقالوا يا معشر العرب إن مما

[١٨٧]

عهد إلينا علماؤنا وأوائلنا أنه لا يفتح السوس إلا الدجال أو قوم فيهم الدجال فان كان الدجال فيكم فستفتحونها وإن لم يكن فيكم فلا تعنوا بحصارنا وجاء صرف أبي موسى إلى البصرة وعمل على أهل البصرة المقترب مكان أبي موسى بالسوس واجتمع الاعاجم بنهاوند والنعمان على أهل الكوفة محاصرا لأهل السوس مع أبي سيرة وزير محاصر أهل نهاوند من وجهه ذلك وضرب على أهل الكوفة البعث مع حذيفة وأمرهم بموافاته بنهاوند وأقبل النعمان على التهيؤ للسير إلى نهاوند ثم استقل في نفسه فناوشهم قبل مضيه فعاد الرهبان والقسيسون وأشرفوا على المسلمين وقالوا يا معشر العرب لا تعنوا فإنه لا يفتحها إلا الدجال أو قوم معهم الدجال وصاحوا بالمسلمين وغازوهم وصاف بن صياد يومئذ مع النعمان في خيله وناهدهم المسلمون جميعا وقالوا نقاتلهم قبل أن نفرق ولما يخرج أبو موسى بعد وأتى صاف باب السوس غضبان فدقه برجله وقال انفتح بظار فتقطعت السلاسل وتكسرت الاغلاق وفتحت الابواب ودخل المسلمون فألقى المشركون بأيديهم وتنادوا الصلح الصلح وأمسكوا بأيديهم فأجابوهم إلى ذلك بعد ما دخلوها عنوة واقتسموا ما أصابوا قبل الصلح ثم افترقوا فخرج النعمان في أهل الكوفة من الاهواز حتى نزل علي ماه وسرح أبو سيرة المقترب حتى ينزل على جندي سابور مع زر فأقام النعمان بعد دخول ماه حتى وإفاه أهل الكوفة ثم نهد بهم إلى أهل نهاوند فلما كان الفتح رجع صاف إلى المدينة فأقام بها ومات بالمدينة (كتب إلي السري) عن شعيب عن سيف عن عطية عن أورد فتح السوس قال وقيل لأبي سيرة هذا جسد دانيال في هذه المدينة قال ومالنا بذلك فأقره بأيديهم قال عطية باسناده إن دانيال كان لزم أسيف فارس بعد بختنصر فلما حضرته الوفاة ولم ير أحدا ممن هو بين ظهرهم على الاسلام أكرم كتاب الله عنم لم يجبه ولم يقبل منه فأودعه ربه فقال لابنه أنت ساحل البحر فأقذف بهذا الكتاب فيه فأخذه الغلام ورض به وغاب مقدار ما كان ذاهبا وجائيا وقال قد فعلت قال فما صنع البحر حين هوى فيه قال لم أره يصنع شيئا فغضب وقال والله ما فعلت الذي أمرتك به فخرج من

[١٨٨]

عنده ففعل مثل فعلته الاولى ثم أتاه فقال قد فعلت فقال كيف رأيت البحر حين هوى فيه قال ماج واصطفق فغضب أشد من غضبه الاول وقال والله ما فعلت الذي أمرتك به بعد فعزم ابنه على القائه في البحر الثالثة فانطلق إلى ساحل البحر وألقاه فيه فانكشف البحر عن الارض حتى بدت وانفجرت له الارض عن هواء من نور فهوى في ذلك النور ثم انطبقت عليه الارض واختلط الماء فلما رجع إليه الثالثة سأله فأخبره الخبر فقال الآن صدقت ومات دانيال بالسوس فكان هنالك يستسقى بجسده فلما افتتحها المسلمون أتوا به فأقروه في أيديهم حتى إذا ولي أبو سيرة عنهم إلى جندي سابور أقام أبو موسى بالسوس وكتب إلى عمر فيه فكتب إليه بأمره بتوريته فكفنه ودفنه المسلمون وكتب أبو موسى إلى عمر بأنه كان عليه خاتم وهو عندنا فكتب إليه أن تختمه وفي فسه نقش رجل بين أسدين (وفيها) أعني سنة سبعة عشر كانت مصالحة المسلمين أهل جندي سابور ذكر الخبر عن أمرهم وأمرها (كتب إلى السري) عن شعيب عن سيف عن محمد وطلحة وأبي عمرو وأبي سفيان والمهلب قالوا لما فرغ أبو سيرة من السوس خرج في جنده حتى نزل على جندي سابور وزير بن عبدالله بن كليب محاصريهم فأقاموا عليها يغادونهم ويرأونهم القتال فما زالوا مقيمين عليها حتى رمى إليهم بالامان من عسكر المسلمين وكان فتحها وفتح نهاوند في مقدار شهرين فلم يفتح المسلمون إلا وأبوابها تفتح ثم خرج السرح وخرجت الاسواق وانبت أهلها فأرسل المسلمون أن مالكم قالوا رميتم إلينا بالامان فقبلناه وأقررنا لكم بالجزء على أن تمنعونا فقالوا ما فعلنا فقالوا ما كذبنا فسأل المسلمون فيما بينهم فإذا عبد يدعى مكنفا كان أصله منها هو الذي كتب لهم فقالوا إنما هو عبد فقالوا إنا لا نعرف حركم من عبدكم قد جاء أمان فنحن عليه قد قبلناه ولم نبدل فإن شئتم فاغدروا فأمسكوا عنهم وكتبوا بذلك إلى عمر فكتب إليهم إن الله عظم الوفاء فلا تكونون أوفياء حتى تفوا ما دتمتم في شك أجزؤهم وفوا لهم فوفوا لهم وانصرفوا عنهم (كتب إلى السري) عن شعيب عن سيف عن محمد

[١٨٩]

وطلحة والمهلب وعمرو قالوا أذن عمر في الانسحاق سنة سبعة عشر في بلاد فارس وانتهى في ذلك إلى رأي الاحنف بن قيس وعرف فضله وصدقه وفرق الامراء والجنود وأمر على أهل البصرة امرأه وأمر على أهل الكوفة امرأه وأمر هؤلاء وهؤلاء بأمره وأذن لهم في الانسحاق سنة سبع عشرة فساخوا في سنة ثمان عشرة وأمر أبو موسى أن يسير من البصرة إلى منقطع ذمة البصرة فيكون هنالك حتى يحدث إليه وبعث بالوية من ولى مع سهيل بن عدي حليف بني عبد الاشهل فقدم سهيل بالالوية ودفع لواء خراسان إلى الاحنف بن قيس ولواء أردشير خره وسابور إلى مجاشع بن مسعود السلمى ولواء إصطخر إلى عثمان بن أبي العاص الثقفي ولواء فساودرابجرد إلى سارية بن زنيم الكناني ولواء كرمات مع سهيل بن عدي ولواء سجستان إلى عاصم بن عمرو وكان عاصم من الصحابة ولواء مكران إلى الحكم ابن عمير التغلبي فخرجوا في سنة سبع عشرة فعسكروا ليخرجوا إلى هذه الكور فلم يستتب مسيرهم حتى دخلت سنة ثمان عشرة وأمدهم عمر بأهل الكوفة فأمد سهيل بن عدي بعبد الله بن عبدالله بن عتيان وأمد الاحنف بعلمة بن النضر وبعبد الله بن أبي عقيل وبريعي بن عامر وبابن أم غزال وأمد عاصم بن عمرو بعبد الله ابن عمير الأشجعي وأمد الحكم بن عمير بشهاب بن المخارق المازني قال بعضهم كان فتح السوس ورامهرمز وتوجيه الهرمزان إلى عمر من تستر في سنة عشرين وحج بالناس في هذه السنة أعني سنة سبع عشرة عمر بن الخطاب وكان عامله على مكة عتاب بن أسيد وعلى اليمن يعلى بن أمية وعلى اليمامة والبحرين عثمان بن أبي العاص وعلى عمان حذيفة بن محصن وعلى

الشام من قد ذكرت أسماءهم قبل وعلى الكوفة وأرضها سعد بن أبي وقاص وعلى قضائها أبو قرّة وعلى البصرة وأرضها أبو موسى الأشعري وقد ذكرت فيما مضى الوقت الذي عزل فيه عنها والوقت الذي رد فيه إليها أميرا وعلى القضاء فيما قيل أبو مريم الحنفي وقد ذكرت من كان على الجزيرة والموصل قبل

[١٩٠]

ثم دخلت سنة ثمان عشرة ذكر الاحداث التي كانت في سنة ثمان عشرة (قال أبو جعفر) وفي هذه السنة أعني سنة ثمان عشرة أصابت الناس مجاعة شديدة ولزبة وجدوب وقحوط وذلك هو العام الذي يسمى عام الرمادة * حدثنا ابن حميد قال حدثنا سلمة عن محمد بن إسحاق قال دخلت سنة ثمان عشرة وفيها كان عام الرمادة وطاعون عمواس فتفاني فيها الناس * وحدثني أحمد بن ثابت الرازي قال حدثت عن إسحاق بن عيسى عن أبي معشر قال كانت الرمادة سنة ثمان عشرة قال وكان في ذلك العام طاعون عمواس (كتب إلى السري) يقول حدثنا شعيب عن سيف عن الربيع وأبي المجالد وأبي عثمان وأبي حارثة قالوا وكتب أبو عبيدة إلى عمر إن نفرا من المسلمين أصابوا الشراب منهم ضرار وأبو جندل فسألناهم فتأولوا وقالوا خيرنا فاخترنا قال فهل أنتم منتهون ولم يعزم علينا فكتب إليه عمر فذلك بيننا وبينهم فهل أنتم منتهون يعني فانتهوا وجمع الناس فاجتمعوا على أن يضربوا فيها ثمانين جلدة ويضمنوا الفسق ومن تأول عليها بمثل هذا فإن أبي قتل فكتب عمر إلى أبي عبيدة أن ادعهم فإن زعموا أنها حلال فاقتلهم وإن زعموا أنها حرام فجلدهم ثمانين فبعث إليهم فسألهم على رؤس الناس فقالوا حرام فجلدهم ثمانين ثمانين وحد القوم وندموا على لجاجتهم وقال ليحدثن فيكم يا أهل الشام حادث فحدثت الرمادة (كتب الي السري) عن شعيب عن سيف عن عبدالله بن شبرمة عن الشعبي بمثله (كتب الي السري) عن شعيب عن سيف عن عبيدالله بن عمر عن نافع قال لما قدم على عمر كتاب أبي عبيد في ضرار وأبي جندل كتب إلى أبي عبيدة في ذلك وأمره أن يدعو بهم على رؤس الناس فيسألهم أحرام الخمر أم حلال فإن قالوا حرام فجلدهم ثمانين جلدة واستتبهم وإن قالوا حلال فاضرب أعناقهم فدعا بهم فسألهم فقالوا بل حرام فجلدهم فاستحيوا فلزموا البيوت ووسوس أبو جندل فكتب أبو عبيدة إلى عمر إن أبا جندل قد وسوس إلا أن يأتيه الله على يدك بفرج فاكتب إليه

[١٩١]

وذكره فكتب إليه عمر وذكره فكتب إليه من عمر إلى أبي جندل إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء فتنب وارفع رأسك وابرز ولا تقنط فإن الله عزوجل يقول (يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعا إنه هو الغفور الرحيم) فلما قرأه عليه أبو عبيدة تطلق وأسفر عنه وكتب إلى الآخرين بمثل ذلك فبرزوا وكتب إلي الناس عليكم أنفسكم ومن استوجب التغيير فغيروا عليه ولا تعيروا أحدا فيفثشو فيكم البلاء (كتب إلي السري) عن شعيب عن سيف عن محمد بن عبدالله عن عطاء نحوا منه إلا أنه لم يذكر أنه كتب إلى الناس ألا يعيروهم وقال قالوا جاشت الروم دعونا نغزوهم فإن قضى الله لنا الشهادة فذلك وإلا عمدت للذي يريد فاستشهد ضرار ابن الازور في قوم وبقي الآخرون فحدوا وقال أبو الزهراء الفثييري في ذلك ألم تر أن الدهر يعثر بالفتى * وليس على صرف المنون بقادر صبرت ولم أجزع وقد مات إخوتي * ولست عن الصهاء يوما بصابر رماها أمير المؤمنين بحتفها

* فخلانها سيكون حول المعاصر (كتب إلي السري) عن شعيب عن سيف عن الربيع بن النعمان وأبي المجالد جراد بن عمرو وأبي عثمان يزيد بن أسيد الغساني وأبي حارثة محرز العيشمي بإسنادهم ومحمد بن عبدالله عن كريب قالوا أصابت الناس في إمارة عمر رضي الله عنه سنة بالمدينة وما حولها فكانت تسقى إذا ربحت ترابا كالرماد فسمى ذلك العام عام الرمادة فألى عمر أن لا يذوق سمنا ولا لبنا ولا لحما حتى يحيى الناس من أول الحيا فكان بذلك حتى أحيا الناس من أول الحيا فقدمت السوق عكة من سمن ووطب من لبن فاشترهما غلام لعمر بأربعين ثم أتى عمر فقال يا أمير المؤمنين قد أبر الله يمينك وعظم أجرك قدم السوق وطب من لبن وعكة من سمن فابتعتها بأربعين فقال عمر اغلبت بهما فتصدق بهما فأبى أكره أن أكل إسرفا وقال عمر كيف يغنيني شأن الرعية إذا لم يمسنني ما مسهم (كتب إلي السري) عن شعيب عن سيف عن سهل بن يوسف السلمى عن عبدالرحمن بن كعب بن مالك قال كانت

[١٩٢]

في آخر سنة سبع عشرة وأول سنة ثمان عشرة وكانت الرمادة جوعا أصاب الناس بالمدينة وما حولها فأهلكهم حتى جعلت الوحش تأوى إلى الانس وحتى جعل الرجل يذبح الشاة فيعافها من قبحها وأنه لمقفر (كتب إلي السري) عن شعيب عن سيف عن سهل بن يوسف عن عبدالرحمن بن كعب قال كان الناس بذلك وعمر كالمحصور عن أهل الامصار حتى أقبل بلال بن الحارث المزني فاستأذن عليه فقال أنا رسول الله إليك يقول لك رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد عهدتكم كيسا وما زلت على رجل فما شأنك فقال متى رأيت هذا قال البارحة فخرج فنأدى في الناس الصلاة جامعة فصلى بهم ركعتين ثم قام فقال أيها الناس أنشدكم الله هل تعلمون مني أمرا غيره خير منه قالوا اللهم لا قال فإن بلال بن الحارث يزعم ذية وذية فقالوا صدق بلال فاستغث بالله وبالمسلمين فبعث إليهم وكان عمر عن ذلك محصورا فقال عمر الله أكبر بلغ البلاء مدته فأنكشف ما أذن لقوم في الطلب إلا وقد رفع عنهم البلاء فكتب إلى أمراء الامصار أغيثوا أهل المدينة ومن حولها فإنه قد بلغ جهدهم وأخرج الناس إلى الاستسقاء فخرج وخرج معه بالعباس ماشيا فخطب فأوجز ثم صلى ثم جثا لركبتيه وقال اللهم إياك نعبد وإياك نستعين اللهم اغفر لنا وارحمنا وارض عنا ثم انصرف فما بلغوا المنزل راجعين حتى خاضوا الغدران (كتب إلي السري) عن شعيب عن سيف عن مبشر بن الفضيل عن جبير بن صخر عن عاصم بن عمر بن الخطاب قال قحط الناس زمان عمر عاما فهزل المال فقال أهل بيت من مزينة من أهل البادية لصاحبهم قد بلغنا فاذبح لنا شاة قال ليس فيهن شئ فلم يزالوا به حتى ذبح لهم شاة فسلخ عن عظم أحمر فنأدى يا محمداه فأرى فيما يرى النائم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أتاه فقال ابشر بالحيا أنت عمر فأقرأه مني السلام وقل له إن عهدي بك وأنت وفي العهد شديد العقد فالكيس الكيس يا عمر فجاؤ حتى أتى باب عمر فقال لغلماه استأذن لرسول رسول الله صلى الله عليه وسلم فأتى عمر فأخبره ففرع وقال رأيت به مسا قال لا قال فأدخله فدخل فأخبره الخبر فخرج فنأدى في الناس وصعد المنبر وقال

[١٩٣]

أنشدكم بالذي هداكم للاسلام هل رأيتم مني شيئا تكرهونه قالوا اللهم لا قالوا ولم ذاك فأخبرهم ففطنوا ولم يظن فقالوا إنما

استبطنك في الاستسقاء فاستسقى بنا فنأدى في الناس فقام
فخطب فأوجز ثم صلى ركعتين فأوجز ثم قال اللهم عجزت عنا أنصارنا
وعجز عنا حولنا وقوتنا وعجزت عنا أنفسنا ولا حول ولا قوة إلا بك
اللهم فاسقنا وأحى العباد والبلاد (كتب إلي السري) عن شعيب
عن سيف عن الربيع بن النعمان وجراد أبي المجالد وأبي عثمان
وأبي حارثة كلهم عن رجاء وزاد أبو عثمان وأبو حارثة عن عبادة وخالد
عن عبدالرحمن بن غنم قالوا كتب عمر إلى أمراء الامصار يستغيثهم
لاهل المدينة ومن حولها ويستمدهم فكان أول من قدم عليه أبو
عبيدة بن الجراح في أربعة آلاف راحلة من طعام فولاه قسمتها فيمن
حول المدينة فلما فرغ ورجع إليه أمر له بأربعة آلاف درهم فقال لا
حاجة لي فيها يا أمير المؤمنين إنما أردت الله وما قبله فلا تدخل
على الدنيا فقال خذها فلا بأس بذلك إذا لم تطلبه فأبى فقال خذها
فإنني قد وليت لرسول الله صلى الله عليه وسلم مثل هذا فقال لي
مثل ما قلت لك فقلت له كما قلت لي فأعطاني فقبل أبو عبيدة
وانصرف إلى عمله وتتابع الناس واستغنى أهل الحجاز وأحبوا مع أول
الحيا وقالوا بإسنادهم وجاء كتاب عمرو بن العاصي جواب كتاب عمر
في الاستغاثة أن البحر الشامي حفر لمبعث رسول الله صلى الله
عليه وسلم حفيراً فصب في بحر المغرب فسده الروم والقيط فإن
أحببت أن يقوم سعر الطعام بالمدينة كسعره بمصر حفرت له نهراً
وبنيت له قناطر فكتب إليه عمر أن افعل وعجل ذلك فقال له أهل
مصر خراجك زاج وأميرك راض وإن تم هذا انكسر الخراج فكتب إلى
عمر بذلك وذكر أن فيه انكسار خراج مصر وخرابها فكتب إليه عمر
اعمل فيه وعجل اخبر الله مصر في عمران المدينة وصلاحتها فعالجه
عمرو وهو بالقلزم فكان سعر المدينة كسعر مصر ولم يزد ذلك مصر
إلا رخاء ولم ير أهل المدينة بعد الرمادة مثلها حتى حبس عنهم
البحر بعد مقتل عثمان رضى الله عنه (قال أبو جعفر) وزعم الواقدي
أن الرقة والرهاء وحران فتحت في هذه السنة

[١٩٤]

على يدي عياض بن غنم وإن عين الوردة فتحت فيها على يدي
عمير بن سعد وقد ذكرت قول من خالفه في ذلك فيما مضى وزعم
أن عمر رضى الله عنه حول المقام في هذه السنة في ذي الحجة
إلى موضعه اليوم وكان ملصقا بالبيت قبل ذلك وقال مات في طاعون
عمواس خمسة وعشرون ألفاً (قال أبو جعفر) وقال بعضهم وفي هذه
السنة استقضى عمر شريح بن الحرث الكندي على الكوفة وعلى
البصرة كعب بن الاسود الازدي قال وحج بالناس في هذه السنة عمر
بن الخطاب رضى الله عنه وكانت ولاته في هذه السنة على الامصار
الولاية الذين كانوا عليها في سنة سبعة عشر ثم دخلت سنة تسع
عشرة ذكر الاحداث التي كانت في سنة تسع عشرة (قال أبو جعفر)
قال أبو معشر فيما حدثني أحمد بن ثابت الرازي عن حدثه عن
اسحاق بن عيسى عنه أن فتح جلولاء كان في سنة تسع عشرة
على يدي سعد وكذلك قال الواقدي وقال ابن اسحاق كان فتح
الجزيرة والرهاء وحران ورأس العين ونصيبين في سنة تسع عشرة
(قال أبو جعفر) وقد ذكرنا قول من خالفهم في ذلك قبل وقال أبو
معشر كان فتح قيسارية في هذه السنة أعني سنة تسعة عشر
وأمرها معاوية بن أبي سفيان حدثني بذلك أحمد بن ثابت الرازي
عن حدثه عن اسحاق بن عيسى عنه وكالذي قال أبو معشر في
ذلك قال الواقدي وأما ابن اسحاق فإنه قال كان فتح قيسارية من
فلسطين وهرب هرقل وفتح مصر في سنة عشرين حدثنا بذلك ابن
حميد قال حدثنا سلمة عنه * وأما سيف بن عمر فإنه قال كان فتحها
في سنة ست عشرة قال وكذلك فتح مصر وقد مضى الخبر عن فتح
قيسارية قبل وأنا ذاكر خبر مصر وفتحها بعد في قول من قال فتحت
سنة عشرين وفي قول من خالف ذلك (قال أبو جعفر) وفي هذه

السنة أعني سنة تسع عشرة سالت حرة ليلي نارا فيما زعم
الواقدي فأراد عمر الخروج إليها بالرجال ثم أمرهم بالصدقة

[١٩٥]

فانطفت (وزعم) أيضا الواقدي أن المدائن وجلولاء فتحتا في هذه
السنة وقد مضى ذكر من خالفه في ذلك (وحج) بالناس في هذه
السنة عمر بن الخطاب رضى الله عنه وكان عماله على الامصار
وقضاته فيها الولاة والقضاة الذين كانوا عليها في سنة ثمان عشرة
ثم دخلت سنة عشرين ذكر الخبر عما كان فيها من مغازي
المسلمين وغير ذلك من أمورهم (قال أبو جعفر) ففي هذه السنة
فتحت مصر في قول ابن اسحاق * حدثنا ابن حميد قال حدثنا سلمة
عن ابن اسحاق قال فتحت مصر سنة عشرين وكذلك قال أبو معشر
حدثني أحمد بن ثابت عن ذكره عن اسحاق بن عيسى عن أبي
معشر أنه قال فتحت مصر سنة عشرين وأميرها عمرو بن العاصي
وحدثني أحمد بن ثابت عن ذكره عن اسحاق بن عيسى عن أبي
معشر قال فتحت اسكندرية سنة خمسة وعشرين وقال الواقدي
فيما حدثت عن ابن سعد عنه فتحت مصر والاسكندرية في سنة
عشرين وأما سيف فإنه زعم فيما كتب به إلى السري عن شعيب
عن سيف أنها فتحت والاسكندرية في سنة ست عشرة ذكر الخبر
عن فتحها وفتح الاسكندرية (قال أبو جعفر) قد ذكرنا اختلاف أهل
السير في السنة التي كان فيها فتح مصر والاسكندرية ونذكر الآن
سبب فتحهما وعلى يدي من كان على ما في ذلك من اختلاف
بينهم أيضا فأما ابن اسحاق فإنه قال في ذلك ما حدثنا ابن حميد
قال حدثنا سلمة عنه أن عمر رضى الله عنه حين فرغ من الشام
كلها كتب إلى عمرو بن العاصي أن يسير إلى مصر في جنده فخرج
حتى فتح باب اليون في سنة عشرين قال وقد اختلف في فتح
الاسكندرية فبعض الناس يزعم أنها فتحت في سنة خمس وعشرين
وعلى سنتين من خلافة عثمان بن عفان رضى الله عنه وعليها عمرو
بن العاصي حدثنا ابن حميد قال حدثنا سلمة عن محمد

[١٩٦]

ابن اسحاق قال وحدثني القاسم بن قزمان رجل من أهل مصر عن
زياد بن جزء الزبيدي أنه حدثه أنه كان في جند عمرو بن العاصي
حين افتتح مصر والاسكندرية قال افتتحنا الاسكندرية في خلافة عمر
بن الخطاب في سنة احدى وعشرين أو سنة اثنين وعشرين قال لما
افتتحنا باب اليون تدنينا قرى الريف فيما بيننا وبين الاسكندرية قرية
فقرية حتى انتهينا إلى بلهيب قرية من قرى الريف يقال لها قرية
الريش وقد بلغت سبايانا المدينة ومكة واليمن قال فلما انتهينا إلى
بلهيب أرسل صاحب الاسكندرية إلى عمرو بن العاصي انى قد كنت
أخرج الجزية إلي من هو أبغض إلى منكم معشر العرب لفارس والروم
فإن أحببت أن أعطيك الجزية على أن ترد علي ما أصبتم من سبايا
أرضي فعلت قال فبعث إليه عمرو بن العاصي أن ورائي أميرا لا
أستطيع أن أصنع أمرا دونه فإن شئت أن أمسك عنك وتمسك عني
حتى أكتب إليه بالذي عرضت علي فإن هو قبل ذلك منك قبلت وإن
أمرني بغير ذلك مضيت لامره قال فقال نعم قال فكتب عمرو بن
العاصي إلى عمر بن الخطاب قال وكانوا لا يخفون علينا كتابا كتبوا به
يذكر له الذي عرض عليه صاحب الاسكندرية قال وفي أيدينا بقايا من
سبيهم ثم وقفنا بلهيب وأقمنا ننتظر كتاب عمر جاءنا فقرأه علينا
عمرو وفيه أما بعد فإنه جاءني كتابك تذكر أن صاحب الاسكندرية
عرض أن يعطيك الجزية على أن ترد عليه ما أصيب من سبايا أرضه
ولعمري لجزية قائمة تكون لنا ولمن بعدنا من المسلمين أحب إلي

من فئ يقسم ثم كأنه لم يكن فاعرض على صاحب الاسكندرية أن يعطيك الجزية على أن تخيروا من في أيديكم من سبيهم بين الاسلام وبين دين قومه فمن اختار منهم الاسلام فهو من المسلمين له ما لهم وعليه ما عليهم ومن اختار دين قومه وضع عليه من الجزية ما يوضع على أهل دينه فأما من تفرق من سبيهم بأرض العرب بلغ مكة والمدينة واليمن فإننا لا نقدر على ردهم ولا نحب أن نصالحه على أمر لا نفى له به قال فبعث عمرو إلى صاحب الاسكندرية يعلمه الذي كتب به أمير المؤمنين قال فقال قد فعلت قال فجمعنا ما في أيدينا من السيايا واجتمعت

[١٩٧]

النصارى فجعلنا تأتي بالرجل ممن في أيدينا ثم نخبه بين الاسلام وبين النصرانية فإذا اختار الاسلام كبرنا تكبيرة هي أشد من تكبيرنا حين تفتح القرية قال ثم نحوزه إلينا وإذا اختار النصرانية نخرت النصرارى ثم حازوه إليهم ووضعنا عليه الجزية وحزنا من ذلك جزعا شديدا حتى كأنه رجل خرج منا إليهم قال فكان ذلك الدأب حتى فرغنا منهم وقد أتى فيمن أتينا به بأبي مريم عبدالله بن عبدالرحمن قال القاسم وقد أدركته وهو عريف بني زبيد قال فوقفناه فعرضنا عليه الاسلام والنصرانية وأبوه وأمه وإخوته في النصرارى فاختار الاسلام فحزناه إلينا ووثب عليه أبوه وأمه وإخوته يجاذبونا حتى شققوا عليه ثيابه ثم هو اليوم عريفنا كما ترى ثم فتحت لنا الاسكندرية فدخلناها وان هذه الكناسة التي ترى يا ابن أبي القاسم لكناسة بناحية الاسكندرية حولها أحجار كما ترى ما زادت ولا نقصت فمن زعم غير ذلك أن الاسكندرية وما حولها من القرى لم يكن لها جزية ولا لاهلها عهد فقد والله كذب قال القاسم وإنما هاج هذا الحديث أن ملوك بني أمية كانوا يكتبون إلى أمراء مصر أن مصر إنما دخلت عنوة وإنما هم عبيدنا نزيد عليهم كيف شئنا ونصنع ما شئنا (قال أبو جعفر) وأما سيف فإنه ذكر فيما كتب به إلي السري يذكر أن شعيبا حدثه عنه عن الربيع أبي سعيد وعن أبي عثمان وأبي حارثة قالوا أقام عمر بإيلياء بعد ما صالح أهلها ودخلها أياما فأمضى عمرو بن العاص إلى مصر وأمره عليها إن فتح الله عليه وبعث في أثره الزبير بن العوام مددا له وبعث أبا عبيدة إلى الرمادة وأمره إن فتح الله عليه أن يرجع إلى عمله (كتب إلى السري) عن شعيب عن سيف قال حدثنا أبو عثمان عن خالد وعبادة قال خرج عمرو بن العاصى إلى مصر بعد ما رجع عمر إلى المدينة حتى انتهى إلى باب البيون واتبعه الزبير فاجتمعا فلقبهم هنالك أبو مريم جاثليق مصر ومعه الاسقف في أهل النيات بعثه المقوقس لمنع بلادهم فلما نزل بهم عمرو قاتلوه فأرسل إليهم لا تعجلونا لنعذر إليكم وترون رأيكم بعد فكفوا أصحابهم وأرسل إليهم عمرو إنني بارز فليبرز إلى أبو مريم وأبو مريام فأجابوه إلى ذلك وأمن بعضهم

[١٩٨]

بعضا فقال لهما عمر وأنتما راهبا هذه البلدة فاسمعا إن الله عزوجل بعث محمدا صلى الله عليه وسلم بالحق وأمره به وأمرنا به محمد صلى الله عليه وسلم وأدى إلينا كل الذي أمر به ثم مضى صلوات الله عليه ورحمته وقد قضى الذي عليه وتركنا على الواضحة وكان مما أمرنا به الاعذار إلى الناس فنحن ندعوكم إلى الاسلام فمن أجابنا إليه فمثلنا ومن لم يجيبنا عرضنا عليه الجزية وبذلنا له المنعة وقد أعلمنا أن مفتتحوكم وأوصانا بكم حفظا لرحمنا فيكم وأن لكم إن أحبتمونا بذلك ذمة إلى ذمة ومما عهد إلينا أميرنا استوصوا بالقبطيين خيرا فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم أوصانا

بالقبطيين خيرا لان لهم رحما وذمة فقالوا قرابة بعيدة لا يصل مثلها إلا الانبياء معروفة شريفة كانت ابنة ملكنا وكانت من أهل منف والملك فيهم فأدبيل عليهم أهل عين شمس فقتلوهم وسلبوا ملكهم واغتربوا فلذلك صارت إلى إبراهيم عليه السلام مرحبا به وأهلا آمنا حتى نرجع إليك فقال عمرو إن مثلي لا يخدم ولكني أؤجلكما ثلاثا لتنظروا ولتناظرا قومكما وإلا ناجرتكم قالا زدنا فرادهم يوما فقالا زدنا فرادهم يوما فرجعا إلى المقوقس فهم فأبى أربطون أن يجيبهما وأمر بمناهدتهم فقال لاهل مصر أما نحن فسنجهد أن ندفع عنكم ولا نرجع إليهم وقد بقيت أربعة أيام فلا تصابون فيها بشئ إلا رجونا أن يكون له أمان فلم يفجأ عمرا والزبير إلا البيات من فرقب وعمرو على عدة فلقوه فقتل ومن معه ثم ركبوا أكساءهم وقصد عمرو والزبير لعين شمس وبها جمعهم وبعث إلى الفرما أبرهة ابن الصباح فنزل عليها وبعث عوف بن مالك إلى الاسكندرية فنزل عليها فقال كل واحد منهما لاهل مدينته إن تنزلوا فلکم الامان فقالوا نعم فراسلوهم وترىصوا بهم أهل عين شمس وسبى المسلمون من بين ذلك وقال عوف بن مالك ما أحسن مدينتكم يا أهل الاسكندرية فقالوا إن الاسكندر قال إنني أبنی مدينة إلى الله فقيرة وعن الناس غنية أو لابنين مدينة إلى الله فقيرة وعن الناس غنية فبقيت بهجتها وقال أبرهة لاهل الفرما ما أخلق مدينتكم يا أهل الفرما قالوا إن الفرما قال إنني أبنی مدينة عن الله غنية وإلى الناس فقيرة فذهبت بهجتها وكان الاسكندر والفرما أخوين

[١٩٩]

(قال أبو جعفر) قال الكلبي كان الاسكندر والفرما أخوين ثم حدث بمثل ذلك فنسبتا إليهما فالفرما ينهدم فيها كل يوم شئ وخلقت مراتها وبقيت جدة الاسكندرية (كتب إلى السري) عن شعيب عن سيف عن أبي حارثة وأبي عثمان قالا لما نزل عمرو على القوم بعين شمس وكان الملك بين القبط والنوب ونزل معه الزبير عليها قال أهل مصر لملكهم ما تريد إلى قوم فلوا كسرى وقصر وعلبوهم على بلادهم صالح القوم واعتقد منهم ولا تعرض لهم ولا تعرضنا لهم وذلك في اليوم الرابع فأبى وناهدوهم فقاتلوهم والتقى الزبير سورها فلما أحسوه فتحوا الباب لعمرو وخرجوا إليه مصالحين فقبل منهم ونزل الزبير عليهم عنوة حتى خرج على عمرو من الباب معهم فاعتقدوا بعد ما أشرفوا على الهلكة فأجروا ما أخذوا عنوة مجرى ما صالح عليه فصاروا ذمة وكان صلحهم: بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما أعطى عمرو بن العاصى أهل مصر من الامان على أنفسهم وملتهم وأموالهم وكنائسهم وصلبهم وبرهم وبحرهم لا يدخل عليهم شئ من ذلك ولا ينتقص ولا يساكنهم النوب وعلى أهل مصر أن يعطوا الجزية إذا اجتمعوا على هذا الصلح وانتهت زيادة نهرهم خمسين ألف ألف وعليهم ما جنى لصوتهم فان أبى أحد منهم أن نجيب ؟ رفع عنهم من الجزاء بقدرهم وذمتنا ممن أبى بريئة وإن نقص نهرهم من غايته إذا انتهى رفع عنهم بقدر ذلك ومن دخل في صلحهم من الروم والنوب فله مثل ما لهم وعليه مثل ما عليهم ومن أبى واختار الذهب فهو آمن حتى يبلغ مأمنه أو يخرج من سلطاننا عليهم ما عليهم أثلاثا في كل ثلث جباية ثلث ما عليهم على ما في هذا الكتاب عهد الله وذمته وذمة رسوله وذمة الخليفة أمير المؤمنين وذمم المؤمنين وعلى النوبة الذين استجابوا أن يعينوا بكذا وكذا رأسا وكذا فرسا على أن لا يغزوا ولا يمنعوا من تجارة صادرة ولا واردة شهد الزبير وعبد الله ومحمد ابناه وكتب وردان وحضر فدخل في ذلك أهل مصر كلهم وقبلوا الصلح واجتمعت الخيول فمصر عمرو الفسطاط ونزله المسلمون وظهر أبو مريم وأبو مريام فكلما عمرا في السبابا التي أصيبت بعد المعركة فقال أولهم عهد وعقد ألم

نخالفكما ويغار علينا من يومكما وطردهما فرجعا وهما يقولان كل شئ أصبتموه إلى أن نرجع اليكم ففي ذمة منكم فقال لهما أتغيرون علينا وهم في ذمة قالا نعم وقسم عمرو ذلك السبي على الناس وتوزعوه ووقع في بلدان العرب وقدم البشير على عمر بعد بالاخماس وبعث الوفود فسألهم عمر فما زالوا يخبرونه حتى مروا بحديث الجاثليق وصاحبه فقال ألا أراهما يبصران وأنتم تجاهلون ولا تبصرون من قاتلكم فلا أمان له ومن لم يقاتلكم فأصابه منكم شئ من أهل القرى فله الامان في الايام الخمسة حتى تنصرم وبعث في الافاق حتى ردد لك السبي الذي سبوا ممن لم يقاتل في الايام الخمسة إلا من قاتل بعد فترادوهم إلا ما كان من ذلك الصرب وحضرت القبط باب عمرو وبلغ عمرا أنهم يقولون ما أرث العرب وأهون عليهم أنفسهم ما رأينا مثلنا دان لهم فخاف أن يستشيرهم ذلك من أمرهم فأمر بجزر فذبحت فطبخت بالماء والملح وأمر أمراء الاجناد أن يحضروا وأعلموا أصحابهم وجلس وأذن لأهل مصر وحي باللحم والمرق فطافوا به على المسلمين فأكلوا أكلا عربيا انتشلوا وحسوا وهم في العباء ولا سلاح فافترق أهل مصر وقد ازدادوا طمعا وجرأة وبعث في أمراء الجنود في الحضور بأصحابهم من الغد وأمرهم أن يجيئوا في ثياب أهل مصر وأحذيتهم وأمرهم أن يأخذوا أصحابهم بذلك ففعلوا وأذن لأهل مصر فأرأوا شيئا غير ما رأوا بالامس وقام عليهم القوام بألوان مصر فأكلوا أكل أهل مصر ونحووا نحوهم فافترقوا وقد ارتابوا وقالوا كدنا وبعث إليهم أن تسلحوا للعرض غدا وغدا علي العرض وأذن لهم فعرضهم عليهم ثم قال إني قد علمت أنكم رأيتم في أنفسكم أنكم في شئ حين رأيتم اقتصاد العرب وهون تزجيتهم فخشيت أن تهلكوا فأحببت أن أريكم حالهم وكيف كانت في أرضهم ثم حالهم في أرضكم ثم حالهم في الحرب فظفروا بكم وذلك عيشهم وقد كلبوا على بلادكم قبل أن ينالوا منها ما رأيتم في اليوم الثاني فأحببت أن يعلموا أن من رأيتم في اليوم الثالث غير تارك عيش اليوم الثاني وراجع إلى عيش اليوم الاول ففترقوا وهم يقولون لقد رمتكم العرب برجلهم وبلغ عمر فقال لجلسائه والله ان حربه للينة مالها سطوة ولا سورة كسورات

الحروب من غيره أن عمرا لعرض ثم أمره عليها وقام بها (كتب إلى السري) عن شعيب عن سيف عن أبي سعيد الربيع بن النعمان عن عمرو بن شعيب قال لما التقى عمرو والمقوقس بعين شمس واقتتلت خيلاهما جعل المسلمون يحولون بعد البعد فدمرهم عمرو فقال رجل من أهل اليمن إنا لم نخلق من حجارة ولا حديد فقال اسكت فانما أنت كلب قال فأت أمير الكلاب قال فلما جعل ذلك يتواصل نادى عمرو أين أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فحضر من شهدها من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال تقدموا فيكم ينصر الله المسلمين فتقدموا وفيهم يومئذ أبو بردة وأبو برة وناهدهم الناس يتبعون الصحابة ففتح الله على المسلمين وظفروا أحسن الظفر وافتتحت مصر في ربيع الاول سنة ست عشرة وقام فيها ملك الاسلام على رجل وجعل يفيض على الامم والملوك فكان أهل مصر يتدفقون على الاجل وأهل مكران على راسل وذاهر وأهل سجستان على الشاه وذويه وأهل خراسان والباب على خاقان وخاقان ومن دونهما من الامم فكفكفهم عمر إبقاء على أهل الاسلام ولو خلى سربهم لبلغوا كل منهل * حدثني علي بن سهل قال حدثنا الوليد بن مسلم قال أخبرني ابن لهيعة عن يزيد بن حبيب أن المسلمين لما فتحوا مصر غزوا نوبة مصر ففقل المسلمون بالجراحات وذهاب الحدق من جودة الرمي فسموا رماة الحدق فلما ولي عبدالله ابن سعد بن أبي سرح مصر ولاه إياها عثمان بن عفان

رضى الله عنه صالحهم على هدية عدة رؤس منهم يؤدونهم إلى المسلمين في كل سنة ويهدى إليهم المسلمون في كل سنة طعاما مسمى وكسوة من نحو ذلك * قال علي قال الوليد قال ابن لهيعة وأمضى ذلك الصلح عثمان ومن بعده من الولاة والامراء وأقره عمر بن عبد العزيز نظرا منه للمسلمين وإبقاء عليهم قال سيف ولما كان ذو القعدة من سنة ست عشرة وضع عمر رضى الله عنه مسالح مصر على السواحل كلها وكان داعية ذلك أن هرقل أغزى مصر والشام في البحر ونهد لاهل حمص بنفسه وذلك لثلاث سنين وستة أشهر من إمارة عمر رضى الله عنه (قال أبو جعفر) وفي هذه السنة أعني سنة عشرين غزا أرض الروم

[٢٠٢]

أبو بحرية الكندي عبدالله بن قيس وهو أول من دخلها فيما قبل وقيل أول من دخلها ميسرة بن مسروق العبسي فسلم وغنم * قال وقال الواقدي وفي هذه السنة عزل قدامة بن مطعون عن البحرين وحده في شرب الخمر وفيها استعمل عمر أبا هريرة على البحرين واليمامة قال وفيها تزوج عمر فاطمة بنت الوليد أم عبدالرحمن بن الحارث بن هشام * قال وفيها توفى بلال بن رباح رضى الله عنه ودفن في مقبرة دمشق (وفيها) عزل عمر سعدا عن الكوفة لشكايتهم إياه وقالوا لا يحسن يلقى (وفيها) قسم عمر خبير بين المسلمين وأجلى اليهود منها وبعث أبا حبيبة إلى فدك فأقام لهم نصف فأعطاهم ومضى إلى وادي القرى فقسمها (وفيها) أجلى يهود نجران إلى الكوفة فيما زعم الواقدي (قال الواقدي) وفي هذه السنة أعني سنة عشرين دون عمر رضى الله عنه الدواوين (قال أبو جعفر) قد ذكرنا قول من خالفه (وفيها) بعث عمر رضى الله عنه علقمة بن مجزز المدلجي إلى الحبشة في البحر وذلك ان الحبشة كانت تطرفت فيما ذكر طرفا من أطراف الاسلام فأصيبوا فجعل عمر على نفسه ألا يحمل في البحر أحدا أبدا * وأما أبو معشر فإنه قال فيما حدثني أحمد بن ثابت عن ذكره عن إسحاق بن عيسى عنه كانت غزوة الأساودة في البحر سنة إحدى وثلاثين (قال الواقدي) وفيها مات أسيد بن الحضير في شعبان (وفيها) ماتت زينب بنت جحش * وحج في هذه السنة عمر رضى الله عنه وكانت عماله في هذه السنة على الامصار عماله عليها في السنة التي قبلها إلا من ذكرت أنه عزله واستبدل به غيره وكذلك فضاته فيها كانوا القضاة الذين كانوا في السنة التي قبلها ثم دخلت سنة إحدى وعشرين (قال أبو جعفر) وفيها كانت وقعة نهاوند في قول بن إسحاق حدثنا بذلك ابن حميد قال حدثنا سلمة عنه وكذلك قال أبو معشر حدثني بذلك أحمد بن ثابت عن ذكره عن إسحاق بن عيسى عنه وكذلك قال الواقدي وأما سيف بن عمر فإنه قال كانت وقعة نهاوند في سنة ثمانية عشر في سنة ست من إمارة عمر كتب

[٢٠٣]

إلي بذلك السري عن شعيب عن سيف ذكر الخبر عن وقعة المسلمين والفرس بنهاوند وكان ابتداء ذلك فيما حدثنا ابن حميد قال حدثنا سلمة عن ابن إسحاق قال كان من حديث نهاوند أن النعمان بن مقرن كان عاملا على كسكر فكتب إلى عمر رضى الله عنه يخبره أن سعد بن أبي وقاص استعمله على جباية الخراج وقد أحببت الجهاد ورغبت فيه فكتب عمر إلى سعد أن النعمان كتب الي يذكرك أنك استعملته على جباية الخراج وأنه قد كره ذلك ورغب في الجهاد فابعث به إلى أهم وجوهك إلى نهاوند قال وقد اجتمعت بنهاوند الاعاجم عليهم ذو الحاجب رجل من الاعاجم فكتب عمر إلى النعمان

بن مقرن: بسم الله الرحمن الرحيم من عبدالله عمر أمير المؤمنين إلى النعمان بن مقرن سلام عليك فإني أحمد اليك الله الذي لا اله الا هو أما بعد فإنه قد بلغني أن جموعا من الاعاجم كثيرة قد جمعوا لكم بمدينة نهاوند فإذا أتاك كتابي هذا فسر بأمر الله وبعون الله وبنصر الله بمن معك من المسلمين ولا توطئهم وعرا فتؤذيهم ولا تمنعهم حقهم فنكفرهم ولا تدخلهم غيضة فإن رجلا من المسلمين أحب الي من مائة ألف دينار والسلام عليك فسار النعمان إليه ومعه وجوه أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم منهم حذيفة بن اليمان وعبد الله بن عمر ابن الخطاب وجرير بن عبدالله البجلي والمغيرة بن شعبة وعمرو بن معديكرب الزبيدي وطلحة بن خويلد الاسدي وقيس بن مكشوح المرادي فلما انتهى النعمان ابن مقرن في جنده إلى نهاوند طرحوا له حسك الحديد فبعث عيونا فساروا لا يعلمون بالحسك فزجر بعضهم فرسه وقد دخلت في يده حسكه فلم يبرح فنزل فنظر في يده فإذا في حافره حسكة فأقبل بها وأخبر النعمان الخبر فقال النعمان للناس ما ترون فقالوا انتقل من منزلك هذا حتى يروا أنك هارب منهم فيخرجوا في طلبك فانتقل النعمان من منزله ذلك وكنست الاعاجم الحسك ثم خرجوا في طلبه وعطف عليهم النعمان فضرب عسكره ثم عبي كتائبه وخطب الناس فقال إن أصبت فعليكم حذيفة بن اليمان وإن أصيب فعليكم جرير بن عبدالله

[٢٠٤]

وإن أصيب جرير بن عبدالله فعليكم قيس بن مكشوح فوجد المغيرة بن شعبة في نفسه إذ لم يستخلفه فاتاه فقال له ما تريد أن تصنع فقال إذا أظهرت قاتلتهم لأنني رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يستحب ذلك فقال المغيرة لو كنت بمنزلتك باكرتهم القتال قال له النعمان ربما باكرت القتال ثم لم يسود الله وجهك وذلك يوم الجمعة فقال النعمان نصلي إن شاء الله ثم تلقى عدونا دبر الصلاة فلما تصافوا قال النعمان للناس إني مكبر ثلاثا فإذا كبرت الاولى فشد رجل شسعه وأصلح من شأنه فإذا كبرت الثانية فشد رجل إزاره وتها لوجه حملته فإذا كبرت الثالثة فاحملوا عليهم فإني حامل وخرجت الاعاجم قد شدوا أنفسهم بالسلاسل لئلا يفرؤا وحمل عليهم المسلمون فقاتلوهم فرمى النعمان بنشابة فقتل رحمه الله فلفه أخوه سويد بن مقرن في ثوبه وكتم قتله حتى فتح الله عليهم ثم دفع الراية إلى حذيفة بن اليمان وقتل الله ذا الحجاب وافتتحت نهاوند فلم يكن للاعاجم بعد ذلك جماعة (قال أبو جعفر) وقد كان فيما ذكر لي بعث عمر بن الخطاب رضي الله عنه السائب بن الاقرع مولى ثقيف وكان رجلا كاتبا حاسبا فقال الحق بهذا الجيش فكن فيهم فإن فتح الله عليهم فاقسم على المسلمين فيأهم وخذ خمس الله وخمس رسوله وإن هذا الجيش أصيب فاذهب في سواد الارض فبطن الارض خير من ظهرها * قال السائب فلما فتح الله على المسلمين نهاوند أصابوا غنائم عظاما فوالله إنى لاقسم بين الناس إذ جاءني عالج من أهلها فقال أتومني على نفسي وأهلي وأهل بيتي على أن أدلك على كنوز النخيجان وهي كنوز آل كسرى تكون لك ولصاحبك لا يشركك فيها أحدا قال قلت نعم قال فابعث معي من أدله عليها فبعثت معه فأتى بسفطين عظيمين ليس فيهما إلا اللؤلؤ والزبرجد والياقوت فلما فرغت من قسمي بين الناس احتملتها معي ثم قدمت على عمر بن الخطاب فقال ما وراءك يا سائب فقلت خيرا يا أمير المؤمنين فتح الله عليك بأعظم الفتح واستشهد النعمان بن مقرن رحمه الله فقال عمر إن الله وأنا إليه راجعون قال ثم بكى فنشج حتى إنني لأنظر إلى فروع منكبيه من فوق كنده قال فلما رأيت ما لقي قلت والله يا أمير المؤمنين ما أصيب بعده من رجل يعرف وجهه فقال

المستضعفون من المسلمين لكن الذي أكرمهم بالشهادة يعرف وجوههم وأنسابهم وما يصنعون بمعرفة عمر بن أم عمر ثم قام ليدخل فقلت أن معي مالا عظيما قد جئت به ثم أخبرته خبر السفطين قال أدخلهما بين المال حتى ننظر في شأنهما والحق بجنك قال فأدخلتهما بيت المال وخرجت سريعا إلى الكوفة قال ويات تلك الليلة التي خرجت فيها فلما أصبح بعث في أثرى رسولا فوالله ما أدركني حتى دخلت الكوفة فأنخت بعيري وأناخ بعيره على عرقوبي بعيري فقال الحق بأمر المؤمنين فقد بعثني في طلبك فلم أقدر عليك إلا الآن قال قلت وملك ماذا ولماذا قال لا أدري والله قال فركبت معه حتى قدمت عليه فلما رأني قال مالي ولابن أم السائب بل ما لابن أم السائب ومالي قال قلت وما ذلك يا أمير المؤمنين قال ويحك والله ما هو إلا ان نمت في الليلة التي خرجت فيها فباتت ملائكة ربي تسحبني إلى ذينك السفطين يشتعلان نارا يقولون لنكونك بهما فأقول أني سأقسمهما بين المسلمين فخذهما عني لا أبالك والحق بهما فبعهما في أعطية المسلمين وأرزاقهم قال فخرجت بهما حتى وضعتهما في مسجد الكوفة وغشيتي التجار فابتاعهما مني عمرو بن حريث المخزومي بألفي ألف ثم خرج بهما إلى أرض الاعاجم فباعهما بأربعة آلاف ما زال أكثر أهل الكوفة مالا بعد * حدثنا الربيع بن سليمان قال حدثنا أسد بن موسى قال حدثنا المبارك بن فضالة عن زياد بن جبير قال حدثني أبي أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال للهرمزان حين آمنه لا بأس انصح لي قال نعم قال ان فارس اليوم رأس وجناحان قال وأين الرأس قال بنهاوند مع بندار فإن معه أساورة كسرى وأهل اصبهان قال وأين الجناحان فذكر مكانا نسيته قال فاقطع الجناحين يهن الرأس فقال عمر كذبت يا عدو الله بل أعمد إلى الرأس فأقطعه فإذا قطعه الله لم يعص عليه الجناحان قال فأراد أن يسير إليه بنفسه فقالوا نذكرك الله يا أمير المؤمنين أن تسير بنفسك إلى حلية العجم فإن أصبت لم يكن للمسلمين نظام ولكن ابعث الجنود فبعث أهل المدينة فيهم عبدالله بن عمر بن الخطاب وفيهم المهاجرون والانصار وكتب إلى أبي موسى الأشعري أن سر بأهل البصرة * وكتب إلى حذيفة بن اليمان أن سر بأهل الكوفة

حتى تجتمعوا جميعا بنهاوند وكتب إذا التقيتم فأمر بكم النعمان بن مقرن المزني فلما اجتمعوا بنهاوند أرسل بندار العلي إليهم أن أرسلوا إلينا رجلا نكلمه فأرسلوا إليه المغيرة بن شعبة قال أبى كاني أنظر إليه رجلا طويل الشعر أعور فأرسلوه إليه فلما جاء سألتناه فقال وحدثه قد استشار أصحابه فقال بأي شئ نأذن لهذا العربي بشارتنا وبهجتنا وملكتنا أو نتكشف له فيما قبلنا حتى يزهق فقالوا لا بل بأفضل ما يكون من الشارة والعدة فتهيؤا بها فلما أتيناهم كادت الحراب والنيازك يلتمع منها البصر فإذا هم على رأسه مثل الشياطين وإذا هو على سرير من ذهب على رأسه التاج قال فمضيت كما أنا ونكسيت قال فدفعت ونهنت فقلت الرسل لا يفعل بهم هذا فقالوا إنما أنت كلب فقلت معاذ الله لانا أشرف في قومي من هذا في قومه فانتهروني فقالوا اجلس فأجلسوني قال وترجم له قوله إنكم معشر العرب أبعد الناس من كل خير وأطول الناس جوعا وأشقى الناس شقاء وأقذر الناس قدرا وأبعده دارا وما معني أن أمر هؤلاء الأساورة حولي أن ينتظموكم بالنشاب إلا تنجسا ليجفكم فانكم أرجاس فان تذهبوا نخل عنكم وإن تابوا نركم مضارعكم قال فحمدت الله وأثنت عليه فقلت والله ما أخطأت من صفتنا شيئا ولا من نعتنا إن كنا لأبعد الناس دارا وأشد الناس جوعا وأشقى الناس شقاء وأبعد الناس من كل خير حتى بعث الله عزوجل إلينا رسوله صلى الله عليه

وسلم فوعدنا النصر في الدنيا والجنة في الآخرة فوالله ما زلنا نتعرف من ربنا منذ جاءنا رسوله الفتح والنصر حتى أتيناكم وأنا والله لا نرجع إلى ذلك الشقاء أبدا حتى نغلبكم على ما في أيديكم أو نقتل بأرضكم فقال أما والله إن الأعور لقد صدقكم الذي في نفسه قال فقمتم وقد أرعبت العليج جهدي قال فارسل إلينا العليج إما أن تعبروا إلينا بنهاوند وإما أن نعبر إليكم فقال النعمان اعبروا قال أبي فلم أر والله مثل ذلك اليوم انهم يجيئون كأنهم جبال حديد قد تواتقوا أن لا يفروا من العرب وقد قرن بعضهم بعضا سبعة في قران وألقوا حسك الحديد خلفهم وقالوا من فر منا عقره حسك الحديد فقال المغيرة حين رأى كثرتهم لم أر كاليوم فشلا إن عدونا يتركون يتأهبون لا يعجلون أما والله لو أن الأمر لي

[٢٠٧]

لقد أعجلتهم وكان النعمان بن مقرن رجلا لنا فقال له فالله عزوجل يشهدك أمثالها فلا يحزنك ولا يعيبك موفقك إنه والله ما منعتني من أن أنجزهم إلا شئ شهدته من رسول الله صلى الله عليه وسلم أن رسول الله كان إذا غزا فلم يقاتل أول النهار لم يعجل حتى تحضر الصلاة وتهب الأرواح ويطيب القتال فما منعتني إلا ذلك اللهم إني أسألك أن تفر عيني اليوم بفتح يكون فيه عز الإسلام وذل يذل به الكفار ثم اقبضني إليك بعد ذلك على الشهادة أمنوا يرحمكم الله فأمننا وبكينا ثم قال إني هاز لوائني فتيسروا للسلاح ثم هاز الثانية فكونوا متاهبين لقتال عدوكم فإذا هزرت الثالثة فليحمل كل قوم من يليهم من عدوهم على بركة الله قال وجاءوا بحسك الحديد قال فجعل يلبث حتى إذا حضرت الصلاة وهبت الأرواح كبر وكبرنا ثم قال أرجو أن يستجيب الله لي ويفتح علي ثم هز اللواء فتيسرنا للقتال ثم هزه الثانية فكنا بإزاء العدو ثم هزه الثالثة قال فكبر وكبر المسلمون وقالوا فتجا يعز الله به الإسلام وأهله ثم قال النعمان إن أصبت فعلى الناس حذيفة بن اليمان وإن أصيب حذيفة ففلان وإن أصيب فلان ففلان حتى عد سبعة آخرهم المغيرة ثم هز اللواء الثالثة فحمل كل إنسان على من يليه من العدو قال فوالله ما علمت من المسلمين أحدا يومئذ يريد أن يرجع إلى أهله حتى يقتل أو يطفر فحملنا حملة واحدة وثبتوا لنا فما كنا نسمع إلا وقع الحديد على الحديد حتى أصيب المسلمون بمصابب عظيمة فلما رأوا صبرنا وأنا لا نبرح العرصة انهزموا فجعل يقع الواحد فيقع عليه سبعة بعضهم على بعض في قياد فيقتلون جميعا وجعل يعقرهم حسك الحديد الذي وضعوا خلفهم فقال النعمان رضى الله عنه قدموا اللواء فجعلنا نقدم اللواء ونقتلهم ونهزمهم فلما رأى أن الله قد استجاب له ورأى الفتح جاءته نشابة فأصابته خاصرته فقتلته قال فجاء أخوه معقل فسجى عليه ثوبا وأخذ اللواء فقاتل ثم قال تقدموا نقتلهم ونهزمهم فلما اجتمع الناس قالوا أين أميرنا قال معقل هذا أميركم قد أقر الله عينه بالفتح وختم له بالشهادة قال فبايع الناس حذيفة وعمر بالمدينة يستنصر له ويدعو له مثل الحبلى * قال وكتب إلى عمر بالفتح مع رجل

[٢٠٨]

من المسلمين فلما أتاه قال له أبشر يا أمير المؤمنين بفتح أعز الله به الإسلام وأهله وأذل به الكفر وأهله قال فحمد الله عزوجل ثم قال النعمان بعثك قال احتسب النعمان يا أمير المؤمنين قال فبكى عمر واسترجع قال ومن ويحك قال فلان وفلان حتى عد له ناسا كثيرا ثم قال وآخرين يا أمير المؤمنين لا تعرفهم فقال عمر وهو يبكي لا يضرهم ألا يعرفهم عمر ولكن الله يعرفهم (وأما سيف) فإنه قال فيما كتب إلي السري يذكر أن شعيبا حدثه عنه وعن محمد والمهلب

وطلحة وعمر وسعيد أن الذي هاج أمر نهاوند أن أهل البصرة لما أشجوا الهرمزان وأعجلوا أهل فارس عن مصاب جند العلاء ووطئوا أهل فارس كاتبوا ملكهم وهو يومئذ بمرور فحركوه فكانت الملك أهل الجبال من بين الباب والسند وخراسان وحلوان فتحركوا وتكاتبوا وركب بعضهم إلى بعض فأجمعوا أن يوافوا نهاوند ويبرموا فيها أمورهم فتوافى إلى نهاوند أوائلهم وبلغ سعدا الخبر عن قباض صاحب حلوان فكتب إلى عمر بذلك فنزا بسعد أقوام وألبوا عليه فيما بين تراسل القوم واجتماعهم إلى نهاوند ولم يشغلهم ما دهم المسلمين من ذلك وكان ممن نهض الجراح بن سنان الاسدي في نفر فقال عمران الدليل على ما عندكم من الشر نهوضكم في هذا الامر وقد استعد لكم من استعد وأيم الله لا يمنعني ذلك من النظر فيما لديكم وإن نزلوا بكم فبعث عمر محمد بن مسلمة والناس في الاستعداد للاعاجم والاعاجم في الاجتماع وكان محمد بن مسلمة هو صاحب العمال الذي يقتص آثار من شكى زمان عمر فقدم محمد على سعد ليطوف به في أهل الكوفة والبعوث تضرب على أهل الامصار إلى نهاوند فطوف به على مساجد أهل الكوفة لا يتعرض للمسألة عنه في السر وليست المسألة في السر من شأنهم إذ ذاك وكان لا يقف على مسجد فيسألهم عن سعد إلا قالوا لا نعلم إلا خيرا ولا نشتهي به بدلا ولا نقول ولا نعين عليه إلا من مال الجراح بن سنان وأصحابه فإنهم كانوا يسكتون لا يقولون سوءا ولا يسوغ لهم ويتعمدون ترك الثناء حتى انتهوا إلى بني عيس فقال محمد أشد بالله رجلا يعلم حقا إلا قال قال أسامة بن قتادة اللهم إن نشدنا فإنه لا يقسم بالسوية ولا يعدل

[٢٠٩]

في الرعية ولا يغزو في السرية فقال سعد اللهم إن كان قالها كاذبا ورتاء وسمعة فأعم بصره وأكثر عياله وعرضه لمضلات الفتن فعمى واجتمع عنده عشر بنات وكان يسمع بخبر المرأة فيأتيها حتى يجسها فإذا عثر عليه قال دعوة سعد الرجل المبارك ثم أقبل على الدعاء على نفر فقال اللهم إن كانوا خرجوا أشرا وبطرا وكذبا فاجهد بلاءهم فجهد بلاؤهم فقطع الجراح بالسيوف يوم ثاور الحسن بن علي ليغتاله بساباط وشدخ قبيصة بالحجارة وقتل أريد بالوحى وبنعال السيوف وقال سعد إنني لأول رجل أهرق دما من المشركين ولقد جمع لي رسول الله صلى الله عليه وسلم أبويه وما جمعهما لأحد قبلي ولقد رأيتني خمس الاسلام وبنو أسد تزعم أنني لا أحسن أصلي وأن الصيد يلهيني وخرج محمد به وبهم إلى عمر حتى قدموا عليه فأخبره الخبر فقال يا سعد ويحك كيف تصلي فقال أطيل الاوليين وأحذف الاخرين فقال هكذا الظن بك ثم قال لولا الاحتياط لكان سبيلهم بينا ثم قال من خليفتك يا سعد على الكوفة قال عبدالله بن عبدالله بن عتيان فأقره واستعمله فكان سبب نهاوند وبدء مشورتها وبعوثها في زمان سعد وأما الوقعة ففي زمان عبدالله * قالوا وكان من حديثهم أنهم نفروا لكتاب يزيد جرد الملك فتوافوا إلى نهاوند فتوافى إليها من بين خراسان إلى حلوان ومن بين الباب إلى حلوان ومن سجستان إلى حلوان فاجتمعت حلبة فارس والفهلوج أهل الجبال من بين الباب إلى حلوان ثلاثون ألف مقاتل ومن بين خراسان إلى حلوان ستون ألف مقاتل ومن بين سجستان إلى فارس وحلوان ستون ألف مقاتل واجتمعوا على الفيرزان وإليه كانوا توافوا وشاركهم موسى عن حمزة بن المغيرة بن شعبة عن أبي طعمة الثقفي وكان قد أدرك ذلك قال ثم إنهم قالوا إن محمدا الذي جاء العرب بالدين لم يغرر غرضنا ثم ملكهم أبو بكر من بعده فلم يغرر غرض فارس إلا في غارة تعرض لهم فيها وإلا فيما يلي بلادهم من السواد ثم ملك عمر من بعده فطال ملكه وعرض حتى تناولكم وانتقصكم السواد والاهواز وأوطأها ثم لم يرض حتى أتى

أهل فارس والمملكة في عقر دارهم وهو آتيكم إن لم تأتوه فقد
أخرب بيت مملكتكم واقتحم بلاد ملككم

[٢١٠]

وليس بمنته حتى تخرجوا من في بلادكم من جنوده وتقطعوا هذين
المصريين ثم تشغلوه في بلاده وفراره وتعاهدوا وتعاقدوا وكتبوا بينهم
على ذلك كتابا وتمالؤا عليه وبلغ الخبر سعدا وقد استخلف عبدالله
بن عبدالله بن عتيان ولما شخص لقي عمر بالخبر مشافهة وقد كان
كتب إلى عمر بذلك وقال إن أهل الكوفة يستأذنونك في الانسياح في
أن يبادروهم الشدة وقد كان عمر منعهم من الانسياح في الجبل
وكتب إليه أيضا عبدالله وغيره بأنه قد تجمع منهم خمسون ومائة ألف
مقاتل فإن جاؤنا قبل أن نبادرهم الشدة ازدادوا جرأة وقوة وإن نحن
عاجلناهم كان لنا ذلكم وكان الرسول بذلك قريب ابن ظفر العبدي ثم
خرج سعد بعده فوافى مشورة عمر فلما قدم الرسول بالكتاب إلى
عمر بالخبر فرآه قال ما اسمك قال قريب قال ابن من قال ابن ظفر
فتفأل إلى ذلك وقال ظفر قريب إن شاء الله ولا قوة إلا بالله ونودي
في الناس الصلاة جامعة فاجتمع الناس ووافاه سعد فتفأل إلى سعد
بن مالك وقام على المنبر خطيبا فأخبر الناس الخبر واستشارهم
وقال هذا يوم له ما بعده من الأيام ألا وإني قد هممت بأمر وإني
عارضه عليكم فاسمعوه ثم أخبروني وأوجزوا ولا تنازعوا فتفشلوا
وتذهب ريحكم ولا تكثروا ولا تطيلوا فتفشغ بكم الأمور ويلتوي عليكم
الرأي أفمن الرأي أن أسير فيمن قبلي ومن قدرت عليه حتى أنزل
منزلا وإسطا بين هذين المصريين فاستنفرهم ثم أكون لهم رداء حتى
يفتح الله عليهم ويقضى ما أحب فإن فتح الله عليهم أن أضربهم
عليهم في بلادهم وليتنازعوا ملكهم فقام عثمان بن عفان وطلحة
بن عبدالله والزبير بن العوام وعبد الرحمن بن عوف في رجال من أهل
الرأي من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فتكلموا كلاما
فقالوا لا نرى ذلك ولكن لا يغبين عنهم رأيك وأثرك وقالوا بإزائهم وجوه
العرب وفرسانهم وأعلامهم ومن قد فض جموعهم وقتل ملوكهم
وباشر من حروبهم ما هو أعظم من هذه وإنما أستاذنوك ولم
يستصرخوك فأذن لهم واندب إليهم وأدع لهم وكان الذي ينتقد له
الرأي إذا عرض عليه العباس رضي الله عنه (كتب إلي السري) عن
شعيب عن سيف عن حمزة عن أبي حمزة عن أبي طعمة قال فقام
علي بن أبي طالب عليه السلام فقال أصاب القوم يا أمير المؤمنين
الرأي

[٢١١]

وفهموا ما كتب به إليك وإن هذا الأمر لم يكن نصره ولا خذلانه لكثرة
ولا قلة وإنما هو دينه الذي أظهر وجنده الذي أعز وأيده بالملائكة
حتى بلغ ما بلغ فنحن على موعود من الله والله منجز وعده وناصر
جنده ومكانك منهم مكان النظام من الخرز يجمعه ويمسكه فإن انحل
تفرق ما فيه وذهب ثم لم يجتمع بحذافيره أبدا والعرب اليوم وإن كانوا
قليلًا فهم كثير عزيز بالاسلام فأقم واكتب إلي أهل الكوفة فهم
أعلام العرب ورؤساؤهم ومن لم يحفل بمن هو أجمع وأحد وأجد من
هؤلاء فليأتهم الثلثان وليقم الثلث واكتب إلى أهل البصرة أن
يمدوهم ببعض من عندهم فسر عمر بحسن رأيهم وأعجبه ذلك
منهم وقام سعد فقال يا أمير المؤمنين خفض عليك فإنهم إنما جمعوا
لنقمة (كتب إلي السري) عن شعيب عن سيف عن أبي بكر
الهدلي قال لما أخبرهم عمر الخبر واستشارهم وقال أوجزوا في
القول ولا تطيلوا فتفشغ بكم الأمور واعلموا أن هذا يوم له ما بعده
من الأيام تكلموا فقام طلحة ابن عبيد الله وكان من خطباء أصحاب

رسول الله صلى الله عليه وسلم فتشهد ثم قال أما بعد يا أمير المؤمنين فقد أحكمتك الأمور وعجمتك البلايا واحتكتك التجارب وأنت وشأنك وأنت ورأيك لا ننبو في يدك ولا نكل عليك إليك هذا الأمر فمرنا نطع وادعنا نجب وإحمانا نركب ووفدنا نغد وقدنا نغد فإنك ولي هذا الأمر وقد بلوت وحربت واختبرت فلم ينكشف شئ من عواقب قضاء الله لك إلا عن خيار ثم جلس فعاد عمر فقال إن هذا يوم له ما بعده من الأيام فتكلموا فقام عثمان ابن عفان فتشهد وقال أرى يا أمير المؤمنين أن تكتب إلى أهل الشام فيسيروا من شامهم وتكتب إلى أهل اليمن فيسيروا من يمنهم ثم تسير أنت بأهل هذين الحرمين إلى المصيرين الكوفة والبصرة فتلقى جمع المشركين بجمع المسلمين فإنك إذا سرت بمن معك وعندك قل في نفسك ما قد تكاثر من عدد القوم وكنت أعز عزا وأكثر يا أمير المؤمنين إنك لا تستبقي من نفسك بعد العرب باقية ولا تمتنع من الدنيا بعزير ولا تلوذ منها بحريز إن هذا اليوم له ما بعده من الأيام فاشهده برأيك وأعوانك ولا تغب عنه ثم جلس فعاد عمر فقال إن هذا يوم له ما بعده من الأيام فتكلموا

[٢١٢]

فقام علي بن أبي طالب فقال أما بعد يا أمير المؤمنين فإنك إن أشخصت أهل الشام من شامهم سارت الروم إلى ذراريهم وإن أشخصت أهل اليمن من يمنهم سارت الحبشة إلى ذراريهم وإنك إن شخصت من هذه الأرض انتقضت عليك الأرض من أطرافها وأقطارها حتى يكون ما تدع وراءك أهم إليك مما بين يديك من العورات والعيالات أقرر هؤلاء في أمصارهم واكتب إلى أهل البصرة فليتفرقوا فيها ثلاث فرق فلتقم فرقة لهم في حرمهم وذراريهم ولتقم فرقة في أهل عهدهم لئلا ينتقضوا عليهم ولتسر فرقة إلى إخوانهم بالكوفة مددا لهم أن الأعاجم إن ينظروا إليك غدا قالوا هذا أمير العرب وأصل العرب فكان ذلك أشد لكلهم وألبتهم على نفسك وأما ما ذكرت من مسير القوم فإن الله هو أكره لمسيرهم منك وهو أقدر على تغيير ما يكره وأما ما ذكرت من عددهم فإننا لم نكن نقاتل فيما مضى بالكثرة ولكننا كنا نقاتل بالنصر فقال عمر أجل والله لئن شخصت من البلدة لتنتقض على الأرض من أطرافها وأكنافها ولئن نظرت إلى الأعاجم لا يفارقن العرصة وليمدنهم من لم يمدهم وليقولن هذا أصل العرب فإذا اقتطعتموه اقتطعتم أصل العرب فأشيروا على برجل أوله ذلك الثغر غدا قالوا أنت أفضل رأيا وأحسن مقدرة قال أشيروا علي به واجعلوه عراقيا قالوا يا أمير المؤمنين أنت أعلم بأهل العراق وحنك قد وفدوا عليك ورأيهم وكلمتهم فقال أما والله لأولين أمرهم رجلا ليكون لأول الاسنة إذا لقيها غدا فقبل من يا أمير المؤمنين فقال النعمان بن مقرن المزني فقالوا هو لها والنعمان يومئذ بالبصرة معه قواد من قواد أهل الكوفة أمدتهم بهم عمر عند انتقاض الهرمزان فافتتحوا رامهرمز وإيذج وأعانوهم على تستر وجندي سابور والسوس فكتب إليه عمر مع زر بن كليب والمقترب الأسود بن ربيعة بالخبر وإني قد وليتك حربهم فسر من وجهك ذلك حتى تأتي ماه فإني قد كتبت إلى أهل الكوفة أن يوافوك بها فإذا اجتمع لك جنودك فسر إلى الفيزان ومن تجمع إليه من الأعاجم من أهل فارس وغيرهم واستنصروا الله وأكثروا من قول لا حول ولا قوة إلا بالله وروى عن أبي وائل

[٢١٣]

في سبب توجيه عمر النعمان بن مقرن إلى نهاوند ما حدثني به محمد بن عبيد الله بن صفوان الثقفي قال حدثنا أمية بن خالد قال حدثنا أبو عوانة عن حصين بن عبد الرحمن قال قال أبو وائل كان

النعمان بن مقرن على كسكر فكتب إلى عمر مثلي ومثل كسكر كمثل رجل شاب إلى جنبه مومسة تلون له وتعطر فأنشدك الله لما عزلتني عن كسكر وبعثتني إلى جيش من جيوش المسلمين قال فكتب إليه عمر أن أتت الناس بنهاوند فأنت عليهم قال فالتقوا فكان أول قتيل وأخذ الراية أخوه سويد بن مقرن ففتح الله على المسلمين ولم يكن لهم يعني للفرس جماعة بعد يومئذ فكان أهل كل مصر يغزون عدوهم في بلادهم (رجع الحديث إلى حديث سيف) وكتب يعني عمر إلى عبدالله بن عبدالله مع ربعي بن عامر أن استنفر من أهل الكوفة مع النعمان كذا وكذا فإني قد كتبت إليه بالتوجه من الاهواز إلى ماة فليوافوه بها وليسر بها إلى نهاوند وقد أمرت عليهم حذيفة بن اليمان حتى ينتهي إلى النعمان بن مقرن وقد كتبت إلى النعمان إن حدث بك حدث فعلى الناس حذيفة بن اليمان فإن حدث بحذيفة حدث فعلى الناس نعيم بن مقرن ورد قريب بن ظفر ورد معه السائب بن الأقرع أمينا وقال إن فتح الله عليكم فاقسم ما أفاء الله عليهم بينهم ولا تخدعني ولا ترفع إلي باطلا وإن نكب القوم فلا تراني ولا أراك فقدموا إلى الكوفة بكتاب عمر بالاستحثاث وكان أسرع أهل الكوفة إلى ذلك الروادف ليلوا في الدين وليدركوا حظا وخرج حذيفة بن اليمان بالناس ومعه نعيم حتى قدموا على النعمان بالطزر وجعلوا بمرج القلعة خيلا عليها النسيير وقد كتب عمر إلى سلمى بن القين وحرملة بن مريطة وزر بن كليب والمقترب الأسود بن ربيعة وقواد فارس الذين كانوا بين فارس والاهواز أن اشغلوا فارس عن إخوانكم وحوطوا بذلك أمتكم وأرضكم وأقيموا على حدود ما بين فارس والاهواز حتى يأتيكم أمري وبعث مجاشع بن مسعود السلمي إلى الاهواز وقال له انصل منها علي ماة فخرج حتى إذا كان بغضى شجر أمره النعمان أن يقيم مكانه فأقام بين غضى شجر ومرج القلعة ونزل سلمى وحرملة وزر والمقترب فكانوا في تخوم اصبهان وفارس فقطعوا بذلك عن

[٢١٤]

أهل نهاوند أمداد فارس ولما قدم أهل الكوفة على النعمان بالطزر جاءه كتاب عمر مع قريب أن معك حد العرب ورجالهم في الجاهلية فأدخلهم دون من هو دونهم في العلم بالحرب واستعن بهم واشرب برأيهم وسل طليحة وعمرا وعمرا ولا تولهم شيئا فبعث من الطزر طليحة وعمرا وعمرا طليحة لياتوه بالخبر وتقدم إليهم أن لا يغلوا فخرج طليحة بن خويلد وعمرو بن أبي سلمى العنزي وعمرو بن معديكرب الزبيدي فلما ساروا يوما إلى الليل رجع عمرو بن أبي سلمى فقالوا ما رجعت قال كنت في أرض العجم وقتلت أرض جاهلها وقتل أرضا عالمها ومضى طليحة وعمرو حتى إذا كان من آخر الليل رجع عمرو فقالوا ما رجعت قال سرنا يوما وليلة لم نر شيئا وخفت أن يؤخذ علينا الطريق ونفذ طليحة ولم يحفل بهما فقال الناس ارتد الثانية ومضى طليحة حتى انتهى إلى نهاوند وبين الطزر ونهاوند بضعة وعشرون فرسخا فعلم علم القوم واطلع على الاخبار ثم رجع حتى إذا انتهى إلى الجمهور وكبر الناس فقال ما شأن الناس فأخبروه بالذي خافوا عليه فقال والله لو لم يكن دين إلا العربية ما كنت لأجزر العجم الطماطم هذه العرب العاربة فأتى النعمان فدخل عليه فأخبروه الخبر وأعلمه أنه ليس بينه وبين نهاوند شئ يكرهه ولا أحد فنادى عند ذلك النعمان بالرحيل فأمرهم بالتعبية وبعث إلى مجاشع بن مسعود أن يسوق الناس وسار النعمان على تعبيته وعلى مقدمته نعيم بن مقرن وعلى مجنبيه حذيفة بن اليمان وسويد بن مقرن وعلى المجردة الفقعاق بن عمرو وعلى الساقة مجاشع وقد توافي إليه أمداد المدينة فهم المغيرة وعبد الله فانتهوا إلى الاسبيذهان والقوم وقوف دون واى خرد على تعبيتهم وأميرهم الفيزان وعلى مجنبيه الزردق وبهمن جاذويه الذي جعل مكان ذي الحجاب وقد توافي إليهم بنهاوند كل من غاب عن

القادسية والايام من أهل الثغور وأمرائها وأعلام من أعلامهم ليسوا بدون من شهد الايام والقوادس وعلى خيولهم أنوشق فلما رأهم النعمان كبر وكبر الناس معه فتزلزت الاعاجم فأمر النعمان وهو واقف بحط الاثقال ويضرب الفسطاط فضرب وهو واقف فابتدره أشراف أهل الكوفة فبنوا له فسطاطا سابقوا أكفاءهم

[٢١٥]

فسبقوهم وهم أربع عشرة منهم حذيفة بن اليمان وعقبة بن عمرو والمغيرة بن شعبة وبشير بن الخصاصة وحنظلة الكاتب بن الربيع وابن الهوبر وربيعي بن عامر وعامر بن مطر وجريز بن عبدالله الحميري والافرع بن عبدالله الحميري وجريز ابن عبدالله البجلي والاشعث بن قيس الكندي وسعيد بن قيس الهمداني ووائل ابن حجر فلم ير بناء فسطاط بالعراق كهؤلاء وأنشبت النعمان بعد ما حط الاثقال القتال فاقتتلوا يوم الاربعاء ويوم الخميس والحرب بينهم في ذاك سجال في سبع سنين من امارة عمر في سنة تسعة عشر وأنهم انجسروا في خنادقهم يوم الجمعة وحصرهم المسلمون فأقاموا عليهم ما شاء الله والاعاجم بالخيار لا يخرجون إلا إذا أرادوا الخروج فاشتد ذلك على المسلمين وخافوا أن يطول أمرهم حتى إذا كان ذات يوم في جمعة من الجمع تجمع أهل الرأي من المسلمين فتكلموا وقالوا نراهم علينا بالخيار وأتوا النعمان في ذلك فأخبروه فوافقوه وهو يروي في الذي روي فيه فقال على رسلكم لا تبرحوا وبعث إلى من بقي من أهل النجدات والرأي في الحروب فتوافقوا إليه فتكلم النعمان فقال قد ترون المشركين واعتصامهم بالحصون من الخنادق والمدائن وإنهم لا يخرجون إلا إذا شاءوا ولا يقدر المسلمون على إنقاضهم وانبعاثهم قبل مشيئتهم وقد ترون الذي فيه المسلمون من التضايق بالذي هم فيه وعليه من الخيار عليهم في الخروج فما الرأي الذي به نعمشهم ونستخرجهم إلى المنابذة وترك التطويل فتكلم عمرو بن ثبي وكان أكبر الناس يومئذ سنا وكانوا إنما يتكلمون على الاسنان فقال التحصن عليهم أشد من المطاولة عليكم فدعهم ولا تخرجهم وطاولهم وقاتل من أتاك منهم فردوا عليه جميعا رأيه وقالوا إنا على يقين من إنجاز ربنا موعدة لنا وتكلم عمرو بن معد يكرب فقال ناهدكم وكأثرهم ولا تخفهم فردوا عليه جميعا رأيه وقالوا إنما تناطح بنا الجدران والجدران لهم أعوان علينا وتكلم طليحة فقال قد قالوا ولم يصيبا ما أرادوا وأما أنا فأرى أن نبعث خيلا مؤدبة فيحذقوا بهم ثم يرموهم لينشبوا القتال ويحمشوهم فإذا استحمشوا واختلطوا بهم وأرادوا الخروج أرزوا إلينا استطرادا فإنا لم نستطرد لهم في طول

[٢١٦]

ما قاتلناهم وإنا إذا فعلنا ذلك ورأوا ذلك منا طمعوا في هزيمتنا ولم يشكوا فيها فخرجوا فجادونا وجاددناهم حتى يقضى الله فيهم وفيما ما أحب فأمر النعمان القعقاع ابن عمرو وكان على المجردة ففعل وأنشبت القتال بعد احتجاز من العجم فأنقضهم فلما خرجوا نكص ثم نكص ثم نكص واغتنمها الاعاجم ففعلوا كما ظن طليحة وقالوا هي هي فخرجوا فلم يبق أحد إلا من يقوم لهم على الابواب وجعلوا يركبونهم حتى أرز القعقاع إلى الناس وانقطع القوم عن حصنهم بعض الانقطاع والنعمان ابن مقرن والمسلمون على تعبئتهم في يوم جمعة في صدر النهار وقد عهد النعمان إلى الناس عهده وأمرهم أن يلزموا الارض ولا يقاتلوهم حتى يأذن لهم ففعلوا واستنبروا بالحجف من الرمي وأقبل المشركون عليهم يرمونهم حتى أفضسوا فيهم الجراحات وشكا بعض الناس ذلك إلى بعض ثم قالوا للنعمان ألا ترى ما نحن فيه ألا ترى إلى ما لقي الناس فما تنتظر بهم ائذن للناس

في قتالهم فقال لهم النعمان رويدا رويدا قالوا له ذلك مرارا فأجابهم بمثل ذلك مرارا رويدا رويدا فقال المغيرة لو أن هذا الامر إلى علمت ما أصنع فقال رويدا ترى أمرك وقد كنت تلى الامر فتحسن فلا يخذلنا الله ولا إياك ونحن نرجو في المكث مثل الذي ترحو في الحث وجعل النعمان ينتظر بالقتال إكمال ساعات كانت أحب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم في القتال أن يلقي فيها العدو وذلك عند الزوال وتغيؤ الأفياء ومهب الرياح فلما كان قريبا من تلك الساعة تحشش النعمان وسار في الناس على بردون أحوى قريب من الارض فجعل يقف على كل راية ويحمد الله ويثنى عليه ويقول قد علمتم ما أعزكم الله به من هذا الدين وما وعدكم من الظهور وقد أنجز لكم هودى ما وعدكم وصدوره وإنما بقيت أعجازه وأكارعه والله منجز وعده ومتبع آخر ذلك أوله واذكروا ما مضى إذ كنتم أذلة وما استقبلتم من هذا الامر وأنتم أعزة فأنتم اليوم عباد الله حقا وأولياؤه وقد علمتم انقطاعكم من إخوانكم من أهل الكوفة والذي لهم في ظفركم وعزكم والذي عليهم في هزيمتكم وذلكم وقد ترون من أنتم بإزائه من عدوكم وما أخطرتم وما أخطروا لكم فأما ما أخطروا لكم فهذه الرثة وما ترون من هذا السواد وأما

[٢١٧]

ما أخطرتم لهم فدينكم وبيضتكم ولا سواء ما أخطرتم وما أخطروا فلا يكونون على دنياهم أحمى منكم على دينكم وأتقى الله عبد صدق الله وأبلى نفسه فأحسن البلاء فإنكم بين خيرين منتظرين إحدى الحسنين من بين شهيد حي مرزوق أو فتح قريب وظفر يسير فكفى كل رجل ما يليه ولم يكل قرنه إلى أخيه فيجتمع عليه قرنه وقرن نفسه وذلك من الملامة وقد يقاتل الكلب عن صاحبه فكل رجل منكم مسلط على ما يليه فإذا قضيت أمري فاستعدوا إني مكبر ثلاثا فإذا كبرت التكبير الأولى فليتها من لم يكن تهايا فإذا كبرت الثانية فليشد عليه سلاحه وليتأهب للنهوض فإذا كبرت الثالثة فإني حامل إن شاء الله فأحملوا معا اللهم أعز دينك وانصر عبادك واجعل النعمان أول شهيد اليوم على إعزاز دينك ونصر عبادك فلما فرغ النعمان من التقدم إلى أهل المواقف وقضى إليهم أمره رجع إلى موقفه فكبر الأولى والثانية والثالثة والناس سامعون مطيعون مستعدون للمناهضة ينحى بعضهم بعضا عن سننهم وحمل النعمان وحمل الناس وراية النعمان تنقض نحوهم انقصاص العقاب والنعمان معلم ببياض القباء والقلنسوة فاقتتلوا بالسيوف قتالا شديدا لم يسمع السامعون بوقعة يوم قط كانت أشد منها فقتلوا فيها من أهل فارس فيما بين الزوال والاعتام ما طبق أرض المعركة دما يزلق الناس والدواب فيه وأصيب فرسان من فرسان المسلمين في الزلق في الدماء فزلق فرس النعمان في الدماء فصرعه وأصيب النعمان حين زلق به فرسه وصرع وتناول الراية نعيم بن مقرن قبل أن تقع وسجى النعمان بثوب وأتى حذيفة بالراية فدفعها إليه وكان اللواء مع حذيفة فجعل حذيفة نعيم بن مقرن مكانه وأتى المكان الذي كان فيه النعمان فأقام اللواء وقال له المغيرة اكنموا مصاب أميركم حتى ننظر ما يصنع الله فينا وفيهم لكيلا يهن الناس واقتتلوا حتى إذا أظلمهم الليل انكشف المشركون وذهبوا والمسلمون ملطون بهم ملتبسون فعمى عليهم قصدهم فتركوه وأخذوا نحو اللهب الذي كانوا نزلوا دونه بإسبذهان فوقعوا فيه وجعلوا لا يهوى منهم أحد الا قال وايه خرد فسمى بذلك وايه خرد إلى اليوم فمات فيه منهم مائة ألف أو يزيدون سوى من قتل في المعركة منهم أعدادهم ولم يفلت الا الشريد

[٢١٨]

ونجا الفيرزان بين الصرعى في المعركة فهرب نحو همدان في ذلك الشريد فاتبعه نعيم بن مقرن وقدم القعقاع قدامة فأدركه حين انتهى إلى ثنية همدان والثنية مشحونة من بغال وحمير موقرة عسلا فحسبه الدواب على أجله فقتله على الثنية بعدما امتنع وقال المسلمون إن لله جنودا من عسل واستاقوا العسل وما خالطه من سائر الاحمال فأقبل بها وسميت الثنية بذلك ثنية العسل وإن الفيرزان لما غشيه القعقاع نزل فتوقل في الجبل إذ لم يجد مساغا وتوقل القعقاع في أثره حتى أخذه ومضى الفلال حتى انتهوا إلى مدينة همدان والخييل في آثارهم فدخلوها فنزل المسلمون عليهم وحووا ما حولها فلما رأى ذلك خسروشنوم استأمنهم وقبل منهم على أن يضمن لهم همدان ودستبى وأن لا يؤتى المسلمون منهم فأجابوهم إلى ذلك وأمنوهم وأمن الناس وأقبل كل من كان هرب ودخل المسلمون بعد هزيمة المشركين يوم نهاوند مدينة نهاوند واحتووا ما فيها وما حولها وجمعوا الاسلات والرثا إلى صاحب الاقباض السائب ابن الاقرع فيبيناهم كذلك على حالهم وفي عسسكهم يتوقعون ما يأتيهم من إخوانهم بهمدان أقبل الهريد صاحب بيت النار على أمان فأبلغ حذيفة فقال أتؤمنني على أن أخبرك بما أعلم قال نعم قال إن النخيرجان وضع عندي ذخيرة لكسرى فأنا أخرجها لك على أمانى وأمان من شئت فأعطاه ذلك فأخرج له ذخيرة كسرى جوهرها كان أعده لنوائب الزمان فنظروا في ذلك فأجمع رأى المسلمين على رفعه إلى عمر فجعلوه له فأخرجوه حتى فرغوا فبعثوا به مع ما يرفع من الاخماس وقسم حذيفة ابن اليمان بين الناس غنائمهم فكان سهم الفارس يوم نهاوند ستة آلاف وسهم الراجل ألفين وقد نفل حذيفة من الاخماس من شاء من أهل البلاء يوم نهاوند ورفع ما بقى من الاخماس إلى السائب بن الاقرع فقبض السائب الاخماس فخرج بها إلى عمر وبذخيرة كسرى وأقام حذيفة بعد الكتاب بفتح نهاوند بنهاوند ينتظر جواب عمر وأمره وكان رسوله بالفتح طريف بن سهم أخو بني ربيعة بن مالك فلما بلغ الخبر أهل الماهين بأن همدان قد أخذت ونزلها نعيم بن مقرن والقعقاع ابن عمرو اقتدوا بخسروشنوم فراسلوا حذيفة فأجابهم إلى ما طلبوا فأجمعوا على

القبول وعزموا على إتيان حذيفة فخدعهم دينار وهو دون أولئك الملوك وكان ملكا إلا أن غيره منهم كان أرفع منه وكان أشرفهم قارن وقال لا تلقوهم في جمالكم ولكن تقهلو لهم ففعلوا وخالفهم فاتاهم في الديباع والحلى وأعطاهم حاجتهم واحتمل للمسلمين ما أرادوا فعاقده عليهم ولم يجد الآخرون بدا من متابعتة والدخول في أمره فقيل ماه دينار لذلك فذهب حذيفة بماه دينار وقد كان النعمان عاقد بهراذان على مثل ذلك فنسبت إلى بهراذان ووكل النسير بن ثور بقلعة قد كان لجأ إليها قوم فجاهدهم فافتتحها فنسبت إلى النسير وقسم حذيفة لمن خلفوا بمرج القلعة ولمن أقام بغضى شجر ولاهل المسالح جميعا في فئ نهاوند مثل الذي قسم لاهل المعركة لانهم كانوا رء للمسلمين لثلا يؤتوا من وجه من الوجوه وتململ عمر تلك الليلة التي كان قدر للقائهم وجعل يخرج ويلتمس الخبر فيينا رجل من المسلمين قد خرج في بعض حوائجه فرجع إلى المدينة ليلا فمر به راكب في الليلة الثالثة من يوم نهاوند يريد المدينة فقال يا عيد الله من أين أقبلت قال من نهاوند قال ما الخبر قال الخبر خير فتح الله على النعمان واستشهدوا واقتسم المسلمون فئ نهاوند فأصاب الفارس ستة آلاف وطواه الراكب حتى انغمس في المدينة فدخل الرجل فبات فأصبح فتحدث بحديثه ونمى الخبر حتى بلغ عمر وهو فيما هو فيه فأرسل إليه فسأله فأخبره فقال صدق وصدقت هذا عثيم بريد الجن وقد رأى بريد الانس فقدم عليه طريف بالفتح بعد ذلك فقال الخبر فقال ما عندي أكثر من الفتح خرجت والمسلمون

في الطلب وهم على رجل وكتمه إلا ما سره ثم خرج وخرج معه أصحابه فأمعن فرفع له راكب فقال قولوا فقال عثمان بن عفان السائب فقال السائب فلما دنا منه قال ما وراءك قال البشري والفتح قال ما فعل النعمان قال زلق فرسه في دماء القوم فصرع فاستشهد فانطلق راجعا والسائب يسايره وسأل عن عدد من قتل من المسلمين فأخبره بعدد قليل وأن النعمان أول من استشهد يوم فتح الفتوح وكذلك كان يسميه أهل الكوفة والمسلمون فلما دخل المسجد حطت الاحمال فوضعت في المسجد وأمر نفرا من أصحابه منهم عبدالرحمن بن عوف وعبد الله

[٢٢٠]

ابن أرقم بالمبيت فيه ودخل منزله واتبعه السائب بن الاقرع بدينك الفسطين وأخبره خبرهما وخبر الناس فقال يا ابن مليكة والله ما دروا هذا ولا أنت معهم فالنجاء النجاء عودك على بدنك حتى تأتي حذيفة فيقسمهما على من أفاءهما الله عليه فأقبل راجعا بقبل حتى انتهى إلى حذيفة بماه فأفامهما فباعهما فأصاب أربعة آلاف (كتب إلي السري) عن شعيب عن سيف عن محمد بن قيس الاسدي أن رجلا يقال له جعفر بن راشد قال لطليحة وهم مقيمون على نهاوند لقد أخذتنا خلة فهل بقي من أعاجيبك شئ تنفعنا به فقال كما أنتم حتى أنظر فأخذ كساء فتقع به غير كثير ثم قال البيان البيان غنم الدهقان في بستان مكان أروان فدخلوا البستان فوجدوا الغنم مسمنة (كتب إلي السري) عن شعيب عن سيف عن أبي معبد العبسي وعروة بن الوليد عن حدثهم من قومهم قال بينما نحن محاصرو أهل نهاوند خرجوا علينا ذات يوم فقاتلونا فلم نلبثهم أن هزمهم الله فتبع سماك بن عبيد العبسي رجلا منهم معه نفر ثمانية على أفراس لهم فبارزهم فلم يبرز له أحد إلا قتله حتى أتى عليهم ثم حمل على الذي كانوا معه فأسره وأخذ سلاحه ودعا له رجلا اسمه عبد فوكله به فقال اذهبوا بي إلي أميركم حتى أصالجه على هذه الارض وأودى إليه الجزية وسلني أنت عن إسارك ما شئت وقد مننت علي إذ لم تقتلني وإنما أنا عبدك الآن وإن أدخلتني على الملك وأصلحت ما بيني وبينه وجدت لي شكرا وكنت لي أبا فخلي سبيله وأمنه وقال من أنت قال أنا دينار والبيت منهم يومئذ في آل قارن فأتى به حذيفة فحدثه دينار عن نجدة سماك وما قتل ونظره للمسلمين فصالجه على الخراج فنسبت إليه ماه وكان يواصل سماكا ويهدى له ويوافي الكوفة كلما كان عمله إلى عامل الكوفة فقدم الكوفة في إمارة معاوية فقام في الناس بالكوفة فقال يا معشر أهل الكوفة أنتم أول ما مررتم بنا كنتم خيار الناس فعمرتم بذلك زمان عمر وعثمان ثم تغيرتم وفشت فيكم خصال أربع بخل وخب وغدر وضيق ولم يكن فيكم واحدة منهن فرمقتكم فإذا ذلك في مولديكم فعلمت من أين أتيتم فإذا الخب من قبل النبط والبخل من قبل فارس والغدر من قبل خراسان والضيق من

[٢٢١]

قبل الاهواز (كتب إلي السري) عن شعيب عن سيف عن عمرو بن محمد عن الشعبي قال لما قدم بسبي نهاوند إلى المدينة جعل أبو لؤلؤة فيروز غلام المغيرة بن شعبة لا يلقى منهم صغيرا إلا مسح رأسه ويكى وقال أكل عمر كبدي وكان نهاونديا فأسرته الروم أيام فارس وأسره المسلمون بعد فنسب إلى حيث سبى (كتب إلي السري) عن شعيب عن سيف عن عمرو بن محمد عن الشعبي وقال قتل في اللهب ممن هوى فيه ثمانون ألفا وفي المعركة ثلاثون ألفا مقترنين سوى من قتل في الطلب وكان المسلمون ثلاثين ألفا

وافتتحت مدينة نهاوند في أول سنة تسع عشرة لسبع سنين من إمارة عمر لتتمام سنة ثمان عشرة (كتب إلي السري) عن شعيب عن سيف عن محمد والمهلب وطلحة في كتاب النعمان بن مقرن وحذيفة لاهل هل الماهين بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما أعطى النعمان مقرن أهل ماه بهراذان أعطاهم الامان على أنفسهم وأموالهم وأرضيهم لا يغيرون على ملة ولا يحال بينهم وبين شرائعهم ولهم المنعة ما أدوا الجزية في كل سنة إلى من وليهم على كل حال في ماله ونفسه على قدر طاقته وما أرشدوا ابن السبيل وأصلحوا الطرق وقروا جنود المسلمين ممن مر بهم فأوى إليهم يوما وليلة ووفوا ونصحوا فإن غشوا وبدلوا فذمتنا منهم بريئة شهد عبدالله بن ذي السهمين والقعقاع بن عمرو وجرير بن عبدالله وكتب في المحرم سنة تسع عشرة بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما أعطى حذيفة بن اليمان أهل ماه دينار أعطاهم الامان على أنفسهم وأموالهم وأرضيهم لا يغيرون عن ملة ولا يحال بينهم وبين شرائعهم ولهم المنعة ما أدوا الجزية في كل سنة إلى من وليهم من المسلمين على كل حال في ماله ونفسه على قدر طاقته وما أرشدوا ابن السبيل وأصلحوا الطرق وقروا جنود المسلمين من مر بهم فأوى إليهم يوما وليلة ونصحوا فإن غشوا وبدلوا فذمتنا منهم بريئة شهد القعقاع بن عمرو ونعيم بن مقرن وسويد بن مقرن وكتب في المحرم قالوا والحق عمر من شهد نهاوند فأبلى من الروادف بلاء فاضلا في ألفين ألفين الحقهم بأهل القادسية (وفي هذه السنة) أمر عمر جيوش العراق يطلب جيوش فارس حيث كانت وأمر بعض من كان بالبصرة من جنود المسلمين وحواليها بالمسير إلى أرض فارس وكرمان واصبهان وبعض من كان منهم بناحية

[٢٢٢]

الكوفة وماهاتها إلى أصبهان وأذربيجان والرى وكان بعضهم يقول إنما كان ذلك من فعل عمر في سنة ثمان عشرة وهو قول سيف بن عمر ذكر الخبر عما كان في هذه السنة أعني سنة احدى وعشرين من أمر الجندين اللذين ذكرت ان عمر أمرهما بما ذكر أنه أمرهما به (كتب إلي السري) عن شعيب عن سيف عن محمد وطلحة والمهلب وعمرو وسعيد قالوا لما رأى عمر أن يزدجرد يبعث عليه في كل عام حربا وقيل له لا يزال هذا الدأب حتى يخرج من مملكته أذن الناس في الانسياح في أرض العجم حتى يغلبوا يزدجرد على ما كان في يدى كسرى فوجه الامراء من أهل البصرة بعد فتح نهاوند ووجه الامراء من أهل الكوفة بعد فتح نهاوند وكان بين عمل سعد بن أبي وقاص وبين عمل عمار بن ياسر أميران أحدهما عبدالله بن عبدالله بن عتيان وفي زمانه كانت وقعة نهاوند وزياد بن حنظلة حليف بني عبد بن قصي وفي زمانه أمر بالانسياح وعزل عبدالله بن عبدالله وبعث في وجه آخر من الوجوه وولى زياد ابن حنظلة وكان من المهاجرين فعمل قليلا وألح في الاستعفاء فأعفي وولى عمار بن ياسر بعد زياد فكان مكانه وأمد أهل البصرة بعبد الله بن عبدالله وأمد أهل الكوفة بأبي موسى وجعل عمر بن سراقه مكانه وقدمت الالوية من عند عمر إلى نفر بالكوفة زمان زياد بن حنظلة فقدم لواء منها على نعيم بن مقرن وقد كان أهل همذان كفروا بعد الصلح فأمره بالسير نحو همذان وقال فإن فتح الله على يدك فألى ما وراء ذلك في وجهك ذلك إلى خراسان وبعث عتبة بن فرقد وبكير بن عبدالله وعقد لهما على أذربيجان وفرقها بينهما وأمر أحدهما أن يأخذ إليها من حلوان إلى ميمنتها وأمر الآخر أن يأخذ إليها من الموصل إلى ميسرتها فتيا من هذا عن صاحبه وتياسر هذا عن صاحبه وبعث إلى عبدالله بن عبدالله بلواء وأمره أن يسير إلى اصبهان وكان شجاعا بطلا من أشرف الصحابة ومن وجوه الانصار حليفا لبني الحبلى من بني أسد وأمه بأبي موسى من البصرة وأمر عمر بن سراقه على البصرة

وكان من حديث عبدالله بن عبدالله أن عمر حين أتاه فتح نهاوند بدا له أن يأذن في الانسياح

[٢٢٣]

تكتب إليه أن سر من الكوفة حتى تنزل المدائن فأندهم ولا تنتخبهم واكتب إلي بذلك وعمر يريد توجيهه إلى اصبهان فانتدب له فيمن انتدب عبدالله بن ورقاء الرياحي وعبد الله بن الحارث بن ورقاء الاسدي والذين لا يعلمون يرون أن أحدهما عبدالله ابن بديل بن ورقاء الخزاعي لذكر ورقاء وطنوا أنه نسب إلى جده وكان عبدالله بن بديل بن ورقاء يوم قتل بصفين ابن أربع وعشرين سنة وهي أيام عمر صبي ولما أتى عمر انبعاث عبدالله بعث زياد بن حنظلة لما أتاه انبعاث الجنود وانسيأحهم أمر عمارا بعد وقرأ قول الله عزوجل (ونريد أن نمن على الذين استضعفوا في الارض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين) وقد كان زياد صرف في وسط من امارة سعد إلى قضاء الكوفة بعد إعفاء سلمان وعبد الرحمن ابني ربيعة ليقتضى إلى أن يقدم عبدالله ابن مسعود من حمص وقد كان عمل لعمر علي ما سقى الفرات ودجلة النعمان وسويد ابنا مقرن فاستعفيا وقالوا أعفنا من عمل يتغول ويتزين لنا بزينة المومسة فأعفاهما وجعل مكانهما حذيفة بن أسيد الغفاري وجابر بن عمرو المزني ثم استعفيا فأعفاهما وجعل مكانهما حذيفة بن اليمان وعثمان بن حنيف حذيفة على ما سقت دجلة وما وراءها وعثمان على ما سقى الفرات من السوادين جميعا وكتب إلى أهل الكوفة اني بعثت اليكم عمار بن ياسر أميرا وجعلت عبدالله بن مسعود معلما ووزيرا ووليت حذيفة بن اليمان ما سقت دجلة وما وراءها ووليت عثمان بن حنيف الفرات وما سقى (ذكر الخبر عن اصبهان) قالوا ولما قدم عمار إلى الكوفة أميرا وقدم كتاب عمر إلى عبدالله أن سر إلى اصبهان وزياد على الكوفة وعلى مقدمتك عبدالله بن ورقاء الرياحي وعلى مجنبتك عبدالله بن ورقاء الاسدي وعصمة بن عبدالله وهو عصمة بن عبدالله بن عبيدة ابن سيف بن عبد بن الحارث فسار عبدالله في الناس حتى قدم على حذيفة ورجع حذيفة إلى عمله وخرج عبدالله من نهاوند فيمن كان معه ومن انصرف معه من جند النعمان نحو جند قد اجتمع له من أهل اصبهان عليهم الاستندار وكان على

[٢٢٤]

مقدمته شهربراز جاذويه شيخ كبير في جمع عظيم فالتقى المسلمون ومقدمة المشركين برستاق من رساتيق اصبهان فاقتتلوا قتالا شديدا ودعا الشيخ إلى البراز فبرز له عبدالله بن ورقاء فقتله وانهزم أهل اصبهان وسمى المسلمون ذلك الرستاق رستاق الشيخ فهو اسمه إلى اليوم ودعا عبدالله بن عبدالله من يليه فسأل الاستندار الصلح فصالحهم فهذا أول رستاق أخذ من اصبهان ثم سار عبدالله من رستاق الشيخ نحو جي حتى انتهى إلى جي والملك باصبهان يومئذ الفاذوسفان ونزل بالناس على جي فحاصرهم فخرجوا إليه بعد ما شاء الله من زحف فلما التقوا قال الفاذوسفان لعبدالله لا تقتل أصحابي ولا أقتل أصحابك ولكن ابرز لي فان قتلتك رجع أصحابك وان قتلنتني سالمك أصحابي وان كان أصحابي لا يقع لهم نشابة فبرز له عبدالله وقال إما أن تحمل علي وإما أن أحمل عليك فقال أحمل عليك فوقف له عبدالله وحمل عليه الفاذوسفان فطعنه فأصاب قربوس سرجه فكسره وقطع اللبب والحزام وزال اللبد والسرج وعبد الله على الفرس فوقع عبدالله قائما ثم استوى على الفرس عريا وقال له اثبت فحاجزه وقال ما أحب أن أقاتلك فاني قد رأيتك رجلا كاملا ولكن أرجع معك إلى عسكرك فأصالحك وأدفع

المدينة اليك على ان من شاء أقام ودفع الجزية وأقام على ماله وعلى أن تجرى من أخذتم أرضه عنوة مجراهم ويطراجعون ومن أبي أن يدخل فيما دخلنا فيه ذهب حيث شاء ولكم أرضه قال لكم ذلك وقدم عليه أبو موسى الأشعري من ناحية الاهواز وقد صالح الفاذوسفان عبدالله فخرج القوم من جي ودخلوا في الذمة إلا ثلاثين رجلا من أهل أصبهان خالفوا قومهم وتجمعوا فلحقوا بكرمان في حاشيتهم لجمع كان بها ودخل عبدالله وأبو موسى جي وحي مدينة أصبهان وكتب بذلك إلي عمر واعتبط من أقام وندم من شخص فقدم كتاب عمر على عبدالله أن سر حتى تقدم على سهيل بن عدي فتجمعه على قتال من بكرمان وخلف في جي من بقى عن جي واستخلف على أصبهان السائب بن الأقرع (كتب إلى السري) عن شعيب عن سيف عن نفر من أصحاب الحسن منهم المبارك بن فضالة عن الحسن عن أسيد بن المتشمس بن

[٢٢٥]

أخى الاحنف قال شهدت مع أبي موسى فتح أصبهان وإنما شهدها مددا (كتب إلى السري) عن شعيب عن سيف عن محمد وطلحة والمهلب وعمرو وسعيد قالوا كتاب صلح أصبهان: بسم الله الرحمن الرحيم كتاب من عبدالله للفاذوسفان وأهل أصبهان وحواليها انكم آمنون ما أديتم الجزية وعليكم من الجزية بقدر طاقتكم في كل سنة تؤدونها إلى الذي يلي بلادكم عن كل حالم ودلالة المسلم واصلاح طريقه وقراه يوما وليلة وحملان الراجل إلى مرحلة لا تسلطوا على مسلم وللمسلمين نصحكم وأداء ما عليكم ولكم الامان ما فعلتم فإذا غيرتم شيئا أو غيره مغير منكم ولم تسلموه فلا أمان لكم ومن سب مسلما بلغ منه فإن ضربه قتلناه وكتب وشهد عبدالله بن قيس وعبد الله بن ورفاء وعصمة بن عبدالله فلما قدم الكتاب من عمر على عبدالله وأمر فيه باللاحق بسهيل بن عدي بكرمان خرج في جريدة خيل واستخلف السائب ولحق بسهيل قبل أن يصل إلى كرمان وقد روى عن معقل بن يسار أن الذي كان أميرا على جيش المسلمين حين غزوا أصبهان النعمان بن مقرن ذكر الرواية بذلك * حدثنا يعقوب بن ابراهيم وعمرو بن علي قال حدثنا عبدالرحمن بن مهدي قال حدثنا حماد بن سلمة عن أبي عمران الجوني عن علقمة بن عبدالله المزني عن معقل بن يسار أن عمر بن الخطاب شاور الهرمزان فقال ما ترى أبدا بفارس أم بأذربيجان أم باصبهان فقال ان فارس وأذربيجان الجناحان واصبهان الرأس فان قطعت أحد الجناحين قام الجناح الآخر فان قطعت الرأس وقع الجناحان فابدا بالرأس فدخل عمر المسجد والنعمان بن مقرن يصلى فقعده إلى جنبه فلما قضى صلاته قال انى أريد أن أستعملك قال جابيا فلا ولكن غازيا قال فأنت غاز فوجهه إلى اصبهان وكتب إلى أهل الكوفة أن يمدوه فأتاهوا وبينه وبينهم النهر فأرسل إليهم المغيرة بن شعبة فأتاهم فقبل لملكهم وكان يقال له ذو الحاجبين أن رسول العرب على الباب فشاور أصحابه فقال ما ترون أقعد له في بهجة الملك فقالوا نعم فقعده على سريره ووضع التاج على رأسه وقعد أبناء الملوك نحو السماطين عليهم القرطة

[٢٢٦]

وأسورة الذهب وثياب الديباج ثم أذن له فدخل ومعه رمحه وترسه فجعل يطعن برمحه بسطهم ليتطيروا وقد أخذ بضبعيه رجلا فقام بين يديه فكلمه ملكهم فقال إنكم يا معشر العرب أصابكم جوع شديد فخرجتم فان شئتم مرناكم ورجعتم إلى بلادكم فتكلم المغيرة فحمد الله وأثنى عليه ثم قال إنا معاشر العرب كنا نأكل الجيف والميتة ويطؤونا الناس ولا نطأهم وإن الله عزوجل ابتعث منا نبيا

أوسطنا حسبا وأصدقنا حديثا فذكر النبي صلى الله عليه وسلم بما هو أهله وإنه وعدنا أشياء فوجدناها كما قال وإنه وعدنا أنا سنظهر عليكم ونغلب على ما ههنا وإنني أرى عليكم بزة وهيئة ما أرى من خلفي يذهبون حتى يصيبوها قال ثم قلت في نفسي لو جمعت حراميزي فوثبت وثبة فقعدت مع العلي على سريره لعله يتطير قال فوجدت غفلة فوثبت فإذا أنا معه على سريره قال فأخذه يتوجأونه ويطأونه بأرجلهم قال قلت هكذا تفعلون بالرسول فانا لا نفعل هكذا ولا نفعل برسلكم هذا فقال الملك إن شئتم قطعتم إلينا وإن شئتم قطعنا إليكم قال فقلت بل نقطع إليكم قال فقطعنا إليهم فتسلسلوا كل عشرة في سلسلة وكل خمسة وكل ثلاثة قال فصاففناهم فرشقونا حتى أسرعوا فينا فقال المغيرة للنعمان يرحمك الله إنه قد أسرع في الناس فأحمل فقال والله إنك لذو مناقب لقد شهدت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم القتال فكان إذا لم يقاتل أول النهار أخر القتال حتى تزول الشمس وتهب الرياح وينزل النصر قال ثم قال إنني هاز لوائتي ثلاث مرات فأما الهزة الأولى ففقدت رجل حاجته وتوضأ وأما الثانية فنظر رجل في سلاحه وفي شسعاه فأصلحه وأما الثالثة فأحملوا ولا يلويين أحد على أحد وإن قتل النعمان فلا يلو عليه أحد فإني أدعو الله عزوجل بدعوة فعزمت على كل امرئ منكم لما أمن عليها اللهم اعط اليوم النعمان الشهادة في نصر المسلمين واقتح عليهم وهز لواءه أول مرة ثم هز الثانية ثم هز الثالثة ثم شل درعه ثم حمل فكان أول صريع فقال معقل فأنيت عليه فذكرت عزيمته فجعلت عليه علما ثم ذهبت وكنا إذا قتلنا رجلا شغل عنا أصحابه ووقع ذو الحاجبين عن بغلته فانشق بطنه فهزمهم الله ثم جئت إلى النعمان ومعني إداوة فيها ماء فغسلت عن وجهه التراب

[٢٢٧]

فقال من أنت قلت معقل بن يسار قال ما فعل الناس فقلت فتح الله عليهم قال الحمد لله اكتبوا بذلك إلى عمر وفاضت نفسه واجتمع الناس إلى الأشعث بن قيس وفيهم ابن عمر وابن الزبير وعمرو بن معديكرب وحذيفة فبعثوا إلى أم ولده فقالوا ما عهد إليك عهدا فقالت ههنا سبط فيه كتاب فأخذه فكان فيه إن قتل النعمان ففلان وإن قتل فلان ففلان (وقال الواقدي) في هذه السنة يعني سنة ٢١ مات خالد بن الوليد بحمص وأوصى إلى عمر بن الخطاب (قال وفيها) غزا عبدالله وعبد الرحمن ابنا عمرو وأبو سروعة فقدموا مصر فشرى عبدالرحمن وأبو سروعة الخمر وكان من أمرهما ما كان (قال وفيها) سار عمرو بن العاصي إلى أنطابلس وهي برقة فافتتحها وصالح أهل برقة على ثلاثة عشر ألف دينار وأن يبيعوا من أبنائهم ما أحبوا في جزيتهم (قال وفيها) ولي عمر بن الخطاب عمار بن ياسر على الكوفة وابن مسعود على بيت المال وعثمان بن حنيف على مساحة الأرض فشكا أهل الكوفة عمارا فاستعفى عمار عمر بن الخطاب فأصاب جبير بن مطعم خاليا فولاه الكوفة فقال لا تذكره لاحد فبلغ المغيرة بن شعبة أن عمر خلا بجبير بن مطعم فرجع إلى امرأته فقال اذهبي إلى امرأة جبير بن مطعم فأعرضي عليها طعام السفر فأتتها فعرضت عليها فاستعجمت عليها ثم قالت نعم فجيئني به فلما استيقن المغيرة بذلك جاء إلى عمر فقال بارك الله لك فيمن وليت قال فمن وليت فأخبره أنه ولي جبير بن مطعم فقال عمر لا أدري ما أصنع وولى المغيرة بن شعبة الكوفة فلم يزل عليها حتى مات عمر (قال وفيها) بعث عمرو بن العاصي عقبه بن نافع الفهري فافتتح زويلة بصلح وما بين برقة وزويلة سلم للمسلمين * وحدثنا ابن حميد قال حدثنا سلمة عن ابن إسحاق قال كان بالشام في سنة ٢١ غزوة الأمير معاوية بن أبي سفيان وعمير بن سعد الانصاري على دمشق والبيثية وحوران وحمص وقنسرين والجزيرة ومعاوية على البلقاء والاردن وفلسطين والسواحل وأنطاكية ومعرة مصرين وقلقية وعند ذلك صالح أبو هاشم ابن عتبة بن ربيعة بن عبد شمس على قلقية

وأنطاكية ومعرة مصرين (وقيل وفيها) ولد الحسن البصري وعامر الشعبي (قال الواقدي) وحج بالناس في هذه السنة

[٢٢٨]

عمر بن الخطاب وخلف على المدينة وزيد بن ثابت وكان عامله على مكة والطائف واليمن واليمامة والبحرين والشام ومصر والبصرة من كان عليها في سنة ٢٠ وأما الكوفة فان عامله عليها كان عمار بن ياسر وكان إليه الاحداث وإلى عبدالله بن مسعود بيت المال وإلى عثمان بن حنيف الخراج وإلى شريح فيما قيل القضاء ثم دخلت سنة اثنتين وعشرين (قال أبو جعفر) ففيها فتحت أذربيجان فيما حدثني أحمد بن ثابت الرازي عن ذكره عن إسحاق بن عيسى عن أبي معشر قال كانت أذربيجان سنة ٢٢ وأميرها المغيرة بن شعبة وكذلك قال الواقدي وأما سيف بن عمر فانه قال فيما كتب إلي به السري على شعيب عنه قال كان فتح أذربيجان سنة ثمان عشرة من الهجرة بعد فتح همذان والرى وجرجان وبعد صلح اصهبذ طبرستان المسلمين قال وكل ذلك كان في سنة ثمان عشرة قال فكان سبب فتح همذان فيما زعم أن محمدا والمهلب وطلحة وعمرا وسعيدا أخبروه أن النعمان لما صرف إلى الماهين لاجتماع الاعاجم إلى نهاوند وصرف إليه أهل الكوفة وافوه مع حذيفة ولما فصل أهل الكوفة من حلوان وأفضوا إلى ماه هجموا على قلعة في مرج فيها مسلحة فاستنزلوهم وكان أول الفتح وأنزلوا مكانهم خيلا يمسكون بالقلعة فسلموا معسكرهم بالمرج مرج القلعة ثم ساروا من مرج القلعة نحو نهاوند حتى إذا انتهوا إلى قلعة فيها قوم خلفوا عليها النسير بن ثور في عجل وحنيفة فنسبت إليه وافتتحها بعد فتح نهاوند ولم يشهد نهاوند عجلي ولا حنفي أقاموا مع النسير على القلعة فلما جمعوا فئ نهاوند والقلاع أشركوا فيها جميعا لان بعضهم قوى بعضا ثم وصفوا ما استقروا فيما بين مرج القلعة وبين نهاوند مما مروا به قبل ذلك فيما استقروا من المرج إليها بصفاتهما وازدحمت الركاب في ثنية من ثنایا ماه فسميت بالركاب فقيل ثنية الركاب وأتوا على أخرى تدور طريقها بصخرة فسموها ملوية فدرست أسماؤها الاولى وسميت بصفاتهما ومروا بالجبل الطويل المشرف على الجبال فقال قائل منهم كأنه سن سميرة

[٢٢٩]

وسميرة امرأة من المهاجرات من بني معاوية ضبية لها سن مشرفة على أسنانها فسمى ذلك الجبل بسننها وقد كان حذيفة اتبع الفالة فالة نهاوند نعيم بن مقرن والقعقاع ابن عمرو فبلغا همذان فصالحهم خسروشنوم فرجعا عنهم ثم كفر بعد فلما قدم عهده في العهود من عند عمر ودع حذيفة وودعه حذيفة هذا يريد همذان وهذا يريد الكوفة راجعا واستخلف على الماهين عمرو بن بلال بن الحارث وكان كتاب عمر إلى نعيم بن مقرن أن سر حتى تأتي همذان وابعث على مقدمتك سويد ابن مقرن وعلى مجنبتك ربعي بن عامر ومهلل بن زيد هذا طائي وذاك تميمي فخرج نعيم بن مقرن في تعيبته حتى نزل ثنية العسل وإنما سميت ثنية العسل بالعسل الذي أصابوا فيها غب رقعة نهاوند حيث اتبعوا الفالة فانتهى الفيرزان إليها وهي غاصة بحوامل تحمل العسل وغير ذلك فحبست الفيرزان حتى نزل فتوقل في الجبل وعار فرسه فأدرك فأصيب ولما نزلوا كنكور سرقت دواب من دواب المسلمين فسمى قصر اللصوص ثم انحدر نعيم من الثنية حتى نزل على مدينة همذان وقد تحصنوا منهم فحصرهم فيها وأخذ ما بين ذلك وبين جرميدان واستولوا على بلاد همذان كلها فلما رأى ذلك أهل المدينة سألوا الصلح على أن يجريهم ومن استجاب مجرى

واحدًا ففعل وقبل منهم الجزاء علي المنعة وفرق دستبي بين نفر من أهل الكوفة بين عصمة بن عبدالله الضبي ومهلل بن زيد الطائي وسماك بن عبيد العيسي وسماك بن محرمة الاسدي وسماك بن خرشة الانصاري فكان هؤلاء أول من ولى مسالح دستبي وقاتل الديلم (وأما الواقدي) فانه قال كان فتح همذان والري في سنة ثلاث وعشرين قال ويقال افتتح الري قرظة بن كعب * وحدثني ربيعة ابن عثمان أن فتح همذان كان في جمادى الاولى على رأس ستة أشهر من مقتل عمر ابن الخطاب وكان أميرها المغيرة بن شعبة قال ويقال كان فتح الري قبل وفاة عمر بسنتين ويقال قتل عمر وجيوشه عليها (رجع الحديث إلى حديث سيف) قال فيبينما نعيم في مدينة همذان في توطئتها في اثني عشر ألفا من الجند تكاتب الديلم وأهل الري وأهل أذربيجان ثم خرج موتا في الديلم حتى ينزل بواج رود وأقبل

[٢٣٠]

الزبيني أبو الفرخان في أهل الري حتى انضم إليه وأقبل اسفندياذ أخو رستم في أهل أذربيجان حتى انضم إليه وتحصن أمراء مسالح دستبي وبعثوا إلى نعيم بالخبر فاستخلف يزيد بن قيس وخرج إليهم في الناس حتى نزل عليهم بواج الروذ فاقتتلوا بها قتالا شديدا وكانت وقعة عظيمة تعدل نهاوند ولم تكن دونها وقتل من القوم مقتلة عظيمة لا يحصون ولا تقصر ملحمتهم من الملاحم الكبار وقد كانوا كتبوا إلى عمر باجتماعهم ففرغ منها واهتم بحربها وتوقع ما يأتيه عنهم فلم يفجاه إلا البريد بالبشارة فقال أبشير فقال بل عروة فلما ثنى عليه أبشير فطن فقال بشير فقال عمر رسول نعيم قال رسول نعيم قال الخبر قال البشري بالفتح والنصر وأخبره الخبر فحمد الله وأمر بالكتاب فقري على الناس فحمدوا الله ثم قدم سماك بن محرمة وسماك بن عبيد وسماك بن خرشة في وفود من وفود أهل الكوفة بالاخماس علي عمر فنسبهم فانتسب له سماك وسماك وسماك فقال بارك الله فيكم اللهم أسمك بهم الاسلام وأيدهم بالاسلام فكانت دستبي من همذان ومسالحها إلى همذان حتى رجع الرسول إلى نعيم بن مقرن بجواب عمر بن الخطاب أما بعد فاستخلف على همذان وأمد بكير بن عبدالله بسماك بن خرشة وسر حتى تقدم الري فتلقى جمعهم ثم أقم بها فإنها أوسط تلك البلاد واجمعها لما تريد فأقر نعيم يزيد بن قيس الهمداني على همذان وسار من واج الروذ بالناس إلى الري وقال نعيم في واج الروذ لما أتاني أن موتا ورهطه * بني باسل جروا جنود الاعاجم نهضت إليهم بالجنود مساميا * لامنح منهم ذمتي بالقواصم فجئنا إليهم بالحديد كأننا * جبال تراءى من فروع القلاسم فلما لقيناهم بها مستفيضة * وقد جعلوا يسمون فعل المساهم صدمناهم في واج رود بجمعنا * غداة رميناهم بإحدى العظام فما صبروا في حومة الموت ساعة * لحد الرماح والسيوف الصوارم كأنهم عند انبثاث جموعهم * جدار تشظى لبنه للهوادم

[٢٣١]

أصبنا بها موتا ومن لف جمعه * وفيها نهاب قسمه غير عاتم تبعناهم حتى أووا في شعابهم * نقتلهم قتل الكلاب الجواحم كأنهم في واج رود وجوه * ضئين أصابتها فروج المخارم وسماك بن محرمة هو صاحب مسجد سماك وأعاد فيهم نعيم كتاب صلح همذان وخلف عليها يزيد بن قيس الهمداني وسار بالجنود حتى لحق بالري وكان أول نسل الديلم من العرب وقاولهم فيه نعيم فتح الري قالوا وخرج نعيم بن مقرن من واج رود في الناس وقد أخبرها إلى دستبي ففصل منها إلى الري وقد جمعوا له وخرج الزبيني أبو الفرخان فلقية

الزینبی بمكان یقال له قها مسالما ومخالف لملك الری وقد رأى من المسلمین ما رأى مع حسد سیاوخش وأهل بیته فأقبل مع نعیم والملك یومئذ بالری سیاوخش بن مهران بن بهرام شوبین فاستمد أهل دنباوند وطبرستان وقومس وجرجان وقال قد علمتم أن هؤلاء قد أحلوا بالری أنه لا مقام لكم فاحتشدوا له فناهده سیاوخش فالتقوا فی سفح جبل الری إلى جنب مدینتها فاقتتلوا به وقد كان الزینبی قال لنعیم إن القوم کثیر وأنت فی قلة فابعث معی خیلا أدخل بهم مدینتهم من مدخل لا یشعرون به وناهدهم أنت فإنهم إذا خرجوا علیهم لم یثبتوا لك فبعث معه نعیم خیلا من اللیل علیهم ابن أخیه المنذر بن عمرو فأدخلهم الزینبی المدینة ولا یشعر القوم وبیئتهم نعیم بیاتا فشغلهم عن مدینتهم فاقتتلوا وصبروا له حتی سمعوا التکبیر من ورائهم ثم إنهم انهزموا فقتلوا مقتلة عدوا بالقصب وأفاء الله علی المسلمین بالری نحو من فئ المدائن وصالحه الزینبی علی أهل الری ومرزبه علیهم نعیم فلم یزل شرف الری فی أهل الزینبی الاکبر ومنهم شهرام وفرخام وسقط آل بهرام وأخر نعیم مدینتهم وهي التي یقال لها العتیقة یعنی مدینة الری وأمر الزینبی فبنی مدینة الری الحدیثی وكتب نعیم إلى عمر بالذی فتح الله علیه مع المضارب العجلی ووفد بالاخماس مع عتیبة بن النهاس وأبی مفرز فی وجوه من وجوه أهل الکوفة وأمد

[٢٣٢]

بکیر بن عبدالله بسماک بن خرشة الانصاری بعد ما فتح الری فسار بسماک إلى أذربيجان مددا لبکیر وكتب نعیم لاهل الری کتابا بسم الله الرحمن الرحیم هذا ما أعطی نعیم بن مقرن الزینبی بن قوله أعطاه الامان علی أهل الری ومن كان معهم من غیرهم علی الجزاء طاقة کل حالم فی کل سنة وعلی أن ینصحوا ویدلوا ولا یغلبوا ولا یسلوا وعلی أن یقروا المسلمین یوما ولیلة وعلی أن یفخموا المسلم فممن سب مسلما أو استخف به نهک عقوبة ومن ضربه قتل ومن بدل منهم فلم یسلم برمته فقد غیر جماعتکم وكتب وشهد وراسله المصمغان فی الصلح علی شئ یفتدی به منهم من غیر أن یسأله النصر والمینة فقبل منه وكتب بیته وینه کتابا علی غیر نصر ولا معونة علی أحد فجرى ذلك لهم بسم الله الرحمن الرحیم هذا کتاب من نعیم بن مقرن لمردانشاه مصمغان دنباوند وأهل دنباوند والخوار واللاز والشرانک آمن ومن دخل معک علی الکف أن تکف أهل أرضک وتتقی من ولی الفرج بمائتی ألف درهم وزن سبعة فی کل سنة لا یغار علیک ولا یدخل علیک إلا بإذن ما أقمت علی ذلك حتی تغیر ومن غیر فلا عهد له ولا لمن لم یسلمه وكتب وشهد فتح قومس قالوا ولما كتب نعیم بفتح الری مع المضارب العجلی ووفد بالاخماس كتب إليه عمر أن قدم سوید بن مقرن إلى قومس وابعث علی مقدمته سماک بن محرمة وعلی مجنبیه عتیبة بن النهاس وهند بن عمرو الجملي ففصل سوید بن مقرن فی تعبیته من الری نحو قومس فلم یقم له أحد فأخذها سلما وعسکر بها فلما شربوا من نهر لهم یقال له ملاذفشا فیهم القصر فقال لهم سوید غیروا ماءکم حتی تعودوا كأهله ففعلوا واستمرؤه وکاتبه الذین لجؤا إلى طبرستان منهم والذین أخذوا المفاوز فدعاهم إلى الصلح والجزاء وكتب لهم بسم الله الرحمن الرحیم هذا ما أعطی سوید بن مقرن أهل قومس ومن حشوا من الامان علی أنفسهم ومللهم وأموالهم علی أن یؤدوا الجزية عن ید عن کل حالم بقدر طاقته وعلی أن ینصحوا ولا یغشوا وعلی أن یدلوا وعلیهم نزل من نزل بهم من المسلمین یوما ولیلة من اوسط طعامهم وأن

[٢٣٣]

بدلوا واستخفوا بعهدهم فالذمة منهم بريئة وكتب وشهد فتح جرجان قالوا وعسكر سويد بن مقرن ببسطام وكتب ملك جرجان رزيان صول ثم سار إليها وكتبه رزيان صول وبادره بالصلح على أن يؤدي الجزاء ويكفيه حرب جرجان فإن غلب أعانه فقبل ذلك منه وتلقاه رزيان صول قبل دخول سويد جرجان فدخل معه وعسكر بها حتى جى إليه الخراج ويسمى فروجها فسدها بترك دهستان فرقع الجزاء عنم أقام يمنعها وأخذ الخراج من سائر أهلها وكتب بينهم وبينه كتابا بسم الله الرحمن الرحيم هذا كتاب من سويد بن مقرن لرزيان صول بن رزيان وأهل دهستان وسائر أهل جرجان إن لكم الذمة وعلينا المنعة على أن عليكم من الجزاء في كل سنة على قدر طاقتكم على كل حال ومن استعنا به منكم فله جزاء في معونته عوضا من جزائه ولهم الامان على أنفسهم وأموالهم ومللهم وشرائعهم ولا يغير شئ من ذلك هو إليهم ما أدوا وأرشدوا ابن السبيل ونصحوا وقرؤا المسلمين ولم يبد منهم سل ولا غل ومن أقام فيهم فله مثل ما لهم ومن خرج فهو آمن حتى يبلغ مأمنه وعلى أن من سب مسلما بلغ جهده ومن ضربه حل دمه شهد سواد ابن قطبة وهند بن عمرو وسماك بن مخزومة وعتيبة بن النهاس وكتب في سنة ثمان عشرة * وأما المدائني فإنه قال فيما حدثنا أبو زيد عنه فتحت جرجان في زمن عثمان سنة ثلاثين فتح طبرستان قالوا وأرسل الاصبهذ سويدا في الصلح على أن يتوادعا ويجعل له شيئا على غير نصر ولا معونة على أحد فقبل ذلك منه وجرى ذلك لهم وكتب له كتابا بسم الله الرحمن الرحيم هذا كتاب من سويد بن مقرن للفرخان اصبهذ خراسان على طبرستان وجيل جيلان من أهل العدو إنك آمن بأمان الله عزوجل على أن تكف لصوتك وأهل حواشي أرضك ولا تؤوى لنا بغية وتتقى من ولى فرج أرضك بخمسائة الف درهم من دراهم أرضك فإذا فعلت ذلك فليس لاحد منا أن يغير عليك ولا يتطرق

[٢٣٤]

أرضك ولا يدخل عليك إلا بإذنك سبيلنا عليكم بالاذن آمنة وكذلك سبيلكم ولا تؤوون لنا بغية ولا تسلون لنا إلى عدو ولا تغلون فإن فعلتم فلا عهد بيننا وبينكم شهد سواد بن قطبة التميمي وهند بن عمرو المرادي وسماك بن مخزومة الاسدي وسماك بن عبيد العبسي وعتيبة بن النهاس البكري وكتب سنة ثمان عشرة فتح آذربيجان قال ولما افتتح نعيم همذان ثانية وسار إلى الري من واج روذ كتب إليه عمر أن يبعث سماك بن خرشة الانصاري ممدا لبكير بن عبدالله بأذربيجان فأخر ذلك حتى افتتح الري ثم سرجه من الري فسار سماك نحو بكير بأذربيجان وكان سماك ابن خراشة وعتبة بن فرقد من أغنياء العرب وقدم الكوفة بالغنى وقد كان بكير سار حين بعث إليها حتى إذا طلع بحيال جرميدان طلع عليهم إسفندياذ بن الفرخزاذ مهزوما من واج روذ فكان أول قتال لقيه بأذربيجان فاقتتلوا فهزم الله جنده وأخذ بكير اسفندياذ أسيرا فقال له اسفندياذ الصلح أحب إليك أم الحرب قال بل الصلح قال فأمسكني عندك فإن أهل آذربيجان إن لم أصالح عليهم أو أجيئ لم يقيموا لك وجلوا إلى الجبال التي حولها من القبيح والروم ومن كان على التحصن تحصن إلى يوم ما فأمسكه عنده فأقام وهو في يده وصارت البلاد إليه إلا ما كان من حصن وقدم عليه سماك بن خرشة ممدا واسفندياذ في إيساره وقد افتتح ما يليه وافتتح عتبة بن فرقد ما يليه وقال بكير لسماك مقدمه عليه ومازحه ما الذي أصنع بك وبعتبة بأعنيين لئن أطعت ما في نفسي لامضين قدما ولا خلفنكما فإن شئت أقمت معي وإن شئت أتيت عتبة فقد أذنت لك فأني لا أراني تارككما وطالبا وجها هو أكره من هذا فاستعفي عمر فكتب إليه بالاذن على أن يتقدم نحو الباب وأمره أن يستخلف على عمله فاستخلف عتبة على الذي افتتح منها ومضى قدما ودفع اسفندياذ إلى عتبة فضمه عتبة إليه وأمر عتبة سماك بن خرشة وليس بأبي دجاجة على عمل بكير الذي كان افتتح

وجمع عمر آذربيجان كلها لعتبة بن فرقد قالوا وقد كان بهرام بن الفرخزاد أخذ بطريق عتبة بن فرقد وأقام له في عسكره

[٢٣٥]

حتى قدم عليه عتبة فاقتلوا فهزمه عتبة وهرب بهرام فلما بلغ الخبر بهزيمة بهرام ومهربه اسفندياذ وهو في الاسار عند بكير قال الآن تم الصلح وطفئت الحرب فصالحه وأجاب إلى ذلك كلهم وعادت آذربيجان سلما وكتب بذلك بكير وعتبة إلى عمر وبعثوا بما خمسوا مما أفاء الله عليهم ووفدوا الوفود بذلك وكان بكير قد سبق عتبة بفتح ما ولى وتم الصلح بعد ما هزم عتبة بهرام وكتب عتبة بينه وبين أهل آذربيجان كتابا حيث جمع له عمل بكير إلى عمله بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما أعطى عتبة بن فرقد عامل عمر بن الخطاب أمير المؤمنين أهل آذربيجان سهلها وجبلها وحواشيها وشفارها وأهل مللها كلهم الامان على أنفسهم وأموالهم ومللهم وشرائعهم على أن يؤدوا الجزية على قدر طاقتهم ليس على صبي ولا امرأة ولا زمن ليس في يديه شئ من الدنيا ولا متعبد متخل ليس في يديه من الدنيا شئ لهم ذلك ولمن سكن معهم وعليهم قرى المسلم من جنود المسلمين يوما وليلة ودلالته ومن حشر منهم في سنة وضع عنه جزاء تلك السنة ومن أقام فله مثل ما لمن أقام من ذلك ومن خرج فله الامان حتى يلجأ إلى حرزه وكتب جندب وشهد بكير بن عبدالله الليثي وسماك بن خرشة الانصاري وكتب في سنة ثمان عشرة (قالوا وفيها) قدم عتبة على عمر بالخبيص الذي كان أهده له وذلك أن عمر كان يأخذ عماله بموافاة الموسم في كل سنة يحجر عليهم بذلك الظلم ويحجزهم به عنه (وفي) هذه السنة كان فتح الباب في قول سيف وروايته قال وقالوا يعني الذين ذكرت إسماءهم قبل رد عمر أبو موسى إلى البصرة ورد سراقه بن عمرو وكان يدعى ذا النور إلى الباب وجعل على مقدمته عبدالرحمن بن ربيعة وكان أيضا يدعى ذا النور وجعل على إحدى المجنبتين حذيفة بن أسيد الغفاري وسمى للآخرى بكير بن عبدالله الليثي وكان بإزاء الباب قبل قدوم سراقه بن عمرو عليه وكتب إليه أن يلحق به وجعل على المقاسم سلمان بن ربيعة فقدم سراقه عبدالرحمن بن ربيعة وخرج في الاثر حتى

[٢٣٦]

إذا خرج من آذربيجان نحو الباب قدم على بكير في أداني الباب فاستدفع ببكير ودخل بلاد الباب على ما عباه عمر وأمه عمر بحبيب بن مسلمة صرفه إليه من الجزيرة وبعث زياد بن حنظلة مكانه على الجزيرة ولما أطل عبدالرحمن بن ربيعة على الملك بالباب والملك بها يومئذ شهريراز رجل من أهل فارس وكان على ذلك الفرج وكان أصله من أهل شهريراز الذي أفسد بني إسرائيل وأعرى الشام منهم فكاتبه شهريراز واستأمنه على أن يأتيه ففعل فاتاه فقال إنني بإزاء عدو كلب وأمم مختلفة لا ينسبون إلى أحساب وليس ينبغي لذي الحسب والعقل أن يعين أمثال هؤلاء ولا يستعين بهم على ذوى الاحساب والاصول وذو الحسب قريب ذي الحسب حيث كان ولست من القبيح في شئ ولا من الإيمن وإنكم قد غلبتم على بلادتي وأمّتي فانا اليوم منكم ويدي مع أيديكم وصغوى معكم وبارك الله لنا ولكم وجزيتنا إليكم النصر لكم والقيام بما تحبون فلا تذلونا بالجزية فتوهنونا لعدوكم فقال عبدالرحمن فوقى رجل قد أظلك فسر إليه فجوزه فسار إلى سراقه فلقيه بمثل ذلك فقال سراقه قد قبلت ذلك فيمن كان معك على هذا ما دام عليه ولا بد من الجزاء ممن يقيم ولا ينهض فقبل ذلك وصار سنة فيمن كان يحارب العدو من

المشركين وفيمن لم يكن عنده الجزاء إلا أن يستنفروا فتوضع عنهم جزاء تلك السنة وكتب سراقه إلى عمر بن الخطاب بذلك فأجازه وحسنه وليس لتلك البلاد التي في ساحة تلك الجبال نيك لم يقرم الارمن بها إلا على أوفاز وإنما هم سكان ممن حولها ومن الطراء استأصلت الغارات نيكها من أهل القرار وأرز أهل الجبال منهم إلى جبالهم وحلوا عن قرار أرضهم فكان لا يقيم بها إلا الجنود ومن أعانهم أو تجر إليهم واكتتبوا من سراقه بن عمرو كتابا بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما أعطى سراقه بن عمرو عامل أمير المؤمنين عمر بن الخطاب شهريز وسكان أرمينية والارمن من الامان أعطاهم أمانا لانفسهم وأموالهم وملتهم ألا يضاروا ولا ينتقصوا على أهل أرمينية والابواب الطراء منهم والتناء ومن حولهم فدخل معهم أن ينفروا لكل غارة وينفذوا لكل أمر ناب أو لم ينب رآه الوالي صلاحا

[٢٣٧]

على أن توضع الجزاء عمن أجاب إلى ذلك إلا الحشر والحشر عوض من جزائهم ومن استغنى عنه منهم وقعد فعليه مثل ما على أهل أذربيجان من الجزاء والدلالة والنزل يوما كاملا فإن حشروا وضع ذلك عنهم وإن تركوا أخذوا به شهد عبدالرحمن ابن ربيعة وسلمان بن ربيعة وبكير بن عبدالله وكتب مرضى بن مقرن وشهد ووجه سراقه بعد ذلك بكير بن عبدالله وحيب بن مسلمة وحذيفة بن أسيد وسلمان ابن ربيعة إلى أهل تلك الجبال المحيطة بأرمينية فوجه بكير إلى موقان ووجه حبيبا إلى تغليس وحذيفة بن أسيد إلى من بجبال اللان وسلمان بن ربيعة إلى الوجه الآخر وكتب سراقه بالفتح وبالذي وجه فيه هؤلاء نفر إلى عمر بن الخطاب فأتى عمر أمر لم يكن يرى أنه يستتم له على ما خرج عليه في سريح بغير مؤونة وكان فرجا عظيما به جند عظيم إنما ينتظر أهل فارس صنيعهم ثم يصنعون الحرب أو يبعثونها فلما استوثقوا واستحلوا عدل الاسلام مات سراقه واستخلف عبدالرحمن بن ربيعة قد مضى أولئك القواد الذين بعثهم سراقه فلم يفتح أحد منهم ما وجه له إلا بكير فإنه فض موقان ثم تراجعوا على الجزية فكتب لهم بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما أعطى بكير بن عبدالله أهل موقان من جبال القيج الامان على أموالهم وأنفسهم وملتهم وشرائعهم على الجزاء دينار على كل حالم أو قيمته والنصح ودلالة المسلم ونزله يومه وليلته فلهم الامان ما أقروا ونصحوا وعلينا الوفاء والله المستعان فإن تركوا ذلك واستبان منهم غش فلا أمان لهم إلا أن يسلموا الغششة برمتهم وإلا فهم متمالئون شهد الشماخ بن ضرار والرسارس بن جنادب وحملة بن جوية وكتب سنة إحدى وعشرين قالوا ولما بلغ عمر موت سراقه واستخلفه عبدالرحمن بن ربيعة أقر عبدالرحمن على فرج الباب وأمره بغزو الترك فخرج عبدالرحمن بالناس حتى قطع الباب فقال له شهريز ما تريد أن تصنع قال أريد بلنجر قال إنا لنرضى منهم أن يدعونا من دون الباب قال لكننا لا نرضى منهم بذلك حتى نأتيهم في ديارهم وتالله إن معنا لأقواما لو يأذن لنا أميرنا في الامعان لبلغت بهم الردم قال وما هم قال أقوام صحبوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ودخلوا في هذا الامر بنية كانوا

[٢٣٨]

أصحاب حياء وتكرم في الجاهلية فزاد حياؤهم وتكرمهم فلا يزال هذا الامر دائما لهم ولا يزال النصر معهم حتى يغيرهم من يغلبهم وحتى يلفتوا عن حالهم بمن غيرهم فغزا بلنجر غزاة في زمن عمر لم تتم فيها امرأة ولم ييتم فيها صبي وبلغ خيله في غزاتها البيضاء على رأس مائتي فرسخ من بلنجر ثم غزا فسلم ثم غزا غزوات في

زمان عثمان وأصيب عبدالرحمن حين تبدل أهل الكوفة في إمارة عثمان لاستعماله من كان ارتد استصلاحاً لهم فلم يصلحهم ذلك وزادهم فساداً أن سادهم من طلب الدنيا وعضلوا بعثمان حتى جعل يتمثل وكنت وعمراً كالمسمن كلبه * فخدشه أنيابه وأظافره (كتب إلي السري) عن شعيب عن سيف عن الغصن بن القاسم عن رجل عن سلمان بن ربيعة قال لما دخل عليهم عبدالرحمن بن ربيعة حال الله بين الترك والخروج عليه وقالوا ما اجترأ علينا هذا الرجل إلا ومعهم الملائكة تمنعهم من الموت فتحصنوا منه وهربوا فرجع بالغنم والظفر وذلك في إمارة عمر ثم إنه غزاهم غزوات في زمن عثمان ظفر كما كان يظفر حتى إذا تبدل أهل الكوفة لاستعمال عثمان من كان ارتد فغزاهم بعد ذلك تذامرت الترك وقال بعضهم لبعض إنهم لا يموتون قال انظروا وفعلوا فاختلفوا لهم في الغياض فرمى رجل منهم رجلاً من المسلمين على غرة فقتله وهرب عنه أصحابه فخرجوا عليه عند ذلك فاقتتلوا فاشتد قتالهم ونادى مناد من الجو صيراً آل عبدالرحمن وموعداكم الجنة فقاتل عبدالرحمن حتى قتل وانكشف الناس وأخذ الراية سلمان بن ربيعة فقاتل بها ونادى المنادى من الجو صيراً آل سلمان بن ربيعة فقال سلمان أو ترى جزعا ثم خرج بالناس وخرج سلمان وأبو هريرة الدوسى على جيلان فقطعوها إلى حرجان واجترأ الترك بعدها ولم يمنعهم ذلك من اتخاذ جسد عبدالرحمن فهم يستسقون به حتى الآن وحدث عمرو ابن معديكرب عن مطر بن ثلج التميمي قال دخلت على عبدالرحمن بن ربيعة بالباب وشهريزاد عنده فأقبل رجل عليه شحوية حتى دخل على عبدالرحمن فجلس إلى شهريزاد وعلى مطر قباء برود يمنية أرضه حمراء ووشيه أسود أو وشيه

[٢٣٩]

أحمر وأرضه سوداء فتساءلاً ثم إن شهريزاد قال أيها الأمير أتدري من أين جاء هذا الرجل هذا رجل بعثته مند سنين نحو السد لينظر ما حاله ومن دونه وزودته مالا عظيماً وكتبت له إلى من يليني وأهديت له وسألته أن يكتب له إلى من وراءه زودته لكل ملك هدية ففعل ذلك بكل ملك بينه وبينه حتى انتهى إليه فأنتهى إلى الملك الذي السد في ظهر أرضه فكتب له إلى عامله على ذلك البلد فأتاه فبعث معه بازياره ومعه عقابه فأعطاه حريرة قال فتشكر لي البازيار فلما انتهينا فإذا جيلان بينهما سد مسدود حتى ارتفع على الجبلين بعد ما استوى بهما وإذا دون السد خندق أشد سوداً من الليل لبعده فنظرت إلى ذلك كله وتفرست فيه ثم ذهبت لأنصرف فقال لي البازيار على رسلك أكافك إنه لا يلي ملك بعد ملك إلا تقرب إلى الله بأفضل ما عنده من الدنيا فيرمي به في هذا اللهب فشرح بضعة لحم معه فألقاها في ذلك الهواء وانقضت عليها العقاب وقال إن أدركتها قبل أن تقع فلا شئ وإن لم تدركها حتى تقع فذلك شئ فخرجت علينا العقاب باللحم في مخالبيها وإذا فيه ياقوتة فأعطانيها وها هي هذه فتناولها شهريزاد حمراء فناولها عبدالرحمن فنظر إليها ثم ردها شهريزاد وقال شهريزاد لهذه خير من هذا البلد يعني الباب وإيم الله لأنتم إلى ملكة من آل كسرى ولو كنت في سلطانهم ثم بلغهم خبرها لانتزعوها مني وإيم الله لا يقوم لكم شئ ما وفيتم ووفى ملككم الأكبر فأقبل عبدالرحمن على الرسول وقال ما حال هذا الردم وما شبهه فقال هذا الثوب الذي على هذا الرجل فنظر إلى ثوبي فقال مطر بن ثلج لعبد الرحمن ابن ربيعة صدق والله الرجل لقد نفذ ورأى فقال أجل وصف صفة الحديد والصفير وقال أتوني زبر الحديد إلى آخر الآية وقال عبدالرحمن لشهريزاد كم كانت هديتك قال قيمة مائة ألف في بلادها هذه وثلاثة آلاف ألف أو أكثر في تلك البلدان * وزعم الواقدي أن معاوية غزا الصائفة في هذه السنة ودخل بلاد الروم في عشرة آلاف من المسلمين * وقال بعضهم في هذه السنة كانت وفاة خالد بن الوليد (وفيها) ولد يزيد بن معاوية وعبد الملك بن مروان

(وحج) بالناس في هذه السنة عمر بن الخطاب وكان عامله على مكة عتاب بن أسيد وعلى اليمن يعلى بن أمية وعلى سائر أمصار

[٢٤٠]

المسلمين الذين كانوا عماله في السنة التي قبلها وقد ذكرناهم قبل (وفي هذه السنة) عدل عمر فتوح أهل الكوفة والبصرة بينهم ذكر الخبر بذلك (كتب إلي السري) عن شعيب عن سيف عن محمد وطلحة والمهلب وعمرو وسعيد قالوا أقام عمار بن ياسر عاملا على الكوفة سنة في إمارة عمر وبعض أخرى وكتب عمر بن سراقه وهو يومئذ على البصرة إلى عمر بن الخطاب يذكر له كثرة أهل البصرة وعجز خراجهم عنهم ويسأله أن يزيدهم أحد الماهين أو ماسيدان وبلغ ذلك أهل الكوفة فقالوا لعمار اكتب لنا إلى عمران رامهرمز وايدج لنا دونهم لم يعينونا عليهما بشئ ولم يلحقوا بنا حتى افتتحناهما فقال عمار مالي ولما ههنا فقال له عطارذ فمن علام تدع فيأنا أيها العبد الاجدع فقال لقد سببت أحب أذني إلى ولم يكتب في ذلك فأبغضوه ولما أبي أهل الكوفة إلا الخصومة فيهما لاهل البصرة شهد لهم أقوام على أبي موسى أنه قد كان آمن أهل رامهرمز وايدج وإن أهل الكوفة والنعمان راسلوهم وهم في أمان فأجاز لهم عمر ذلك وأجراها لاهل البصرة بشهادة والشهود وادعى أهل البصرة في إصبيهان قريات افتتحتها أبو موسى دون جي أيام أمدهم بهم عمر إلى عبدالله بن عبدالله بن عتيان فقال أهل الكوفة أتيتونا مددا وقد افتتحننا البلاد فأسيناكم في المغانم والذمة ذمتنا والأرض أرضنا فقال عمر صدقوا ثم إن أهل الايام وأهل القادسية من أهل البصرة أخذوا في أمر آخر حتى قالوا فليعطونا نصيبنا مما نحن شركاؤهم فيه من سوادهم وحواشيه فقال لهم عمر أترضون بماه وقال لاهل الكوفة أترضون أن نعطيهم من ذلك أحد الماهين فقالوا ما رأيت أنه ينبغي فاعمل به فأعطاهم ماه دينار بنصيبهم لمن كان شهد الايام والقادسية منهم إلى سواد البصرة ومهرجانقذق وكان ذلك لمن شهد الايام والقادسية من أهل البصرة ولما ولى معاوية بن أبي سفيان وكان معاوية هو الذي جند فنسرين من رافضة العراقيين أيام على وإنما كانت فنسرين رستاقا من رساتيق حمص حتى مصرها معاوية وجندها بمن ترك الكوفة والبصرة في ذلك الزمان وأخذ لهم معاوية بنصيبهم من فتوح العراق

[٢٤١]

أذربيجان والموصل والباب فضمها فيما ضم وكان أهل الجزيرة والموصل يومئذ ناقلة رميتا بكل من ترك هجرته من أهل البلدين وكانت الباب وأذربيجان والجزيرة والموصل من فتوح أهل الكوفة فنقل ذلك إلى من انتقل منهم إلى الشام أزمان علي وإلى من رميت به الجزيرة والموصل ممن كان ترك هجرته أيام علي وكفر أهل أرمينية زمان معاوية وقد أمر حبيب بن مسلمة على الباب وحبيب يومئذ بجرزان وكتب أهل تغليس وتلك الجبال ثم ناجزهم حتى استجابوا واعتقدوا من حبيب وكتب بينه وبينهم كتابا بعد ما كاتبهم: بسم الله الرحمن الرحيم من حبيب بن مسلمة إلى أهل تغليس من جرزان أرض الهرمز سلم أنتم فإني أحمد الله اليكم الذي لا إله إلا هو فإنه قد قدم علينا رسولكم تغلى فبلغ عنكم وأدى الذي بعثتم وذكر تغلى عنكم أنا لم نكن أمة فيما تحسبون وكذلك كنا حتى هدانا الله عزوجل بمحمد صلى الله عليه وسلم وأعزنا بالاسلام بعد قلة وذلة وجاهلية وذكر تغلى أنكم أحببتم سلمنا فما كرهت والذين آمنوا معي وقد بعثت اليكم عبدالرحمن بن جزء السلمي وهو من أعلمنا من أهل العلم بالله وأهل القرآن وبعثت معه بكتابي بأمانكم فإن

رضيتم دفعه اليكم وإن كرهتم أذنكم بحرب على سواء إن الله لا يحب الخائنين: بسم الله الرحمن الرحيم هذا كتاب من جيب بن مسلمة لاهل تغليس من جزران أرض الهرمز بالامان على أنفسكم وأموالكم ووصوامعكم وبيعكم وصلواتكم على الأقرار بصغار الجزية على كل أهل بيت دينار واف ولنا نصحكم ونصركم على عدو الله وعدونا وقرى المجتاز ليلة من حلال طعام أهل الكتاب وحلال شرابهم وهداية الطريق في غير ما يضر فيه بأحد منكم فإن أسلمتم وأقمتم الصلاة وآتيتم الزكاة فإخواننا في الدين وموالينا ومن تولى عن الله ورسله وكتبه وحزبه فقد أذناكم بحرب على سواء إن الله لا يحب الخائنين شهد عبدالرحمن بن خالد والحجاج وعباض وكتب رباح وأشهد الله وملائكته والذين آمنوا وكفى بالله شهيدا (وفي هذه السنة) عزل عمر ابن الخطاب عمارا عن الكوفة واستعمل أبا موسى في قول بعضهم وقد ذكرت ما قال الواقدي في ذلك قبل

[٢٤٢]

(ذكر السبب في ذلك) قد تقدم ذكرى بعض سبب عزله ونذكر بقيته * ذكر السري فيما كتب به إلي عن شعيب عن سيف عن تقدم ذكرى من شيوخه قال قالوا وكتب أهل الكوفة عطارد ذلك وأناست معه إلى عمر في عمار وقالوا إنه ليس بأمر ولا يحتمل ما هو فيه ونزا به أهل الكوفة فكتب عمر إلى عمار أن أقبل فخرج بوفد من أهل الكوفة ووفد رجالا ممن يرى أنهم معه فكانوا أشد عليه ممن تخلف فجزع فقبل له يا أبا اليقظان ما هذا الجزع فقال والله ما أحمد نفسي عليه ولقد ابتليت به وكان سعد ابن مسعود الثقفي عم المختار وجريز بن عبدالله معه فسعيا به وأخبرا عمر بأشياء يكرهها فعزله عمر ولم يوله (كتب إلي السري) عن شعيب عن سيف عن الوليد ابن جميع عن أبي الطفيل قال قيل لعمار أساءك العزل فقال والله ما سرنى حين استعملت ولقد ساءني حين عزلت (كتب إلي السري) عن شعيب عن سيف عن إسماعيل ابن أبي خالد ومجالد عن الشعبي قال قال عمر لاهل الكوفة أي منزليكم أعجب اليكم يعني الكوفة أو المدائن وقال إنني لاسألكم وإنني لاعرف فضل أحدهما على الآخر في وجوهكم فقال جريز أما منزلنا هذا الأدنى فإنه أدنى محلّة من السواد من البر وأما الآخر فوعك البحر وغمه وبعوضه فقال عمار كذبت فقال عمر لعمار بل أنت أكذب منه وقال ما تعرفون من أميركم عمار فقال جريز هو والله غير كاف ولا مجز ولا عالم بالسياسة (كتب إلي السري) عن شعيب عن سيف عن زكرياء ابن سياه عن هشام بن عبدالرحمن الثقفي أن سعد بن مسعود قال والله ما تدرى على ما استعملت فقال عمر على ما استعملتك يا عمار قال على الحيرة وأرضها فقال قد سمعنا بالحيرة تجارا تختلف إليها قال وعلى أي شئ قال على بابل وأرضها قال قد سمعت بذكرها في القرآن قال وعلى أي شئ قال على المدائن وما حولها قال أمداين كسرى قال نعم قال وعلى أي شئ قال على مهرجان قذق وأرضها قالوا قد أخبرناك أنه لا يدري على ما بعثته فعزله عنهم ثم دعاه بعد ذلك فقال أساءك حين عزلتك فقال والله ما فرحت به حين بعثتني ولقد ساءني حين عزلتني فقال

[٢٤٣]

لقد علمت ما أنت بصاحب عمل ولكني تأولت ونريد أن نمّن على الذين استضعفوا في الأرض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين (كتب إلي السري) عن شعيب عن سيف عن خليد بن ذفرة النمري عن أبيه بمثله وزيادة فقال أو تحمد نفسك بمعرفة من تعالجه منذ قدمت وقال والله يا عمار لا ينتهي بك حدك حتى يلقى في هنة وتالله لنن

أدركك عمر لترقن ولئن رقت لتبتلين فسل الله الموت ثم أقبل على أهل الكوفة فقال من تريدون يا أهل الكوفة فقالوا أبا موسى فأمره عليهم بعد عمار فأقام عليهم سنة فباع غلامه العلف وسمعه الوليد بن عبد شمس يقول ما صحبت قوما قط إلا أترتهم ووالله ما منعتني أن أكذب شهود البصرة إلا صحبتهم ولئن صحبتكم لامنحنكم خيرا فقال الوليد ما ذهب بأرضنا غيرك ولا جرم لا تعمل علينا فخرج وخرج معه نفر فقالوا لا حاجة لنا في أبي موسى قال ولم قالوا غلام له يتجر في حشرنا فعزله عنهم وصرفه إلى البصرة وصرف عمر بن سراققة إلى الجزيرة وقال لأصحاب أبي موسى الذين شخصوا في عزله من أهل الكوفة أقوى مشدد أحب إليكم أم ضعيف مؤمن فلم يجد عندهم شيئا فتحنى فخلا في ناحية المسجد فنام فأتاه المغيرة بن شعبة فكلاه حتى استيقظ فقال ما فعلت هذا يا أمير المؤمنين إلا من عظيم فهل نأبك من نائب قال وأي نائب أعظم من مائة ألف لا يرضون عن أمير ولا يرضى عنهم أمير وقال في ذلك ما شاء الله واختطت الكوفة حين اختطت على مائة ألف مقاتل وأتاه أصحابه فقالوا يا أمير المؤمنين ما شأنك قال شأنني أهل الكوفة قد عضلوا بي وأعاد عليهم عمر المشورة التي استشار فيها فأجابته المغيرة فقال أما الضعيف المسلم فضعفه عليك وعلى المسلمين وفضله له وأما القوى المشدد فقوته لك وللمسلمين وشداذه عليه وله فيعته عليهم (كتب إلي السري) عن شعيب عن سيف عن محمد بن عبدالله عن سعيد بن عمرو أن عمر قال قبل أن استعمل المغيرة ما تقولون في تولية رجل ضعيف مسلم أو رجل قوى مشدد فقال المغيرة أما الضعيف المسلم فان إسلامه لنفسه وضعفه عليك وأما القوى المشدد فان شداذه لنفسه وقوته للمسلمين قال فانا باعثوك يا مغيرة فكان المغيرة عليها حتى

[٢٤٤]

مات عمر رضى الله تعالى عنه وذلك نحو من سنتين وزيادة فلما ودعه المغيرة للذهاب إلى الكوفة قال له يا مغيرة ليأمنك الأبرار وليخفك الفجار ثم أراد عمر أن يبعث سعدا على عمل المغيرة فقتل قبل أن يبعثه فأوصى به وكان من سنة عمر وسيرته أن يأخذ عماله بموافاة الحج في كل سنة للسياسة وليحجرهم بذلك عن الرعية وليكون لشكاة الرعية وقتا وغاية ينهونها فيه إليه (وفي هذه السنة) غزا الأحنف بن قيس في قول بعضهم خراسان وحارب يزيدجرد وأما في رواية سيف فان خروج الأحنف إلى خراسان كان في سنة ثمان عشرة من الهجرة (ذكر مصير يزيدجرد إلى خراسان وما كان السبب في ذلك) اختلف أهل السير في سبب ذلك وكيف كان الأمر فيه فأما ما ذكره سيف عن أصحابه في ذلك فانه فيما كتب به إلي السري عن شعيب عن سيف عن محمد وطلحة والمهلب وعمر وقالوا كان يزيدجرد بن شهربار بن كسرى وهو يومئذ ملك فارس لما انهزم أهل جلولاء خرج يريد الرى وقد جعل له محمل واحد يطبق ظهره بعيره فكان إذا سار نام فيه ولم يعرس بالقوم فانتهوا به إلى مخاضة وهو نائم في محمله فأنبهوه ليعلم ولئلا يفزع إذا خاض البعير إن هو استيقظ فعنفهم وقال بئسما صنعتم والله لو تركتموني لعلمت ما مدة هذه الامة إنني رأيت أني ومحمدا تناجينا عند الله فقال له أملكهم مائة سنة فقال زدني فقال عشرين ومائة سنة فقال زدني فقال عشرين ومائة سنة فقال لك وأنبهتموني فلو تركتموني لعلمت ما مدة هذه الامة فلما انتهى إلى الرى وعليها أبان جاذويه وثب عليه فأخذه فقال يا أبان جاذويه تغدر بي قال لا ولكن قد تركت ملكك وصرار في يد غيرك فأحبت أن أكتب على ما كان لي من شئ وما أردت من غير ذلك وأخذ خاتم يزيدجرد ووصل الأدم واكتتب الصكاك وسجل السجلات بكل ما أعجبه ثم ختم عليها ورد الخاتم ثم أتى بعد سعدا فرد عليه كل شئ في كتابه ولما صنع أبان جاذويه بيزدجرد ما صنع خرج يزيدجرد من الرى إلى أصبهان وكره

آبان جاذويه فارا منه ولم يأمنه ثم عزم على كرمان فأتاها والنار معه فأراد أن يضعها في كرمان ثم عزم على

[٢٤٥]

خراسان فأتى مرو فنزلها وقد نقل النار فبنى لها بيتا واتخذ بستانا وبنى أزجا فرسخين من مرو إلى البستان فكان على رأس فرسخين من مرو واطمان في نفسه وأمن أن يؤتي وكاتب من مرو من بقي من الاعاجم فيما لم يفتحه المسلمون فدانوا له حتى أثار أهل فارس والهرمزان فنكثوا وثار أهل الجبال والفيرزان فنكثوا وصار ذلك داعية إلى إذن عمر للمسلمين في الانسياح فانساح أهل البصرة وأهل الكوفة حتى أثنوا في الأرض فخرج الاحنف إلى خراسان فأخذ على مهرجان فذق ثم خرج إلى أصبهان وأهل الكوفة محاصرو جي فدخل خراسان من الطبيين فافتتح هراة عنوة واستخلف عليها صحرار بن فلان العبيدي ثم سار نحو مرو الشاهجان وأرسل إلى نيسابور وليس دونها قتال مطرف بن عبدالله بن الشيخير والحارث بن حسان إلى سرخس فلما دنا الاحنف من مرو الشاهجان خرج منها يزجرود نحو مرو الروذ حتى نزلها ونزل الاحنف مرو الشاهجان وكتب يزجرود وهو بمرو الروذ إلى خاقان يستمده وكتب إلى ملك الصغد يستمده فخرج رسوله نحو خاقان وملك الصغد وكتب إلى ملك الصين يستعينه وخرج الاحنف من مرو الشاهجان واستخلف عليها حارثة بن النعمان الباهلي بعد ما لحقت به أمداد أهل الكوفة على أربعة أمراء علقمة بن النضر النضري وربيعي بن عامر التميمي وعبد الله ابن أبي عقيل الثقفي وابن أم غزال الهمداني وخرج سائرا نحو مرو الروذ حتى إذا بلغ ذلك يزجرود خرج إلى بلخ ونزل الاحنف مرو الروذ وقدم أهل الكوفة فساروا إلى بلخ وأتبعهم الاحنف فالتقى أهل الكوفة ويزجرود ببلخ فهزم الله يزجرود وتوجه في أهل فارس إلى النهر فعبر ولحق الاحنف بأهل الكوفة وقد فتح الله عليهم فبلخ من فتوح أهل الكوفة وتتابع أهل خراسان ممن شذ أو تحصن على الصلح فيما بين نيسابور إلى طخارستان ممن كان في مملكة كسرى وعاد الاحنف إلى مرو الروذ فنزلها واستخلف على طخارستان رباعي بن عامر وهو الذي يقول فيه النجاشي ونسبه إلى أمه وكانت من أشرف العرب: ألا رب من يدعى فتى ليس بالفتى * ألا إن رباعي ابن كأس هو الفتى

[٢٤٦]

طويل قعود القوم في قعر بيته * إذا شبعوا من ثفل جفنته سقى وكتب الاحنف إلى عمر بفتح خراسان فقال لوددت اني لم أكن بعثت إليها جندا ولوددت أنه كان بيننا وبينها بحر من نار فقال علي ولم يا أمير المؤمنين قال لان أهلها سينقضون منها ثلاث مرات فيحتاجون في الثالثة فكان أن يكون ذلك بأهلها أحب إلي من أن يكون بالمسلمين (كتب إلي السري) عن شعيب عن سيف عن أبي عبدالرحمن الفزاري عن أبي الجنوب اليشكري عن علي بن أبي طالب عليه السلام قال لما قدم على عمر فتح خراسان قال لوددت أن بيننا وبينها بحرا من نار فقال علي وما يشئد عليك من فتحها فان ذلك لموضع سرور قال أجل ولكنني حتى أتى على آخر الحديث (كتب إلي السري) عن شعيب عن سيف عن عيسى بن المغيرة وعن رجل من بكر بن وائل يدعى الوازع بن زيد بن خليفة قال لما بلغ عمر غلبه الاحنف على المرويين وبلخ قال وهو الاحنف وهو سيد أهل المشرق المسمى بغير اسمه وكتب عمر إلي الاحنف أما بعد فلا تجوزن النهر واقتصر على ما دونه وقد عرفتم بأي شئ دخلتم على خراسان فداوموا على الذي دخلتم به خراسان يدم لكم النصر وإياكم

أن تعبوا فتنفضوا ولما بلغ رسولا يزيدجرد خاقان وغوزك لم يستتب لهما إنجاده حتى عبر إليهما النهر مهزوما وقد استتب فأنجده خاقان والملوك ترى على أنفسها إنجاد الملوك فأقبل في الترك وحشر أهل فرغانة والصغد ثم خرج بهم وخرج يزيدجرد راجعا إلى خراسان حتى عبر إلى بلخ وعبر معه خاقان فأرز أهل الكوفة إلى مرو الروذ إلى الاحنف وخرج المشركون من بلخ حتى نزلوا على الاحنف بمروالروذ وكان الاحنف حين بلغه عبور خاقان والصغد نهر بلخ غازيا له خرج في عسكره ليلا يتسمع هل يسمع برأى ينتفع به فمر برجلين ينقيان علفا اما تبنا وإما شعيرا واحدهما يقول لصاحبه لو أن الامير أسندنا إلى هذا الجبل فكان النهر بيننا وبين عدونا خندقا وكان الجبل في ظهورنا من أن نؤتى من خلفنا وكان قتالنا من وجه واحد رجوت أن ينصرنا الله فرجع واحتزا بها وكان في ليلة مظلمة فلما أصبح جمع الناس ثم قال إنكم قليل

[٢٤٧]

وإن عدوكم كثير فلا يهولنكم فكم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله والله مع الصابرين ارتحلوا من مكانكم هذا فأسندوا إلى هذا الجبل فاجعلوه في ظهوركم واجعلوا النهر بينكم وبين عدوكم وقاتلوهم من وجه واحد ففعلوا وقد أعدوا ما يصلحهم وهو في عشرة آلاف من أهل البصرة وأهل الكوفة نحو منهم وأقبلت الترك ومن أجلبت حتى نزلوا بهم فكانوا يغادرونهم ويرأونهم ويتنحون عنهم بالليل ما شاء الله وطلب الاحنف علم مكانهم بالليل فخرج ليلة بعد ما علم علمهم طليعة لأصحابه حتى كان قريبا من عسكر خاقان فوقف فلما كان في وجه الصبح خرج فارس من الترك بطوقه وضرب بطبله ثم وقف من العسكر موقفا يقفه مثله فحمل عليه الاحنف فاختلفا طعنتين فطعنه الاحنف فقتله وهو يرتجز ويقول: إن على كل رئيس حقا * أن يخضب الصعدة أو تندقا إن لنا شيئا بها ملقى * سيف أبي حفص الذي تبقى ثم وقف موقف التركي وأخذ طوقه وخرج آخر من الترك ففعل فعل صاحبه الاول ثم وقف دونه فحمل عليه الاحنف فاختلفا طعنتين فطعنه الاحنف فقتله وهو يرتجز إن الرئيس يرتبى ويطلع * ويمنع الخلاء إما أربعا ثم وقف موقف التركي الثاني وأخذ طوقه ثم خرج ثالث من الترك ففعل فعل الرجلين ووقف دون الثاني منهما فحمل عليه الاحنف فاختلفا طعنتين فطعنه الاحنف فقتله وهو يرتجز جرى الشמוש ناجزا بناجز * محتفلا في جريه مشارز ثم انصرف الاحنف إلى عسكره ولم يعلم بذلك أحد منهم حتى دخله واستعد وكان من شيمة الترك أنهم لا يخرجون حتى يخرج ثلاثة من فرسانهم كهؤلاء كلهم يضرب بطبله ثم يخرجون بعد خروج الثالث فخرجت الترك ليلتئذ بعد الثالث فأتوا على فرسانهم مقتلين فتشأم خاقان وتطير فقال قد طال مقامنا وقد أصيب

[٢٤٨]

هؤلاء القوم بمكان لم يصب بمثله قط مالنا في قتال هؤلاء القوم من خير فانصرفوا بنا فكان وجوههم راجعين وارتفع النهار للمسلمين ولا يرون شيئا واثاهم الخبر بانصراف خاقان إلى بلخ وقد كان يزيدجرد بن شهريار بن كسرى ترك خاقان بمرو الروذ وخرج إلى مرو الشاهجان فتحصن منه حارثة بن النعمان ومن معه فحصرهم واستخرج خزائنه من موضعها وخاقان ببلخ مقيم له فقال المسلمون للاحنف ما ترى في اتباعهم فقال أقيموا بمكانكم ودعوهم ولما جمع يزيدجرد ما كان في يديه مما وضع بمرو فأعجل عنه وأراد أن يستقل به منها إذ هو أمر عظيم من خزائن أهل فارس وأراد اللحاق بخاقان فقال له أهل فارس أي شئ تريد أن تصنع فقال أريد اللحاق بخاقان فأكون معه أو

بالصين فقالوا له مهلا فإن هذا رأى سوء إنك إنما تأتي قوما في مملكتهم وتدع أرضك وقومك ولكن ارجع بنا إلى هؤلاء القوم فنصالحهم فإنهم أوفياء وأهل دين وهم يلون بلادنا وإن عدوا يلينا في بلادنا أحب إلينا مملكة من عدو يلينا في بلاده ولا دين لهم ولا ندرى ما وفاؤهم فأبى عليهم وأبو عليه فقالوا فدرع خزائننا نردها إلى بلادنا ومن يلينا ولا نخرجها من بلادنا إلى غيرها فأبى فقالوا فإننا لا ندعك فاعتزلوا وتركوه في حاشيته فاقتتلوا فهزموه وأخذوا الخزائن واستولوا عليها ونكبوه ؟ وكتبوا ؟ إلى الاحنف بالخبر فاعترضهم المسلمون والمشركون بمرور يثفنونهم فقاتلوه وأصابوه في آخر القوم وأعجلوه عن الانتقال ومضى موائلا حتى قطع النهر إلى فرغانة والتربك فلم يزل مقيما زمان عمر رضى الله عنه كله يكاتبهم ويكاتبونه أو من شاء الله منهم فكفر أهل خراسان زمان عثمان وأقبل أهل فارس على الاحنف فصالحوه وعافدوه ودفعوا إليه تلك الخزائن والاموال وتراجعوا إلى بلدانهم وأمواهم على أفضل ما كانوا في زمان الاكاسرة فكانوا كأنما هم في ملكهم إلا أن المسلمين أوفى لهم وأعدل عليهم فاغتبطوا وغبطوا وأصاب الفارس يوم يزدجرد كسهم الفارس يوم القادسية ولما خلع أهل خراسان زمان عثمان أقبل يزدجرد حتى نزل بمرور فلما اختلف هو ومن معه وأهل خراسان أوى إلى طاحونة فأتوا عليه يأكل من كرد حول

[٢٤٩]

الرحى فقتلوه ثم رموا به في النهر ولما أصيب يزدجرد بمرور وهو يومئذ مختبئ في طاحونة يريد أن يطلب اللحاق بكرمان فاحتوى فيئه المسلمون والمشركون وبلغ ذلك الاحنف فسار من فوره ذلك في الناس إلى بلخ يريد خاقان ويتبع حاشية يزدجرد وأهله في المسلمين والمشركين من أهل فارس وخاقان والتربك ببلخ فلما سمع بما ألقى يزدجرد وبخروج المسلمين مع الاحنف من مروالروذ نحوه ترك بلخ وعبر النهر وأقبل الاحنف حتى نزل بلخ ونزل أهل الكوفة في كورها الاربع ثم رجع إلى مرو الروذ فنزل بها وكتب بفتح خاقان ويزدجرد إلى عمر وبعث إليه بالاخماس ووفد إليه الوفود قالوا ولما عبر خاقان النهر وعبرت معه حاشية آل كسرى أو من أخذ نحو بلخ منهم مع يزدجرد لفقوا رسول يزدجرد الذي كان بعث إلى ملك الصين وأهدى إليه معه ومعه جواب كتابه من ملك الصين فسأله عما وراءه فقال لما قدمت عليه بالكتاب والهدايا كافأنا بما ترون وأراهم هديته وأجاب يزدجرد فكتب بهذا الكتاب بعد ما كان قال لي قد عرفت أن حقا على الملوك إنجاز الملوك على من غلبهم فصف لي صفة هؤلاء القوم الذين أخرجوكم من بلادكم فإنني أراك تذكر قلة منهم وكثرة منكم ولا يبلغ أمثال هؤلاء القليل الذين تصف منكم فيما أسمع من كثرتكم إلا بخبر عندهم وشر فيكم فقلت سلني عما أحببت فقال أيوفون بالعهد قلت نعم قال وما يقولون لكم قبل أن يقاتلوكم قلت يدعوننا إلى واحدة من ثلاث إما دينهم فإن أجبناهم أجرونا مجراهم أو الجزية والمنعة أو المنايذة قال فكيف طاعتهم أمراءهم قلت أطوع قوم لمرشدهم قال فما يحلون وما يحرمون فاخبرته فقال أيحرمون ما حلل لهم أو يحلون ما حرم عليهم قلت لا قال فإن هؤلاء القوم لا يهلكون أبدا حتى يحلوا حرامهم ويحرموا حلالهم ثم قال أخبرني عن لباسهم فاخبرته وعن مطاياهم فقلت الخيل العربا ووصفتها فقال نعمت الحصون هذه ووصفت له الابل وبروكها وانبعائها بحملها فقال هذه صفة دواب طوال الاعناق وكتب له إلى يزدجرد أنه لم يمعني أن أبعث إليك بجيش أوله بمرور وأخره بالصين الجهالة بما يحق علي ولكن هؤلاء القوم الذين

[٢٥٠]

وصف لي رسولك صفتهم لو يحاولون الجبال لهدوها ولو خلى لهم سربهم أزالوني ما داموا على ما وصف فسالمهم وأرض منهم بالمساكنة ولا تهجمهم ما لم يهيجوك وأقام يزدجرد وآل كسرى بفرغانة معهم عهد من خافان ولما وقع الرسول بالفتح والوفد بالخبر ومعهم الغنائم يعمر بن الخطاب من قبل الاحنف جمع الناس وخطبهم وأمر بكتاب الفتح فقرأ عليهم فقال في خطبته إن الله تبارك وتعالى ذكر رسوله صلى الله عليه وسلم وما بعثه به من الهدى ووعد على اتباعه من عاجل الثواب وأجله خير الدنيا والآخرة فقال " هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون " فالحمد لله الذي أنجز وعده ونصر حنده ألا إن الله قد أهلك ملك المجوسية وفرق شملهم فليسوا يملكون من بلادهم شبرا يضر بمسلم ألا وإن الله قد أورثكم أرضهم وديارهم وأموالهم وأبناءهم لينظر كيف تعملون ألا وإن المصريين من مسالحها اليوم كأنتم والمصريين فيما مضى من البعد وقد غلوا في البلاد والله بالغ أمره ومنجز وعده ومنتبع آخر ذلك أوله فقوموا في أمره على رجل يوف لكم بعده ويؤتكم وعده ولا تبدلوا ولا تغيروا فيستبدل الله بكم غيركم فإنني لا أخاف على هذه الأمة أن تؤتى إلا من قبلكم (قال أبو جعفر) ثم إن أداني أهل خراسان وأقاصيه اعتراضوا زمان عثمان بن عفان لسنتين خلنا من إمارته وسنذكر بقية خبر انتقاضهم في موضعه إن شاء الله مع مقتل يزدجرد (وحج) بالناس في هذه السنة عمر بن الخطاب وكانت عماله على الامصار فيها عماله الذين كانوا عليها في سنة ٢١ غير الكوفة والبصرة فإن عامله على الكوفة وعلى الاحداث كان المغيرة بن شعبة وعلى البصرة أبا موسى الأشعري ثم دخلت سنة ثلاث وعشرين فكان فيها فتح اصطخر في قول أبي معشر حدثني بذلك أحمد بن ثابت الرازي قال حدثنا محدث عن اسحاق بن عيسى عن أبي معشر قال كانت اصطخر الاولى وهمذان سنة ٢٣ وقال الواقدي مثل ذلك وقال سيف كان فتح اصطخر بعد توج الآخرة

[٢٠١]

ذكر الخبر عن فتح توج (كتب إلى السري) عن شعيب عن سيف عن محمد وطلحة والمهلب وعمرو قالوا خرج أهل البصرة الذين وجهوا إلى فارس أمراء على فارس ومعهم سارية ابن زعيم ومن بعث معهم إلى ما وراء ذلك وأهل فارس مجتمعون بتوج فلم يصمدوا لجمعهم بجموعهم ولكن قصد كل أمير كورة منهم قصد إمارته وكورته التي أمر بها وبلغ ذلك أهل فارس فافترقوا إلى بلدانهم كما افترق المسلمون ليمنعوها وكانت تلك هزيمتهم وتشتت أمورهم وتفرق جموعهم فتطير المشركون من ذلك وكأنما كانوا ينظرون إلى ما صاروا إليه فقصد مجاشع بن مسعود لسابور وأردشير خره فيمن معه من المسلمين فالتقوا بتوج وأهل فارس فاقتتلوا ما شاء الله ثم إن الله عزوجل هزم أهل توج للمسلمين وسلط عليهم المسلمين فقتلوهم كل قتلة وبلغوا منهم ما شاؤا وغنمهم ما في عسكرهم فحووه وهذه توج الآخرة ولم يكن لها بعدها شوكة والاولى التي تنفذ فيها جنود العلاء أيام طاوس الواقعة التي اقتتلوا فيها والوقعتان الاولى والآخره كلتاها متساجلتان ثم دعوا إلى الجزية والذمة فراجعوا وأقروا وخمس مجاشع الغنائم وبعث بها ووفد وفدا وقد كانت البشراء والوفود يجازون وتقضى لهم حوائجهم لسنة جرت بذلك من رسول الله صلى الله عليه وسلم (كتب إلى السري) عن شعيب عن سيف عن محمد بن سوقة عن عاصم بن كليب عن أبيه قال خرجنا مع مجاشع بن مسعود غازين توج فحاصرناها وقتلناهم ما شاء الله فلما افتتحناها وحوينا نهبها نهبها كثيرا وقتلنا قتلى عظيمة وكان على قميص قد تحرق فأخذت إبرة وسلكا وجعلت أخيط قميصي بها ثم إنني نظرت إلى رجل في القتلى عليه قميص فنزعته فأتيت به الماء فجعلت أضربه بين حجرين حتى ذهب ما فيه فلبسته فلما جمعت

الرثة قام مجاشع خطيبا فحمد الله وأثنى عليه فقال أيها الناس لا تغلوا فإنه من غل جاء بما غل يوم القيامة ردوا ولو لمخيط فلما سمعت ذلك نزع القميص فألقيته في الأخماس فتح اصطرخ قال وقصد عثمان بن أبي العاص لاصطرخ فالتقى هو وأهل اصطرخ بجور

[٢٥٢]

فاقتلوا ما شاء الله ثم إن الله عزوجل فتح لهم جور وفتح المسلمون اصطرخ فقتلوا ما شاء الله وأصابوا ما شاءوا وفر من فر ثم إن عثمان دعا الناس إلى الجزاء والذمة فراسلوه وراسلهم فأجابهم الهربرز وكل من هرب أو تنحى فتراجعوا وباحوا بالجزاء وقد كان عثمان لما هزم القوم جمع إليهم ما أفاء الله عليهم فخمسه وبعث بالخمسة إلى عمر وقسم أربعة أخماس المغنم في الناس وعفت الجند عن النهاب وأدوا الأمانة واستدفوا الدنيا فجمعهم عثمان ثم قام فيهم وقال إن هذا الأمر لا يزال مقبلا ولا يزال أهله معافين مما يكرهون ما لم يغلوا فإذا غلوا رأوا ما ينكرون ولم يسد الكثير مسد القليل اليوم (كتب إلي السري) عن شعيب عن سيف عن أبي سفيان عن الحسن قال قال عثمان بن أبي العاص يوم اصطرخ إن الله إذا أراد بقوم خيرا كفهم ووفر أمانتهم فاحفظوها فإن أول ما تفقدون من دينكم الأمانة فإذا فقدتموها جدد لكم في كل يوم فقدان شئ من أموركم ثم إن شهرك خلع في آخر إمارة عمر وأول إمارة عثمان ونشط أهل فارس ودعاهم إلى النقض فوجه إليه عثمان بن أبي العاص ثانية وبعث معه جنود أمد بهم عليهم عبيد الله بن معمر وشبل بن معبد البجلي فالتقوا بفارس فقال شهرك لابنه وهو في المعركة وبينهم وبين قرية لهم تدعى شهرك ثلاثة فراسخ وكان بينهم وبين قراهم اثنا عشر فرسخا يا بني أين يكون غداؤنا ههنا أو بشهرك فقال يا أبت إن تركونا فلا يكون غداؤنا ههنا ولا بشهرك ولا يكون إلا في المنزل ولكن والله ما أراهم يتركونا فما فرغا من كلامهما حتى أنشب المسلمون القتال فاقتلوا قتالا شديدا قتل فيه شرك وابنه وقتل الله عزوجل منهم مقتلة عظيمة وولى قتل شهرك الحكم بن العاص بن دهمان أخو عثمان * وأما أبو ممشر فإنه قال كانت فارس الأولى واصطرخ الآخرة في سنة ٢٨ قال وكانت فارس الآخرة وجور سنة ٢٩ حدثني بذلك أحمد بن ثابت الرازي قال حدثني مع من سمع إسحاق بن عيسى يذكر ذلك عن أبي معشر وحدثني عبدالله بن أحمد بن شيبه المروزي قال حدثني أبي قال حدثنا سليمان بن صالح قال حدثني عبدالله قال أخبرنا عبيدالله بن سليمان قال كان عثمان بن أبي العاص أرسل إلى

[٢٥٣]

البحرين فأرسل أخاه الحكم بن أبي العاص في ألفين إلى توج وكان كسرى قد فر عن المدائن ولحق بجور من فارس قال فحدثني زياد مولى الحكم بن أبي العاص عن الحكم بن أبي العاص قال قصد إلى شهرك قال عبيد وكان كسرى أرسله قال الحكم فصعد إلى في الجنود فهبطوا من عقبة عليهم الحديد فخشيت أن تعشو أبصار الناس فأمرت مناديا فنادى أن من كان عليه عمامة فليلفها على عينيه ومن لم يكن عليه عمامة فليغمض بصره وناديت أن حطوا عن دوابكم فلما رأى شهرك ذلك حط أيضا ثم ناديت أن اركبوا فصفنا لهم وركبوا فجعلت الجارود العبيدي على اليمين وأبا صفرة على الميسرة يعني أبا المهلب فحملوا على المسلمين فهزموهم حتى ما أسمع لهم صوتا فقال لي الجارود أيها الأمير ذهب الجند فقلت إنك ستري أمرك فما لبثنا أن رجعت خيلهم ليس عليها فرسانها والمسلمون يتبعونهم يقتلونهم فنثرت الرؤوس بين يدي ومعني بعض

ملوكهم يقال له المكعب فارق كسرى ولحق بي فأثيت برأس ضخم فقال المكعب هذا رأس الازدهاق يعني شهرك فحوصروا في مدينة سابور فصالحهم وملكهم أذربيان فاستعان الحكم بأذربيان على قتال أهل اصطخر ومات عمر رضى الله عنه فبعث عثمان عبيد الله بن معمر مكانه فبلغ عبيدالله أن أذربيان يريد أن يغدر بهم فقال له إنني أحب أن تتخذ لأصحابي طعاما وتذبح لهم بقرة وتجعل عظامها في الجفنة التي تليني فإني أحب أن أتمشش العظام ففعل فجعل يأخذ العظم الذي لا يكسر إلا بالفؤوس فكسره بيده فيتمخه وكان من أشد الناس فقام الملك فأخذ برجله وقال هذا مقام العائد فأعطاه عهدا فأصاب عبيدالله منجنيقة فأوصاهم فقال إنكم ستفتحون هذه المدينة إن شاء الله فاقتلوهم بي فيها ساعة ففعلوا فقتلوا منهم بشرا كثيرا وكان عثمان بن أبي العاص لحق الحكم وقد هزم شهرك فكتب إلى عمر إن بيني وبين الكوفة فرجة أخاف أن يأتيني العدو منها وكتب صاحب الكوفة بمثل ذلك أن بيني وبين كذا فرجة فانفق عنده الكتابان فبعث أبا موسى في سبعمائة فأنزلهم البصرة

[٢٥٤]

ذكر فتح فساودرابجرد (كتب إلي السري) عن شعيب عن سيف عن محمد وطلحة والمهلب وعمرو قالوا وقصد سارية بن زنيم فساودرابجرد حتى انتهى إلى عسكرهم فنزل عليهم وحاصرهم ما شاء الله ثم إنهم استمدوا فتجمعوا وتجمعت إليهم أكراد فارس فدهم المسلمين أمر عظيم وجمع كثير فرأى عمر في تلك الليلة فيما يرى النائم معركتهم وعددهم في ساعة من النهار فنادى من الغد الصلاة جامعة حتى إذا كان في الساعة التي رأى فيها ما رأى خرج إليهم وكان أربهم والمسلمون بصحراء ان أقاموا فيها أحيط بهم وان أرزوا إلى جبل من خلفهم لم يؤتوا إلا من وجه واحد ثم قام فقال يا أيها الناس إنني رأيت هذين الجمعين وأخير بحالهما ثم قال يا سارية الجبل الجبل ثم أقبل عليهم وقال إن لله جنودا ولعل بعضها أن يبلغهم ولما كانت تلك الساعة من ذلك اليوم أجمع سارية والمسلمون على الاسناد إلى الجبل ففعلوا وقتلوا القوم من وجه واحد فهزمهم الله لهم وكتبوا بذلك إلى عمر واستيلائهم على البلد ودعاء أهله وتسكينهم (كتب إلي السري) عن شعيب عن سيف عن أبي عمر دثار ابن أبي شبيب عن أبي عثمان وأبي عمرو بن العلاء عن رجل من بني مازن قال كان عمر قد بعث سارية بن زنيم الدثلي إلى فساودرابجرد فحاصرهم ثم إنهم تداعوا فاصحروا له وكثروه فأتوه من كل جانب فقال عمر وهو يخطب في يوم جمعة يا سارية ابن زنيم الجبل الجبل ولما كان ذلك اليوم وإلى جنب المسلمين جبل ان لجؤا إليه لم يؤتوا إلا من وجه واحد فلجؤا إلى الجبل ثم قاتلوهم فهزمهم فاصاب مغانمهم وأصاب في المغانم سफطا فيه جوهر فاستوهبه المسلمين لعمر فوهبوه له فبعث به مع رجل وبالفتح وكان الرسل والوفد يجازون وتقضى لهم حوائجهم فقال له سارية استقرض ما تبلغ به وما تخلفه لاهلك على جائزتك فقدم الرجل البصرة ففعل ثم خرج فقدم على عمر فوجده يطعم الناس ومعه عصاه التي يزجر بها بغيره فقصد له فأقبل عليه بها فقال اجلس فجلس حتى إذا أكل انصرف عمر وقام فاتبعه فظن عمر أنه رجل لم يشبع فقال حين انتهى إلى باب داره أدخل وقد أمر الخباز أن

[٢٥٥]

يذهب بالخوان إلى مطبخ المسلمين فلما جلس في البيت أتى بغدائه خبز وزيت وملح جريش فوضع وقال ألا تخرجين يا هذه فتأكلين قالت انى لاسمع حس رجل فقال أجل فقالت لو أردت أن أبرز للرجال

اشترت لي غير هذه الكسوة فقال أو ما ترصين أن يقال أم كلثوم بنت علي وامرأة عمر فقالت ما أقل غناء ذلك عني ثم قال للرجل ادن فكل فلو كانت راضية لكان أطيب مما ترى فأكلا حتى إذا فرغ قال رسول سارية بن زنيمة يا أمير المؤمنين فقال مرحبا وأهلا ثم أدناه حتى مست ركبته ركبته ثم سأله عن المسلمين ثم سأله عن سارية بن زنيمة فأخبره ثم أخبره بقصة الدرج فنظر إليه ثم صاح به ثم قال لا ولا كرامة حتى تقدم على ذلك الجند فتقسمه بينهم فطرده فقال يا أمير المؤمنين إنني قد أنضيت إبلني واستقرضت في جائزتي فأعطني ما أتبلغ به فما زال عنه حتى أبدله بعيرا ببعيره من ابل الصدقة وأخذ بعيره فأدخله في ابل الصدقة ورجع الرسول مغضوبا عليه محروما حتى قدم البصرة فنفذ لأمر عمر وقد كان سأله أهل المدينة عن سارية وعن الفتح وهل سمعوا شيئا يوم الواقعة فقال نعم سمعنا يا سارية الجبل وقد كدنا نهلك فلجانا إليه ففتح الله علينا (كتب إلي السري) عن شعيب عن سيف عن المجالد عن الشعبي مثل حديث عمرو ذكر فتح كرمان (كتب إلي السري) عن شعيب عن سيف عن محمد وطلحة والمهلب وعمرو قالوا وقصد سهيل بن عدي إلى كرمان ولحقه عبدالله بن عبدالله بن عتيان وعلى مقدمة سهيل بن عدي النسير بن عمرو العجلي وقد حشد له أهل كرمان واستعانوا بالقفس فاقتتلوا في أدنى أرضهم ففضهم الله فاخذوا عليهم بالطريق وقتل النسير مرزيانها فدخل سهيل من قبل طريق القرى القوم إلى جبرفت وعبد الله بن عبدالله من مغازة شير فأصابوا ما شاؤا من بعيرا وشاء فقوموا الابل والغنم فتحاصوها بالاثمان لعظم البخت على العراب وكرهوا أن يزيدوا وكتبوا إلى عمر فكتب إليهم أن البعير العربي انما قوم بتعبير اللحم وذلك مثله فإذا رأيتم أن في

البخت فضلا فزيدوا فانما هي من قيمه وأما المدائني فانه ذكر علي بن مجاهد أخبره عن حنبل بن أبي حريذة وكان قاضي قهستان عن مرزيان قهستان قال فتح كرمان عبدالله بن بديل بن ورقاء الخزاعي في خلافة عمر بن الخطاب ثم أتى الطيسين من كرمان ثم قدم على عمر فقال يا أمير المؤمنين اني افتتحت الطيسين فأقطعنيهما فاراد أن يفعل فقبل لعمر انهما رستاقان عظيمان فلم يقطعه اياهما وهما بابا خراسان ذكر فتح سجستان قالوا وقصد عاصم بن عمرو لسجستان ولحقه عبدالله بن عمير فاستقبلوهم فالتقوا هم وأهل سجستان في أدنى أرضهم فهزموهم ثم اتبعوهم حتى حصروهم بزرنج ومخروا أرض سجستان ما شاؤا ثم انهم طلبوا الصلح على زرنج وما احتازوا من الارضين فأعطوه وكانوا قد اشتروا في صلحهم ان فدافدها حمى فكان المسلمون إذا خرجوا تناذروا خشية ان يصيبوا منها شيئا فيخفروا فتم أهل سجستان على الخراج والمسلمون على الاعطاء فكانت سجستان اعظم من خراسان وابتعد فروجا يقاتلون القندهار والترك وأمما كثيرة وكانت فيما بين السند إلى نهر بلخ بحياته فلم تزل أعظم البلدين وأصعب الفرجين وأكثرهما عددا وجندا حتى زمان معاوية فهرب الشاه من أخيه واسم أخي الشاه يومئذ رتبيل إلى بلد فيها يدعى أمل ودانوا السلم بن زياد وهو يومئذ على سجستان ففرح بذلك وعقد لهم وأنزلهم بتلك البلاد وكتب إلى معاوية بذلك يرى انه قد فتح عليه فقال معاوية إن ابن أخي ليفرح بامر إنه ليحزنني وينبغي له أن يحزنه قالوا ولم يا أمير المؤمنين قال لان أمل بلدة بينها وبين زرنج صعوبة وتضايق وهؤلاء قوم نكر غدر فيضطرب الجبل غدا فأهون ما يجيء منهم أن يغلبوا على بلاد أمل بأسرها وتم لهم على عهد ابن زياد فلما وقعت الفتنة بعد معاوية كفر الشاه وغلب على أمل وخاف رتبيل الشاه فاعتصم منه بمكانه الذي هو به اليوم ولم يرضه ذلك حين تشاغل الناس عنه حتى طمع في زرنج فغزاها فحصرهم حتى أتتهم الامداد من البصرة

فصار رتبيل والذين جاؤا معه فنزلوا تلك البلاد شجا لم ينتزع إلى اليوم وقد كانت تلك البلاد مذلة إلى أن مات معاوية فتح مكران قالوا وقصد الحكم بن عمرو التغلبي لمكران حتى انتهى إليها ولحق به شهاب ابن المخارق بن شهاب فانضم إليه وأمدته سهيل بن عدي وعبد الله بن عبدالله بن عتيان بأنفسهما فانتهوا إلى دوين النهر وقد انفض أهل مكران إليه حتى نزلوا على شاطئه فعسكروا وعبر إليهم راسل ملكهم ملك السند فازدلف بهم مستقبلي المسلمين فالتقوا فاقتتلوا بمكان من مكران من النهر على أيام بعد ما كان قد انتهى إليه أوائلهم وعسكروا به ليلحق أخراهم فهزم الله راسل وسلبه وأباح المسلمين عسكره وقتلوا في المعركة مقتلة عظيمة وأتبعوهم يقتلونهم أياما حتى انتهوا إلى النهر ثم رجعوا فأقاموا بمكران وكتب الحكم إلى عمر بالفتح وبعث بالاحماس مع صحار العبدي واستأمره في القبيلة فقدم صحار على عمر بالخبر والمغانم فسأله عمر عن مكران وكان لا يأتيه أحد إلا سأله عن الوجه الذي يجيء منه فقال يا أمير المؤمنين أرض سهلها جبل وماؤها وشل، وثمرها دقل، وعدوها بطل، وخيرها قليل، وشورها طويل، والكثير بها قليل، والقليل بها ضائع، وما وراءها شر منها فقال أسجاع أنت أم مخبر قال لا بل مخبر قال لا والله لا يغزوها جيش لي ما أطعت وكتب إلى الحكم ابن عمرو وإلى سهيل أن لا يجوزن مكران أحد من جنودكما واقصرا على ما دون النهر وأمره ببيع القبيلة بأرض الاسلام وقسم أثمانها على من أفاءها الله عليه وقال الحكم بن عمرو في ذلك لقد شبع الارامل غير فخر * فئ جاءهم من مكران أتاهم بعد مسغبة وجهد * وقد صفر الشتاء من الدخان فإني لا يذم الجيش فعلى * ولا سيفي يذم ولا سناني غداة أدفع الاوباش دفعا * إلى السند العريضة والمداني ومهران لنا فيما أردنا * مطيع غير مسترخى العنان

فلولا ما نهى عنه أميري * قطعناه إلى البدد الزواني خير بيروذ من الاهواز قالوا ولما فصلت الخيول إلى الكور اجتمع بيروذ جمع عظيم من الاكراد وغيرهم وكان عمر قد عهد إلى أبي موسى حين سارت الجنود إلى الكور أن يسير حتى ينتهي إلى ذمة البصرة كي لا يؤتى المسلمون من خلفهم وخشى أن يستلحم بعض جنوده أو ينقطع منهم طرف أو يخلفوا في أعقابهم فكان الذي حذر من اجتماع أهل بيروذ وقد أبطأ أبو موسى حتى تجمعوا فخرج أبو موسى حتى ينزل بيروذ على الجمع الذي تجمعوا بها في رمضان فالتقوا بين نهر تيري ومناذر وقد توافي إليها أهل النجدات من أهل فارس والاكراذ ليكيدوا المسلمين وليصيبوا منهم عورة ولم يشكوا في واحدة من اثنتين فقام المهاجر بن زياد وقد تحنط واستقتل فقال لابي موسى أقسم على كل صائم لما رجع فأفطر فرجع أخوه فيمن رجع لابرار القسم وإنما أراد بذلك توجيه أخيه عنه لئلا يمنعه من الاستقتال وتقدم فقاتل حتى قتل ووهن الله المشركين حيث تحصنوا في قلة وذلة واقبل أخوه الربيع فقال هبى يا والى الدنيا واشتد جزعه عليه فرق أبو موسى للربيع للذي رآه دخله من مصاب أخيه فخلفه عليهم في جند وخرج أبو موسى حتى بلغ أصبهان فلقى بها جنود أهل الكوفة محاصري جي ثم انصرف إلى البصرة بعد ظفر الجنود وقد فتح الله على الربيع ابن زياد أهل بيروذ من نهر تيري وأخذ ما كان معهم من السبي فتنقى أبو موسى رجالا منهم ممن كان لهم فداء وقد كان الفداء أرد على المسلمين من أعيانهم وقيمتهم فيما بينهم ووفد الوفود والاحماس فقام رجل من عنزة فاستوفده فأبى فخرج فسعى به فاستجلبه عمر وجمع بينهما فوجد أبا موسى أعذر إلا في أمر

خادمه فضعفه فرده إلى عمله وفجر الآخر وتقدم إليه في أن لا يعود لمثلها (كتب إلى السري) عن شعيب عن سيف عن محمد وطلحة والمهلب وعمرو قالوا لما رجع أبو موسى عن أصبهان بعد دخول الجنود الكور وقد هزم الربيع أهل بيروذ وجمع السبي والاموال فغدا على ستين غلاما من أبناء الدهاقين تنقاهم وعزلهم وبعث بالفتح

[٢٥٩]

إلى عمر ووفد وفدا فجاءه رجل من عنزة فقال اكتنبي في الوفد فقال قد كتبتنا من هو أحق منك فانطلق مغاضبا مراغما وكتب أبو موسى إلى عمر أن رجلا من عنزة يقال له ضبة بن محصن كان من أمره وقص قصته فلما قدم الكتاب والوفد والفتح على عمر قدم العنزي فأتى عمر فسلم عليه فقال من أنت فأخبره فقال لا مرحبا ولا أهلا فقال أما المرحب فمن الله وأما الأهل فلا أهل فاختلف إليه ثلاثا يقول له هذا ويرد عليه هذا حتى إذا كان في اليوم الرابع دخل عليه فقال ماذا نعمت على أميرك قال تنقى ستين غلاما من أبناء الدهاقين لنفسه وله جارية تدعى عقيلة تغدى جفنة وتعشى جفنة وليس منا رجل يقدر على ذلك وله قفيزان وله خاتمان وفوضي إلى زياد بن أبي سفيان وكان زياد يلي أمور البصرة وأجاز الحطيئة بالف فكتب عمر كل ما قال فبعث إلى أبي موسى فلما قدم حجه أياما ثم دعا به ودعا ضبة بن محصن ودفع إليه الكتاب فقال اقرأ ما كتبت فقرأ أخذ ستين غلاما لنفسه فقال أبو موسى دللت عليهم وكان لهم فداء ففديتهم فأخذته فقسمته بين المسلمين فقال ضبة والله ما كذب ولا كذبت وقال له قفيزان فقال أبو موسى قفيز لاهلي أفوتهم وقفيز للمسلمين في أيديهم يأخذون به أرزاقهم فقال ضبة والله ما كذب ولا كذبت فلما ذكر عقيلة سكت أبو موسى ولم يعتذر وعلم أن ضبة قد صدقه قال وزياد يلي أمور الناس ولا يعرف هذا ما يلي قال وجدت له نبلا ورأيا فأسندت إليه عملي قال وأجاز الحطيئة بالف قال سددت فمه بمالي أن يشتمني فقال قد فعلت ما فعلت فرده عمر وقال إذا قدمت فأرسل إلى زيادا وعقيلة ففعل فقدمت عقيلة قبل زياد وقدم زياد فقام بالباب فخرج عمر وزياد بالباب قائم وعليه ثياب بياض كتان فقال ما هذه الثياب فأخبره فقال كم أثمانها فأخبره بشئ يسير وصدقه فقال له كم عطاؤك قال ألفان قال ما صنعت في أول عطاء خرج لك قال اشتريت والدتي فأعتقتها واشتريت في الثاني ربيبي عبيدا فأعتقته فقال وفقت وسأله عن الفرائض والسنن والقرآن فوجده فقيها فرده وأمر أمراء البصرة أن يشربوا برأيه وحبس عقيلة بالمدينة وقال عمر ألا إن ضبة العنزي غضب على أبي موسى في الحق أن

[٢٦٠]

أصابه وفارقه مراغما إن فاته أمر من أمر الدنيا فصدق عليه وكذب فأفسد كذبه صدقه فأياكم والكذب فإن الكذب يهدي إلى النار وكان الحطيئة قد لقيه فأجازه في غزاة بيروذ وكان أبو موسى قد ابتداء حصارهم وغزاتهم حتى فلهم ثم جازهم ووكل بهم الربيع ثم رجع إليهم بعد الفتح فولى القسم (كتب إلى السري) عن شعيب عن سيف عن أبي عمر عن الحسن عن أسيد بن المششمس بن أخي الاحنف ابن قيس قال شهدت مع أبي موسى يوم أصبهان فتح القرى وعليها عبدالله بن ورقاء الرياحي وعبد الله بن ورقاء الاسدي ثم إن أبا موسى صرف إلى الكوفة واستعمل على البصرة عمر بن سراقة المخزومي بدوى ثم إن أبا موسى رد على البصرة فمات عمر وأبو موسى على البصرة على صلاتها وكان عملها مفتقرا غير مجموع وكان عمر ربما بعث إليه فأمد به بعض الجنود فيكون مدد بعض

الجيش ذكر خبر سلمة بن قيس الأشجعي والاكراد * حدثني
عبدالله بن كثير العبدي قال حدثنا جعفر بن عون قال أخبرنا أبو جناب
قال حدثنا أبو المحجل الرديني عن مخلد البكري وعلقمة بن مرثد
عن سليمان بن بريدة أن أمير المؤمنين كان إذا اجتمع إليه جيش من
أهل الايمان أمر عليهم رجلا من أهل العلم والفقہ فاجتمع إليه
جيش فبعث عليهم سلمة بن قيس الأشجعي فقال سر باسم الله
قاتل في سبيل الله من كفر بالله فإذا لقيتم عدوكم من المشركين
فادعوهم إلى ثلاث خصال ادعوهم إلى الاسلام فإن أسلموا فاختاروا
دارهم فعملهم في أموالهم الزكاة وليس لهم في فئ المسلمين
نصيب وإن اختاروا أن يكونوا معكم فلهم مثل الذي لكم وعليهم مثل
الذي عليكم فإن أبوا فادعوهم إلى الخراج فإن أقرؤ بالخراج فقاتلوا
عدوهم من ورائهم وفرغوهم لخراجهم ولا تكلفوهم فوق طاقتهم فإن
أبوا فقاتلوهم فإن الله ناصركم عليهم فإن تحصنوا منكم في حصن
فسألوكم أن ينزلوا على حكم الله وحكم رسوله فلا تنزلوهم على
حكم الله فإنكم لا تدرون ما حكم الله ورسوله فيهم وإن سألوكم أن
ينزلوا على ذمة الله وذمة رسوله فلا تعطوهم ذمة الله وذمة رسوله
واعطوهم ذمة أنفسكم فإن قاتلوكم فلا تغلوا ولا تغدروا

[٢٦١]

ولا تمثلوا ولا تقتلوا وليدا قال سلمة فسرنا حتى لقينا عدونا من
المشركين فدعوناهم إلي ما أمر به أمير المؤمنين فأبوا أن يسلموا
فدعوناهم إلى الخراج فأبوا أن يقرؤ فقاتلناهم فنصرنا الله عليهم
فقتلنا المقاتلة وسببنا الذرية وجمعنا الرثة فرأى سلمة ابن قيس
شيئا من حلية فقال إن هذا لا يبلغ فيكم شيئا فتطيب أنفسكم أن
نبعث به إلى أمير المؤمنين فإن له بردا ومؤونة قالوا نعم قد طابت
أنفسنا قال فجعل تلك الحلية في سبط ثم بعث برجل من قومه
فقال اركب بها فإذا أتيت البصرة فاشتر على جوائز أمير المؤمنين
راحتين فأوفروهما زادا لك ولغلامك ثم سر إلى أمير المؤمنين قال
ففعلت فأتيت أمير المؤمنين وهو يغدى الناس متكئا على عصا كما
يصنع الراعي وهو يدور على القصاع يقول يا يرفأ زد هؤلاء لحما زد
هؤلاء خبزا زد هؤلاء مرقة فلما دفعت إليه قال اجلس فجلست في
أدنى الناس فإذا طعام فيه خشونة طعامي الذي معي أطيب منه
فلما فرغ الناس قال يا يرفأ ارفع قصاعك ثم أدبر فأتعته فدخل دارا ثم
دخل حجرة فاستأذنت وسلمت فأذن لي فدخلت عليه فإذا هو
جالس على مسح متكئ على وسادتين من أدم محشوتين ليفا
فنبذ إلى ياحدهما فجلست عليها وإذا بهو في صفة فيها بيت عليه
ستير فقال يا أم كلثوم غداءنا فأخرجت إليه خبزة بزيت في عرضها
ملح لم يدق فقال يا أم كلثوم ألا تخرجين إلينا تاكلين معنا من هذا
قالت إنني أسمع عندك حس رجل قال نعم ولا أراه من أهل البلد قال
فذلك حين عرفت أنه لم يعرفني قالت لو أردت أن أخرج إلي الرجال
لكسوتني كما كسا ابن جعفر امرأته وكما كسا الزبير امرأته وكما
كسا طلحة امرأته قال وما يكفيك أن يقال أم كلثوم بنت علي بن أبي
طالب وامرأة أمير المؤمنين عمر فقال كل فلو كانت راضية لاطمعتك
أطيب من هذا قال فأكلت قليلا وطعامي الذي معي أطيب منه وأكل
فما رأيت أحد أحسن أكلا منه ما يتلبس طعامه بيده ولا فمه ثم قال
اسقونا فجاءوا بعس من سلت فقال أعط الرجل قال فشربت قليلا
سويقي الذي معي أطيب منه ثم أخذه فشربه حتى قرع القدر
جبهته وقال الحمد لله الذي أطعمنا فاشبعنا وسقانا فأروانا قال قلت
قد أكل أمير المؤمنين فشيح

[٢٦٢]

وشرب فروى حاجتي يا أمير المؤمنين قال وما حاجتك قال قلت أنا رسول سلمة ابن قيس قال مرحبا بسلمة بن قيس ورسوله حدثني عن المهاجرين كيف هم قال قلت هم يا أمير المؤمنين كما تحب من السلامة والظفر على عدوهم قال كيف أسعاهم قال قلت أرخص أسعار قال كيف اللحم فيهم فانها شجرة العرب ولا تصلح العرب إلا بشجرتها قال قلت البقرة فيهم بكذا والشاة فيهم بكذا يا أمير المؤمنين سرنا حتى لقينا عدونا من المشركين فدعوناهم إلى ما أمرتنا به من الاسلام فأبوا فدعوناهم إلى الخراج فأبوا فقاتلناهم فنصرنا الله عليهم فقتلنا المقاتلة وسبينا الذرية وجمعنا الرثة فرأى سلمة في الرثة حلية فقال للناس إن هذا لا يبلغ فيكم شيئا فتطيب أنفسكم أن أبعث به إلى أمير المؤمنين فقالوا نعم فاستخرجت سفطي فلما نظر إلى تلك الفصوص من بين أحمر وأصفر وأخضر وثب ثم جعل يده في خاصرته ثم قال لا أشيع الله إذا بطن عمر قال فظن النساء إنني أريد أن أغتاله فجئن إلى الستر فقال كف ما جئت به يابرفأجأ عنقه قال فأنا أصلح سفطي وهو يجأ عنقي قلت يا أمير المؤمنين أبدع بي فاحملني قال يا يرفأ أعطه راحلتين من الصدقة فإذا لقيت أفقر إليها منك فادفعهما إليه قلت أفعل يا أمير المؤمنين فقال أما والله لئن تفرق المسلمون في مشاتيهم قبل أن يقسم هذا فيهم لافعلن بك وبصاحبك الفاقرة قال فارتحلت حتى أتيت سلمة فقلت ما بارك الله لي فيما اختصصتني به أقسم هذا في الناس قبل أن يصينني وإياك فاقرة فقسمة فيهم والفص يباع بخمسة دراهم وستة دراهم وهو خير من عشرين ألفا * وأما السرى فانه ذكر فيما كتب به إلى يذكر عن شعيب عن سيف عن أبي جناب عن سليمان بن بريدة قال لقيت رسول سلمة بن قيس الاشجعي قال كان عمر ابن الخطاب إذا اجتمع إليه جيش من العرب ثم ذكر نحو حديث عبدالله بن كثير عن جعفر بن عون غير أنه قال في حديثه عن شعيب عن سيف وأعطوهم ذمهم أنفسهم قال فلقينا عدونا من الاكراد فدعوناهم وقال أيضا وجمعنا الرثة فوجد فيها سلمة حقتين جوهرًا فجعلها في سبط وقال أيضا أوما كفاك أن يقال أم كلثوم بنت علي بن أبي طالب امرأة عمر بن الخطاب قالت إن ذلك عني لقليل الغناء قال

[٢٦٣]

كل وقال أيضا فجاءوا بعس من سلت كلما حركوه فار فووه مما فيه وإذا تركوه سكن ثم قال اشرب فشربت قليلا شرابي الذي معي أطيب منه فأخذ القدح فضرب به جبهته ثم قال إنك لضعيف الاكل ضعيف الشرب وقال أيضا قلت رسول سلمة قال مرحبا بسلمة ورسوله وكأنما خرجت من صلبه حدثني عن المهاجرين وقال أيضا ثم قال لا أشيع الله إذا بطن عمر قال وطن النساء أني قد اغتلتته فكشفن الستر وقال يابرفأجأ عنقه فوجأ عنقي وأنا أصيح وقال النجاء وأظنك ستبطنى وقال أما والله الذي لا إله غيره لئن تفرق الناس إلى مشاتيهم وسائر الحديث نحو حديث عبدالله بن كثير * وحدثنا الربيع بن سليمان قال حدثنا أسد بن موسى قال حدثنا شهاب بن خراش الحوشبي قال حدثنا احجاج بن دينار عن منصور ابن المعتمر عن شقيق بن سلمة الاسدي قال حدثنا الذي جرى بين عمر بن الخطاب وسلمة بن قيس قال ندب عمر بن الخطاب الناس إلى سلمة بن قيس الاشجعي بالحيرة فقال انطلقوا باسم الله ثم ذكر نحو حديث عبدالله بن كثير عن جعفر (قال أبو جعفر) وحج عمر بأزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم في هذه السنة وهي آخر حجة حجها بالناس حدثني بذلك الحارث قال حدثنا ابن سعد عن الواقدي (وفي هذه السنة) كانت وفاته ذكر الخبر عن مقتله * حدثني سلمة بن جنادة قال حدثنا سليمان بن عبد العزيز بن أبي ثابت بن عبد العزيز بن عمر بن عبدالرحمن بن عوف قال حدثنا أبي عن عبدالله بن جعفر عن أبيه عن المسور بن مخرمة وكانت أمه عاتكة بنت عوف

قال خرج عمر بن الخطاب يوما يطوف في السوق فلقبه أبو لؤلؤة غلام المغيرة بن شعبة وكان نصرانيا فقال يا أمير المؤمنين اعديني على المغيرة بن شعبة فإن على خراجا كثيرا قال وكم خراجك قال درهمان في كل يوم قال وإيش صناعتك قال نجار نقاش حداد قال فما أرى خراجك بكثير على ما تصنع من الاعمال قد بلغني أنك تقول لو أردت أن أعمل رحى تطحن بالريح فعلت قال نعم قال فاعمل لي رحى قال

[٢٦٤]

لئن سلمت لاعملن لك رحى يتحدث بها من بالمشرق والمغرب ثم انصرف عنه فقال عمر رضى اله تعالى عنه لقد توعديني العبد أنفا قال ثم انصرف عمر إلى منزله فلما كان من الغد جاءه كعب الاحبار فقال له يا أمير المؤمنين اعهد فإنك ميت في ثلاثة أيام قال وما يدريك قال أحده في كتاب الله عزوجل التوراة قال عمر الله إنك لتجد عمر بن الخطاب في التوراة قال اللهم لا ولكني أجد صفتك وحليتك وأنه قد فنى أجلك قال وعمر لا يحس وجعا وألما فلما كان من الغد جاءه كعب فقال يا أمير المؤمنين ذهب يوم وبقي يومان قال ثم جاءه من غد الغد فقال ذهب يومان وبقي يوم وليلة وهي لك إلى صبيحتها قال فلما كان الصبح خرج عمر إلى الصلاة وكان يوكل بالصفوف رجالا فإذا استوت جاء هو فكبر قال ودخل أبو لؤلؤة في الناس في يده خنجر له رأسان نصابه في وسطه فضرب عمر ست ضربات إحداهن تحت سرتة وهي التي قتلته وقتل معه كليب بن أبي البكير الليثي وكان خلفه فلما وجد عمر حر السلاح سقط وقال أفي الناس عبدالرحمن بن عوف قالوا نعم يا أمير المؤمنين هو ذا قال تقدم فصل بالناس قال فصلى عبدالرحمن بن عوف وعمر طريح ثم احتمل فأدخل داره فدعا عبدالرحمن بن عوف فقال إني أريد أن أعهد إليك فقال يا أمير المؤمنين نعم إن أشرت على قبيلت منك قال وما تريد قال أنشدك الله أشير علي بذلك قال اللهم لا قال والله لا أدخل فيه أبدا قال فهب لي صمتا حتى أعهد إلى النفر الذين توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو عنهم راض ادع لي عليا وعثمان والزبير وسعدا قال وانتظروا أحاكم طلحة ثلاثا فان جاء والا فاقضوا أمركم أنشدك الله يا علي ان وليت من أمور الناس شيئا أن تحمل بني هاشم على رقاب الناس أنشدك الله يا عثمان ان وليت من أمور الناس شيئا أن تحمل بني أبي معيط على رقاب الناس أنشدك الله يا سعد ان وليت من أمور الناس شيئا أن تحمل أقاربك على رقاب الناس قوموا فتشاوروا ثم اقضوا أمركم وليصل بالناس صهيب ثم دعا أبا طلحة الانصاري فقال قم على بابهم فلا تدع أحدا يدخل إليهم وأوصى الخليفة من بعدي بالانصار الذين تبوءوا

[٢٦٥]

الدار والايما ان يحسن إلى محسنهم وأن يعفو عن مسيئهم وأوصى الخليفة من بعدي بالعرب فانها مادة الاسلام أن يؤخذ من صدقاتهم حقا فتوضع في فقرائهم وأوصى الخليفة من بعدي بذمة رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يوفى لهم بعهدهم اللهم هل بلغت تركت الخليفة من بعدي على أنقى من الراحة يا عبد الله بن عمر أخرج فانظر من قتلني فقال يا أمير المؤمنين قتلك أبو لؤلؤة غلام المغيرة بن شعبة قال الحمد لله الذي لم يجعل منيتي بيد رجل سجد لله سجدة واحدة يا عبد الله بن عمر اذهب إلى عائشة فسلها أن تأذن لي أن أدفن مع النبي صلى الله عليه وسلم وأبي بكر يا عبد الله بن عمر ان اختلف القوم فكن مع الاكثر وان كانوا ثلاثة وثلاثة فاتبع الحزب الذي فيه عبدالرحمن يا عبد الله انذن للناس قال فجعل

يدخل عليه المهاجرين والانصار فيسلمون عليه ويقول لهم اعن ملاء منكم كان هذا فيقولون معاذ الله قال ودخل في الناس كعب فلما نظر إليه عمر أنشأ يقول فأوعدني كعب ثلاثا أعدها * ولا شك أن القول ما قال لي كعب وما بي حذار الموت إنني لميت * ولكن حذار الذنب يتبعه الذنب قال فقبل له يا أمير المؤمنين لو دعوت الطبيب قال فدعى طبيب من بني الحارث ابن كعب فسقاه نبيذا فخرج النبيذ مشكلا قال فاسقوه لنا قال فخرج اللبن أبيض فقبل له يا أمير المؤمنين اعهد قال قد فرغت قال ثم توفى ليلة الاربعاء لثلاث ليال يقين من ذي الحجة سنة ٢٣ قال فخرجوا به بكرة يوم الاربعاء فدفن في بيت عائشة مع النبي صلى الله عليه وسلم وأبي بكر قال وتقدم صهيب فصلى عليه وتقدم قبل ذلك رجلان من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم علي وعثمان قال فتقدم واحد من عند رأسه والآخر من عند رجليه فقال عبدالرحمن لا إله إلا الله ما أحرصكما على الامرة أما علمتما أن أمير المؤمنين قال ليصل بالناس صهيب فتقدم صهيب فصلى عليه قال ونزل في قبره الخمسة (قال أبو جعفر) وقد قيل إن وفاته كانت في غرة المحرم سنة ٢٤

[٢٦٦]

ذكر من قال ذلك * حدثني الحارث قال حدثنا محمد بن سعد قال أخبرنا محمد بن عمر قال حدثني أبو بكر بن اسماعيل بن محمد عن أبيه قال طعن عمر رضي الله تعالى عنه يوم الاربعاء لاربع ليال يقين من ذي الحجة سنة ٢٣ ودفن يوم الاحد صباح هلال المحرم سنة ٢٤ فكانت ولايته عشر سنين وخمسة أشهر وإحدى وعشرين ليلة من متوفى أبي بكر على رأس اثنتين وعشرين سنة وتسعة أشهر وثلاثة عشر يوما من الهجرة وبويع لعثمان بن عفان يوم الاثنين لثلاث مضي من المحرم قال فذكرت ذلك لعثمان الاخنسي فقال ما أراك إلا وهلت توفى عمر رضي الله تعالى عنه لاربع ليال يقين من ذي الحجة وبويع لعثمان بن عفان لليلة بقيت من ذي الحجة فاستقبل بخلافته المحرم سنة ٢٤ * وحدثني أحمد بن ثابت الرازي قال حدثنا محدث عن إسحاق بن عيسى عن أبي معشر قال قتل عمر يوم الاربعاء لاربع ليال يقين من ذي الحجة تمام سنة ٢٣ وكانت خلافته عشر سنين وستة أشهر وأربعة أيام ثم بويع عثمان بن عفان (قال أبو جعفر) وأما المدائني فإنه قال فيما حدثني عمر عنه عن شريك عن الاعمش أو عن جابر الجعفي عن عوف بن مالك الأشجعي وعامر بن أبي محمد عن أشياخ من قومه وعثمان بن عبدالرحمن عن ابني شهاب الزهري قالوا طعن عمر يوم الاربعاء لسبع يقين من ذي الحجة قال وقال غيرهم لست يقين من ذي الحجة * وأما سيف فإنه قال فيما كتب إلي به السري يذكر ان شعيبا حدثه عنه عن خليد بن ذفرة ومجالد قال استخلف عثمان لثلاث مضي من المحرم سنة ٢٤ فخرج فصلى بالناس العصر وزاد ووفد فاستن به (كتب إلي السري) عن شعيب عن سيف عن عمرو عن الشعبي قال اجتمع أهل الشوري على عثمان لثلاث مضي من المحرم وقد دخل وقت العصر وقد أذن مؤذن صهيب واجتمعوا بين الاذان والاقامة فخرج فصلى بالناس وزاد الناس مائة ووفد أهل الامصار وصنع فيهم وهو أول من صنع ذلك * وحدثت عن هشام بن محمد قال قتل عمر لثلاث ليال يقين من ذي الحجة سنة ٢٣ وكانت خلافته عشر سنين وستة

[٢٦٧]

أشهر وأربعة أيام ذكر نسب عمر رضي الله عنه * حدثنا ابن حميد قال حدثنا سلمة عن محمد بن إسحاق * وحدثني الحارث قال حدثنا ابن سعد عن محمد بن عمر وهشام بن محمد * وحدثني عمر قال

حدثنا علي ابن محمد قالوا جميعا في نسب عمر هو عمر بن الخطاب بن نفيل بن عبدالعزى بن رياح بن عبدالله بن قرط بن رزاح بن عدي بن كعب بن لؤي وكنيته أبو حفص وأمه حنتمة بنت هاشم بن المغيرة بن عبدالله بن عمر بن مخزوم (قال أبو جعفر) وكان يقال له الفاروق وقد اختلف السلف فيمن سماه بذلك فقال بعضهم سماه بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر من قال ذلك * حدثني الحارث قال حدثنا ابن سعد قال أخبرنا محمد بن عمر قال حدثنا أبو حنزة يعقوب بن مجاهد عن محمد بن ابراهيم عن أبي عمرو وذكوان قال قلت لعائشة من سمى عمر الفاروق قالت النبي صلى الله عليه وسلم وقال بعضهم أول من سماه بهذا الاسم أهل الكتاب ذكر من قال ذلك * حدثنا الحارث قال حدثنا ابن سعد قال أخبرنا يعقوب بن ابراهيم بن سعد عن أبيه عن صالح بن كيسان قال قال ابن شهاب بلغنا أن أهل الكتاب كانوا أول من قال لعمر الفاروق وكان المسلمون يأثرون ذلك من قولهم ولم يبلغنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر من ذلك شيئا ذكر صفته * حدثنا هناد بن السري قال حدثنا وكيع عن سفيان عن عاصم بن أبي النجود عن زر بن حبيش قال خرج عمر في يوم عيد أو في جنازة زينب آدم طوالا أصلع أعسر يسرا يمشي كأنه راكب * حدثنا هناد قال حدثنا شريك عن عاصم عن زر قال رأيت عمر يأتي العيد ماشيا حافيا أعسر أيسر متلبيا بردا قطريا مشرفا على الناس

[٢٦٨]

كأنه على دابة وهو يقول أيها الناس هاجروا ولا تهجروا * وحدثني الحارث قال حدثنا ابن سعد قال أخبرنا محمد بن عمر قال حدثنا عمر بن عمران بن عبدالله بن عبدالرحمن بن أبي بكر عن عاصم بن عبدالله عن عبدالله بن عامر بن ربيعة قال رأيت عمر رجلا أبيض أمهق تعلوه حمرة طوالا أصلع * وحدثني الحارث قال حدثنا ابن سعد قال أخبرنا محمد بن عمر قال حدثنا شعيب بن طلحة عن أبيه عن القاسم ابن محمد قال سمعت ابن عمر يصف عمر يقول رجل أبيض تعلوه حمرة طوالا أشيب أصلع * وحدثني الحارث قال حدثنا محمد بن سعد قال أخبرنا محمد بن عمر قال أخبرنا خالد بن أبي بكر قال كان عمر يصفر لحيته ويرجل رأسه بالحناء ذكر مولد ومبلغ عمره * حدثني الحارث قال حدثنا ابن سعد قال أخبرنا محمد بن عمر قال حدثني أسامة ابن زيد بن أسلم عن أبيه عن جده قال سمعت عمر بن الخطاب يقول ولدت قبل الفجار الأعظم الآخر بأربع سنين (قال أبو جعفر) واختلف السلف في مبلغ سني عمر فقال بعضهم كان يوم قتل ابن خمس وخمسين سنة ذكر بعض من قال ذلك * حدثني زيد بن أوزم الطائي قال حدثنا أبو قتيبة عن جرير بن حازم عن أيوب عن نافع عن ابن عمر قال قتل عمر بن الخطاب وهو ابن خمس وخمسين سنة * وحدثني عبدالرحمن بن عبدالله بن عيد الحكم قال حدثنا نعيم بن حماد قال حدثنا الدراوردي عن عبيد الله بن عمر عن نافع عن ابن عمر قال توفى عمر وهو ابن خمس وخمسين سنة وحدثت عن عبد الرزاق عن ابن جريج عن ابن شهاب أن عمر توفى على رأس خمس وخمسين سنة وقال آخرون كان يوم توفى ابن ثلاث وخمسين سنة وأشهر ذكر من قال ذلك حدثت بذلك عن هشام بن محمد بن الكلبي وقال آخرون توفى وهو ابن ثلاث وستين سنة ذكر من قال ذلك * حدثنا ابن المثنى قال حدثنا ابن أبي عدي عن داود عن عامر قال مات عمر

[٢٦٩]

وهو ابن ثلاث وستين سنة وقال آخرون توفي وهو ابن إحدى وستين سنة ذكر من قال ذلك حدثت بذلك عن أبي سلمة التبوذكي عن أبي هلال عن قتادة وقال آخرون توفي وهو ابن ستين سنة ذكر من قال ذلك * حدثني الحارث قال حدثنا ابن سعد قال أخبرنا محمد بن عمر قال حدثنا هشام ابن سعد عن زيد بن أسلم عن أبيه قال توفي عمر وهو ابن ستين سنة قال محمد ابن عمر وهذا أثبت الاقوال عندنا وذكر عن المدائني أنه قال توفي عمر وهو ابن سبع وخمسين سنة ذكر أسماء ولده ونسائه * حدثني أبو زيد عن علي بن محمد والحارث عن محمد بن سعد عن محمد بن عمر وحدثت عن هشام بن محمد اجتمعت معاني أقوالهم واختلفت الالفاظ بها قالوا تزوج عمر في الجاهلية زينب ابنة مطعون بن حبيب بن وهب بن حذافة بن جمح فولدت له عبدالله وعبد الرحمن الأكبر وحفصة وقال علي بن محمد وتزوج مليكة ابنة جروم الخزاعي في الجاهلية فولدت له عبيدالله بن عمر ففارقها في الهدنة فخلف عليها بعد عمر أبو الجهم بن حذيفة وأما محمد بن عمر فانه زيد الاصغر وعبيدالله الذي قتل يوم صفين مع معاوية أمهما أم كلثوم بنت جروم بن مالك ابن المسيب بن ربيعة بن أصرم بن ضبيس بن حرام بن حبشية بن سلول بن كعب بن عمرو بن خزاعة وكان الاسلام فرق بينها وبين عمر قال علي بن محمد وتزوج قريبة ابنة أبي أمية المخزومي في الجاهلية ففارقها أيضا في الهدنة فتزوجها بعده عبدالرحمن بن أبي بكر الصديق قالوا وتزوج أم حكيم بنت الحارث بن هشام ابن المغيرة بن عبدالله بن عمر بن مخزوم في الاسلام فولدت له فاطمة فطلقها قال المدائني وقد قيل لم يطلقها وتزوج جميلة أخت عاصم بن ثابت بن أبي الاقلح واسمه قيس بن عصمة بن مالك بن ضبيعة بن زيد بن الاوس من الانصار في الاسلام

[٢٧٠]

فولدت له عاصم فطلقها وتزوج أم كلثوم بنت علي بن أبي طالب وأما فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصدقها فيما قيل أربعين ألفا فولدت له زيدا ورقية وتزوج لهية امرأة من اليمن فولدت له عبدالرحمن قال المدائني ولدت له عبدالرحمن الاصغر قال ويقال كانت أم ولد وقال الواقدي لهية هذه أم ولد وقال أيضا ولدت له لهية عبدالرحمن الأوسط وقال عبدالرحمن الاصغر أمه أم ولد وكانت عنده فكية وهي أم ولد وأقوالهم فولدت له زينب وقال الواقدي هي أصغر ولد عمر وتزوج عاتكة ابنة زيد بن عمرو بن نفيل وكانت قبله عند عبدالله بن أبي بكر فلما مات عمر تزوجها الزبير بن العوام قال المدائني وخطب أم كلثوم بنت أبي بكر وهي صغيرة وأرسل فيها إلى عائشة فقالت الامر اليك فقالت أم كلثوم ولا حاجة لي فيه فقالت لها عائشة ترغيبين عن أمير المؤمنين قالت نعم إنه خشن العيش شديد على النساء فأرسلت عائشة إلى عمرو بن العاصي فأخبرته فقال أكفيك فأتى عمر فقال يا أمير المؤمنين بلغني خبر أعيدك بالله منه قال وما هو قال خطبت أم كلثوم بنت أبي بكر قال نعم أفرغيت بي عنها أم رغبت بها عنني قال لا واحدة ولكنها حدثت نشأت تحت كنف أم المؤمنين في لين ورفق وفيك غلظة ونحن نهابك وما نقدر أن نردك عن خلق من أخلاقك فكيف بها إن خالفتك في شئ فسطوت بها كنت قد خلفت أبا بكر في ولده بغير ما يحق عليك قال فكيف بعائشة وقد كلمتها قال أنا لك بها وأدلك على خير منها أم كلثوم بنت علي بن أبي طالب تعلق منها بنسب من رسول الله صلى الله عليه وسلم قال المدائني وخطب أم أبان بنت عتبة بن ربيعة فكرهته وقالت يغلق بابه ويمنع خيره ويدخل عابسا ويخرج عابسا ذكر وقت إسلامه (قال أبو جعفر) ذكر أنه أسلم بعد خمسة وأربعين رجلا وإحدى وعشرين امرأة ذكر من قال ذلك * حدثني الحارث قال حدثنا ابن سعد قال أخبرنا محمد بن عمر قال حدثني

محمد بن عبدالله عن أبيه قال ذكرت له حديث عمر فقال أخبرني
عبدالله بن ثعلبة

[٢٧١]

ابن صغير قال أسلم عمر بعد خمسة وأربعين رجلا وإحدى عشرين
امرأة ذكر بعض سيره * حدثني أبو السائب قال حدثنا ابن فضيل عن
ضرار عن حصين المري قال قال عمر إنا مثل العرب مثل جمل أنف
اتبع قائده فلينظر قائده حيث يقوده فأما أنا فو رب الكعبة لأحملنهم
على الطريق * وحدثني يعقوب بن إبراهيم قال حدثنا اسماعيل ابن
ابراهيم عن يونس عن الحسن قال قال عمر إذا كنت في منزلة
تسعني وتعجز عن الناس فوالله ما تلك لي بمنزلة حتى أكون أسوة
للناس * حدثنا خلاد بن أسلم قال حدثنا النضر بن شميل قال أخبرنا
قطن قال حدثنا أبو يزيد المدني قال حدثنا مولى لعثمان بن عفان
قال كنت رديفا لعثمان بن عفان حتى أتى على حظيرة الصدقة في
يوم شديد الحر شديد السموم فإذا رجل عليه إزار ورداء قد لف رأسه
برداء يطرد الابل يدخلها الحظيرة إبل الصدقة فقال عثمان من
ترى هذا قال فانتبهنا إليه فإذا هو عمر بن الخطاب فقال هذا والله
القوي الامين * حدثني جعفر ابن محمد الكوفي وعباس بن أبي
طالب قالا حدثنا أبوزكرياء يحيى بن مصعب الكلبي قال حدثنا عمر بن
نافع عن أبي بكر العبسي قال دخلت حير الصدقة مع عمر ابن
الخطاب وعلي بن أبي طالب قال فجلس عثمان في الظل يكتب
وقام على رأسه يمل عليه ما يقول عمر وعمر في الشمس قائم
في يوم حار شديد الحر عليه بردان أسودان متزرا بواحد وقد لف
على رأسه آخر يعد إبل الصدقة يكتب ألوانها وأسنانها فقال علي
لعثمان وسمعته يقول نعت بنت شعيب في كتاب الله " يا أبت
استأجره إن خير من استأجرت القوي الامين ثم أشار علي بيده إلى
عمر فقال هذا القوي الامين * حدثني يعقوب بن إبراهيم قال حدثنا
اسماعيل عن يونس عن الحسن قال قال عمر لئن عشت إن شاء
الله لاسيرن في الرعية حولا فإنني أعلم أن للناس حوائج تقطع دوني
أما عمالهم فلا يرفعونها إلي وأما هم فلا يصلون إلي فأسير إلى
الشام فأقيم بها شهرين ثم أسير إلى الجزيرة فأقيم بها شهرين ثم
أسير إلى مصر فأقيم بها شهرين ثم أسير إلى البحرين فأقيم بها
شهرين ثم أسير إلى الكوفة

[٢٧٢]

فأقيم بها شهرين ثم أسير إلى البصرة فأقيم بها شهرين والله لنعم
الحول هذا * حدثني محمد ابن عوف قال حدثنا أبو المغيرة عبد
القدوس بن الحجاج قال حدثنا صفوان بن عمرو قال حدثني أبو
المحارق زهير بن سالم أن كعب الاحبار قال نزلت على رجل يقال له
مالك وكان جارا لعمر بن الخطاب فقلت له كيف بالدخول على أمير
المؤمنين فقال ليس على باب ولا حجاب يصلى الصلاة ثم يقعد
فيكلمه من شاء * حدثني يونس ابن عبدالاعلى قال حدثنا سفيان
عن يحيى قال أخبرني سالم عن أسلم قال بعثني عمر بإبل من إبل
الصدقة إلى الحمى فوضعت جهازي على ناقة منها فلما أردت أن
أصدرها قال اعرضها علي فعرضتها عليه فرأى متاعي على ناقة منها
حسنا فقال لا أم لك عمدت إلى ناقة تغني أهل بيت من
المسلمين فهلا ابن لبون بوالا أو ناقة شصوصا * حدثني عمر بن
اسماعيل بن مجالد الهمداني قال حدثنا أبو معاوية عن أبي حيان
عن أبي الزنباغ عن أبي الدهقانة قال قيل لعمر بن الخطاب إن ههنا
رجلا من أهل الانبار له بصر بالديوان لو اتخذته كاتبنا فقال عمر لقد
اتخذت إذا بطانة من دون المؤمنين * حدثني يونس بن عبدالاعلى

قال أخبرنا ابن وهب قال حدثنا عبدالرحمن بن زيد عن أبيه عن جده أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه خطب الناس فقال والذي بعث محمداً بالحق لو أن جملاً هلك ضياعاً بشط الفرات خشيت أن يسأل الله عنه آل الخطاب قال أبو زيد آل الخطاب يعني نفسه ما يعني غيرها * وحدثنا ابن المثنى قال حدثنا ابن أبي عدي عن شعبة عن أبي عمران الجوني قال كتب عمر إلى أبي موسى إنه لم يزل للناس وجوه يرفعون حوائجهم فأكرم من قبلك من وجوه الناس وبحسب المسلم الضعيف من العدل أن ينصف في الحكم وفي القسم * وحدثنا أبو كريب قال حدثنا ابن إدريس قال سمعت مطرفاً عن الشعبي قال أتى أعرابي عمر فقال إن ببعيري نقباً ودبراً فأحمني فقال له عمر ما ببعيرك نقب ولا دبر قال فولى وهو يقول أقسم بالله أبو حفص عمر * ما مسها من نقب ولا دبر فأغفر له اللهم إن كان فجر

[٢٧٣]

فقال اللهم اغفر لي ثم دعا الاعرابي فحمله * وحدثني يعقوب بن إبراهيم قال حدثنا إسماعيل قال أخبرنا أيوب عن محمد قال نبئت أن رجلاً كان بينه وبين عمر قرابة فسأله فزيره وأخرجه لكلم فيه فقبل يا أمير المؤمنين فلان سألك فزيرته وأخرجته فقال إنه سألتني من مال الله فما معذرتي إن لقيته ملكاً خائناً فولا سألتني من مالي قال فأرسل إليه بعشرة آلاف وكان عمر رحمه الله إذا بعث عاملاً له على عمل يقول ما حدثنا به محمد بن المثنى قال حدثنا عبدالرحمن بن مهدي قال حدثنا شعبة عن يحيى بن حصين سمع طارق بن شهاب يقول قال عمر في عماله اللهم إني لم أبعثهم لياخذوا أموالهم ولا ليضربوا أبشارهم من ظلمه أميره فلا إمرة عليه دوني * وحدثنا ابن بشار قال حدثنا ابن أبي عدي عن شعبة عن قتادة عن سالم بن أبي الجعد عن معدان بن أبي طلحة أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه خطب الناس يوم الجمعة فقال اللهم إني أشهدك على أمراء الامصار أنني إنما بعثتهم ليعلموا الناس دينهم وسنة نبيهم وأن يقسموا فيهم فيأهم وأن يعدلوا فان أشكل عليهم شئ رفعوه إلي * وحدثنا أبو كريب قال حدثنا أبو بكر بن عياش قال سمعت أبا حصين قال كان عمر إذا استعمل العمال خرج معهم يشيعهم فيقول إني لم أستعملكم على أمة محمد صلى الله عليه وسلم على أشعارهم ولا على أبشارهم إنما استعملتكم عليهم لتقيموا بهم الصلاة وتقضوا بينهم بالحق وتقسموا بينهم بالعدل وإني لم أسلطكم على أبشارهم ولا على أشعارهم ولا تجلدوا العرب فتذلوها ولا تجمروها فتفتنوها ولا تغفلوا عنها فتحرموها جردوا القرآن وأقلوا الرواية عن محمد صلى الله عليه وسلم وأنا شريككم وكان يقص من عماله وإذا شكى إليه عامل له جمع بينه وبين من شكاه فان صح عليه أمر يجب أخذه به أخذته به * وحدثني يعقوب بن إبراهيم قال حدثنا إسماعيل بن إبراهيم قال أخبرنا سعيد الجريري عن أبي نضرة عن أبي فراس قال خطب عمر بن الخطاب فقال يا أيها الناس إني والله ما أرسل اليكم عمالاً ليضربوا أبشاركم ولا لياخذوا أموالكم ولكني أرسلهم اليكم ليعلموكم دينكم وستنكم فمن فعل به شئ سوى ذلك فليرفعه إلي فوالذي نفس عمر بيده لا أقصنه

[٢٧٤]

منه فوثب عمرو بن العاص فقال يا أمير المؤمنين أرايتك إن كان رجل من أمراء المسلمين على رعية فأدب بعض رعيته إنك لتقصه منه قال إي والذي نفس عمر بيده إذا لاقصته منه وكيف لا أقصه منه وقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقص من نفسه ألا لا تضربوا

المسلمين فتذلوهم ولا تجمروهم فتفتنوهم ولا تمنعوهم حقوقهم فتكفروهم ولا تنزلوهم الغياض فتضيعوهم * وكان عمر رضى الله عنه فيما ذكر عنه يعس بنفسه ويرتاد منازل المسلمين ويفقد أحوالهم بيديه ذكر الخبر الوارد عنه بذلك * حدثنا ابن بشار قال حدثنا أبو عامر قال حدثنا قرّة بن خالد عن بكر بن عبدالله المزني قال جاء عمر بن الخطاب إلى باب عبدالرحمن بن عوف فضربه فجاءت المرأة ففتحتة ثم قالت له لا تدخل حتى أدخل القيت وأجلس مجلسي فلم يدخل حتى جلست ثم قالت ادخل فدخل ثم قال هل من شئ فأنته بطعام فأكل وعبد الرحمن قائم يصلي فقال له تجوز أياها الرجل فسلم عبدالرحمن حينئذ ثم أقبل عليه فقال ما جاء بك في هذه الساعة يا أمير المؤمنين قال رفقة نزلت في ناحية السوق خشيت عليهم سراق المدينة فانطلق فلنحرسهم فانطلقا فأتيا السوق فقعدا على نشز من الارض يتحدثان فرجع لهما مصباح فقال عمر ألم أنه عن المصاييح بعد النوم فانطلقا فإذا هم قوم على شراب لهم فقال انطلق فقد عرفته فلما أصبح أرسل إليه فقال يا فلان كنت وأصحابك البارحة على شراب قال وما علمك يا أمير المؤمنين قال شئ شهدته فقال أو لم ينهك الله عن التجسس قال فتجاوز عنه قال بكر بن عبدالله المزني وإنما نهى عمر عن المصاييح لان الفأرة تأخذ الفتيلة فترمى بها في سقف البيت فيحترق وكان إذ ذاك سقف البيت من الجريد * وحدثني أحمد ابن حرب قال حدثنا مصعب بن عبدالله الزبيري قال حدثني أبي عن ربيعة بن عثمان عن زيد بن أسلم عن أبيه قال خرجت مع عمر بن الخطاب رحمه الله إلى حرة واقم حتى إذا كنا بصرار إذا نار تؤرث فقال يا أسلم إنني أرى هؤلاء ركبا قصر بهم الليل والبرد انطلق بنا فخرجنا نهروا حتى دنونا منهم فإذا امرأة معها

[٢٧٥]

صبيان لها وقدر منصوبة على النار وصبيانها يتضاغون فقال عمر السلام عليكم يا أصحاب الضوء وكره أن يقول يا أصحاب النار قالت عليك السلام قال أذنوا قالت ادن بخير أودع فدنا فقال ما بالكم قالت قصر بنا الليل والبرد قال فما بال هؤلاء الصبية يتضاغون قالت الجوع قال وأي شئ في هذه القدر قالت ماء أسكتهم به حتى يناموا الله بيننا وبين عمر قال أي رحمك الله ما يدري عمر بكم قالت يتولى أمرنا ويغفل عنا فأقبل علي فقال انطلق بنا فخرجنا نهروا حتى أتينا دار الدقيق فأخرج عدلا فيه كبة شحم فقال احمله علي فقلت أنا أحمله عنك قال احمله علي مرتين أو ثلاثا كل ذلك أقول أنا أحمله عنك فقال لي في آخر ذلك أنت تحمل عني وزري يوم القيامة لا أم لك فحملته عليه فانطلق وانطلقت معه نهروا حتى انتهينا إليها فألقى ذلك عندها وأخرج من الدقيق شيئا فجعل يقول لها ذرى علي وأنا أحرك لك وجعل ينفخ تحت القدر وكان ذا لحية عظيمة فجعلت أنظر إلى الدخان من خلل لحيته حتى أنضج وأدم القدر ثم أنزلها وقال ابغني شيئا فأنته بصحفة فأفرغها فيها ثم جعل يقول أطعميهم وأنا أسطح لك فلم يزل حتى شبعوا ثم خلى عندها فضل ذلك وقام وقمت معه فجعلت تقول جزاك الله خيرا أنت أولى بهذا الأمر من أمير المؤمنين فيقول قولني خيرا إنك إذا جئت أمير المؤمنين وحدثني هناك أن شاء الله ثم تنحى ناحية عنها ثم استقبلها وربض مريض السبع فجعلت أقول له ان لك شأننا غير هذا وهو لا يكلمني حتى رأيت الصبية يصرعون ويضحكون ثم ناموا وهدوا فقام وهو يحمد الله ثم أقبل علي فقال يا أسلم إن الجوع أسهرهم وأبكاهم فأحببت أن لا أنصرف حتى أرى ما رأيت منهم وكان عمر إذا أراد أن يأمر المسلمين بشئ أو ينهاهم عن شئ مما فيه صلاحهم بدأ بأهله وتقدم إليهم بالوعظ لهم والوعيد على خلافهم أمره كالذي حدثنا أبو كريب محمد بن العلاء قال حدثنا أبو بكر بن عياش قال حدثنا عبيد الله بن عمر بالمدينة عن سالم قال كان عمر إذا صعد المنبر فنهى

الناس عن شئ جمع أهله فقال اني نهيت الناس عن كذا وكذا وان
الناس ينظرون اليكم نظر الطير يعني إلى اللحم وأقسم بالله لا أجد

[٢٧٦]

أحدا منكم فعله إلا أضعفت عليه العقوبة (قال أبو جعفر) وكان رضى
الله عنه شديدا على أهل الريب وفي حق الله صليبا حتى يستخرجه
ولينا سهلا فيما يلزمه حتى يؤديه وبالضعيف رحيمًا رؤفًا * حدثني
عبيد الله بن سعيد الزهري قال حدثنا عمي قال حدثنا أبي عن الوليد
بن كثير عن محمد بن عجلان أن زيد بن أسلم حدثه عن أبيه أن نفرا
من المسلمين كلموا عبدالرحمن بن عوف فقالوا كلم عمر بن
الخطاب فانه قد أحشانا حتى والله ما نستطيع أن نديم إليه أبصارنا
قال فذكر ذلك عبدالرحمن ابن عوف لعمر فقال أوقد قالوا ذلك فوالله
لقد لنت لهم حتى تخوفت الله في ذلك ولقد اشتدت عليهم حتى
خشيت الله في ذلك وأيم الله لانا أشد منهم فرقا منهم مني *
وحدثنا أبو كريب قال حدثنا أبو بكر عن عاصم قال استعمل عمر رجلا
على مصر فبينا عمر يوما مار في طريق من طرق المدينة إذ سمع
رجلا وهو يقول الله يا عمر تستعمل من يخون وتقول ليس علي شئ
وعاملك يفعل كذا قال فأرسل إليه فلما جاءه أعطاه عصا وجبة صوف
وغنما فقال ارعها واسمه عياض بن غنم فان أباك كان راعيا قال ثم
دعاه فذكر كلاما فقال ان أنا رددتك فرده إلى عمله وقال لي عليك أن
لا تلبس رقيقا ولا تركب بردونا * حدثنا أبو كريب قال حدثنا أبو أسامة
عن عبدالله بن الوليد عن عاصم عن ابن خزيمة بن ثابت الأنصاري
قال كان عمر إذا استعمل عاملا كتب له عهدا وأشهد عليه رهطا من
المهاجرين والأنصار واشترط عليه أن لا يركب بردونا ولا يأكل نقيا ولا
يلبس رقيقا ولا يتخذ بابا دون حاجات الناس * وحدثني الحارث قال
حدثنا ابن سعد قال حدثنا مسلم بن ابراهيم عن سلام بن مسكين
قال حدثنا عمان أن عمر بن الخطاب كان إذا احتاج أتى صاحب بيت
المال فاستقرضه قال فرميا أعسر فيأتيه صاحب بيت المال يتقاضاه
فيلزمه فيحتال له عمر وربما خرج عطاؤه فقضاه وعن أبي عامر
العقدي قال حدثنا عيسى بن حفص قال حدثني رجل من بني
سلمة عن ابن البراء بن معمر أن عمر رضى الله عنه خرج يوما حتى
أتى المنبر وقد كان اشتكى شكوى له فنعته له العسل وفي بيت
المال عكة فقال إن أدنتم لي فيها أخذتها وإلا فهني علي حرام

[٢٧٧]

تسمية عمر رضى الله عنه أمير المؤمنين (قال أبو جعفر) أول من
دعى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ثم جرت بذلك السنة واستعمله
الخلفاء إلى اليوم ذكر الخبر بذلك * حدثني أحمد بن عبد الصمد
الانصاري قال حدثني أم عمرو بنت حسان الكوفية عن أبيها قال لما
ولى عمر قيل يا خليفة خليفة رسول الله فقال عمر رضى الله عنه
هذا أمر يطول كلما جاء خليفة قالوا يا خليفة خليفة رسول الله
بل أنتم المؤمنون وأنا أميركم فسمى أمير المؤمنين قال أحمد بن
عبد الصمد سألتها كم أتى عليك من السنين قالت مائة وثلاث
وثلاثون سنة * حدثنا ابن حميد قال حدثنا يحيى بن واضح قال حدثنا
أبو حمزة عن جابر قال قال رجل لعمر بن الخطاب يا خليفة الله قال
خالف الله بك فقال جعلني الله فداءك قال إذا يهينك الله وضعه التأريخ
(قال أبو جعفر) وكان أول من وضع التأريخ وكتبه فيما حدثني الحارث
قال حدثنا ابن سعد عن محمد بن عمر في سنة ١٦ في شهر ربيع
الاول منها وقد مضى ذكرى سبب كتابه ذلك وكيف كان الامر فيه
وعمر رضى الله عنه أول من أرخ الكتب وختم بالطين وهو أول من
جمع الناس على إمام يصلى بهم التراويح في شهر رمضان وكتب

بذلك إلى البلدان وأمرهم به وذلك فيما حدثني به الحارث قال حدثنا ابن سعد عن محمد بن عمر في سنة ١٤ وجعل للناس قارئاً يلقى بالرجال وقارئاً يلقى بالنساء حملة الدرّة وتدوينه الدواوين وهو أول من حمل الدرّة وضرب بها وهو أول من دون للناس في الاسلام الدواوين وكتب الناس على قبائلهم وفرض لهم العطاء * حدثني الحارث قال حدثنا ابن سعد قال حدثنا محمد بن عمر قال حدثني عائذ بن يحيى عن أبي الحويرث عن جبير بن الحويرث بن نقيد أن عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه

[٢٧٨]

استشار المسلمين في تدوين الدواوين فقال له علي بن أبي طالب تقسم كل سنة ما اجتمع إليك من مال فلا تمسك منه شيئاً وقال عثمان بن عفان أرى مالا كثيراً يسع الناس وإن لم يحصوا حتى تعرف من أخذ ممن لم يأخذ خشيت أن ينتشر الامر فقال له الوليد بن هشام بن المغيرة يا أمير المؤمنين فد جئت الشام فرأيت ملوكها قد دونوا ديواناً وجندوا جنداً فدون ديواناً وجند جنداً فأخذ بقوله فدعا عقيل بن أبي طالب ومخرمة بن نوفل وجبير بن مطعم وكانوا من نساب قريش فقال اكتبوا الناس على منازلهم فكتبوا فبدؤا ببني هاشم ثم اتبعوهم أبا بكر وقومه ثم عمر وقومه على الخلافة فلما نظر فيه عمر قال لوددت والله أنه هكذا ولكن ابدؤا بقراية رسول الله صلى الله عليه وسلم الاقرب فالاقرب حتى تضعوا عمر حيث وضعه الله * حدثني الحارث قال حدثنا ابن سعد قال أخبرنا محمد بن عمر قال حدثني أسامة ابن زيد بن أسلم عن أبيه عن جده قال رأيت عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه حين عرض عليه الكتاب وبنو تيم على أثر بني هاشم وبنو عدي على أثر بني تيم فأسمعه يقول ضعوا عمر موضعه وابدؤا بالاقرب فالاقرب من رسول الله فجاءت بنو عدي إلى عمر فقالوا أنت خليفة رسول الله قال أو خليفة أبي بكر وأبو بكر خليفة رسول الله قالوا وذاك فلو جعلت نفسك حيث جعلك هؤلاء القوم قال بخ بخ بني عدي أردتم الاكل على ظهري وأن أذهب حسناتي لكم لا والله حتى تأتكم الدعوة وإن أطبق عليكم الدفر ولو أن تكتبوا في آخر الناس إن لي صاحبين سلكا طريقاً فإن خالفتهما خولف بي والله ما أدركنا الفضل في الدنيا ولا نرجو ما نرجو من الآخرة من ثواب الله على ما عملنا إلا بمحمد صلى الله عليه وسلم فهو شرفنا وقومه أشرف العرب ثم الاقرب فالاقرب إن العرب شرفت برسول الله ولعل بعضها يلغاه إلى آباء كثيرة وما بيننا وبين أن نلغاه إلى نسبه ثم لا نفارقه إلى آدم إلا آباء يسيرة مع ذلك والله لئن جاءت الاعاجم بالاعمال وجئنا بغير عمل فهم أولى بمحمد منا يوم القيامة فلا ينظر رجل إلى قراية وليعمل لما عند الله فان من قصر به عمله لم يسرع به نسبه * حدثني الحارث قال حدثنا ابن سعد قال أخبرنا محمد بن عمر قال حدثني

[٢٧٩]

حزام بن هشام الكعبي عن أبيه قال رأيت عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه يحمل ديوان خراعة حتى ينزل قديدا فتأتيه بقديد فلا يغيب عنه امرأة بكر ولا ثيب فيعطيهن في أيديهن ثم يروح فينزل عسفاً فيفعل مثل ذلك أيضاً حتى توفى * حدثني الحارث قال حدثنا ابن سعد قال أخبرنا محمد بن عمر قال حدثني عبدالله بن جعفر الزهري وعبد الملك بن سليمان عن إسماعيل بن محمد بن سعد عن السائب ابن يزيد قال سمعت عمر بن الخطاب يقول والله الذي لا إله إلا هو ثلاثاً ما من أحد إلا له في هذا المال حق أعطيه أو منعه وما أحداً أحق به من أحد إلا عبد مملوك وما أنا فيه إلا كأحدكم

ولكننا على منازلنا من كتاب الله وقسمنا من رسول الله صلى الله عليه وسلم والرجل وبلاؤه في الاسلام والرجل وقدمه في الاسلام والرجل وغناؤه في الاسلام والرجل وحاجته والله لئن بقيت لياتين الراعي يجبل صنعاء حظه من هذا المال وهو مكانه * قال إسماعيل بن محمد فذكرت ذلك لابي فعرف الحديث * حدثني الحارث قال حدثنا ابن سعد قال أخبرنا محمد بن عمر قال حدثني محمد ابن عبدالله عن الزهري عن السائب بن يزيد قال رأيت خيلا عند عمر بن الخطاب موسومة في أفخاذها حبيس في سبيل الله * حدثني الحارث قال حدثنا ابن سعد قال أخبرنا محمد بن عمر قال حدثني قيس بن الربيع عن عطاء بن السائب عن زاذان عن سلمان أن عمر قال له أملك أنا أم خليفة فقال له سلمان إن أنت جبيت من أرض المسلمين درهما أو أقل أو أكثر ثم وضعته في غير حقه فأنت ملك غير خليفة فاستعير عمر * حدثني الحارث قال حدثنا ابن سعد قال أخبرنا محمد بن عمر قال حدثني أسامة بن زيد قال حدثني نافع مولى آل الزبير قال سمعت أبا هريرة يقول يرحم الله ابن حنتمة لقد رأيت عام الرمادة وإنه ليحمل على ظهره جرابين وعكة زيت في يده وإنه ليعتقب هو وأسلم فلما رأني قال من أين يا أبا هريرة قلت قريبا فأخذت أعقبه فحملناه حتى انتهينا إلى صرار فإذا صرم نحو من عشرين بيتا من محارب فقال عمر ما أقدمكم قالوا الجهد وأخرجوا لنا جلد الميتة مشويا كانوا يأكلونه ورمة العظام مسحوفة كانوا يستفونها فرأيت عمر طرح رداءه ثم اترز فما زال

[٢٨٠]

يطبخ لهم حتى شبعوا فأرسل أسلم إلى المدينة فجاء بأبيرة فحملهم عليها حتى أنزلهم الجبانة ثم كساهم وكان يختلف إليهم وإلى غيرهم حتى رفع الله ذلك * حدثني الحارث قال حدثنا ابن سعد قال أخبرنا محمد بن عمر قال أخبرني موسى بن يعقوب عن عمه عن هشام بن خالد قال سمعت عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه يقول لا يذرن إحدكن الدقيق حتى يسخن الماء ثم تذره قليلا قليلا وتسوطه بمسوطها فانه أربع له وأحرى أن لا يتفرد * حدثني الحارث قال حدثنا ابن سعد قال أخبرنا محمد بن مصعب القرظي قال حدثنا أبو بكر بن عبدالله بن أبي مريم عن راشد ابن سعد أن عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه أتى بمال فجعل يقسمه بين الناس فزادحموا عليه فأقبل سعد بن أبي وقاص يزاحم الناس حتى خلص إليه فعلاه عمر بالدرة وقال إنك أقبلت لا تهاب سلطان الله في الارض فأحببت أن أعلمك أن سلطان الله لن يهابك * حدثني الحارث قال حدثنا ابن سعد قال أخبرنا محمد بن عمر قال حدثنا عمر بن سليمان بن أبي حثمة عن أبيه قال قالت الشفا ابنة عبدالله رأيت فتيانا يقصدون في المشي ويتكلمون رويدا فقالت ما هذا قالوا نساك فقالت كان والله عمر إذا تكلم أسمع وإذا مشى أسرع وإذا ضرب أوجع هو والله الناسك حقا * حدثني عمر قال حدثنا علي بن محمد قال حدثنا عبدالله ابن عامر قال أعان عمر رجلا على حمل شيء فدعا له الرجل وقال نفعك بنوك يا أمير المؤمنين فقال بل أغناني الله عنهم * حدثني عمر قال حدثنا علي بن محمد عن عمر بن مجاشع قال قال عمر بن الخطاب القوة في العمل أن لا تؤخر عمل اليوم لغد والامانة أن لا تخالف سريرة علانية واتقوا الله عزوجل فانما التقوى بالتوقي ومن يتق الله يقه * حدثني عمر قال حدثنا علي عن عوانة عن الشعبي وغير عوانة زاد أحدهما على الآخر أن عمر رضى الله تعالى عنه كان يطوف في الاسواق ويقرأ القرآن ويقضى بين الناس حيث أدركه الخصوم * حدثني عمر قال حدثنا علي بن محمد بن صالح أنه سمع موسى بن عتبة يحدث أن رهطا أتوا عمر فقالوا كثر العيال واشتدت المؤونة فزدنا في أعطياتنا قال فعلتموها جمعتم بين

الضرائر واتخذتم الخدم في مال الله عزوجل أما والله لوددت أني وإياكم في سفينتين في لجة البحر تذهب بنا شرقا وغربا فلن يعجز الناس أن يولوا رجلا منهم فإن استقام اتبعوه وإن جنف قتلوه فقال طلحة وما عليك لو قلت إن تعوج عزلوه فقال لا القتل أنكل لمن بعده احذروا فتى قريش وابن كريمها الذي لا ينام إلا على الرضى ويضحك عند الغضب وهو يتناول من فوقه ومن تحته * حدثني عمر قال حدثنا علي عن عبدالله بن داود الواسطي عن زيد بن أسلم قال قال عمر كنا نعد المقرض بخيلا إنما كانت المواساة * حدثني عمر قال حدثنا علي عن ابن داب عن أبي معبد الاسلمي عن ابن عباس أن عمر قال لناس من قريش بلغني أنكم تتخذون مجالس لا يجلس اثنان معا حتى يقال من صحابة فلان من جلساء فلان حتى تحوميت المجالس وإيم الله إن هذا لسريع في دينكم سريع في شرفكم سريع في ذات بينكم ولكأني بمن يأتي بعدكم يقول هذا رأى فلان قد قسموا الاسلام أفساما أفيضوا مجالسكم بينكم وتجالسوا معا فإنه أدوم لالفتكم وأهيب لكم في الناس اللهم ملوني ومللتهم وأحسست من نفسي وأحسوا مني ولا أدري بأينا يكون الكون وقد أعلم أن لهم قبيلة منهم فاقبضني إليك * حدثني عمر قال حدثنا علي قال حدثنا إبراهيم ابن محمد عن أبيه قال اتخذ عبدالله بن أبي ربيعة أفراسا بالمدينة فمنعه عمر بن الخطاب فكلموه في أن يأذن له قال لا أذن له إلا أن يجئ بعلفها من غير المدينة فارتبط أفراسا وكان يحمل إليها علفا من أرض له باليمن * حدثني عمر قال حدثنا علي قال حدثنا أبو إسماعيل الهمداني عن مجالد قال بلغني أن قوما ذكروا لعمر بن الخطاب رجلا فقالوا يأمر المؤمنين فاضل لا يعرف من الشر شيئا قال ذلك أوقع له فيه * (ذكر بعض خطبه رضى الله تعالى عنه) * * حدثني عمر قال حدثني علي عن أبي معشر عن ابن المنكدر وغيره وأبي معاذ الانصاري عن الزهري ويزيد بن عياض عن عبدالله بن أبي بكر وعلي بن مجاهد عن ابن إسحاق عن يزيد بن عياض عن عبدالله بن أبي إسحاق عن يزيد بن رومان عن عروة بن الزبير أن عمر رضى الله تعالى عنه خطب فحمد الله وأثنى عليه بما هو

أهله ثم ذكر الناس بالله عزوجل واليوم الآخر ثم قال يا أيها الناس إني قد وليت عليكم ولولا رجاء أن أكون خيركم لكم وأقواكم عليكم وأشدكم استضلاعا بما ينوب من مهم أموركم ما توليت ذلك منكم ولكفى عمر مهما محزنا انتظار موافقة الحساب بأخذ حقوقكم كيف أخذها ووضعها أين أضعها وبالسير فيكم كيف أسير فربى المستعان فإن عمر أصبح لا يثق بقوة ولا حيلة إن لم يتداركه الله عزوجل برحمته وعونه وتأيبه ثم خطب فقال إن الله عزوجل قد ولاني أمركم وقد علمت أنفع ما بحضرتكم لكم وإني أسأل الله أن يعينني عليه وأن يحرسني عنده كما حرسني عند غيره وأن يلهمني العدل في قسمكم كالذي أمر به وإني امرؤ مسلم وعبد ضعيف إلا ما أعان الله عزوجل ولن يغير الذي وليت من خلافتكم من خلقي شيئا إن شاء الله إنما العظمة لله عزوجل وليس للعباد منها شئ فلا يقولون أحد منكم إن عمر تغير منذ ولى أعقل الحق من نفسي وأتقدم وأبين لكم أمري فأيا رجل كانت له حاجة أو ظلم مظلمة أو عتب علينا في خلق فليؤذني فانما أنا رجل منكم فعليكم بتقوى الله في سرركم وعلانيتكم وحرمايتكم وأعراضكم وأعطوا الحق من أنفسكم ولا يحمل بعضكم بعضا على أن تحاكموا إلي فإنه ليس بيني وبين أحد من الناس هوادة وأنا حبيب إلي صلاحكم عزيز علي عتبتكم وأنتم أناس عامتكم حضر في بلاد الله وأهل بلد لا زرع فيه ولا ضرع إلا ما جاء الله

به إليه وإن الله عزوجل قد وعدكم كرامة كثيرة وأنا مسؤول عن أمانتي وما أنا فيه ومطلع على ما بحضرتي بنفسي إن شاء الله لا أكله إلى أحد ولا أستطيع ما بعد منه إلا بالامناء وأهل النصح منكم للعامه ولست أجعل أمانتي إلى أحد سواهم إن شاء الله وخطب أيضا فقال بعد ما حمد الله وأثنى عليه وصلى على النبي صلى الله عليه وسلم أيها الناس إن بعض الطمع فقر وإن بعض اليأس غنى وإنكم تجمعون ما لا تأكلون وتأمّلون

[٢٨٣]

ما لا تدركون وأنتم مؤجلون في دار غرور كنتم على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم تؤخذون بالوحي فمن أسر شيئا أخذ بسريرته ومن أعلن شيئا أخذ بعلانيته فأظهروا لنا أحسن أخلاقكم والله أعلم بالسرائر فإنه من أظهر لنا شيئا وزعم أن سريرته حسنة لم نصدقه ومن أظهر لنا علانية حسنة ظننا به حسنا واعلموا أن بعض الشح شعبة من النفاق فأنفقوا خيرا لأنفسكم ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون أيها الناس أطيبوا مثواكم وأصلحوا أموركم واتقوا الله ربكم ولا تلبسوا نساءكم القباطي فإنه إن لم يشف فإنه يصف أيها الناس إنني لوددت أن أنجو كفافا لا لي ولا علي واني لارجو إن عمرت فيكم يسيرا أو كثيرا أن أعمل بالحق فيكم إن شاء الله وألا يبقى أحد من المسلمين وإن كان في بيته إلا أتاه حقه ونصيبه من مال الله ولا يعمل إليه نفسه ولم ينصب إليه يوما وأصلحوا أموالكم التي رزقكم الله ولقليل في رفق خير من كثير في عنف والقتل حتف من الحتوف يصيب البر والفاجر والشهيد من احتسب نفسه وإذا أراد أحدكم بعيرا فليعمد إلى الطويل العظيم فليضربه بعصاه فإن وجده حديد الفؤاد فليشتره * قالوا وخطب أيضا فقال إن الله سبحانه ويحمده قد استوجب عليكم الشكر واتخذ عليكم الحج فيما أتاكم من كرامة الآخرة والدنيا عن غير مسألة منكم له ولا رغبة منكم فيه إليه فخلقكم تبارك وتعالى ولم تكونوا شيئا لنفسه وعبادته وكان قادرا أن يجعلكم لاهون خلقه عليه فجعل لكم عامة خلقه ولم يجعلكم لشيء غيره وسخر لكم ما في السموات وما في الأرض وأسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة وحملكم في البر والبحر ورزقكم من الطيبات لعلكم تشكرون ثم جعل لكم سمعا وبصرا ومن نعم الله عليكم نعم عم بها بني آدم ومنها نعم اختص بها أهل دينكم ثم صارت تلك النعم خواصها وعوامها في دولتكم وزمانكم وطبقتكم وليس من تلك النعم نعمة وصلت إلى امرئ خاصة إلا لو قسم ما وصل إليه منها بين الناس كلهم أتعيبهم شكرها وقدحهم حقها إلا بعون الله مع الإيمان بالله ورسوله فأنتم

[٢٨٤]

مستخلفون في الأرض قاهرون لاهلها قد نصر الله دينكم فلم تصبح أمة مخالفة لدينكم إلا أمتان أمة مستعبدة للاسلام وأهله يجوزون لكم يستصفون معائشهم وكدائهم ورشح جباههم عليهم المؤونة ولكم المنفعة وأمة تنتظر وقائع الله وسطواته في كل يوم وليلة قد ملا الله قلوبهم رعبا فليس لهم معقل يلجؤون إليه ولا مهرب يتقون به قد دهمتهم جنود الله عزوجل ونزلت بساحتهم مع رفاة العيش واستفاضة المال وتتابع البعوث وسد الثغور بأذن الله مع العافية الجليلة العامة التي لم تكن هذه الامة علي أحسن منها مذ كان الاسلام والله المحمود مع الفتوح العظام في كل بلد فما عسى أن يبلغ مع هذا شكر الشاكرين وذكر الذاكرين واجتهاد المجتهدين مع هذه النعم التي لا يحصى عددها ولا يقدر قدرها ولا يستطيع أداء حقها إلا بعون الله ورحمته ولطفه فنسأل الله الذي لا إله إلا هو الذي

أبلانا هذا أن يبرزنا العمل بطاعته والمسارعة إلى مرضاته واذكروا عباد الله بلاء الله عندكم واستتموا نعمة الله عليكم وفي مجالسكم مثني وفرادي فان الله عزوجل قال لموسى أخرج قومك من الظلمات إلى النور وذكرهم أيام الله وقال لمحمد صلى الله عليه وسلم واذكروا إذ أنتم قليل مستضعفون في الارض فلو كنتم إذ كنتم مستضعفين محرومين خير الدنيا على شعبة من الحق تؤمنون بها وتستريحون إليها مع المعرفة بالله ودينه وترجون بها الخير فيما بعد الموت لكان ذلك ولكنكم كنتم أشد الناس معيشة وأثبته بالله جهالة فلو كان هذا الذي استسلاككم به لم يكن معه حظ في دنياكم غير أنه ثقة لكم في آخرتكم التي إليها المعاد والمنقلب وأتم من جهد المعيشة على ما كنتم عليه أحرى أن تشحوا على نصيبكم منه وأن تظهروه على غيره قبله ما أنه قد جمع لكم فضيلة الدنيا وكرامة الآخرة ومن شاء أن يجمع له ذلك منكم فأذكركم الله الحائل بين قلوبكم إلا ما عرفتم حق الله فعملتم له وقسرتم أنفسكم على طاعته وجمعت مع السرور بالنعم خوفا لها ولانتقالها ووجلا منها ومن تحويلها فانه لا شئ أسلب للنعمة من كفرانها وإن الشكر أمن للغير ونماء للنعمة واستيجاب للزيادة هذا لله على من أمركم ونهيكم واجب

[٢٨٥]

من ندب عمر وراثه رضى الله عنه ذكر بعض ما رثى به * حدثني عمر قال حدثنا علي قال حدثنا أبو عبد الله البرجمي عن هشام بن عروة أن باكية بكت على عمر فقالت واحرى على عمر حر انتشر فملا البشر وقالت أخرى واحرى على عمر حر انتشر حتى شاع في البشر * حدثنا عمر قال حدثنا علي قال حدثنا ابن دأب وسعيد بن خالد عن صالح بن كيسان عن المغيرة بن شعبة قال لما مات عمر رضى الله عنه بكنه ابنة أبي حثمة فقالت واعمره أقام الاود وأبرأ العمدة أمات الفتن وأحيا السنن خرج نقي الثوب برينا من العيب قال وقال المغيرة ابن شعبة لما دفن عمر أتيت عليا وأنا أحب أن أسمع منه في عمر شيئا فخرج ينفذ رأسه ولحيته وقد اغتسل وهو ملتحف بثوب لا يشك ان الأمر يصير إليه فقال يرحم الله ابن الخطاب لقد صدقت ابنة أبي حثمة لقد ذهب بخيرها ونجا من شرها أما والله ما قالت ولكن قولت وقالت عاتكة ابنة زيد بن عمر بن الخطاب رضى الله عنه فجعني فيروز لا در ره * بأبيض تال للكتاب منيب رؤف على الادنى غلبت على العدا * أخی ثقة في النائبات مجيب متى ما يقل لا يكذب القول فعله * سريع إلى الخيرات غير قطوب وقالت أيضا عين جودى بعبرة ونحيب * لا تملی على الامام النجيب فجعتني المنون بالفارس المع * - لم يوم الهياج والتليب عصمة الناس والمعین على الده * ر وغيث المنتاب والمحروب قل لاهل السراء والبؤس موتوا * قد سقته المنون كأس شعوب وقالت امرأة تبكيه سيكيك نساء الحد * ی يبکین شجیات

[٢٨٦]

ويخمشن وجوها كال * دنانير نقيات ويلبسن ثياب الحز * ن بعد القصبیات شئ من سيره مما لم يمض ذكره * حدثنا عمر بن شبة قال حدثنا علي بن محمد عن ابن جعدبة عن إسماعيل بن أبي حكيم عن سعيد بن المسيب قال حج عمر فلما كان بضجنان قال لا إله إلا الله العظيم العلي المعطى ما شاء من شاء كنت أرعى إبل الخطاب بهذا الوادي في مدرعة صوف وكان فظا يتعيني إذا عملت ويضربني إذا قصرته وقد أمسيت وليس بيني وبين الله أحد ثم تمثل لا شئ فيما ترى تبقى بشاشته * يبقى الاله ويودي المال الولد لم تغن عن هرمرز يوما خزائنه * والخلد قد حاولت عاد فما خلدوا ولا

سليمان إذ تجرى الرياح له * والانس والجن فيما بينها ترد أين الملوك التي كانت نوافلها * من كل أوب إليها راكب يفد حوضا هنالك مورودا بلا كذب * لايد من ورده يوما كما وردوا * حدثني عمر بن شبة قال حدثنا علي قال حدثنا أبو الوليد المكي قال بينما عمر جالس إذ أقبل رجل أعرج يقود ناقة تطلع حتى وقف عليه فقال: إنك مسترعى وأنا رعية * وإنك مدعو بسيماك يا عمر إذا يوم شر شره لشراره * فقد حملتك اليوم أحسابها مضر فقال لا حول ولا قوة إلا بالله وشكا الرجل ظلع ناقته فقبض عمر الناقة وحمله على جمل أحمر وزوده وانصرف ثم خرج عمر في عقب ذلك حاجا فيينا هو يسير إذ لحق راكبا يقول ما ساسنا مثلك يابن الخطاب * أبر بالاقصى ولا بالاصحاب بعد النبي صاحب الكتاب فنخسه عمر بمخصرة معه وقال فأين أبو بكر * حدثني عمر قال حدثنا علي ابن محمد عن محمد بن صالح عن عبدالمك بن نوفل بن مساحق قال استعمل عمر عتبة

[٢٨٧]

ابن أبي سفيان على كنانة فقدم معه بمال فقال ما هذا يا عتبة قال مال خرجت به معي وتجرت فيه قال ومالك تخرج المال معك في هذا الوجه فصيره في بيت المال فلما قام عثمان قال لابي سفيان إن طلبت ما أخذ عمر من عتبة رددته عليه فقال أبو سفيان إنك إن خالفت صاحبك قبلك ساء رأى الناس فيك إياك أن ترد على من كان قبلك فيرد عليك من بعدك (كتب إلي السري) عن شعيب عن سيف عن الربيع بن النعمان وأبي المجالد جراد بن عمرو وأبي عثمان وأبي حارثة وأبي عمر مولى إبراهيم بن طلحة عن زيد بن أسلم عن أبيه قالوا إن هند ابنة عتبة قامت إلى عمر بن الخطاب رضى الله عنه فاستقرضته من بيت المال أربعة آلاف تتجر فيها وتضمنها فأقرضها فخرجت فيها إلى بلاد كلب فاشترت وباعت فبلغها أن أبا سفيان وعمر بن أبي سفيان قد أتيا معاوية فعدلت إليه من بلاد كلب فأتت معاوية وكان أبو سفيان قد طلقها قال ما أقدمك أي أمه قالت النظر إليك أي بني إنه عمر وإنما يعمل لله وقد أتاك أبوك فخشيت أن تخرج إليه من كل شئ وأهل ذلك هو فلا يعلم الناس من أين أعطيته فيؤثنونك ويؤنبك عمر فلا يستقبلها أبدا فبعث إلى أبيه وإلى أخيه بمائة دينار وكساهما وحملهما فتعظما عمرو فقال أبو سفيان لا تعظما فإن هذا إعطاء لم تغب عنه هند ومشورة قد حضرته هند ورجعوا جميعا فقال أبو سفيان لهند أريحت فقالت الله أعلم معي تجارة إلى المدينة فلما أتت المدينة وباعت شكت الوضيفة فقال لها عمر لو كان مالي لتركته لك ولكنه مال المسلمين وهذه مشورة لم يغب عنها أبو سفيان فبعث إليه فحبسه حتى وفته وقال لابي سفيان بكم أجازك معاوية فقال بمائة دينار * وحدثني عمر قال حدثنا علي عن مسلمة بن محارب عن خالد الحذاء عن عبدالله بن صعصة عن الاحنف قال أتى عبدالله بن عمير عمر وهو يفرض للناس واستشهد أبوه يوم حنين فقال يا أمير المؤمنين افرض لي فلم يلتفت إليه فنخسه فقال عمر حس وأقبل عليه فقال من أنت قال عبدالله بن عمير قال يا يرفأ أعطه ستمائة فأعطاه خمسمائة فلم يقبلها وقال أمر لي أمير المؤمنين بستمائة ورجع إلى عمر فأخبره فقال عمر يا يرفأ أعطه ستمائة

[٢٨٨]

وحلة فأعطاه فلبس الحلة التي كساه عمر ورمى بما كان عليه فقال له عمر يا بني خذ ثيابك هذه فتكون لمهنة أهلك وهذه لزيتك * حدثني عمر قال حدثنا علي قال حدثنا أبو الوليد المكي عن رجل من ولد طلحة عن ابن عباس قال خرجت مع عمر في بعض أسفاره فإنا

لنسير ليلة وقد دنوت منه إذ ضرب مقدم رحله بسوطه وقال كذبتهم
 وبیت الله یقتل أحمد * ولما نطاعن دونه ونناضل ونسلمه حتى نصرع
 حوله * ونذهل عن أبنائنا والحلائل ثم قال أستغفر الله ثم سار فلم
 يتكلم قليلا ثم قال: وما حملت من ناقة فوق رحلها * أبر وأوفى ذمة
 من محمد وأكسى لبرد الخال قبل ابتداله * وأعطى لرأس السابق
 المتجرد ثم قال أستغفر الله يا ابن عباس ما منع عليا من الخروج
 معنا قلت لا أدري قال يا ابن عباس أبوك عم رسول الله صلى الله
 عليه وسلم وأنت ابن عمه فما منع قومكم منكم قلت لا أدري قال
 لكني أدري يكرهون ولا يتكلم لهم قلت لم ونحن لهم كالخير قال
 اللهم غفرا يكرهون أن تجتمع فيكم النبوة والخلافة فيكون بجحا بجحا
 لعلكم تقولون إن أبا بكر قفل ذلك لا والله ولكن أبا بكر أتى أحزم ما
 حضره ولو جعلها لكم ما نفعكم مع قريبكم أنشدني لشاعر الشعراء
 زهير قوله: إذا ابتدرت قيس بن عيلان غاية * من المجد من يسبق
 إليها يسود وأنشدته وطلع الفجر فقال اقرأ الواقعة فقرأتها ثم نزل
 فصلى وقرأ بالواقعة * حدثني ابن حميد قال حدثنا سلمة عن محمد
 بن إسحاق عن رجل عن عكرمة عن ابن عباس قال بينما عمر بن
 الخطاب رضى الله عنه وبعض أصحابه يتذاكرون الشعر فقال بعضهم
 فلان أشعر وقال بعضهم بل فلان أشعر قال فأقبلت فقال عمر قد
 جاءكم أعلم الناس بها فقال عمر من شاعر الشعراء يا ابن عباس
 قال فقلت زهير ابن أبي سلمى فقال عمر هلم من شعره ما
 نستدل به على ما ذكرت فقلت امتدح قوما من بني عبدالله بن
 غطفان فقال: لو كان يقعد فوق الشمس من كرم * قوم بأولهم أو
 محدهم قعدوا

قوم أبوهم سنان حين تنسبهم * طابوا وطاب من الاولاد ما ولدوا
 إنس إذا أمنوا جن إذا فزعوا * مززعون بها ليل إذا حشدوا محسدون
 على ما كان من نعم * لا ينزع الله منهم ما له حسدوا فقال عمر
 أحسن وما أعلم أحدا أولى بهذا الشعر من هذا الحي من بني
 هاشم لفضل رسول الله صلى الله عليه وسلم وقربتهم منه فقلت
 وفتت يا أمير المؤمنين ولم تزل موفقا فقال يا ابن عباس أتدري ما
 منع قومكم منهم بعد محمد فكرهت أن أجيئه فقلت إن لم أكن أدري
 فأمر المؤمنين يدريني فقال عمر كرهوا أن يجمعوا لكم النبوة
 والخلافة فتبجحوا على قومكم بجحا بجحا فاختارت قريش لانفسها
 فاصابت ووفقت فقلت يا أمير المؤمنين إن تأذن لي في كلام وتمط
 عني الغضب تكلمت فقال تكلم يا ابن عباس فقلت أما قولك يا أمير
 المؤمنين اختارت قريش لانفسها فاصابت ووفقت فلو أن قريشا
 اختارت لانفسها حيث اختار الله عز وجل لها لكان الصواب بيدها غير
 مردود ولا محسود وأما قولك إنهم كرهوا أن تكون لنا النبوة والخلافة
 فإن الله عزوجل وصف قوما بالكراهية فقال (ذلك بأنهم كرهوا ما أنزل
 الله فأحبط أعمالهم) فقال عمر هيهات والله يا ابن عباس قد كانت
 تبلغني عنك أشياء كنت أكره أن أفرك عنها فتزيل منزلتك مني فقلت
 وما هي يا أمير المؤمنين فإن كانت حقا فما ينبغي أن تزيل منزلتي
 منك وإن كانت باطلا فمثلي أماط الباطل عن نفسه فقال عمر بلغني
 أنك تقول إنما صرفوها عنا حسدا وظلما فقلت أما قولك يا أمير
 المؤمنين ظلما فقد تبين للجاهل والحليم وأما قولك حسدا فإن
 إبليس حسد آدم فنحن ولده المحسودون فقال عمر هيهات أبت والله
 قلوبكم يا بني هاشم إلا حسدا ما يحول وضعنا وغشا ما يزول فقلت
 مهلا يا أمير المؤمنين لا تصب قلوب قوم أذهب الله عنهم الرجس
 وطهرهم تطهيرا بالحسد والغش فإن قلب رسول الله صلى الله عليه
 وسلم من قلوب بني هاشم فقال عمر إليك عني يا ابن عباس
 فقلت افعل فلما ذهبت لاقوم استجيا مني فقال يا ابن عباس مكانك
 فوالله إني لراع لحقك محب لما سرك فقلت يا أمير المؤمنين إن لي
 عليك حقا

وعلى كل مسلم فمن حفظه فحظه وأصاب ومن أضاعه فحظه أخطأ ثم قام فمضى * حدثني أحمد بن عمر قال حدثنا يعقوب بن إسحاق الحضرمي قال حدثنا عكرمة ابن عمار عن إياس بن سلمة عن أبيه قال مر عمر بن الخطاب رضى الله عنه في السوق ومعه الدرّة فخفقتي بها خفقة فأصاب طرف ثوبي فقال أمط عن الطريق فلما كان في العام المقبل لقبني فقال يا سلمة تريد الحج فقلت نعم فأخذ بيدي فانطلق بي إلى منزله فأعطاني ستمائة درهم وقال استعن بها على حجك وإعلم أنها بالخفقة التي خفقتك قلت يا أمير المؤمنين ما ذكرتها قال وأنا ما نسيتها * حدثني عبد الحميد بن بيان قال أخبرنا محمد بن يزيد عن إسماعيل بن أبي خالد عن سلمة بن كهيل قال قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه أيها الرعية إن لنا عليكم حقا النصيحة بالغيب والمعاونة على الخير إنه ليس من حلم أحب إلى الله ولا أعم نفعاً من حلم إمام ورفقه أيها الرعية إنه ليس من جهل أبغض إلى الله ولا أعم شراً من جهل إمام وخرقه أيها الرعية إنه من يأخذ بالعافية لمن بين طهرانيه يؤتي الله العافية من فوقه * حدثني محمد بن إسحاق قال حدثنا يحيى بن معين قال حدثنا يعقوب بن إبراهيم قال حدثنا عيسى بن يزيد بن داب عن عبدالرحمن بن أبي زيد عن عمران بن سواد قال صليت الصبح مع عمر فقرأ سبحان وسورة معها ثم انصرف وقيمت معه فقال أحاجة قلت حاجة قال فالحق قال فلحقت فلما دخل أذن لي فإذا هو على سرير ليس فوقه شيء فقلت نصيحة فقال مرحباً بالناصح غدوا وعشيا قلت عابت أمتك منك أربعا قال فوضع رأس درته في ذقنه ووضع أسفلها على فخذه ثم قال هات قلت ذكروا أنك حرمت العمرة في أشهر الحج ولم يفعل ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا أبو بكر رضى الله عنه وهي حلال قال هي حلال لو أنهم اعتمروا في أشهر الحج رأوها مجزية من حجهم فكانت قائمة قوب عامها ففرع حجهم وهو بهاء من بهاء الله وقد أصبت قلت وذكروا أنك حرمت متعة النساء وقد كانت رخصة من الله نستمتع بقبضة ونفارق عن ثلاث قال إن رسول الله صلى الله عليه وسلم أحلها في زمان ضرورة ثم رجع الناس إلى السعة ثم لم

أعلم أحدا من المسلمين عمل بها ولا عاد إليها فالآن من شاء نكح بقبضة وفارق عن ثلاث بطلاق وقد أصبت قال قلت وإعتقت الامة إن وضعت ذا بطنها بغير عتاقة سيدها قال ألحقت حرمة بحرمة وما أردت إلا الخير وأستعفر الله قلت وتشكوا منك نهر الرعية وعنف السياق قال فشرع الدرّة ثم مسحها حتى أتى على آخرها ثم قال أنا زميل محمد وكان زامله في غزوة قرقرة الكدر فوالله إنني لارتع فأشبع وأسقى فأروى وأنهز اللفوت وأزجر العروض وأذب قدري وأسوق خطوى وأضم العنود وألحق القطوف وأكثر الزجر وأقل الضرب وأشهر العصا وأدفع باليد لولا ذلك لاعدت قال فبلغ ذلك معاوية فقال كان والله عالما برعيتهم * حدثنا يعقوب بن إبراهيم قال حدثنا ابن عليه عن ابن عون عن محمد قال نبئت أن عثمان قال إن عمر كان يمنع أهله وأقرباءه ابتغاء وجه الله وإنني أعطى أهلي وأقربائي ابتغاء وجه الله ولن يلقى مثل عمر ثلاثة * وحدثني علي بن سهل قال حدثنا ضمرة بن ربيعة عن عبيدالله بن أبي سليمان عن أبيه قال قدمت المدينة فدخلت دارا من دورها فإذا عمر بن الخطاب رضى الله عنه عليه إزار قطري يدهن إبل الصدقة بالقطران * حدثنا ابن بشار قال حدثنا عبدالرحمن قال حدثنا سفيان عن حبيب عن أبي وائل قال قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه لو استقبلت من أمرى ما استدبرت

لاخذت فضول أموال الاغنياء فقسمتها على فقراء المهاجرين *
وحدثنا ابن بشار قال حدثنا عبدالرحمن بن مهدي قال حدثنا منصور
بن أبي الاسود عن الاعمش عن ابراهيم عن الاسود بن يزيد قال
كان الوفد إذا قدموا على عمر رضى الله عنه سألهم عن أميرهم
فيقولون خيرا فيقول هل يعود مرضاكم فيقولون نعم فيقول هل يعود
العبد فيقولون نعم فيقول كيف صنيعه بالضعيف هل يجلس على باب
فإن قالوا لخصلة منها لاعزله * وحدثنا ابن حميد قال حدثنا الحكم بن
بشر قال حدثنا عمرو قال كان عمر بن الخطاب يقول أربع من أمر
الاسلام لست مضيعهن ولا تاركهن لشيء أبدا القوة في مال الله
وجمعه إذا جمعناه وضعناه حيث أمر الله وقعدنا آل عمر ليس في
أيدينا ولا عندنا

[٢٩٢]

منه شيء والمهاجرون الذين تحت ظلال السيوف ألا يحبسوا ولا
يجمروا وأن يوفر في الله عليهم وعلى عيالاتهم وأكون أنا للعيال
حتى يقدموا والانسار الذين أعطوا الله عزوجل نصيبا وقاتلوا الناس
كافة أن يقبل من محسنهم ويتجاوز عن مسيئهم وأن يشاوروا في
الأمر والاعراب الذين هم أصل العرب ومادة الاسلام أن يؤخذ منهم
صدقتهم على وجهها ولا يؤخذ منهم دينار ولا درهم وأن يرد على
فقرائهم ومساكينهم (كتب إلي السري) عن شعيب عن سيف عن
أبي جريح عن نافع عن عبدالله بن عمر قال قال عمر إنني لأعلم أن
الناس لا يعدلون بهذين الرجلين اللذين كان رسول الله صلى الله عليه
وسلم يكون نجيا بينهما وبين جبريل يتبلغ عنه ويمل عليهما قصة
الشورى * حدثني عمر بن شبة قال حدثنا علي بن محمد عن وكيع
عن الاعمش عن ابراهيم ومحمد بن عبدالله الأنصاري عن ابن أبي
عروبة عن قتادة عن شهر بن حوشب وأبي مخنف عن يوسف بن
يزيد عن ابن عباس بن سهل ومبارك بن فضالة عن عبيدالله بن عمر
ويونس بن أبي إسحاق عن عمرو بن ميمون الاودي أن عمر بن
الخطاب لما طعن قيل له يا أمير المؤمنين لو استخلفت قال من
أستخلف لو كان أبو عبيدة ابن الجراح حيا استخلفته فإن سألتني
ربي قلت سمعت نبيك يقول إنه أمين هذه الامة ولو كان سالم
مولى أبي حذيفة حيا استخلفته فإن سألتني ربي قلت سمعت نبيك
يقول إن سالما شديد الحب لله فقال له رجل أدلك عليه عبدالله بن
عمر فقال قاتلك الله والله ما أردت الله بهذا ويحك كيف أستخلف رجلا
عجز عن طلاق امرأته لا أرب لنا في أموركم ما حمدتها فأرغب فيها
لاحد من أهل بيتي إن كان خيرا فقد أصبنا منه وإن كان شرا فبشرنا
إلى عمر بحسب آل عمر أن يحاسب منهم رجل واحد ويسأل عن
أمر أمة محمد أما لقد جهدت نفسي وحرمت أهلي وإن نجوت كفافا
لا وزر ولا أجر إنني لسعيد انظر فإن استخلفت فقد استخلف من هو
خير مني وإن أترك فقد ترك من هو خير مني ولن يضيع الله دينه
فخرجوا ثم

[٢٩٣]

راحوا فقالوا يا أمير المؤمنين لو عهدت عهدا فقال قد كنت أجمعت
بعد مقاتلي لكم أن أنظر فأولى رجلا أمركم هو أحراكم أن يحملكم
على الحق وأشار إلى علي ورهقنتي غشبية فرأيت رجلا دخل جنة
قد غرسها فجعل يقطف كل غضة ويأنعة فيضمه إليه ويصيره تحته
فعلمت أن الله غالب أمره ومتوف عمر فما أريد أتحملا حيا وميتا
عليكم هؤلاء الرهط الذين قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إنهم
من أهل الجنة سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل منهم ولست مدخله
ولكن السنة علي وعثمان ابنا عبد مناف وعبد الرحمن وسعد خالا

رسول الله صلى الله عليه وسلم والزيبر بن العوام حواري رسول الله صلى الله عليه وسلم وابن عمته وطلحة الخير ابن عبيد الله فليختاروا منهم رجلا فإذا ولوا واليا فأحسنوا مؤازرته وأعينوه إن أئتمن أحدا منكم فليؤد إليه أمانته وخرجوا فقال العباس لعلي لا تدخل معهم قال أكره الخلاف قال إذا ترى ما تكره فلما أصبح عمر دعا عليا وعثمان وسعدا وعبد الرحمن بن عوف والزيبر بن العوام فقال إنني نظرت فوجدتكم رؤساء الناس وقادتهم ولا يكون هذا الأمر إلا فيكم وقد قبض رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وهو عنكم راض إنني لا أخاف الناس عليكم إن استقمتم ولكني أخاف عليكم اختلافكم فيما بينكم فيختلف الناس فانهمضوا إلى حجرة عائشة بإذن منها فتشاوروا واختاروا رجلا منكم ثم قال لا تدخلوا حجرة عائشة ولكن كونوا قريبا ووضع رأسه وقد نزفه الدم فدخلوا فتناجوا ثم ارتفعت أصواتهم فقال عبد الرحمن بن عمر سيجان الله إن أمير المؤمنين لم يمت بعد فأسمعه فانتبه فقال ألا أعرضوا عن هذا أجمعون فإذا مت فتشاوروا ثلاثة أيام وليصل بالناس صهيب ولا باتين اليوم الرابع إلا وعليكم أمير منكم ويحضر عبدالله بن عمر مشيرا ولا شئ له من الأمر وطلحة شريككم في الأمر فإن قدم في الأيام الثلاثة فأحضره أمركم وإن مضت الأيام الثلاثة قبل قدمه فاقضوا أمركم ومن لي بطلحة فقال سعد بن أبي وقاص أنا لك به ولا يخالف إن شاء الله فقال عمر أرجو أن لا يخالف إن شاء الله وما أظن أن يلي إلا أحد هذين الرجلين علي أو عثمان فان ولي عثمان

[٢٩٤]

فرجل فيه لين وإن ولي علي ففيه دعاية وأحر به أن يحملهم على طريق الحق وإن تولوا سعدا فأهلها هو وإلا فليستعن به الوالي فاني لم أعزله عن خيانة ولا ضعف ونعم ذو الرأي عبد الرحمن بن عوف مدد رشيد له من الله حافظ فاسمعوا منه وقال لابي طلحة الانصاري يا أبا طلحة إن الله عزوجل طالما أعز الاسلام بكم فاختر خمسين رجلا من الانصار فاستحث هؤلاء الرهط حتى يختاروا رجلا منهم وقال للمقداد بن الاسود إذا وضعتهموني في حفرتي فاجمع هؤلاء الرهط في بيت حتى يختاروا رجلا منهم وقال لصهيب صل بالناس ثلاثة أيام وأدخل عليا وعثمان والزيبر وسعدا وعبد الرحمن بن عوف وطلحة إن قدم وأحضر عبدالله بن عمر ولا شئ له من الأمر وقم علي رؤسهم فان اجتمع خمسة ورضوا رجلا وأبى واحد فاشدخ رأسه أو اضرب رأسه بالسيف وإن اتفق أربعة فرضوا رجلا منهم وأبى اثنان فاضرب رؤسهما فان رضى ثلاثة رجلا منهم وثلاثة رجلا منهم فحكموا عبدالله بن عمر فأى الفريقين حكم له فليختاروا رجلا منهم فان لم يرضوا بحكم عبدالله بن عمر فكوتوا مع الذين فيهم عبد الرحمن بن عوف واقتلوا الباقين ان رغبوا عما اجتمع عليه الناس فخرجوا فقال علي لقوم كانوا معه من بني هاشم ان أطيع فيكم قومكم لم تؤمروا أبدا وتلقاه العباس فقال عدلت عنا فقال وما علمك قال قرن بي عثمان وقال كونوا مع الاكثر فان رضى رجلان رجلا ورجلان رجلا فكونوا مع الذين فيهم عبد الرحمن بن عوف فسعد لا يخالف ابن عمه عبد الرحمن وعبد الرحمن صهر عثمان لا يختلفون فيوليها عبد الرحمن عثمان أو يوليها عثمان عبد الرحمن فلو كان الأخران معي لم ينفعاني بله إنني لأرجو إلا أحدهما فقال له العباس لم أرفعك في شئ إلا رجعت إلي مستأخرا بما أكره أشرت عليك عند وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم أن تسأله فيمن هذا الأمر فأبيت وأشرت عليك بعد وفاته أن تعاجل الأمر فأبيت وأشرت عليك حين سماك عمر في الشورى أن لا تدخل معهم فأبيت احفظ عني واحدة كلما عرض عليك القوم فقل لا إلا أن يولوك واحذر هؤلاء الرهط فانهم لا يبرحون يدفعوننا عن هذا الأمر حتى يقوم لنا به غيرنا وإيم الله لا يناله إلا بشر

لا ينفع معه خير فقال علي أما لئن بقى عثمان لأذكرنه ما أتى ولئن مات ليتداولنها بينهم ولئن فعلوا ليجدني حيث يكرهون ثم تمثل: حلفت برب الرافضات عشية * غدون خفافا فابتدرن المحصبا ليختلين رهط ابن يعمر مارثا * نجيعا بنو الشداخ وردا مصلبا والتفت فرأى أبا طلحة فكره مكانه فقال أبو طلحة لم ترع أبا الحسن فلما مات عمر وأخرجت جنازته تصدى علي وعثمان أيهما يصلى عليه فقال عبدالرحمن كلاكما يحب الامرة لستما من هذا في شئ هذا إلى صهيب استخلفه عمر يصلي بالناس ثلاثا حتى يجتمع الناس على إمام فصلى عليه صهيب فلما دفن عمر جمع المقداد أهل الشورى في بيت المسور بن مخرمة ويقال في بيت المال ويقال في حجرة عائشة بإذنهما وهم خمسة معهم ابن عمر وطلحة غائب وأمروا أبا طلحة أن يحجبهم وجاء عمرو بن العاص والمغيرة بن شعبة فجلسا بالباب فحصبهما سعد وأقامهما وقال تريدان أن تقولوا حضرا وكنا في أهل الشورى فتنافس القوم في الامر وكثر بينهم الكلام فقال أبو طلحة أنا كنت لأن تدفعوها أخوف مني لأن تنافسوها لا والذي ذهب بنفس عمر لا أزيدكم على الايام الثلاثة التي أمرتم ثم اجلس في بيتي فأنظر ما تصنعون فقال عبدالرحمن أيكم يخرج منها نفسه ويتقلدها علي أن يوليها أفضلكم فلم يجبه أحد فقال فأنا أنخلع منها فقال عثمان أنا أول من رضى فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول أمين في الارض أمين في السماء فقال القوم قد رضينا وعلي ساكت فقال ما تقول يا أبا الحسن قال أعطني موثقا لتؤثرن الحق ولا تتبع الهوى ولا تخص ذا رحم ولا تألوا الامة فقال أعطوني موثيقكم على أن تكونوا معي علي من بدل وغير وأن ترضوا من اخترت لكم علي ميثاق الله أن لا أخص ذا رحم لرحمه ولا ألو المسلمين فأخذ منهم ميثاقا وأعطاهم مثله فقال لعلي إنك تقول إنني أحق من حضر بالامر لقرايتك وسابقتك وحسن أثرك في الدين ولم تبعد ولكن أرايت لو صرف هذا الامر عنك فلم تحضر من كنت ترى من هؤلاء الرهط أحق بالامر قال عثمان وخلا بعثمان فقال تقول شيخ من بني عبد مناف وصهر رسول الله صلى الله عليه

وسلم وابن عمه لي سابقة وفضل لم تبعد فلم يصرف هذا الامر عني ولكن لو لم تحضر فأى هؤلاء الرهط تراه أحق به قال علي ثم خلا بالزبير فكلمه بمثل ما كلم به علي وعثمان فقال عثمان ثم خلا بسعد فكلمه فقال عثمان فلقى علي سعدا فقال (اتقوا الله الذي تساءلون به والارحام إن الله كان عليكم رقيبا) أسألك برحم ابني هذا من رسول الله صلى الله عليه وسلم وبرحم عمي حمزة منك أن لا تكون مع عبدالرحمن لعثمان ظهيرا علي فاني أدلى بما لا يدلى به عثمان ودار عبدالرحمن لياليه يلقى أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن وافى المدينة من أمراء الاجناد وأشرف الناس يشاورهم ولا يخلو برجل إلا أمره بعثمان حتى إذا كانت الليلة التي يستكمل في صبيحتها الاجل أتى منزل المسور بن مخرمة بعدا بهيرار من الليل فأيقظه فقال ألا أراك نائما ولم أذق في هذه الليلة كثير غمض انطلق فادع الزبير وسعدا فدعاها فبدأ بالزبير في مؤخر المسجد في الصفة التي تلي دار مروان فقال له خل ابني عبد مناف وهذا الامر قال نصيبي لعلي وقال لسعد أنا وأنت كلالاة فاجعل نصيبك لي فأختار قال إن اخترت نفسك فنعم وإن اخترت عثمان فعلي أحب إلي أيها الرجل بايع لنفسك وأرحنا وارفع رؤسنا قال يا أبا اسحاق إنني قد خلعت نفسي منها على أن أختار ولو لم أفعل وجعل الخيار إلي لم أردتها إنني أريت كروضة خضراء كثيرة العشب فدخل فحل فلم أر فحلا قط أكرم منه فمر كأنه سهم لا يلتفت إلى شئ مما في الروضة حتى قطعها لم يعرج ودخل بعير يتلوه فاتبع أثره

حتى خرج من الروضة ثم دخل فحل عبقرى يجر خطامه يلتفت يمينا وشمالا ويمضى قصد الاولين حتى خرج ثم دخل بعير رابع فترع في الروضة ولا والله لا أكون الرابع ولا يقوم مقام أبي بكر وعمر بعدهما أحد فيرضى الناس عنه قال سعد فإنني أخاف أن يكون الضعف قد أدركك فامض لرأيك فقد عرفت عهد عمر وانصرف الزبير وسعد وأرسل المسور بن مخرمة إلى علي فواجه طويلا وهو لا يشك أنه صاحب الامر ثم نهض وأرسل المسور إلى عثمان فكان في نجيتهما حتى فرق بينهما أذان الصبح فقال عمرو بن ميمون قال لي عبدالله بن عمر يا عمر ومن أخبرك أنه يعلم ما كلم

[٢٩٧]

به عبدالرحمن بن عوف عليا وعثمان فقد قال بغير علم فوقع قضاء ربك على عثمان فلما صلوا الصبح جمع الرهط وبعث إلي من حضره من المهاجرين وأهل السابقة والفضل من الانصار وإلى أمراء الاجناد فاجتمعوا حتى اتج المسجد بأهله فقال أيها الناس إن الناس قد أحبوا أن يلحق أهل الامصار بأمصارهم وقد علموا من أميرهم فقال سعيد بن زيد إن نراك لها أهلا فقال أشيروا علي بغير هذا فقال عمار إن أردت أن لا يختلف المسلمون فبايع عليا فقال المقداد بن الاسود صدق عمار إن بايعت عليا قلنا سمعنا وأطعنا قال ابن أبي سرح إن أردت أن لا تختلف قريش فبايع عثمان فقال عبدالله بن أبي ربيعة صدق إن بايعت عثمان قلنا سمعنا وأطعنا فاشتم عمار ابن أبي سرح وقال متى كنت تنصح المسلمين فتكلم بنو هاشم وبنو أمية فقال عمار أيها الناس إن الله عزوجل أكرمنا بنبيه وأعزنا بدينه فأنى تصرفون هذا الامر عن أهل بيت نبيكم فقال رجل من بني مخزوم لقد عدوت طورك يا ابن سمية وما أنت وتأمير قريش لانفسها فقال سعد بن أبي وقاص يا عبدالرحمن أفرغ قبل أن يفتتن الناس فقال عبدالرحمن إنني قد نظرت وشاورت فلا تجعلن أيها الرهط على أنفسكم سبيلا ودعا عليا فقال عليك عهد الله وميثاقه لتعملن بكتاب الله وسنة رسوله وسيرة الخليفتين من بعده قال أرجو أن أفعل وأعمل بمبلغ علمي وطاقتي ودعا عثمان فقال له مثل ما قال لعلي قال نعم فبايعه فقال علي حبوته حبو دهر ليس هذا أول يوم تظاهرت فيه علينا فصبر جميل والله المستعان على ما تصفون والله ما وليت عثمان إلا ليرد الامر اليك والله كل يوم هو في شأن فقال عبدالرحمن يا علي لا تجعل علي نفسك سبيلا فإنني قد نظرت وشاورت الناس فإذا هم لا يعدلون بعثمان فخرج علي وهو يقول سيبلغ الكتاب أجله فقال المقداد يا عبدالرحمن أما والله لقد تركته من الذين يقضون بالحق وبه يعدلون فقال يا مقداد والله لقد اجتهدت للمسلمين قال إن كنت أردت بذلك الله فأثابك الله ثواب المحسنين فقال المقداد ما رأيت مثل ما أوتى إلى أهل هذا البيت بعد نبيهم إنني لأعجب من قريش أنهم تركوا رجلا ما أقول أن أحدا أعلم ولا أفضى منه بالعدل أما والله لو أجد عليه أعوانا فقال

[٢٩٨]

عبدالرحمن يا مقداد اتق الله فإنني خائف عليك الفتنة فقال رجل للمقداد رحمك الله من أهل هذا البيت ومن هذا الرجل قال أهل البيت بنو عبدالمطلب والرجل علي بن أبي طالب فقال علي إن الناس ينظرون إلى قريش وقريش تنظر إلى بيتها فتقول إن ولي عليكم بنو هاشم لم تخرج منهم أبدا وما كانت في غيرهم من قريش تداولتموها بينكم وقدم طلحة في اليوم الذي بويع فيه لعثمان فقيل له بايع عثمان فقال أكل قريش راض به قال نعم فأتى عثمان فقال له عثمان أنت على رأس أمرك إن أبيت رددتها قال أتردها قال

نعم قال أكل الناس بابعوك قال نعم قال قد رضيت لا أرغب عما قد أجمعوا عليه ويايعه وقال المغيرة بن شعبة لعبد الرحمن يا أبا محمد قد أصبت إذ بايعت عثمان وقال لعثمان لو بايع عبدالرحمن غيرك ما رضينا فقال عبدالرحمن كذبت يا أعور لو بايعت غيره لباعته ولقلت هذه المقالة وقال الفرزدق صلى صهيب ثلاثا ثم أرسلها * علي ابن عفان ملكا غير مقصور خلافة من أبي بكر لصاحبه * كانوا أخلاء مهدي ومأمور وكان المسور بن مخرمة يقول ما رأيت رجلا بذ قوما فيما دخلوا فيه بأشد مما بذهم عبدالرحمن بن عوف (قال أبو جعفر) وأما المسور بن مخرمة فإن الرواية عندنا عنه ما حدثني سالم بن حنادة أبو السائب قال حدثنا سليمان بن عبد العزيز ابن أبي ثابت بن عبد العزيز بن عمر بن عبدالرحمن بن عوف قال حدثنا أبي عن عبدالله ابن جعفر عن أبيه عن المسور بن مخرمة وكانت أمه عاتكة ابنة عوف في الخبر الذي قد مضى ذكرى أوله في مقتل عمر بن الخطاب قال ونزل في قبره يعني في قبر عمر الخمسة يعني أهل الشورى قال ثم خرجوا يريدون بيوتهم فناداهم عبدالرحمن إلى أين هلموا فتبعوه وخرج حتى دخل بيت فاطمة ابنة قيس الفهرية أخت الضحاك ابن قيس الفهري قال بعض أهل العلم بل كانت زوجته وكانت نجودا يريد ذات رأى قال فبدأ عبدالرحمن بالكلام فقال يا هؤلاء إن عندي رأيا وإن لكم نظرا فاسمعوا تعلموا وأجيبوا تفقهوا فإن حايا خير من زاهق وإن جرعة من شروب

[٢٩٩]

بارد أنفع من عذب موب أنتم أئمة يهتدى بكم وعلماء يصدر إليكم فلا تغلوا المدى بالاختلاف بينكم ولا تغمدوا السيوف عن أعدائكم فتوتروا تارككم وتؤلتوا أعمالكم لكل أجل كتاب ولكل بيت إمام بأمره يقومون وينهيه يرفعون قلدوا أمركم واحدا منكم تمشوا الهوينا وتلحقوا الطلب لولا فتنة عمياء وضلالة حيراء يقول أهلها ما يرون وتلهم الحبو كرى ما عدت نيانتكم معرفتكم ولا أعمالكم نيانتكم احذوا نصيحة الهوى ولسان الفرقة فإن الحيلة في المنطق أبلغ من السيوف في الكلم علقوا أمركم ربح الذراع فيما حل مأمون الغيب فيما نزل رضا منكم وكلكم رضا ومقترعا منكم وكلكم منتهى لا تطبعوا مفسدا ينتصح ولا تخالفوا مرشدا ينتصر أقول قولني هذا وأستغفر الله لي ولكم ثم تكلم عثمان بن عفان فقال الحمد لله الذي اتخذ محمدا نبيا وبعثه رسولا صدقه وعده ووهب له نصره على كل من بعد نسبا أو قرب رحما صلى الله عليه وسلم جعلنا الله له تابعين وبأمره مهتدين فهو لنا نور ونحن بأمره نقوم عند تفرق الأهواء ومجادلة الأعداء جعلنا الله بفضلنا أئمة وبطاعته أمراء لا يخرج أمرنا منا ولا يدخل علينا غيرنا إلا من سفه الحق ونكل عن القصد وأحر بها يا ابن عوف أن تترك وأجدر بها أن تكون إن خولف أمرك وترك دعاؤك فأنا أول مجيب لك وداع اليك وكفيل بما أقول زعيم وأستغفر الله لي ولكم ثم تكلم الزبير بن العوام بعده فقال أما بعد فإن داعي الله لا يجهل ومجيبه لا يخذل عند تفرق الأهواء ولي الاعناق ولن يقصر عما قلت إلا غوى ولن يترك ما دعوت إليه إلا شقى لولا حدود لله فرضت وفرائض لله حدث تراخ على أهلها وتحيا لا تموت لكان الموت من الأمانة نجاة والفرار من الولاية عصمة ولكن لله علينا إجابة الدعوة وإظهار السنة لئلا نموت ميتة عمية ولا نعمى عمى الجاهلية فأنا مجيبك إلى ما دعوت ومعينك على ما أمرت ولا حول ولا قوة إلا بالله وأستغفر الله لي ولكم ثم تكلم سعد بن أبي وقاص فقال الحمد لله بدينا كان وأخرا يعود أحمده لما نجاني من الضلالة وبصرني من الغواية فبهدي الله فاز من نجا وبرحمته أفلح من زكا وبمحمد بن عبدالله صلى الله عليه وسلم أنارت الطرق واستقامت

السبيل وظهر كل حق ومات كل باطل إياكم أيها النفر وقول الزور وأمنية أهل الغرور فقد سلبت الاماني قوما قبلكم ورثوا ما ورثتم ونالوا ما نلتهم فاتخذهم الله عدوا ولعنهم لعنا كبيرا قال الله عزوجل (لعن الذين كفروا من بني إسرائيل على لسان داوود وعيسى ابن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون) إني نكيت قرني فأخذت سهمي الفالج وأخذت لطلحة بن عبيدالله ما ارتضيت لنفسي فأنا به كفيل وبما أعطيت عنه زعيم والأمر إليك يا ابن عوف بجهد النفس وقصد النصح وعلى الله قصد السبيل واليه الرجوع وأستغفر الله لي ولكم وأعوذ بالله من مخالفتكم ثم تكلم علي بن أبي طالب رضى الله تعالى عنه فقال الحمد لله الذي بعث محمدا منا نبيا وبعثه الينا رسولا فنحن بيت النبوة ومعدن الحكمة وأمان أهل الارض ونجاة لمن طلب لنا حق إن نعطه نأخذه وإن نمنعه نركب أعجاز الابل ولو طال السرى لو عهد الينا رسول الله صلى الله عليه وسلم عهدا لانفذنا عهده ولو قال لنا قولاً لجادلنا عليه حتى نموت لن يسرع أحد قبلي إلى دعوة حق وصلة رحم ولا حول ولا قوة إلا بالله اسمعوا كلامي وعوا منطقي عسى أن تروا هذا الامر من بعد هذا المجمع تنتضى فيه السيوف وتخان فيه العهود حتى تكونوا جماعة ويكون بعضكم أمة لاهل الضلالة وشبيعة لاهل الجهالة ثم أنشأ يقول: فإن تك جاسم هلكت فإنني * بما فعلت بنو عبد بن ضخم مطيع في الهواجر كل عي * بصير بالنوى من كل نجم فقال عبدالرحمن أيكم يطيب نفساً أن يخرج نفسه من هذا الامر ويوليه غيره قال فأمسكوا عنه قال فإنني أخرج نفسي وابن عمي فقلده القوم الامر وأحلفهم عند المنبر فحلفوا ليباعن من بايع وإن بايع بإحدى يديه الأخرى فأقام ثلاثاً في داره التي عند المسجد التي يقال لها اليوم رحبة القضاء وبذلك سميت رحبة القضاء فأقام ثلاثاً يصلى بالناس صهيبي قال وبعث عبدالرحمن إلى علي فقال له إن لم أبايعك فأشر علي فقال عثمان ثم بعث إلى عثمان فقال إن لم أبايعك فمن تشير علي قال علي ثم قال لهما

انصرفا فدعا الزبير فقال إن لم أبايعك فمن تشير علي قال عثمان ثم دعا سعدا فقال من تشير علي فأما أنا وأنت فلا نريدها فمن تشير علي قال عثمان فلما كانت الليلة الثالثة قال يا مسور قلت لبيك قال إنك لنايم والله ما اكتحلت بغماض منذ ثلاث اذهب فادع لي عليا وعثمان قال قلت يا خال بأيهما أبدا قال بأيهما شئت قال فخرجت فأتيت عليا وكان هواي فيه فقلت أحب خالي فقال بعثك معي إلى غيري قلت نعم، قال إلى من ؟ قلت إلى عثمان، قال فأينا أمرك أن تبدأ به قلت قد سألته فقال بأيهما شئت فبدأت بك وكان هواي فيك قال فخرج معي حتى أتينا المقاعد فجلس عليها علي ودخلت علي عثمان فوجدته يوتر مع الفجر فقلت أحب خالي فقال بعثك معي إلى غيري قلت نعم إلى علي قال بأيما أمرك أن تبدأ قلت سألته فقال بأيهما شئت وهذا علي على المقاعد فخرج معي حتى دخلنا جميعا على خالي وهو في القبلة قائم يصلي فانصرف لما رأنا ثم التفت إلى علي وعثمان فقال إني قد سألت عنكما وعن غيركما فلم أجد الناس يعدلون بكما هل أنت يا علي مبايعي على كتاب الله وسنة نبيه وفعل أبي بكر وعمر فقال اللهم لا ولكن جهدي من ذلك وطاقتي فالتفت إلى عثمان فقال هل أنت مبايعي على كتاب الله وسنة نبيه وفعل أبي بكر وعمر قال اللهم نعم فأشار بيده إلى كتفيه وقال إذا شئتما فنهضنا حتى دخلنا المسجد وصاح صائح الصلاة جامعة قال عثمان فتأخرت والله حياء لما رأيت من إسراعيه إلى علي فكنت في آخر المسجد قال وخرج عبدالرحمن بن عوف وعليه عمامة التي عممه بها رسول الله صلى الله عليه وسلم متقلدا سيفه حتى ركب

المنبر فوقف وقوفا طويلا ثم دعا بما لم يسمعه الناس ثم تكلم فقال أيها الناس إنني قد سألتكم سرا وجهرا عن إمامكم فلم أحدكم تعدلون بأحد هذين الرجلين أما علي وإما عثمان فقم إلى يا علي فقام إليه علي فوقف تحت المنبر فأخذ عبدالرحمن بيده فقال هل أنت مبايعي علي كتاب الله وسنة نبيه وفعل أبي بكر وعمر قال اللهم لا ولكن علي جهدي من ذلك وطاقتي قال فأرسل يده ثم نادى قم إلي يا عثمان فأخذ بيده وهو في موقف علي الذي كان فيه فقال هل أنت مبايعي علي كتاب الله وسنة نبيه وفعل أبي بكر وعمر قال اللهم نعم قال فرفع رأسه إلى سقف المسجد ويده في يد عثمان ثم قال اللهم اسمع واشهد اللهم إنني قد جعلت ما في رقبتي من ذاك في رقية

[٣٠٢]

عثمان قال وازدحم الناس يبائعون عثمان حتى غشوه عند المنبر ففعد عبدالرحمن مقعد النبي صلى الله عليه وسلم من المنبر وأفعد عثمان على الدرجة الثانية فجعل الناس يبائعونه وتلكأ علي فقال عبدالرحمن ومن نكث فانما ينكث على نفسه ومن أوفى بما عاهد عليه الله فسيؤتيه أجرا عظيما فرجع علي يشق الناس حتى بايع وهو يقول خدعة وأيما خدعة قال عبد العزيز وإنما سبب قول علي خدعة أن عمرو ابن العاص كان قد لقي عليا في ليالي الشورى فقال إن عبدالرحمن رجل مجتهد وإنه متى أعطيته العزيمة كان أزهده لك فيك ولكن الجهد والطاقة فانه أرغب له فيك قال ثم لقي عثمان فقال إن عبدالرحمن رجل مجتهد وليس والله يبائعك إلا بالعزيمة فاقبل فلذلك قال علي خدعة قال ثم انصرف بعثمان إلى بيت فاطمة ابنة قيس فجلس والناس معه فقام المغيرة بن شعبه خطيبا فقال يا أبا محمد الحمد لله الذي وفقك والله ما كان لها غير عثمان وعلي جالس فقال عبدالرحمن يا ابن الدباغ ما أنت وذلك والله ما كنت أباع أحدا إلا قلت فيه هذه المقالة قال ثم جلس عثمان في جانب المسجد ودعا عبيد الله بن عمر وكان محبوسا في دار سعد بن أبي وقاص وهو الذي نزع السيف من يده بعد قتله جفينة والهرمزان وابنة أبي لؤلؤة وكان يقول والله لاقتلن رجلا ممن شرك في دم أبي يعرض بالمهاجرين والانصار فقام إليه سعد فنزع السيف من يده وجذب شعره حتى أضجعه إلى الارض وحبسه في داره حتى أخرجه عثمان إليه فقال عثمان لجماعة من المهاجرين والانصار أشيروا علي في هذا الذي فتق في الاسلام ما فتق فقال علي أرى أن تقتله فقال بعض المهاجرين قتل عمر أمس ويقتل ابنه اليوم فقال عمرو بن العاص يا أمير المؤمنين إن الله قد أعفأك أن يكون هذا الحدث كان ولك على المسلمين سلطانا إنما كان هذا الحدث ولا سلطان لك قال عثمان أنا وليهم وقد جعلتها دية واحتملتها في مالي قال وكان رجل من الانصار يقال له زياد بن لبيد البياضي إذا رأى عبيد الله بن عمر قال ألا يا عبيد الله مالك مهرب * ولا ملجأ من ابن أروى ولا خفر أصبت دما والله في غير حله * حراما وقتل الهرمزان له خطر

[٣٠٣]

على غير شئ غير أن قال قائل * أتتهمون الهرمزان على عمر فقال سفيه والحوادث جمة * نعم أتهمه قد أشار وقد أمر وكان سلاح العبد في جوف بيته * يفلبها والامر بالامر يعتبر قال فشكا عبيد الله بن عمر إلى عثمان زياد بن لبيد وشعره فدعا عثمان زياد بن لبيد فنهاه قال فأنشأ زياد يقول في عثمان: أبا عمرو عبيدالله رهن * فلا تشكك بقتل الهرمزان فإنك إن عفرت الجرم عنه * وأسباب الخطا فرسا رهان أتعفو إذ عفوت بغير حق * فما لك بالذي تحكى يدان فدعا

عثمان زياد بن ليبيد فنهاه وشذ به (كتب إلى السري) عن شعيب عن سيف عن يحيى بن سعيد عن سعيد بن المسيب أن عبدالرحمن بن أبي بكر قال غداة طعن عمر مررت على أبي لؤلؤة عشى أمس ومعه جفينة والهرمزان وهم نجى فلما رهنهم ثاروا وسقط منهم خنجر له رأسان نصابه في وسطه فانظروا بأي شئ قتل وقد تخلل أهل المسجد وخرج في طلبه رجل من بني تميم فرجع إليهم التميمي وقد كان أظ بأبي لؤلؤة منصرفه عن عمر حتى أخذه فقتله وجاء بالخنجر الذي وصف عبدالرحمن بن أبي بكر فسمع بذلك عبيد الله بن عمر فأمسك حتى مات عمر ثم اشتمل على السيف فأنتى الهرمزان فقتله فلما عضه السيف قال لا إله إلا الله ثم مضى حتى أتى جفينة وكان نصرانيا من أهل الحيرة ظنرا لسعد بن مالك أقدمه إلى المدينة للصلح الذي بينه وبينهم وليعلم بالمدينة الكتابة فلما علاه بالسيف صلب بين عينيه وبلغ ذلك صهيبا فبعث إليه عمرو بن العاص فلم يزل به وعنه ويقول السيف بأبي وأمي حتى ناوله إياه وثاوره سعد فأخذ بشعره وجاءوا إلى صهيب عمال عمر رضى الله عنه على الامصار وكان عامل عمر بن الخطاب رضى الله عنه في السنة التي قتل فيها وهي سنة ٢٣ على مكة نافع بن عبد الحارث الخزاعي وعلى الطائف سفيان بن عبد الله الثقفي وعلى صنعاء يعلى بن منية حليف بني نوفل بن عبد مناف وعلى الجند عبدالله بن

[٣٠٤]

أبي ربيعة وعلى الكوفة المغيرة بن شعبة وعلى البصرة أبو موسى الأشعري وعلى مصر عمرو بن العاص وعلى حمص عمير بن سعد وعلى دمشق معاوية بن ابن سفيان وعلى البحرين وما والاهما عثمان بن أبي العاص الثقفي (وفي هذه السنة) أعني سنة ٢٣ توفى فيما زعم الواقدي قتادة بن النعمان الظفري وصلى عليه عمر ابن الخطاب وفيها غزا معاوية الصائفة حتى بلغ عمورية ومعه من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم عبادة بن الصامت وأبو أيوب خالد بن زيد وأبو ذر وشداد بن أوس (وفيها) فتح معاوية عسقلان على صلح (وقيل) كان على قضاء الكوفة في السنة التي توفى فيها عمر بن الخطاب رضى الله عنه شريح وعلى البصرة كعب بن سور وأما مصعب بن عبدالله فإنه ذكر أن مالك بن أنس روى عن ابن شهاب أن أبا بكر وعمر رضى الله عنهما لم يكن لهما قاض ثم دخلت سنة أربع وعشرين ذكر ما كان فيها من الاحداث المشهورة (ففيها) بويع لعثمان بن عفان بالخلافة واختلف في الوقت الذي بويع له فيه فقال بعضهم ما حدثني به الحارث قال حدثنا ابن سعد قال أخبرنا محمد بن عمر قال حدثني أبو بكر بن إسماعيل بن محمد بن سعد بن أبي وقاص عن عثمان بن محمد الاخنسي قال وأخبرنا محمد بن عمر قال حدثني أبو بكر بن عبدالله بن أبي سبرة عن يعقوب بن زيد عن أبيه قال بويع عثمان بن عفان يوم الاثنين لليلة بقيت من ذي الحجة سنة ٢٣ فاستقبل بخلافته المحرم سنة ٢٤ وقال آخرون ما حدثني به أحمد بن ثابت الرازي عن ذكره عن إسحاق بن عيسى عن أبي معشر قال بويع لعثمان عام الرعاف سنة ٢٤ (قيل) إنما قيل لهذه السنة عام الرعاف لأنه كثر الرعاف فيها في الناس وقال آخرون فيما كتب به إلي السري عن شعيب عن سيف عن خليد بن ذفرة ومجالد قال استخلف عثمان لثلاث مضي من المحرم سنة ٢٤ فخرج فضلى بالناس العصر وزاد ووفد فاستن به (وكتب إلي السري) عن شعيب عن سيف عن عمر عن الشعبي قال

[٣٠٥]

اجتمع أهل الشورى على عثمان لثلاث مضي من المحرم وقد دخل وقت العصر وقد أذن مؤذن صهيب واجتمعوا بين الأذان والإقامة فخرج فصلى بالناس وزاد الناس مائة ووفد أهل الامصار وهو أول من صنع ذلك (وقال آخرون) فيما ذكر ابن سعد عن الواقدي عن ابن جريح عن ابن أبي مليكة قال بويح لعثمان لعشر مضي من المحرم بعد مقتل عمر بثلاث ليال خطبة عثمان رضى الله عنه وقتل عبيد الله بن عمر الهرمزان (كتب إلي السري) عن شعيب عن سيف عن بدر بن عثمان عن عمه قال لما بايع أهل الشورى عثمان خرج وهو أشدهم كآبة فأتى منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فخطب الناس فحمد الله وأثنى عليه وصلى على النبي صلى الله عليه وسلم وقال إنكم في دار قلعة وفي بقية أعمار فبادروا أجالكم بخير ما تقدرون عليه فلقد أتيتم صبحتم أو مسيتم ألا وإن الدنيا طويت على الغرور فلا تغرنكم الحياة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور اعتبروا بمن مضى ثم جدوا ولا تغفلوا فإنه لا يغفل عنكم أين أبناء الدنيا وإخوانها الذين أثاروها وعمروها وامتعوا بها طويلا ألم تلفظهم ارموا بالدنيا حيث رمى الله بها واطلبوا الآخرة فإن الله قد ضرب لها مثلا والذي هو خير فقال عزوجل (واضرب لهم مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء - إلى قوله - أملا) وأقبل الناس يباعونه (وكتب إلي السري) عن شعيب عن سيف عن أبي منصور قال سمعت القمادبان يحدث عن قتل أبيه قال كانت العجم بالمدينة يستروح بعضها إلى بعض فمر فيروز بابي ومعه خنجر له رأسان فتناوله منه وقال ما تصنع بهذا في هذه البلاد فقال أبس به فرأه رجل فلما أصيب عمر قال رأيت هذا مع الهرمزان دفعه إلى فيروز فأقبل عبيدالله فقتله فلما ولي عثمان دعاني فأمكنني منه ثم قال يا بني هذا قاتل أبيك وأنت أولى به منا فاذهب فاقتله فخرجت به وما في الأرض أحد إلا معي إلا أنهم يطلبون إلي فيه فقلت لهم ألى قتله قالوا نعم وسبوا عبيدالله فقلت أفلكم أن تمنعوه قالوا لا وسبوه فتركته لله ولهم فاحتملوني فوالله ما بلغت المنزل إلا على رؤس الرجال وأكفهم

[٣٠٦]

ولاية سعد بن أبي وقاص الكوفة (وفي هذه السنة) عزل عثمان المغيرة بن شعبة عن الكوفة وولاه سعد بن أبي وقاص فيما كتب به إلى السري عن شعيب عن سيف عن المجالد عن الشعبي قال كان عمر قال أوصى الخليفة من بعدي أن يستعمل سعد بن أبي وقاص فاني لم أعزله عن سوء وقد خشيت أن يلحقه من ذلك وكان أول عامل بعث به عثمان سعد بن أبي وقاص على الكوفة وعزل المغيرة بن شعبة والمغيرة يومئذ بالمدينة فعمل عليها سعد سنة وبعض أخرى وأقر أبا موسى سنوات وأما الواقدي فإنه ذكر أن أسامة بن زيد بن أسلم حدثه عن أبيه أن عمر أوصى أن يقر عماله سنة فلما ولي عثمان أقر المغيرة بن شعبة على الكوفة سنة ثم عزله واستعمل سعد بن أبي وقاص ثم عزله واستعمل الوليد بن عقبة فان كان صحيحا ما رواه الواقدي من ذلك فولاية سعد الكوفة من قبل عثمان كانت سنة ٢٥ كتب عثمان رضى الله عنه إلى عماله وولاته والعامية (كتب إلي السري) عن شعيب عن سيف عن محمد وطلحة باسنادهما قالا لما ولي عثمان بعث عبدالله بن عامر إلى كابل وهي عمالة سجستان فبلغ كابل حتى استفرغها فكانت عمالة سجستان أعظم من خراسان حتى مات معاوية وامتنع أهل كابل قالوا وكان أول كتاب كتبه عثمان إلى عماله أما بعد فإن الله أمر الأئمة أن يكونوا رعاة ولم يتقدم إليهم أن يكونوا جباة وإن صدر هذه الأمة خلقوا رعاة لم يخلقوا جباة وليوشكن أئمتكم أن يصيروا جباة ولا يكونوا رعاة فإذا عادوا كذلك انقطع الحياء والامانة والوفاء ألا وإن أعدل السيرة أن تنظروا في أمور المسلمين وفيما عليهم فتعطوهم مالهم وتأخذوهم بما عليهم ثم تتنوا بالذمة فتعطوهم الذي لهم وتأخذوهم بالذي عليهم ثم العدو الذي تتابون فاستفتحوا عليهم بالوفاء قالوا وكان أول

كتاب كتبه إلى أمراء الاجناد في الفروج: أما بعد فانكم حماة المسلمين وذادتهم وقد وضع لكم عمر ما لم يرغب عنا بل كان عن ملا منا ولا يبلغني عن أحد منكم تغيير ولا تبديل فيغير الله ما بكم ويستبدل بكم غيركم فانظروا كيف تكونون فاني أنظر فيما أزميني الله النظر فيه والقيام عليه. قالوا وكان أول كتاب كتبه إلى عمال الخراج: أما بعد فان الله خلق الخلق بالحق

[٣٠٧]

يقبل الا الحق خذوا الحق وأعطوا الحق به والامانة الامانة قوموا عليها ولا تكونوا أول من يسلبها فتكونوا شركاء من بعدكم إلى ما اكتسبتم والوفاء الوفاء لا تظلموا اليتيم ولا المعاهد فان الله خصم لمن ظلمهم قالوا وكان كتابه إلى العامة أما بعد فانكم إنما بلغت ما بلغت بالافتداء والاتباع فلا تفتنكم الدنيا عن أمركم فان أمر هذه الامة صائر إلى الابتداء بعد اجتماع ثلاث فيكم تكامل النعم وبلوغ أولادكم من السبايا وقراءة الاعراب والاعاجم القرآن فان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الكفر في العجمة فإذا استعجم عليهم أمر تكلفوا وابتدعوا (وكتب إلي السري) عن شعيب عن سيف عن عاصم بن سليمان عن عامر الشعبي قال أول خليفة زاد الناس في أعطياتهم مائة عثمان فجرت وكان عمر يجعل لكل نفس منقوسة من أهل الفئ في رمضان درهما في كل يوم وفرض لازواج رسول الله صلى الله عليه وسلم درهمين درهمين فقيل له لو صنعت لهم طعاما فجمعتهم عليه فقال أشبع الناس في بيوتهم فأقر عثمان الذي كان صنع عمر وزاد فوضع طعام رمضان فقال للمتعب الذي يتخلف في المسجد وابن السبيل والمعتري بالناس في رمضان (وفي هذه السنة) أعني سنة أربع وعشرين غزا الوليد بن عقبة أذربيجان وأرمينية لمنع أهلها ما كانوا صالحوا عليه أهل الاسلام أيام عمر في رواية أبي مخنف وأما في رواية غيره فإن ذلك كان في سنة ٢٦ ذكر الخبر عن ذلك وما كان من أمر المسلمين وأمرهم في هذه الغزوة ذكر هشام بن محمد أن أبا مخنف حدثه عن فروة بن لقيط الأزدي ثم الغامدي أن مغازي أهل الكوفة كانت الري وأذربيجان وكان بالثغرين عشرة آلاف مقاتل من أهل الكوفة ستة آلاف بأذربيجان وأربعة آلاف بالري وكان بالكوفة إذ ذاك أربعون ألف مقاتل وكان يغزو هذين الثغرين منهم عشرة آلاف في كل سنة فكان الرجل يصيبه في كل أربع سنين غزوة فعزا الوليد بن عقبة في إمارته على الكوفة في سلطان عثمان أذربيجان وأرمينية فدعا سلمان بن ربيعة الباهلي فبعثه أمامه مقدمة له وخرج الوليد في جماعة الناس وهو يريد أن يمعن في أرض

[٣٠٨]

أرمينية فمضى في الناس حتى دخل أذربيجان فبعث عبدالله بن شبيل بن عوف الاحمسي في أربعة آلاف فأغار على أهل موقان والبير والطيلسان فأصاب من أموالهم وغنم وتحرز القوم منه وسبى منهم سبيا يسيرا فأقبل إلى الوليد بن عقبة ثم إن الوليد صالح أهل أذربيجان على ثمانمائة ألف درهم وذلك هو الصلح الذي كانوا صالحوا عليه حذيفة بن اليمان سنة اثنين وعشرين بعد وقعة نهاوند بسنة ثم إنهم حبسوها عند وفاة عمر فلما ولي عثمان وولى الوليد بن عقبة الكوفة سار حتى وطئهم بالجيش فلما رأوا ذلك انقادوا له وطلبوا إليه أن يتم لهم على ذلك الصلح ففعل فقبض منهم المال وبث فيمن حولهم من أعداء المسلمين الغارات فلما رجع إليه عبدالله بن شبيل الاحمسي من غارته تلك وقد سلم وغنم بعث سلمان بن ربيعة الباهلي إلى أرمينية في اثني عشر ألفا سنة أربع وعشرين

فسار في أرض أرمينية فقتل وسبى وغنم ثم إنه انصرف وقد ملا يديه حتى أتى الوليد فانصرف الوليد وقد ظفر وأصاب حاجته إجلاب الروم على المسلمين واستمداد المسلمين من الكوفة (وفي هذه السنة) في رواية أبي مخنف جاشت الروم حتى استمد من الشام من جيوش المسلمين من عثمان مدداً ذكر الخبر عن ذلك قال هشام حدثني أبو مخنف قال حدثني فروة بن لقيط الأزدي قال لما أصاب الوليد حاجته من أرمينية في الغزوة التي ذكرتها في سنة أربع وعشرين من تاريخه ودخل الموصل فنزل الحديث أنه كتاب من عثمان رضى الله عنه: أما بعد فإن معاوية بن أبي سفيان كتب إلي يخبرني أن الروم قد أجلبت على المسلمين بجموع عظيمة وقد رأيت أن يمدهم إخوانهم من أهل الكوفة فإذا أتاك كتابي هذا فابعث رجلاً ممن ترضى نجدته وبأسه وشجاعته وإسلامه في ثمانية آلاف أو تسعة آلاف أو عشرة آلاف إليهم من المكان الذي يأتيك فيه رسولي والسلام فقام الوليد في الناس فحمد الله وأثنى عليه ثم قال أما بعد أيها الناس فإن الله قد أبلى

[٣٠٩]

المسلمين في هذا الوجه بلاء حسناً رد عليهم بلادهم التي كفرت وفتح بلاداً لم تكن افتتحت وردهم سالمين غانمين ماجورين فالحمد لله رب العالمين وقد كتب إلي أمير المؤمنين يأمرني أن أندب منكم ما بين العشرة الآلاف إلى الثمانية الآلاف تمدون إخوانكم من أهل الشام فانهم قد جاشت عليهم الروم وفي ذلك الأجر العظيم والفضل المبين فانتدبوا رحمكم الله مع سلمان بن ربيعة الباهلي قال فانتدب الناس فلم يعض ثلاثة حتى خرج ثمانية آلاف رجل من أهل الكوفة فمضوا حتى دخلوا مع أهل الشام إلى أرض الروم وعلى جند أهل الشام حبيب بن مسلمة بن خالد الفهري وعلى جند أهل الكوفة سلمان بن ربيعة فشنوا الغارات على أرض الروم فأصاب الناس ما شأوا من سبي وملؤا أيديهم من المغنم وافتتحوا بها حصونا كثيرة وزعم الواقدي أن الذي أمد حبيب بن مسلمة بسلمان بن ربيعة كان سعيد بن العاص وقال كان سبب ذلك أن عثمان كتب إلى معاوية يأمره أن يغزى حبيب بن مسلمة في أهل الشام أرمينية فوجهه إليها فبلغ حبيباً أن الموريان الرومي قد توجه نحوه في ثمانين ألفاً من الروم والترك فكتب بذلك حبيب إلى معاوية فكتب معاوية به إلى عثمان فكتب عثمان إلى سعيد بن العاص يأمره بإمداد حبيب بن مسلمة فأمدته بسلمان بن ربيعة في ستة آلاف وكان حبيب صاحب كيد فأجمع على أن يبيت الموريان فسمعت امرأته أم عبدالله بنت يزيد الكلبيّة يذكر ذلك فقالت له فأين موعدك قال سرادق الموريان أو الجنة ثم بيتهم فقتل من أشرف له وأتى السرادق فوجد امرأته قد سبقت وكانت أول امرأة من العرب ضرب عليها سرادق ومات عنها حبيب فخلف عليها الضحاك بن قيس الفهري فهي أم ولده (واختلف) فيمن حج بالناس في هذه السنة فقال بعضهم حج بالناس في هذه السنة عبدالرحمن ابن عوف بأمر عثمان كذلك قال أبو معشر والواقدي وقال آخرون بل حج في هذه السنة عثمان بن عفان وأما الاختلاف في الفتوح التي نسيها بعض الناس إلى أنها كانت في عهد عمر وبعضهم إلى أنها كانت في إمارة عثمان فقد ذكرت قبل فيما مضى من كتابنا هذا ذكر اختلاف المختلفين في تاريخ كل فتح كان من ذلك

[٣١٠]

ثم دخلت سنة خمس وعشرين ذكر الأحداث المشهورة التي كانت فيها فقال أبو معشر فيما حدثني أحمد بن ثابت الرازي قال حدثني

محدث عن إسحاق ابن عيسى عنه كانت اسكندرية سنة ٢٥ وقال الواقدي وفي هذه السنة نقضت الاسكندرية عهدا فغزاهم عمرو بن العاص فقتلهم وقد ذكرنا خبرها قبل فيما مضى ومن خالف أبا معشر والواقدي في تأريخ ذلك (وفيها) كان أيضا في قول الواقدي توجيه عبدالله بن سعد بن أبي سرح الخيل إلى المغرب قال وكان عمرو ابن العاص قد بعث بعثا قبل ذلك إلى المغرب فأصابوا غنائم فكتب عبدالله يستأذنه في الغزو إلى إفريقية فأذن له قال وحج بالناس في هذه السنة عثمان واستخلف على المدينة قال وفيها فتح الحصون وأميرهم معاوية بن أبي سفيان قال وفيها ولد يزيد بن معاوية قال وفيها كانت سابور الاولى ثم دخلت سنة ست وعشرين ذكر ما كان فيها من الاحداث المشهورة فكان فيها في قول أبي معشر والواقدي فتح سابور وقد مضى ذكر الخبر عنها في قول من خالفهما في ذلك وقال الواقدي فيها أمر عثمان بتجديد أنصاب الحرم وقال فيها زاد عثمان في المسجد الحرام وسعه وإبتاع من قوم وأبي آخرون فهدم عليهم ووضع الاثمان في بيت المال فصيحوا بعثمان فأمر بهم بالحبس وقال أتدرون ما جرأكم علي ما جرأكم علي ؟ إلا حلمي قد فعل هذا بكم عمر فلم تصيحوا به ثم كلمه فيهم عبدالله بن خالد بن أسيد فأخرجوا قال وحج بالناس في هذه السنة عثمان بن عفان (وفي هذه السنة) عزل عثمان سعدا عن الكوفة وولاه الوليد بن عقبة في قول الواقدي وأما في قول سيف فانه عزله عنها في سنة ٢٥ وفيها ولي الوليد عليها وذلك أنه زعم أنه عزل المغيرة بن شعبه عن الكوفة حين مات عمر ووجه سعدا إليها عاملا فعمل له عليها سنة وأشهرًا

[٣١١]

ذكر سبب عزل عثمان عن الكوفة سعدا واستعماله عليها الوليد (كتب إلي السري) عن شعيب عن سيف عن عمرو عن الشعبي قال كان أول ما نزع به بين أهل الكوفة وهو أول مصر نزع الشيطان بينهم في الاسلام أن سعد ابن أبي وقاص استقرض من عبدالله بن مسعود من بيت المال مالا فأقرضه فلما تقاضاه لم يتيسر عليه فارتفع بينهما الكلام حتى استعان عبدالله بأناس من الناس على استخراج المال واستعان سعد بأناس من الناس على استنظاره فافترقوا وبعضهم يلوم بعضا يلوم هؤلاء سعدا ويلوم هؤلاء عبدالله (كتب إلي السري) عن شعيب عن سيف عن إسماعيل بن أبي خالد عن قيس بن أبي حازم قال كنت جالسا عند سعد وعنده ابن أخيه هاشم بن عتبة فأتى ابن مسعود سعدا فقال له أد المال الذي قبلك فقال له سعد ما أراك إلا ستلقى شرا هل أنت إلا ابن مسعود عبد من هذيل فقال أجل والله إنني لابن مسعود وإنك لابن حمينة فقال هاشم أجل والله إنكما لصاحبا رسول الله صلى الله عليه وسلم ينظر إليكما فطرح سعد عودا كان في يده وكان رجلا فيه حدة ورفع يديه وقال اللهم رب السموات والارض فقال عبدالله ويلك قل خيرا ولا تلعن فقال سعد عند ذلك أما والله لولا اتقاء الله لدعوت عليك دعوة لا تخطنك فولى عبدالله سريعا حتى خرج (وكتب إلي السري) عن شعيب عن سيف عن القاسم بن الوليد عن المسيب عن عبد خير عن عبدالله بن عكي قال لما وقع بين ابن مسعود وسعد الكلام في قرض أقرضه عبدالله إياه فلم يتيسر على سعد قضاؤه غضب عليهما عثمان وانتزعا من سعد وعزله وغضب على عبدالله وأقره واستعمل الوليد بن عقبة وكان عاملا لعمر على ربيعة بالجزيرة فقدم الكوفة فلم يتخذ لداره بابا حتى خرج من الكوفة (وكتب إلي السري) عن شعيب عن سيف عن محمد وطلحة قالا لما بلغ عثمان الذي كان بين عبدالله وسعد فيما كان غضب عليهما وهم بهما ثم ترك ذلك وعزل سعدا وأخذ ما عليه وأقر عبدالله وتقدم إليه وأمر مكان سعد الوليد بن عقبة وكان على عرب الجزيرة عاملا لعمر بن الخطاب فقدم الوليد في السنة الثانية من

إمارة عثمان وقد كان سعد عمل عليها سنة وبعض أخرى فقدم الكوفة وكان أحب الناس في الناس وأرفقهم بهم فكان بذلك خمس سنين وليس على داره باب ثم دخلت سنة سبع وعشرين ذكر الاحداث المشهورة التي كانت فيها فمما كان فيها من ذلك فتح افريقية على يد عبدالله بن سعد بن أبي سرح كذلك حدثني أحمد بن ثابت الرازي قال حدثنا محدث عن إسحاق بن عيسى عن أبي معشر وهو قول الواقدي أيضا ذكر الخبر عن فتحها وعن سبب ولاية عبدالله بن سعد ابن أبي سرح مصر وعزل عثمان عمرو بن العاص عنها (كتب إلي السري) عن شعيب عن سيف عن محمد وطلحة قالا مات عمر وعلي مصر عمرو بن العاص وعلي قضائها خارجة بن فلان فولى عثمان فأقرهما سنتين من إمارته ثم عزل عمرا واستعمل عبدالله بن سعد بن أبي سرح (وكتب الي السري) عن شعيب عن سيف عن أبي حارثة وأبي عثمان قالا لما ولي عثمان أقر عمرو بن العاص على عمله وكان لا يعزل أحدا إلا عن شكاة أو استعفاء من غير شكاة وكان عبدالله بن سعد من جند مصر فأمر عبدالله بن سعد على جنده ورماه بالرجال وسرحه إلى افريقية وسرح معه عبدالله بن نافع بن عبدالمعسر وعبد الله بن نافع بن الحصين الفهريين وقال لعبد الله بن سعد إن فتح الله عزوجل عليك غدا افريقية فلك مما أفاء الله على المسلمين خمس الخمس من الغنيمة نفلا وأمر العبدین على الجند ورماهما بالرجال وسرحهما إلى الاندلس وأمرهما وعبد الله بن سعد بالاجتماع على الاجل ثم يقيم عبدالله ابن سعد في عمله ويسيران إلى عملهما فخرجوا حتى قطعوا مصر فلما وغلوا في أرض افريقية فأمعنوا انتهوا إلى الاجل ومعه الافناء فاقتتلوا فقتل الاجل قتله عبدالله ابن سعد وفتح افريقية سهلها وجبلها ثم اجتمعوا على الاسلام وحسنت طاعتهم وقسم عبدالله ما أفاء الله عليهم على الجند وأخذ خمس الخمس وبعث بأربعة أخماسه إلى عثمان مع ابن وثيمة النصرى وضرب فسطاطا في موضع الفيروان ووفد وفدا

فشكوا عبدالله فيما أخذ فقال لهم أنا نفلته وكذلك كان يصنع وقد أمرت له بذلك وذاك إليكم الآن فإن رضيتم فقد جاز وإن سخطتم فهو رد قالوا فإننا نسخطه قال فهو رد وكتب إلى عبدالله برد ذلك واستصلاحهم قالوا فاعزله عنا فإننا لا نريد أن يتأمر علينا وقد وقع ما وقع فكتب إليه أن استخلف على افريقية رجلا ممن ترضى ويرضون واقسم الخمس الذي كنت نفلتك في سبيل الله فإنهم قد سخطوا النفل ففعل ورجع عبدالله بن سعد إلى مصر وقد فتح افريقية وقتل الاجل فما زالوا من أسمع أهل البلدان وأطوعهم إلى زمان هشام بن عبدالملك أحسن أمة سلاما وطاعة حتى دب إليهم أهل العراق فلما دب إليهم دعاه أهل العراق واستثاروهم شقوا عصاهم وفرقوا بينهم إلى اليوم وكان من سبب تفريقهم أنهم ردوا على أهل الاهواء فقالوا إنا لا نخالف الأئمة بما تجنى العمال ولا نحمل ذلك عليهم فقالوا لهم إنما يعمل هؤلاء بأمر أولئك فقالوا لهم لا تقبل ذلك حتى نبورهم فخرج ميسرة في بضعة عشر إنسانا حتى يقدم على هشام فطلبوا الاذن فصعب عليهم فأتوا الابرش فقالوا أبلغ أمير المؤمنين أن أميرنا يغزو بنا ويجنده فإذا أصاب نفلهم دوننا وقال هم أحق به فقلنا هو أخلص لجهادنا لانا لا نأخذ منه شيئا إن كان لنا فهم منه في حل وإن لم يكن لنا لم نرده وقالوا إذا حاصرنا مدينة قال تقدموا وآخر جنده فقلنا تقدموا فإنه ازدياد في الجهاد ومثلكم كفى إخوانه فوقيناهم بأنفسنا وكفيناهم ثم إنهم عمدوا إلى ماشيتنا فجعلوا يبقرونها عن السخال يطلبون الفراء البيض لأمير المؤمنين فيقتلون ألف شاة في

جلد فقلنا ما أيسر هذا لامير المؤمنين فاحتملنا ذلك وخليناهم وذلك ثم إنهم سامونا أن يأخذوا كل جميلة من بناتنا فقلنا لم نجد هذا في كتاب ولا سنة ونحن مسلمون فأحبينا أن نعلم أعن رأى أمير المؤمنين ذلك أم لا قال نفع فلما طال عليهم ونفدت نفقاتهم كتبوا أسماءهم في رقاع ورفعوها إلى الوزراء وقالوا هذه أسماءنا وأنسابنا فإن سألكم أمير المؤمنين عنا فأخبروه ثم كان وجههم إلى افريقية فخرجوا على عامل هشام فقتلوه واستولوا على افريقية وبلغ هشام الخبر وسأل عن النفر فرفعت إليه أسماءهم فإذا هم الذين جاء الخبر أنهم صنعوا ما صنعوا (وكتب إلي السري) عن شعيب عن سيف عن محمد وطلحة قالا وأرسل عثمان عبدالله بن نافع بن الحصين وعبد الله بن نافع

[٣١٤]

ابن عبدالقيس من فورهما ذلك من افريقية إلى الاندلس فأتياها من قبل البحر وكتب عثمان إلى من انتدب من أهل الاندلس أما بعد فإن القسطنطينية إنما تفتح من قبل الاندلس وأنكم إن افتتحتوها كنتم شركاء من يفتحها في الاجر والسلام وقال كعب الاحبار يعبر البحر إلى الاندلس أقوام يفتتحونها يعرفون بنورهم يوم القيامة (وكتب إلي السري) عن شعيب عن سيف عن محمد وطلحة قالا فخرجوا ومعهم البربر فاتوها من برها وبحرها ففتحها الله على المسلمين وإفرنجة وازدادوا في سلطان المسلمين مثل افريقية فلما عزل عثمان عبدالله بن سعد بن أبي سرح صرف إلى عمله عبدالله بن نافع بن عبد قيس وكان عليها ورجع عبدالله بن سعد إلى مصر ولم يزل أمر الاندلس كأمير افريقية حتى كان زمان هشام فمنع البربر أرضهم وبقي من في الاندلس على حاله (وأما الواقدي) فإنه ذكر أن ابن أبي سبرة حدثه عن محمد بن أبي حرملة عن كريب قال لما نزع عثمان عمرو بن العاصي عن مصر غضب عمرو غضبا شديدا وحقد على عثمان فوجه عبدالله بن سعد وأمره أن يمضى إلى افريقية وندب عثمان الناس إلى افريقية فخرج إليها عشرة آلاف من فريش والانصار والمهاجرين (قال الواقدي) وحدثني أسامة بن زيد الليثي عن ابن كعب قال لما وجه عثمان عبدالله بن سعد إلى افريقية كان الذي صالحهم عليه بطريق افريقية جرجير ألف دينار وخمسمائة ألف دينار وعشرين ألف دينار فبعث ملك الروم رسولا وأمره أن يأخذ منهم ثلثمائة قنطار كما أخذ منهم عبدالله بن سعد فجمع رؤساء افريقية فقال إن الملك قد أمرني أن أخذ منكم ثلثمائة قنطار ذهب مثل ما أخذ منكم عبدالله بن سعد فقالوا ما عندنا مال نعطيها فاما ما كان بأيدينا فقد اقتدينا به أنفسنا وأما الملك فإنه سيدنا فليأخذ ما كان له عندنا من جائزة كما كنا نعطيها كل سنة فلما رأى ذلك أمر بحبسهم فبعثوا إلى قوم من أصحابهم فقدموا عليه فكسروا السجن فخرجوا وكان الذي صالحهم عليه عبدالله بن سعد ثلثمائة قنطار ذهبا فأمر به عثمان لآل الحكم قلت أو لمروان قال لا أدري * قال ابن عمرو حدثني أسامة بن زيد عن يزيد بن أبي حبيب قال نزع عثمان عمرو بن العاصي عن خراج مصر واستعمل عبدالله بن سعد على الخراج فتباغيا فكتب

[٣١٥]

عبدالله بن سعد إلى عثمان يقول إن عمرا كسر الخراج وكتب عمرو إن عبدالله كسر علي حيلة الحرب فكتب عثمان إلى عمرو انصرف وولى عبدالله بن سعد الخراج والجنود فقدم عمرو مغضبا فدخل على عثمان وعليه جبة يمانية محشوة قطنا فقال له عثمان ما حشو جبتك قال عمرو قال عثمان قد علمت أن حشوها عمرو ولم أرد هذا إنما سألت أقطن هو أم غيره (قال الواقدي) وحدثني أسامة بن زيد

عن يزيد بن أبي حبيب قال بعث عبدالله بن سعد إلى عثمان بـمال من مصر قد حشد فيه فدخل عمرو على عثمان فقال عثمان يا عمرو هل تعلم أن تلك اللقاح درت بعدك فقال عمرو إن فصالها هلكت (وحج) بالناس في هذه السنة عثمان بن عفان رضى الله عنه (وقال الواقدي) وفي هذه السنة كان فتح اصطخر الثاني على يد عثمان بن أبي العاص * قال وفيها غزا معاوية قنسرين ثم دخلت سنة ثمان وعشرين ذكر الخبر عما كان فيها من الاحداث المشهورة فمما ذكر أنه كان فيها فتح قبرس على يد معاوية غزاها بأمر عثمان إياه وذلك في قول الواقدي فأما أبو معشر فإنه قال كانت قبرس سنة ٣٣ حدثني بذلك أحمد ابن ثابت عن حدثه عن إسحاق بن عيسى عنه وقال بعضهم كانت قبرس سنة ٢٧ غزاها فيما ذكر جماعة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فيهم أبو ذر وعبادة بن الصامت ومعه زوجته أم حرام والمقداد وأبو الدرداء وشداد بن أوس ذكر الخبر عن غزوة معاوية إياها (كتب إلي السري) عن شعيب عن سيف عن الربيع بن النعمان النصرى وأبي المجالد جراد بن عمرو عن رجاء بن حيوة وأبي حارثة وأبي عثمان عن رجاء وعبادة وخالد قالوا ألح معاوية في زمانه على عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه في غزو البحر وقرب الروم من حمص وقال إن قرية من قرى حمص ليسمع أهلها نباح كلابهم وصياح دجاجهم حتى كاد ذلك يأخذ بقلب عمر فكتب عمر

[٣١٦]

إلى عمرو بن العاص صف لي البحر وراكبه فإن نفسي تنازعني إليه وقال عبادة وخالد لما أخبره ما للمسلمين في ذلك وما على المشركين فكتب إليه عمرو: إنني رأيت خلقا كبيرا يركبه خلق صغير إن ركن خرق القلوب وإن تحرك أزاغ العقول يزداد فيه اليقين قلة والشك كثرة هم فيه كدود على عود إن مال غرق وإن نجا برق. فلما قرأه عمر كتب إلى معاوية: لا والذي بعث محمدا بالحق لا أحمل فيه مسلما أبدا (وكتب إلي السري) عن شعيب عن سيف عن محمد بن سعيد عن عبادة بن نسي عن جنادة بن أبي أمية الأزدي قال كان معاوية كتب إلي عمر كتابا في غزو البحر يرغبه فيه ويقول يا أمير المؤمنين إن بالشام قرية يسمع أهلها نباح كلاب الروم وصياح ديوكهم تلقاء ساحل من سواحل حمص فاتهمه عمر لانه المشير فكتب إلى عمرو أن صف لي البحر ثم اكتب إلي بخبره فكتب إليه يا أمير المؤمنين اني رأيت خلقا عظيما يركبه خلق صغير ليس الا السماء والماء وإنما هم كدود على عود إن مال غرق وإن نجا برق (وكتب إلي السري) عن شعيب عن سيف عن أبي عثمان وأبي حارثة عن عبادة عن جنادة بن أبي أمية والربيع وأبي المجالد قالوا كتب عمر إلى معاوية إنا سمعنا أن بحر الشام يشرف على أطول شئ على الارض يستأذن الله في كل يوم وليلة في أن يفيض على الارض فيغرقها فكيف أحمل الجنود في هذا الكافر المستصعب وتالله لمسلم أحب إلي مما حوت الروم فاياك أن تعرض لي وقد تقدمت اليك وقد علمت ما لقي العلاء مني ولم أتقدم إليه في مثل ذلك وقالوا ترك ملك الروم الغزو وكاتب عمر وقاربه وسأله عن كلمة يجتمع فيها العلم كله فكتب إليه أحب للناس ما تحب لنفسك وأكره لهم ما تكره لها تجتمع لك الحكمة كلها واعتبر الناس بما يليك تجتمع لك المعرفة كلها وكتب إليه ملك الروم وبعث إليه بقرورة أن املا لي هذه القرورة من كل شئ فملاها ماء وكتب إليه ان هذا كل شئ من الدنيا وكتب إليه ملك الروم ما بين الحق والباطل فكتب إليه أربع أصابع الحق فيما يرى عيانا والباطل كثيرا مما يستمع به فيما لم يعاين وكتب إليه ملك الروم يسأله عما بين السماء والارض وبين المشرق

والمغرب فكتب إليه مسيرة خمسمائة عام للمسافر لو كان طريقا مسبوفا قال وبعثت أم كلثوم بنت علي بن أبي طالب إلى ملكة الروم بطيب مشارب وأحفاش من أحفاش النساء ودسته إلى البريد فأبلغه لها وأخذ منه وجاءت امرأة هرقل وجمعت نساءها وقالت هذه هدية امرأة ملك العرب وبنيت نيهم وكاتبها وكافتها وأهدت لها وفيما أهدت لها عقد فاخر فلما انتهى به البريد إليه أمره بامساكه ودعا الصلاة جامعة فاجتمعوا فصلى بهم ركعتين وقال إنه لا خير في أمر أبرم عن غير شوري من أموري قولوا في هدية أهدتها أم كلثوم لامرأة ملك الروم فأهدت لها امرأة ملك الروم فقال قائلون هو لها بالذي لها وليست امرأة الملك بذمة فتصانع به ولا تحت يدك فتتقك وقال آخرون قد كنا نهدى الثياب لنسثيب ونبعث بها لتباع ولنصيب ثمننا فقال ولكن الرسول رسول المسلمين والبريد بريدهم والمسلمون عظموها في صدرها فأمر بردها إلى بيت المال ورد عليها بقدر نفقتها (كتب الي السري) عن شعيب عن سيف عن أبي حارثة عن خالد بن معدان قال أول من غزا في البحر معاوية بن أبي سفيان زمان عثمان بن عفان وقد كان استأذن عمر فيه فلم يأذن له فلما ولي عثمان لم يزل به معاوية حتى عزم عثمان على ذلك بأخرة وقال لا تنتخب الناس ولا تفرع بينهم خيرهم فمن اختار الغزو طائعا فأحمله وأعنه ففعل واستعمل على البحر عبدالله بن قيس الحارثي حليف بني فزارة فغزا خمسين غزاة من بين شاتية وصائفة في البحر ولم يغرق فيه أحد ولم ينكب وكان يدعو الله أن يرفقه العافية في جنده وأن لا يتليبه بمصاب أحدا منهم ففعل حتى إذا أراد الله أن يصيبه وحده خرج في قارب طليعة فانتهى إلى المرقى من أرض الروم وعليه سؤال يعترضون بذلك المكان فتصدق عليهم فرجعت امرأة من السؤال إلى قريبتها فقالت للرجال هل لكم في عبدالله بن قيس قالوا وأين هو قالت في المرقى قالوا إي عدوة الله ومن أين تعرفين عبدالله بن قيس فهو بختهم وقالت أنتم أعجز من أن يخفى عبدالله على أحد فتأروا إليه فهجموا عليه فقاتلوه وقاتلهم فأصيب وحده وأفلت الملاح حتى أتى أصحابه فجأوا حتى أرقوا والخليفة

منهم سفيان بن عوف الأزدي فخرج فقاتلهم فضجر وجعل يعبث بأصحابه ويشتمهم فقالت جارية عبدالله واعبد الله ما هكذا كان يقول حين يقاتل فقال سفيان وكيف كان يقول قالت العمرات ثم ينجلينا فترك ما كان يقول ولزم العمرات ثم ينجلينا وأصيب في المسلمين يومئذ وذلك آخر زمان عبدالله بن قيس الحارثي وقيل لتلك المرأة بعد بأي شئ عرفته قالت بصدقة أعطى كما يعطي الملوك ولم يقبض قبض التجار (وكتب إلي السري) عن شعيب عن سيف عن أبي حارثة وأبي عثمان قالا قيل لتلك المرأة التي استشارت الروم على عبدالله بن قيس كيف عرفته قالت كان كالتاجر فلما سألته أعطاني كالملك فعرفت أنه عبدالله بن قيس وكتب إلى معاوية والعمال أما بعد فقوموا على ما فارقتم عليه عمر ولا تبدلوا ومهما أشكل عليكم فردوه إلينا نجمع عليه الأمة ثم نرده عليكم وإياكم أن تغيروا فإنني لست قابلا منكم إلا ما كان عمر يقبل وقد كانت تنتقض فيما بين صلح عمر وولاية عثمان تلك الناحية فيبعث إليها الرجل فيفتحها الله على يديه فيحسب له ذلك وأما الفتوح فلاول من وليها (قال أبو جعفر) ولما غزا معاوية قبرس صالح أهلها فيما حدثني علي بن سهل قال حدثنا الوليد بن مسلم قال أخبرني سليمان بن أبي كريمة والليث بن سعد وغيرهما من مشيخة ساحل دمشق أن صلح قبرس وقع على جزية سبعة آلاف دينار يؤدونها إلى المسلمين في كل سنة ريؤدون إلى الروم مثلها ليس للمسلمين أن يحولوا بينهم وبين ذلك على أن لا يغزوه ولا يقاتلوا من وراءهم ممن أرادهم من

خلفهم وعليهم أن يؤذوا المسلمين بمسير عدوهم من الروم إليهم وعلى أن يبطر إمام المسلمين عليهم منهم (وقال الواقدي) غزا معاوية في سنة ٢٨ قبرس وغزاها أهل مصر وعليهم عبدالله بن سعد بن أبي سرح حتى لقوا معاوية فكان على الناس * قال وحدثني ثور بن يزيد عن خالد بن معدان عن جبير بن نفير قال لما سبناهم نظرت إلي أبي الدرداء بيكي فقلت ما بيكيك في يوم أعز الله فيه الاسلام وأهله وأذل فيه الكفر وأهله قال فضرب بيده على منكبي وقال ثكلتك أمك يا جبير ما أهون الخلق على الله إذا تركوا أمره بينا هي أمة ظاهرة فاهرة للناس لهم الملك إذ تركوا

[٣١٩]

أمر الله فصاروا إلي ما ترى فسلط عليهم السبأ وإذا سلط السبأ على قوم فليس لله فيهم حاجة (قال الواقدي) وحدثني أبو سعيد أن معاوية بن أبي سفيان صالح أهل قبرس في ولاية عثمان وهو أول من غزا الروم وفي العهد الذي بينه وبينهم ألا يتزوجوا في عدونا من الروم إلا بإذتنا (قال الواقدي) وفي هذه السنة غزا حبيب بن مسلمة سورية من أرض الروم (وفيها) تزوج عثمان نائلة ابنة الفرافصة وكانت نصرانية فتحننت قبل أن يدخل بها * قال وفيها بني عثمان داره بالمدينة الزوراء وفرغ منها * قال وفيها كان فتح فارس الاول واصطخر الآخر وأميرها هشام بن عامر قال وحج بالناس عثمان في هذه السنة ثم دخلت سنة تسع وعشرين ذكر ما كان فيها من الاحداث المشهورة (ففيها) عزل عثمان أبا موسى الاشعري عن البصرة وكان عامله عليها ست سنين وولاهها عبدالله بن عامر بن كريز وهو يومئذ ابن خمس وعشرين سنة فقدمها وقد قيل إن أبا موسى إنما عمل لعثمان على البصرة ثلاث سنين وذكر علي بن محمد أن محاربا أخبره عن عوف الاعرابي قال خرج غيلان بن خرشة الضبي إلى عثمان ابن عفان فقال أما لكم صغير فتستشبهه فتولوه البصرة حتى متى يلي هذا الشيخ البصرة يعني أبا موسى وكان وليها بعد موت عمر ست سنين * قال فعزله عثمان عنها وبعث عبدالله بن عامر بن كريز بن ربيعة بن حبيب بن عبد شمس وأمه دجاجة ابنة أسماء السلمية وهو ابن خال عثمان بن عفان قال مسلمة فقدم البصرة وهو ابن خمس وعشرين سنة سنة ٢٩ ذكر الخبر عن سبب عزل عثمان أبا موسى عن البصرة (كتب إلي السري) يذكر أن شعيبا حدثه عن سيف عن محمد وطلحة قالا لما ولي عثمان أقر أبا موسى على البصرة ثلاث سنين وعزله في الرابعة وأمر على خراسان عمير بن عثمان بن سعد وعلى سجستان عبدالله بن عمير الليثي وهو من

[٣٢٠]

ثعلبية فأئذن فيها إلى كابل وأئذن عمير في خراسان حتى بلغ فرغانة فلم يدع دونها كورة إلا أصلحها وبعث إلى مكران عبيد الله بن معمر التيمي فأئذن فيها حتى بلغ النهر وبعث على كرمان عبد الرحمن بن غبيس وبعث إلى فارس والاهواز نفرا وضم سواد البصرة إلى الحصين بن أبي الحر ثم عزل عبدالله بن عمير واستعمل عبدالله بن عامر فأقره عليها سنة ثم عزله واستعمل عاصم بن عمرو وعزل عبدالرحمن بن غبيس وأعاد عدي بن سهيل بن عدي ولما كان في السنة الثالثة كفر أهل إيذج والاكراد فنادى أبو موسى في الناس وحضهم وندبهم وذكر من فضل الجهاد في الرحلة حتى حمل نفر على دوابهم وأجمعوا على أن يخرجوا رجالا وقال آخرون لا والله لا نعجل بشئ حتى ننظر ما صنيعه فان أشبه قوله فعله فعلنا كما فعل أصحابنا فلما كان يوم خرج أخرج ثقله من قصره على أربعين بغلا

فتعلقوا بعنانه وقالوا احمنا على بعض هذه الفضول وارغب من الرحلة فيما رغبنا فيه فقع القوم حتى تركوا دابته ومضى فأتوا عثمان فاستغفوه منه وقالوا ما كل ما نعلم نجب أن نقوله فأبدلنا به فقال من تحبون فقال غيلان بن خرشة في كل أحد عوض من هذا العبد الذي قد أكل أرضنا وأحيا أمر الجاهلية فينا فلا ننك من أشعري كان يعظم ملكه عن الأشعريين ويستصغر ملك البصرة وإذا أمرت علينا صغيرا كان فيه عوض منه أو مهترا كان فيه عوض منه ومن بين ذلك من جميع الناس خير منه فدعا عبدالله بن عامر وأمره على البصرة وصرف عبيد الله بن معمر إلى فارس واستعمل على عمله عمير بن عثمان بن سعد فاستعمل على خراسان في سنة أربع أمين بن أحمر اليشكري واستعمل على سجستان في سنة أربع عمران بن الفضيل البرجمي وعلى كرمان عاصم بن عمرو فمات بها فجاشت فارس وانتقضت بعبيد الله بن معمر فاجتمعوا له باصطخر فالتقوا على باب اصطخر فقتل عبيد الله وهزم جنده وبلغ الخبر عبدالله بن عامر فاستنفر أهل البصرة وخرج معه الناس وعلى مقدمته عثمان بن أبي العاص فالتقوا هم وهم باصطخر وقتل منهم مقتلة عظيمة لم يزلوا منها في ذل وكتب بذلك إلى عثمان فكتب إليه بإمرة هرم ابن حسان اليشكري وهرم بن حيان العبدى من عبدالقيس والخريت بن راشد من

[٣٢١]

بنى سامة والمنجاب بن راشد والترجمان الهجمي على كور فاس ورفق خراسان بين نفر ستة الاحنف على المروين وحبیب بن قرة اليربوعي على بلخ وكانت مما افتتح أهل الكوفة وخالد بن عبدالله بن زهير على هراة وأمين بن أحمر اليشكري على طوس وقيس بن هبيرة السلمى على نيسابور وهو أول من خرج وعبد الله بن خازم وهو ابن عمه ثم إن عثمان جمعها له قبل موته فمات وقيس على خراسان واستعمل أمين ابن أحمر على سجستان ثم جعل عليها عبدالرحمن بن سمرة وهو من آل حبيب ابن عبد شمس فمات عثمان وهو عليها ومات وعمران على كرمان وعمير بن عثمان ابن سعد على فارس وابن كدير القشيري على مكران * وقال علي بن محمد أخبرنا علي بن مجاهد عن أشياخه قال قال غيلان بن خرشة لعثمان بن عفان أما منكم خسيس فترفعوه أما منكم فقير فتجروه يا معشر قريش حتى متى يأكل هذا الشيخ الأشعري هذه البلاد فانتبه لها الشيخ فولاهها عبدالله بن عامر * قال علي بن محمد أخبرنا أبو بكر الهذلي قال ولى عثمان بن عامر البصرة فقال الحسن قال أبو موسى ياتيكم غلام خراج ولاج كريم الجدات والخالات والعمات يجمع له الجندان قال قال الحسن فقدم ابن عامر فجمع له جند أبي موسى وجند عثمان بن أبي العاص الثقفي وكان عثمان بن أبي العاص فيمن عبر من عمان والبحرين (كتب إلي السري) عن شعيب عن سيف عن محمد وطلحة قالا وفد قيس بن هبيرة عبدالله بن حازم إلى عبدالله بن عامر في زمان عثمان وكان عبدالله ابن حازم على عبدالله بن عامر كريما فقال له اكتب لي على خراسان عهدا إن خرج منها قيس بن هبيرة ففعل فرجع إلى خراسان فلما قتل عثمان وبلغ الناس الخبر وجاش العدو لذلك قال قيس ما ترى يا عبد الله قال أرى أن تخلفني ولا تخلف عن المضى حتى تنظر فيما تنظر ففعل واستخلفه فأخرج عبدالله عهد خلافته وثبت علي خراسان إلى أن قام علي رضي الله تعالى عنه وكانت أم عبدالله عجلي فقال قيس أنا كنت أحق أن أكون ابن عجلي من عبدالله وعضب مما صنع به الآخر (وفي هذه السنة) افتتح عبدالله بن عامر فارس في قول الواقدي وفي قول أبي معشر حدثني بقول أبي معشر أحمد بن ثابت عن عمن حدثه عن اسحاق بن عيسى عنه وأما قول سيف فقد ذكرناه قبل (وفي هذه

السنة) أعني سنة ٢٩ زاد عثمان في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ووسعاه وابتدأ في بنائه في شهر ربيع الاول وكانت القصة تحمل إلى عثمان من بطن نخل وبناه بالحجارة المنقوشة وجعل عمده من حجارة فيها رصاص وسقفه ساجا وجعل طوله ستين ومائة ذراع وعرضه مائة وخمسين ذراعا وجعل أبوابه على ما كانت عليه على عهد عمر سنة أبواب (وحج) بالناس في هذه السنة عثمان فضرب بمنى فسطاطا فكان أول فسطاط ضربه عثمان بمنى وأتم الصلاة بها ويعرفه فذكر الواقدي عن عمر بن صالح بن نافع عن صالح مولى التوأمة قال سمعت ابن عباس يقول إن أول ما تكلم الناس في عثمان ظاهرا أنه صلى بالناس بمنى في ولايته ركعتين حتى إذا كانت السنة السادسة أتمها فغاب ذلك غير واحد من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وتكلم في ذلك من يريد أن يكثر عليه حتى جاءه علي فيمن جاءه فقال والله ما حدث أمر ولا قدم عهد ولقد عهدت نبيك صلى الله عليه وسلم يصلي ركعتين ثم أبا بكر ثم عمر وأنت صدرا من ولايتك فما أدري ما يرجع إليه فقال رأى رأيتيه (قال الواقدي) وحدثني داود بن خالد عن عبدالمك بن عمرو بن أبي سفيان الثقفي عن عمه قال صلى عثمان بالناس بمنى أربعاً فأتى أت عبد الرحمن بن عوف فقال هل لك في أخيك قد صلى بالناس أربعاً فصلى عبد الرحمن بأصحابه ركعتين ثم خرج حتى دخل على عثمان فقال له ألم تصل في هذا المكان مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ركعتين قال بلى قال أفلم تصل مع أبي بكر ركعتين قال بلى قال أفلم تصل مع عمر ركعتين قال بلى قال ألم تصل صدرا من خلافتك ركعتين قال بلى قال فاسمع مني يا أبا محمد إنني أخبرتك أن بعض من حج من أهل اليمن وجفاة الناس قد قالوا في عامنا الماضي إن الصلاة للمقيم ركعتان هذا إمامكم عثمان يصلي ركعتان وقد اتخذت بمكة أهلاً فرأيت أن أصلي أربعاً لخوف ما أخاف على الناس وأخرى قد اتخذت بها زوجة ولى بالطائف مال فربما اطلعته فأقمت فيه بعد الصدر فقال عبد الرحمن بن عوف ما من هذا شيء لك فيه عذر أما قولك اتخذت أهلاً فزوجتك بالمدينة تخرج بها إذا شئت وتقدم بها إذا شئت إنما تسكن بسكنائك وأما قولك ولى مال بالطائف فإن بينك وبين الطائف مسيرة ثلاث ليال وأنت

لست من أهل الطائف وأما قولك يرجع من حج من أهل اليمن وغيرهم فيقولون هذا إمامكم عثمان يصلي ركعتين وهو مقيم فقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ينزل عليه الوحي والناس يومئذ الاسلام فيهم قليل ثم أبو بكر مثل ذلك ثم عمر فضرب الاسلام بجرانه فصلى بهم عمر حتى مات ركعتين فقال عثمان هذا رأى رأيتيه قال فخرج عبد الرحمن فلقى ابن مسعود فقال أبا محمد غير ما يعلم قال لا قال فما أصنع قال اعمل أنت بما تعلم فقال ابن مسعود الخلاف شر قد بلغني أنه صلى أربعاً فصليت بأصحابي أربعاً فقال عبد الرحمن بن عوف قد بلغني أنه صلى أربعاً فصليت بأصحابي ركعتين وأما الآن فسوف يكون الذي تقول يعني نصلي معه أربعاً ثم دخلت سنة ثلاثين ذكر ما كان فيها من الاحداث المشهورة فمما كان فيها غزوة سعيد بن العاص طبرستان في قول أبي معشر حدثني بذلك أحمد بن ثابت عن حدثه عن إسحاق بن عيسى عنه وفي قول الواقدي وقول علي بن محمد المدائني حدثني بذلك عمر بن شبة عنه وأما سيف بن عمر فانه ذكر أن اصبهذا صالح سويد بن مقرن على أن لا يغزوها على مال بذله له قد مضى ذكرى الخبر عن ذلك قيل في أيام عمر رضى الله عنه وأما علي بن محمد المدائني

فانه قال فيما حدثني به عنه عمر لم يغزها أحد حتى قام عثمان بن عفان رضى الله عنه فغزاها سعيد ابن العاص سنة ٣٠ ذكر الخبر عنه عن غزو سعيد بن العاص طبرستان * حدثني عمر بن شبة قال حدثني علي بن محمد عن علي بن مجاهد عن حبش بن مالك قال غزا سعيد بن العاص من الكوفة سنة ثلاثين يريد خراسان ومعه حذيفة ابن اليمان وناس من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه الحسن والحسين وعبد الله بن عباس وعبد الله بن عمر وعبد الله بن عمرو بن العاص وعبد الله بن الزبير وخرج عبدالله بن عامر من البصرة يريد خراسان فسبق سعيدا ونزل

[٣٢٤]

أبرشهر وبلغ نزوله أبرشهر سعيدا فنزل سعيد قومس وهي صلح صالحهم حذيفة بعد نهاوند فأتى جرجان فصالحوه على ما تاتي ألف ثم أتى طميسة وهي كلها من طبرستان متاخمة جرجان وهي مدينة على ساحل البحر وهي في تخوم جرجان فقاتله أهلها حتى صلى صلاة الجوف فقال لحذيفة كيف صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره فصلى بها سعيد صلاة الجوف وهم يقتتلون وضرب يومئذ سعيد رجلا من المشركين على جبل عاتقه فخرج السيف من تحت مرفقه وحاصرهم فسألوا الامان فأعطاهم على أن لا يقتل منهم رجلا واحدا ففتحوا الحصن فقتلهم جميعا إلا رجلا واحدا وحوى ما كان في الحصن فأصاب رجل من بني نهد سيفا عليه قفل فظن فيه جوهرًا وبلغ سعيدا فبعث إلى النهدي فأتاه بالسفط فكسروا قفله فوجدوا فيه سيفا ففتحوه فإذا فيه خرقة سوداء مدرجة فنشروها فوجدوا خرقة حمراء فنشروها فإذا خرقة صفراء وفيها أبران كميث وورد فقال شاعر يهجو بني نهد: أب الكرام بالسبايا غنيمة * وفاز بنو نهد بأيرين في سفت كميث وورد وأيرين كلاهما * فظنوهما غنما فناهيك من غلط وفتح سعيد بن العاص نامية وليست بمدينة هي صحارى * وحدثني عمر بن شبة قال حدثنا علي بن محمد قال أخبرني علي بن مجاهد عن حنش بن مالك التغلبي قال غزا سعيد سنة ثلاثين فأتى جرجان وطبرستان معه عبدالله بن العباس وعبد الله ابن عمر وابن الزبير وعبد الله بن عمرو بن العاص فحدثني علج كان يخدمهم قال كنت أتيمهم بالسفرة فإذا أكلوا أمروني فنفضتها وعلقتها فإذا أمسوا أعطوني باقيه قال وهلك مع سعيد بن العاص محمد بن الحكم بن أبي عقيل الثقفي جد يوسف ابن عمر فقال يوسف لخدمه ياقحدم أتدري أين مات محمد بن الحكم قال نعم استشهد مع سعيد بن العاص بطبرستان قال لا مات بها وهو مع سعيد ثم قفل سعيد إلى الكوفة فمدحه كعب بن جعيل فقال فنعم الفتى إذ جال جيلان دونه * وإذ هبطوا من (دستب) ؟ ثم أبهرا

[٣٢٥]

تعلم سعيد الخير أن مطيتي * إذا هبطت اشفتت من أن تعقرا كأنك يوم الشعب ليث خفية * تحرد من ليث العرين وأصحرا تنسوس الذي ما ساس قبلك واحد * ثمانين ألفا دارعين وحسرا * وحدثني عمر قال حدثنا علي بن كليب بن خلف وغيره أن سعيد بن العاص صالح أهل جرجان ثم امتنعوا وكفروا فلم يأت جرجان بعد سعيد أحد ومنعوا ذلك الطريق فلم يكن أحد يسلك طريق خراسان من ناحية قومس إلا على وجل وخوف من أهل جرجان كان الطريق إلى خراسان من فارس إلى كرمان فأول من صير الطريق من قومس قتيبة بن مسلم حين ولى خراسان * وحدثني عمر قال حدثنا علي بن كليب بن خلف العمى عن طفيل بن مرداس العمى وإدريس بن حنظلة العمى

أن سعيد بن العاص صالح أهل جرجان وكانوا يجيئون أحيانا مائة ألف ويقولون هذا صلحنا وأحيانا مائتي ألف وأحيانا ثلثمائة ألف وكانوا ربما أعطوا ذلك وربما منعه ثم امتنعوا وكفروا فلم يعطوا خراجا حتى أتاهم يزيد بن المهلب فلم يعازه أحد حين قدمها فلما صالح صولا وفتح البحيرة ودهستان صالح أهل جرجان على صلح سعيد بن العاص (وفي هذه السنة) أعني سنة ٣٠ عزل عثمان الوليد بن عقبة عن الكوفة وولاه سعيد بن العاص في قول سيف بن عمر ذكر السبب في عزل عثمان الوليد عن الكوفة وتوليته سعيدا عليها (كتب إلي السري) عن شعيب عن سيف عن محمد وطلحة قالا لما بلغ عثمان الذي كان بين عبدالله وسعد غضب عليهما وهم بهما ثم ترك ذلك وعزل سعدا وأخذ ما عليه وأقر عبدالله وتقدم إليه وأمر مكان سعد الوليد بن عقبة وكان على عرب الجزيرة عاملا لعمر بن الخطاب فقدم الوليد في السنة الثانية من إمارة عثمان وقد كان سعد عمل عليها سنة وبعض أخرى فقدم الكوفة وكان أحب الناس في الناس وأرفقهم بهم فكان كذلك خمس سنين وليس على داره باب ثم إن شبابا من شباب أهل الكوفة نقبوا على ابن الحيسمان الخزاعي وكاثره فنذر بهم فخرج عليهم بالسيف فلما رأى كثرتهم استصرخ فقالوا له اسكت فانما هي ضربة حتى نريحك من روعة

[٣٢٦]

هذه الليلة وأبو شريح الخزاعي مشرف عليهم فصاح بهم وضربوه فقتلوه وأحاط الناس بهم فأخذوهم وفيهم زهير بن جندب الأزدي ومورع بن أبي مورع الأسدي وشبيل بن أبي الأزدي في عدة فشهد عليهم أبو شريح وابنه أنهم دخلوا عليه فمنع بعضهم بعضا من الناس فقتله بعضهم فكتب فيهم إلى عثمان فكتب إليه في قتلهم فقتلهم علي باب القصر في الرحبة وقال في ذلك عمرو بن عاصم التميمي لا تأكلوا أبدا جيرانكم سرفا * أهل الذعارة في ملك ابن عفان إن ابن عفان الذي جريتم * فطم للصوص بمحكم الفرقان ما زال يعمل بالكتاب مهيمنا * في كل عنق منهم وبنان (وكتب إلي السري) عن شعيب عن سيف عن عبدالله بن سعيد عن أبي سعيد قال كان أبو شريح الخزاعي من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فتحول من المدينة إلى الكوفة ليدنو من الغزو فبينما هو ليلة على السطح إذ استعاث جاره فأشرف فإذا هو بشباب من أهل الكوفة قد بيتوا جاره وجعلوا يقولون له لا تصح فانما هي ضربة حتى نريحك فقتلوه فارتحل إلى عثمان ورجع إلى المدينة ونقل أهله ولهذا الحديث حيث كثر أحدثت القسامة وأخذ بقول ولي المقتولي ليقطم الناس عن القتل عن ملا من الناس يومئذ (وكتب إلي السري) عن شعيب عن سيف عن محمد بن كريب عن نافع بن جبير قال قال عثمان القسامة على المدعي عليه وعلى أوليائه يحلف منهم خمسون رجلا إذا لم تكن بينة فان نقصت قسامتهم أو إن نكل رجل واحد ردت قسامتهم ووليها المدعون وأحلفوا فان حلف منهم خمسون استحقوا (وكتب إلي السري) عن شعيب عن سيف عن الغصن بن القاسم عن عون بن عبدالله قال كان مما أحدث عثمان بالكوفة إلى ما كان من الخبر أنه بلغه أن أبا سماك الأسدي في نفر من أهل الكوفة ينادى مناد لهم إذا قدم الميار من كان هاهنا من كلب أو بني فلان ليس لقومهم بها منزل فمنزله على أبي فلان فاتخذ موضع دار عقيل دار الضيفان ودار ابن هبار وكان منزل عبدالله بن مسعود في هذيل في موضع الرمادة فنزل موضع داره وترك داره دار الضيافة وكان الاضياف ينزلون داره

[٣٢٧]

في هذيل إذا ضاق عليهم ما حول المسجد (وكتب إلي السري) عن
شعب عن سيف عن المغيرة بن مقسم عن أدرك من علماء أهل
الكوفة أن أبا شمال كان ينادى مناديه في السوق والكناسة من كان
ها هنا من بني فلان وفلان لمن ليست له بها خطة فمزره على أبي
شمال فاتخذ عثمان للاضياف منازل (وكتب إلي السري) عن شعيب
عن سيف عن مولى لآك طلحة عن موسى بن طلحة مثله (وكتب
إلي السري) عن شعيب عن سيف عن محمد وطلحة قالا كان عمر
بن الخطاب قد استعمل الوليد بن عقبة على عرب الجزيرة فنزل في
بني تغلب وكان أبو زبيد في الجاهلية والاسلام في بني تغلب حتى
أسلم وكانت بنو تغلب أخواله فاضطهده أخواله ديناً له فأخذ له الوليد
بحقه فشكرها له أبو زبيد وانقطع إليه وغشيه بالمدينة فلما ولي
الوليد الكوفة أتاه مسلماً معظماً على مثل ما كان يأتيه بالجزيرة
والمدينة فنزل دار الضيفان وآخر قدمة قدمها أبو زبيد على الوليد وقد
كان ينتجعه ويرجع وكان نصرانياً قبل ذلك فلم يزل الوليد به وعنه
حتى أسلم في آخر إمارة الوليد وحسن إسلامه فاستدخله الوليد
وكان عربياً شاعراً حين قام على الاسلام فأتى أت أبو زبيب وأبو مورع
وجندبا وهم يحقدون له مذ قتل أبناءهم ويضعون له العيون فقال لهم
هل لكم في الوليد يشارب أبو زبيد فتأروا في ذلك فقال أبو زبيب وأبو
مورع وجندب لاناس من وجوه أهل الكوفة هذا أميركم وأبو زبيد خيرته
وهما عاكفان على الخمر فقاموا معهم ومنزل الوليد في الرحبة مع
عمارة بن عقبة وليس عليه باب فاقنحموا عليه من المسجد وبابه
إلى المسجد فلم يفجأ الوليد إلا بهم فنحى شيناً فادخله تحت
السري فادخل بعضهم يده فأخرجه لا يؤمره فإذا طبق عليه تفارق
عنب وإنما نحاه استحياء أن يروا طبقه ليس عليه إلا تفارق عنب
فقاموا فخرجوا على الناس فأقبل بعضهم على بعض يتلامون وسمع
الناس بذلك فأقبل الناس عليهم بسبونهم ويلعنونهم ويقولون أقوام
غضب الله لعمله وبعضهم أرغمه الكتاب فدعاهم ذلك إلى التحسس
والبحت فستر عليهم الوليد ذلك وطواه عن عثمان ولم يدخل بين
الناس في ذلك بشئ وكره أن يفسد بينهم فسكت عن ذلك وصبر
(وكتب إلي السري) عن شعيب عن سيف عن الفيض بن محمد قال
رأيت الشعبي جلس

إلى محمد بن عمرو بن الوليد يعني ابن عقبة وهو خليفة محمد بن
عبد الملك فذكر محمد غزو مسلمة فقال كيف لو أدركتم الوليد غزوه
وإمارته إن كان ليغزو فينتهي إلى كذا وكذا ما قصر ولا انتقض عليه
أحد حتى عزل عن عمله وعلى الباب يومئذ عبدالرحمن بن ربيعة
الباهلي وإن كان مما زاد عثمان بن عفان الناس على يده أن رد
على كل مملوك بالكوفة من فضول الاموال ثلاثة في كل شهر
يتسعون بها من غير أن ينقص مواليتهم من أرزاقهم (كتب إلي
السري) عن شعيب عن سيف عن الغصن بن القاسم عن عمرو بن
عبدالله قال جاء جندي ورهط معه إلى ابن مسعود فقالوا الوليد
يعتكف على الخمر وأدعوا ذلك حتى طرح على ألسن الناس فقال
ابن مسعود من استتر عنا بشئ لم نتبع عورته ولم نهتك ستره
فأرسل إلى ابن مسعود فاتاه فعاتبه في ذلك وقال أيرضى من مثلك
بأن يجيب قوماً موتورين بما أجبت علي أي شئ أستتر به إنما يقال
هذا للمريب فتلاحيا وافترقا على تغاضب لم يكن بينهما أكثر من ذلك
(وكتب إلي السري) عن شعيب عن سيف عن محمد وطلحة قالا
وأتى الوليد بساحر فأرسل إلى ابن مسعود يسأله عن حده فقال
وما يدريك إنه ساحر قال زعم هؤلاء النفر لنفر جاؤا به أنه ساحر قال
وما يدريك أنه ساحر قالوا يزعم ذاك قال أساحر أنت قال نعم قال
وتدري ما السحر قال نعم وثار إلى حمار فجعل يركبه من قبل ذنبه
ويربهم أنه يخرج من فمه وأسته فقال ابن مسعود فاقتله فانطلق
الوليد فنادوا في المسجد أن رجلاً يلعب بالسحر عند الوليد فأقبلوا

وأقبل جندب واغتنهما يقول أين هو أين هو حتى أريه فضربه فاجتمع
عبدالله والوليد على حبسه حتى كتب إلى عثمان فأجابهم عثمان
أن استخلفوه بالله ما علم برأيكم فيه وإنه لصادق بقوله فيما ظن من
تعطيل حده وعزروه وخلوا سبيله وتقدم إلى الناس في أن لا يعملوا
بالظنون وأن لا يقيموا الحدود دون السلطان فانا نقيد المخطئ ونؤدب
المصيب ففعل ذلك به وترك لأنه أصاب حدا وغضب لجندب أصحابه
فخرجوا إلى المدينة فيهم أبو خشة الغفاري وحنامة بن الصعب بن
حنامة ومعهم جندب فاستغفوه من الوليد فقال لهم عثمان تعملون

[٣٢٩]

بالظنون وتخطئون في الاسلام وتخرجون بغير إذن ارجعوا فردهم فلما
رجعوا إلى الكوفة لم يبق مותר في نفسه إلا أتاهاهم فاجتمعوا على
رأي فأصدروه ثم تغفلوا الوليد وكان ليس عليه حجاب فدخل عليه أبو
زينب الأزدي وأبو مورع الاسدي فسلا خاتمه ثم خرجا إلى عثمان
فشهدا عليه ومعهما نفر ممن يعرف من أعوانهم فبعث إليه عثمان
فلما قدم أمر به سعيد بن العاص فقال يا أمير المؤمنين أنشدك الله
فوالله إنهما لخصمان موتوران فقال لا يضرك ذلك إنما تعمل بما ينتهي
إلينا فمن ظلم فالله ولي انتقامه ومن ظلم فالله ولي جزائه (كتب
إلي السري) عن شعيب عن سيف عن أبي غسان سكن بن
عبدالرحمن بن حبيش قال اجتمع نفر من أهل الكوفة فعملوا في
عزل الوليد فانتدب أبو زينب بن عوف وأبو مورد بن فلان الاسدي
للشهادة عليه فغشوا الوليد وأكبوا عليه فبيناهم معه يوما في البيت
وله امرأتان في المخدع بينهما وبين القوم ستر إحداهما بنت ذي
الخمار والآخرى بنت أبي عقيل فنام الوليد وتفرق القوم عنه وثبت أبو
زينب وأبو مورع فتناول أحدهما خاتمه ثم خرجا فاستيقظ الوليد
وامراتاه عند رأسه فلم ير خاتمه فسألها عنه فلم يجد عندهما منه
علما قال فأى القوم تخلف عنهم قالتا رجلان لا نعرفهما ما غشيناك
إلا مذ قريب قال حلياهما فقالتا على أحدهما خميصة وعلى الآخر
مطرف وصاحب المطرف أبعدهما منك فقال الطوال قالتا نعم وصاحب
الخميصة أقربهما إليك فقال طلقصير قالتا نعم وقد رأينا يده على يدك
قال ذاك أبو زينب والآخر أبو مورع وقد أرادا داهية فليت شعري ماذا
يريدان فطلبهما فلم يقدر عليهما وكان وجههما إلى المدينة ففدما
على عثمان ومعهما نفر ممن يعرف عثمان ممن قد عزل الوليد عن
الاعمال فقالوا له فقال من يشهد قالوا أبو زينب وأبو مورع وكاع
الأخران فقال كيف رأيتما قالا كنا من غاشيته فدخلنا عليه وهو يقئ
الخمير فقال ما يقئ الخمر إلا شاربها فبعث إليه فلما دخل على
عثمان رأهما فقال متمثلا ما إن خشيت على أمر خلوت به * فلم
أخفك على أمثالها حار فحلف له الوليد وأخبره خبرهم فقال نقيم
الحدود وبيء شاهد الزور بالنار فاصبر

[٣٣٠]

يا أخي فأمر سعيد بن العاص فجلده فأورث ذلك عدواة بين ولديهما
حتى اليوم وكانت على الوليد خميصة يوم أمر به أن يجلد فنزعها
عنه علي بن أبي طالب عليه السلام (كتب إلي السري) عن
شعيب عن سيف عن عبيد الطنافسى عن أبي عبيدة الايادي قال
خرج أبو زينب وأبو مورع حتى دخلا على الوليد بيته وعنده امرأتان
بنت ذي الخمار وبنت أبي عقيل وهو نائم قالت إحداهما فأكب عليه
أحدهما فأخذ خاتمه فسألها حين استيقظ فقالتا ما أخذناه قال من
بقي آخر القوم قالتا رجلان رجل قصير عليه خميصة ورجل طويل
عليه مطرف ورأينا صاحب الخميصة أكب عليك قال ذاك أبو زينب
فخرج يطلبهما فإذا هو وجههما عن ملا من أصحاب لهما ولا يدري

الوليد ما أرادا من ذلك فقدم على عثمان فأخبره الخبر على رؤوس الناس فأرسل إلى الوليد فقدم فإذا هو بهما ودعا بهما عثمان فقال بم تشهدان أتشهدان أنكما رأيتماه يشرب الخمر فقالا لا وخافا قال فكيف قالوا اعتصمناها من لحيته وهو يقئ الخمر فأمر سعيد بن العاص فجلده فأورث ذلك عداوة بين أهليهما (وكتب إلي السري) عن شعيب عن سيف عن عطية عن أبي العريف ويزيد الفقعسي قالوا كان الناس في الوليد فرقتين العامة معه والخاصة عليه فما زال عليهم من ذلك خشوع حتى كانت صغين فولى معاوية فجعلوا يقولون عيب عثمان بالباطل فقال لهم علي عليه السلام إنكم وما تعيرون به عثمان كالطاعن نفسه ليقتل ردفه ما ذنب عثمان في رجل قد ضربه بقوله وعزله عن عمله وما ذنب عثمان فيما صنع عن أمرنا (وكتب إلي السري) عن شعيب عن سيف عن محمد ابن كريب عن نافع بن جبير قال قال عثمان رضى الله عنه إذا جلد الرجل الحد ثم ظهرت توبته جازت شهادته (وكتب إلي السري) عن شعيب عن سيف عن أبي كبران عن مولاة لهم وأثنى عليها خيرا قالت كان الوليد أدخل على الناس خيرا حتى جعل يقسم للولائد والعبيد ولقد تفجع عليه الاحرار والمماليك كان يسمع الولائد وعليهن الحداد يقلن يا ويلتا قد عزل الوليد * وجاءنا مجوعا سعيد

[٣٣١]

ينقص في الصاع ولا يزيد * فجوع الاماء والعبيد (وكتب إلي السري) عن شعيب عن سيف عن الغصن بن القاسم قال كان الناس يقولون حين عزل الوليد وأمر سعيد لا يبعد الملك إذ ولت شمائله * ولا الرئاسة لما رأس كتاب (وكتب إلي السري) عن شعيب عن سيف عن محمد وطلحة بإسنادهما قالوا قدم سعيد بن العاص في سنة سبع من إمارة عثمان وكان سعيد بن العاص بقية العاص بن أمية وكان أهله كثيرا تتابعوا فلما فتح الله الشام قدمها فأقام مع معاوية وكان يتيما نشأ في حجر عثمان فتذكر عمر قريشا وسأل عنه فيما يتفقد من أمور الناس فقبل يا أمير المؤمنين هو بدمشق عهد العاهد به وهو مأموم بالموت فأرسل إلى معاوية أن ابعث إلى سعيد بن العاص في منقل فبعث به إليه وهو ذنف فما بلغ المدينة حتى أفاق فقال يا ابن أخي قد بلغني عنك بلاء وصلاح فأزدد يزدك الله خيرا وقال هل لك من زوجة قال لا قال يا أبا عمر وما منعك من هذا الغلام أن تكون زوجته قال قد عرضت عليه فأبى فخرج يسير في البر فانتهى إلى ماء فلقى عليه أربع نسوة فقمهن له فقال مالكن ومن أنتن فقلن بنات سفيان بن عوف ومعهن أمهن فقلن أمهن هلك رجالنا وإذا هلك الرجال ضاع النساء فضعهن في أكفائهن فزوج سعيدا إحداهن وعبد الرحمن بن عوف الأخرى والوليد ابن عقبة الثالثة وأتاه بنات مسعود بن نعيم النهشلي فقلن قد هلك رجالنا وبقي الصبيان فضعنا في أكفائنا فزوج سعيدا إحداهن وجبير بن مطعم إحداهن فشارك سعيد هؤلاء وهؤلاء وقد كان عمومته ذوى بلاء في الاسلام وسابقة حسنة وقدمه مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يمت عمر حتى كان سعيد من رجال الناس فقدم سعيد الكوفة في خلافة عثمان أميرا وخرج معه من مكة أو المدينة الاشر وأبو خشة الغفاري وجندب بن عبدالله وأبو معصب بن جثامة وكانوا فيمن شخص مع الوليد يعيونه فرجعوا مع هذا فصعد سعيد المنبر فحمد الله وأثنى عليه وقال والله لقد بعثت إليكم وإنني لكاره ولكني لم أجد بدا إذ أمرت أن أتمر

[٣٣٢]

إلا أن الفتنة قد أطلعت خطمها وعينها ووالله لاضربن وجهها حتى أقمعها أو تعينني وإنني لرائد نفسي اليوم ونزل وساك عن أهل الكوفة فأقيم على حال أهلها فكتب إلي عثمان بالذي انتهى إليه أن أهل الكوفة قد اضطرب أمرهم وغلب أهل الشرف منهم والبيوتات والسابقة والقدمة والغالب على تلك البلاد روادف ردت وأعراب لحقت حتى ما ينظر إلى ذي شرف ولا بلاء من نازلتها ولا نابتها فكتب إليه عثمان أما بعد ففضل أهل السابقة والقدمة ممن فتح الله عليه تلك البلاد وليكن من نزلها بسببهم تبعاً لهم إلا أن يكونوا تفاقوا عن الحق وتركوا القيام به وقام به هؤلاء واحفظ لكل منزلته واعطهم جميعاً بقسطهم من الحق فإن المعرفة بالناس بها يصاب العدل فأرسل سعيد إلى وجوه الناس من أهل الأيام والقادسية فقال أتم وجوه من وراءكم والوجه يبنى الجسد فأبلغونا حاجة ذي الحاجة وخلة ذي الخلة وأدخل معهم من يحتمل من اللواحق والروادف وخلص بالقرءاء والمتسمتين في سمره فكأنما كانت الكوفة يبسا شملته نار فانقطع إلى ذلك الضرب ضربهم وفشت القالة والإذاعة فكتب سعيد إلى عثمان بذلك فنادى منادى عثمان الصلاة جامعة فاجتمعوا فأخبرهم بالذي كتب به إلى سعيد وبالذي كتب به إليه فيهم وبالذي جاءه من القالة والإذاعة فقالوا أصبت فلا تسعفهم في ذلك ولا تطمعهم فيما ليسوا له بأهل فإنه إذا نهض في الأمور من ليس لها بأهل لم يحتملها وأفسدها فقال عثمان يا أهل المدينة استعدوا واستمسكوا فقد دبت اليكم الفتنة ونزل فأوي إلى منزله وتمثل مثله ومثل هذا الضرب الذين شرعوا في الخلاف أبي عبيد قد أتى أشياعكم * عنكم مقالكم وشعر الشاعر فإذا أنتكم هذه فتلبسوا * إن الرماح بصيرة بالحاسر (كتب إلي السري) عن شعيب عن سيف عن هشام بن عروة قال كان عثمان أروى الناس للبيت والبيتين والثلاثة إلى الخمسة (كتب إلي السري) عن شعيب عن سيف عن سعيد بن عبدالله الجمحي عن عبدالله بن عمر قال سمعته وهو يقول لابي إن عثمان جمع أهل المدينة فقال يا أهل المدينة إن الناس يتمخضون بالفتنة وإني والله لاتخلصن لكم

[٣٣٣]

الذي لكم حتى أنقله اليكم إن رأيتم ذلك فهل ترونه حتى يأتي من شهد مع أهل العراق الفتوح فيه فيقيم معه في بلاده فقام أولئك وقالوا كيف تنقل لنا ما أفاء الله علينا من الأرضين يا أمير المؤمنين فقال نبيعها ممن شاء بما كان له بالحجاز وفرحوا وفتح الله عليهم به أمراً لم يكن في حسابهم فافترقوا وقد فرحها الله عنهم به وكان طلحة بن عبدالله قد استجمع له عامة سهمان خبير إلى ما كان له سوى ذلك فاشتري طلحة منه من نصيب من شهد القادسية والمدائن من أهل المدينة ممن أقام ولم يهاجر إلى العراق النشاستج بما كان له بخبير وغيرها من تلك الأموال واشتري من بيتر أرييس شيئا كان لعثمان بالعراق واشتري منه مروان بن الحكم بمال كان له أعطاه إياه عثمان نهر مروان وهو يومئذ أجمة واشتري منه رجال من القبائل بالعراق بأموال كانت لهم في جزيرة العرب من أهل المدينة ومكة والطائف واليمن وحضرموت فكان مما اشتري منه الأشعث بمال كان له في حضرموت ما كان له بطيزناباذ وكتب عثمان إلى أهل الأفاق في ذلك وبعده جريان الفئ والفئ الذي يتداعاه أهل الأمصار فهو ما كان للملوك نحو كسرى وقيصرو ومن تابعهم من أهل بلادهم فأجلى عنه فأتاهما شئ عرفوه وأخذ بقدر عدة من شهدها من أهل المدينة ويقدر نصيبهم وضم ذلك إليهم فباعوه بما يليهم من الأموال بالحجاز ومكة واليمن وحضرموت يرد على أهلها الذين شهدوا الفتوح من بين أهل المدينة (كتب إلي السري) عن شعيب عن سيف عن محمد وطلحة مثل ذلك إلا أنهما قالا اشتري هذا الضرب رجال من كل قبيلة ممن كان به هنالك شئ فأراد أن يستبدل به فيما يليه فأخذوا وجاز لهم عن تراض منهم ومن الناس

وإقرار بالحقوق إلا أن الذين لا سابقة لهم ولا قدمة لا يبلغون مبلغ أهل السابقة والقدمة في المجالس والرئاسة والحظوة ثم كانوا يعيرون التفضيل ويجعلونه جفوة وهم في ذلك يختفون به ولا يكادون يظهرونه لانه لا حجة لهم والناس عليهم فكان إذا لحق بهم لاحق من ناشئ أو أعرابي أو محرر استحلّى كلامهم فكانوا في زيادة وكان الناس في نقصان حتى غلب الشر (وكتب إلي السري) عن شعيب عن سيف عن محمد وطلحة قالا صرف حذيفة عن غزو الري إلى غزو الباب مددا

[٣٣٤]

لعبد الرحمن بن ربيعة وخرج معه سعيد بن العاص فبلغ معه آذربيجان وكذلك كانوا يصنعون يجعلون للناس رداء فأقام حتى فقل حذيفة ثم رجعا (وفي هذه السنة) أعني سنة ٣٠ سقط خاتم رسول الله صلى الله عليه وسلم من يد عثمان في بئر أريس وهي على ميلين من المدينة وكانت من أقل الأبار ماء فما أدرك حتى الساعة فعرها ذكر الخبر عن سبب سقوط الخاتم من يد عثمان في بئر أريس * حدثني محمد بن موسى الحرشي قال حدثنا أبو خلف عبدالله بن عيسى الخزاز قال وكان شريك يونس بن عبيد قال حدثنا داود بن أبي هند عن عكرمة عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أراد أن يكتب إلى الأعاجم كتب يدعوهم إلى الله عزوجل فقال له رجل يارسول الله إنهم لا يقبلون كتابا إلا مختوما فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يعمل له خاتم من حديد فجعله في أصبعه فأثاه جبريل فقال له انبذه من أصبعك فنبذه رسول الله صلى الله عليه وسلم من أصبعه وأمر بخاتم آخر يعمل له فعمل له خاتم من نحاس فجعله في أصبعه فقال له جبريل عليه السلام انبذه من أصبعك فنبذه رسول الله صلى الله عليه وسلم من أصبعه وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بخاتم من ورق فصنع له خاتم من ورق فجعله في أصبعه فأفره جبريل وأمر أن ينقش عليه محمد رسول الله فجعل يتختم به ويكتب إلى من أراد أن يكتب إليه من الأعاجم وكان نقش الخاتم ثلاثة أسطر فكتب كتابا إلى كسرى بن هرمز فبعثه مع عمر بن الخطاب فأتى به عمر كسرى فقرأ الكتاب فلم يلتفت إلى كتابه فقال عمر يارسول الله جعلني الله فداءك أنت على سرير مرمول بالليف وكسرى بن هرمز على سرير من ذهب وعليه الديباج فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أما ترضى أن تكون لهم الدنيا ولنا الآخرة فقال جعلني الله فداءك قد رضيت وكتب كتابا آخر فبعث به مع دحية بن خليفة الكلبي إلى هرقل ملك الروم يدعوهم إلى الاسلام فقرأه وضمه إليه ووضع عنده فكان الخاتم في أصبع رسول الله صلى الله عليه وسلم يتختم به حتى قبضه الله عزوجل ثم استخلف أبو بكر فتختم به حتى قبضه الله عزوجل ثم ولى عمر بن الخطاب بعد فجعل يتختم

[٣٣٥]

به حتى قبضه الله ثم ولى من بعده عثمان بن عفان فتختم به ست سنين فحفر بئرا بالمدينة شربا للمسلمين فقعد على رأس البئر فجعل يعبث بالخاتم ويديره بأصبعه فأنسل الخاتم من أصبعه فوقع في البئر فطلبوه في البئر ونزحوا ما فيها من الماء فلم يقدروا عليه فجعل فيه مالا عظيما لمن جاء به واعتم لذلك عما شديدا فلما ينس من الخاتم أمر فصنع له خاتم آخر مثله حلقة من فضة على مثاله وشبهه ونقش عليه محمد رسول الله فجعله في أصبعه حتى هلك فلما قتل ذهب الخاتم من يده فلم يدر من أخذه أخبار أبي ذر رحمه الله تعالى (وفي هذه السنة) أعني سنة ٣٠ كان ما ذكر من أمر أبي

ذر ومعاوية وإشخاص معاوية إياه من الشام إلى المدينة وقد ذكر في سبب إشخاصه إياه منها إليها أمور كثيرة كرهت ذكر أكثرها فأما العاذرون معاوية في ذلك فإنهم ذكروا في ذلك قصة كتب إلي بها إلى السري يذكر أن شعيبا حدثه عن سيف عن عطية عن يزيد الفقعسي قال لما ورد ابن السوداء الشام لقي أبا ذر فقال يا أبا ذر ألا تعجب إلى معاوية يقول المال مال الله ألا إن كان كل شيء لله كأنه يريد أن يحتجته دون المسلمين ويمحو اسم المسلمين فأتاه أبو ذر فقال ما يدعوك إلى أن تسمى مال المسلمين مال الله قال يرحمك الله يا أبا ذر ألسنا عباد الله والمال ماله والخلق خلقه والامر أمره قال فلا تقله قال فإنني لا أقول إنه ليس لله ولكن سأقول مال المسلمين قال وأتى ابن السوداء أبا الدرداء فقال له من أنت أظنك والله يهوديا فأتى عبادة بن الصامت فتعلق به فأتى به معاوية فقال هذا والله الذي بعث عليك أبا ذر وقام أبو ذر بالشام وجعل يقول يا معشر الاغنياء واسوا الفقراء بشر الذين يكتزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله بمكان من نار تكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم فما زال حتى ولع الفقراء بمثل ذلك وأوجبه على الاغنياء وحتى شكوا الاغنياء ما يلقون من الناس فكتب معاوية إلى عثمان إن أبا ذر قد أعضل بي وقد كان من أمره كيت وكيت فكتب إليه عثمان إن الفتنة قد أخرجت خطمها وعينيها فلم يبق إلا أن تثب فلا تنكأ القرح وجهز أبا ذر إلي وابعث معه دليلا وزوده وارفق به

[٣٣٦]

وكفكف الناس ونفسك ما استطعت وإنما تمسك ما استمسكت فبعث بأبي ذر ومعه دليل فلما قدم المدينة ورأى المجالس في طصل سلع قال بشر أهل المدينة بغارة شعواء وحرب مذكور ودخل على عثمان فقال يا أبا ذر ما لاهل الشام يشكون ذربك فأخبره أنه لا ينبغي أن يقال مال الله ولا ينبغي للاغنياء أن يفتنوا مالا فقال يا أبا ذر على أن أفضى ما على وأخذ ما على الرعية ولا أجبرهم على الزهد وأن أدعوهم إلى الاجتهاد والاقتصاد قال فتأذن لي في الخروج فإن المدينة ليست لي بدار فقال أو تستبدل بها إلا شرا منها قال أمرني رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن أخرج منها إذا بلغ البناء سلعا قال فانفذ لما أمرك به قال فخرج حتى نزل الريزة فخط بها مسجدا وأقطع عثمان صرمة من الابل وأعطاه مملوكين وأرسل إليه أن تعاهد المدينة حتى لا ترتد أعرابيا ففعل (وكتب إلي السري) عن شعيب عن سيف عن محمد بن عوف عن عكرمة عن ابن عباس قال كان أبو ذر يختلف من الريزة إلى المدينة مخافة الاعرابية وكان يحب الوحدة والخلوة فدخل على عثمان وعنده كعب الاحبار فقال لعثمان لا ترضوا من الناس بكف الاذى حتى يبذلوا المعروف وقد ينبغي للمؤدي الزكاة أن لا يقتصر عليها حتى يحسن إلى الجيران والاخوان ويصل القرابات فقال كعب من أدى الفريضة فقد قضى ما عليه فرفع أبو ذر محجته فضربه فشججه فاستوهبه عثمان فوهبه له وقال يا أبا ذر اتق الله واكفف يدك ولسانك وقد كان قال له يا ابن اليهودية ما أنت وما ههنا والله لتسمعن مني أو لادخل عليك (وكتب إلي السري) عن شعيب عن سيف عن الأشعث بن سوار عن محمد بن سيرين قال خرج أبو ذر إلى الريزة من قبل نفسه لما رأى عثمان لا ينزع له وأخرج معاوية أهله من بعده فخرجوا إليه ومعهم جراب يثقل يد الرجل فقال انظروا إلى هذا الذي يزهد في الدنيا ما عنده فقالت امرأته أما والله ما فيه دينار ولا درهم ولكنها فلوس كان إذا خرج عطاؤه ابتاع منه فلوسا لجوائننا ولما نزل أبو ذر الريزة أقيمت الصلاة وعليها رجل يلي الصدقة فقال تقدم يا أبا ذر فقال لا تقدم أنت فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لي اسمع وأطع وإن كان عليك عبد مجرد فأنت عبد ولسنت بأجدع وكان

من رقيق الصدقة وكان أسود يقال له مجاشع (وكتب إلي السري) عن شعيب عن سيف عن مبشر بن الفضيل عن جابر قال أجرى عثمان على أبي ذر كل يوم عظاما وعلى رافع ابن خديج مثله وكانا قد تنحيا عن المدينة لشئ سمعاه لم يفسر لهما وأبصرا وقد أوطئا (وكتب إلي السري) عن شعيب عن سيف عن محمد بن سوقة عن عاصم بن كليب عن سلمة بن نباتة قال خرجنا معتمرين فأتينا الريدة فطلبنا أبا ذر في منزله فلم نجده وقالوا ذهب إلى الماء ففتحنا ونزلنا قريبا من منزله فمر ومعه عظم جزور يحمله معه غلام فسلم ثم مضى حتى أتى منزله فلم يمكث إلا قليلا حتى جاء فجلس إلينا وقال إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لي أسمع وأطع وإن كان عليك حبشي مجدع فنزلت هذا الماء وعليه رقيق من رقيق مال الله وعليهم حبشي وليس بأجدع وهو ما علمت وأثنى عليه ولهم في كل يوم جزور ولي منها عظم أكله أنا وعبالي * قلت مالك من المال قال صرمة من الغنم وقطيع من الابل في أحدهما غلامي وفي الآخر أمتي وغللامي حر إلى رأس السنة قال قلت إن أصحابك قبلنا أكثر الناس مالا قال أما إنهم ليس لهم في مال الله حق إلا ولي مثله * وأما الآخرون فإنهم رويوا في سبب ذلك أشياء كثيرة وأمورا شنيعة كرهت ذكرها (وفي هذه السنة) هرب يزيدجرد ابن شهريار في قول بعضهم من فارس إلى خراسان ذكر من قال ذلك وما قال فيه ذكر علي بن محمد أن مسلمة أخبره عن داود قال قدم ابن عامر البصرة ثم خرج إلى فارس فافتتحها وهرب يزيدجرد من جور وهي أردشيرخه في سنة ٣٠ فوجه ابن عامر في أثره مجاشع بن مسعود السلمى فاتبعه إلى كرمان فنزل مجاشع السيرجان بالعسكر وهرب يزيدجرد إلى خراسان قال وعبد القيس تقول وجه ابن عامر هرم بن حيان العبدى وبكر بن وائل تقول وجه ابن حسان البشكري قال وأصح عندنا مجاشع قال علي وأخبرنا سلمة بن عثمان وكان فاضلا عن شيخ من أهل كرمان والفضل الكرمانى عن أبيه قال اتبع مجاشع يزيدجرد فخرج من السيرجان فلما كان عند القصر في بيمند وهو الذي يقال له قصر مجاشع أصابهم

الثلج والدمق فوقع الثلج واشتد البرد وصار الثلج قامة رمح فهلك الجند وسلم مجاشع ورجل كانت معه جارية فشق بطن بعير فأدخلها فيه وهرب فلما كان من الغد جاء فوجدها حية فحملها فسمى ذلك القصر قصر مجاشع لان جيشه هلكوا فيه وهو على خمسة فراسخ أو ستة من السيرجان قال علي أخبرنا أبو المقدم عن بعض مشيخته قال خرج مجاشع على وفد أهل البصرة من تستر وفيهم الاحنف وأخذ في غداة واحدة على لجام واحد خمسين ألفا سبق على الصفراء ابنة الغراء ابنة الغبراء فأخذها منه عمر حين قاسم عماله الاموال قال علي فقلت للنضر بن اسحاق إن أبا المقدم ذكر هذا الحديث فقال صدق سمعته من عدة من الحبي وغيرهم وفرسه الصفراء ابنة الغراء ابنة الغبراء وهو مجاشع بن مسعود بن ثعلبة بن عائذ ابن وهب بن ربيعة بن يربوع بن سماح بن عوف بن امرئ القيس بن بهثة بن سليم ويكنى أبا سليمان قال وفي هذه السنة زاد عثمان النداء الثالث على الزوراء وصلى بمنى أربعا (وحج) بالناس في هذه السنة عثمان رضى الله عنه ثم دخلت سنة إحدى وثلاثين ذكر ما كان فيها من الاحداث المشهورة فما كان فيها من ذلك غزوة المسلمين الروم التي يقال لها غزوة الصوارى في قول الواقدي فاما أبو معشر فانه قال فيما حدثني أحمد بن ثابت الرازي عن ذكره عن اسحاق بن عيسى عنه كانت غزوة الصوارى سنة ٢٤ وقال كانت في سنة ٢١ الاساودة في البحر ووقائع كسرى وقال الواقدي غزوة الصوارى والاساودة كلتاهما كانتا في سنة ٢١ ذكر الخبر عن هاتين

الغزوتين ذكر الواقدي أن محمد بن صالح حدثه عن عاصم بن عمير بن قتادة أن أهل الشام خرجوا عليهم معاوية بن أبي سفيان وكانت الشام قد جمع جمعها لمعاوية

[٣٣٩]

ابن أبي سفيان ذكر السبب في جمعها له (كتب إلي السري) عن شعيب عن سيف عن عبد الملك والربيع وأبي مجالد وأبي عثمان وأبي حارثة قالوا لما حضر أبو عبيدة استخلف على عمله عياض بن غنم وهو خاله وابن عمه وقد كان ولي بالجزيرة عملا فعزله عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه فلحق بأبي عبيدة بالشام وكان معه وكان جوادا مشهورا بالجود لا يليق شيئا ولا يمنع أحدا فكلم عمر في ذلك فقبل له عزلت خالدا وعتبت عليه العطاء وعياض أجود العرب وأعطاهم لا يمنع شيئا يسأله فقال عمر حتى سيمه عياض في ماله حتى يخلص إلى مالنا وإنني مع ذلك لم أكن مغيرا أمرا قضاه أبو عبيدة ومات عياض بن غنم بعد أبي عبيدة فأمر عمر على عمله سعيد بن حذيم الجمحي ومات سعيد بعد فأمر عمر مكانه عمير بن سعد الأنصاري ومات عمر ومعاوية على دمشق والأردن وعمير بن سعد على حمص وقنسرين وإنما مصر فنسرين معاوية بن أبي سفيان لمن لحق به من أهل العراقيين ومات يزيد بن أبي سفيان فجعل عمر مكانه معاوية ونعاه لأبي سفيان فقال من جعلت على عمله يا أمير المؤمنين فقال معاوية فقال وصلتك رحم فاجتمعت لمعاوية الأردن ودمشق ومات عمر ومعاوية على دمشق والأردن وعمير بن سعد على حمص وقنسرين وعلقمة بن مجزز على فلسطين وعمرو بن العاص على مصر (وكتب إلي السري) عن شعيب عن سيف عن مبشر عن سالم قال كان أول عامل استعمله عثمان بن عفان سعد بن أبي وقاص عن وصية عمر ثم إن عمير بن سعد طعن فأضنى منها فاستعفى عثمان واستأذنه في الرجوع إلى أهله فأذن له وضم حمص وقنسرين إلى معاوية (وكتب إلي السري) عن شعيب عن سيف عن أبي حارثة وأبي عثمان عن خالد بن معدان قال لما ولي عثمان أقر عمال عمر على الشام فلما مات عبدالرحمن بن علقمة الكناني وكان على فلسطين ضم عمله إلى معاوية ومرض عمير بن سعد في إمارة عثمان مرضا طال به فاستعفاه واستأذنه فأذن له وضم عمله إلى معاوية فاجتمع الشام على معاوية

[٣٤٠]

لسنتين من إمارة عثمان وكان عمرو بن العاص على مصر زمان عمر مجتمعة له فأقره عثمان صدرا من إمارته رجع الحديث إلى حديث الواقدي عن خبر الغزوتين اللتين ذكرتهما إن أهل الشام خرجوا عليهم معاوية بن أبي سفيان وعلى أهل البحر عبدالله ابن سعد بن أبي سرح وقال وخرج عامئذ قسطنطين بن هرقل لما أصاب المسلمون منه بإفريقية فخرجوا في جمع لم يجتمع للروم مثله قط منذ كان الإسلام فخرجوا في خمسمائة مركب فالتقوا هم وعبد الله بن سعد فأمن بعضهم بعضا حتى قرونا بين سفن المسلمين وأهل الشرك بين صواربها * قال ابن عمر حدثني عيسى بن علقمة عن عبدالله بن أبي سفيان عن أبيه عن مالك بن أوس بن الحدثان قال كنت معهم فالتقينا في البحر فنظرنا إلى مراكب ما رأينا مثلها قط وكانت الريح علينا فأرسيها ساعة وأرسيها قريبا منا وسكنت الريح عنا فقلنا الامن بيننا وبينكم قالوا ذلك لكم ولنا منكم ثم قلنا إن أحببتم فالساحل حتى يموت الاعجل منا ومنكم وإن شئتم فالبحر قال فنخروا نخرة واحدة وقالوا الماء فدنونا منهم فربطنا السفن بعضها إلى

بعض حتى كنا يضرب بعضنا بعضا على سفننا وسفنهم فقاتلنا أشد القتال ووثبت الرجال عليالرجال يضطربون بالسيوف على السفن ويتواجهون بالخناجر حتى رجعت الدماء إلى الساحل تضربها الامواج وطرحت الامواج جثث الرجال ركاما * قال ابن عمر فحدثني هشام بن سعد عن زيد بن أسلم عن أبيه عن عمن حضر ذلك اليوم قال رأيت الساحل حيث تضرب الريح الموج وإن عليه لمثل الطرب العظيم من جثث الرجال وإن الدم الغالب على الماء ولقد قتل يومئذ من المسلمين بشر كثير وقتل من الكفار ما لا يحصى وصبروه يومئذ صبرا لم يصبروا في موطن قط ثم أنزل الله نصره على أهل الاسلام وانهزم القسطنطين مدبرا فما انكشف إلا لما أصابه من القتل والجراح ولقد أصابه يومئذ جراحات مكث منها حينما جريحا قال ابن عمر حدثني سالم مولى أم محمد عن خالد بن أبي عمران عن حنش بن عبدالله الصنعاني قال كان أول ما سمع من محمد بن أبي حذيفة حين ركب الناس بحر سنة ٣١ لما

[٣٤١]

صلى عبدالله بن سعد بن أبي سرح بالناس العصر كبر محمد بن أبي حذيفة تكبيرا ورفع صوته حتى فرغ الامام عبدالله بن سعد بن أبي سرح فلما انصرف سأل ما هذا فقيل له هذا محمد بن أبي حذيفة يكبر فدعاه عبدالله بن سعد فقال له ما هذه البدعة والحدث فقال له ما هذه بدعة ولا حدث وما بالتكبير بأس قال لا تعودن قال فأسكت محمد بن أبي حذيفة فلما صلى المغرب عبدالله بن سعد كبر محمد بن أبي حذيفة تكبيرا أرفع من الاول فأرسل إليه إنك غلام أحمق أما والله لولا أنني لا أدري ما يوافق أمير المؤمنين لقاربت بين خطوك فقال محمد بن أبي حذيفة والله مالك إلى ذلك سبيل ولو هممت به ما قدرت عليه قال فكف خير لك والله لا تركب معنا قال فأركب مع المسلمين قال اركب حيث شئت قال فركب في مركب وحده ما معه إلا القبط حتى بلغوا ذات الصواري فلقوا جموع الروم في خمسمائة مركب أو ستمائة فيها القسطنطين بن هرقل فقال أشيروا علي قالوا ننظر الليلة فباتوا يضربون بالنواقيس ويات المسلمون يصلون ويدعون الله ثم أصبحوا وقد أجمع القسطنطين أن يقاتل فقبوا سفنهم وقرب المسلمون فربطوا بعضها إلى بعض وصف عبدالله بن سعد المسلمين على نواحي السفن وجعل يأمرهم بقراءة القرآن ويأمرهم بالصبر ووثبت الروم في سفن المسلمين على صفوفهم حتى نقصوها فكانوا يقاتلون على غير صفوف قال فاقتتلوا قتالا شديدا ثم إن الله نصر المؤمنين فقتلوا منهم مقتلة عظيمة لم ينج من الروم إلا الشريد قال وأقام عبدالله بذات الصواري أياما بعد هزيمة القوم ثم أقبل راجعا وجعل محمد بن أبي حذيفة يقول للرجل أما والله لقد تركنا خلفنا الجهاد حقا فيقول الرجل وأي جهاد فيقول عثمان بن عفان فعل كذا وكذا وفعل كذا وكذا حتى أفسد الناس فقدموا بلدهم وقد أفسدهم وأظهروا من القول ما لم يكونوا ينطقون به قال محمد بن عمر فحدثني معمر بن راشد عن الزهري قال خرج محمد بن أبي حذيفة ومحمد بن أبي بكر عام خرج عبدالله بن سعد فأظهرا عيب عثمان وما غير وما خالف به أبا بكر وعمر وأن دم عثمان حلال ويقولان استعمل عبدالله بن سعد رجلا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أباح دمه ونزل

[٣٤٢]

القرآن بكفره وأخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم قوما وأدخلهم ونزع أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم واستعمل سعيد بن العاص وعبد الله بن عامر فبلغ ذلك عبدالله بن سعد فقال لا تركبا

معنا فركبا في مركب ما فيه أحد من المسلمين ولقوا العدو وكانا أنكل المسلمين قتالا فقبل لهما في ذلك فقلا كيف نقاتل مع رجل لا ينبغي لنا أن نحكمه عبدالله بن سعد استعمله عثمان وعثمان فعل وفعل فأفسدا أهل تلك الغزاة وعابا عثمان أشد العيب فأرسل عبدالله بن سعد إليهما بينهما أشد النهي وقال والله لولا أني لا أدري ما يوافق أمير المؤمنين لعاقبتكما وحبستكما (قال الواقدي) وفي هذه السنة توفي أبو سفیان بن حرب وهو ابن ثمان وثمانين سنة (وفي هذه السنة) أعني سنة ٣١ فتحت في قول الواقدي أرمينية على يدي حبيب بن مسلمة الفهري (وفي هذه السنة) قتل يزيدجرد ملك فارس ذكر الخبر عن سبب مقتله اختلف في سبب مقتله وكيف كان ذلك فقال علي بن محمد أخبرنا غياث بن إبراهيم عن ابن إسحاق قال هرب يزيدجرد من كرمان في جماعة يسيرة إلى مرو فسأل مرزبانها مالا فمنعه فخافوا على أنفسهم فأرسلوا إلى الترك يستنصرونهم عليه فأتوه فبيتوه فقتلوا أصحابه وهرب يزيدجرد حتى أتى منزل رجل ينقر الأرحاء على شط المرغاب فأوى إليه ليلا فلما نام قتله قال علي وأخبرنا الهذلي قال أتى يزيدجرد مرو هاربا من كرمان فسأل مرزبانها وأهلها مالا فمنعوه وخافوه فبيتوه ولم يستجيشوا عليه الترك فقتلوا أصحابه وخرج هاربا على رجليه معه منطقتة وسيفه وتاجه حتى انتهى إلى منزل نقار على شط المرغاب فلما غفل يزيدجرد قتله النقار وأخذ متاعه وألقى جسده في المرغاب وأصبح أهل مرو فاتبعوا أثره حتى خفى عليهم عند منزل النقار فأخذوه فأقر لهم بقتله وأخرج متاعه فقتلوا النقار وأهل بيته وأخذوا متاعه ومتاع يزيدجرد وأخرجوه من المرغاب فجعلوه في تابوت من خشب قال فزعم بعضهم أنهم حملوه إلى اصطخر فدفن بها في أول سنة ٣١ وسميت مرو خذاده شمن وقد كان يزيدجرد وطئ امرأة بها فولدت له غلاما ذاهب الشق وذلك بعد ما قتل يزيدجرد

[٣٤٣]

فسمى المخدج فولد له أولاد بخراسان فوجد قتيبة حين افتتح الصغد أو غيرها جارينتين فقبل له إنهما من ولد المخدج فبعث بهما أو باحدهما إلى الحجاج بن يوسف فبعث بها إلى الوليد بن عبد الملك فولدت للوليد يزيد بن الوليد الناقص قال علي وأخبرنا روح ابن عبدالله عن خرداذبه الرازي أن يزيدجرد أتى خراسان ومعه خرزادهمر أخو رستم فقال لماهويه مرزبان مرواني قد سلمت إليك الملك ثم انصرف إلى العراق وأقام يزيدجرد بمرو وهم بعزل ماهويه فكتب ماهويه إلى الترك يخبرهم بانهبهم يزيدجرد ويقدمه عليه وعاهدتهم على موازتهم عليه وخلق لهم الطريق قال وأقبل الترك إلى مرو وخرج إليهم يزيدجرد فيمن معه من أصحابه فقاتلهم ومعه ماهويه في أساورة مرو فأثنى يزيدجرد في الترك فخشى ماهويه أن ينهبهم الترك فتحول إليهم في أساورة مرو فانهزم جند يزيدجرد وقتلوا وعقر فرس يزيدجرد عند المساء فمضى ماشيا هاربا حتى انتهى إلى بيت فيه رحي على شط المرغاب فمكث فيه ليلتين فطلبه ماهويه فلم يقدر عليه فلما أصبح اليوم الثاني دخل صاحب الرحي بيته فلما رأى هيئة يزيدجرد قال ما أنت إنسى أو جني قال إنسى فهل عندك طعام قال نعم فأتاه به فقال إنني مزمزم فأتني بما أزمزم به فذهب الطحان إلى إسوار من الأساورة فطلب منه ما يزمزم به قال وما تصنع به قال عندي رجل لم أر مثله قط وقد طلب هذا مني فأدخله على ماهويه فقال هذا يزيدجرد اذهبوا فجيؤوني برأسه فقال له الموبد ليس ذلك لك قد علمت أن الدين والملك مقترنان لا يستقيم أحدهما إلا بالآخر ومتى فعلت انتهكت الحرمة التي لا بعدها وتكلم الناس وأعظموا ذلك فشتهم ماهويه وقال للأساورة من تكلم فاقتلوه وأمر عدة فذهبوا مع الطحان وأمرهم أن يقتلوا يزيدجرد فانطلقوا فلما راوه كرهوا قتله وتدافعوا ذلك وقالوا للطحان ادخل فاقتله فدخل عليه وهو نائم ومعه حجر فشدخ به رأسه ثم احتز رأسه فدفعه إليهم وألقى

جسده في المرغاب فخرج قوم من أهل مرو فقتلوا الطحان وهدموا
رحاه وخرج أسقف مرو فأخرج جسده يزدجرد من المرغاب فجعله في
تابوت وحمله إلى اصطخر فوضعه في ناووس (وقال آخرون) في ذلك
ما ذكر هشام بن محمد أنه ذكر له أن يزدجرد هرب بعد وقعة

[٣٤٤]

نهاوند وكانت آخر وقعاتهم حتى سقط إلى أرض أصبهان وبها رجل
يقال له مطيار من دهاقينها وهو المنتدب كان لقتال العرب حين نكلت
الاعاجم عنها فدعاهم إلى نفسه فقال إن وليت أموركم وسرت بكم
إليهم ما تجعلون لي فقالوا نقر لك بفضلك فسار بهم فأصاب من
العرب شياً يسيراً فحظى به عندهم ونال به أفضل الدرجات فيهم
فلما رأى يزدجرد أمر أصبهان ونزلها أتاه طيار ذات يوم زائراً فحجبه
بوابه وقال له فف حتى أستأذن لك عليه فوثب عليه فشججه أنفة
وحمية لحجبه إياه ودخل البواب على يزدجرد مدمى فلما نظر إليه
أفطعه ذلك وركب من ساعته مرتحلاً عن أصبهان وأشير عليه أن
يأتي أقصى مملكته فيكون بها لاشتغال العرب عنه بما هم فيه إلى
يوم فسار متوجهاً إلى ناحية الري فلما قدمها خرج إليه صاحب
طبرستان وعرض عليه بلاده وأخبره بحصانتها وقال له إن أنت لم
تجيني يومك هذا ثم أتيتني بعد ذلك لم أقبلك ولم أوك فأبى عليه
يزدجرد وكتب له بالاصهبذية وكان له فيما خلا عليه درجة أوضع منها
وقال بعضهم أن يزدجرد مضى من فوره ذلك إلى سجستان ثم سار
منها إلى مرو في ألف رجل من الاساورة وقال بعضهم أن يزدجرد وقع
إلى أرض فارس فأقام بها أربع سنين ثم أتى أرض كرمان فأقام بها
سنتين أو ثلاث سنين فطلب إليه دهقان كرمان أن يقيم عنده فلم
يفعل وطلب من الدهقان أن يعطيه رهينة فلم يعطه دهقان كرمان
شيئاً فلم يعطه ما طلب فأخذ برجله فسحبه وطرده عن بلاده فوقع
منها إلى سجستان فأقام بها نحواً من خمس سنين ثم أجمع أن
ينزل خراسان فيجمع الجموع فيها ويسير بهم إلى من غلبه على
مملكته فسار بمن معه إلى مرو ومعه الرهن من أولاد الدهاقين
ومعه من رؤسائهم فرخزاد فلما قدم مرو استعاث منهم بالملوك
وكتب إليهم يستمدهم وإلى صاحب الصين ومملك فرغانة ومملك كابل
وملك الخزر والدهقان يومئذ بمرو ماهويه بن مافناه بن فيد أبو براز
ووكيل ماهويه ابنه براز مدينة مرو وكانت إليه وأراد يزدجرد دخول
المدينة لينظر إليها وإلى قهندزها وكان ماهويه قد تقدم إلى ابنه أن
لا يفتحها له إن رام دخولها تخوفاً لمكره وعذره فركب يزدجرد في
اليوم الذي أراد دخولها فأطاف بالمدينة فلما انتهى إلى باب

[٣٤٥]

من أبوابها وأراد دخولها منه صاح أبو براز ببراز أن افتح وهو في ذلك
يشد منطقتة ويومئ إليه أن لا يفعل وفطن لذلك رجل من أصحاب
يزدجرد فأعلمه ذلك واستأذنه في ضرب عنق ماهويه وقال إن فعلت
صفت لك الأمور بهذه الناحية فأبى عليه وقال بعضهم بل كان يزدجرد
ولى مرو فرخزاد وأمر براز أن يدفع القهندز والمدينة إليه فأبى أهل
المدينة ذلك لأن ماهويه أبا براز تقدم إليهم بذلك وقال لهم ليس هذا
لكم بملك فقد جاءكم مفلولاً مجروحاً ومرو لا تحتل ما يحتمل غيرها
من الكور فإذا جئتمكم غداً فلا تفتحوا الباب فلما أتاهم فعلوا ذلك
وانصرف فرخزاد فجثا بين يدي يزدجرد وقال استصعبت عليك مرو
وهذه العرب قد أتتك قال فما الرأي قال الرأي أن نلحق ببلاد الترك
ونقيم بها حتى يتبين لنا أمر العرب فإنهم لا يدعون بلدة إلا دخلوها
قال لست أفعل ولكنني أرجع عودي على بدئي فعصاه ولم يقبل رأيه
وسار يزدجرد فأتى براز دهقان مرو وأجمع على صرف الدهقنة عنه

إلى سنجان ابن أخيه فيبلغ ذلك ماهويه أبا براز فعمل في هلاك
يزدجرد وكتب إلى نيزك طرخان يخبره أن يزدجرد وقع إليه مفلولا
ودعاه إلى القدوم عليه لتكون أيديهما معا في أخذه والاستيثار منه
فيقتلوه أو يصالحوا عليه العرب وجعل له إن هو أراحه منه أن يفى له
كل يوم بألف درهم وسأله أن يكتب إلى يزدجرد مماكرا له لينحى
عنه عامة جنده ويحصل في طائفة من عسكره وخواصه فيكون
أضعف لركنه وأوهن لشوكته وقال تعلمه في كتابك إليه الذي عزمت
عليه من مناصحته ومعونته على عدوه من العرب حتى يقهرهم
وتطلب إليه أن يشتق لك اسما من أسماء أهل الدرجات بكتاب
مختوم بالذهب وتعلمه أنك لست قادما عليه حتى ينحى عنه
فرخزاد فكتب نيزك بذلك إلى يزدجرد فلما ورد عليه كتابه بعث إلى
عظماء مرو فاستشارهم فقال له سنجان لست أرى أن تنحى عنك
جندك وفرخزاد لشيئ وقال أبو براز بل أرى أن تتالف نيزك وتجيئه إلى
ما سألت فقبل رأيه وفرق عنه جنده وأمر فرخزاد أن يأتي أجمة ؟
سرخس فصاح فرخزاد وشق جيبه وتناول عمودا بين يديه يريد ضرب
أبي براز به وقال ياقتله الملوك قتلتم ملكين وأظنكم قاتلي هذا ولم
يبرح فرخزاد حتى كتب

[٣٤٦]

له يزدجرد بخط يده كتابا هذا كتاب لفرخزاد إنك قد سلمت يزدرد
وأهله وولده وحاشيته وما معه إلى ماهويه دهقان مرو وأشهد عليه
بذلك فأقبل نيزك إلى موضع بين المرويين يقال له جليندان فلما
أجمع يزدجرد على لقائه والمسير إليه أشار عليه أبو براز أن لا يلقاه
في السلاح فيرتاب به وينفر عنه ولكن يلقاه بالمزامير والملاهي
ففعل فسار فيمن أشار عليه ماهويه وسمى له وتقاوس عنه أبو
براز وكردس نيزك أصحابه كراديس فلما تدانبا استقبله نيزك ماشيا
ويزدجرد على فرس له فأمر لنيزك بجنيبة من جنائبه فركبها فلما
توسط عسكره توافقا فقال له نيزك فيما يقول زوجني إحدى بناتك
وأناصحك وأقاتل معك عدوك فقال له يزدجرد على تجترئ أيها الكلب
فعلاه نيزك بمخفته وصاح يزدجرد غدر الغادر وركض منهزما ووضع
أصحاب نيزك سيوفهم فيهم فأكثروا فيهم القتل وانتهى يزدجرد من
هزيمته إلى مكان من أرض مرو فنزل عن فرسه ودخل بيت طحان
فمكث فيه ثلاثة أيام فقال له الطحان أيها الشقي أخرج فاطعم شيئا
فإنك قد جعت منذ ثلاث قال لست أصل إلى ذلك إلا بزممة وكان
رجل من زمزمة مرو أخرج حنطة له ليطحنها فكلمه الطحان أن يزيزم
عنده لياكل ففعل ذلك فلما انصرف سمع أبا براز يذكر يزدجرد
فسألهم عن حليته فوصفوه له فأخبرهم أنه رآه في بيت طحان وهو
رجل جعد مقرون حسن الثنايا مقرط مسور فوجه إليه عند ذلك رجلا
من الاساورة وأمره إن هو ظفر به أن يخنقه بوتر ثم يطرحه في نهر
مرو فلقوا الطحان فضربوه ليدل عليه فلم يفعل وجحدهم أن يكون
يعرف أين توجه فلما أرادوا الانصراف عنه قال لهم رجل منهم إنني
أجد ريح المسك ونظر إلى طرف ثوبه من ديباج في الماء فاجتذبه
إليه فإذا هو يزدجرد فسأله أن لا يقتله ولا يدل عليه ويجعل له خاتمه
وسواره ومنطقته قال الآخر أعطني أربعة دراهم وأخلى عنك قال
يزدجرد ويحك خاتمي لك وثمانه لا يحصى فأبى عليه قال يزدجرد قد
كنت أخبر أنني سأحتاج إلى أربعة دراهم وأضطر إلى أن يكون أكلي
أكل الهر فقد عابنت وجاءني بحقيته وانتزع أحد قرطيه فأعطاه
الطحان مكافأة له لكرمانه عليه ودنا منه كأنه يكلمه بشئ فوصف له
موضعه وأنذر الرجل أصحابه فأتوه فطلب إليهم يزدجرد أن لا يقتلوه

[٣٤٧]

وقال ويحكم إنا نجد في كتبنا أن من اجترأ على قتل الملوك عاقبه الله بالحريق في الدنيا مع ما هو قادم عليه فلا تقتلونني وأتونني الدهقان أو سرحوني إلى العرب فإنهم يستحيون مثلي من الملوك فأخذوا ما كان عليه من الحلبي فجعلوه في جراب وختموا عليه ثم خنقوه بوتر وطرحوه في نهر مرو فجرى به الماء حتى انتهى إلى فوهة الرزيق فتعلق بعود فأتاه أسقف مرو فحمله ولفه في طيلسان ممسك وجعله في تابوت وحمله إلى باب بابان أسفل ماجان فوضعه في عقد كان يكون مجلس الاسقف فيه وردمه وسأل أبو براز عن أحد القرطين حين افتقده فأخذ الذي دل عليه فضربه حتى أتى على نفسه وبعث بما أصيب له إلى الخليفة يومئذ فأعزم الخليفة الدهقان قيمة القرط المفقود وقال آخرون بل سار يزدرجد من كرمان قبل ورود العرب إياها فأخذ على طريق الطيسين وقهستان حتى شارف مرو في زهاء أربعة آلاف رجل ليجمع من أهل خراسان جموعا ويكر إلى العرب ويقاتلهم فتلقاه قائدان متباغضان متحاسدان كانا بمرور يقال لاحدهما براز والآخر سنجان ومنحاه الطاعة وأقام بمرور وخص براز فحسده ذلك سنجان وجعل براز يبغى سنجان الغوائل ويوغل صدر يزدرجد عليه وسعى بسنجان حتى عزم على قتله وأفشى ما كان عزم عليه من ذلك إلى امرأة من نسائه كان براز واطأها فأرسلت إلى براز بنسوة زعمت بإجماع يزدرجد على قتل سنجان وفشا ما كان عزم عليه يزدرجد من ذلك فنذر سنجان وأخذ حذره وجمع جمعا كنجو أصحاب براز ومن كان مع يزدرجد من الجند وتوجه نحو القصر الذي كان يزدرجد نازله وبلغ ذلك براز فنكص عن سنجان لكثرة جموعه ورعب جمع سنجان يزدرجد وأخافه فخرج من قصره متنكرا ومضى على وجهه راجلا لينجو بنفسه فمشى نحو من فرسخين حتى وقع إلى رحى ما فدخل بيت الرحى فجلس فيه كالالغيا فرآه صاحب الرحى ذا هيئة وطرة وبرة كريمة ففرش له فجلس وأتاه بطعام فطعم ومكث عنده يوما وليلة فسأله صاحب الرحى أن يأمر له بشئ فيذل له منطقة مكلفة بجوهر كانت عليه فأبى صاحب الرحى أن يقبلها وقال إنما كان برضيني من هذه المنطقة أربعة دارهم كنت أطعم بها وأشرب فأخبره انه لا ورق معه

فتملقه صاحب الرحى حتى إذا غفا قام إليه بفأس له فضرب بها هامته فقتله واحتر رأسه وأخذ ما كان عليه من ثياب ومنطقة وألقى جيفته في النهر الذي كان تدور بمائه رحاه وبقر بطنه وأدخل فيه أصولا من أصول طرفاء كانت نابتة في ذلك النهر لتحبس جثته في الموضع الذي ألقاها فيه فلا يسفل فيعرف ويطلب قاتله وما أخذ من سلبه وهرب على وجهه وبلغ قتل يزدرجد رجلا من أهل الاهواز كان مطرانا على مرو يقال له ايلياء فجمع من كان قبله من النصارى وقال لهم إن ملك الفرس قد قتل وهو ابن شهريار بن كسرى وإنما شهريار ولد شيرين المؤمنة التي قد عرفتم حقا وإحسانها إلى أهل ملتها من غير وجه ولهذا الملك عنصر في النصرانية مع ما نال النصارى في ملك جده كسرى من الشرف وقبل ذلك في مملكة ملوك من أسلافه من الخير حتى بنى لهم بعض البيع وسدد لهم بعض ملتهم فينبغي لنا أن نحزن لقتل هذا الملك من كرامته بقدر إحسان أسلافه وجدته شيرين كان إلى النصارى وقد رأيت أن أبني له ناووسا وأحمل جثته في كرامة حتى أواربها فيه فقال النصارى أمرنا لامرك أيها المطران تبع ونحن لك على رأيك هذا مواطنون فأمر المطران فبنى في جوف بستان المطارنة بمرور ناووسا ومضى بنفسه ومعه نصارى مرو حتى استخرج جثة يزدرجد من النهر وكفنها وجعلها في تابوت وحمله من كان معه من النصارى على عواتقهم حتى أتوا به الناووس الذي أمر ببنائه له ووأروه فيه وردموا بابه فكان ملك يزدرجد عشرين سنة منها أربع سنين في دعة وستة عشر سنة في تعب من محاربة العرب إياه وغلظتهم عليه وكان آخر ملك ملك من آل أردشير

بن بابك وصفا الملك بعده للعرب (وفي هذه السنة) أعني سنة ٣١ شخص عبدالله بن عامر إلى خراسان ففتح أبرشهر وطوس وبيوردونسا حتى بلغ سرخس وصالح فيها أهل مرو ذكر الخبر عن ذلك ذكر أن ابن عامر لما فتح فارس قام إليه أوس بن حبيب التميمي فقال أصلح الله الأمير ان الأرض بين يديك ولم تفتتح من ذلك إلا القليل فسر فإن الله ناصرك قال أولم تأمر بالمسير وكره أن يظهر أنه قبل رأيه فذكر علي بن محمد أن مسلمة بن محارب

[٣٤٩]

أخبره عن السكن بن قتادة العريني قال فتح ابن عامر فارس ورجع إلى البصرة واستعمل على إصطخر شريك بن الاعور الحارثي فبنى شريك مسجد اصطخر فدخل على ابن عامر رجل من بني تميم قال كنا نقول انه الاحنف ويقال أوس بن جابر الجشمي جشم تميم فقال له ان عدوك منك هارب وهو لك هائب والبلاد واسعة فسر فإن الله ناصرك ومعز دينه فتجهز ابن عامر وأمر الناس بالجهاز للمسير واستخلف علي البصرة زيادا وسار إلى كرمان ثم أخذ إلى خراسان فقوم يقولون أخذ طريق إصبهان ثم سار إلى خراسان قال علي أخبرنا المفضل الكرمانني عن أبيه قال كان أشياخ كرمان يذكرون أن ابن عامر نزل العسكر بالسيرجان ثم سار إلى خراسان واستعمل على كرمان مجاشع بن مسعود السلمي وأخذ ابن عامر على مفازة رابر وهي ثمانون فرسخا ثم سار إلى الطبيين يريد أبرشهر وهي مدينة نيسابور وعلى مقدمته الاحنف بن قيس فأخذ إلى قهستان وخرج إلى أبرشهر فلقه الهياطلة وهم أهل هراة فقاتلهم الاحنف فهزمهم ثم أتى ابن عامر نيسابور قال علي وأخبرنا أبو مخنف عن نمير بن وعله عن الشعبي قال أخذ ابن عامر على مفازة خبيص ثم على خواست ويقال على يزد ثم علي قهستان فقدم الاحنف فلقه الهياطلة فقاتلهم فهزمهم ثم أتى أبرشهر فنزلها ابن عامر وكان سعيد ابن العاص في جند أهل الكوفة فأتى جرجان وهو يريد خراسان فلما بلغه نزول ابن عامر أبرشهر رجع إلى الكوفة قال علي أخبرنا علي بن مجاهد قال نزل ابن عامر على أبرشهر على نصفها عنوة وكان النصف الآخر في يد كناري ونصف نساوطوس فلم يقدر ابن عامر أن يجوز إلى مرو فصالح كناري فأعطاه ابنه أبا الصلت ابن كناري وابن أخيه سليما رهنا ووجه عبدالله بن خازم إلى هراة وحاتم بن النعمان إلى مرو فأخذ ابن عامر ابني كناري فصارا إلى النعمان بن الافقم النصري فأعتقهما قال علي وأخبرنا أبو حفص الأزدي عن ادريس ابن حنظلة العمي قال فتح ابن عامر مدينة أبرشهر عنوة وفتح ما حولها طوس وبيورد ونسا وحرمان وذلك سنة ٣١ قال علي أخبرنا أبو السري المروزي عن أبيه قال سمعت موسى

[٣٥٠]

ابن عبدالله بن خازم يقول أبي صالح أهل سرخس بعثه إليهم عبدالله عامر من أبرشهر وصالح ابن عامر أهل أبرشهر صلحا فأعطوه جاريتين من آل كسرى بابونج وطهميج أو طمهيح فأقبل بهما معه وبعث أمين بن أحمر اليشكري ففتح ما حول أبرشهر طوس وبيورد ونسا وحرمان حتى انتهى إلى سرخس قال علي وأخبرنا الصلت بن دينار عن ابن سيرين قال بعث ابن عامر عبدالله بن خازم إلى سرخس ففتحها وأصاب ابن عامر جاريتين من آل كسرى فأعطى احدهما النوشجان وماتت بابونج قال علي وأخبرنا أبو الذيال زهير بن هنيذ العدوي عن أشياخ من أهل خراسان أن ابن عامر سرح الاسود ابن كلثوم العدوي عدى الرباب إلى بيهق وهو من أبرشهر بينها وبين مدينة أبرشهر ستة عشر فرسخا ففتحها وقتل الاسود ابن كلثوم قال وكان فاضلا

في دينه كان من أصحاب عامر بن عبدالله العنبري وكان عامر يقول بعد ما أخرج من البصرة ما أسى من العراق على شئ إلا على ظمء الهواجر وتجاوب المؤذنين وإخوان مثل الاسود بن كلثوم قال علي وأخبرنا زهير بن هنيذ عن بعض عمومته قال غلب ابن عامر على نيسابور وخرج إلى سرخس فأرسل إلى أهل مرو يطلبون الصلح فبعث إليهم ابن عامر حاتم بن النعمان الباهلي فصالح أبرز مرزبان مرو على ألفي ألف ومائتي ألف قال فإخبرنا مصعب بن حيان عن أخيه مقاتل ابن حيان قال صالحهم على ستة آلاف ألف ومائتي ألف (ووج) بالناس في هذه السنة عثمان رضى الله عنه ثم دخلت سنة اثنتين وثلاثين ذكر ما كان فيها من الاحداث المذكورة فمن ذلك غزوة معاوية بن أبي سفيان المضيق مضيق القسطنطينية ومعه زوجته عاتكة ابنة قرطبة بن عبد عمرو بن نوفل بن عبد مناف وقيل فاخته حدثني بذلك احمد بن ثابت عمم ذكره عن اسحاق عن أبي معشر وهو قول الواقدي (وفي هذه السنة) استعمل سعيد بن العاص سلمان بن ربيعة على فرج بلنجر وأمد الجيش

[٣٥١]

الذي كان به مقيما مع حذيفة بأهل الشام عليهم حبيب بن مسلمة الفهري في قول سيف فوقع فيها الاختلاف بين سلمان وحبيب في الامر وتنازع في ذلك أهل الشام وأهل الكوفة ذكر الخبر بذلك فمما كتب به إلى السري عن شعيب عن سيف عن محمد وطلحة قالا كتب عثمان إلى سعيد أن اغز سلمان الباب وكتب إلى عبدالرحمن بن ربيعة وهو على الباب أن الرعية قد أبطر كثيرا منهم البطنة فقصر ولا تقتحم بالمسلمين فاني خاش أن يبتلوا فلم يجر ذلك عبدالرحمن عن غايته وكان لا يقصر عن بلنجر فغزا سنة تسع من إمارة عثمان حتى إذا بلغ بلنجر حصروها ونصبوا عليها المجانيق والعرادات فجعل لا يدنو منها أحد إلا أعنتوه أو قتلوه فأسرعوا في الناس وقتل معضد في تلك الايام ثم أن الترك اتعدوا يوما فخرج أهل بلنجر وتوافت إليهم الترك فاقتتلوا فأصيب عبدالرحمن بن ربيعة وكان يقال له ذو النور وانهزم المسلمون فتفرقوا فأما من أخذ طريق سلمان بن ربيعة فحماه حتى خرج من الباب وأما من أخذ طريق الخزر وبلادها فانه خرج على جيلان وجرجان وفيهم سلمان الفارسي وأبو هريرة وأخذ القوم جسد عبدالرحمن فجعلوه في سفظ فبقى في أيديهم فهم يستسقون به إلى اليوم ويستنصرون به (كتب إلي السري) عن شعيب عن سيف عن داود ابن يزيد عن الشعبي قال والله لسلمان بن ربيعة كان أبصر بالمضارب من الجازر بمفاصل الجزور (كتب إلي السري) عن شعيب عن سيف عن الغصن بن القاسم عن رجل من بني كنانة قال لما تتابعت الغزوات على الخزر وتذامروا وتعايروا وقالوا كنا أمة لا يقرن لنا أحد حتى جاءت هذه الامة القليلة فصرنا لا نقوم لها فقال بعضهم لبعض أن هؤلاء لا يموتون ولو كانوا يموتون لما اقتحموا علينا وما أصيب في غزواتها أحد إلا في آخر غزوة عبدالرحمن فقالوا أفلا تجربون فكمنا في الغياض فمر بأولئك الكمين مرار من الجند فرموهم منها فقتلوهم فواعدوا رؤسهم ثم تداعوا إلى حربهم ثم اتعدوا يوما فاقتتلوا فقتل عبدالرحمن وأسرع في الناس

[٣٥٢]

فاقتروا فرقين فرق نحو الباب فحماهم سلمان حتى أخرجهم وفرق أخذوا نحو الخزر فطلعوا على جيلان وجرجان فيهم سلمان الفارسي وأبو هريرة (كتب إلي السري) عن شعيب عن سيف عن المستنير بن يزيد عن أخيه قيس عن أبيه قال كان يريد بن معاوية وعلقمة بن

قيس ومعضد الشيباني وأبو مفرز التميمي في خباء وعمرو بن عتبة وخالد بن ربيعة والحلحال بن ذرى والقرئع في خباء وكانوا متجاورين في عسكر بلنجر وكان القرئع يقول ما أحسن لمع الدماء على الثياب وكان عمرو بن عتبة يقول لقباء عليه أبيض ما أحسن حمرة الدماء في بياضك وغز أهل الكوفة بلنجر سنين من إمارة عثمان لم تتم فيهن امرأة ولم ييتم فيهن صبي من قبل حتى كان سنة تسع فلما كان سنة تسع قبل المزاخفة بيومين رأى يزيد بن معاوية أن غزالا جئ به إلى خيائه لم ير غزالا أحسن منه حتى لف ملحفته ثم أتى به قبر عليه أربعة نفر لم ير قبيرا أشد استواء منه ولا أحسن منه حتى دفن فيه فلما تغادى الناس على الترك رمى يزيد بحجر فهشم رأسه فكأنما زين ثوبه بالدماء زينة وليس يتلطح فكان ذلك الغزال الذي رأى وكان بذلك الدم على ذلك القباء من الحسن فلما كان قبل المزاخفة بيوم تغادوا فقال معضد لعلقمة أعرنني بردك أعصب به رأسي ففعل فأتى البرج الذي أصيب فيه يزيد فرماهم فقتل منهم ورمى بحجر في عرادة ففضخ هامته واجتره أصحابه فدفنوه إلى جنب يزيد وأصاب عمرو ابن عتبة جراحة فرأى قباهه كما اشتهاى وقتل فلما كان يوم المزاخفة قاتل القرئع حتى خرق بالحرايب فكأنما كان قباؤه ثوبا أرضه بياض ووشيه أحمر وما زال الناس ثبوتا حتى أصيب وكانت هزيمة الناس مع مقتله (كتب إلي السري) عن شعيب بن سيف عن داود بن يزيد قال كان يزيد بن معاوية النخعي رضى الله عنه وعمرو بن عتبة ومعضد أصيبوا يوم بلنجر فأما معضد فانه اعتجر ببرد لعلقمة فأتاه شظية من حجر منجنيق فأمه فاستصغره ووضع يده عليه فمات فغسل دمه علقمة فلم يخرج وكان يحضر فيه الجمعة وقال يجرصني عليه أن فيه دم معضد فأما عمرو فلبس قباء أبيض وقال ما أحسن الدم على هذا فأتاه حجر فقتله وملاه دما وأما يزيد فدلى

[٣٥٣]

عليه شيء فقتله وقد كانوا حفروا قبر فأعدوه فنظر إليه يزيد فقال ما أحسنه وأرى فيما يرى النائم أن غزالا لم ير غزالا أحسن منه جئ به حتى دفن فيه فكان هو ذلك الغزال وكان يزيد رفيقا جميلا رحمه الله وبلغ ذلك عثمان فقال انا لله وانا إليه راجعون انتكث أهل الكوفة اللهم تب عليهم وأقبل بهم (وكتب الي السري) عن شعيب بن سيف عن محمد وطلحة قالوا استعمل سعيد على ذلك الفرج سلمان بن ربيعة واستعمل على الغزو بأهل الكوفة حذيفة بن اليمان وكان على ذلك الفرج قبل ذلك عبدالرحمن بن ربيعة وأمدهم عثمان في سنة عشر بأهل الشام عليهم حبيب بن مسلمة القرشي فتأمر عليه سلمان وأبى عليه حبيب حتى قال أهل الشام لقد هممنا بضرب سلمان فقال في ذلك الناس إذا والله نضرب حبيبا ونحبسه وإن أبيتم كثرت القتلى فيكم وفينا وقال أوس بن مغراء في ذلك: إن تضربوا سلمان نضرب حبيكم * وإن ترحلوا نحو ابن عفان ترحل وإن تقسطوا فالتغر تغر أميرنا * وهذا أمير في الكتاب مقبل ونحن ولادة الثغر كنا حماته * ليالي نرمي كل ثغر وننكل فأراد حبيب أن يتأمر على صاحب الباب كما كان يتأمر أمير الجيش إذا جاء من الكوفة فلما أحس حذيفة أقر وأقروا فغزاه حذيفة بن اليمان ثلاث غزوات فقتل عثمان في الثالثة ولقيهم مقتل عثمان فقال اللهم العن قتلة عثمان وغزاة عثمان وشناة عثمان اللهم إنا كنا نعاتبه وبعاتبنا متى ما كان من قبله يعاتبنا ونعاتبه فاتخذوا ذلك سلما إلى الفتنة اللهم لا تمتهم إلا بالسيوف (وفي هذه السنة) مات عبدالرحمن ابن عوف رضى الله عنه زعم الواقدي أن عبدالله بن جعفر حدثه بذلك عن يعقوب ابن عتبة وأنه يوم مات كان ابن خمس وسبعين سنة * قال وفيها مات العباس بن عبدالمطلب وهو يومئذ ابن ثمان وثمانين سنة وكان أسن من رسول الله صلى الله عليه وسلم بثلاث سنين * قال وفيها مات عبدالله بن زيد بن عبد ربه رحمه الله الذي أرى الاذان * قال وفيها توفى عبدالله

بن مسعود بالمدينة فدفن بالبييع رحمه الله فقال قائل صلى عليه
عمار وقال قائل صلى عليه عثمان * وفيها مات أبو طلحة رحمه

[٣٥٤]

الله (وفيها) مات أبو ذر رضى الله عنه في رواية سيف ذكر الخبر عن
وفاته (كتب الي السري) عن شعيب عن سيف عن عطية بن يزيد
الفقعسي قال لما حضرت أبا ذر الوفاة وذلك في سنة ثمان في ذي
الحجة من امارة عثمان نزل بأبي ذر فلما أشرف قال لابنته
استشرفي يا بنية فانظري هل ترين أحدا قالت لا قال فما جاءت
ساعتي بعد ثم أمرها فذبحت شاة ثم طبختها ثم قال إذا جاءك الذين
يدفنونني فقولي لهم إن أبا ذر يقسم عليكم أن لا تركبوا حتى تأكلوا
فلما نضجت قدرها قال لها انظري هل ترين أحدا قالت نعم هؤلاء
ركب مقبلون قال استقبلي بي الكعبة ففعلت وقال بسم الله وبالله
وعلى ملة رسول الله صلى الله عليه وآله ثم خرجت ابنته فتلقتهم
وقالت رحمكم الله اشهدوا أبا ذر قالوا وأين هو فأشارت لهم إليه وقد
مات فادفنوه قالوا نعم ونعمة عين لقد أكرمنا الله بذلك وإذا ركب من
أهل الكوفة فيهم ابن مسعود فمالوا إليه وابن مسعود يبكي ويقول
صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم يموت وحده ويبعث وحده
فغلبوه وكفنوه وصلوا عليه ودفنوه فلما أرادوا أن يرتحلوا قالت لهم
إن أبا ذر يقرأ عليكم السلام وأقسم عليكم أن لا تركبوا حتى تأكلوا
ففعلوا وحملوهم حتى أقدموهم مكة ونعوه إلى عثمان فضم ابنته
إلى عياله وقال يرحم الله أبا ذر ويغفر لرافع بن خديج سكونه (كتب
إلي السري) عن شعيب عن سيف عن القعقاع بن الصلت عن رجل
عن كليب بن الحلال عن الحلحال بن ذر قال خرجنا مع ابن
مسعود سنة ٣١ ونحن أربعة عشر راكبا حتى أتينا على الربرة فإذا
امرأة قد تلقتنا فقالت اشهدوا أبا ذر وما شعرنا بأمره ولا بلغنا فقلنا
وأين أبو ذر فأشارت إلى خباء فقلنا ماله قالت فارق المدينة لأمير قد
بلغه فيها ففارقها قال ابن مسعود ما دعاه إلى الاعراب فقالت أما ان
أمير المؤمنين قد كره ذلك ولكنه كان يقول هي بعد وهي مدينة
فمال ابن مسعود إليه وهو يبكي فغسلناه وكفناه وإذا خباؤه خباء
منضوح بمسك فقلنا للمرأة ما هذا فقالت كانت مسكة فلما حضر
قال إن الميت يحضره شهود يجدون الريح ولا يأكلون فد وفى تلك

[٣٥٥]

المسكة بماء ثم رشى بها الخباء فاقربهم ريحها واطبخي هذا اللحم
فإنه سيسهذي قوم صالحون يلون دفني فاقربهم فلما دفناه دعنا
إلى الطعام فأكلنا وأردنا احتمالها فقال ابن مسعود أمير المؤمنين
قريب نستأمره فقدمنا مكة فأخبرناه الخبر فقال يرحم الله أبا ذر ويغفر
له نزوله الربرة ولما صدر خرج فأخذ طريق الربرة فضم عياله إلى
عياله وتوجه نحو المدينة وتوجهنا نحو العراق وعدتنا ابن مسعود وأبو
مفزر التميمي وبكر بن عبدالله التميمي والاسود بن يزيد النخعي
وعلقمة بن قيس النخعي والحلال بن ذر الضبي والحارث بن
سويد التميمي وعمرو بن عتبة بن فرقد السلمي وابن ربيعة
السلمي وأبو رافع المزني وسويد بن منعب التميمي وزباد بن
معاوية النخعي وأخو الفرث الضبي وأخو معضد الشيباني (وفي سنة
٢٣) فتح ابن عامر مروود والطلقان والغاريب والجوزجان وطخارستان
ذكر الخبر عن ذلك قال علي أخبرنا سلمة بن عثمان وغيره عن
إسماعيل بن مسلم عن ابن سيرين قال بعث ابن عامر الاحنف بن
قيس إلى مروود فحصر أهلها فخرجوا إليهم فقاتلوهم فهزمهم
المسلمون حتى اضطروهم إلى حصنهم فأشرفوا عليهم فقالوا يا
معشر العرب ما كنتم عندنا كما نرى ولو علمنا أنكم كما نرى لكانت

لنا ولكم حال غير هذه فأمهلونا ننظر يومنا وارجعوا إلى عسكركم فرجع الاحنف فلما أصبح غاداهم وقد أعدوا له الحرب فخرج رجل من العجم معه كتاب من المدينة فقال إني رسول فأمنونني فأمنوه فإذا رسول من مرزبان مرو ابن أخيه وترجمانه وإذا كتاب المرزبان إلى الاحنف فقرأ الكتاب قال فإذا هو إلى أمير الجيش إنا نحمد الله الذي بيده الدول يغير ما شاء من الملك ويرفع من شاء بعد الذلة ويضع من شاء بعد الرفعة إنه دعاني إلى مصالحتك وموادعتك ما كان من إسلام جدي وما كان رأي من صاحبكم من الكرامة والمنزلة فمرحبا بكم وأبشروا وأنا أدعوكم إلى الصلح فيما بينكم وبيننا على أن أؤدي اليكم خراجا ستين ألف درهم وإن تقروا بيدي ما كان ملك الملوك كسرى أقطع جد أبي حيث قتل الحية التي أكلت الناس وقطعت السبل

[٣٥٦]

من الارضين والقرى بما فيها من الرجال ولا تأخذوا من أحد من أهل بيتي شيئا من الخراج ولا يخرج المرزبة من أهل بيتي إلى غيرهم فإن جعلت ذلك لي خرجت إليك وقد بعثت إليك ابن أخي ماهك ليستوثق منك بما سألت قال فكتب إليه الاحنف بسم الله الرحمن الرحيم من صخر بن قيس أمير الجيش إلى باذان مرزبان مرو وروذ ومن معه من الاساورة والاعاجم سلام على من اتبع الهدى وأمن واتقى أما بعد فإن ابن أخيك ماهك قدم على فنصح لك جهده وأبلغ عنك وقد عرضت ذلك على من معي من المسلمين وأنا وهم فيما عليك سواء وقد أجبناك إلى ما سألت وعرضت على أن تؤدي عن أرتك وفلاحيك والارضين ستين ألف درهم إلي وإلى الوالي من بعدي من امراء المسلمين إلا ما كان من الارضين التي ذكرت أن كسرى الظالم لنفسه أقطع جد أبيك لما كان من قتله الحية التي افسدت الارض وقطعت السبل والارض لله ولرسوله يورثها من يشاء من عباده وإن عليك نصره المسلمين وقتال عدوهم بمن معك من الاساورة إن أحب المسلمون ذلك وأرادوه وإن لك على ذلك نصره المسلمين على من يقاتل من وراءك من أهل ملتك جار لك بذلك مني كتاب يكون لك بعدي ولا خراج عليك ولا على أحد من أهل بيتك من ذوى الارحام وإن أنت أسلمت واتبعت الرسول كان لك من المسلمين العطاء والمنزلة والرزق وأنت أخوهم ولك بذلك ذمتي وذمة أبي وذمم المسلمين وذمم آبائهم شهد على ما في هذا الكتاب جزء بن معاوية أو معاوية بن جزء السعدي وحمزة بن الهرماس وحميد بن الخيار المازناني وعياض بن ورفاء الاسيدي وكتب كيسان مولى بني ثعلبية يوم الاحد من شهر الله المحرم وختم أمير الجيش الاحنف بن قيس ونقش خاتم الاحنف نعبد الله قال علي أخبرنا مصعب بن حيان عن أخيه مقاتل بن حيان قال صالح ابن عامر أهل مرو وبعث الاحنف في أربعة آلاف إلى طخارستان فأقبل حتي نزل موضع قصر الاحنف من مرو وروذ وجمع له أهل طخارستان وأهل الجوزجان والطاقان والغارياب فكانوا ثلاثة زحوف ثلاثين ألفا وأتى الاحنف خبرهم وما جمعوا له فاستشار

[٣٥٧]

الناس فاختلفوا فبين قاتل نرجع إلى مرو وقاتل نرجع إلى أبرشهر وقاتل نقيم ونستمد وقاتل نلقاهم فنناجزهم قال فلما أمسى الاحنف خرج يمشي في العسكر ويستمع حديث الناس فمر بأهل خباء ورجل يوقد تحت خزيرة أو يعجن وهم يتحدثون ويذكرون العدو فقال بعضهم الرأي للامير ان يسير إذا أصبح حتى يلقي القوم حيث لقيهم فإنه أرعب لهم فيناجزهم فقال صاحب الخزيرة أو العجين ان

فعل ذلك فقد أخطأ وأخطأتم أئامرونه أن يلقي حد العدو ومصحرا في بلادهم فيلقى جمعا كثيرا بعدد قليل فإن جالوا جولة اصطلمونا ولكن الرأي له أن ينزل بين المرغاب والجبل فيجعل المرغاب عن يمينه والجبل عن يساره فلا يلقاه من عدوه وإن كثروا إلا عدد أصحابه فرجع الاحنف وقد اعتقد ما قال ف ضرب عسكريه وأقام فارسى إليه أهل مرو يعرضون عليه أن يقاتلوا معه فقال اني أكره أن أستنصر بالمشركين فأقيموا على ما أعطيناكم وجعلنا بيننا وبينكم فإن ظفرنا فنحن على ما جعلنا لكم وإن ظفروا بنا وقتلوكم فقاتلوا عن أنفسكم قال فوافق المسلمين صلاة العصر فعاجلهم المشركون فناهضوهم فقاتلوهم وصر الفريقان حتى أمسوا والاحنف يتمثل بشعر ابن جؤية الاعرجي أحق من لم يكره المنيه * حزور ليست له ذرية قال علي أخبرنا أبو الأشهب السعدي عن أبيه قال لقي الاحنف أهل مرووذ والطارقان والغارياب والجوزجان في المسلمين ليلا فقاتلهم حتى ذهب عامة الليل ثم هزمهم الله فقتلهم المسلمون حتى انتهوا إلى رسكن وهي على اثني عشر فرسخا من قصر الاحنف وكان مرزبان مرووذ قد تريض يحمل ما كانوا صالحوه عليه لينظر ما يكون من أمرهم قال فلما ظفر الاحنف سرح رجلين إلى المرزبان وأمرهما أن لا يكلماه حتى يقبضاه ففعلا فعلم أنهم لم يصنعوا ذاك به إلا وقد ظفروا فحمل ما كان عليه قال علي وأخبرنا المفضل الضبي عن أبيه قال سار الاقرع بن حابس إلى الجوزجان بعثه الاحنف في جريدة خيل إلى بقية كانت بقيت من الزحوف الذين هزمهم الاحنف فقاتلهم فجال المسلمون جولة فقتل فرسان من فرسانهم ثم أظفر

[٣٥٨]

الله المسلمين بهم فهزموهم وقتلوهم فقال كثير النهشلي سقى مزن السحاب إذا استهلته * مصارع فتية بالجوزجان إلى القصرين من رستاق خوط * اقادهم هناك الاقرعان وهي طويلة (وفي هذه السنة) جرى الصلح بين الاحنف وبين أهل بلخ ذكر الخبر بذلك قال علي أخبرنا زهير بن الهنيد عن إياس بن المهلب قال سار الاحنف من مرو الروذ إلى بلخ فحاصرهم فصالحه أهلها على أربعمائة ألف فرضى منهم بذلك واستعمل بن عمه وهو أسيد بن المتشمس لياخذ منهم ما صالحوه عليه ومضى إلى خازرم فأقام حتى هجم عليه الشتاء فقال لأصحابه ما ترون قال له حصين قد قال لك عمرو بن معديكرب قال وما قال قال قال إذا لم تستطع أمرا فدعه * وجاوزه إلى ما تستطيع قال فأمر الاحنف بالرحيل ثم انصرف إلى بلخ وقد قبض ابن عمه ما صالحهم عليه وكان وافق وهو يجيهم المهرجان فأهدوا إليه هدايا من أنية الذهب والفضة ودنانير ودراهم ومناج وثياب فقال ابن عم الاحنف هذا ما صالحناكم عليه قالوا لا ولكن هذا شئ نصنعه في هذا اليوم بمن ولينا نستعطفه به قال وما هذا اليوم قالوا المهرجان قال ما أدري ما هذا وإني لاكره أن أرده ولعله من حقي ولكن اقبضه واعزله حتى أنظر فقبضه وقدم الاحنف فأخبره فسألهم عنه فقالوا مثل ما قالوا لابن عمه فقال أتى به الامير فحملة إلى ابن عامر فأخبره عنه فقال اقبضه يا أبا بحر فهو لك قال لا حاجة لي فيه فقال ابن عامر ضمه إليك يا مسمار قال قال الحسن فضمه القرشي وكان مضما قال علي وأخبرنا عمرو بن محمد المري عن أشياخ من بني مرة أن الاحنف استعمل على بلخ بشر بن المتشمس قال علي وأخبرنا صدقة بن حميد عن أبيه قال بعث ابن عامر حين صالح أهل مرو وصالح الاحنف أهل بلخ خليل بن عبدالله الحنفي إلى هراة وباذغيس فافتتحها ثم كفروا بعد فكانوا مع قارن قال علي وأخبرنا مسلمة عن داود قال ولما رجع الاحنف إلى ابن عامر

[٣٥٩]

قال الناس لابن عامر ما فتح على أحد ما قد فتح عليك فارس وكرمان وسجستان وعامة خراسان قال لا جرم لاجعلن شكرى لله على ذلك أن أخرج محرما معتمرا من موقفي هذا فأحرم بعمره من نيسابور فلما قدم على عثمان لأمه على إحرامه من خراسان وقال لبتك تضبط ذلك من الوقت الذي يحرم منه الناس قال علي أخبرنا مسلمة عن السكن بن قتادة العريني قال استخلف ابن عامر على خراسان قيس بن الهيثم وخرج ابن عامر منها في سنة ٣٢ قال فجمع قارن جمعا كثيرا من ناحية الطيسين وأهل بادغيس وهرة وقهستان فأقبل في أربعين ألفا فقال لعبد الله ابن خازم ما ترى قال أرى أن تخلى البلاد فإني أميرها ومعني عهد من ابن عامر إذا كانت حرب بخراسان فأنا أميرها وأخرج كتابا قد افتعله عمدا فكره قيس مشاغبته وخلاه والبلاد وأقبل إلى ابن عامر فلامه ابن عامر وقال تركت البلاد حربا وأقبلت قال جاءني بعهد منك فقالت له أمه نهيتك أن تدعها في بلد فإنه يشغب عليه قال فسار ابن خازم إلى قارن في أربعة آلاف وأمر الناس فحملوا الودك فلما قرب من عسكره أمر الناس فقال ليذرح كل رجل منكم على رج رمحه ما كان معه من خرقة أو قطن أو صوف ثم أوسعوه من الودك من سمن أو دهن أو زيت أو إهالة ثم سار حتى إذا أمسى قدم مقدمته ستمائة ثم أتبعهم وأمر الناس فأشعلوا النيران في أطراف الرماح وجعل يقتبس بعضهم من بعض قال وانتهت مقدمته إلى عسكر قارن فأتوهم نصف الليل ولهم حرس فناوشوهم وهاج الناس على دهش وكانوا أميين في أنفسهم من البيات ودنا ابن خازم منهم فرأوا النيران يمنا ويسرة وتتقدم وتتأخر وتنخفض وترتفع فلا يرون أحدا فهاهم ذلك ومقدمة بن خازم يقاتلونهم ثم غشيوهم ابن خازم بالمسلمين فقتل قارن وإنهزم العدو فأتبعوهم يقتلونهم كيف شاؤا وأصابوا سبيا كثيرا فرعم شيخ من بني تميم قال كانت أم الصلت بن حريث من سبى قارن وأم زياد بن الربيع منهم وأم عون أبي عبدالله بن عون الفقيه منهم قال علي حدثنا مسلمة قال أخذ ابن خازم عسكر قارن بما كان فيه وكتب بالفتح إلى ابن عامر فرضى وأقره على خراسان فلبث

[٣٦٠]

عليها حتى انقضى أمر الجمل فأقبل إلى البصرة فشهد وقعة ابن الحضرمي وكان معه في دار سنينا قال علي وأخبرنا الحسن بن رشيد عن سليمان بن كثير الخزاعي قال جمع قارن للمسلمين جمعا كثيرا فضاق المسلمون بأمرهم فقال قيس بن الهيثم لعبد الله ابن خازم ما ترى قال أرى أنك لا تطيق كثرة من قد أتانا فأخرج بنفسك إلى ابن عامر فتخبره بكثرة من قد جمعوا لنا ونقيم نحن في هذه الحصون ونطاولهم حتى تقدم ويأتينا مددكم قال فخرج قيس بن الهيثم فلما أمعن أظهر ابن خازم عهدا وقال قد ولاني ابن عامر خراسان فسار إلى قارن فظفر به وكتب بالفتح إلى ابن عامر فأقره ابن عامر على خراسان فلم يزل أهل البصرة يغزون من لم يكن صالح من أهل خراسان فإذا رجعوا خلفوا أربعة آلاف للعقبة فكانوا على ذلك حتى كانت الفتنة ثم دخلت سنة ثلاث وثلاثين (وفيها) كانت غزوة معاوية حصن المرأة من أرض الروم من ناحية ملطية في قول الواقدي (وفيها) كانت غزوة عبدالله بن سعد بن أبي سرح أفريقية الثانية حين نقض أهلها العهد (وفيها) قدم عبدالله بن عامر الاحنف بن قيس إلى خراسان وقد انتقض أهلها ففتح المرويين مرو الشاهجان صلحا ومرو الروذ بعد قتال شديد وتبعه عبدالله بن عامر فنزل أبرشهر ففتحها صلحا في قول الواقدي (وأما) أبو معشر فانه قال فيما حدثني أحمد بن ثابت الرازي عمن حدثه عن اسحاق بن عيسى عنه قال كانت قبر سنة ٣٣ وقد ذكرنا قول من خلفه في ذلك والخبر عن قبرس (وفيها) كان تسيير عثمان بن عفان من سير من أهل العراق إلى الشام ذكر تسيير من سير من أهل الكوفة إليها اختلف أهل السير في ذلك فأما سيف فانه ذكر فيما كتب به إلى

السري عن شعيب عنه عن محمد وطلحة قالوا إن سعيد بن العاص لا يغشاه إلا نازلة أهل الكوفة ووجوه أهل الأيام وأهل القادسية وقراء أهل البصرة والمتسمتون وكان هؤلاء دخلته

[٣٦١]

إذا خلا فأما إذا جلس للناس فإنه يدخل عليه كل أحد فجلس للناس يوما فدخلوا عليه فبيناهم جلوس يتحدثون قال خنيس بن فلان ما أجود طلحة بن عبيد الله فقال سعيد ابن العاص إن من له مثل النشاستج لحقيق أن يكون جوادا والله لو أن لي مثله لأعاشكم الله عيشار غدا فقال عبدالرحمن بن خنيس وهو حدث والله لوددت أن هذا الملطاط لك يعني ما كان لآل كسرى على جانب الفرات الذي يلي الكوفة قالوا نض الله فاك والله لقد هممنا بك فقال خنيس غلام فلا تجاوزوه فقالوا يتمنى له من سوادنا قال ويتمنى لكم أضعافه قالوا لا يتمنى لنا ولا له قال ما هذا بكم قالوا أنت والله أمرته بها فثار إليه الاشر و ابن ذي الحبكة وجندب وصعصعة وابن الكواء وكميل وعمير ابن ضابئ فأخذه فذهب أبوه ليمنع منه فضربوهما حتى غشى عليهما وجعل سعيد يناشدهم ويأبون حتى قضا منهما وطرا فسمعت بذلك بنو أسد فجاءوا وفيهم طليحة فأحاطوا بالقصر وربكت القبائل فعادوا بسعيد وقالوا أفلتنا وتخلصنا فخرج سعيد إلى الناس فقال أيها الناس قوم تنازعوا وتهاووا وقد رزق الله العافية ثم قعدوا وعادوا في حديثهم وتراجعوا فسألهم وردهم وأفاق الرجلان فقال أبكما حياة قالا قتلنا غاشيتك قال لا يغشوني والله أبدا فأحفظا على ألسنتكما ولا تجرأ على الناس ففعلا ولما انقطع رجاء أولئك نفر من ذلك قعدوا في بيوتهم وأقبلوا على الأذاعة حتى لامه أهل الكوفة في أمرهم فقال هذا أميركم وقد نهاني أن أحرك شيئا فمن أراد منكم أن يحرك شيئا فليحركه فكتب أشراف أهل الكوفة وصلحاهم إلى عثمان في إخراجهم فكتب إذا اجتمع ملؤكم على ذلك فألحقوهم بمعاوية فأخرجوهم فذلوا وانقادوا حتى أتوه وهم بضعة عشر فكتبوا بذلك إلى عثمان وكتب عثمان إلى معاوية أن أهل الكوفة قد أخرجوا إليك نفرا خلقوا للفتنة فرعهم وقم عليهم فان أنست منهم رشدا فاقبل منهم وإن أعيوك فأردهم عليهم فلما قدموا على معاوية رحب بهم وأنزلهم كنيسة تسمى مريم وأجرى عليهم بأمر عثمان ما كان يجري عليهم بالعراق وجعل لا يزال يتغذى ويتعشى معهم فقال لهم يوما إنكم قوم من العرب لكم أسنان والسنة وقد أدركتم بالاسلام شرقا وغلبتم الامم وحويتم مراتبهم ومواريتهم وقد

[٣٦٢]

بلغني أنكم نغمتم قريشا وإن قريشا لو لم تكن عدتم أذلة كما كنتم ان أتمتكم لكم إلى اليوم جنة فلا تسدوا عن جنتكم وإن أتمتكم اليوم يصبرون لكم على الجور ويحتملون منكم المؤونة والله لتنتهن أو ليبتلينكم الله بمن يسومكم ثم لا يحمدكم على الصبر ثم تكونون شركاءهم فيما جررتهم على الرعية في حياتكم وبعد موتكم فقال رجل من القوم أما ما ذكرت من قريش فإنها لم تكن أكثر العرب ولا أمنعها في الجاهلية فتخوفنا وأما ما ذكرت من الجنة فإن الجنة إذا اخترقت خلص الينا فقال معاوية عرفتمكم الآن علمت أن الذي أعراكم على هذا قلة العقول وأنت خطيب القوم ولا أرى لك عقلا أعظم عليك أمر الاسلام وأذكرك به وتذكرني الجاهلية وقد وعظتك وتزعم لما يخنك أنه يخترق ولا ينسب ما يخترق إلى الجنة أخزى الله أفواما أعظموا أمركم ورفعوا إلى خليفتم افقهوا ولا أظنكم تفقهون أن قريشا لم تعز في جاهلية ولا إسلام إلا بالله عزوجل لم تكن بأكثر

العرب ولا أشدهم ولكنهم كانوا أكرمهم أحسابا وأمحضهم أنسابا وأعظمهم أخطارا وأكملهم مروءة ولم يمتنعوا في الجاهلية والناس يأكل بعضهم بعضا إلا بالله الذي لا يستذل من أعز ولا يوضع من رفع فبواهم حرما أمنا يتخطف الناس من حولهم هل تعرفون عربا أو عجماء أو سودا أو حمرا إلا قد أصابه الدهر في بلده وحرمته بدولة إلا ما كان من قريش فإنه لم يردهم أحد من الناس بكيد إلا جعل الله خده الأسفل حتى أراد الله أن ينتقذ من أكرم واتبع دينه من هوان الدنيا وسوء مرد الآخرة فارتضى لذلك خير خلقه ثم ارتضى له أصحابا فكان خيارهم قريشا ثم بنى هذا الملك عليهم وجعل هذه الخليفة فيهم ولا يصلح ذلك إلا عليهم فكان الله يحوطهم في الجاهلية وهم على كفرهم بالله افتراه لا يحوطهم وهم على دينه وقد حاطهم في الجاهلية من الملوك الذين كانوا يدينونكم أف لك ولاصحابك ولو أن متكلمنا غيرك تكلم ولكنك ابتدأت فأما أنت يا صعصعة فان قريتك شر قرى عربية أنتنها نبنا وأعمقها واديا وأعرفها بالشر وألامها جيرانا لم يسكنها شريف قط ولا وضع إلا سب بها وكانت عليه هجنة ثم كانوا أقبح العرب ألقابا وألامه أصهار انزاع الامم وأنتم جيران الخط وفعلة

[٣٦٣]

فارس حتى أصابتمكم دعوة النبي صلى الله عليه وسلم ونكبتك دعوته وأنت نزيح شطير في عمان لم تسكن البحرين فتشركهم في دعوة النبي صلى الله عليه وسلم فأنت شر قومك حتى إذا أبرزك الاسلام وخلطك بالناس وحملك على الامم التي كانت عليك أقبلت تبغي دين الله عوجا وتنزع إلى اللامة والذلة ولا يضع ذلك قريشا ولن يضرهم ولن يمنعهم من تأدية ما عليهم إن الشيطان عنكم غير غافل قد عرفكم بالشر من بين أمتكم فأغرى بكم الناس وهو صارعكم لقد علم أنه لا يستطيع أن يرد بكم قضاء قضاءه الله ولا أمرا أراد الله ولا تدركون بالشر أمرا أبدا إلا فتح الله عليكم شرا منه وأخزي ثم قام وتركهم فتذامروا فتقاصرت إليهم أنفسهم فلما كان بعد ذلك أتاهم فقال إني قد أذنت لكم فذهبوا حيث شئتم لا والله لا ينفع الله بكم أحدا ولا يضره ولا أنتم رجال منفعه ولا مضرة ولكنكم رجال نكير وبعد فإن أردتم النجاة فالزموا جماعتكم وليسعكم ما وسع الدهماء ولا يبطركم الانعام فان البطر لا يعتري الخيار اذهبوا حيث شئتم فإني كاتب إلى أمير المؤمنين فيكم فلما خرجوا دعاهم فقال إني معيد عليكم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان معصوما فولاني وأدخلني في أمره ثم استخلف أبو بكر رضى الله تعالى عنه فولاني ثم استخلف عمر فولاني ثم استخلف عثمان فولاني فلم أَلْ لاحد منهم ولم يولني إلا وهو راض عني وإنما طلب رسول الله صلى الله عليه وسلم للاعمال أهل الجزاء عن المسلمين والعناء ولم يطلب لها أهل الاجتهاد والجهل بها والضعف عنها وأن الله ذو سطوات ونقمتا يمكر بمن يمكر به فلا تعرضوا لامر وأنتم تعلمون من أنفسكم غير ما تظهرون فإن الله غير تارككم حتى يختبركم ويبدى للناس سرائركم وقد قال عزوجل (ألم أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا أمنا وهم لا يفتنون) وكتب معاوية إلى عثمان أنه قدم على أقوام ليست لهم عقول ولا أديان أثقلهم الاسلام وأضرهم العدل لا يريدون الله بشئ ولا يتكلمون بحجة إنما همهم الفتنة وأموال أهل الذمة والله مبتليهم ومختبرهم ثم فاضحهم ومخزيهم وليسوا بالذين يكون أحدا إلا مع غيرهم فإنه سعيدا ومن قبله عنهم فإنهم

[٣٦٤]

ليسوا الاكثر من شغب أو نكير وخرج القوم من دمشق فقال لا ترجعوا إلى الكوفة فإنهم يشتمون بكم وميلوا بنا إلى الجزيرة ودعوا

العراق والشام فأووا إلى الجزيرة وسمع بهم عبدالرحمن بن خالد بن الوليد وكان معاوية قد ولاه حمص وولى عامل الجزيرة حران والرقبة فدعا بهم فقال يا آله الشيطان لا مرحبا بكم ولا أهلا قد رجع الشيطان محسورا وأنتم بعد نشاط خسر الله عبدالرحمن إن لم يؤدبكم حتى يحسركم يا معشر من لا أدري أعرب أم عجم لكي لا تقولوا لي ما يبلغني أنكم تقولون لمعاوية أنا ابن خالد بن الوليد أنا ابن من قد عجمته العاجمات أنا ابن فاقئ الردة والله لئن بلغني يا صعصة بن ذل أن أحد ممن معي دق أنفك ثم امصك لاطيرن بك طيرة بعيدة المهوى فأقامهم أشهرها كلما ركب أمشاهم فإذا مر به قال يا ابن الحطيئة أعلمت أن من لم يصلحه الخير أصلحه الشر مالك لا تقول كما كان يبلغني أنك تقول لسعيد ومعاوية فيقول ويقولون نتوب إلى الله ألقنا أقالك الله فما زالوا به حتى قال تاب الله عليكم وسرح الاشتر إلى عثمان وقال لهم ما شئتم إن شئتم فاخرجوا وإن شئتم فأقيموا وخرج الاشتر فأثنى عثمان بالتوبة والندم والنزوع عنه وعن أصحابه فقال سلمكم الله وقدم سعيد بن العاص فقال عثمان للاشتر احلل حيث شئت فقال مع عبدالرحمن بن خالد وذكر من فضله فقال ذاك إليكم فرجع إلى عبدالرحمن وأما محمد بن عمر فإنه ذكر أن أبا بكر بن إسماعيل حدثه عن أبيه عن عامر ابن سعد أن عثمان بعث سعيد بن العاص إلى الكوفة أميرا عليها حين شهد على الوليد ابن عقبة بشرب الخمر من شهد عليه وأمره أن يبعث إليه الوليد بن عقبة قال فقدم سعيد بن العاص الكوفة فأرسل إلى الوليد أن أمير المؤمنين بأمرك أن تلحق به قال فتضجع أياما فقال له انطلق إلى أخيك فإنه قد أمرني أن أبعثك إليه قال وما سعد منبر الكوفة حتى أمر به أن يغسل فناشده رجال من قريش كانوا قد خرجوا معه من بني أمية وقالوا إن هذا قبيح والله لو أراد هذا غيرك لكان حقا أن تذب عنه يلزمه عار هذا أبدا قال فأبى إلا أن يفعل فغسله وأرسل إلى الوليد أن يتحول من دار الامارة فتحول منها ونزل دار عمارة بن عقبة فقدم الوليد على عثمان فجمع بينه

وبين خصمائه فرأى أن يجلده فجلده الحد قال محمد بن عمر حدثني شيبان عن مجالد عن الشعبي قال قدم سعيد بن العاص الكوفة فجعل يختار وجوه الناس يدخلون عليه ويسمرون عنده وأنه سمر عنده ليلة وجوه أهل الكوفة منهم مالك بن كعب الازدي والاسود بن يزيد وعلقمة بن قيس النخعيان وفيهم مالك الاشتر في رجال فقال سعيد إنما هذا السواد بستان لقريش فقال الاشتر أتزعم أن السواد الذي أفاءه الله علينا بأسيافنا بستان لك ولقومك والله ما يزيد أوفاكم فيه نصيبا إلا أن يكون كأحدنا وتكلم معه القوم قال فقال عبدالرحمن الاسدي وكان على شرطة سعيد أتردون على الامير مقالته وأغلظ لهم فقال الاشتر من ههنا لا يفوتكم الرجل فوثبوا عليه فوطؤوه وطأ شديدا حتى غشى عليه ثم جر برجله فألقى فنضح بماء فأفاق له سعيد أبك حياة فقال قتلني من انتخيت زعمت للاسلام فقال والله لا يسمر منهم عندي أحد أبدا فجعلوهم يجلسون في مجالسهم وبيوتهم يشتمون عثمان وسعيدا واجتمع الناس إليهم حتى كثر من يختلف إليهم فكتب سعيد إلى عثمان يخبره بذلك يقول إن رهطا من أهل الكوفة سماهم له عشرة يؤلبون ويجمعون على عيبك وعيبي والطعن في ديننا وقد خشيت أن ثبت أمرهم أن يكثروا فكتب عثمان إلى سعيد أن سيرهم إلى معاوية ومعاوية يومئذ على الشام فسيرهم وهم تسعة نفر إلى معاوية فيهم مالك الاشتر وثابت بن قيس بن منقع وكميل بن زياد النخعي وصعصة ابن صوحان ثم ذكر نحو حديث السري عن شعيب إلا أنه قال فقال صعصة فإن اخترقت الجنة أليس يخلص إلينا فقال معاوية إن الجنة لا تخترق فضع أمرا قريش على أحسن ما يحضرك وزاد فيه أيضا أن معاوية لما عاد إليهم من القابلة وذكرهم قال فيما يقول وإنني والله ما

أمركم بشئ إلا قد بدأت فيه بنفسى وأهل بيتى وخاصتى وقد عرفت قريش أن أبا سفيان كان أكرمها وابن أكرمها إلا ما جعل الله لنبيه نبي الرحمة صلى الله عليه وسلم فإن الله انتخبه وأكرمه فلم يخلق في أحد من الاخلاق الصالحة شيئا إلا أصفاه الله بأكرمها وأحسنها ولم يخلق من الاخلاق السيئة شيئا في أحد إلا أكرمه الله عنها ونزهه وإنى لاظن أن أبا سفيان لو ولد

[٣٦٦]

الناس لم يلد إلا حازما قال صعصعة كذبت قد ولدكم خير من أبي سفيان من خلقه الله بيده ونفخ فيه من روحه وأمر الملائكة فسجدوا له فكان فيهم البر والفاجر والاحمق والكيس فخرج تلك الليلة من عندهم ثم أتاهم القابلة فتحدث عندهم طويلا ثم قال أيها القوم ردوا علي خيرا أو اسكتوا وتفكروا وانظروا فيما ينفعكم وينفع أهليكم وينفع عشائركم وينفع جماعة المسلمين فاطلبوه تعيشوا ونعش بكم فقال صعصعة لست بأهل ذلك ولا كرامة لك أن تطاع في معصية الله فقال أو ليس ما ابتدأتكم به إن أمرتكم بتقوى الله وطاعته وطاعة نبيه صلى الله عليه وسلم وأن تعتصموا بحبله جميعا ولا تفرقوا قالوا بل أمرت بالفرقة وخلاف ما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم قال فإني أمركم الآن إن كنت فعلت فأتوب إلى الله وأمركم بتقواه وطاعته وطاعة نبيه صلى الله عليه وسلم ولزوم الجماعة وكرهة الفرقة وأن توقروا أئمتكم وتدلوهم على كل حسن ما قدرتم ويعطوهم في لين ولطف في شئ إن كان منهم فقال صعصعة فإنا نأمرك أن تعتزل عملك فإن في المسلمين من هو أحق به منك قال من هو قال من كان أبوه أحسن قدما من أبيك وهو بنفسه أحسن قدما منك في الاسلام فقال والله إن لي في الاسلام قدما ولغيري كان أحسن قدما مني ولكنه ليس في زمانى أحد أقوى على ما أنا فيه مني ولقد رأى ذلك عمر بن الخطاب فلو كان غيري أقوى مني لم يكن لي عند عمر هواده ولا لغيري ولم أحدث من الحدث ما ينبغي لي أن أعترل عملي ولو رأى ذلك أمير المؤمنين وجماعة المسلمين لكتب إلي بخط يده فاعتزلت عمله ولو قضى الله أن يفعل ذلك لرجوت أن لا يعزم له على ذلك إلا وهو خير فمهلا فإن في ذلك وأشباهه ما يتمنى الشيطان ويأمر ولعمري لو كانت الامور تقضى على رأيكم وأمانيتكم ما استقامت الامور لاهل الاسلام يوما ولا ليلة ولكن الله يقضيها ويدبرها وهو بالغ أمره فعادوا الخير وقولوه فقالوا لست لذلك أهلا فقال أما والله إن لله لسطوات ونقعات وإنى لخائف عليكم أن تتابعوا في مطاوعة الشيطان حتى تحلكم مطاوعة الشيطان ومعصية الرحمن دار الهوان من نعم الله

[٣٦٧]

في عاجل الامر والخزي الدائم في الآجل فوثبوا عليه فأخذوا برأسه ولحيته فقال مه إن هذه ليست بأرض الكوفة والله لو رأى أهل الشام ما صنعتم بي وأنا أمامهم ما ملكت أن أنهاهم عنكم حتى يقتلوكم فلعمري إن صنيعكم لي شبيه بعضه بعضا ثم أقام من عندهم فقال والله لا أدخل عليكم مدخلا ما بقيت ثم كتب إلى عثمان بسم الله الرحمن الرحيم لعبدالله عثمان أمير المؤمنين من معاوية بن أبي سفيان أما بعد يا أمير المؤمنين فإنك بعثت إلى أقواما يتكلمون بالسنة الشياطين وما يملون عليكم ويأتون الناس زعموا من قبل القرآن فيشبهون على الناس وليس كل الناس يعلم ما يريدون وإنما يريدون فرقة ويقربون فتنة قد أثقلهم الاسلام وأضرهم وتمكنت رقى الشيطان من قلوبهم فقد أفسدوا كثيرا من الناس ممن كانوا بين ظهرانيهم من أهل الكوفة ولست آمن إن أقاموا وسط أهل

الشأم أن يغروهم بسحرهم وفجورهم فأردهم إلى مصرهم فلتكن
دراهم في مصرهم الذي نجم فيه نفاقهم والسلام فكتب إليه عثمان
بأمره أن يردهم إلى سعيد بن العاص بالكوفة فردهم إليه فلم يكونوا
إلا أطلق السنة منهم حين رجعوا وكتب سعيد إلى عثمان يضح منه
فكتب عثمان إلى سعيد أن سيرهم إلى عبدالرحمن بن خالد بن
الوليد وكان أميرا على حمص وكتب إلى الاشتهر وأصحابه أما بعد
فاني قد سيرتكم إلى حمص فإذا أتاكم كتابي هذا فاخرجوا إليها
فإنكم لستم تألون الاسلام وأهله شرا والسلام فلما قرأ الاشتهر
الكتاب قال اللهم اسوأنا نظرا للرعية وأعملنا فيهم بالمعصية فعجل
له النعمة فكتب بذلك سعيد إلى عثمان وسار الاشتهر وأصحابه إلى
حمص فأنزلهم عبدالرحمن بن خالد الساحل وأجرى عليهم رزقا قال
محمد بن عمر حدثني عيسى بن عبدالرحمن عن أبي إسحاق
الهمداني قال اجتمع نفر بالكوفة يطعنون على عثمان من أشرف
أهل العراق مالك بن الحارث الاشتهر وثابت بن قيس النخعي وكميل
بن زياد النخعي وزيد بن صوحان العبدي وحنبل بن زهير الغامدي
وجندب بن كعب الأزدي وعروة بن الجعد وعمرو بن الحمق الخزاعي
فكتب سعيد بن العاص إلى عثمان يخبره بأمرهم فكتب إليه أن
سيرهم إلى الشام

[٣٦٨]

وألزمهم الدروب ذكر الخبر عن تسيير عثمان من سير من أهل
البصرة إلى الشام مما كتب به إلي السري عن شعيب عن سيف
عن عطية عن يزيد الفقعسي قال لما مضى من إمارة بن عامر ثلاث
سنين بلغه أن في عبدالقيس رجلا نازلا على حكيم بن جبلة كان
حكيم بن جبلة رجلا لصا إذا قفل الجيوش خنس عنهم فسعى في
أرض فارس فيغير على أهل الذمة ويتنكر لهم ويفسد في الأرض
ويصيب ما شاء ثم يرجع فشكاه أهل الذمة وأهل القبلة إلى عثمان
فكتب إلى عبدالله بن عامر أن احبسه ومن كان مثله فلا يخرج من
البصرة حتى تأنسوا منه رشدا فحبسه فكان لا يستطيع أن يخرج
منها فلما قدم ابن السوداء نزل عليه واجتمع إليه نفر فطرح لهم ابن
السوداء ولم يصرح فقبلوا منه واستعظموه وأرسل إليه ابن عامر
فسأله ما أنت فأخبره أنه رجل من أهل الكتاب رغب في الاسلام
ورغب في جوارك فقال ما يبلغني ذلك أخرج عني فخرج حتى أتى
الكوفة فأخرج منها فاستقر بمصر وجعل يكاثرهم ويكاتبونه ويختلف
الرجال بينهم (كتب إلي السري) عن شعيب عن سيف عن محمد
وطلحة قالوا إن حمران بن أبان تزوج امرأة في عدتها فنكل به عثمان
وفرق بينهما وسيره إلى البصرة فلزم ابن عامر فتذاكروا يوما الركوب
والممرور بعامر بن عبد قيس وكان منقبضا عن الناس فقال حمران ألا
أسيقكم فأخبره فخرج فدخل عليه وهو يقرأ في المصحف فقال الأمير
أراد أن يمر بك فأحببت أن أخبرك فلم يقطع قراءته ولم يقبل عليه
فقام من عنده خارجا فلما انتهى إلى الباب لقيه ابن عامر فقال
جئتك من عند امرئ لا يرى لآل إبراهيم عليه فضلا واستأذن ابن
عامر فدخل عليه وجلس إليه فأطبق عامر المصحف وحدثه ساعة
فقال له ابن عامر ألا تغشانا فقال سعد بن أبي العرجاء يحب الشرف
فقال ألا نستعملك فقال حصين بن أبي الحر يحب العمل فقال ألا
نزوجك فقال ربيعة بن عسل يعجبه النساء قال إن هذا يزعم أنك لا
تري لآل إبراهيم عليك فضلا فصيح المصحف فكان أول ما وقع عليه
وأفتتح منه إن الله اصطفى آدم ونوحا وآل إبراهيم

[٣٦٩]

وآل عمران على العاملين فلما رد حمران تتبع ذلك منه فسعى به وشهد له أقوام فسيره إلى الشام فلما علموا علمه أذنوا له فأبى ولزم الشام (كتب إلي السري) عن شعيب عن سيف عن محمد وطلحة أن عثمان سير حمران بن أبان أن تزوج امرأة في عدتها وفرق بينهما وضربه وسيره إلى البصرة فلما أتى عليه ما شاء الله وأتاه عنه الذي يحب أذن له فقدم عليه المدينة وقدم معه قوم سعوا بعامر بن عبد قيس أنه لا يرى التزويج ولا يأكل اللحم ولا يشهد الجمعة وكان مع عامر انقباض وكان عمله كله خفية فكتب إلى عبدالله بن عامر بذلك فألحقه بمعاوية فلما قدم عليه وافقه وعنده ثريدة فأكل أكلا غريبا فعرف أن الرجل مكذوب عليه فقال يا هذا هل تدري فيما أخرجت قال لا قال أبلغ الخليفة أنك لا تأكل اللحم ورأيتك وعرفت أن قد كذب عليك وأنت لا ترى التزويج ولا تشهد الجمعة قال أما الجمعة فأني أشهدها في مؤخر المسجد ثم أرجع في أوائل الناس وأما التزويج فأني خرجت وأنا يخطب علي وأما اللحم فقد رأيت ولكني كنت امرأة لا أكل ذبائح القضايين منذ رأيت قصابا يجر شاة إلى مذبحتها ثم وضع السكين على مذبحتها فما زال يقول النفاق النفاق حتى وجبت قال فارجع قال لا أرجع إلى بلد استحل أهله مني ما استحلوا ولكني أقيم بهذا البلد الذي اختاره الله لي وكان يكون في السواحل وكان يلقي معاوية فيكثر معاوية أن يقول حاجتك فيقول لا حاجة لي فلما أكثر عليه قال ترد على من حر البصرة لعل الصوم أن يشتد على شيئا فانه يخف علي في بلادكم (كتب إلي السري) عن شعيب عن سيف عن أبي حارثة وأبي عثمان قالا لما قدم مسيرة أهل الكوفة على معاوية أنزلهم دارا ثم خلا بهم فقال لهم وقالوا له فلما فرغوا قال لم تؤتوا إلا من الحمق والله ما أرى منطلقا سديدا ولا عذرا مبينا ولا حلما ولا قوة وإنك يا صعصعة لاحمقهم اصنعوا وقولوا ما شئتم ما لم تدعوا شيئا من أمر الله فإن كل شئ يحتمل لكم إلا معصيته فأما فيما بيننا وبينكم فأنتم أمراء أنفسكم فرأهم بعوهم يشهدون الصلاة ويقفون مع قاص الجماعة فدخل عليهم يوما وبعضهم يقري بعضا فقال إن في هذا لخلفا مما قدمتم به على من النزاع إلى أمر الجاهلية اذهبوا حيث شئتم واعلموا أنكم

[٣٧٠]

إن لزمتم جماعتكم سعدتم بذلك دونهم وإن لم تلزموها شقيتم بذلك دونهم ولم تضروا أحدا فجزوه خيرا وأثنوا عليه فقال يا ابن الكواء أي رجل أنا قال بعيد الثرى كثير المرعى طيب البديهة بعيد الغور الغالب عليك الحلم ركن من أركان الإسلام سدت بك فرجة مخوفة قال فأخبرني عن أهل الاحداث من أهل الامصار فإنك أعقل أصحابك قال كاتبهم وكاتبوني وأنكروني وعرفتهم فأما أهل الاحداث من أهل المدينة فهم أحرص الامة على الشر وأعجزه عنه وأما أهل الاحداث من أهل الكوفة فانهم أنظر الناس في صغير وأركبه لكبير وأما أهل الاحداث من أهل البصرة فانهم يردون جميعا ويصدرون شتى وأما أهل الاحداث من أهل مصرفهم أوفى الناس بشر وأسرع ندامة وأما أهل الاحداث من أهل الشام فأطوع الناس لمرشدتهم وأعصاهم لمغويهم (وحج) بالناس في هذه السنة عثمان (وزعم) أبو معشر أن فتح قبرس كان في هذه السنة وقد ذكرت من خالفه في ذلك ثم دخلت سنة أربع وثلاثين ذكر ما كان فيها من الاحداث المذكورة فزعم أبو معشر أن غزوة الصواري كانت فيها حدثني بذلك أحمد عمن حدثه عن إسحاق عنه وقد مضى الخبر عن هذه الغزوة وذكر من خالف أبا معشر في وقتها (وفيها) كان رد أهل الكوفة سعيد بن العاص عن الكوفة (وفي هذه السنة) تكاتب المنحرفون عن عثمان بن عفان للاجتماع لمناظرته فيما كانوا يذكرون أنهم نقموا عليه ذكر الخبر عن صفة اجتماعهم لذلك وخبر الجرعة (مما كتب إلي به السري) عن شعيب عن سيف عن المستنير بن يزيد عن قيس بن يزيد النخعي قال لما رجع معاوية المسيرين قالوا إن العراق والشام

ليس لنا بدار فعليكم بالجزيرة فأتوها اختيارا فعدا عليهم عبدالرحمن بن خالد فسامهم الشدة فضرعوا له وتابعوه وسرح الاشر إلى عثمان فدعا به وقال اذهب حيث شئت فقال أرجع إلى عبدالرحمن فرجع ووفد سعيد بن العاص إلى عثمان

[٣٧١]

في سنة احدى عشرة من إمارة عثمان وقبل مخرج سعيد بن العاص من الكوفة بسنة وبعض أخرى بعث الاشعث بن قيس على أذربيجان وسعيد بن قيس على الري وكان سعيد بن قيس على همذان فعزل وجعل عليها النسير العجلي وعلى اصبهان السائب بن الأقرع وعلى ماه مالك بن حبيب اليربوعي وعلى الموصل حكيم بن سلامة الحزامي وجرير بن عبدالله على قرقيسيا وسلمان بن ربيعة على الباب وعلى الحرب القعقاع بن عمرو وعلى حلوان عتبية بن النهاس وخلص الكوفة من الرؤساء إلا منزوع أو مفتون فخرج يزيد بن قيس وهو يريد خلع عثمان فدخل المسجد فجلس فيه وثاب إليه الذين كان فيه ابن السوداء يكاتبهم فانقض عليه القعقاع فأخذ يزيد بن قيس فقال انما نستعفي من سعيد قال هذا ما لا يعرض لكم فيه لا تجلس لهذا ولا يجتمعن اليك واطلب حاجتك فلعمري لتعطينها فرجع إلى بيته واستأجر رجلا وأعطاه دراهم وبغلا على أن يأتي المسيرين وكتب إليهم لا تضعوا كتابي من أيديكم حتى تجيؤا فان أهل مصر قد جامعونا فانطلق الرجل فأتى عليهم وقد رجع الاشر فدفع إليهم الكتاب فقالوا ما اسمك قال بغير قالوا ممن قال من كلب قالوا سبع ذليل يبغث النفوس لا حاجة لنا بك وخالفهم الاشر ورجع عاصيا فلما خرج قال أصحابه أخرجنا أخرجنا الله لا نجد بدا مما صنع إن علم بنا عبدالرحمن لم يصدقنا ولم يستقلها فاتبعوه فلم يلحقوه وبلغ عبدالرحمن أنهم قد رحلوا فطلبهم في السواد فسار الاشر سبعا والقوم عشرا فلم يفجأ الناس في يوم جمعة إلا والاشر على باب المسجد يقول أيها الناس إني قد جئتكم من عند أمير المؤمنين عثمان وتركت سعيدا يريد علي نقضان نسائكم إلى مائة درهم ورد أهل البلاء منكم إلى ألفين ويقول ما بال أشراف النساء وهذه العلاوة بين هذين العدلين ويزعم أن فيأكم بستان قريش وقد سائرته مرحلة فما زال يزجر بذلك حتى فارقتة يقول ويل لأشراف النساء مني * صمحمح كأنني من جن فاستخف الناس وجعل أهل الحجى ينهونه فلا يسمع منهم وكانت نفجة فخرج يزيد وأمر مناديا ينادي من شاء أن يلحق بيزيد بن قيس لرد سعيد وطلب أمير

[٣٧٢]

غيره فليفعل ويبقى حلما الناس وأشرافهم ووجوههم في المسجد وذهب من سواهم وعمرو بن حريث يومئذ الخليفة فصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه وقال اذكروا نعمه الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانا بعد أن كنتم على شفا حفرة من النار فانقذكم منها فلا تعودوا في شر قد استنقذكم الله عزوجل منه أبعده الاسلام وهديه وسنته لا تعرفون حقا ولا تصيبون باباه فقال القعقاع ابن عمر وأترد السيل عن عبابه فاردد الفرات عن أدراجه هيهات لا والله لا تسكن الغوعاء إلا المشرفية ويوشك أن تنتضى ثم يعجون عجيج العتدان ويتمنون ما هم فيه فلا يرد الله أبدا فاصبر فقال أصبر وتحول إلى منزله وخرج يزيد بن قيس حتى نزل الجرعة ومعه الاشر وقد كان سعيد تلبث في الطريق فطلع عليهم سعيد وهم مقيمون له معسكرين فقالوا لا حاجة لنا بك فقال فما اختلفتم الآن إنما كان يكفيكم أن تبعثوا إلى أمير المؤمنين رجلا وتضعوا إلى رجلا وهل يخرج الالف لهم عقول إلى رجل ثم انصرف

عنهم وتحسوا بمولى له على بعير قد حسر فقال والله ما كان ينبغي لسعيد أن يرجع ف ضرب الأشرع عنقه ومضى سعيد حتى قدم على عثمان فأخبره الخبر فقال ما يريدون أخلعوا يدا من طاعة قال أظهوروا أنهم يريدون البذل قال فمن يريدون قال أبا موسى قال قد أثبتنا أبا موسى عليهم ووالله لا نجعل لاحد عذرا ولا نترك لهم حجة ولنصبرن كما أمرنا حتى نبلغ ما يريدون ورجع من قرب عمله من الكوفة ورجع حرير من قرقيسياء وعتيبة من حلوان وقام أبو موسى فتكلم بالكوفة فقال أيها الناس لا تنفروا في مثل هذا ولا تعودوا لمثله الزموا جماعتكم والطاعة وإياكم والعجلة اصبروا فكأنكم بأمير قالوا فصل بنا قال لا إلا على السمع والطاعة لعثمان بن عفان قالوا على السمع والطاعة لعثمان * حدثني جعفر بن عبدالله المحمدي قال حدثنا عمرو بن حماد بن طلحة وعلي بن حسين بن عيسى قالا حدثنا حسين بن عيسى عن أبيه عن هارون بن سعد عن العلاء بن عبدالله بن زيد العنبري أنه قال اجتمع ناس من المسلمين فتذكروا أعمال عثمان وما صنع فاجتمع رأيهم على أن يبعثوا إليه رجلا يكلمه ويخبره بأحداثه فأرسلوا إليه عامر بن عبدالله

[٣٧٣]

التميمي ثم العنبري وهو الذي يدعى عامر بن عبد قيس فأتاه فدخل عليه فقال له إن ناسا من المسلمين اجتمعوا فنظروا في أعمالك فوجدوك قد ركبت أمورا عظاما فاتق الله عزوجل وتب إليه وانزع عنها قال له عثمان انظر إلى هذا فإن الناس يزعمون أنه قارئ ثم هو يحنئ فيكلمني في المحقرات فوالله ما يدري أين الله قال عامر أنا لا أدري أين الله قال نعم والله ما تدري أين الله قال عامر بلي والله إنني لادرى أن الله بالمرصاد لك فأرسل عثمان إلى معاوية بن أبي سفيان وإلى عبدالله ابن سعد بن أبي سرح وإلى سعيد بن العاص وإلى عمرو بن العاص بن وائل السهمي وإلى عبدالله بن عامر فجمعهم ليشاورهم في أمره وما طلب إليه وما بلغه عنهم فلما اجتمعوا عنده قال لهم إن لكل امرئ وزراء ونصحاء وإنكم وزرائي ونصحائي وأهل ثقتي وقد صنع الناس ما قد رأيتم وطلبوا إلى أن أعزل عمالي وأن أرجع عن جميع ما يكرهون إلي ما يحبون فاجتهدوا رأيكم وأشيروا علي فقال له عبدالله بن عامر رأيي لك يا أمير المؤمنين أن تأمرهم بجهاد يشغلهم عنك وأن تجمرهم في المغازي حتى يذلوا لك فلا يكون همة أحدهم إلا نفسه وما هو فيه من دبرة دابته وقمل فروه ثم أقبل عثمان على سعيد بن العاص فقال له ما رأيك قال يا أمير المؤمنين ان كنت تريد رأينا فاحسم عنك الداء واقطع عنك الذي تخاف واعمل برأيي تصب قال وما هو قال ان لكل قوم قادة متى تهلك يتفرقوا ولا يجتمع لهم أمر فقال عثمان ان هذا الرأي لولا ما فيه ثم أقبل على معاوية فقال ما رأيك قال أرى لك يا أمير المؤمنين ان ترد عمالك على الكفاية لما قبلهم وأنا ضامن لك قبلي ثم أقبل علي عبدالله بن سعد فقال ما رأيك قال أرى يا أمير المؤمنين ان الناس أهل طمع فأعطهم من هذا المال تعطف عليك فلوبهم ثم أقبل على عمرو بن العاص فقال له ما رأيك قال أرى انك قد ركبت الناس بما يكرهون فاعتزم أن تعتدل فإن أبيت فاعتزم أن تعتدل فإن أبيت فاعتزم عزما وامض قدما فقال عثمان مالك قمل فروك أهذا الجد منك فأسكت عنه دهرا حتى إذا تفرق القوم قال عمرو لا والله يا أمير المؤمنين لانت أعز علي من ذلك ولكن قد علمت أن سيبلغ الناس قول كل

[٣٧٤]

رجل منا فأردت أن يبلغهم قولتي فيثقوا بي فأقود إليك خيرا أو أدفع عنك شرا * حدثني جعفر قال حدثنا عمرو بن حماد وعلي بن

حسين قال حدثنا حسين عن أبيه عن عمرو بن أبي المقدم عن عبدالمك بن عمير الزهري أنه قال جمع عثمان أمراء الاحناد معاوية بن أبي سفيان وسعيد بن العاص وعبد الله بن عامر وعبد الله بن سعد ابن أبي سرح وعمرو بن العاص فقال أشيروا علي فإن الناس قد تنمروا لي فقال له معاوية أشير عليك أن تأمر أمراء أجنادك فيكفيك كل رجل منهم ما قبله وأكفيك أنا أهل الشام فقال له عبدالله بن عامر أرى لك أن تجمرهم في هذه البعوث حتى يهم كل رجل منهم دبر دابته وتشغلهم عن الارحاف بك فقال عبدالله بن سعد أشير عليك أن تنظر ما أسخطهم فترضيهم ثم تخرج لهم هذا المال فيقسم بينهم ثم قام عمرو بن العاص فقال يا عثمان إنك قد ركبت الناس بمثل بني أمية فقلت وقالوا وزغت وزاغوا فاعتدل أو اعتزل فإن أبيت فاعتزم عزمًا وامضى قدما فقال له عثمان مالك قمل فرك أهدا الجد منك فأسكت عمرو حتى إذا تفرقوا قال لا والله يا أمير المؤمنين لانت أكرم على من ذلك ولكني قد علمت أن بالباب قوما قد علموا أنك جمعتنا لنشير عليك فأحببت أن يبلغهم قولني فأقود لك خيرا أو أدفع عنك شرا فردد عثمان عماله على أعمالهم وأمرهم بالتضييق على من قبلهم وأمرهم بتجمير الناس في البعوث وعزم على تحريم أعطياتهم ليطيعوه ويحتاجوا إليه ورد سعيد بن العاص أميرا على الكوفة فخرج أهل الكوفة عليه بالسلاح فتلقوه فردوه وقالوا لا والله لا يلي علينا حكما ما حملنا سيوفنا * حدثني جعفر قال حدثنا عمرو وعلي بن حسين عن أبيه عن هارون بن سعد عن أبي يحيى عمير بن سعد النخعي أنه قال كانني أنظر إلى الاشر مالك بن الحارث النخعي على وجهه الغبار وهو متقلد السيف وهو يقول والله لا يدخلها علينا ما حملنا سيوفنا يعني سعيدا وذلك يوم الجرعة والجرعة مكان مشرف قرب القادسية وهناك يلقاه أهل الكوفة * حدثني جعفر قال حدثنا عمرو وعلي قال حدثنا حسين عن أبيه عن هارون ابن سعد عن عمرو بن مرة الجملي عن أبي البخري الطائي عن أبي ثور الحدائي

وحذاء حي من مراد أنه قال دفعت إلى حذيفة بن اليمان وأبي مسعود عقبة ابن عمرو الانصاري وهما في مسجد الكوفة يوم الجرعة حيث صنع الناس بسعيد بن العاص ما صنعوا وأبو مسعود يعظم ذلك ويقول ما أرى أن ترد على عقبيها حتى يكون فيها دماء فقال حذيفة والله لتردن على عقبيها ولا يكون فيها محجمة من دم وما أعلم منها اليوم شيئا إلا وقد علمته ومحمد صلى الله عليه وآله وسلم حي وإن الرجل ليصبح على الاسلام ثم يمسي وما معه منه شئ ثم يقاتل أهل القبلة ويقتله الله غدا فينكص قلبه فتعلوه استه فقلت لابي ثور فلعله قد كان قال لا والله ما كان فلما رجع سعيد بن العاص إلى عثمان مطرودا أرسل أبا موسى أميرا على الكوفة فأقروه عليها (كتب إلي السري) عن شعيب عن سيف عن يحيى بن مسلم عن واقد بن عبدالله عن عبدالله بن عمير الاشجعي قال قام في المسجد في الفتنة فقال أيها الناس اسكتوا فإنني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من خرج وعلى الناس إمام والله ما قال عادل ليشق عصاهم ويفرق جماعتهم فاقتلوه كائنا من كان (كتب إلي السري) عن شعيب عن سيف عن محمد وطلحة قالوا لما استعوى يزيد بن قيس الناس على سعيد بن العاص خرج منه ذكر لعثمان فأقبل إليه القعقاع بن عمرو حتى أخذه فقال ما تريد ألك علينا في أن نستعفي سبيل قال لا فهل إلا ذلك قال لا قال فاستعف واستجلب يزيد أصحابه من حيث كانوا فردوا سعيدا وطلبوا أبا موسى فكتب إليهم عثمان بسم الله الرحمن الرحيم أما بعد فقد أمرت عليكم من اخترتم وأعفيتكم من سعيد والله لا فرشتمكم عرضي ولا بذلن لكم صبري ولا استصلحتمكم بجهدني فلا تدعوا شيئا أحببتموه لا يعصى الله فيه إلا سألتهموه ولا شيئا كرهتموه لا يعصى الله فيه إلا

استعفيتم منه أنزل فيه عند ما أحببتم حتى لا يكون لكم على حجة
وكتب بمثل ذلك في الامصار فقدمت إمارة أبي موسى وغزو حذيفة
وتأمر أبو موسى ورجع العمال إلي أعمالهم ومضى حذيفة إلى الباب
(وأما الواقدي) فإنه زعم أن عبدالله بن محمد حدثه عن أبيه قال لما
كانت سنة ٣٤ كتب أصحاب رسول الله

[٣٧٦]

صلى الله عليه وسلم بعضهم إلى بعض أن اقدموا فإن كنتم تريدون
الجهاد فعندنا الجهاد وكثر الناس علي عثمان ونالوا منه أقبح ما نيل
من أحد وأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يرون ويسمعون
ليس فيهم أحد ينهى ولا يذب إلا نفيير زيد ابن ثابت وأبو أسيد
الساعدي وكعب بن مالك وحسان بن ثابت فاجتمع الناس وكلموا
علي بن أبي طالب فدخل علي عثمان فقال للناس ورائي وقد
كلموني فيك والله ما أدري ما أقول لك وما أعرف شيئاً تجهله ولا
أدلك على أمر لا تعرفه إنك لتعلم ما تعلم ما سبقناك إلى شئ
فنخبرك عنه ولا خلونا بشئ فنبلغك وما خصصنا بأمر دونك وقد رأيت
وسمعت وصحبت رسول الله صلى الله عليه وآله ونلت صهره وما ابن
أبي قحافة بأولي بعمل الحق منك ولا ابن الخطاب بأولي بشئ من
الخير منك وإنك أقرب إلى رسول الله صلى الله عليه وآله رحماً ولقد
نلت من صهر رسول الله صلى الله عليه وسلم ما لم ينالا ولا سبقناك
إلى شئ فالله الله في نفسك فإنك والله ما تبصر من عمى ولا تعلم
من جهل وإن الطريق لواضح بين وإن أعلام الدين لقائمة تعلم يا
عثمان أن أفضل عباد الله عند الله إمام عادل هدى وهدى فأقام سنة
معلومة وأمات بدعة متروكة فوالله إن كلا لبين وإن السنن لقائمة لها
أعلام وإن البدع لقائمة لها أعلام وإن شر الناس عند الله امام جائر
ضل وضل به فامات سنة معلومة وأحيا بدعة متروكة وإني سمعت
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يؤتي يوم القيامة بالامام
الجائر وليس معه نصير ولا عاذر فيلقى في جهنم فيدور في جهنم
كما تدور الرحى ثم يرتطم في غمرة جهنم وإنى أحذرك الله وأحذرك
سوطه ونقماته فإن عذابه شديد أليم وأحذرك أن تكون إمام هذه
الامة المقتول فإنه يقال يقتل في هذه الامة امام فيفتح عليها القتل
والقتال إلى يوم القيامة وتلبس أمورها عليها ويتركهم شيئا فلا
يبصرون الحق لعلو الباطل يمجون فيها موجاً ويمرجون فيها مرجاً
فقال عثمان قد والله علمت ليقولن الذي قلت أما والله لو كنت مكانني
ما عنفتك ولا أسلمتكم ولا عبت عليكم ولا جئت منكم أن وصلت رحماً
وسددت خلة وأويت ضائعا ووليت شبيها بمن كان عمر يولي أشدك

[٣٧٧]

الله يا علي هل تعلم أن المغيرة بن شعبة ليس هناك قال نعم قال
فتعلم أن عمر ولاة قال نعم قال فلم تلومني أن وليت ابن عامر في
رحمه وقرابته قال علي سأخبرك أن عمر ابن الخطاب كان كل من
ولى وإنما يظأ على صماخه ان بلغه عنه حرف جلبه ثم بلغ به أقصى
الغاية وأنت لا تفعل ضعفت ورفقت على أقرباك قال عثمان هم
أقرباؤك أيضا فقال علي لعمرى إن رحمهم مني لقريبة ولكن الفضل
في غيرهم قال عثمان هل تعلم أن عمر ولى معاوية خلافة كلها
فقد وليته فقال علي أشدك الله هل تعلم أن معاوية كان أخوف من
عمر من يرفأ غلام عمر منه قال نعم قال علي فان معاوية يقتطع
الامور دونك وأنت تعلمها فيقول للناس هذا أمر عثمان فيبلغك ولا
تغير على معاوية ثم خرج علي من عنده وخرج عثمان على أثره
فجلس على المنبر فقال أما بعد فإن لكل شئ أفة ولكل أمر عاهة
وإن أفة هذه الامة وعاهة هذه النعمة عيابون طعانون يرونكم ما

تحبون ويسرون ما تكرهون يقولون لكم ويقولون أمثال النعام يتبعون أول ناعق أحب مواردها إليها البعيد لا يشربون إلا نغصا ولا يردون إلا عكرا لا يقوم لهم رائد وقد أعيتهم الامور وتعذرت عليهم المكاسب ألا فقد والله عيتم علي بما أقررتم لابن الخطاب بمثله ولكنه وطئكم برجله وضربكم بيده وقمعكم بلسانه فدنتم له على ما أحببتم أو كرهتم ولنت لكم وأوطأت لكم كتفي وكففت يدي ولساني عنكم فاجترأتم علي أما والله لانا أعز نفرا وأقرب ناصرا وأكثر عددا وأقمن إن قلت هلم أتى إلي ولقد أعددت لكم أقرانكم وأفضلت عليكم فضولا وكشرت لكم عن نابي وأخرجتم مني خلقا لم أكن أحسنه ومنطقا لم أنطق به فكفوا عليكم ألسنتكم وطعنكم وعيبكم على ولاتكم فإنني قد كففت عنكم من لو كان هو الذي يكلمكم لرضيتم منه بدون منطقي هذا ألا فما تفقدون من حقكم والله ما قصرت في بلوغ ما كان يبلغ من كان قبلي ومن لم تكونوا تختلفون عليه فضل فضلي من مال فمال لا أصنع في الفضل ما أريد فلم كنت اماما فقام مروان ابن الحكم فقال إن شئتم حكمتنا والله بيننا وبينكم السيف نحن والله وأنتم كما قال الشاعر فرشنا لكم أعراضنا فنبت بكم * معارسكم تبون في دمن الثرى

[٣٧٨]

فقال عثمان اسكت لاسكت دعني وأصحابي ما منطلقك في هذا ألم أتقدم اليك ألا تنطق فسكت مروان ونزل عثمان (وفي هذه السنة) مات أبو عيسى بن جبر بالمدينة وهو بدري ومات أيضا مسطح بن أثاثة وعافل بن أبي البكير من بني سعد ابن ليث حليف لبني عدي وهما بديان (وحج) بالناس في هذه السنة عثمان ابن عفان رضى الله عنه ثم دخلت سنة خمس وثلاثين ذكر ما كان فيها من الاحداث فمما كان فيها من ذلك نزول أهل مصر ذا خشب حدثني بذلك أحمد بن ثابت عن حدثه عن إسحاق بن عيسى عن أبي معشر قال كان ذو خشب سنة ٢٥ وكذلك قال الواقدي ذكر مسير من سار إلى ذي خشب من أهل مصر وسبب مسير من سار إلى ذي المروة من أهل العراق فيما كتب به إلى السري عن شعيب عن سيف عن عطية عن يزيد الفقعسى قال كان عبدالله بن سبا يهوديا من أهل صنعاء أمه سوداء فأسلم زمان عثمان ثم تنقل في بلدان المسلمين يحاول ضلالتهم فبدأ بالحجاز ثم البصرة ثم الكوفة ثم الشام فلم يقدر على ما يريد عند أحد من أهل الشام فأخروه حتى أتى مصر فاعتمر فيهم فقال لهم فيما يقول لعجب ممن يزعم أن عيسى يرجع ويكذب بأن محمدا يرجع وقد قال الله عز وجل (إن الذي فرض عليك القرآن لرادك إلى معاد) فمحمدا أحق بالرجوع من عيسى قال فقبل ذلك عنه ووضع لهم الرجعة فتكلموا فيها ثم قال لهم بعد ذلك إنه كان ألف نبي ولكل نبي وصى وكان علي وصي محمد ثم قال محمد خاتم الانبياء وعلي خاتم الاوصياء ثم قال بعد ذلك من أظلم ممن لم يجز وصية رسول الله صلى الله عليه وسلم ووثب علي وصي رسول الله صلى الله عليه وسلم وتناول أمر الامة ثم قال لهم بعد ذلك إن عثمان أخذها بغير حق وهذا وصي رسول الله صلى الله عليه وسلم

[٣٧٩]

فانهضوا في هذا الامر فحركوه وابدؤا بالطعن على أمرائكم وأظهروا الامر بالمعروف والنهي عن المنكر تستميلوا الناس وادعوهم إلى هذا الامر فبث دعائه وكتابه من كان استفسد في الامصار وكتابه ودعوا في السر إلى ما عليه رأيهم وأظهروا الامر بالمعروف والنهي عن المنكر وجعلوا يكتبون إلى الامصار بكتب يضعونها في عيوب ولاتهم ويكتبهم إخوانهم بمثل ذلك ويكتب أهل كل مصر منهم إلى

مصر آخر بما يصنعون فيقرأه أولئك في أمصارهم وهؤلاء في أمصارهم حتى تناولوا بذلك المدينة وأوسعوا الأرض إذاعة وهم يريدون غير ما يظهرون ويسرون غير ما يريدون فيقول أهل كل مصر إنا لفي عافية مما ابتلى به هؤلاء إلا أهل المدينة فانهم جاءهم ذلك عن جميع الأمصار فقالوا إنا لفي عافية مما فيه الناس وجامعه محمد وطلحة من هذا المكان قالوا فأتوا عثمان فقالوا يا أمير المؤمنين أيا تيك عن الناس الذي يأتينا قال لا والله ما جاءني إلا السلامة قالوا فإنا قد أتانا وأخبروه بالذي أسقطوا إليهم قال فأنتم شركائي وشهود المؤمنين فأشيروا علي قالوا نشير عليك أن تبعث رجلا ممن تتق بهم إلى الأمصار حتى يرجعوا اليك بأخبارهم فدعا محمد بن مسلمة فأرسله إلى الكوفة وأرسل أسامة بن زيد إلى البصرة وأرسل عمار بن ياسر إلى مصر وأرسل عبدالله بن عمر إلى الشام وفرق رجلا سواهم فرجعوا جميعا قبل عمار فقالوا أيها الناس ما أنكرنا شيئا ولا أنكره أعلام المسلمين ولا عوامهم وقالوا جميعا الأمر أمر المسلمين إلا أن أمراءهم يقسطون بينهم ويقومون عليهم واستيطأ الناس عمارا حتى ظنوا أنه قد اغتيل فلم يفجأهم إلا كتاب من عبدالله بن سعد بن أبي سرح يخبرهم أن عمارا قد استماله قوم بمصر وقد انقطعوا إليه منهم عبدالله بن السوداء وخالد بن ملجم وسودان بن حمران وكنانة بن بشر (كتب إلي السري) عن شعيب عن سيف عن محمد وطلحة وعطية قالوا كتب عثمان إلى أهل الأمصار أما بعد فإني أخذ العمال بموافاتي في كل موسم وقد سلطت الأمة منذ وليت علي الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فلا يرفع على شئ ولا على أحد من عمالي إلا أعطيته وليس لي ولعوالي

[٣٨٠]

حق قبل الرعية إلا متروك لهم وقد رفع إلى أهل المدينة أن أقواما يشتمون وآخرون يضربون فيامن ضرب سرا وشتم سرا من ادعى شيئا من ذلك فليواف الموسم فليأخذ بحقه حيث كان مني أو من عمالي أو تصدقوا فإن الله يجزي المتصدقين فلما قرئ في الأمصار أبكى الناس ودعوا لعثمان وقالوا إن الأمة لتمخض بشر وبعث إلى عمال الأمصار فقدموا عليه عبدالله بن عامر ومعاوية وعبد الله بن سعد وأدخل معهم في المشورة سعيدا وعمرا فقال ويحكم ما هذه الشكاية وما هذه الإذاعة إني والله لخائف أن تكونوا مصدوقا عليكم وما يعصب هذا إلا بي فقالوا له ألم تبعث ألم نرجع اليك الخبر عن القوم ألم يرجعوا ولم يشافهم أحد بشئ لا والله ما صدقوا ولا بروا ولا نعلم لهذا الأمر أصلا وما كنت لتأخذ به أحدا فيقيمك على شئ وما هي إلا إذاعة لا يحل الأخذ بها ولا الانتهاه إليها قال فأشيروا علي فقال سعيد ابن العاص هذا أمر مصنوع يصنع في السر فيلقى به غير ذي المعرفة فيخبر به فيتحدث به في مجالسهم قال فما دواء ذلك قال طلب هؤلاء القوم ثم قتل هؤلاء الذين يخرج هذا من عندهم وقال عبدالله بن سعد خذ من الناس الذي عليهم إذا أعطيتهم الذي لهم فإنه خير من أن تدعهم قال معاوية قد وليتني فوليت قوما لا يأتيك عنهم إلا الخير والرجلان أعلم بناحيتهما قال فما الرأي قال حسن الأدب قال فما ترى يا عمر وقال أرى أنك قد لنت لهم وتراخيت عنهم وزدتهم على ما كان يصنع عمر فأرى أن تلزم طريقة صاحبك فتشدد في موضع الشدة وتلين في موضع اللين أن الشدة تبغي لمن لا يألو الناس سرا واللين لمن يخلف الناس بالنصح وقد فرشتها جميعا اللين وقام عثمان فحمد الله وأثنى عليه وقال كل ما أشرتكم به على قد سمعت ولكل أمر باب يؤتى منه إن هذا الأمر الذي يخاف على هذه الأمة كائن وإن بابه الذي يعلق عليه فيكفكف به اللين والمؤاتاة والمتابعة إلا في حدود الله تعالى ذكره التي لا يستطيع أحد أن يبادي بغيب أحدها فإن سده شئ فرفق فذاك والله ليفتحن وليست لاحد على حجة حق وقد علم الله أني لم آل الناس خيرا ولا نفسي

ووالله إن رحى الفتنة لدائرة فطويى لعثمان إن مات ولم يحركها
كفكفوا الناس وهبوا لهم حقوقهم واغترفوا لهم وذا

[٣٨١]

تعوطيت حقوق الله فلا تدهنوا فيها فلما نفر عثمان أشخص معاوية
وعبد الله بن سعد إلى المدينة ورجع ابن عامر وسعيد معه ولما
استقل عثمان رجز الحادي قد علمت ضوامر المطي * وضمرات عوج
القسي أن الامير بعده علي * وفي الزبير خلف رضى وطلحة
الهامي لها ولي فقال كعب وهو يسير خلف عثمان الامير والله بعده
صاحب البيعة وأشار إلى معاوية (كتب إلي السري) عن شعيب عن
سيف عن بدر بن الخليل بن عثمان ابن قطبة الاسدي عن رجل من
بني أسد قال ما زال معاوية يطمع فيها بعد مقدمه على عثمان حين
جمعهم فاجتمعوا إليه بالموسم ثم ارتحل فحدا به الراجز إن الامير
بعده علي * وفي الزبير خلف رضى قال كعب كذبت صاحب الشهباء
بعده يعني معاوية فأخبر معاوية فسأله عن الذي بلغه قال نعم أنت
الامير بعده ولكنها والله لا تصل اليك حتى تكذب بحديثي هذا فوفعت
في نفس معاوية * وشاركهم في هذا المكان أبو حارثة وأبو عثمان
عن رجاء بن حيوة وغيره قالوا فلما ورد عثمان المدينة رد الامراء إلى
أعمالهم فمضوا جميعا وأقام سعد بعدهم فلما ودع معاوية عثمان
خرج من عنده وعليه ثياب السفر متقلدا سيفه متنكبا قوسه فإذا هو
بنفر من المهاجرين فيهم طلحة والزبير وعلي فقام عليهم فتوكأ
على قوسه بعد ما سلم عليهم ثم قال إنكم قد علمتم أن هذا الامر
كان إذا الناس يتغالبون إلى رجال فلم يكن منكم أحد إلا وفي فصيلته
من يرأسه ويستبد عليه ويقطع الأمر دونه ولا يشهده ولا يؤمره
حتى بعث الله جل وعز نبيه صلى الله عليه وسلم وأكرم به من أتبعه
فكانوا يرئسون من جاء من بعده وأمرهم شورى بينهم يتفاضلون
بالسابقة والقدمة والاجتهاد فإن أخذوا بذلك وقاموا عليه كان الامر
أمرهم والناس تبع لهم وإن أصغوا إلى الدنيا وطلبوها بالتغالب سلبو
ذلك ورده الله إلى من كان يرأسهم وإلا فليحذروا الغير فإن الله على
البدل قادر وله المشيئة في ملكه وأمره إنني قد خلفت فيكم شيئا
فاستوصوا به

[٣٨٢]

خيرا وكانفوه تكونوا أسعد منه بذلك ثم ودعهم ومضى فقال علي ما
كنت أرى أن في هذا خيرا فقال الزبير لا والله ما كان قط أعظم في
صدرك وصدورنا منه الغداة * حدثني عبدالله بن أحمد بن شوبه قال
حدثني أبي قال حدثني عبدالله عن إسحاق ابن يحيى عن موسى
بن طلحة قال أرسل عثمان إلى طلحة يدعوه فخرجت معه حتى
دخل علي عثمان وأذ علي وسعد والزبير وعثمان ومعاوية فحمد الله
معاوية وأثنى عليه بما هو أهله ثم قال أنتم أصحاب رسول الله صلى
الله عليه وسلم وخيرته في الارض وولاة أمر هذه الامة لا يطمع في
ذلك أحد غيركم اخترتم صاحبكم عن غير غلبة ولا طمع وقد كبرت
سنه وولى عمره ولو انتظرتم به الهرم كان قريبا مع اني أرجوا أن
يكون أكرم على الله أن يبلغ به ذلك وقد فشئت قالة خفتها عليكم فما
عتبتم فيه من شئ فهذه يدي لكم به ولا تطمعوا الناس في أمركم
فوالله لئن طمعوا في ذلك لا رأيتم فيها أبدا إلا إدار قال علي ومالك
وذلك وما أدراك لا أم لك قال دع أمني مكانها ليست بشر أمهاتكم قد
أسلمت وبايعت النبي صلى الله عليه وسلم وأجبنني فيما أقول لك
فقال عثمان صدق ابن أخي اني أخبركم عني وعمي وليت إن
صاحبي اللذين كانا قبلي ظلما أنفسهما ومن كان منهما بسبيل
احتسابا وإن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يعطي قرابته وأنا

في رهط أهل عيلة وقلة معاش فبسطت يدي في شئ من ذلك المال لمكان ما أقوم به فيه ورأيت أن ذلك لي فإن رأيتم ذلك خطأ فردوه فأمرني لامركم تبع قالوا أصبت وأحسنتم قالوا أعطيت عبد الله بن خالد بن أسيد ومروان وكانوا يزعمون أنه أعطى مروان خمسة عشر ألفا وابن أسيد خمسين ألفا فردوا منهما ذلك فرضوا وقبلوا وخرجوا راضين (رجع الحديث) إلى حديث سيف عن شيوخه وكان معاوية قد قال لعثمان غداة ودعه وخرج يا أمير المؤمنين انطلق معي إلى الشام قبل أن يهجم عليك من لا قبل لك به فإن أهل الشام على الأمر لم يزالوا فقال أنا لا أبيع جوار رسول الله صلى الله عليه وسلم بشئ وإن كان فيه قطع خيط عنقي قال فأبعث اليك جندا منهم يقيم بين ظهرائي أهل المدينة لنائية إن نابت المدينة أو أياك قال أنا أقتري على جيران رسول الله صلى الله عليه وسلم الأرزاق

[٣٨٣]

بجند مساكنهم وأضيقي على أهل دار الهجرة والنصرة قال والله يا أمير المؤمنين لتغتالن أو لتغزين قال حسبي الله ونعم الوكيل وقال معاوية يا ايسار الجزور وأين ايسار الجزور ثم خرج حتى وقف على النفر ثم مضى وقد كان أهل مصر كاتبوا أشياعهم من أهل الكوفة وأهل البصرة وجميع من أجابهم أن يثور واخلاف أمرانهم واتعدوا يوما حيث شخص أمراؤهم فلم يستقيم ذلك لاحد منهم ولم ينهض الا أهل الكوفة فإن يزيد بن قيس الأرحبي ثار فيها واجتمع إليه أصحابه وعلى الحرب يومئذ القعقاع بن عمرو فأتاه فأحاط الناس بهم وناشدوهم فقال يزيد للقعقاع ما سبيلك علي وعلى هؤلاء فوالله اني لسامع مطيع وانبي للآزم لجماعتي وهم إلا انبي أستعفي ومن ترى من إمارة سعيد فقال استعفى الخاصة من أمر قد رضيته العامة قال فذاك إلى أمير المؤمنين فتركهم والاستعفاء ولم يستطيعوا أن يظهروا غير ذلك فاستقبلوا سعيدا فردوه من الجرعة واجتمع الناس على أبي موسى وأقره عثمان رضى الله تعالى عنه ولما رجع الامراء لم يكن للسبائية سبيل إلى الخروج إلى الامصار وكاتبوا أشياعهم من أهل الامصار أن يتوافوا بالمدينة لينظروا فيما يريدون وأظهروا أنهم يأمرون بالمعروف ويسألون عثمان عن أشياء لتطير في الناس ولتحقق عليه فتوافوا بالمدينة وأرسل عثمان رجلين مخزوميا وزهريا فقال انظرا ما يريدون واعلما علمهم وكانا ممن قد ناله من عثمان أدب فاصطبر للحق ولم يضطغنا فلما رأوهما باثوهم وأخبروهما بما يريدون فقالا من معكم على هذا من أهل المدينة قالوا ثلاثة نفر فقالا هل إلا قالوا لا قالوا فكيف تريدون أن تصنعوا قالوا نريد أن نذكر له أشياء قد زرناها في قلوب الناس ثم نرجع إليهم فنزعم لهم أن قررناه بها فلم يخرج منها ولم يتب ثم نخرج كأننا حجاج حتى نقدم فنحيط به فنخلعه فإن أبي قتلناه وكانت إياها فرجعا إلى عثمان بالخبر فضحك وقال اللهم سلم هؤلاء فانك إن لم تسلمهم شقوا أما عمار فحمل على عباس بن عتبة بن أبي لهب وعركه وأما محمد بن أبي بكر فانه أعجب حتى أرى أن الحقوق لا تلزمه وأما ابن سهلة فانه يتعرض للبلاء فأرسل إلى الكوفيين والبصريين ونادى الصلاة جامعة وهم عنده في أصل المنبر فأقبل أصحاب رسول الله صلى

[٣٨٤]

الله عليه وسلم حتى أحاطوا بهم فحمد الله وأثنى عليه وأخبرهم خبر القوم وقام الرجلان فقالوا جميعا اقتلهم فان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من دعا إلى نفسه أو إلى أحد وعلى الناس إمام فعليه لعنة الله فاقبلوه وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه لا أحل لكم إلا ما قتلتموه وأنا شريككم فقال عثمان بل نغفو ونقبل ونبصرهم

بجهدنا ولا نجاد أحدا حتى يركب حدا أو يبدي كفرا إن هؤلاء ذكروا أمورا قد علموا منها مثل الذي علمتم إلا أنهم زعموا أنهم يذكرونها ليوجبوها على عند من لا يعلم وقالوا أتم الصلاة في السفر وكانت لا تتم إلا وإني قدمت بلدا فيه أهلي فأتتمت لهذين الأمرين أو كذلك قالوا اللهم نعم وقالوا وحميت حمى وإنني والله ما حميت حمى قبلي والله ما حموا شيئا لاحد ما حموا إلا غلب عليه أهل المدينة ثم لم يمنعوا من رعية أحدا واقتصروا لصدقات المسلمين يحمونها لئلا يكون بين من يليها وبين أحد تنازع ثم ما منعوا ولا نحووا منها أحدا إلا من ساق درهما ومالي من بعير غير راحلتين ومالي ثاغية ولا راغية وإنني قد وليت وإنني أكثر العرب بعيرا وشاء فمالي اليوم شاة ولا بعير غير بعيرين لحجبي كذلك قالوا اللهم نعم وقالوا كان القرآن كتبا فتركناها إلا واحدا ألا وإن القرآن واحد جاء من عند واحد وإنما أنا في ذلك تابع لهؤلاء كذلك قالوا نعم وسألوه أن يقتلهم وقالوا انى رددت الحكم وقد سيره رسول الله صلى الله عليه وسلم والحكم مكى سيره رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة إلى الطائف ثم رده رسول الله صلى الله عليه وسلم فرسول الله صلى الله عليه وسلم سيره ورسول الله صلى الله عليه وسلم رده كذلك قالوا اللهم نعم وقالوا استعملت الاحداث ولم أستعمل إلا مجتمعا محتملا مرضيا وهؤلاء أهل عملهم فسلوهم عنه وهؤلاء أهل بلده ولقد ولى من قبلي أحدث منهم وقيل في ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم أشد مما قيل لي في استعماله أسامة كذلك قالوا اللهم نعم يعييون للناس ما لا يفسرون وقالوا إنني أعطيت ابن أبي سرح ما أفاء الله عليه وإنني إنما نقلته خمس ما أفاء الله عليه من الخمس فكان مائة ألف وقد أنفذ مثل ذلك أبو بكر وعمر رضى عنهما فزعم الجند أنهم يكرهون ذلك فرددته عليهم

[٣٨٥]

وليس ذاك لهم كذلك قالوا نعم وقالوا إنني أحب أهل بيتي وأعطيتهم فأما حبي فإنه لم يمل معهم على جور بل أحمل الحقوق عليهم وأما إعطاؤهم فإنني ما أعطيتهم من مالي ولا أستحل أموال المسلمين لنفسي ولا لاحد من الناس ولقد كنت أعطى العطية الكبيرة الرغبية من صلب مالي أزمان رسول الله صلى الله عليه عليه وسلم وأبي بكر وعمر رضى الله عنهما وأنا يومئذ شحيح حريص أفحين أتيت على أسنان أهل بيتي وفني عمري وودعت الذي لي في أهلي قال الملحدون ما قالوا وإنني والله ما حملت على مصر من الأمصار فضلا فيجوز ذلك لمن قاله ولقد رددته عليهم وما قدم على إلا الإخماس ولا يحل لي منها شيء فولى المسلمون وضعها في أهلها دوني ولا يتلفت من مال الله بفلس فما فوفقه وما أتبلغ منه ما أكل إلا مالي وقالوا أعطيت الأرض رجالا وإن هذه الأرضين شاركهم فيها المهاجرون والانصار أيام افتتحت فمن أقام بمكان من هذه الفتوح فهو أسوة أهله ومن رجع إلى أهله لم يذهب ذلك ما حوى الله له فنظرت في الذي يصيبهم مما أفاء الله عليهم فبعته لهم بأمرهم من رجال أهل عقار ببلاد العرب فنقلت إليهم نصيبهم فهو في أيديهم دوني وكان عثمان قد قسم ماله وأرضه في بني أمية وجعل ولده كبعض من يعطى فبدأ ببني أبي العاص فأعطى آل الحكم رجالهم عشرة آلاف عشرة آلاف فأخذوا مائة ألف وأعطى بني عثمان مثل ذلك وقسم في بني العاص وفي بني العيص وفي بني حرب ولانت حاشية عثمان لأولئك الطوائف وأبى المسلمون إلا قتلهم وأبى إلا تركهم فذهبوا ورجعوا إلى بلادهم على أن يغزوهم مع الحجاج كالحجاج فتكاتبوا وقالوا موعدكم ضواحي المدينة في شوال حتى إذا دخل شوال من سنة اثنتي عشرة ضربوا كالحجاج فنزلوا قرب المدينة (كتب إلي السري) عن شعيب عن سيف عن محمد وطلحة وأبي حارثة وأبي عثمان قالوا لما كان في شوال سنة ٣٥ خرج أهل مصر في أربع رفاق على أربعة أمراء المقلل يقول ستمائة والمكثر

يقول ألف على الرفاق عبدالرحمن بن عديس البلوى وكنانة بن بشر
الليثي وسودان بن حمران السكوني وقتيرة بن فلان السكوني
وعلى القوم جميعا الغافقي بن حرب العكي

[٣٨٦]

ولم يجترئوا أن يعلموا الناس بخروجهم إلى الحرب وإنما أخرجوا
كالحجاج ومعهم ابن السوداء وخرج أهل الكوفة في أربع رفاق وعلى
الرفاق زيد بن صوحان العبدى والاشتر النخعي وزباد بن النضر
الحارثي وعبد الله بن الاصم أحد بني عامر ابن صعصعة وعددهم
كعدد أهل مصر وعليهم جميعا عمرو بن الاصم وخرج أهل البصرة في
أربع رفاق وعلى الرفاق حكيم بن جبلة العبدى وذريح بن عباد
العبدى وبشر بن شريح الحطم بن ضبيعة القيسي وابن المحرش بن
عبد بن عمرو الحنفي وعددهم كعدد أهل مصر وأميرهم جميعا
حرفوص بن زهير السعدي سوى من تلاحق بهم من الناس فأما أهل
مصر فإنهم كانوا يشتهون عليا وأما أهل البصرة فإنهم كانوا يشتهون
طلحة وأما أهل الكوفة فإنهم كانوا يشتهون الزبير فخرجوا وهم على
الخروج جميع وفي الناس شتى لا يشك كل فرقة إلا أن الفلج معها
وأن أمرها سيتم دون الآخرين فخرجوا حتى إذا كانوا من المدينة
على ثلاث تقدم ناس من أهل البصرة فنزلوا ذا خشب وناس من أهل
الكوفة فنزلوا الاعوص وجاءهم ناس من أهل مصر وتركوا عامتهم بذى
المروة ومشى فيها بين أهل مصر وأهل البصرة زياد بن النضر وعبد
الله بن الاصم وقالوا لا تعجلوا ولا تعجلونا حتى ندخل لكم المدينة
ونرتاد فإنه بلغنا أنهم قد عسكروا لنا فوالله إن كان أهل المدينة قد
خافونا واستحلوا قتالنا ولم يعلموا علمنا فهم إذا علموا علمنا أشد
وإن أمرنا هذا لباطل وإن لم يستحلوا قتالنا ووجدنا الذي بلغنا باطلا
لنرجعن إليكم بالخبر قالوا اذهبوا فدخل الرجلان فلقيا أزواج النبي
صلى الله عليه وسلم وعليها وطلحة والزبير وقالوا إنما نأتى هذا البيت
ونستعفى هذا الوالي من بعض عمالنا ما جئنا إلا لذلك واستأذناهم
للناس بالدخول فكلهم أبى ونهى وقال بيض ما يفرخن فرجعا إليهم
فاجتمع من أهل مصر نفر فأتوا عليا ومن أهل البصرة نفر فأتوا طلحة
ومن أهل الكوفة نفر فأتوا الزبير وقال كل فريق منهم إن باعوا صاحبنا
وإلا كدناهم وفرقنا جماعتهم ثم كررنا حتى نبغتهم فأتى المصريون
عليا وهو في عسكر عند أحجار الزيت عليه حلة أفواف معتم
بشقيقة حمراء يمانية متقلد السيف ليس عليه قميص وقد سرح

[٣٨٧]

الحسن إلي عثمان فيمن اجتمع إليه فالحسن جالس عند عثمان
وعلى عند أحجار الزيت فسلم عليه المصريون وعرضوا له فصاح بهم
واطردهم وقال لقد علم الصالحون أن جيش ذي المروة وذى خشب
ملعونون على لسان محمد صلى الله عليه وسلم فارجعوا لا صحبتكم
الله قالوا نعم فانصرفوا من عنده على ذلك وأتى البصريون طلحة وهو
في جماعة أخرى إلى جنب علي وقد أرسل ابنه إلى عثمان فسلم
البصريون عليه وعرضوا له فصاح بهم واطردهم وقال لقد علم
المؤمنون أن جيش ذي المروة وذى خشب والاعوص ملعونون على
لسان محمد صلى الله عليه وسلم وأتى الكوفيون الزبير وهو في
جماعة أخرى وقد سرح ابنه عبدالله إلى عثمان فسلموا عليه
وعرضوا له فصاح بهم واطردهم وقال لقد علم المسلمون أن جيش
ذى المروة وذى خشب والاعوص ملعونون على لسان محمد صلى
الله عليه وسلم فخرج القوم وأروهم أنهم يرجعون فانفشوا عن ذي
خشب والاعوص حتى انتهوا إلى عساكرهم وهي ثلاث مراحل كي
يفترق أهل المدينة ثم يكروا راجعين فافترق أهل المدينة لخروجهم

فلما بلغ القوم عساكرهم كروا بهم فيغتوهم فلم يفجأ أهل المدينة إلا والتكبير في نواحي المدينة فنزلوا في مواضع عساكرهم وأحاطوا بعثمان وقالوا من كف يده فهو آمن وصلى عثمان بالناس أيا ما ولزم الناس بيوتهم ولم يمنعوا أحدا من كلام فاتاهم الناس فكلموهم وفيهم علي فقال ما ردكم بعد ذهابكم ورجوعكم عن رأيكم قالوا أخذنا مع بريد كتابا بقتلنا وأتاهم طلحة فقال البصريون مثل ذلك وأتاهم الزبير فقال الكوفيون مثل ذلك وقال الكوفيون والبصريون فنحن ننصر إخواننا ونمنعهم جميعا كأنما كانوا على ميعاد فقال لهم علي كيف علمتم يا أهل الكوفة ويا أهل البصرة بما لقي أهل مصر وقد سرتهم مراحل ثم طويتم نحونا هذا والله أمر أبرم بالمدينة قالوا فضوه على ما شئتم لا حاجة لنا في هذا الرجل ليعتزلنا وهو في ذلك يصلح بهم وهم يصلون خلفه ويعشى من شاء عثمان وهم في عينه أدق من التراب وكانوا لا يمنعون أحدا من الكلام وكانوا زمرا بالمدينة يمنعون الناس من الاجتماع وكتب عثمان إلى أهل الأمصار يستمدهم بسم الله الرحمن الرحيم أما بعد فإن الله

[٣٨٨]

عزوجل بعث محمدا بالحق بشيرا ونذيرا فبلغ عن الله ما أمره به ثم مضى وقد قضى الذي عليه وخلف فينا كتابه فيه حاله وحرامه وبيان الأمور التي قدر فأمضاها علي ما أحب العباد وكرهها فكان الخليفة أبو بكر رضى الله عنه وعمر رضى الله عنه ثم أدخلت في الشورى عن غير علم ولا مسألة ولا ملا من الامة ثم أجمع أهل الشورى عن ملا منهم ومن الناس علي غير طلب مني ولا محبة فعملت فيهم ما يعرفون ولا ينكرون تابعا غير مستتبع متبعا غير مبتدع مقتديا غير متكلف فلما انتهت الأمور وانتكث الشر بأهله بدت ضغائن وأهواء علي غير إجرام ولا ترة فيما مضى إلا إمضاء الكتاب فطلبوا أمرا وأعلنوا غيره بغير حجة ولا عذر فعاوبوا علي أشياء مما كانوا يرضون وأشياء عن ملا من أهل المدينة لا يصلح غيرها فصبرت لهم نفسي وكففتها عنهم منذ سنين وأنا أرى وأسمع فإزدادوا علي الله عزوجل جراءة حتى أغاروا علينا في جوار رسول الله صلى الله تعالى عليه وعلى آله وسلم وحرمه وأرض الهجرة وثابت إليهم الأعراب فهم كالأحزاب أيام الأحزاب أو من غزانا بأحد إلا ما يظهرون فمن قدر علي اللحاق بنا فليحرق فأتى الكتاب أهل الأمصار فخرجوا علي الصعبة والذلول فبعث معاوية حبيب ابن مسلمة الفهري وبعث عبدالله بن سعد معاوية بن خديج السكوني وخرج من أهل الكوفة القعقاع بن عمرو وكان المحضين بالكوفة علي إعانة أهل المدينة عقبة بن عمرو وعبد الله بن أبي أوفى وحنظلة بن الربيع التميمي في أمثالهم من أصحاب النبي صلى الله عليه وآله وكان المحضين بالكوفة من التابعين أصحاب عبدالله مسروق بن الأجدع والأسود بن يزيد وشريح ابن الحارث وعبد الله بن عكيم في أمثالهم يسرون فيها ويطوفون علي مجالسها يقولون يا أيها الناس إن الكلام اليوم وليس به غدا وإن النظر يحسن اليوم ويقبح غدا وإن القتال يحل اليوم ويحرم غدا انهضوا إلى خليفتم وعصمة أمركم وقام بالبصرة عمران بن حصين وأنس بن مالك وهشام بن عامر في أمثالهم من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم يقولون مثل ذلك ومن التابعين كعب بن سور وهرم

[٣٨٩]

حيان العيدي وأشباه لهما يقولون ذلك وقام بالشأم عبادة بن الصامت وأبو الدرداء وأبو أمامة في أمثالهم من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم يقولون مثل ذلك ومن التابعين شريك بن خباشة

النميري وأبو مسلم الخولاني وعبد الرحمن بن غنم يمثل ذلك وقام بمصر خارجة في أشباه له وقد كان بعض المحضين قد شهد قدومهم فلما رأوا حالهم انصرفوا إلى أمصارهم بذلك وقاموا فيهم ولما جاءت الجمعة التي على أثر نزول المصريين مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج عثمان فصلى بالناس ثم قام على المنبر فقال يا هؤلاء العدى الله الله فوالله إن أهل المدينة ليعلمون أنكم ملعونون على لسان محمد صلى الله عليه وسلم فامحوا الخطايا بالصواب فإن الله عزوجل لا يمحو السيئ إلا بالحسن فقام محمد بن مسلمة فقال أنا أشهد بذلك فأخذه حكيم بن جبلة فأقعه زيد بن ثابت فقال ابغني الكتاب فثار إليه من ناحية أخرى محمد بن أبي قتيبة فأقعه وقال فأفطع وثار القوم بأجمعهم فحصبوا الناس حتى أخرجوهم من المسجد وحصبوا عثمان حتى صرع عن المنبر مغشيا عليه فاحتمل فأدخل داره وكان المصريون لا يطمعون في أحد من أهل المدينة أن يساعدهم إلا في الثلاثة نفر فانهم كانوا يرأسلونهم محمد بن أبي بكر ومحمد بن أبي حذيفة وعمار بن ياسر وشمر أناس من الناس فاستقتلوا منهم سعد بن مالك وأبو هريرة وزيد بن ثابت والحسن بن علي فبعث إليهم عثمان بعزمه لما انصرفوا فانصرفوا وأقبل علي عليه السلام حتى دخل على عثمان وأقبل طلحة حتى دخل عليه وأقبل الزبير حتى دخل عليه يعودونه من صرعته ويشكون بنهم ثم رجعوا إلى منازلهم (كتب الي السري) عن شعيب عن سيف عن أبي عمرو عن الحسن قال قلت له هل شهدت حصر عثمان قال نعم وأنا يومئذ غلام في أترب لي في المسجد فإذا كثر اللغط جئوت على ركبتي أو قمت فأقبل القوم حين أقبلوا حتى نزلوا المسجد وما حوله فاجتمع إليهم أناس من أهل المدينة يعظمون ما صنعوا وأقبلوا على أهل المدينة يتوعدونهم فبيناهم كذلك في لغطهم حول الباب فطلع عثمان فكأنما كانت نار أطفئت فعمد إلى المنبر فصعد فحمد الله وأثنى عليه

[٣٩٠]

فثار رجل فأقعه رجل وقام آخر فأقعه آخر ثم ثار القوم فحصبوا عثمان حتى صرع فاحتمل فأدخل فصلى بهم عشرين يوما ثم منعه من الصلاة (كتب إلي السري) عن شعيب عن سيف عن محمد وطلحة وأبي حارثة وأبي عثمان قالوا صلى عثمان بالناس بعد ما نزلوا به في المسجد ثلاثين يوما ثم انهم منعه الصلاة فصلى بالناس أميرهم الغافقي دان له المصريون والكوفيون والبصريون وتفرق أهل المدينة في حيطانهم ولزموا بيوتهم لا يخرج أحد ولا يجلس إلا وعليه سيفه يمتنع به من رهق القوم وكان الحصار أربعين يوما وفيهن كان القتل ومن تعرض لهم وضعوا فيه السلاح وكانوا قبل ذلك ثلاثين يوما يكفون * وأما غير سيف فان منهم من قال كانت مناظرة القوم عثمان وسبب حصارهم إياه ما حدثني به يعقوب بن ابراهيم قال حدثنا معتمر بن سليمان التيمي قال حدثنا أبي قال حدثنا أبو نضرة عن أبي سعيد مولى أبي أسيد الانصاري قال سمع عثمان أن وفد أهل مصر قد أقبلوا قال فاستقبلهم وكان في قرية له خارجة من المدينة أو كما قال فلما سمعوا به أقبلوا نحوه إلى المكان الذي هو فيه قال وكره أن يقدموا عليه المدينة أو نحو من ذلك قال فأتوه فقالوا له ادع بالمصحف قال فدعا بالمصحف قال فقالوا له افتح السابعة قال وكانوا يسمون سورة يونس السابعة قال فقرأها حتى أتى على هذه الآية " قل أرأيتم ما أنزل الله لكم من رزق فجعلتم منه حراما وحلالا قل الله أذن لكم أم على الله تفترون " قال قالوا له قف فقالوا له أرأيت ما حميت من الحمى الله أذن لك أم على الله تفتري قال فقال امضه نزلت في كذا وكذا قال وأما الحمى فان عمر حمى الحمى قبلي لابل الصدقة فلما وليت زادت ابل الصدقة فردت في الحمى لما زاد في ابل الصدقة امضه قال فجعلوا يأخذونه بالآية فيقول امضه نزلت في كذا وكذا قال والذي يتولى كلام عثمان يومئذ

في سنك قال يقول أبو نضرة يقول ذلك لي أبو سعيد قال أبو نضرة وأنا في سنك يومئذ قال ولم يخرج وجهي يومئذ لا أدري ولعله قد قال مرة أخرى وأنا يومئذ ابن ثلاثين سنة ثم أخذه بأشياء لم يكن عنده منها مخرج قال فعرفها فقال أستغفر الله وأتوب إليه قال فقال لهم ما تريدون قال فأخذوا ميثاقه

[٣٩١]

أقل وأحسبه قال وكتبوا عليه شرطا وأخذ عليهم ألا يشقوا عصا ولا يفارقوا جماعة ما قام لهم بشرطهم أو كما أخذوا عليه قال فقال لهم ما تريدون قالوا نريد ألا يأخذ أهل المدينة عطاء فانما هذا المال لمن قاتل عليه ولهؤلاء الشيوخ من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فرضوا بذلك وأقبلوا معه إلى المدينة راضين قال فقام فخطب فقال إني ما رأيت والله وفدا في الأرض هم خير لحوباتي من هذا الوفد الذين قدموا علي وقد قال مرة أخرى خشيت من هذا الوفد من أهل مصر ألا من كان له زرع فليلق بزعره ومن كان له زرع فليحتلب ألا إنه لا مال لكم عندنا إنما هذا المال لمن قاتل عليه ولهؤلاء الشيوخ من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فغضب الناس وقالوا هذا مكر بني أمية قال ثم رجع الوفد المصريون راضين فبيناهم في الطريق إذا هم براكب يتعرض لهم ثم يفارقهم ثم يرجع إليهم ثم يفارقهم ويسينهم قال قالوا له مالك إن لك لامرا ما شأنك قال فقال أنا رسول أمير المؤمنين إلى عامله بمصر ففتشوه فإذا هم بالكتاب علي لسان عثمان عليه خاتمه إلى عامله بمصر أن يصلبهم أو يقتلهم أو يقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف قال فأقبلوا حتى قدموا المدينة قال فأتوا عليا فقالوا ألم تر إلى عدو الله إنه كتب فينا بكذا وكذا وإن الله قد أحل دمه قم معنا إليه قال والله لا أقوم معكم إلى أن قالوا فلم كتبت الينا فقال والله ما كتبت اليكم كتابا قط فنظر بعضهم إلى بعض ثم قال بعضهم لبعض أهدأ تقاتلون أو لهذا تغضبون قال فانطلق علي فخرج من المدينة إلى قرية قال فانطلقوا حتى دخلوا على عثمان فقالوا كتبت فينا بكذا وكذا قال فقال إنما هما اثنتان أن تقيموا علي رجلين من المسلمين أو يميني بالله الذي لا إله إلا هو ما كتبت ولا أمللت ولا علمت قال وقد تعلمون أن الكتاب يكتب علي لسان الرجل وقد ينقش الخاتم على الخاتم قال فقالوا فقد والله أحل الله دمك ونقضت العهد والميثاق قال فحاصروه * وأما الواقدي فانه ذكر في سبب مسير المصريين إلى عثمان ونزولهم ذا خشب أمورا كثيرة منها ما قد تقدم ذكره ومنها ما أعرضت عن ذكره كراهة منى ذكره لبشاعته ومنها ما ذكر أن عبدالله بن جعفر حدثه عن أبي عون مولى

[٣٩٢]

المسور قال كان عمرو بن العاص على مصر عاملا لعثمان فعزله عن الخراج واستعمله على الصلاة واستعمل عبدالله بن سعد على الخراج ثم جمعهما لعبد الله بن سعد فلما قدم عمرو بن العاص المدينة جعل يطعن علي عثمان فأرسل إليه يوما عثمان خاليا به فقال يا ابن النابغة ما أسرع ما قمل جربان جبتك إنما عهدك بالعمل عاما أول أنطعن علي وتأتيني بوجه وتذهب عني بأخر والله لولا أكلة ما فعلت ذلك قال فقال عمرو إن كثيرا مما يقول الناس وينقلون إلي ولاتهم باطل فاتق الله يا أمير المؤمنين في رعيتك فقال عثمان والله لقد استعملتك على ظلعك وكثرة القالة فيك فقال عمرو قد كنت عاملا لعمر بن الخطاب ففارقني وهو عني راض قال فقال عثمان وأنا والله لو أخذتك بما أخذك به عمر لاستقمت ولكني لنت عليك فاجترأت علي أما والله لانا أعز منك نفرا في الجاهلية وقبل ان ألى

هذا السلطان فقال عمرو دع عنك هذا فالحمد لله الذي أكرمنا
بمحمد صلى الله عليه وسلم وهدانا به قد رأيت العاصي بن وائل
ورأيت أباك عفان فوالله للعاص كان أشرف من أبيك قال فانكسر
عثمان وقال مالنا ولذكر الجاهلية قال وخرج عمرو ودخل مروان فقال
يا أمير المؤمنين وقد بلغت مبلغا يذكر عمرو بن العاص أباك فقال
عثمان دع هذا عنك من ذكر آباء الرجال ذكروا أباه قال فخرج عمرو
من عند عثمان وهو محتقد عليه يأتي عليا مرة فيؤلبه على عثمان
ويأتي الزبير مرة فيؤلبه على عثمان ويأتي طلحة مرة فيؤلبه على
عثمان ويعترض الحاج فيخبرهم بما أحدث عثمان فلما كان حصر
عثمان الاول خرج من المدينة حتى انتهى إلى أرض له بفلسطين
يقال لها السبع فنزل في قصر له يقال له العجلان وهو يقول العجب
ما يأتينا عن ابن عفان قال فيينا هو جالس في قصره ذلك ومعه ابنه
محمد وعبد الله وسلامة بن روح الجذامي إذ مر بهم راكب فناده
عمرو من أين قدم الرجل فقال من المدينة قال ما فعل الرجل يعني
عثمان قال تركته محصورا شديد الحصار قال عمرو أنا أبو عبدالله قد
يضرط العير والمكواة في النار فلم يبرح مجلسه ذلك حتى مر به
راكب آخر فناده عمرو ما فعل الرجل يعني عثمان قال قتل قال أنا أبو
عبد الله إذا حككت قرحة

[٣٩٣]

نكأتها إن كنت لاحرض عليه حتى إنني لاحرض عليه الراعي في
غنمه في رأس الجبل فقال له سلامة بن روح يا معشر قريش إنه
كان بينكم وبين العرب باب وثيق فكسرتموه فما حملكم على ذلك
فقال أردنا أن نخرج الحق من حافة الباطل وأن يكون الناس في
الحق شرعا سواء وكانت عند عمرو أخت عثمان لأمه أم كلثوم بنت
عقبة بن أبي معيط ففارقها حين عزله قال محمد بن عمرو حدثني
عبدالله بن محمد عن أبيه قال كان محمد بن أبي بكر ومحمد بن أبي
حذيفة بمصر يحرضان على عثمان فقدم محمد بن أبي بكر وأقام
محمد بن أبي حذيفة بمصر فلما خرج المصريون خرج عبدالرحمن بن
عديس البلوي في خمسمائة وأظهروا أنهم يريدون العمرة وخرجوا
في رجب وبعث عبدالله بن سعد رسولا سار إحدى عشرة ليلة يخبر
عثمان أن ابن عديس وأصحابه قد وجهوا نحوه وأن محمد بن أبي
حذيفة شيعهم إلى عجرود ثم رجع وأظهر محمد أن قال خرج القوم
عمارا وقال في السر خرج القوم إلى إمامهم فإن نزع وإلا قتلوه وسار
القوم المنازل لم يعدوها حتى نزلوا ذا خشب وقال عثمان قبل
قدومهم حين جاءه رسول عبدالله بن سعد هؤلاء قوم من أهل مصر
يريدون بزعمهم العمرة والله ما أراهم يريدونها ولكن الناس قد دخل
بهم وأسرعوا إلى الفتنة وطال عليهم عمري أما والله لئن فارقتهم
ليتمنون أن عمري كان طال عليهم مكان كل يوم بسنة مما يرون من
الدماء المسفوكة والاحن والاثرة الظاهرة والاحكام المغيرة قال فلما
نزل القوم ذا خشب جاء الخبر أن القوم يريدون قتل عثمان إن لم ينزع
وأتى رسولهم إلى علي ليلا وإلى طلحة وإلى عمار بن ياسر وكتب
محمد بن أبي حذيفة معهم إلى علي كتابا فجاءوا بالكتاب إلى علي
فلم يظهر على ما فيه فلما رأى عثمان ما رأى جاء عليا فدخل عليه
بيته فقال يا ابن عم إنه ليس لي مترك وإن قرابتي قريبة ولي حق
عظيم عليك وقد جاء ما ترى من هؤلاء القوم وهم مصيحي وأنا أعلم
أن لك عند الناس قدرا وأنهم يسمعون منك فانا أحب أن تركب إليهم
فتردهم عني فإنني لا أحب أن يدخلوا علي فإن ذلك جرة منهم
علي وليسمع بذلك غيرهم فقال علي علام أردتهم قال علي ان
أصير إلى ما أشرت به علي ورأيت له وليست أخرج من يدك فقال
علي إنني قد كنت كلمتك مرة بعد مرة فكل ذلك نخرج فتكلم ونقول
وتقول وذلك كله

فعل مروان بن الحكم وسعيد بن العاص وابن عامر ومعاوية أطعتهم وعصيتني قال عثمان فإني أعصيههم وأطيعك قال فأمر الناس فركبوا معه المهاجرون والانصار قال وأرسل عثمان إلى عمار بن ياسر بكلمه أن يركب مع علي فأبى فأرسل عثمان إلى سعد ابن أبي وقاص فكلمه أن يأتي عمارا فيكلمه أن يركب مع علي قال فخرج سعد حتى دخل على عمار فقال يا أبا اليقظان ألا تخرج فيمن يخرج وهذا علي يخرج فأخرج معه وردد هؤلاء القوم عن امامك فإني لاحسب انك لم تركب مركبا هو خير لك منه قال وأرسل عثمان إلى كثير بن الصلت الكندي وكان من أعوان عثمان فقال انطلق في إثر سعد فاسمع ما يقول سعد لعمار وما يرد عمار على سعد ثم أئني سريعا قال فخرج كثير حتى يجد سعدا عند عمار مخليا به فألقم عينه حجر الباب فقام إليه عمار ولا يعرفه وفي يده قضيب فأدخل القضيب الجحر الذي ألقمه كثير عينه فأخرج كثير عينه من الجحر وولى مديرا متقنعا فخرج عمار فعرف أثره ونادى يا قليل ابن أم قليل أعلي تطلع وتستمع حديثي والله لو دريت أنك هو لفقات عينك بالقضيب فان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أحل ذلك ثم رجع عمار إلى سعد فكلمه سعد وجعل يفتله بكل وجه فكان آخر ذلك أن قال عمار والله لا أردهم عنه أبدا فرجع سعد إلى عثمان فاخبره بقول عمار فاتهم عثمان سعدا أن يكون لم يناصره فأقسم له سعد بالله لقد حرض فقبل منه عثمان قال وركب علي عليه السلام إلى أهل مصر فردهم عنه فانصرفوا راجعين قال محمد بن عمر حدثني محمد بن صالح عن عاصم بن عمر عن محمود بن لبيد قال لما نزلوا ذا خشب كلم عثمان عليا وأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يردوهم عنه فركب علي وركب معه نفر من المهاجرين فيهم سعيد بن زيد وأبو جهم العدوي وجبير بن مطعم وحكيم بن حزام ومروان بن الحكم وسعيد بن العاص وعبد الرحمن بن عتاب بن أسيد وخرج من الناصر أبو أسيد الساعدي وأبو حميد الساعدي وزيد بن ثابت وحسان بن ثابت وكعب بن مالك ومعهم من العرب نيار بن مكرز وغيرهم ثلاثون رجلا وكلمهم علي ومحمد بن مسلمة وهما اللذان قدما فسمعوا مقالتهما ورجعوا قال

محمود فاخبرني محمد بن مسلمة قال ما برحنا من ذي خشب حتى رحلوا راجعين إلى مصر وجعلوا يسلمون علي فما أنسى قول عبدالرحمن بن عديس أتوصينا يا أبا عبدالرحمن بحاجة قال قلت تتقى الله وحده لا شريك له وترد من قبلك عن امامه فانه قد وعدنا أن يرجع وينزع قال ابن عديس أفعل ان شاء الله قال فرجع القوم إلى المدينة قال محمد بن عمر فحدثني عبدالله بن محمد عن أبيه قال لما رجع علي عليه السلام إلى عثمان رضى الله عنه أخبره أنهم قد رجعوا وكلمه علي كلاما في نفسه قال له اعلم أني قائل فيك أكثر مما قلت قال ثم خرج إلى بيته قال فمكث عثمان ذلك اليوم حتى إذا كان الغد جاءه مروان فقال له تكلم وأعلم الناس أن أهل مصر قد رجعوا وأن ما بلغهم عن إمامهم كان باطلا فإن خطبتك تسير في البلاد قبل أن يتحلب الناس عليك من أمصارهم فيأتيك من لا تستطيع دفعه قال فأبى عثمان أن يخرج قال فلم يزل به مروان حتى خرج فجلس على المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال أما بعد إن هؤلاء القوم من أهل مصر كان بلغهم عن إمامهم أمرا فلما تيقنوا أنه باطل ما بلغهم عنه رجعوا إلى بلادهم قال فناداه عمرو بن العاص من ناحية المسجد اتق الله يا عثمان فإنك قد ركبت نهائير وركبناها معك فتب إلى الله نتب قال فناداه عثمان وإنك هناك يا ابن النابغة فملت والله جيتك منذ تركتك من العمل قال فنودي من ناحية أخرى تب إلى الله وأظهر التوبة يكف الناس عنك قال فرجع عثمان يديه مدا

واستقبل القبلة فقال اللهم إني أول تائب تاب إليك ورجع إلى منزله وخرج عمرو ابن العاص حتى نزل منزله بفلسطين فكان يقول والله إن كنت لالقي الراعي فأحرضه عليه قال محمد بن عمر فحدثني علي بن عمر عن أبيه قال ثم إن عليا جاء عثمان بعد انصراف المصريين فقال له تكلم كلاما يسمعه الناس منك ويشهدون عليه ويشهد الله على ما في قلبك من النزوغ والاناة فان البلاد قد تمخضت عليك فلا آمن ركبا آخرين يقدمون من الكوفة فتقول يا علي اركب إليهم ولا أقدر أن أركب إليهم ولا أسمع عذرا ويقدم ركب آخرون من البصرة فنقول يا علي اركب

[٣٩٦]

إليهم فان لم أفعل رأيتني قد قطعت رحمك واستخففت بحقك قال فخرج عثمان فخطب الخطبة التي نزع فيها وأعطى الناس من نفسه التوبة فقام فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله ثم قال أما بعد أيها الناس فوالله ما عاب من عاب منكم شيئا أجهله وما جئت شيئا إلا وأنا أعرفه ولكني مننتني نفسي وكذبتني وضل عني رشدي ولقد سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من زل فليتب ومن أخطأ فليتب ولا يتمادى في الهلكة إن من تمادى في الجور كان أبعد من الطريق فأنا أول من اتعظ أستغفر الله مما فعلت وأتوب إليه فمثلي نزع وتاب فإذا نزلت فليأتني أشرافكم فليروني رأيهم فوالله لئن ردني الحق عبدا لاستنن بسنة العبد ولاذلين ذل العبد ولاكونن كالمرفوق إن ملك صبر وإن عتق شكر وما عن الله مذهب إلا إليه فلا يعجزن عنكم خياركم أن يدنوا إلي لئن أبت يميني لتتبعني شمالي قال فرق الناس له يومئذ وبكى من بكى منهم وقام إليه سعيد بن زيد فقال يا أمير المؤمنين ليس بواصل لك من ليس معك الله الله في نفسك فأتمم على ما قلت فلما نزل عثمان وجد في منزله مروان وسعيدا ونفرا من بنى أمية ولام يكونوا شهدوا الخطبة فلما جلس قال مروان يا أمير المؤمنين أتكلم أم أصمت فقلت نائلة ابنة الفرافصة امرأة عثمان الكلبي لا بل اصمت فانهم والله قاتلوه ومؤتموه إنه قد قال مقالة لا ينبغي له أن ينزع عنها فأقبل عليها مروان فقال ما أنت وذاك فوالله لقد مات أبوك وما يحسن يتوصاً فقالن له مهلا يا مروان عن ذكر الآباء تخبر عن أبي وهو غائب تكذب عليه وإن أباك لا يستطيع أن يدفع عنه أما والله لولا أنه عمه وأنه يناله غمه أخبرتك عنه ما لي أكذب عليه قال فأعرض عنها مروان ثم قال يا أمير المؤمنين أتكلم أم أصمت قال بل تكلم فقال مروان بأبي أنت وأممي والله لو ددت أن مقاتلك هذه كانت وأنت ممتنع منيع فكنت أول من رضى بها وأعان عليها ولكنك قلت ما قلت حين بلغ الحزام الطيبين وخلف السبيل الزبي وحين أعطى الخطة الدليلة الدليل والله لاقامة على خطيئة تستغفر الله منها أجمل من توبة تخوف عليها وإنك إن شئت تقربت بالتوبة ولم تقرب بالخطيئة وقد اجتمع إليك على الباب مثل الجبال من الناس فقال عثمان فاخرج إليهم

[٣٩٧]

فكلمهم فاني أستحيي أن أكلمهم قال فخرج مروان إلي الباب والناس يركب بعضهم بعضا فقال ما شأنكم قد اجتمعتم كأنكم قد جئتم لنهب شاهت الوجوه كل إنسان أخذ باذن صاحبه ألا من أريد جئتم تريدون أن تنزعوا ملكنا من أيدينا اخرجوا عنا أما والله لئن رمتمونا ليمرن عليكم منا أمر لا يسركم ولا تحمدوا غيب رأيكم ارجعوا إلى منازلكم فإنا والله ما نحن مغلوبين على ما في أيدينا قال فرجع الناس وخرج بعضهم حتى أتى عليا فأخبره الخبر فجاء علي عليه السلام مغضبا حتى دخل على عثمان فقال أما رضيت من مروان ولا

رضى منك إلا بتحرفك عن دينك وعن عقلك مثل جمل الطعينة يقاد حيث يسار به والله ما مروان بذى رأى في دينه ولا نفسه وإيم الله إنى لأراه سيوردك ثم لا يصدرك وما أنا بعائد بعد مقامي هذا لمعاتبتك أذهلت شرفك وغلبت على أمرك فلما خرج على دخلت عليه نائلة ابنة الفرافصة امرأته فقالت أتكلم أو أسكت فقال تكلمي فقالت قد سمعت قول علي لك وإنه ليس يعاودك وقد أطعت مروان يقودك حيث شاء قال فما أصنع قالت تتقي الله وحده لا شريك له وتتبع سنة صاحبيك من قبلك فإنك متى أطعت مروان قتلك ومروان ليس له عند الناس قدر ولا هيبة ولا محبة وإنما تركك الناس لمكان مروان فأرسل إلى علي فاستصلحه فإن له قرابة منك وهو لا يعصى قال فأرسل عثمان إلى علي فأبى أن يأتيه وقال قد أعلمته إنى لست بعائد قال فبلغ مروان مقالة نائلة فيه قال فجاء إلى عثمان فجلس بين يديه فقال أتكلم أو أسكت فقال تكلم فقال إن بنت الفرافصة فقال عثمان لا تذكرنها بحرف فأسوء لك وجهك فهي الله أنصح لي منك قال فكف مروان قال محمد بن عمر وحدثني شرحبيل بن أبي عون عن أبيه قال سمعت عبدالرحمن بن الاسود بن عبد يغوث يذكر مروان بن الحكم قال قبح الله مروان خرج عثمان إلى الناس فأعطاهم الرضا ويكى على المنبر ويكى الناس حتى نظرت إلى لحية عثمان مخضلة من الدموع وهو يقول اللهم إنى أتوب اليك اللهم إنى أتوب اليك والله لئن رذنني الحق إلى أن أكون عبدا قنا لارضين به إذا دخلت منزلي فادخلوا علي فوالله لا أحتجب منكم ولا أعطينكم الرضا ولا يزيدنكم على الرضا ولا نحن

[٣٩٨]

مروان وذويه قال فلما دخل أمر بالباب ففتح ودخل بيته ودخل عليه مروان فلم يزل يفتله في الذروة والغارب حتى فتله عن رأيه وأزاله عما كان يريد فلقد مكث عثمان ثلاثي أيام ما خرج استحياء من الناس وخرج مروان إلى الناس فقال شأهت الوجوه الا من أريد إليه ولا قر في بيته قال عبدالرحمن فجئت إلى علي فأجده بين القبر والمنبر وأجد عنده عمار ابن ياسر ومحمد بن أبي بكر وهما يقولان صنع مروان بالناس وصنع قال فأقبل علي فقال أحضرت خطبة عثمان قلت نعم قال أفحضرت مقالة مروان للناس قلت نعم قال علي عياذ الله يا للمسلمين اني ان فعدت في بيتي قال لي تركتني وقرابتي وحقي وإنى إن تكلمت فجاء ما يريد يلعب به مروان فصار سيقه له يسوقه حيث شاء بعد كبر السن وصحبة رسول الله صلى الله عليه وسلم قال عبدالرحمن بن الاسود فلم يزل حتى جاء رسول عثمان أثنى فقال علي بصوت مرتفع عال مغضب قل له ما أنا بداخل عليك ولا عائد قال فانصرف الرسول قال فلقبت عثمان بعد ذلك بليلتين خائبا فسألت ناتلا غلامه من أين جاء أمير المؤمنين فقال كان عند علي فقال عبدالرحمن بن الاسود فغدوت فجلست مع علي عليه السلام فقال لي جاءني عثمان البارحة فجعل يقول إنى غير عائد وإنى فاعل قال فقلت له بعد ما تكلمت به على منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم وأعطيت من نفسك ثم دخلت بيتك وخرج مروان إلى الناس فشتهم على بابك ويؤذيهم قال فرجع وهو يقول قطعت رحمي وخذلتني وجرأت الناس على فقلت والله إنى لأذب الناس عنك ولكني كلما جئت بك بهنة أظنها لك رضى جاء بأخرى فسمعت قول مروان على واستدخلت مروان قال ثم انصرف إلى بيته قال عبدالرحمن بن الاسود فلم أزل أرى عليا منكبا عنه لا يفعل ما كان يفعل إلا أنى أعلم أنه قد كلم طلحة حين حصر في أن يدخل عليه الروايا وغضب في ذلك غضبا شديدا حتى دخلت الروايا علي عثمان قال محمد بن عمرو حدثني عبدالله بن جعفر عن إسماعيل بن محمد أن عثمان صعد يوم الجمعة المنبر فحمد الله وأثنى عليه فقام رجل فقال أقم كتاب الله فقال عثمان

اجلس فجلس حتى قام ثلاثا فأمر به عثمان فجلس فتحاثوا بالحصاء حتى ما ترى السماء وسقط عن المنبر وحمل فأدخل داره مغشيا عليه فخرج رجل من حجاب عثمان ومعه مصحف في يده وهو ينادى " إن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا لست منهم في شيء إنما أمرهم إلى الله " ودخل علي بن أبي طالب على عثمان رضى الله عنهما وهو مغشى عليه وبنو أمية حوله فقال مالك يا أمير المؤمنين فأقبلت بنو أمية بمنطق واحد فقالوا يا علي أهلكتنا وصنعت هذا الصنيع بأمر المؤمنين أما والله لئن بلغت الذي تريد لتمرن عليك الدنيا فقام علي مغضبا (وفي هذه السنة) قتل عثمان بن عفان رضى الله عنه ذكر الخبر عن قتله وكيف قتل (قال أبو جعفر رحمه الله) قد ذكرنا كثيرا من الاسباب التي ذكر قائلوه أنهم جعلوها ذريعة إلى قتله فأعرضنا عن ذكر كثير منها لعل دعوت إلى الاعراض عنها ونذكر الآن كيف قتل وما كان بدء ذلك وافتتاحه ومن كان المبتدئ به والمفتتح للجرأة عليه قبل قتله * ذكر محمد بن عمر أن عبدالله ابن جعفر حدثه عن أم بكر بنت المسور بن مخزومة عن أبيها قال قدمت إبل من إبل الصدقة على عثمان فوهبها لبعض بني الحكم فبلغ ذلك عبدالرحمن بن عوف فأرسل إلى المسور بن مخزومة وإلى عبدالرحمن بن الاسود بن عبد يغوث فأخذاها فقسما عبدالرحمن في الناس وعثمان في الدار قال محمد بن عمر وحدثني محمد بن صالح بن عبید الله بن رافع بن نقاحة عن عثمان بن الشريد قال مر عثمان على جبلة بن عمرو الساعدي وهو بفناء داره ومعه جامعة فقال يانعثل والله لاقتلنك ولاحملنك على قلوب جرباء ولاخرجنك إلى حرة النار ثم جاءه مرة أخرى وعثمان على المنبر فأنزله عنه * حدثني محمد قال حدثني أبو بكر بن إسماعيل عن أبيه عن عامر بن سعد قال كان أول من اجترأ على عثمان بالمنطق السيئ جبلة بن عمرو الساعدي مر به عثمان وهو جالس في ندى قومه وفي يد جبلة بن عمرو وجامعة فلما مر عثمان سلم فرد القوم فقال جبلة لم تردون على رجل فعل كذا وكذا قال ثم أقبل على عثمان

فقال والله لا طرحن هذه الجامعة في عنقك أو لتتركن بطانتك هذه قال عثمان أي بطانة فوالله إنني لا تخير الناس فقال مروان تخيرته ومعاوية تخيرته وعبد الله ابن عامر بن كريب تخيرته وعبد الله بن سعد تخيرته منهم من نزل القرآن بدمه وأباح رسول الله صلى الله عليه وسلم دمه قال فانصرف عثمان فما زال الناس مجترئين عليه إلى هذا اليوم * قال محمد بن عمرو حدثني ابن أبي الزناد عن موسى بن عقبة عن أبي حبيبة قال خطب عثمان الناس في بعض أيامه فقال عمرو بن العاص يا أمير المؤمنين إنك قد ركبت نهابير وركبناها معك فتب نتب فاستقبل عثمان القبلة وشهر يديه قال أبو حبيبة فلم أر يوما أكثر باكيا ولا باكية من يومئذ ثم لما كان بعد ذلك خطب الناس فقام إليه جهجاه الغفاري فصاح يا عثمان ألا إن هذه شارف قد جئنا بها عليها عباءة وجامعة فانزل فلندرعك العباءة ولنطرحك في الجامعة ولنحملك على الشارف ثم نطرحك في جبل الدخان فقال عثمان قبحك الله وقبح ما جئت به قال أبو حبيبة ولم يكن ذلك منه إلا عن ملا من الناس وقام إلى عثمان خيره وشيعته من بني أمية فحملوه فأدخلوه الدار قال أبو حبيبة فكان آخر ما رأته فيه * قال محمد وحدثني أسامة بن زيد الليثي عن يحيى بن عبدالرحمن بن حاطب عن أبيه قال أنا أنظر إلى عثمان يخطب على عصا النبي صلى الله عليه وسلم التي كان يخطب عليها وأبو بكر وعمر رضى الله عنهما فقال له جهجاه قم يانعثل فانزل عن هذا المنبر وأخذ العصا فكسرها

على ركبته اليمنى فدخلت شظية منها فيقى الجرح حتى أصابته
الأكلة فرأيتها تدود فنزل عثمان وحملوه وأمر بالعصا فشدوها فكانت
مضية فما خرج بعد ذلك اليوم إلا خرقة أو خرقتين حتى حصر فقتل
* حدثني أحمد بن إبراهيم قال حدثنا عبدالله بن إدريس عن عبيد
الله بن عمر عن نافع أن جهجاها الغفاري أخذ عصا كانت في يد
عثمان فكسرها على ركبته فرمى في ذلك المكان بأكلة * حدثني
جعفر بن عبدالله المحمدي قال حدثنا عمرو عن محمد بن إسحاق
ابن يسار المدني عن عمه عبدالرحمن بن يسار أنه قال لما رأى
الناس ما صنع عثمان كتب من بالمدينة من أصحاب النبي صلى الله
عليه وسلم إلى ما بالآفاق منهم

[٤٠١]

وكانوا قد تفرقوا في الثغور انكم إنما خرجتم أن تجاهدوا في سبيل
الله عزوجل تطلبون دين محمد صلى الله عليه وسلم فإن دين محمد
قد أفسد من خلفكم وترك فهلما فأقيموا دين محمد صلى الله عليه
وسلم فأقبلوا من كل أفق حتى قتلوه وكتب عثمان إلى عبدالله بن
سعد بن أبي سرح عامله على مصر حين تراجع الناس عنه وزعم أنه
تائب بكتاب في الذين شخصوا من مصر وكانوا أشد أهل الأمصار
عليه أما بعد فانظر فلانا وفلانا فاضرب أعناقهم إذا قدموا عليك فانظر
فلانا وفلانا فعاقبهم بكذا وكذا منهم نفر من أصحاب رسول الله صلى
الله عليه وسلم ومنهم قوم من التابعين فكان رسوله في ذلك أبو
الأعور بن سفيان السلمى حملة عثمان على جمل له ثم أمره أن
يقبل حتى يدخل مصر قبل أن يدخلها القوم فلحقهم أبو الأعور ببعض
الطريق فسألوه أين يريد قال أريد مصر ومعه رجل من أهل الشام من
خولان فلما رآوه على جمل عثمان قالوا له هل معك كتاب قال لا
قالوا فيم أرسلت قال لا علم لي قالوا ليس معك كتاب ولا علم لك
بما أرسلت إن أمرك لمريب ففتشوه فوجدوا معه كتابا في أداة
بابسة فنظروا في الكتاب فإذا فيه قتل بعضهم وعقوبة بعضهم في
أنفسهم وأموالهم فلما رأوا ذلك رجعوا إلى المدينة فبلغ الناس
رجوعهم والذي كان من أمرهم فتراجعوا من الآفاق كلها وثار أهل
المدينة * حدثني جعفر قال حدثنا عمرو وعلي قال حدثنا حسين عن
أبيه عن محمد بن السائب الكلبي قال إنما رد أهل مصر إلى عثمان
بعد انصرافهم عنه أنه أدركهم غلام لعثمان على جمل له بصحيفة
إلى أمير مصر أن يقتل بعضهم وأن يصلب بعضهم فلما أتوا عثمان
قالوا هذا غلامك قال غلامي انطلق بغير علمي قالوا جملك قال أخذه
من الدار بغير أمرى قالوا خاتمك قال نقش عليه فقال عبدالرحمن بن
عديس التجيبى حين أقبل أهل مصر أقبلن من بلبس والصدع *
خوصا كأمثال القسى فود مستحقيات حلق الحديد * يطلبن حق الله
في الوليد وعند عثمان وفى سعيد * يا رب فارجعنا بما نريد

[٤٠٢]

فلما رأى عثمان ما قد نزل به وما قد انبعث عليه من الناس كتب إلى
معاوية بن أبي سفيان وهو بالشام بسم الله الرحمن الرحيم أما بعد
فإن أهل المدينة قد كفروا وأخلفوا الطاعة ونكثوا البيعة فابعث إلي
من قبلك من مقاتلة أهل الشام على كل صعب وذلول فلما جاء
معاوية الكتاب تربص به وكره إظهار مخالفة أصحاب رسول الله صلى
الله عليه وسلم وقد علم اجتماعهم فلما أبطأ أمره على عثمان كتب
إلى يزيد بن أسد بن كرز وإلى أهل الشام يستنفرهم ويعظم حقه
عليهم ويذكر الخلفاء وما أمر الله عزوجل به من طاعتهم ومناصحتهم
ووعدهم أن ينجدهم جند أو بطانة دون الناس وذكرهم بلاءه عندهم
وضيعه إليهم فان كان عندكم غياث فالعجل العجل فان القوم

معاجلي فلما قرئ كتابه عليهم قام يزيد بن أسد بن كرز البجلي ثم القسرى فحمد الله وأثنى عليه ثم ذكر عثمان فعظم حقه وحضهم على نصره وأمرهم بالمسير إليه فتابعه ناس كثير وساروا معه حتى إذا كانوا بوادي القرى بلغهم قتل عثمان رضى الله عنه فرجعوا وكتب عثمان إلى عبد الله بن عامر أن ادب إلى أهل البصرة نسخة كتابه إلى أهل الشام فجمع عبد الله ابن عامر الناس فقرأ كتابه عليهم فقامت خطباء من أهل البصرة يحضونه على نصر عثمان والمسير إليه فيهم مجاشع بن مسعود السلمى وكان أول من تكلم وهو يومئذ سيد قيس بالبصرة وقام أيضا قيس بن الهيثم السلمى فخطب وحض الناس على نصر عثمان فسارع الناس إلى ذلك فاستعمل عليهم عبد الله بن عامر مجاشع بن مسعود فسار بهم حتى إذا نزل الناس الريدة ونزلت مقدمته عند صرار ناحية من المدينة أتاهم قتل عثمان * حدثني جعفر قال حدثنا عمرو وعلي قال حدثنا حسين عن أبيه عن محمد بن إسحاق بن يسار المدني عن يحيى بن عباد عن عبد الله بن الزبير عن أبيه قال كتب أهل مصر بالسقيا أو بذى خشب إلى عثمان بكتاب فجاء به رجل منهم حتى دخل به عليه فلم يرد عليه شيئا فأمر به فأخرج من الدار وكان أهل مصر الذين ساروا إلى عثمان ستمائة رجل على أربعة ألوية لها رؤوس أربعة مع كل رجل منهم لواء وكان جماع أمرهم جميعا إلى عمرو بن بديل بن ورقاء الخزاعي وكان

[٤٠٣]

من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وإلى عبدالرحمن بن عديس التجيبي فكان فيما كتبوا إليه بسم الله الرحمن الرحيم أما بعد فاعلم أن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم فالله الله ثم الله فانك على دنيا فاستتم إليها معها آخرة ولا تلبس نصيبك من الآخرة فلا تسوغ لك الدنيا وأعلم أنا والله لله نغضب وفي الله نرضى وأنا لن نضع سيوفنا عن عواتقنا حتى تأتينا منك توبة مصرحة أو ضلالة مجلحة مبلجة فهذه مقالتنا لك وقضيتنا إليك والله عذيرنا منك والسلام وكتب أهل المدينة إلى عثمان يدعونه إلى التوبة ويحتجون ويقسمون له بالله لا يمسون عنه أبدا حتى يقتلوه أو يعطيهم ما يلزمه من حق الله فلما خاف القتل شاور نصحاء أهل بيته فقال لهم قد صنع القوم ما قد رأيتم فما المخرج فاشاروا عليه أن يرسل إلى علي بن أبي طالب فيطلب إليه أن يردهم عنه ويعطيهم ما يرضيهم ليطاولهم حتى يأتيه أمداد فقال إن القوم لن يقبلوا التعليل وهي محملي عهدا وقد كان مني في قدمتهم الأولى ما كان فمتى أعطهم ذلك يسألوني الوفاء به فقال مروان بن الحكم يا أمير المؤمنين مقاربتهم حتى تقوى أمثل من مكائرتهم على القرب فأعطهم ما سألوك وطاولهم ما طاولوك فانما هم بغوا عليك فلا عهد لهم فأرسل إلى علي فدعاه فلما جاءه قال يا أبا حسن إنه قد كان من الناس ما قد رأيت وكان مني ما قد علمت ولست آمنهم على قتلى فأردهم عني فان لهم الله عزوجل أن أعتبهم من كل ما يكرهون وأن أعطيهم الحق من نفسي ومن غيري وإن كان في ذلك سفك دمى فقال له علي الناس إلى عدلك أحوج منهم إلى قتلك وإنني لأرى قوما لا يرضون إلا بالرضى وقد كنت أعطيهم في قدمتهم الأولى عهدا من الله لترجعن عن جميع ما نعموا فرددتهم عنك ثم لم تف لهم بشئ من ذلك فلا تغرنني هذه المرة من شئ فإنني معطيهم عليك الحق قال نعم فأعطهم فوالله لافين لهم فخرج علي إلى الناس فقال أيها الناس إنكم إنما طلبتم الحق فقد أعطيتموه إن عثمان قد زعم أنه منصفكم من نفسه ومن غيره وراجع عن جميع ما تكرهون فاقبلوا منه ووكدوا عليه قال الناس قد قبلنا فاستوثق منه لنا فإننا والله لا نرضى بقول دون

فعل فقال لهم على ذلك لكم ثم دخل عليه فأخبره الخبر فقال عثمان اضرب بيني وبينهم أجلا يكون لي فيه مهلة فاني لا أقدر على رد ما كرهوا في يوم واحد قال له علي ما حضر بالمدينة فلا أجل فيه وما غاب فأجله وصول أمرك قال نعم ولكن أجلني فيما بالمدينة ثلاثة أيام قال علي نعم فخرج إلى الناس فأخبرهم بذلك وكتب بينهم وبين عثمان كتابا أجله فيه ثلاثا على أن يرد كل مظلمة ويعزل كل عامل كرهوه ثم أخذ عليه في الكتاب أعظم ما أخذ الله على أحد من خلقه من عهد وميثاق وأشهد عليه ناسا من وجوه المهاجرين والانصار فكف المسلمون عنه ورجعوا إلى أن يفي لهم بما أعطاهم من نفسه فجعل يتأهب للقتال ويستعد بالسلاح وقد كان اتخذ جندا عظيما من رقيق الخمس فلما مضت الايام الثلاثة وهو على حاله لم يغير شيئا مما كرهوه ولم يعزل عاملا ثار به الناس وخرج عمرو بن حزم الانصاري حتى أتى المصريين وهم بذئ خشب فأخبرهم الخبر وسار معهم حتى قدموا المدينة فأرسلوا إلى عثمان ألم نفاقك على أنك زعمت أنك تائب من أحداثك وراجع عما كرهنا منك وأعطيتنا على ذلك عهد الله وميثاقه قال بلى أنا على ذلك قال فما هذا الكتاب الذي وجدنا مع رسولك وكتبت به إلى عاملك قال ما فعلت ولا لي علم بما تقولون قالوا بريدك على جملك وكتاب كاتيك عليه خاتمك قال أما الجمل فمسروق وقد يشبه الخط الخط وأما الخاتم فانتقش عليه قالوا فإننا لا نعجل عليك وإن كنا قد اتهمناك اعزل عنا عمالك الفساق واستعمل علينا من لا يتهم على دماننا وأموالنا واردد علينا مظالمنا قال عثمان ما أراني إذا في شيء إن كنت استعمل من هويتهم وأعزل من كرهتهم الأمر إذا أمركم قالوا والله لتفعلن أو لتعزلن أو لتقتلن فانظر لنفسك أو دع فأبى عليهم وقال لم أكن لاخلع سريبالا سربلنيه الله فحصره أربعين ليلة وطلحة يصلى بالناس * حدثني يعقوب بن إبراهيم قال حدثنا إسماعيل بن إبراهيم عن ابن عون قال حدثنا الحسن قال أنبأني وثاب قال وكان فيمن أدركه عتق أمير المؤمنين عمر رضى الله عنه قال ورأيت بحلقه أثر طعنتين كأنهما كتبتان طعنهما يومئذ يوم الدار قال بعثني عثمان فدعوت له الاشتهر فجاء قال ابن عون فأطنه قال

فطرحت لامير المؤمنين وسادة وله وسادة فقال يا أشتهر ما يريد الناس مني قال ثلاثا ليس من إحداهن بد قال ما هن قال يخبرونك بين أن تخلع لهم أمرهم فتقول هذا أمركم فاختاروا له من شئتم وبين أن تقص من نفسك فان أبيت هاتين فان القوم قاتلوك فقال أما من إحداهن بد قال ما من إحداهن بد فقال أما أن أخلع لهم أمرهم فما كنت لاخلع سريبالا سربلنيه الله عزوجل قال وقال غيره والله لأن أقدم فتضرب عنقي أحب إلي من أن أخلع قميصا قمصنيه الله وأترك أمة محمد صلى الله عليه وسلم يعدو بعضها على بعض قال ابن عون وهذا أشبه بكلامه وإما أن أقص من نفسي فوالله لقد علمت أن صاحبي بين يدي قد كانا يعاقبان وما يقوم بدني بالقصاص وأما أن تقتلونني فوالله لئن قتلتهموني لا تتحابون بعدي أبدا ولا تصلون جميعا بعدي أبدا ولا تقاتلون بعدي عدوا جميعا أبدا قال فقام الاشتهر فانطلق فمكثنا أياما قال ثم جاء رويجل كأنه ذئب فاطلع من باب ثم رجع وجاء محمد بن أبي بكر وثلاثة عشر حتى انتهى إلي عثمان فأخذ بلحيته فقال بها حتى سمعت وقع أضراسه وقال ما أغنى عنك معاوية ما أغنى عنك ابن عامر ما أغنت عنك كتبك قال أرسل لحيتي يا ابن أخي أرسل لحيتي قال وأنا رأيت استعدى رجلا من القوم بعينه فقام إليه بمشقص حتى وجأ به في رأسه (قلت) ثم مه قال تغاوا عليه حتى قتلوه (وذكر الواقدي) أن يحيى بن عبد العزيز حدثه عن جعفر بن محمود عن محمد بن مسلمة قال خرجت في نفر من قومي إلى

المصريين وكان رؤسائهم أربعة عبدالرحمن ابن عديس البلوي وسودان بن حمران المرادي وعمرو بن الحمق الخزاعي وقد كان هذا الاسم غلب حتى كان يقال حبيس ابن الحمق وابن النباع قال فدخلت عليهم وهم في خباء لهم أربعتهم ورأيت الناس لهم تبعاً قال فعظمت حق عثمان وما في رقابهم من البيعة وخوفتهم بالفتنة وأعلمتهم أن في قتله اختلافاً وأمرًا عظيمًا فلا تكونوا أول من فتحه وأنه ينزع عن هذه الخصال التي نقيتم منها عليه وأنا ضامن لذلك قال القوم فإن لم ينزع قال قلت فأمركم اليكم قال فانصرف القوم وهم راضون فرجعت إلى عثمان فقلت أخلني فأخلاني فقلت الله يا عثمان في نفسك إن هؤلاء

[٤٠٦]

القوم إنما قدموا يريدون دمك وأنت ترى خذلان أصحابك لك لا بل هم يقوون عدوك عليك قال فأعطاني الرضى وجزاني خيرا قال ثم خرجت من عنده فأقمت ما شاء الله أن أقيم قال وقد تكلم عثمان برجوع المصريين وذكر أنهم جاؤا لأمر فبلغهم غيره فانصرفوا فأردت أن أتبعه فأعنفه ثم سكت فإذا قائل يقول قد قدم المصريون وهم بالسويداء قال قلت أحق ما تقول قال نعم قال فأرسل إلي عثمان قال وإذا الخبر قد جاءه وقد نزل القوم من ساعتهم ذا خشب فقال يا أبا عبدالرحمن هؤلاء القوم قد رجعوا فما الرأي فيهم قال قلت والله ما أدري إلا أنني أظن أنهم لم يرجعوا لخير قال فارجع إليهم فأرددهم قال قلت لا والله ما أنا بفاعل قال ولم قال لاني ضمنت لهم أمورا تنزع عنها فلم تنزع عن حرف واحد منها قال فقال الله المستعان قال وخرجت وقدم القوم وحلوا بالاسواف وحصروا عثمان قال وجاءني عبدالرحمن بن عديس ومعه سودان بن حمران وصاحبه فقالوا يا أبا عبدالرحمن ألم تعلم أنك كلمتنا ورددتنا وزعمت أن صاحبنا نازع عما نكره فقلت بلى قال فإذا هم يخرجون إلي صحيفة صغيرة قال وإذا قصبة من رصاص فإذا هم يقولون وجدنا جملا من إبل الصدقة عليه غلام عثمان فأخذنا متاعه ففتشناه فوجدنا فيه هذا الكتاب فإذا فيه بسم الله الرحمن الرحيم أما بعد فإذا قدم عليك عبدالرحمن بن عديس فأجلده مائة جلدة واحلق رأسه ولحيته وأطل حبسه حتى يأتبك أمري وعمرو بن الحمق فافعل به مثل ذلك وسودان بن حمران مثل ذلك وعروة بن النباع الليثي مثل ذلك قال فقلت وما يدريكم أن عثمان كتب بهذا قالوا فيفتات مروان على عثمان بهذا فهذا شر فيخرج نفسه من هذا الأمر ثم قالوا انطلق معنا إليه فقد كلمنا عليا ووعدنا أن يكلمه إذا صلى الظهر وجئنا سعد بن أبي وقاص فقال لا أدخل في أمركم وجئنا سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل فقال مثل هذا فقال محمد فأين وعدكم علي قالوا وعدنا إذا صلى الظهر أن يدخل عليه * قال محمد فصليت مع علي قال ثم دخلت أنا وعلي عليه فقلنا ان هؤلاء المصريين بالباب فأذن لهم قال ومروان عنده جالس قال فقال مروان دعني جعلت فداك أكلهم قال

[٤٠٧]

فقال عثمان فض الله فاك اخرج عني وما كلامك في هذا الامر قال فخرج مروان قال وأقبل علي عليه قال وقد أنهى المصريون إليه مثل الذي أنهوا الي قال فجعل علي يخبره ما وجدوا في كتابهم قال فجعل يقسم بالله ما كتب ولا علم ولا شور فيه قال فقال محمد بن مسلمة والله إنه لصادق ولكن هذا عمل مروان فقال علي فأدخلهم عليك فليسمعوا عذرك قال ثم أقبل عثمان على علي فقال إن لي قرابة ورحما والله لو كنت في هذه الحلقة لجللتها عنك فأخرج إليهم فكلهمم فإنهم يسمعون منك قال علي والله ما أنا بفاعل ولكن

أدخلهم حتى تعتذر إليهم قال فادخلوا (قال محمد بن مسلمة) فدخلوا يومئذ فما سلموا عليه بالخلافة فعرفت أنه الشر بعينه قال سلام عليكم فقلنا وعليكم السلام قال فتكلم القوم وقد قدموا في كلامهم ابن عديس فذكر ما صنع ابن سعد بمصر وذكر تحاملا منه على المسلمين وأهل الذمة وذكر استئثارا منه في غنائم المسلمين فإذا قيل له في ذلك قال هذا كتاب أمير المؤمنين إلي ثم ذكروا أشياء مما أحدث بالمدينة وما خالف به صاحبيه قال فرحلنا من مصر ونحن لا نريد إلا دمك أو تنزع فردنا علي ومحمد بن مسلمة وضمن لنا محمد النزوع عن كل ما تكلمنا فيه ثم أقبلوا على محمد بن مسلمة فقالوا هل قلت ذاك لنا (قال محمد) فقلت نعم ثم رجعنا إلى بلادنا نستظهر بالله عزوجل عليك ويكون حجة لنا بعد حتى حجة إذا كنا بالبويب أخذنا غلامك فأخذنا كتابك وخاتمك إلى عبد الله بن سعد تأمره فيه بجلد ظهورنا والمثل بنا في أشعارنا وطول الحبس لنا وهذا كتابك قال فحمد الله عثمان وأثنى عليه ثم قال والله ما كتبت ولا أمرت ولا شوورت ولا علمت قال فقلت وعلي جميعا قد صدق قال فاستراح إليها عثمان فقال المصريون فمن كتبه قال لا أدري قال أفيجترا عليك فيبعث غلامك وجمل من صدقات المسلمين وينقش على خاتمك ويكتب إلى عاملك بهذه الأمور العظام وأنت لا تعلم قال نعم قالوا فليس مثلك بلي اخلع نفسك من هذا الأمر كما خلعتك الله منه قال لا أنزع قميصا ألبسنيه الله عزوجل قال وكثرت الأصوات واللغط فما كنت أظن أنهم يخرجون حتى يواثبوه قال وقام علي فخرج قال فلما قام علي قمت قال وقال للمصريين

[٤٠٨]

أخرجوا فخرجوا قال ورجعت إلى منزلي ورجع علي إلي منزله فما برحوا محاصره حتى قتلوه * قال محمد بن عمر وحدثني عبد الله بن الحارث بن الفضيل عن أبيه عن سفيان بن أبي العوجاء قال قدم المصريون القدماء الأولى فكلّم عثمان محمد ابن مسلمة فخرج في خمسين راكبا من الانصار فاتوهم بذي خشب فردهم ورجع القوم حتى إذا كانوا بالبويب وجدوا غلاما لعثمان معه كتاب إلى عبد الله بن سعد فكروا فانتهوا إلى المدينة وقد تخلف بها من الناس الاكثر وحكيم بن جبلة فاتوا بالكتاب فأنكر عثمان أن يكون كتبه وقال هذا مفتعل قالوا فالكتاب كتاب كاتبك قال أجل ولكنه كتبه بغير أمري قالوا فإن الرسول الذي وجدنا معه الكتاب غلامك قال أجل ولكنه خرج بغير إذني قالوا فالجمل جملك قال أجل ولكنه أخذ بغير علمي قالوا ما أنت إلا صادق أو كاذب فإن كنت كاذبا فقد استحقت الخلع لما أمرت به من سفك دماننا بغير حقها وإن كنت صادقا فقد استحقت ان تخلع لضعفك وغفلتك وخبث بطانتك لانه لا ينبغي لنا ان نترك على رقابنا من يقطع مثل هذا الأمر دونه لضعفه وغفلته وقالوا له إنك ضربت رجالا من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وغيرهم حين يعطونك ويأمرونك بمراجعة الحق عند من يستنكرون من أعمالك فأقدم نفسك من ضربته وأنت له ظالم فقال الامام بخطي وبصيب فلا أقيد من نفسي لاني لو أقدت كل من أصبته بخطي أتى على نفسي قالوا إنك قد أحدثت أحداثا عظاما فاستحقت بها الخلع فإذا كلمت فيها أعطيت التوبة ثم عدت إليها وإلى مثلها ثم قدمنا عليك فأعطيتنا التوبة والرجوع إلي الحق ولا منا فيك محمد بن مسلمة وضمن لنا ما حدث من امر فأخبرته فترا منك وقال لا أدخل في أمره فرجعنا أول مرة لنقطع حجتك ونبلغ أقصى الاعذار إليك نستظهر بالله عزوجل عليك فلحقنا كتاب منك إلى عاملك علينا تأمره فينا بالقتل والقطع والصلب وزعمت أنه كتب بغير علمك وهو مع غلامك وعلي غلامك وعلي جملك ويخط كاتبك وعليه خاتمك فقد وقعت عليك بذلك التهمة القبيحة مع ما بلونا منك قبل ذلك من الجور في الحكم والاثرة

في القسم والعقوبة للامر بالتبسط من الناس والاطهار للتوبة ثم الرجوع إلى الخطيئة ولقد رجعنا عنك وما كان لنا أن نرجع حتى نخلعك ونستبدل بك من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من لم يحدث مثل ما جربنا منك ولم يقع عليه من التهمة ما وقع عليك فاردد خلافتنا واعتزل أمرنا فإن ذلك أسلم لنا منك وأسلم لك منا فقال عثمان فرغتم من جميع ما تريدون قالوا نعم قال الحمد لله أحمده وأستعينه وأومن به وأتوكل عليه وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمدا عبده ورسوله أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون أما بعد فإنكم لم تعدلوا في المنطق ولم تنصفوا في القضاء أما قولكم تخلع نفسك فلا أنزع قميصا قمصنيه الله عزوجل وأكرمني به وخصني به علي غيري ولكني أتوب وأنزع ولا أعود لشيء عابه المسلمون فإنني والله الفقير إلى الله الخائف منه قالوا إن هذا لو كان أول حدث أحدثته ثم تبت منه ولم تقم عليه لكان علينا أن نقبل منك وأن ننصرف عنك ولكنه قد كان منك من الاحداث قبل هذا ما قد علمت ولقد انصرفنا عنك في المرة الاولى وما نخشى أن تكتب فينا ولا من اعتللت به بما وجدنا في كتابك مع غلامك وكيف نقبل توبتك وقد بلونا منك أنك لا تعطى من نفسك التوبة من ذنب إلا عدت إليه فلسنا منصرفين حتى نزعك ونستبدل بك فان حال من معك من قومك وذوي رحمك وأهل الانقطاع إليك دونك بقتال قاتلناهم حتى نخلص إليك فنقتلك أو تلحق أرواحنا بالله فقال عثمان أما أن أتبرأ من الامارة فان تصلبوني أحب إلي من أن أتبرأ من أمر الله عزوجل وخلافته وأما قولكم تقاتلون من قاتل دوني فاني لا أمر أحدا بقتالكم فمن قاتل دوني فانما قاتل بغير أمري ولعمري لو كنت أريد قتالكم لقد كنت كتبت إلى الاجناد فقادوا الجنود وبعثوا الرجال أو لحقت ببعض أطرافهم بمصر أو عراق فإله الله في أنفسكم فأبقوا عليها إن لم تبفوا علي فانكم مجتلبون بهذا الامر إن قتلتموني دما قال ثم انصرفوا عنه وأذنوه بالحرب وأرسل إلى محمد بن مسلمة فكلمه أن يردهم فقال والله لا أكذب الله في سنة مرتين * قال محمد بن عمر حدثني محمد بن مسلم عن موسى

ابن عقبة عن أبي حبيبة قال نظرت إلى سعد بن أبي وقاص يوم قتل عثمان دخل عليه ثم خرج من عنده وهو يسترجع مما يرى على الباب فقال له مروان الآن تندم أنت أشعرتك فأسمع سعدا يقول أستغفر الله لم أكن أظن الناس يجترئون هذه الجرأة ولا يطلبون دمه وقد دخلت عليه الآن فتكلم بكلام لم تحضره أنت ولا أصحابك فنزع عن كل ما كره منه وأعطى التوبة وقال لا أتمادي في الهلكة إن من تمادي في الجور كان أبعد من الطريق فأنا أتوب وأنزع فقال مروان إن كنت تريد أن تذب عنه فعليك بابن أبي طالب فانه متستر وهو لا يجبه فخرج سعد حتى أتى عليا وهو بين القبر والمنبر فقال يا أبا الحسن قم فداك أبي وأمي جئتك والله بخير ما جاء به أحد قط إلى أحد تصل رحم ابن عمك وتأخذ بالفضل عليه وتحقق دمه ويرجع الامر على ما نحب قد أعطى خليفتك من نفسه الرضى فقال علي تقبل الله منه يا أبا إسحاق والله ما زلت أذب عنه حتى إنني لاستحي ولكن مروان ومعاوية وعبد الله بن عامر وسعيد بن العاص هم صنعوا به ما ترى فإذا نصحته وأمرته أن ينحيهم استغشني حتى جاء ما ترى قال فبيناهم كذلك جاء محمد بن أبي بكر فسار عليا فأخذ علي بيدي ونهض علي وهو يقول وأي خير توبته هذه فوالله ما بلغت داري حتى سمعت الهائجة أن عثمان قد قتل فلم نزل والله في شر إلى يومنا هذا * قال محمد بن عمر حدثني شرحبيل بن أبي عن يزيد

بن أبي حبيب عن أبي الخير قال لما خرج المصريون إلى عثمان رضى الله عنه بعث عبدالله بن سعد رسولا أسرع السير يعلم عثمان بمخرجهم ويخبره أنهم يظهرون أنهم يريدون العمرة فقدم الرسول على عثمان بن عفان فخيرهم فتكلم عثمان وبعث إلى أهل مكة يحذر من هناك هؤلاء المصريين ويخبرهم أنهم قد طعنوا على إمامهم ثم إن عبدالله بن سعد خرج إلى عثمان في آثار المصريين وقد كان كتب إليه يستأذنه في القدوم عليه فأذن له فقدم ابن سعد حتى إذا كان بأيلة بلغه أن المصريين قد رجعوا إلى عثمان وأنهم قد حصروه ومحمد ابن أبي حذيفة بمصر فلما بلغ محمدا حصر عثمان وخرج عبدالله بن سعد عنه غلب على مصر فاستجابوا له فأقبل عبدالله بن سعد يريد مصر فمنعه ابن أبي حذيفة فوجه

[٤١١]

إلى فلسطين فأقام بها حتى قتل عثمان رضى الله عنه وأقبل المصريون حتى نزلوا بالاسواق فحاصروا عثمان وقدم حكيم بن جبلة من البصرة في ركب وقدم الاشر في أهل الكوفة فتوافوا بالمدينة فاعتزل الاشر فاعتزل حكيم بن جبلة وكان ابن عديس وأصحابه هم الذين يحصرون عثمان فكانوا خمسمائة فأقاموا على حصاره تسعة وأربعين يوما حتى قتل يوم الجمعة لثمان عشرة ليلة مضت من ذي الحجة سنة ٢٥ (قال محمد) وحدثني ابراهيم بن سالم عن أبيه عن بشر بن سعيد قال وحدثني عبدالله بن عباس بن أبي ربيعة قال دخلت على عثمان رضى الله عنه فتحدثت عنده ساعة فقال يا ابن عباس تعال فأخذ بيدي فأسمعني كلام من على باب عثمان فسمعنا كلاما منهم من يقول ما تنتظرون به ومنهم من يقول انظروا عسي أن يراجع فينا أنا وهو واقفان إذ مر طلحة بن عبيدالله فوق ف قال أين ابن عديس فقيل هاهو ذا قال فجاءه ابن عديس فواجه بشئ ثم رجع ابن عديس فقال لأصحابه لا تتركوا أحدا يدخل على هذا الرجل ولا يخرج من عنده قال فقال لي عثمان هذا ما أمر به طلحة بن عبيدالله ثم قال عثمان اللهم اكفني طلحة بن عبيدالله فإنه حمل على هؤلاء وألبهم والله إنني لأرجو أن يكون منها صفرا وأن يسفك دمه أنه انتهك مني ما لا يحل له سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لا يحل دم امرئ مسلم الا في إحدى ثلاث رجل كفر بعد اسلامه فيقتل أو رجل زنى بعد احصانه فيرجم أو رجل قتل نفسا بغير نفس فقيم أقتل قال ثم رجع عثمان قال ابن عباس فأردت أن أخرج فممنعوني حتى مر بي محمد بن أبي بكر فقال خلوه فخلوني قال محمد حدثني يعقوب بن عبدالله الاشعري عن جعفر بن أبي المغيرة عن سعيد ابن عبدالرحمن بن أبزي عن أبيه قال رأيت اليوم الذي دخل فيه على عثمان فدخلوا من دار عمرو بن حزم خوفاً هناك حتى دخلوا الدار فناوشوهم شيئا من مناوشة ودخلوا فوالله ما نسينا أن خرج سودان بن حمران فأسمعه يقول أين طلحة بن عبيدالله قد قتلنا ابن عفان * قال محمد بن عمرو حدثني شرحبيل بن أبي عون عن أبيه عن أبي حفصة اليماني قال كنت لرجل من أهل البادية من العرب فأعجبته يعني مروان

[٤١٢]

فاشتراني واشترى امرأتي وولدي فأعتقنا جميعا وكنت أكون معه فلما حصر عثمان رضى الله عنه شمرت معه بنو أمية ودخل معه مروان الدار قال فكنت معه في الدار قال فأنا والله أنشبت القتال بين الناس رميت من فوق الدار رجلا من أسلم فقتلته وهو نيار الاسلامي فنشبت القتال ثم نزلت فاقتتل الناس على الباب وقاتل مروان حتى سقط فاحتلمته فأدخلته بيت عجوز وأغلقت عليه وألقى الناس

النيران في أبواب دار عثمان فاحترق بعضها فقال عثمان ما احترق الباب إلا لما هو أعظم منه لا يحركن رجل منكم يده فوالله لو كنت أقصاكم لتخطوكم حتى يقتلونني ولو كنت أدناكم ما جاؤوني إلى غيري وإنني لصابر كما عهد إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم لأصرعن مصرعي الذي كتب الله عزوجل لي فقال مروان والله لا تقتل وأنا أسمع الصوت ثم خرج بالسيف على الباب يتمثل بهذا الشعر قد علمت ذات القرون الميل * والكف والانامل الطفول أني أروع أول الرعيل * بفاره مثل قطا الشليل قال محمد وحدثني عبدالله بن الحارث بن الفضيل عن أبيه عن أبي حفصة قال لما كان يوم الخميس دليت حجرا من فوق الدار فقتلت رجلا من أسلم يقال له نيار فأرسلوا إلى عثمان أن أمكنا من قاتله قال والله ما أعرف له قاتلا فباتوا ينحرفون علينا ليلة الجمعة بمثل النيران فلما أصبحوا غدوا فأول من طلع علينا كنانة بن عتاب في يده شعلة من نار على ظهر سطوحنا قد فتح له من دار آل حزم ثم دخلت الشعلة لى اثره تنضح بالنفط فقاتلناهم ساعة على الخشب وقد اضطرر الخشب فأسمع عثمان يقول لاصحابه ما بعد الحريق شئ قد احترق الخشب واحترقت الابواب ومن كانت له عليه طاعة فليمسك داره وإنما يريدني القوم وسيندمون على قتلي والله لو تركوني لظننت أني لا أحب الحياة ولقد تغيرت حالي وسقط أسناني ورق عظمي قال ثم قال لمروان اجلس فلا تخرج فعصاه مروان فقال والله لا تقتل ولا يخلص السك وأنا أسمع الصوت ثم خرج إلى الناس فقلت ما لمولاي مترك فخرجت معه أذب عنه ونحن قليل فأسمع مروان يتمثل

[٤١٣]

قد علمت ذات القرون الميل * والكف والانامل الطفول ثم صاح من يبارز وقد رفع أسفل درعه فجعله في منطقته قال فيثب إليه ابن النباع فضربه ضربة على رقبته من خلفه فأثبته حتى سقط فما ينبض منه عرق فأدخلته بيت فاطمة ابنة أوس جدة إبراهيم بن العدي قال فكان عبدالملك وبنو أمية يعرفون ذلك لآل العدي * حدثني أحمد بن عثمان بن حكيم قال حدثنا عبدالرحمن ابن شريك قال حدثني أبي عن محمد بن إسحاق عن يعقوب بن عتبة بن الاخنس عن ابن الحارث بن أبي بكر عن أبيه أبي بكر بن الحارث بن هشام قال كأنني أنظر إلى عبدالرحمن بن عديس البلوي وهو مسند ظهره إلى مسجد نبي الله صلى الله عليه وسلم وعثمان بن عفان رضى الله عنه محصور فخرج مروان بن الحكم فقال من يبارز فقال عبدالرحمن بن عديس لفلان بن عروة قم إلى هذا الرجل فقام إليه غلام شاب طوال فأخذ رفيف الدرع فغرز في منطقته فأعور له عن ساقه فأهوى له مروان وضربه ابن عروة على عنقه فكأنني أنظر إليه حين استدار وقام إليه عبيد بن رفاعة الزرقى ليدف عليه قال فوثبت عليه فاطمة ابنة أوس جدة إبراهيم بن عدي قال وكانت أرضعت مروان وأرضعت له فقالت إن كنت إنما تريد قتل الرجل فقد قتل وإن كنت تريد أن تلعب بلحمه فهذا قبيح قال فكف عنه فما زالوا يشكرونها لها فاستعملوا ابنها إبراهيم بعد وقال ابن إسحاق قال عبدالرحمن بن عديس البلوي حين سار إلى المدينة من مصر أقبلن من بلييس والصعيد * مستحقيات حلق الحديد يطلبن حق الله في سعيد * حتى رجعن بالذي نريد * حدثني جعفر بن عبدالله المحمدي قال حدثنا عمرو بن حماد وعلي بن حسين قالا حدثنا حسين بن عيسى عن أبيه قال لما مضت أيام التشريق أطافوا بدار عثمان رضى الله عنه وأبى إلا الإقامة على أمره وأسل إلى حشمه وخاصته فجمعهم فقام رجل من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم يقال له نيار بن عياض وكان شيخا كبيرا فنادى يا عثمان فأشرف عليه من أعلى داره فناشده الله وذكره الله لما اعتزلهم

فبينما هو يراجع الكلام إذ رماه رجل من أصحاب عثمان فقتله بسهم وزعموا أن الذي رماه كثير بن الصلت الكندي فقالوا لعثمان عند ذلك ادفع إلينا قاتل نيار ابن عياض فلنقتله به فقال لم أكن لاقتل رجلا نصرني وأنتم تريدون قتلي فلما رأوا ذلك ثاروا إلى بابه فأحرقوه وخرج عليهم مروان بن الحكم من دار عثمان في عصابة وخرج سعيد بن العاص في عصابة وخرج المغيرة بن الاخنس بن شريق الثقفي حليف بني زهرة في عصابة فاقتتلوا قتالا شديدا وكان الذي حداهم على القتال أنه بلغهم أن مددا من أهل البصرة قد نزلوا صرارا وهي من المدينة على ليلة وأن أهل الشام قد توجهوا مقبلين فقاتلوهم قتالا شديدا على باب الدار فحمل المغيرة ابن الاخنس الثقفي على القوم وهو يقول مرتجزا قد علمت جارية عطبول * لها وشاح ولها حجول أني بنصل السيف خنشليل فحمل عليه عبدالله بن بديل بن ورقاء الخزاعي وهو يقول إن تك بالسيف كما تقول * فاثبت لقرن ماجد يصول بمشرفي حده مصقول فضربه عبدالله فقتله وحمل رفاعه بن رافع الانصاري ثم الزرقى على مروان ابن الحكم فضربه فصرعه فنزل عنه وهو يرى أنه قد قتله وجرح عبدالله بن الزبير جراحات وانهزم القوم حتى لجأوا إلى القصر فاعتصموا ببابه فاقتتلوا عليه قتالا شديدا فقتل في المعركة على الباب زياد بن نعيم الفهري في ناس من أصحاب عثمان فلم يزل الناس يقتتلون حتى فتح عمرو بن حزم الانصاري باب داره وهو إلى جنب دار عثمان بن عفان ثم نادى الناس فأقبلوا عليهم من داره فقاتلوهم في جوف الدار حتى انهزموا وخلي لهم عن باب الدار فخرجوا هرابا في طرق المدينة وبقي عثمان في أناس من أهل بيته وأصحابه فقتلوا معه وقتل عثمان رضى الله عنه * حدثني يعقوب ابن ابراهيم قال حدثنا معتمر بن سليمان التيمي قال حدثني أبي قال حدثنا أبو نصره عن أبي سعيد مولى أبي أسيد الانصاري قال أشرف عليهم عثمان رضى الله عنه

ذات يوم فقال السلام عليكم قال فما سمع أحدا من الناس رد عليه إلا أن يرد رجل في نفسه فقال أنشدكم الله هل علمتم أني اشتريت رومة من مالي يستعذب بها فجعلت رشاني منها كرشاء رجل من المسلمين قال قيل نعم قال فما يمنعني أن أشرب منها حتى أفطر على ماء البحر قال أنشدكم الله هل علمتم أني اشتريت كذا وكذا من الارض فزدته في المسجد قيل نعم قال فهل علمتم أحدا من الناس منع أن يصلي فيه قبلي قال أنشدكم الله هل سمعتم نبي الله صلى الله عليه وسلم يذكر كذا وكذا أشياء في شأنه وذكر الله إياه أيضا في كتابه المفصل قال ففشا النهى قال فجعل الناس يقولون مهلا عن أمير المؤمنين قال وفشا النهى قال وقام الاشر قال ولا أدري يومئذ أو في يوم آخر فقال لعله قد مكر به وبكم قال فوطئه الناس حتى لقي كذا وكذا قال فرأيته أشرف عليهم مرة أخرى فوعظهم وذكرهم فلم تأخذ فيهم الموعظة وكان الناس تأخذ فيهم الموعظة أو ما يسمعونها فإذا أعيدت عليهم لم تأخذ فيهم قال ثم انه فتح الباب ووضع المصحف بين يديه قال وذاك أنه رأى من الليل أن نبي الله صلى الله عليه وسلم يقول أفطر عندنا الليلة قال أبو معتمر فحدثنا الحسن أن مجمل بن أبي بكر دخل عليه فأخذ بلحيته قال فقال له قد أخذت منا مأخذا وفعدت مني مقعدا ما كان أبو بكر ليقعده أو ليأخذه قال فخرج وتركه قال ودخل عليه رجل يقال له الموت الأسود قال فخنقه ثم خفقه قال ثم خرج فقال والله ما رأيت شيئا قط ألين من حلقه والله لقد خنفته حتى رأيت نفسه تتردد في جسده كنفس الجان قال فخرج قال في حديث أبي سعيد دخل على عثمان رجل فقال بيني وبينك كتاب الله قال والمصحف بين يديه قال فيهوى له بالسيف فاتقاه بيده فقطعها فقال لا أدري أبانها أم

قطعها ولم بينها قال فقال أما والله أنها لأول كف حطت المفصل وقال في غير حديث أبي سعيد فدخل عليه التجيبي فأشعره مشقفا فانتضح الدم على هذه الآية فسيكفكمهم الله وهو السميع العليم قال فانها في المصحف ما حكى قال وأخذت ابنة الفرافصة في حديث أبي سعيد حليها فوضعت في حجرها وذلك قبل أن يقتل قال فلما أشعر أو قال قتل ناحى عليه قال فقال بعضهم قاتلها الله ما أعظم عجزتها قال فعلمت أن عدوا الله لم يرد

[٤١٦]

إلا الدنيا (وأما سيف) فانه قال فيما كتب إلى السري عن شعيب عنه ذكر عن بدر ابن عثمان عن عمه قال آخر خطبة خطبها عثمان رضى الله عنه في جماعة إن الله عزوجل إنما أعطاكم الدنيا لتطلبوا بها الآخرة ولم يعطكموها لتركنوا إليها إن الدنيا تفتى والآخرة تبقى فلا تبطنكم الفانية ولا تشغلنكم عن الباقية فأثروا ما يبقى على ما يفتى فإن الدنيا منقطعة وإن المصير إلى الله اتقوا الله عزوجل فان تقواه جنة من بأسه ووسيلة عنده واحذروا من الله الغير والزموا جماعتكم لا تصيروا أحزابا " واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانا " (كتب إلي السري) عن شعيب عن سيف عن محمد وطلحة وأبي حارثة وأبي عثمان قالوا لما قضى عثمان في ذلك المجلس حاجاته وعزم وعزم له المسلمون على الصبر والامتناع عليهم بسطان الله قال اخرجوا رجمكم الله فكونوا بالباب وليجامعكم هؤلاء الذين حبسوا عنى وأرسل إلى طلحة والزبير وعلي وعدة أن ادنوا فاجتمعوا فأشرف عليهم فقال يا أيها الناس اجلسوا فجلسوا جميعا المحارب الطارئ والمسالم المقيم فقال يا أهل المدينة إنى أستودعكم الله وأسأله أن يحسن عليكم الخلافة من بعدي إنى والله لا أدخل على أحد بعد يومي هذا حتى يقضى الله في قضاءه ولادعن هؤلاء وما وراء بابي غير معطيهم شيئا يتخذونه عليكم دخلا في دين الله أو دنيا حتى يكون الله عزوجل الصانع في ذلك ما أحب وأمر أهل المدينة بالرجوع وأقسم عليهم فرجعوا إلا الحسن ومحمد وابن الزبير وأشباها لهم فجلسوا بالباب عن أمر آبائهم وثاب إليهم ناس كثير ولزم عثمان الدار (كتب إلي السري) عن شعيب عن سيف عن أبي حارثة وأبي عثمان ومحمدا وطلحة قالوا كان الحصر أربعين ليلة والنزول سبعين فلما مضت من الأربعين ثمان عشرة قدم ركبان من الوجوه فأخبروا خبر من قد تهيأ إليهم من الأفاق حبيب من الشام ومعاقبة من مصر والقعقاع من الكوفة ومجاشع من البصرة فعندها حالوا بين الناس وبين عثمان ومنعوه كل شئ حتى الماء وقد كان يدخل علي بالشئ مما يريد وطلبوا العلل فلم تطلع عليهم علة فعثروا في داره بالحجارة ليرموا فيقولوا قوتلنا وذلك ليلا فنأدهم

[٤١٧]

ألا تتقون الله ألا تعلمون أن في الدار غيري قالوا لا والله ما رميناك قال فمن رمانا قالوا الله قال كذبتهم إن الله عزوجل لو رمانا لم يخطئنا وأنتم تخطئوننا وأشرف عثمان على آل حزم وهم جيرانه فسرح ابنا لعمره إلى علي بأنهم قد منعونا الماء فإن قدرتم أن ترسلوا إلينا شيئا من الماء فافعلوا وإلى طلحة وإلى الزبير وإلى عائشة رضى الله عنها وأزواج النبي صلى الله عليه وسلم فكان أولهم إنجادا له علي وأم حبيبة جاء علي في الغلس فقال يا أيها الناس إن الذي تصنعون لا يشبه أمر المؤمنين ولا أمر الكافرين لا تقطعوا عن هذا الرجل المادة فإن الروم وفارس لتأسر فتطعم وتسقى وما تعرض لكم هذا الرجل فبم تستحلون حصره وقتله قالوا لا والله ولا نعمة عين لا نتركه يأكل

ولا يشرب فرمى بعمامته في الدار بأبي قد نهضت فيما أنهضتني فرجع وجاءت أم حبيبة علي بغله لها برحالة مشتملة على إداوة فقيل أم المؤمنين أم حبيبة فضربوا وجه بغلتها فقالت إن وصايا بني أمية إلى هذا الرجل فأحببت أن ألقاه فأسأله عن ذلك كيلا تهلك أموال أيتام وأرامل قالوا كاذبة وأهووا لها وقطعوا حبل البغلة بالسيف فندت بأم حبيبة فتلقاها الناس وقد مالت رحلتها فتعلقوا بها وأخذوها وقد كادت تقتل فذهبوا بها إلى بيتها وتجهزت عائشة خارجة إلى الحج هاربة واستتبع أخاها فأبت فقالت أما والله لئن استطعت أن يحرمهم الله ما يحاولون لافعلن وجاء حنظلة الكاتب حتى قام على محمد بن أبي بكر فقال يا محمد تستتبعك أم المؤمنين فلا تتبعها وتدعوك ذؤبان العرب إلى ما لا يحل فتتبعهم فقال ما أنت وذاك يا ابن التميمية فقال يا ابن الخثعمية إن هذا الأمر إن صار إلى التغالب غلبتك عليه بنو عبد مناف وانصرف وهو يقول: عجبت لما يخوض الناس فيه * يرومون الخلافة أن تزولا ولو زالت لزال الخير عنهم * ولاقوا بعدها دلا ذليلا وكانوا كاليهود أو النصارى * سواء كلهم ضلوا السبيلا ولحق بالكوفة وخرجت عائشة وهي ممثلة غيظا على أهل مصر وجاءها مروان بن الحكم فقال يا أم المؤمنين لو أقمت كان أجدر أن يراقبوا هذا الرجل

[٤١٨]

فقال أتريد أن يصنع بي كما صنع بأم حبيبة ثم لا أجد من يمنعي لا والله ولا أعير ولا أدري إلى ما يسلم أمر هؤلاء وبلغ طلحة والزبير ما لقي علي وأم حبيبة فلزموا بيوتهم وبقي عثمان يسقيه آل حزم في الغفلات عليهم الرقباء فأشرف عثمان على الناس فقال يا عبد الله بن عباس فدعى له فقال اذهب فأنت على الموسم وكان ممن لزم الباب فقال والله يا أمير المؤمنين لجهاد هؤلاء أحب إلي من الحج فأقسم عليه لينطلقن فانطلق ابن عباس على الموسم تلك السنة ورمى عثمان إلى الزبير بوصيته فانصرف بها وفي الزبير اختلاف أدرك مقتله أو خرج قبله وقال عثمان يا قوم لا يجر منكم شقاقي أن يصيبكم مثل ما أصاب قوم نوح - الآية - اللهم حل بين الأحزاب وبين ما ياملون كل فعل بأشياعهم من قبل (وكتب إلي السري) عن شعيب عن سيف عن عمرو ابن محمد قال بعثت ليلي ابنة عميس إلى محمد بن أبي بكر ومحمد بن جعفر فقالت إن المصباح يأكل نفسه ويضئ للناس فلا تأثما في أمر تسوقانه إلى من لا يآثم فيكما فإن هذا الأمر الذي تحاولون اليوم لغيركم غدا فاتقوا أن يكون عملكم اليوم حسرة عليكم فلجا وخرجا مغضبين يقولان لا ننسى ما صنع بنا عثمان وتقول ما صنع بكما ألا ألزمكما الله فلقبيهما سعيد بن العاص قد كان بين محمد بن أبي بكر وبينه شئ فأنكره حين لقيه خارجا من عند ليلي فتمثل له في تلك الحال بيتا أستبق ودك للصديق ولا تكن * فيئا بعض بخاذل ملجأجا فأجابه سعيد متمثلا ترون إذا ضربا صميما من الذي * له جانب ناء عن الجرم معور (كتب إلي السري) عن شعيب عن سيف عن محمد وطلحة وأبي حارثة وأبي عثمان قالوا فلما بويع الناس السابق فقدم بالسلامة فأخبرهم من الموسم أنهم يريدون جميعا المصريين وأشياعهم وإنهم يريدون أن يجمعوا ذلك إلى حجهم فلما أتاهم ذلك مع ما بلغهم من نفور أهل الأمصار أعلقهم الشيطان وقالوا لا يخرجنا مما وقعنا فيه إلا قتل هذا الرجل فيشتغل بذلك الناس عنا ولم يبق خصلة يرجون بها النجاة إلا قتله فراموا الباب فمنعهم من ذلك الحسن وابن

[٤١٩]

الزبير ومحمد بن طلحة ومروان بن الحكم وسعيد بن العاص ومن كان من أبناء الصحابة أقام معهم واجتلدوا فناداهم عثمان الله الله أنتم في حل من نصرتي فأبوا فتح الباب وخرج ومعه الترس والسيف لينهضهم فلما رأوه أدير المصريون وركبهم هؤلاء ونهضهم فترجعوا وعظم على الفريقين وأقسم على الصحابة ليدخلن فأبوا أن ينصرفوا فدخلوا فأغلق الباب دون المصريين وقد كان المغيرة بن الاخنس بن شريق فيمن حج ثم تعجل في نفر حجوا معه فأدرك عثمان قبل أن يقتل وشهد المناوشة ودخل الدار فيمن دخل وجلس على الباب من داخل وقال ما عذرنا عند الله ان تركناك ونحن نستطيع ألا ندعهم حتى نموت فاتخذ عثمان تلك الايام القرآن نحبا يصلي وعنده المصحف فإذا أعيأ جلس فقراً فيه وكانوا يرون القراءة في المصحف من العبادة وكان القوم الذين كفكفهم بينه وبين الباب فلما بقى المصريون لا يمنعهم أحد من الباب ولا يقدر على الدخول جاؤا بنار فأحرقوا الباب والسقيفة فتأجج الباب والسقيفة حتى إذا احترق الخشب خرت السقيفة على الباب فتار أهل الدار وعثمان يصلي حتى منعهم الدخول وكان أول من برز لهم المغيرة بن الاخنس وهو يرتجز قد علمت جارية عطبول * ذات وشاح ولها جديل أني بنصل السيف حنشليل * لامنعن منكم خليلي بصارم ليس بذئ فلول وخرج الحسن بن علي وهو يقول لا دينهم ديني ولا أنا منهم * حتى أسير إلى طمار شمام وخرج محمد بن طلحة وهو يقول أنا ابن من حامى عليه بأحد * ورد أحزابا على رغم معد وخرج سعيد بن العاص وهو يقول صبرنا غداة الدار والموت واقب * بأسياقنا دون ابن أروى تضارب وكنا غداة الروع في الدار نصره * نشافههم بالضرب والموت ثاقب فكان آخر من خرج عبدالله بن الزبير وأمره عثمان أن يصير إلى أبيه في

[٤٢٠]

وصية بما أراد وأمره أن يأتي أهل الدار فيأمرهم بالانصراف إلى منازلهم فخرج عبدالله بن الزبير آخرهم فما زال يدعى بها ويحدث الناس عن عثمان بأخر ما مات عليه (كتب إلي السري) عن شعيب عن سيف عن محمد وطلحة وأبي حارثة وأبي عثمان قالوا وأحرقوا الباب وعثمان في الصلاة وقد افتتح " طه ما أنزلنا عليك القرآن لتشفى " وكان سريع القراءة فما كرثه ما سمع وما يخطئ وما يتتعت حتى أتى عليها قبل أن يصلوا إليه ثم عاد فجلس إلى عند المصحف وقرأ " الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيمانا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل " وارتجز المغيرة بن الاخنس وهو دون الدار في أصحابه قد علمت ذات القرون الميل * والحلى والاناامل الطفول لتصدقن بيعتي خليلي * بصارم ذي رونق مصقول لا أستقبل أن أقلت قيلي وأقبل أبو هريرة والناس محجمون عن الدار إلا أولئك العصبة فدرسوا فاستقتلوا فقام معهم وقال أنا إسوتكم وقال هذا يوم طاب امضرب يعني أنه من القتال وطاب وهذه لغة حمير ونادى يا قوم مالي أدعوكم إلى النجاة وتدعونني إلى النار ويادر مروان يومئذ ونادى رجل رجل فبرز له رجل من بني ليث يدعى النباع فاختلفا فضربه مروان أسفل رجليه وضربه الآخر على أصل العنق فقلبه فانكب مروان واستلقى فاجتر هذا أصحابه واجتر الآخر أصحابه فقال المصريون أما والله لا أن تكونوا حجة علينا في الامة لقد قتلناكم بعد تحذير فقال المغيرة من بارز فبرز له رجل فاجتلدوا وهو يقول أضربهم باليابس * ضرب غلام بانس * من الحياة آيس فأجابه صاحبه.. وقال الناس قتل المغيرة بن الاخنس فقال الذي قتله إنا لله فقال له عبدالرحمن بن عديس مالك قال إنني أتيت فيما يرى النائم فقيل لي بشر قاتل المغيرة بن الاخنس بالنار فابتليت به وقتل قباث الكناني نيار بن عبدالله الاسلمي واقتحم الناس الدار من الدور التي حولها حتى ملؤها ولا يشعر الذين

بالباب وأقبلت القبائل على أنبائهم فذهبوا بهم إذ غلبوا على أميرهم وندبوا رجلاً لقتله فانتدب له رجل فدخل عليه البيت فقال أخلعها وندعك فقال وبحك والله ما كشفت امرأة في جاهلية ولا إسلام ولا تغنيت ولا تمنيت ولا وضعت يميني على عورتي مذ بايعت رسول الله صلى الله عليه وسلم وليست خالعا قميصا كسانيه الله عزوجل وأنا على مكاني حتى يكرم الله أهل السعادة ويهين أهل الشقاء فخرج وقالوا ما صنعت فقال علقنا والله والله ما ينجيننا من الناس إلا قتله وما يحل لنا قتله فأدخلوا عليه رجلاً من بني ليث فقال ممن الرجل فقال ليثي فقال لست بصاحبي قال وكيف فقال ألتست الذي دعا لك النبي صلى الله عليه وسلم في نفر أن تحفظوا يوم كذا وكذا قال بلى قال فلن تضيع فرجع وفارق القوم فأدخلوا عليه رجلاً من قريش فقال يا عثمان أني قاتلك قال كلا يا فلان لا تقتلني وقال وكيف قال إن رسول الله صلى الله عليه وسلم استغفر لك يوم كذا وكذا فلن تقارف دماً حراماً فاستغفر ورجع وفارق أصحابه فأقبل عبدالله بن سلام جنى قام على باب الدار ينهاتهم عن قتله وقال يا قوم لا تسلبوا سيف الله عليكم فوالله إن سللتموه لا تغمدوه ويلكم إن سلطانكم اليوم يقوم بالدرة فان قتلتموه لا يقم إلا بالسيف ويلكم إن مدينتكم محفوفة بملائكة الله والله لنن قتلتموه لتتركنها فقالوا يا ابن اليهودية وما أنت وهذا فرجع عنهم قالوا وكان آخر من دخل عليه ممن رجع إلى القوم محمد بن أبي بكر فقال له عثمان ويلك أعلى الله تغضب هل لي اليك جرم إلا حقه أخذته منك فنكل ورجع قالوا فلما خرج محمد بن أبي بكر وعرفوا انكساره ثار قتيبة وسودان بن حمران السكونيان والغافقي فضربه الغافقي بحديدة معه وضرب المصحف برجله فاستدار المصحف فاستقر بين يديه وسالت عليه الدماء وجاء سودان بن حمران ليضربه فانكبت عليه نائلة ابنة الفرافصة واتقت السيف بيدها فتعمدها ونفج أصابعها فأطن أصابع يدها وولت فغمز أوراكها وقال انها لكبيرة العجيزة وضرب عثمان فقتله ودخل غلمة لعثمان مع القوم لينصروه وقد كان عثمان أعتق من كف منهم فلما رأوا سودان قد ضربه أهوى له بعضهم ف ضرب عنقه فقتله ووئب

قتيرة على الغلام فقتله وانتهبوا ما في البيت وأخرجوا من فيه ثم أغلقوه على ثلاثة قتلى فلما خرجوا إلى الدار وثب غلام لعثمان آخر على قتيبة فقتله ودار القوم فأخذوا ما وجدوا حتى تناولوا ما على النساء وأخذ رجل ملاءة نائلة والرجل يدعى كلثوم بن تجيب فقتله نائلة فقال ويح أمك من عجيبة ما أتمك وبصر به غلام لعثمان فقتله وقتل وتنادى القوم أبصر رجل من صاحبه وتنادوا في الدار أدركوا بيت المال لا تسبقوا إليه وسمع أصحاب بيت المال أصواتهم وليس فيهم إلا غرارتان فقالوا النجاء فإن القوم انما يحاولون الدنيا فهربوا وأتوا بيت المال فانتهبوه وماج الناس فيه فالتانئ يسترجع ويبكي والطارئ يفرح وندم القوم وكان الزبير قد خرج من المدينة فأقام على طريق مكة لئلا يشهد مقتله فلما أتاه الخبر بمقتل عثمان وهو بحيث هو قال إنا لله وإنا إليه راجعون رحم الله عثمان وانتصر له وقيل إن القوم نادمون فقال دبروا دبروا وحيل بينهم وبين ما يشتهون الآية وأتى الخبر طلحة فقال رحم الله عثمان وانتصر له وللإسلام وقيل له إن القوم نادمون فقال تبا لهم وقرأ " فلا يستطيعون توصية ولا إلى أهلهم يرجعون " وأتى علي فقتل عثمان فقال رحم الله عثمان وخلف علينا بخير وقيل ندم القوم فقرأ " كمثل الشيطان إذ قال للإنسان اكفر " الآية وطلب سعد فإذا هو في حائطه وقد قال لا

أشهد قتله فلما جاءه قتله قال فررنا إلى المدينة فديننا وقرأ " الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا " اللهم أندمهم ثم خذهم (كتب إلي السري) عن شعيب عن سيف عن المجالد عن الشعبي عن المغيرة بن شعبة قال قلت لعلي إن هذا الرجل مقتول وإنه إن قتل وأنت بالمدينة اتخذوا فيك فأخرج فكن بمكان كذا وكذا فإنك إن فعلت وكنت في غار باليمن طلبك الناس فأبى وحصر عثمان اثنتي وعشرين يوماً ثم أحرقوا الباب وفي الدار أناس كثير فيهم عبدالله بن الزبير ومروان فقالوا إئذن لنا فقال إن رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد إلي عهداً فأنا صابر عليه وإن القوم لم يحرقوا باب الدار إلا وهم يطلبون ما هو أعظم منه فأخرج على رجل يستقتل ويقاتل وخرج الناس كلهم ودعا بالمصحف يقرأ فيه

[٤٢٣]

والحسن عنده فقال إن أباك الآن لفي أمر عظيم فأقسمت عليك لما خرجت وأمر عثمان أبا كرب رجلاً من همدان وآخر من الانصار أن يقوما على باب بيت المال وليس فيه إلا غرارتان من ورق فلما أطفئت النار بعد ما ناوشهم بن الزبير ومروان وتوعد محمد بن أبي بكر بن الزبير ومروان فلما دخل على عثمان هرباً ودخل محمد بن أبي بكر على عثمان فأخذ بلحيته فقال أرسل لحيثي فلم يكن أبوك ليتناولها فأرسلها ودخلوا عليه فممنهم من يجاه بنعل سيفه وآخر يلكزه وجاءه رجل بمشاقص معه فوجاه في ترقوته فسال الدم على المصحف وهم في ذلك يهابون في قتله وكان كبيراً وغشى عليه ودخل آخرون فلما رأوه مغشياً عليه جروا برجله فصاحت نائلة وبناته وجاء التجيبي مخترباً سيفه ليضعه في بطنه فوقته نائلة فقطع يدها وانكأ بالسيف عليه في صدره وقتل عثمان رضى الله عنه قبل غروب الشمس ونادى مناد ما يحل دمه ويخرج ماله فانتهبوا كل شئ ثم تبادروا بيت المال فألقى الرجلان المفاتيح ونجوا وقالوا الهرب الهرب هذا ما طلب القوم * وذكر محمد بن عمر أن عبدالرحمن بن عبد العزيز حدثه عن عبدالرحمن بن محمد أن محمد بن أبي بكر تسور على عثمان من دار عمرو بن حزم ومعه كنانة بن بشر بن عتاب وسودان بن حمران وعمرو بن الحمق فوجدوا عثمان عند امرأته نائلة وهو يقرأ في المصحف في سورة البقرة فتقدمهم محمد بن أبي بكر فأخذ بلحية عثمان فقال قد أخزأك الله يانعتل فقال عثمان لست بنعتل ولكني عبدالله وأمير المؤمنين قال محمد ما أغنى عنك معاوية وفلان وفلان فقال عثمان يا ابن أخي دع عنك لحيثي فما كان أبوك ليقبض على ما قبضت عليه فقال محمد لو رآك أبي تعمل هذه الاعمال أنكرها عليك وما أريد بك أشد من قبضي على لحيثك قال عثمان أستنصر الله عليك وأستعين به ثم طعن جبينه بمشقص في يده ورفع كنانة بن بشر مشاقص كانت في يده فوجأ بها في أصل أذن عثمان فمضت حتى دخلت في حلقه ثم علاه بالسيف حتى قتله فقال عبدالرحمن سمعت أبا عون يقول ضرب كنانة بن بشر جبينه ومقدم رأسه بعمود حديد فخر لجبينه فضربه سودان بن حمران المرادي بعد ما خر لجبينه فقتله * قال محمد

[٤٢٤]

ابن عمر حدثني عبدالرحمن بن أبي الزناد عن عبدالرحمن بن الحارث قال الذي قتله كنانة بن بشر بن عتاب التجيبي وكانت امرأة منظور بن سيار الفزاري تقول خرجنا إلى الحج وما علمنا لعثمان يقتل حتى إذا كنا بالعرج سمعنا رجلاً يتغنى تحت الليل ألا إن خير الناس بعد ثلاثة * قتيل التجيبي الذي جاء من مصر قال وأما عمرو

بن الحمق فوثب على عثمان فجلس على صدره وبه رمق فطعنه تسع طعنات قال عمرو فأما ثلاث منهن فاني طعنتهن إياه الله وأما ست فاني طعنتهن إياه لما كان في صدري عليه * قال محمد وحدثني إسحاق بن يحيى عن موسى بن طلحة قال رأيت عروة بن شيم ضرب مروان يوم الدار بالسيف على رقبتة فقطع إحدى علياويه فعاش مروان أوقص ومروان الذي يقول ما قلت يوم الدار للقوم حاجزوا * رويدا ولا استيقوا الحياة على القتل ولكنني قد قلت للقوم ما صنعوا * بأسيا فكم كيما يصلن إلى الكهل قال محمد الوافدي وحدثني يوسف بن يعقوب عن عثمان بن محمد الاخنسي قال كان حصر عثمان قبل قدوم أهل مصر فقدم أهل مصر يوم الجمعة وقتلوه في الجمعة الاخرى * وحدثني عبدالله بن أحمد المرزوي قال حدثني أبي قال حدثني سليمان قال حدثني عبدالله عن حرملة بن عمران قال حدثني يزيد بن أبي حبيب قال ولي قتل عثمان نهران الاصبحي وكان قاتل عبدالله بن بسرة وهو رجل من بني عبدالدار * قال محمد بن عمرو وحدثني الحكم بن القاسم عن أبي عون مولى المسور بن مخزومة قال ما زال المصريون كافين عن دمه وعن القتال حتى قدمت أمداد العراق من البصرة ومن الكوفة ومن الشام فلما جاؤا شجعوا القوم وبلغهم أن البعوث قد فصلت من العراق ومن مصر من عند ابن سعد ولم يكن ابن سعد بمصر قبل ذلك كان هاربا قد خرج إلى الشام فقالوا نعالجه قبل أن تقدم الامداد * قال محمد وحدثني الزبير بن عبدالله عن يوسف بن عبدالله بن سلام قال أشرف عثمان عليهم وهو محصور وقد أحاطوا بالدار من كل ناحية فقال أشدكم بالله عزوجل هل تعلمون

[٤٢٥]

أنكم دعوتم الله عند مصاب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه أن يخير لكم وأن يجمعكم على خيركم فما ظنكم بالله أتقولون لم يستجب لكم وهنتم على الله سبحانه وأنتم يومئذ أهل حقه من خلقه وجميع أموركم لم تتفرق أم تقولون هان على الله دينه فلم يبال من ولاه والدين يومئذ يعبد به الله ولم يتفرق أهله فتوكلوا أو تخذلوا وتعاقبوا أم تقولون لم يكن أخذ عن مشورة وانما كابرتم مكابرة فوكل الله الأمة إذا عصته لم تشاوروا في الامام ولم تجتهدوا في موضع كراهته أم تقولون لم يدر الله ما عاقبة أمري فكنت في بعض امري محسنا ولاهل الدين رضى فما أحدثت بعد في أمري ما يسخط الله وتسخطون مما لم يعلم الله سبحانه يوم اختارني وسربلني سربال كرامته وأنشدكم بالله هل تعلمون لي من سابقة خير وسلف خير قدمه الله لي وأشهدني من حقه وجهاد عدوه حق على كل من جاء من بعدي أن يعرفوا لي فضلها فهلا لا تقتلونني فانه لا يحل إلا قتل ثلاثة رجل زنى بعد إحصانه أو كفر بعد إسلامه أو قتل نفسا بغير نفس فيقتل بها فانكم إن قتلتموني وضعتم السيف على رقابكم ثم لم يرفعه الله عزوجل عنكم إلى يوم القيامة ولا تقتلونني فانكم إن قتلتموني لم تصلوا من بعدي جميعا أبدا ولم تقتسموا بعدي فيئا جميعا أبدا ولن يرفع الله عنكم الاختلاف أبدا قالوا أما ما ذكرت من استخارة الله عزوجل الناس بعد عمر رضى الله عنه فيمن يولون عليهم ثم ولوك بعد استخارة الله فان كل ما صنع الله الخيرة ولكن الله سبحانه جعل أمرك بلية ابتلى بها عباده وأما ما ذكرت من قدمك وسبقك مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فانك قد كنت ذا قدم وسلف وكنت أهلا للولاية ولكن بدلت بعد ذلك وأحدثت ما قد علمت وأما ما ذكرت مما يصيبنا إن نحن قتلناك من البلاء فانه لا ينبغي ترك إقامة الحق عليك مخافة الفتنة عاما قابلا وأما قولك إنه لا يحل إلا قتل ثلاثة فإننا نجد في كتاب الله قتل غير الثلاثة الذين سميت قتل من سعى في الارض فسادا وقتل من بغى ثم قاتل على بغيه وقتل من حال دون شئ من الحق ومنعه ثم قاتل دونه وكابر عليه وقد بغيت ومنعت الحق وحلت دونه وكابرت عليه أن تقيد من نفسك

من ظلمت عمدا وتمسكت بالامارة علينا وقد جرت في حكمك
وقسمك فان زعمت أنك لم تكابرنا عليه وأن الذين قاموا دونك
ومنعوك منا إنما يقاتلون بغير أمرك فانما يقاتلون لتمسكك بالامارة فلو
أنك خلعت نفسك لانصرفوا عن القتال دونك ذكر بعض سير عثمان بن
عفان رضى الله عنه * حدثني زياد بن أيوب قال حدثنا هشيم قال
زعم أبو المقدم عن الحسن بن أبي الحسن قال دخلت المسجد
فإذا أنا بعثمان بن عفان متكاً على رءاه فأتاه سقاًن يختصمان
فقضى بينهما (وفيما كتب إلي السري) عن شعيب عن سيف عن
عمارة بن القعقاع عن الحسن البصري قال كان عمر بن الخطاب قد
حجر على أعلام قريش من المهاجرين الخروج في البلدان إلا بإذن
وأجل فشكوه فبلغه فقام فقال ألا إني قد سنتت الاسلام سن البعير
بيداً فيكون جذعا ثم ثنيا ثم رباعيا ثم سديسا ثم بازلا ألا فهل ينتظر
بالبازل إلا النقصان ألا فإن الاسلام قد بزل ألا وإن قريشا يريدون أن
يتخذوا مال الله معونات دون عبادته ألا فأما وابن الخطاب حتى فلا انى
قائم دون شعب الحرة أخذ بحلأقيم قريش وحجزها أن يتهافتوا في
النار (وكتب إلي السري) عن شعيب عن سيف عن محمد وطلحة
قالا فلما ولى عثمان لم يأخذهم بالذي كان يأخذهم به عمر
فانساحوا في البلاد فلما رأوها ورأوا الدنيا ورأهم الناس انقطع من لم
يكن له طول ولا مزية في الاسلام فكان مغموما في الناس وصاروا
أوزاعا إليهم وأملوهم وتقدموا في ذلك فقالوا يملكون فيكون قد
عرفناهم وتقدمنا في التقرب والانقطاع إليهم فكان ذلك أول وهن
دخل على الاسلام وأول فتنة كانت في العامة ليس إلا ذلك (وكتب
إلي السري) عن شعيب عن سيف عن عمرو عن الشعبي قال لم
يمت عمر رضى الله عنه حتى ملته قريش وقد كان حصرهم بالمدينة
فامتنع عليهم وقال إن أخوف ما أخاف على هذه الامة انتشاركم في
البلاد فإن كان الرجل ليستأذنه في الغزو وهو ممن حبس بالمدينة
من المهاجرين ولم يكن فعل ذلك بغيرهم من أهل مكة فيقول قد
كان في غزوك مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ما يبلغك وخير
لك من الغزو اليوم ألا ترى الدنيا ولا تراك فلما ولى عثمان خلى
عنهم فاضطربوا في البلاد وانقطع إليهم الناس فكان أحب إليهم

من عمر (كتب إلي السري) عن شعيب عن سيف عن مبشر بن
الفضيل عن سالم بن عبد الله قال لما ولى عثمان حج سنواته كلها
إلا آخر حجة وحج بأزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم كما كان
يصنع عمر فكان عبدالرحمن بن عوف في موضعه وجعل في موضع
نفسه سعيد بن زيد هذا في مؤخر القطار وهذا في مقدمه وأمن
الناس وكتب في الامصار أن يوافيه العمال في كل موسم ومن
يشكوههم وكتب إلى الناس إلى الامصار أن ائتمروا بالمعروف وتناهوا
عن المنكر ولا يذل المؤمن نفسه فإنني مع الضعيف على القوى ما
دام مظلوما إن شاء الله فكان الناس بذلك فجري ذلك إلى أن أتخذه
أقوام وسيلة إلى تفريق الامة (وكتب إلي السري) عن شعيب عن
سيف عن محمد وطلحة قالوا لم تمض سنة من إمارة عثمان حتى
اتخذ رجال من قريش أموالا في الامصار وانقطع إليهم الناس وثبتوا
سبع سنين كل قوم يحيون أن يلي صاحبهم ثم إن ابن السوداء
أسلم وتكلم وقد فاضت الدنيا وطلعت الاحداث على يديه فاستطالوا
عمر عثمان رضى الله عنه (وكتب إلي السري) عن شعيب عن
سيف عن عثمان بن حكيم بن عباد ابن حنيف عن أبيه قال أول منكر
ظهر بالمدينة حين فاضت الدنيا وانتهى وسع الناس طيران الحمام
والرمى على الجلاهقات فاستعمل عليها عثمان رجلا من بني ليث

سنة ثمان فقصها وكسر الجلاهقان (وكتب إلي السري) عن شعيب عن سيف عن محمد بن عبيدالله عن عمرو بن شعيب قال أول من منع الحمام الطيارة والجلاهقات عثمان ظهرت بالمدينة فأمر عليها رجلا فمنعهم منها (وكتب إلي السري) عن شعيب عن سيف عن سهل بن يوسف عن القاسم بن محمد عن أبيه نحواً منه وزاد وحدث بين الناس النشو قال فأرسل عثمان طائفا عليهم بالعصا فمنعهم من ذلك ثم اشتد ذلك فأفشى الحدود ونياً ذلك عثمان وشكاه إلى الناس فاجتمعوا على أن يجلدوا في النبيذ فأخذ نفر منهم فجلدوا (وكتب إلي السري) عن شعيب عن سيف عن مبشر بن الفضيل عن سالم بن عبدالله قال لما حدثت الاحداث بالمدينة خرج منها رجال إلى الامصار مجاهدين وليدنوا من العرب فمنهم من أتى البصرة ومنهم من أتى الكوفة ومنهم من أتى الشام فهجموا جميعاً من أبناء المهاجرين

[٤٢٨]

بالامصار على مثل ما حدث في أبناء المدينة إلا ما كان من أبناء الشام فرجعوا جميعاً إلى المدينة إلا من كان بالشام فأخبروا عثمان بخبرهم فقام عثمان في الناس خطيباً فقال يا أهل المدينة أنتم أصل الاسلام وإنما يفسد الناس بفسادكم ويصلحون بصلاحكم والله والله لا يبلغني عن أحد منكم حدث أحدثه إلا سيرته أفلا أعرفن أحدا عرض دون أولئك بكلام ولا طلب فان من كان قبلكم كانت تقطع أعضاؤهم دون أن يتكلم أحد منهم بما عليه ولا له وجعل عثمان لا يأخذ أحدا منهم على شر أو شبر سلاح عصا فما فوقها إلا سيره فضج أبأؤهم من ذلك حتى بلغه أنهم يقولون ما أحدث التسيير إلا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سير الحكم بن أبي العاص فقال إن الحكم كام مكياً فسيره رسول الله صلى الله عليه وسلم منها إلى الطائف ثم رده إلى بلده فرسول الله صلى الله عليه وسلم سيره بذنبيه ورسول الله صلى الله عليه وسلم رده بعفوه وقد سير الخليفة من بعده وعمر رضى الله عنه من بعد الخليفة وأيم الله لأخذن العفو من أخلافكم ولا بذلنه لكم من خلقي وقد دنت أمور ولا أحب أن تحل بنا وبكم وأنا على وجل وحذر فاحذروا واعتبروا (كتب إلي السري) عن شعيب عن سيف عن عبدالله بن سعيد بن ثابت ويحيى ابن سعيد قال سأل سائل سعيد بن المسيب عن محمد بن أبي حذيفة ما دعاه إلى الخروج على عثمان فقال كان يتيماً في حجر عثمان فكان عثمان والى أيتام أهل بيته ومحتمل كلهم فسأل عثمان العمل حين ولى فقال يا بني لو كنت رضى ثم سألتني العمل لاستعملتلك ولكن لست هناك قال فأذن لي فلاخرج فلاطلب ما يقوتني قال اذهب حيث شئت وجهزه من عنده وحمله وأعطاه فلما وقع إلى مصر كان فيمن تغير عليه أن منعه الولاية قيل فعمار بن ياسر قال كان بينه وبين عباس بن عتبة ابن أبي لهب كلام فضر بهما عثمان فأورث ذلك بين آل عمار وآل عتبة شراً حتى اليوم وكنا عما ضربا عليه وفيه (كتب إلي السري) عن شعيب عن سيف عن عبدالله بن سعيد بن ثابت قال فسألت ابن سليمان بن أبي حثمة فأخبرني أنه تقاذف (كتب إلي السري) عن شعيب عن سيف عن مبشر قال سألت سالم بن عبدالله

[٤٢٩]

عن محمد بن أبي بكر ما دعاه إلى ركوب عثمان فقال الغضب والطمع قلت ما الغضب والطمع قال كان من الاسلام بالمكان الذي هو به وغره أقوام فطمع وكانت له دالة فلزمه حق فأخذ عثمان من ظهره ولم يدهن فاجتمع هذا إلى هذا فصار مذمماً بعد أن كان

محمدًا (كتب إلي السري) عن شعيب عن سيف عن مبشر عن سالم ابن عبدالله قال لما ولي عثمان لان لهم فانتزع الحقوق انتزاعا ولم يعطل حقا فأحبهه على لينة فأسلمهم ذلك إلى أمر الله عزوجل (كتب إلي السري) عن شعيب عن سيف عن سهل عن القاسم قال كان مما أحدث عثمان فرضى به منه أنه ضرب رجلا في منازعة استخف فيها بالعباس بن عبدالمطلب فقبل له فقال نعم أيفخم رسول الله صلى الله عليه وسلم عمه وأرخص في الاستخفاف به لقد خالف رسول الله صلى الله عليه وسلم من فعل ذلك ومن رضى به منه (كتب إلي السري) عن شعيب عن سيف عن زريق بن عبدالله الرازي عن علقمة بن مرثد عن حمران ابن أبان قال أرسلني عثمان إلى العباس بعدما بوع فدعوته الإيه فقال مالك تعبدتني قال لم أكن قط أحوج اليك مني اليوم قال الزم خمسا لا تنازعك الأمة خزائنها ما لزمتهما قال وما هن قال الصبر عن القتل والتحبب والصفح والمداراة وكتمان السر * وذكر محمد بن عمر قال حدثني ابن أبي سبرة عن عمرو بن أمية الضمري قال إن قريشا كان من أسن منهم مولعا بأكل الخزيرة وإني كنت أتعشى مع عثمان خزيرا من طبخ من أجود ما رأيت قط فيها بطون الغنم وأدمها اللبن والسمن فقال عثمان كيف ترى هذا الطعام فقلت هذا أطيب ما أكلت قط فقال يرحم الله ابن الخطاب أكلت معه هذه الخزيرة قط قلت نعم فكادت للقمعة تفرث في يدي حين أهوى بها إلى فمي وليس فيها لحم وكان أدمها السمن ولا لبن فيها فقال عثمان صدقت إن عمر رضى الله عنه أتعب والله من تبع أثره وأنه كان يطلب بثنيه عن هذه الامور ظلغا أما والله ما أكله من مال المسلمين ولكني أكله من مالي أنت تعلم أنني كنت أكثر قريش مالا وأجدهم في التجارة ولم أزل أكل من الطعام ما لان منه وقد بلغت سنا فأحب الطعام إلي ألينه ولا أعلم لاحد علي في ذلك تبعه * قال محمد وحدثني ابن أبي سبرة

[٤٣٠]

عن عاصم عن عبيد الله بن عامر قال كنت أفطر مع عثمان في شهر رمضان فكان يأتينا بطعام هو أليين من طعام عمر قد رأيت علي مائدة عثمان الدرملك الجيد وصغار الضأن كل ليلة وما رأيت عمر قط أكل من الدقيق منخولا ولا أكل من الغنم إلا مسانها فقلت لعثمان في ذلك فقال يرحم الله عمر ومن يطيق ما كان عمر يطيق قال محمد وحدثني عبدالملك بن يزيد بن السائب عن عبدالله بن السائب قال أخبرني أبي قال أول فسطاط رأيته بمنى فسطاط لعثمان وآخر لعبدالله بن عامر بن كرزب وأول من زاد النداء الثالث يوم الجمعة علي الزوراء عثمان وأول من نخل له الدقيق من الولاة عثمان رضى الله عنه (وكتب إلي السري) عن شعيب عن سيف عن محمد وطلحة قالا بلغ عثمان أن ابن ذي الحبكة النهدي يعالج نيرنجا قال محمد بن سلمة إنما هو نيرنج فأرسل إلى الوليد بن عقبة ليسأله عن ذلك فإن أقر به فأوجعه فدعا به فسأله فقال إنما هو رفق وأمر يعجب منه فأمر به فعزر وأخبر الناس خبره وقرأ عليهم كتاب عثمان إنه قد جدبكم فعليكم بالجد وإياكم والهزال فكان الناس عليه وتعجبوا من وقوف عثمان على مثل خبره فغضب فنفر في الذين نفروا فضرب معهم فكتب إلى عثمان فيه فلما سير إلى الشام من سيرسير كعب بن ذي الحبكة ومالك بن عبدالله وكان دينه كدينه إلى دنباوند لانها أرض سحرة فقال في ذلك كعب بن ذي الحبكة للوليد لعمرى لئن طردتني ما إلى التي * طمعت بها من سقطني لسبيل رجوت رجوعي يا ابن أروى ورجعتي * إلى الحق دهرًا غال ذلك غول وإن اغترابي في البلاد وجفوتي * وشتممي في ذات الاله قليل وإن دعائي كل يوم وليلة * عليك بدنباوندكم لطويل فلما ولي سعيدا فقله وأحسن إليه واستصلحه فكفره لم يزد إلا فسادا واستعار ضابئ بن الحارث البرجمي في زمان الوليد بن عقبة من قوم من الانصار كلبا يدعى قرحان يصيد الطباء فحبسه عنهم فنافرة

الانصاريون واستغاثوا عليه بقومه فكاثروه فانترعوه منه وردوه على
الانصار فهجاهم وقال في ذلك

[٤٣١]

تجشم دوني وفد قرحان خطة * تضل لها الوجناء وهي حسير فباتوا
سباعا ناعمين كأنما * حباهم بيت المرزبان أمير فكلبكم لا تتركوا
فهوامكم * فإن عقوق الامهات كبير فاستعدوا عليه عثمان فأرسل
إليه فعزروه وحبسه كما كان يصنع بالمسلمين فاستثقل ذلك فما
زال في الحيس حتى مات فيه وقال في الفتك يعتذر إلى أصحابه
هممت ولم أفعل وكدت وليتني * فعلت ووليت البكاء حلاله وقائلة
قد مات في السجن ضابي * ألا من لخصم لم يجد من يجادله وقائلة
لا يبعد الله ضابئا * فنعم الفتى تخلو به وتحاوله فلذلك صار عمير بن
ضابي سيائيا (كتب إلي السري) عن شعيب عن سيف عن
المستنير عن أخيه قال والله ما علمت ولا سمعت بأحد غزا عثمان
رضى الله عنه ولا ركب إليه إلا قتل لقد اجتمع بالكوفة نفر فيهم
الأشتر وزيد بن صوحان وكعب بن ذي الحبكة وأبو زينب وأبو مورع
وكميل بن زياد وعمير بن ضابئ فقالوا لا والله لا يرفع رأس ما دام
عثمان على الناس فقال عمير بن ضابئ وكميل ابن زياد نحن نقتله
فركبا إلى المدينة فأما عمير فإنه نكل عنه وأما كميل بن زياد فإنه
جسر وثاوره وكان جالسا يرصده حتى أتى عليه عثمان فوجأ عثمان
وجهه فوقع على اسنئه وقال أوجعتني يا أمير المؤمنين قال أو لست
بفاتك قال لا والله الذي لا إله إلا هو فحلف وقد اجتمع عليه الناس
فقالوا نفتشه يا أمير المؤمنين فقال لا قد رزق الله العافية ولا
أشتهي أن أطلع منه على غير ما قال وقال إن كان كما قلت يا كميل
فأقتد مني وحنأ فوالله ما حسبتك ألا تريدني وقال إن كنت صادقا
فأجزل الله وإن كنت كاذبا فأذل الله وقعد له على قدميه وقال دونك
قال قد تركت فبقيا حتى أكثر الناس في نجاتهما فلما قدم الحجاج
قال من كان من بعث المهلب فليواف مكتبه ولا يجعل على نفسه
سبيلا فقام إليه عمير وقال إني شيخ ضعيف ولى ابنان قويان فأخرج
أحدهما مكاني أو كليهما فقال من أنت قال أنا عمير بن ضابئ فقال
والله لقد عصيت الله عزوجل منذ أربعين سنة ووالله لأنكلك بك

[٤٣٢]

المسلمين غضبت لسارق الكلب طالما إن أباك إذ غل لهم وإنك
هممت ونكلت وإني أهم ثم لا أنكل فضربت عنقه (كتب إلي
السري) عن شعيب عن سيف قال حدثنا رجل من بني أسد قال
كان من حديثه أنه كان قد غزا عثمان رضى الله عنه فيمن غزاه فلما
قدم الحجاج ونادى بما نادى به عرض رجل عليه ما عرض نفسه
فقبل منه فلما ولى قال أسماء بن خارجة لقد كان شأن عمير مما
يهمني قال ومن عمير قال هذا الشيخ قال ذكرتني الطعن وكنت
ناسيا أليس فيمن خرج إلى عثمان قال بلى قال فهل بالكوفة أحد
غيره قال نعم كميل قال علي بعمير ف ضرب عنقه ودعا بكميل فهرب
فأخذ النخع به فقال له الاسود بن الهيثم ما تريد من شيخ قد كفاكه
الكبر فقال أما والله لتحبسن عني لسانك أو لاحسن رأسك بالسيف
قال افعل فلما رأى كميل ما لقي قومه من الخوف وهم ألفا مقاتل
قال الموت خير من الخوف إذا أخيف ألفان من سببي وحرموها فخرج
حتى أتى الحجاج فقال له الحجاج أنت الذي أردت ثم لم يكشفك
أمير المؤمنين ولم ترض حتى أفعدته للقصاص إذ دفعك عن نفسه
فقال علي أي ذلك تقتلني تقتلني على عفوه أو على عافيتي قال
يا أدهم بن المحرز اقتله قال والاجر بيني وبينك قال نعم قال أدهم
بل الاجر لك وما كان من إنم فعلتي وقال مالك بن عبدالله وكان من

المسيرين مضت لابن أروى في كميل ظلامه * عفاها له والمستفيد
يلام وقال له لا أقيح اليوم مثله * عليك أبا عمرو وأنت إمام رويدك
رأسى والذي نسكت له * قريش بنا على الكبير حرام وللعفو أمن
يعرف الناس فضله * وليس علينا في القصاص آثام ولو علم الفاروق
ما أنت صانع * نهى عنك نهياً ليس فيه كلام * حدثني عمر بن شبة
قال حدثنا علي بن محمد عن سحيم بن حفص قال كان ربيعة بن
الحارث بن عبدالمطلب شريك عثمان في الجاهلية فقال العباس بن
ربيعة لعثمان اكتب لي إلي ابن عامر يسلفني مائة ألف فكتب
فأعطاه مائة ألف وصله بها وأقطعه داره دار العباس بن ربيعة اليوم *
وحدثني عمر قال حدثنا علي عن

[٤٣٣]

إسحاق بن يحيى عن موسى بن طلحة قال كان لعثمان على طلحة
خمسون ألفاً فخرج عثمان يوماً إلى المسجد فقال له طلحة قد تهياً
مالك فأقبضه قال هو لك يا أبا محمد معونة لك على مروءتك *
وحدثني عمر قال حدثنا علي عن عبد ربه بن نافع عن إسماعيل بن
أبي خالد عن حكيم بن جابر قال قال علي لطلحة أنشدك الله إلا
رددت الناس عن عثمان قال لا والله حتى تعطى بنو أمية الحق من
أنفسها * وحدثني عمر قال حدثنا علي قال حدثنا أبو بكر البكري عن
هشام بن حسان عن الحسن أن طلحة بن عبيدالله باع أرضاً له من
عثمان بسبعمائة ألف فحملها إليه فقال طلحة إن رجلاً تتسقى هذه
عنه وفي بيته لا يدري ما يطرفه من أمر الله عزوجل لغير بالله
سبحانه فبات ورسوله يختلف بها في سكك المدينة يقسمها حتى
أصبح فأصبح وما عنده منها درهم قال الحسن وجاءها هنا يطلب
الدينار والدرهم أو قال الصغراء والبيضاء (وحج) بالناس في هذه
السنة أعني سنة ٣٥ عبدالله بن عباس بأمر عثمان إياه بذلك
حدثني بذلك أحمد بن ثابت الرازي عن حدثه عن إسحاق بن
عيسى عن أبي معشر ذكر الخبر عن السبب الذي من أجله أمر
عثمان رضي الله عنه عبدالله بن عباس رضي الله عنه أن يحج
بالناس في هذه السنة ذكر محمد بن عمر الواقدي أن أسامة بن زيد
حدثه عن داود بن الحصين عن عكرمة عن ابن عباس قال لما حصر
عثمان الحصر الآخر قال عكرمة فقلت لابن عباس أو كانا حصرين فقال
ابن عباس نعم الحصر الأول حصر اثنتي عشرة وقدم المصريون
فلقيهم علي بذي خشب فردهم عنه وقد كان والله علي له صاحب
صدق حتى أوغر نفس علي عليه جعل مروان وسعيد وذووهما
يحملونه على علي فيتحمل ويقولون لو شاء ما كلمك أحد وذلك أن
علياً كان يكلمه وينصحه ويغلظ عليه في المنطق في مروان وذويه
فيقولون لعثمان هكذا يستقبلك وأنت إمامه وسلفه وابن عمه وابن
عمته فما ظنك بما غاب عنك منه فلم يزالوا بعلي حتى أجمع ألا
يقوم دونه فدخلت عليه اليوم الذي خرجت فيه إلى مكة فذكرت له
أن عثمان

[٤٣٤]

دعاني إلى الخروج فقال لي ما يريد عثمان أن ينصحه أحد اتخذ
بطانة أهل غش ليس منهم أحد إلا قد تسبب بطائفة من الأرض
يأكل خراجها ويستذل أهلها فقلت له إن له رحماً وحفاً فإن رأيت أن
تقوم دونه فعلت فإنك لا تعذر إلا بذلك قال ابن عباس فالله يعلم أنني
رأيت فيه الانكسار والرقعة لعثمان ثم إنني لاراه يؤتي إليه عظيم ثم
قال عكرمة وسمعت ابن عباس يقول قال لي عثمان يا ابن عباس
أذهب إلى خالد بن العاص وهو بمكة فقل له يقرأ عليك أمير
المؤمنين السلام ويقول لك إنني محصور منذ كذا وكذا يوماً لا أشرب

إلا من الاجاج من داري وقد منعت بئرا اشتريتها من صلب مالي رومة فانما يشربها الناس ولا أشرب منها شيئا ولا أكل إلا مما في بيتي منعت أن أكل مما في السوق شيئا وأنا محصور كما ترى فأمره وقل له فليحج بالناس وليس بفان فإن أبى فاحجج أنت بالناس فقدمت الحج في العشر فجئت خالد بن العاص فقلت له ما قال لي عثمان فقال لي هل طاقة بعداوة من ترى فأبى أن يحج وقال فحج أنت بالناس فأنت ابن عم الرجل وهذا الامر لا يفضى إلا إليه يعني عليا وأنت أحق أن تحمل له ذلك فحججت بالناس ثم فقلت في آخر الشهر فقدمت المدينة وإذا عثمان قد قتل وإذا الناس يتواثبون على رقبة علي بن أبي طالب فلما رأني علي ترك الناس وأقبل علي فانتجاني فقال ما ترى فيما وقع فانه قد وقع أمر عظيم كما ترى لا طاقة لاحد به فقلت أرى أنه لا بد للناس منك اليوم فأرى أنه لا يبيع اليوم أحد إلا اتهم بدم هذا الرجل فأبى إلا أن يبيع فاتهم بدمه * قال محمد فحدثني ابن أبي سبرة عن عبدالمجيد بن سهيل عن عكرمة قال قال ابن عباس قال لي عثمان رضى الله عنه إنني قد استعملت خالد بن العاص بن هشام على مكة وقد بلغ أهل مكة ما صنع الناس فأنا خائف ان يمنعوه الموقف فيأبى فيقاتلهم في حرم الله عزوجل وأمنه وقوما جاؤوا من كل فج عميق ليشهدوا منافع لهم فرأيت أن أوليك أمر الموسم وكتب معه إلى أهل الموسم بكتاب يسألهم أن يأخذوا له بالحق ممن حصره فخرج ابن عباس فمر بعائشة في الصلصل فقالت يا ابن عباس أنشدك الله فانك قد أعطيت لسانا إزعيلًا أن

[٤٣٥]

تخذل عن هذا الرجل وأن تشكك فيه الناس فقد بانت لهم بصائرهم وانهجت ورفعت لهم المنار وتحلبوا من البلدان لامر قد جم وقد رأيت طلحة ابن عبيد الله قد اتخذ على بيوت الاموال والخزائن مفاتيح فان يل يسر بسيرة ابن عمه أبي بكر رضى الله عنه قال قلت يا أمه لو حدث بالرجل حدث ما فزع الناس إلا إلى صاحبنا فقالت إيها عنك إنني لست أريد مكابرتك ولا مجادلتك قال ابن أبي سبرة فأخبرني عبدالمجيد بن سهيل إنه انتسخ رسالة عثمان التي كتب بها من عكرمة فإذا فيها بسم الله الرحمن الرحيم من عبدالله عثمان أمير المؤمنين إلى المؤمنين والمسلمين سلام عليكم فاني أحمد الله اليكم الذي لا إله إلا هو أما بعد فاني أذكركم بالله جل وعز الذي أنعم عليكم وعلمكم الاسلام وهداكم من الضلالة وأنقذكم من الكفر وأراكم البيئات وأوسع عليكم من الرزق ونصركم على العدو وأسبغ عليكم نعمه فان الله عزوجل يقول وقوله الحق (وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها إن الانسان لظلوم كفار) وقال عزوجل (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون واعتصموا بحبل الله جميعا) إلى قوله لهم عذاب عظيم وقال قوله الحق (يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم وميثاقه الذي واثقكم به إذ قلتم سمعنا وأطعنا) وقال قوله الحق (يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ) إلى قوله (فضلا من الله ونعمة والله عليم حكيم) وقوله عزوجل (إن الذين يشترون بعهد الله وأيمانهم ثمنا قليلا) إلى (ولهم عذاب أليم) وقال وقوله الحق (فأتقوا الله ما استطعتم) إلى (فأولئك هم المفلحون) وقال وقوله الحق (ولا تنقضوا الايمان بعد توكيدها) إلى قوله (وليجزين الذين صبروا أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون) وقال وقوله الحق (أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الامر منكم) إلى (وأحسن تأويلا) وقال وقوله الحق (وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات) إلى قوله (ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون) وقال وقوله الحق (إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله)

إلى (فسيؤتيه أجرا عظيما) أمل بعد فإن الله عزوجل رضى لكم السمع والطاعة والجماعة وحذركم المعصية والفرقة والاختلاف ونبأكم ما قد فعله الذين من قبلكم وتقدم إليكم فيه ليكون له الحجة عليكم إن عصيتموه فأقبلوا نصيحة الله عزوجل واحذروا عذابه فانكم لن تجدوا أمة هلكت إلا من بعد أن تختلف إلا أن يكون لها رأس يجمعها وامتى ما تفعلوا ذلك لا تقيموا الصلاة جميعا وسلط عليكم عدوكم ويستحل بعضكم حرم بعض وامتى يفعل ذلك لا يقيم لله سبحانه دين وتكونوا شيئا وقد قال الله عزوجل لرسوله صلى الله عليه وسلم (إن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا لست منهم في شيء إنما أمرهم إلى الله ثم ينبئهم بما كانوا يفعلون) وإني أوصيكم بما أوصاكم الله وأحذركم عذابه فإن شعيبا صلى الله عليه وسلم قال لقومه (يا قوم لا يجر منكم شقاقي أن يصيبكم مثل ما أصاب قوم نوح) إلى قوله (رحيم ودود) أما بعد فإن أقواما ممن كان يقول في هذا الحديث أظهروا للناس انما يدعون إلى كتاب الله عزوجل والحق ولا يريدون الدنيا ولا منازعة فيها فلما عرض عليهم الحق إذا الناس في ذلك شتى منهم أخذ للحق ونازع عنه حين يعطاه ومنهم تارك للحق ونازل عنه في الأمر يريد أن يبتزه بغير الحق طال عليهم عمري وارث عليهم أملمهم الامرة فاستعجلوا القدر وقد كتبوا إليكم أنهم قد رجعوا بالذي أعطيتهم ولا أعلم أني تركت من الذي عاهدتهم عليه شيئا كانوا زعموا أنهم يطلبون الحدود فقلت أقيموها علي من علمتم تعداها في إحدى أقيموها علي من ظلمكم من قريب أو بعيد قالوا كتاب الله يتلى فقلت فليتله من تلاه غير غال فيه بغير ما أنزل الله في الكتاب وقالوا المحروم يرزق والمال يوفى ليستن فيه السنة الحسنة ولا يعتدى في الخمس ولا في الصدقة ويؤمر ذو القوة والامانة وترد مظالم الناس إلى أهلها فرضيت بذلك واصطبرت له وحنث نسوة النبي صلى الله تعالى عليه وعلى آله وسلم حتى كلمتهن فقلت ما تأمرنني فقلن تؤمر عمرو بن العاص وعبد الله بن قيس وتدع معاوية فانما أمره أمير قبلك فانه مصلح لارضه راض به جنده واردد عمرا فان جنده راضون به وأمره فليصلح أرضه فكل ذلك

فعلت وأنه اعتدى على بعد ذلك وعدا على الحق كتبت إليكم وأصحابي الذين زعموا في الأمر استعجلوا القدر ومنعوا مني الصلاة وحالوا بيني وبين المسجد وابتزوا ما قدروا عليه بالمدينة كتبت إليكم كتابي هذا وهم يخبروني إحدى ثلاث إما يقيدونني بكل رجل أصبته خطأ أو صوابا غير متروك منه شيء وإما أعتزل الأمر فيؤمرون آخر غيري وإما يرسلون إلي من أطاعهم من الاجناد وأهل المدينة فيتبرؤن من الذي جعل الله سبحانه لي عليهم من السمع والطاعة فقلت لهم إما إقادتني من نفسي فقد كان من قبلي خلفاء تخطئ وتصيب فلم يستقدمن أحد منهم وقد علمت أنما يريدون نفسي وأما إن أتبرا من الامارة فإن يكليوني أحب إلي من أن أتبرا من عمل الله عزوجل وخلافته وأما قولكم يرسلون إلى الاجناد وأهل المدينة فيتبرؤن من طاعتي فلست عليكم بوكيل ولم أكن استكرهتهم من قبل على السمع والطاعة ولكن أتوها طائعين يبتغون مرضات الله عزوجل وإصلاح ذات البين ومن يكن منكم إنما يبتغي الدنيا فليس بنائل منها إلا ما كتب الله عزوجل له ومن يكن انما يريد وجه الله والدار الآخرة وصلاح الامة وابتغاء مرضات الله عزوجل والسنة الحسنة التي استن بها رسول الله صلى الله عليه وسلم والخليفتان من بعده رضى الله عنهما فانما يجزي بذلك الله وليس بيدي جزاؤكم ولو أعطيتكم الدنيا كلها لم يكن في ذلك ثمن لدينكم ولم يغن عنكم شيئا فاتقوا الله واحتسبوا ما عنده فمن يرص بالنيك منكم فإني لا أرضاه له ولا يرضى الله سبحانه أن تنكثوا عهده وأما الذي يخبروني

فانما كله النزع والتأمير فملكتم نفسي ومن معي ونظرت حكم الله
وتغيير النعمة من الله سبحانه وكرهت سنة السوء وشقاق الامة
وسفك الدماء فاني أنشدكم بالله والاسلام ألا تأخذوا الا الحق
وتعطوه مني وترك البغي علي أهله وخذوا بيننا بالعدل كما أمركم
الله عز وجل فاني أنشدكم الله سبحانه الذي جعل عليكم العهد
والموازرة في أمر الله فان الله سبحانه قال وقوله الحق وأوفوا بالعهد
ان العهد كان مسؤلا فان هذه معذرة إلى الله ولعلكم تذكرون أما بعد
فإني لا أبرئ نفسي ان النفس لامارة بالسوء

[٤٣٨]

الا ما رحم ربي ان ربي غفور رحيم) وان عاقبت أقواما فما ابتغي
بذلك الا الخير واني أتوب إلى الله عزوجل من كل عمل عملته
وأستغفره انه لا يغفر الذنوب إلا هو أن رحمة ربي وسعت كل شئ
إنه لا يقنط من رحمة الله إلا القوم الضالون وإنه يقبل التوبة عن عباده
ويغفوا عن السيئات ويعلم ما يفعلون وأنا أسأل الله عزوجل أن يغفر
لي ولكم وأن يؤلف قلوب هذه الامة على الخير ويكره إليها الفسق
والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته أيها المؤمنون والمسلمون قال
ابن عباس فقرأت هذا الكتاب عليهم قبل التروية بمكة بيوم * قال
وحدثني ابن أبي سبرة عن عبدالمجيد بن سهيل عن عبيدالله بن
عبدالله بن عتبة عن ابن عباس قال دعاني عثمان فاستعملني على
الحج قال فخرجت إلى مكة فأقمت للناس الحج وقرأت عليهم كتاب
عثمان إليهم ثم قدمت المدينة وقد بويع لعلي ذكر الخبر عن الموضوع
الذي دفن فيه عثمان رضى الله عنه ومن صلى عليه وولى أمره بعد
ما قتل إلى أن فرغ من أمره ودفنه * حدثني جعفر بن عبدالله
المحمدي قال حدثنا عمرو بن حماد وعلي بن حسين قالا حدثنا
حسين بن عيسى عن أبيه عن أبي ميمونة عن أبي بشير العابدي
قال نبذ عثمان رضى الله عنه ثلاثة أيام لا يدفن ثم إن حكيم بن حزام
القرشي ثم أحد بني أسد بن عبدالعزيز وجبير بن مطعم بن عدي
بن نوفل بن عبد مناف كلما عليا في دفنه وطلبوا إليه أن يأذن لاهله
في ذلك ففعل وأذن لهم علي فلما سمع بذلك قعدوا له في الطريق
بالحجارة وخرج به ناس يسير من أهله وهم يريدون به حائطا
بالمدينة يقال له حش كوكب كانت اليهود تدفن فيه موتاهم فلما
خرج على الناس رجموا سريره وهموا بطرحه فبلغ ذلك عليا فأرسل
إليهم يعزم عليهم ليكفن عنه ففعلوا فانطلق حتى دفن رضى الله
عنه في حش كوكب فلما ظهر معاوية بن أبي سفيان علي الناس
أمر بهدم ذلك الحائط حتى أفضى به إلى البقيع فأمر الناس أن يدفنوا
موتاهم حول قبره حتى اتصل ذلك بمقابر المسلمين * حدثني جعفر
قال حدثنا عمرو وعلي قالا حدثنا حسن عن أبيه عن المجالد بن
سعيد الهمداني عن يسار بن أبي كرب

[٤٣٩]

عن أبيه وكان أبو كرب عاملا على بيت مال عثمان قال دفن عثمان
رضى الله عنه بين المغرب والعتمة ولم يشهد جنازته إلا مروان بن
الحكم وثلاثة من مواليه وابنته الخامسة فباحث ابنته ورفعت صوتها
تندبه وأخذ الناس الحجارة وقالوا نعثل نعثل وكادت ترحم فقالوا
الحائط الحائط فدفن في حائط خارجا (وأما الواقيدي) فانه ذكر أن سعد
بن راشد حدثه عن صالح بن كيسان أنه قال لما قتل عثمان رضى
الله عنه قال رجل يدفن بدير سلع مقبرة اليهود فقال حكيم بن حزام
والله لا يكون هذا أبدا وأحد من ولد قصي حي حتى كاد الشر يلتحم
فقال ابن عديس البلوي أيها الشيخ وما يضرك أين يدفن فقال حكيم
بن حزام لا يدفن الا ببقيع الفرقد حيث دفن سلفه وفرطه فخرج به

حكيم بن حزام في اثني عشر رجلا وفيهم الزبير صلى عليه عليه حكيم بن حزام قال الواقدي الثبت عندنا أنه صلى عليه جبير بن مطعم * قال محمد بن عمر وحدثني الضحاك بن عثمان عن مخزومة بن سليمان الوالبي قال قتل عثمان رضى الله عنه يوم الجمعة ضحوة فلم يقدروا على دفنه وأرسلت نائلة ابنة القرافصة إلى حويطب بن عبدالعزى وجبير بن مطعم وأبي جهم بن حذيفة وحكيم بن حزام ونيار الاسلمي فقالوا انا لا نقدر أن نخرج به نهارا وهؤلاء المصريون على الباب فامهلوا حتى كان بين الغرب والعشاء فدخل القوم فحبل بينهم وبينه فقال أبو جهم والله لا يحول بيني وبينه أحد الا مت دونه احملاه فحمل إلى البقيع قال وتبعتهم نائلة بسراج استسرجته بالبقيع وغلما لعثمان حتى انتهوا إلى نخلات عليها حائط فدقوا الجدار ثم قبروه في تلك النخلات وصلى عليه جبير بن مطعم فذهبت نائلة تريد أن تتكلم فزبرها القوم وقالوا إنا نخاف عليه من هؤلاء الغوغاء أن ينشوه فرجعت نائلة إلى منزلها * قال محمد وحدثني عبدالله بن يزيد الهذلي عن عبدالله ابن ساعدة قال لبث عثمان بعد ما قتل ليلتين لا يستطيعون دفنه ثم حمله أربعة حكيم ابن حزام وجبير بن مطعم ونيار بن مكرم وأبو جهم بن حذيفة فلما وضع ليصلى عليه جاء نفر من الانصار يمنعونهم الصلاة عليه فيهم أسلم بن أوس بن بجرة الساعدي وأبو حية المازني في عدة ومنعوهم أن يدفن بالبقيع فقال أبو جهم ادفنوه فقد صلى

[٤٤٠]

الله عليه وملائكته فقالوا لا والله لا يدفن في مقابر المسلمين أبدا فدفنوه في حش كوكب فلما ملكت بنو أمية أدخلوا ذلك الحش في البقيع فهو اليوم مقبرة بني أمية قال محمد وحدثني عبدالله بن موسى المخزومي قال لما قتل عثمان رضى الله عنه أرادوا حز رأسه فوقع عليه نائلة وأم البنين فمنعنه وصحن وضربن الوجوه وخرقن ثيابهن فقال ابن عديس اتركوه فأخرج عثمان ولم يغسل إلى البقيع وأرادوا أن يصلوا عليه في موضع الجنائز فأبى الانصار وأقبل عمير بن ضائب وعثمان موضوع على باب فنزا عليه فكسر ضلعا من أضلاعه وقال سجننا ضابئا حتى مات في السجن * وحدثني الحارث قال حدثنا ابن سعد قال حدثنا أبو بكر ابن عبدالله بن أبي أويس قال حدثني عم جدي الربيع بن مالك بن أبي عامر عن أبيه قال كنت أحد حملة عثمان رضى الله عنه حين قتل حملناه على باب وأن رأسه لتقرع الباب لاسراعنا به وأن بنا من الخوف لامرا عظيما حتى واريناه في قبره في حش كوكب (وأما سيف) فإنه روى فيما كتب به إلى السري عن شعيب عنه عن أبي حارثة وأبي عثمان ومحمد وطلحة أن عثمان لما قتل أرسلت نائلة إلى عبدالرحمن بن عديس فقالت له إنك أمس القوم رحما وأولاهم بأن تقوم بأمرى أغرب عنى هؤلاء الاموات قال فشتمها وزجرها حتى إذا كان في جوف الليل خرج مروان حتى أتى دار عثمان فأثاه زيد بن ثابت وطلحة بن عبيد الله وعلي والحسن وكعب بن مالك وعامة من ثم من أصحابه فتوافى إلى موضع الجنائز صبيان ونساء فأخرجوا عثمان فصلى عليه مروان ثم خرجوا به حتى انتهوا إلى البقيع فدفنوه فيه مما يلي حش كوكب حتى إذا أصبحوا أتوا أعبد عثمان الذين قتلوا معه فأخرجوهم فأرأوهم فمنعوهم من أن يدفنوهم فأدخلوهم حش كوكب فلما أمسوا خرجوا بعدين منهم فدفنوهما إلى جنب عثمان ومع كل واحد منهما خمسة نفر وامرأة فاطمة أم ابراهيم بن عدي ثم رجعوا فأتوا كنانة بن بشر فقالوا إنك أمس القوم بنا رحما فأمر بهاتين الجفتين اللتين في الدار أن تخرجا فكلهم في ذلك فأبوا فقال أنا جار لآل عثمان من أهل مصر ومن لف لفهم فأخرجوهم

فأرموا بهما فجر بأرجلهما فرمى بهما على البلاط فأكلتهما الكلاب وكان العبدان اللذان قتلوا يوم الدار يقال لهما نجيح وصبيح فكان أسماؤهما الغالب على الرقيق لفضلهما وبلأئهما ولم يحفظ الناس اسم الثالث ولم يغسل عثمان وكفن في ثيابه ودمائه ولا غسل غلاماه (وكتب إلي السري) عن شعيب عن سيف عن مجالد عن الشعبي قال دفن عثمان رضى الله عنه من الليل وصلى عليه مروان بن الحكم وخرجت ابنته تكي في أثره ونائلة ابنة الفرافصة رحمهم الله ذكر الخبر عن الوقت الذي قتل فيه عثمان رضى الله عنه اختلف في ذلك بعد إجماع جميعهم على أنه قتل في ذي الحجة فقال بعضهم قتل لثمان عشرة ليلة خلت من ذي الحجة سنة ٣٦ من الهجرة فقال الجمهور منهم قتل لثمانى عشرة ليلة مضت من ذي الحجة سنة ٣٥ ذكر الرواية بذلك عن بعض من قال أنه قتل في سنة ٣٦ * حدثني الحارث بن محمد قال حدثنا ابن سعد قال أخبرنا محمد بن عمر قال حدثني أبو بكر بن إسماعيل بن محمد بن سعد بن أبي وقاص عن عثمان بن محمد الاخنسى قال الحارث وحدثنا ابن سعد قال أخبرنا محمد بن عمر قال حدثني أبو بكر بن عبدالله ابن أبي سبرة عن يعقوب بن زيد عن أبيه قال قتل عثمان رضى الله عنه يوم الجمعة لثمان عشرة ليلة خلت من ذي الحجة سنة ٣٦ بعد العصر وكانت خلافته اثنتي عشرة سنة غير اثني عشر يوما وهو ابن اثنتين وثمانين سنة وقال أبو بكر أخير مصعب بن عبدالله قال قتل عثمان رضى الله عنه يوم الجمعة لثمانى عشرة ليلة خلت من ذي الحجة سنة ٣٦ بعد العصر (وقال) آخرون قتل في ذي الحجة سنة ٣٥ لثمانى عشرة ليلة خلت منه ذكر من قال ذلك * حدثني جعفر بن عبدالله قال حدثنا عمرو بن حماد وعلي قال حدثنا حسن عن أبيه عن المجالد بن سعيد الهمداني عن عامر الشعبي أنه قال حصر عثمان بن عفان رضى الله عنه في الدار اثنتين وعشرين ليلة وقتل صبيحة ثمانى عشرة ليلة مضت

من ذي الحجة سنة خمس وعشرين من وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم * وحدثني أحمد بن ثابت الرازي عن حدثه عن إسحاق بن عيسى عن أبي معشر قال قتل عثمان رضى الله عنه يوم الجمعة لثمانى عشرة ليلة مضت من ذي الحجة سنة ٣٥ وكانت خلافته اثنتي عشرة سنة إلا اثني عشر يوما (كتب إلي السري) عن شعيب عن سيف عن محمد وطلحة وأبي حارثة وأبي عثمان قالوا قتل عثمان رضى الله عنه يوم الجمعة لثمانى عشرة ليلة مضت من ذي الحجة سنة ٣٥ على رأس إحدى عشرة سنة وأحد عشر شهرا واثنين وعشرين يوما من مقتل عمر رضى الله عنه * وحدثني عن زكريا بن عدي قال حدثنا عبيد الله بن عمرو عن ابن عقيل قال قتل عثمان رضى الله عنه سنة ٣٥ (كتب إلي السري) عن شعيب عن سيف عن أبي حارثة وأبي عثمان ومحمد وطلحة قالوا قتل عثمان رضى الله عنه لثمانى عشرة ليلة خلت من ذي الحجة في آخر ساعة (وقال) آخرون قتل يوم الجمعة ضحوة ذكر ما قال ذلك عن هشام بن الكلبي أنه قال قتل عثمان رضى الله عنه صبيحة الجمعة لثمانى عشرة ليلة خلت من ذي الحجة سنة ٣٥ فكانت خلافته اثنتي عشرة سنة إلا ثمانية أيام * حدثنا الحارث عن ابن سعد عن محمد بن عمر قال حدثني الضحاك بن عثمان عن مخرمة بن سليمان الوالبي قال قتل عثمان رضى الله عنه يوم الجمعة ضحوة لثمانى عشرة ليلة مضت من ذي الحجة سنة ٣٥ وقال آخرون قتل في أيام التشريق ذكر ما قال ذلك * حدثني أحمد بن زهير قال حدثنا أبي أبو خيثمة قال حدثنا وهب بن جرير قال سمعت أبي قال سمعت يونس بن يزيد الأيلي عن الزهري قال قتل عثمان رضى الله

عنه فزعم بعض الناس أنه قتل في أيام التشريق وقال بعضهم قتل يوم الجمعة لثمانية عشر ليلة خلت من ذي الحجة ذكر الخبر عن قدر مدة حياته اختلف السلف قبلنا في ذلك فقال بعضهم كانت مدة ذلك اثنتين وثمانين سنة

[٤٤٣]

ذكر من قال ذلك * حدثني الحارث قال حدثنا ابن سعد قال أخبرنا محمد بن عمر أن عثمان رضى الله عنه قتل وهو ابن اثنتين وثمانين سنة قال محمد بن عمر وحدثني الضحاك ابن عثمان عن محرمة بن سليمان الوالبي قال قتل عثمان رضى الله عنه وهو ابن اثنتين وثمانين سنة قال محمد وحدثني سعد بن راشد عن صالح بن كيسان قال قتل عثمان رضى الله عنه وهو ابن اثنتين وثمانين سنة وأشهر وقال آخرون قتل وهو ابن تسعين أو ثمان وثمانين ذكر من قال ذلك * حدثت عن الحسن بن موسى الاشيب قال حدثنا أبو هلال عن قتادة أن عثمان رضى الله عنه قتل وهو ابن تسعين أو ثمان وثمانين سنة وقال آخرون قتل وهو ابن خمس وسبعين سنة وذلك قول ذكر عن هشام بن محمد وقال بعضهم قتل وهو ابن ثلاث وستين وهذا قول نسبه سيف ابن عمر إلى جماعة (كتب إلي السري) عن شعيب عن سيف أن أبا حارثة وأبا عثمان ومحمدا وطلحة قالوا قتل عثمان رضى الله عنه وهو ابن ثلاث وستين سنة وقال آخرون قتل وهو ابن ست وثمانين ذكر من قال ذلك * حدثني محمد بن موسى الحرشى قال حدثنا معاذ بن هشام قال حدثني أبي عن قتادة قال قتل عثمان رضى الله عنه وهو ابن ست وثمانين ذكر الخبر عن صفة عثمان * حدثني زياد بن أيوب قال حدثنا هشيم قال زعم أبو المقدام عن الحسن بن أبي الحسن قال دخلت المسجد فإذا أنا بعثمان رضى الله عنه متكئا على رداءه فنظرت إليه فإذا رجل حسن الوجه وإذا بوجهه نكتات من جدري وإذا شعره قد كسا ذراعيه * حدثني الحارث قال حدثنا ابن سعد قال حدثنا محمد بن عمر قال سألت عمرو بن عبدالله بن عنبسة وعروة بن خالد بن عبدالله بن عمرو

[٤٤٤]

ابن عثمان وعبد الرحمن بن أبي الزناد عن صفة عثمان فلم أر بينهم اختلافا قالوا كان رجلا ليس بالقصير ولا بالطويل حسن الوجه رقيق البشرة كثير اللحية عظيمها أسمر اللون عظيم الكراديس عظيم ما بين المنكبين كثير شعر الرأس يصفر لحيته * وحدثني أحمد بن زهير قال حدثنا أبي قال حدثنا وهب بن جرير ابن حازم قال سمعت أبي يقول سمعت يونس بن يزيد الايلي عن الزهري قال كان عثمان رجلا مربوعا حسن الشعر حسن الوجه أصلع أروج الرجلين ذكر الخبر عن وقت إسلامه وهجرته * حدثني الحارث قال حدثنا ابن سعد قال أخبرنا محمد بن عمر قال كان اسلام عثمان قديما قبل دخول رسول الله صلى الله عليه وسلم دار الارقم قال وكان ممن هاجر من مكة إلى أرض الحبشة الاولى والهجرة الثانية ومعه فيهما جميعا امرأته رقية بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر الخبر عما كان يكنى بن عثمان بن عفان رضى الله عنه * حدثني الحارث بن محمد قال حدثنا ابن سعد قال أخبرنا محمد بن عمر أن عثمان ابن عفان رضى الله عنه كان يكنى في الجاهلية أبا عمرو فلما كان في الاسلام ولد له من رقية بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم غلاما فسماه عبدالله واكتنى به فكناه المسلمون أبا عبدالله فبلغ عبدالله ست سنين فنقره ديك على عينه فمرضى فمات في جمادي الاولى سنة ٤ من الهجرة فصلى عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ونزل في

حفرته عثمان رضى الله عنه وقال هشام بن محمد كان يكنى أبا عمرو ذكر نسبه هو عثمان بن عفان بن العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي وأمه أروى ابنة كريب بن ربيعة بن حبيب بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي وأمها أم حكيم بنت عبدالمطلب ذكر أولاده وأزواجه رقية وأم كلثوم ابنتا رسول الله صلى الله عليه وسلم ولدت له رقية عبدالله وفاخته

[٤٤٥]

ابنة غزوان بن جابر بن نسيب بن وهيب بن زيد بن مالك بن عبد بن عوف بن الحارث بن مازن بن منصور بن عكرمة بن حصفة بن قيس بن عيلان بن مضر ولدت له ابنا قسماه عبدالله وهو عبدالله الاصغر هلك، وأم عمرو بنت جندب بن عمرو بن حممة بن الحارث بن رفاعة بن سعد بن ثعلبة بن لؤي بن عامر بن غنم بن دهمان بن منهب بن دوس من الأزد ولدت له عمرا وخالدا وأبانا وعمر ومريم وفاطمة ابنة الوليد بن عبد شمس بن المغيرة بن عبدالله بن عمر بن مخزوم ولدت له الوليد وسعيدا، وأم سعيد بن عثمان، وأم البنين بنت عيينة بن حصن بن حذيفة بن بدر الفزاري ولدت له عبدالملك بن عثمان هلك، ورملة ابنة شيبه بن ربيعة بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي ولدت له عائشة وأم أبان وأم عمر وبنات عثمان ونائلة ابنة الفرافصة بن الاحوص بن عمرو بن ثعلبة بن الحارث بن حصن بن مضم بن عدي بن جناب بن كلب ولدت له مريم ابنة عثمان وقال هشام بن الكلبي ولدت أم البنين بنت عيينة بن حصن لعثمان عبدالملك وعتبة وقال أيضا ولدت نائلة عنيسة * وزعم الواقدي أن لعثمان ابنة تدعى أم البنين بنت عثمان من نائلة قال وهي التي كانت عند عبدالله بن يزيد بن أبي سفيان وقتل عثمان رضى الله عنه وعنده رملة ابنة شيبه ونائلة وأم البنين بنت عيينة وفاخته ابنة غزوان غير أنه فيما زعم علي بن محمد طلق أم البنين وهو محصور فهؤلاء أزواجه اللواتي كن له في الجاهلية والاسلام وأولاده رجالهم ونسأؤهم ذكر أسماء عمال عثمان رضى الله عنه في هذه السنة على البلدان قال محمد بن عمر قتل عثمان رضى الله عنه وعماله على الامصار فيما حدثني عبدالرحمن بن أبي الزناد على مكة عبدالله بن الحضرمي وعلى الطائف القاسم ابن ربيعة الثقفي وعلى صنعاء يعلى بن منية وعلى الجند عبدالله بن ربيعة وعلى البصرة عبدالله بن عامر بن كريب خرج منها فلم يول عليها عثمان أحدا وعلى الكوفة سعيد بن العاص أخرج منها فلم يترك يدخلها وعلى مصر عبدالله بن سعد بن أبي سرح قدم على عثمان وغلب محمد بن أبي حذيفة عليها وكان عبدالله بن سعد استخلف

[٤٤٦]

على مصر السائب بن هشام بن عمرو العامري فأخرجه محمد بن أبي حذيفة وعلى الشام معاوية بن أبي سفيان (وفيما كتب إلي السري) عن شعيب عن سيف عن أبي حارثة وأبي عثمان قالا مات عثمان رضى الله عنه وعلى الشام معاوية وعامل معاوية على حمص عبدالرحمن بن خالد بن الوليد وعلى قنسرين حبيب بن مسلمة وعلى الأردن أبو الأعور بن سفيان وعلى فلسطين علقمة بن حكيم الكناني وعلى البحر عبدالله بن قيس الفزاري وعلى القضاء أبو الدرداء (وكتب إلي السري) عن شعيب عن سيف عن عطية قال مات عثمان رضى الله عنه وعلى الكوفة على صلاتها أبو موسى وعلى خراج السواد جابر بن فلان المزني وهو صاحب المسناة إلى جانب الكوفة وسماك الأنصاري وعلى حربها القعقاع ابن عمرو وعلى قرقيسيا جابر بن عبدالله وعلى أذربيجان الأشعث بن قيس وعلى

حلوان عتيبة بن النهاس وعلی ماه مالك بن حبيب وعلی همذان النسير وعلی الری سعید بن قیس وعلی اصبهان السائب بن الاقرع وعلی ماسبذان حبیبش وعلی بیت المال عقبه بن عمرو وكان علی قضاء عثمان يومئذ زيد بن ثابت ذكر بعض خطب عثمان رضی الله عنه (كتب إلي السري) عن شعيب عن سيف عن القاسم بن محمد بن عون بن عبدالله عن عتبة قال خطب عثمان الناس بعد ما بويع فقال أما بعد فإنني قد حملت وقد قبلت ألا وإنني متبع وليست بمبتدع ألا وإن لكم علي بعد كتاب الله عزوجل وسنه نبيه صلى الله عليه وسلم ثلاثا اتباع من كان قبلي فيما اجتمعتم عليه وسننتم وسن سنة أهل الخير فيما لم تسنوا عن ملا والكف عنكم الا فيما استوجبتم ألا وإن الدنيا خضرة قد شهيت إلى الناس ومال إليها كثير منهم فلا تركنوا إلى الدنيا ولا تنفوا بها فانها ليست بثقة واعلموا أنها غير تاركة إلا من تركها (وكتب إلي السري) عن شعيب عن سيف عن بدر بن عثمان عن عمه قال آخر خطبة خطبها عثمان رضی الله عنه في جماعة إن الله عزوجل إنما أعطاكم الدنيا لتطلبوا بها الآخرة ولم يعطكموها لتركنوا إليها إن الدنيا تغنى والآخرة تبقى فلا تبطنكم الفانية ولا تشغلنكم

[٤٤٧]

عن الباقية فأثروا ما يبقى علی ما يفنى فان الدنيا منقطعة وإن المصير إلى الله اتقوا الله عزوجل فإن تقواه جنة من بأسه ووسيلة عنده واحذروا من الله الغير والزموا جماعتكم لا تصيروا أحزابا * واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانا) إلى آخر القصة ذكر الخبر عن كان يصلى بالناس في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم حين حصر عثمان قال محمد بن عمر حدثني ربيعة بن عثمان جاء المؤذن سعد القرظ إلى علي بن أبي طالب في ذلك اليوم فقال من يصلي بالناس فقال علي ناد خالد بن زيد فنادى خالد بن زيد فصلى بالناس فانه لأول يوم عرف أن أبا أيوب خالد بن زيد فكان يصلى بهم أياما ثم صلى علي بعد ذلك بالناس * قال محمد وحدثني عبدالرحمن بن عبد العزيز عن عبدالله بن أبي بكر بن حزم قال جاء المؤذن إلى عثمان فأذنه بالصلاة فقال لا أنزل أصلى اذهب إلى من يصلى فجاء المؤذن إلى علي فأمر سهل بن حنيف فصلى اليوم الذي حصر فيه عثمان الحصر الآخر وهو ليلة رؤى هلال ذي الحجة فصلى بهم حتى إذا كان يوم العيد صلى علي العيد ثم صلى بهم حتى قتل رضی الله عنه قال وحدثني عبدالله بن نافع عن أبيه عن ابن عمر قال لما حصر عثمان صلى بالناس أبو أيوب أياما ثم صلى بهم علي الجمعة والعيد حتى قتل رضی الله عنه ذكر ما رثى به من الأشعار وتقاول الشعراء بعد مقتله فيه فيمن مادح وهاج ومن نائح باك ومن سار فرح فكان ممن يمدحه حسان بن ثابت وكعب بن مالك الانصاريان وتميم بن أبي بن مقبل في آخرين غيرهم مما مدحه به وبكاه حسان وهجا به فائله أتركتم غزو الدروب وراءكم * وغزوتمونا عند قبر محمد فلبئس هدى المسلمين هديتم * ولبيئس أمر الفاجر المتعمد إن تقدموا نجعل قري سرواتكم * حول المدينة كل لين مذود أو تدبروا فلبئس ما سافرتكم * ولمثل أمر أميركم لم يرشد

[٤٤٨]

وكأن أصحاب النبي عشية * بدن تذبج عند باب المسجد أبكى أبا عمرو لحسن بلائه * أمسى مقيما في بقيع العرقد وقال أيضا: إن تمس دار ابن أروى منه خاوية * باب صريع وباب محرق خرب فقد يصادف باغى الخير حاجته * فيها ويهوى إليها الذكر والحسب يا أيها

الناس أبدوا ذات أنفسكم * لا يستوى الصدق عند الله والكذب قوموا
بحق ملك الناس تعترفوا * بغارة عصب من خلفها عصب فيهم خبيث
شهاب الموت يقدمهم * مستلثما قد بدا في وجهه الغضب وله فيه
أشعار كثيرة * وقال كعب بن مالك الانصاري: يا للرجال للبك
المخطوف * ولدمعك المترقرف المنزوف ويح لامر قد أتاني رائع * هد
الجيال فأنقضت برجوف قتل الخليفة كان أمرا مفضعا * قامت لذلك
بلية التخويف قتل الامام له النجوم خواضع * والشمس بازغة له
بكسوف يا لهف نفسي إذ تولوا غدوة * بالنعش فوق عوتق وكتوف
ولوا ودلوا في الضريح أخاهم * ماذا أجن ضريحه المسقوف من نائل
أو سودد وحمالة * سبقت له في الناس أو معروف كم من يتيم كان
يجبر عظمه * أمسى بمنزله الضياع يطوف ما زال يقبلهم ويرأب
ظلمهم * حتى سمعت برنة التلهيف أمسى مقبما بالقيع وأصبحوا
* متفرقين قد أجمعوا يخفوف النار موعدهم بقتل إمامهم * عثمان
ظهرها في التلاد عفيف جمع الحمالة بعد حلم راجح * والخير فيه
مبين معروف يا كعب لا تنفك تكي مالكا * ما دمت حيا في البلاد
تطوف فأبكي أبا عمرو عتيقا واصلا * ولواءهم إذ كان غير سخيف
وليبكه عند الحفاظ المعظم * والخيل بين مقانب وصفوف

[٤٤٩]

قتلوك يا عثمان غير مدنس * قتلا لعمرك واقفا بسقيف وقال حسان
من سره الموت صرفا لا مزاج له * فليات مأسدة في دار عثمانا
مستشعري حلق الماضي قد شفعت * قبل المخاطم بيض زان أبدانا
صبرا فدى لكم أمي وما ولدت * قد ينفع الصبر في المكروه أحيانا
فقد رضينا بأهل الشام نافرة * وبالامير وبالاخوان إخوانا إني لمنهم
وإن غابوا وإن شهدوا * ما دمت حيا وما سميت حسانا لتسمعن
وشيكا في ديارهم * الله أكبر يا ثارات عثمانا ويا ليت شعري وليت
الطير تخبرني * ما كان شأن علي وابن عفاننا وقال الوليد بن عقبة
بن أبي معيط يحرض عمارة بن عقبة ألا إن خير الناس بعد ثلاثة *
قتيل التجيبي الذي جاء من مصر فإن يك ظني بابن أمي صادقا *
عمارة لا يطلب بدخل ولا وتر بيت وأوتار ابن عفان عنده * محيمه
بين الخورنق والقصر فأجابه الفضل بن عباس أتطلب ثارا لست منه
ولاله * وابن ابن ذكوان الصفوري من عمرو كما اتصلت بنت الحمار
بأمها * وتنسى أباه إذ تسامى أولى الفخر ألا إن خير الناس بعد
محمد * وصى النبي المصطفى عند ذي الذكر وأول من صلى وصنو
نبيه * وأول من أردى الغواة لدى بدر فلو رأت الانصار ظلم ابن عمكم
* لكانوا له من ظلمه حاضري النصر كفى ذاك عيبا أن يسيروا بقتله
* وأن يسلموه للاحابيش من مصر وقال الحباب بن يزيد المجاشعي
عم الفرزدق لعمر أبيك فلا تجزغن * لقد ذهب الخير إلا قليلا لقد
سفه الناس في دينهم * وخلي ابن عفان شرا طويلا أعاذل كل
امرئ هالك * فسيري إلى الله سيرا جميلا

[٤٥٠]

خلافة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (وفي هذه السنة) بويح
لعلي بن أبي طالب بالمدينة بالخلافة ذكر الخبر عن بيعة من بايعه
والوقت الذي بويح فيه (اختلف) السلف من أهل السير في ذلك فقال
بعضهم سأل عليا أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يتقلد
لهم وللمسلمين فأبى عليهم فلما أبوا عليه وطلبوا إليه تقلد ذلك
لهم ذكر الرواية بذلك عن رواه * حدثني جعفر بن عبد الله المحمدي
قال حدثنا عمرو بن حماد وعلي بن حسين قال حدثنا حسين عن
أبيه عن عبد الملك بن أبي سليمان الفزاري عن سالم بن أبي الجعد
الاشجعي عن محمد بن الحنفية قال كنت مع أبي حين قتل عثمان

رضى الله عنه فقام فدخل منزله فأتاه أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا إن هذا الرجل قد قتل ولا بد للناس من إمام ولا نجد اليوم أحدا أحق بهذا الأمر منك لا أقدم سابقة ولا أقرب من رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لا تفعلوا فاني أكون وزيراً خيراً من أن أكون أميراً فقالوا لا والله ما نحن بفاعلين حتى نبأيعك قال ففي المسجد فان بيعتي لا تكون خفياً ولا تكون إلى عن رضا المسلمين قال سالم ابن أبي الجعد فقال عبدالله بن عباس فلقد كرهت أن يأتي المسجد مخافة أن يشغب عليه وأبى هو إلا المسجد فلما دخل دخل المهاجرون والانصار فبايعوه ثم بايعه الناس * وحدثني جعفر قال حدثنا عمرو وعلي قال حدثنا حسين عن أبيه عن أبي ميمونة عن أبي بشير العابدي قال كنت بالمدينة حيث قتل عثمان رضى الله عنه واجتمع المهاجرون والانصار فيهم طلحة والزبير فأتوا علياً فقالوا يا أبا الحسن هلم نبأيعك فقال لا حاجة لي في أمركم أنا معكم فمن اخترتم فقد رضيت به فاخاروا فقالوا والله ما نختار غيرك قال فاختلفوا إليه بعد ما قتل عثمان رضى الله عنه مراراً ثم أتوه في آخر ذلك فقالوا له إنه لا يصلح الناس إلا بإمرة وقد طال

[٤٥١]

الأمر فقال لهم إنكم قد اختلفتم إلي وأنتم وإني قائل لكم قولاً إن قبلتموه قبلت أمركم وإلا فلا حاجة لي فيه قالوا ما قلت من شيء قبلناه إن شاء الله فجاء فصعد المنبر فاجتمع الناس إليه فقال اني قد كنت كارها لامركم فأبئتم إلا أن أكون عليكم إلا وأنه ليس لي أمر دونكم إلا أن مفاتيح مالكم معي ألا وأنه ليس لي أن أخذ منه درهما دونكم رضيتم قالوا نعم قال اللهم اشهد عليهم ثم بايعهم على ذلك قال أبو بشير وأنا يومئذ عند منبر رسول اله صلى الله عليه وسلم قائم أسمع ما يقول * وحدثني عمر بن شبة قال حدثنا علي بن محمد قال أخبرنا أبو بكر الهذلي عن أبي الميخ قال لما قتل عثمان رضى الله عنه خرج علي إلى السوق وذلك يوم السبت لثمانية عشرة ليلة خلت من ذي الحجة فاتبعه الناس وبهشوا في وجهه فدخل حائط بني عمرو ابن مبدول وقال لابي عمرة بن عمرو بن محصن أغلق الباب فجاء الناس ففزعوا الباب فدخلوا فيهم طلحة والزبير فقالا يا علي اسبط يدك فبايعه طلحة والزبير فنظر حبيب بن ذؤيب إلى طلحة حين بايع فقال أول من بدأ البيعة يد شلاء لا يتم هذا الأمر وخرج علي إلى المسجد فصعد المنبر وعليه إزار وطاق وعمامة خز ونعلاه في يده متوكئاً على قوس فبايعه الناس وجاءوا بسعد فقال علي بايع قال لا أباع حتى يبايع الناس والله ما عليك مني بأس قال خلوا سبيله وجاءوا ببن عمر فقال بايع قال لا أباع حتى يبايع الناس قال اتئني بحميل قال لا أرى حميلاً قال الاشتر حل عني أضرب عنقه قال علي دعوه أنا حميله إنك ما علمت لسيئ الخلق صغيراً وكبيراً * حدثني محمد بن سنان القزاز قال حدثنا إسحاق بن إدريس قال حدثنا هشيم قال أخبرنا حميد عن الحسن قال رأيت الزبير بن العوام بايع علياً في حش من حشان المدينة * وحدثني أحمد بن زهير قال حدثني أبي قال حدثنا وهب بن جرير قال سمعت أبي قال سمعت يونس بن يزيد الأيلي عن الزهري قال بايع الناس علي بن أبي طالب فأرسل إلى الزبير وطلحة فدعاهما إلى البيعة فتلكا طلحة فقال مالك الاشتر وسل سيفه والله لتبايعن أو لا ضربن به ما بين عينيك فقال طلحة وأبن المهرب عنه فبايعه وبايعه الزبير والناس وسأل طلحة والزبير أن يؤمرهما على الكوفة

[٤٥٢]

والبصرة فقال تكونان عندي فأتحمل بكما فإني وحش لفراقكما قال الزهري وقد بلغنا أنه قال لهما إن أحببنا أن تبايعا لي وإن أحببنا بايعتكما فقالا بل نبايعك وقالوا بعد ذلك إنما صنعنا ذلك خشية على أنفسنا وقد عرفنا أنه لم يكن لبايعنا فظهرا إلى مكة بعد قتل عثمان بأربعة أشهر * وحدثني عمر بن شبة قال حدثنا أبو الحسن قال حدثنا أبو مخنف عن عبد الملك بن أبي سليمان عن سالم بن أبي الجعد عن محمد بن الحنفية قال كنت أمسى مع أبي حين قتل عثمان رضي الله عنه حتى دخل بيته فأتاه ناس من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا إن هذا الرجل قد قتل ولا بد من إمام للناس قال أو تكون شوري قالوا أنت لنا رضى قال فالمسجد إذا يكون عن رضى من الناس فخرج إلى المسجد فبايعه من بايعه وبايعت الانصار عليا إلا نغيرا يسيرا فقال طلحة ما لنا من هذا الامر إلا كحسة أنف الكلب * وحدثني عمر قال حدثنا أبو الحسن قال أخبرنا شيخ من بني هاشم عن عبدالله بن الحسن قال لما قتل عثمان رضي الله عنه بايعت الانصار عليا إلا نغيرا يسيرا منهم حسان بن ثابت وكعب بن مالك ومسلمة بن مخلد وأبو سعيد الخدري ومحمد بن مسلمة والنعمان بن بشير وزيد بن ثابت ورافع بن خديج وفضالة بن عبيد وكعب بن عجرة كانوا عثمانية فقال رجل لعبد الله بن حسن كيف أبى هؤلاء بيعة علي وكانوا عثمانية قال أما حسان فكان شاعرا لا يبالي ما يصنع وأما زيد بن ثابت فولاه عثمان الديوان وبيت المال فلما حصر عثمان قال يا معشر الانصار كونوا أنصار الله مرتين فقال أبو أيوب ما تنصره إلا أنه أكثر لك من العضدان فأما كعب بن مالك فاستعمله على صدقة مزينة وترك ما أخذ منهم له. قال وحدثني من سمع الزهري يقول هرب قوم من المدينة إلى الشام ولم يبايعوا عليا ولم يبايعه قدامة بن مظعون وعبد الله بن سلام والمغيرة بن شعبة. وقال آخرون إنما بايع طلحة والزبير عليا كرها. وقال بعضهم لم يبايعه الزبير ذكر من قال ذلك * حدثني عبدالله بن أحمد المروري قال حدثني أبي قال حدثني سليمان قال حدثني

عبدالله عن جرير بن حازم قال حدثني هشام بن أبي هشام مولى عثمان بن عفان عن شيخ من أهل الكوفة يحدثه عن شيخ آخر قال حصر عثمان وعلي بخيبر فلما قدم أرسل إليه عثمان يدعوه فانطلق فقلت لانطلقن معه ولا سمعن مقاتلها فلما دخل عليه كلمه عثمان فحمد الله وأثنى عليه ثم قال أما بعد فإن لي عليك حقوقا حق الاسلام وحق الاخوان وقد علمت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حين أخى بين الصحابة أخى بيني وبينك وحق القرابة والصهر وما جعلت لي في عنقك من العهد والميثاق فوالله لو لم يكن من هذا شئ ثم كنا إنما نحن في جاهلية لكان مبطاً على بني عبد مناف أن يبتزهم أخو بني تيم ملكهم فتكلم علي فحمد الله وأثنى عليه ثم قال أما بعد فكل ما ذكرت من حقك علي ما ذكرت أما قولك لو كنا في جاهلية لكان مبطاً علي بني عبد مناف أن يبتزهم أخو بني تيم ملكهم فصدقت وسيأتيك الخبر ثم خرج فدخل المسجد فرأى أسامة جالسا فدعاه فاعتمد علي يده فخرج يمشي إلى طلحة وتبعته فدخلنا دار طلحة بن عبيدالله وهي رجاس من الناس فقام إليه فقال يا طلحة ما هذا الامر الذي وقعت فيه فقال يا أبا حسن بعد ما مس الحزام الطبيعي فانصرف علي ولم يجر إليه شيئا حتى أتى بيت المال فقال افتحوا هذا الباب فلم يقدر على المفاتيح فقال اكسروه فكسر باب بيت المال فقال أخرجوا المال فجعل يعطي الناس فبلغ الذين في دار طلحة الذي صنع علي فجعلوا يتسللون إليه حتى ترك طلحة وحده وبلغ الخبر عثمان فسر بذلك ثم أقبل طلحة يمشي عائدا إلى دار عثمان فقلت والله لانظرن ما يقول هذا فتبعته فاستأذن علي عثمان فلما دخل عليه قال يا أمير المؤمنين أستغفر الله وأتوب إليه أردت أمرا فحال الله بيني وبينه فقال عثمان

إنك والله ما جئت تائبا ولكنك جئت مغلوبا الله حسيبك يا طلحة *
وحدثني الحارث قال حدثنا ابن سعد قال أخبرنا محمد بن عمر قال
حدثني أبو بكر بن إسماعيل بن محمد بن سعد بن أبي وقاص عن
أبيه عن سعد قال قال طلحة بايعت والسيف فوق رأسي فقال سعد
لا أدري والسيف على رأسه أم لا إلا أنني أعلم أنه بايع كارها قال
وبايع الناس عليا بالمدينة وترىص

[٤٥٤]

سبعة نفر فلم يبايعوه منهم سعد بن أبي وقاص ومنهم ابن عمر
وصهيب وزيد بن ثابت ومحمد بن مسلمة وسلمة بن وقش وأسامة
بن زيد ولم يتخلف أحد من الانصار إلا بايع فيما نعلم * وحدثنا الزبير
بن بكار قال حدثني عمي مصعب بن عبدالله قال حدثني أبي عبدالله
بن مصعب عن موسى بن عقبة عن أبي حبيبة مولى الزبير قال لما
قتل الناس عثمان رضى الله عنه وبايعوا عليا جاء علي إلى الزبير
فاستأذن عليه فأعلمته به فسل سيف ووضع تحت فراشه ثم قال
أذن له فأذنت له فدخل فسلم على الزبير وهو واقف بنحوه ثم خرج
فقال الزبير لقد دخل المرء ما أقصاه قم في مقامه فانظر هل ترى من
السيف شيئا فقامت في مقامه فرأيت ذباب السيف فأخبرته فقال
ذاك أعجل الرجل فلما خرج علي سألته الناس فقال وجدت أبر ابن
أخت وأوصله فظن الناس خيرا فقال علي إنه بايعه (ومما كتب به
إلى السري) عن شعيب عن سيف بن عمر قال حدثنا محمد بن
عبدالله بن سواد بن نويرة وطلحة بن الأعلم وأبو حارثة وأبو عثمان
قالوا بقيت المدينة بعد قتل عثمان رضى الله عنه خمسة أيام
وأمرها الغافقي بن حرب يلتمسون من يجيبهم إلى القيام بالامر فلا
يجدونه يأتي المصريون عليا فيختبئ منهم ويلوذ يحيطان المدينة فإذا
لقوه باعدهم وتبرا منهم ومن مقاتلهم مرة بعد مرة ويطلب الكوفيون
الزبير فلا يجدونه فأرسلوا إليه حيث هو رسلا فباعدهم وتبرا من
مقاتلهم ويطلب البصريون طلحة فإذا لقيهم باعدهم وتبرا من
مقاتلهم مرة بعد مرة وكانوا مجتمعين على قتل عثمان مختلفين
فيمين يهوون فلما لم يجدوا ممالئا ولا مجيبا جمعهم الشر على أول
من أجابهم وقالوا لا نولي أحدا من هؤلاء الثلاثة فبعثوا إلى سعد بن
أبي وقاص وقالوا إنك من أهل الشورى فرأينا فيك مجتمع فاقدم
نبايعك فبعث إليهم أبي وابن عمر خرجنا منها فلا حاجة لي فيها
على حال وتمثل لا تخلطن خبيثات بطيبة * واخلع ثيابك منها وأنج
عربانا ثم إنهم أتوا ابن عمر عبدالله فقالوا أنت ابن عمر فقم بهذا الامر
فقال إن لهذا الامر انتقاما والله لا أتعرض له فالتمسوا غيرى فبقوا
حيارى لا يدرون ما يصنعون

[٤٥٥]

والامر أمرهم (وكتب الي السري) عن شعيب عن سيف عن سهل
بن يوسف عن القاسم بن محمد قال كانوا إذا لقوا طلحة أبى وقال
ومن عجب الايام والدهر أنني * بقيت وحيدا لا أمر ولا أحلى فيقولون
إنك لتوعدنا فيقومون فيتركونه فإذا لقوا الزبير وأرادوه أبى وقال متى
أنت عن دار بفيحان راحل * وباعتها يحنوا عليك الكتاب فيقولون إنك
لتوعدنا فإذا لقوا عليا وأرادوه أبى وقال لو أن قومي طاوعتني
سراتهم * أمرتهم أمرا يديخ الاعاديا فيقولون إنك لتوعدنا فيقومون
بتركونه * وحدثني عمر بن شبة قال حدثنا أبو الحسن المدائني قال
أخبرنا مسلمة بن مجارب عن داود بن أبي هند عن الشعبي قال لما
قتل عثمان رضى الله عنه أتى الناس عليا وهو في سوق المدينة
وقالوا ابسط يدك نبايعك قال لا تعجلوا فإن عمر كان رجلا مباركا وقد
أوصى بها شورى فأمهلوا يجتمع الناس وتشاورون فارتد الناس عن

علي ثم قال بعضهم ان رجع الناس إلى أمصارهم بقتل عثمان ولم
يقم بعده قائم بهذا الامر لم نأمن اختلاف الناس وفساد الامة فعادوا
إلى علي فأخذ الاشتهر بيده فقبضها علي فقال أبعد ثلاثة أما والله
لئن تركتها لتقصرن عينيك عليها حيناً فبايعته العامة وأهل الكوفة
يقولون إن أول من بايعه الاشتهر (وكتب إلي السري) عن شعيب عن
سيف عن أبي حارثة وأبي عثمان قالا لما كان يوم الخميس على
رأس خمسة أيام من مقتل عثمان رضى الله عنه جمعوا أهل المدينة
فوجدوا سعدا والزبير خارجين ووجدوا طلحة في حائط له ووجدوا بني
أمية قد هربوا إلا من يطلق الهرب وهرب الوليد وسعيد إلى مكة في
أول من خرج وتبعهم مروان وتتابع على ذلك من تتابع فلما اجتمع
لهم أهل المدينة قال لهم أهل مصر أنتم أهل الشورى وأنتم تعقدون
الامامة وأمركم عابز علي الامة فانظروا رجلا تصوبونه ونحن لكم تبع
فقال الجمهور علي بن أبي طالب نحن به راضون (أخبرنا) علي بن
مسلم قال حدثنا حبان بن هلال قال حدثنا جعفر بن سليمان عن
عوف قال أما أنا فأشهد أنني سمعت محمد بن سيرين يقول إن عليا
جاء فقال لطلحة

[٤٥٦]

ابسط يدك يا طلحة لبايعك فقال طلحة أنت أحق وأنت أمير المؤمنين
فابسط يدك قال فبسط علي يده فبايعه (كتب إلي السري) عن
شعيب عن سيف عن محمد وطلحة قالا فقالوا لهم دونكم يا أهل
المدينة فقد أجلناكم يومين فوالله لئن لم تفرغوا لنقتلن غدا عليا
وطلحة والزبير وأناسا كثيرا فغشى الناس عليا فقالوا نبايعك فقد ترى
ما نزل بالاسلام وما ابتلينا به من ذوى القربى فقال علي دعوني
والتمسوا غيري فإنما مستقبلون أمرا له وجوه وله ألوان لا تقوم له
القلوب ولا تثبت عليه العقول فقالوا ننشذك الله ألا ترى ما نرى ألا
ترى الاسلام ألا ترى الفتنة ألا تخاف الله فقال قد أجبتكم لما أرى
وإعلموا إن أجبتكم ركبت بكم ما أعلم وإن تركتموني فإنما أنا
كاحدكم إلا أنني أسمعكم وأطوعكم لمن وليتموه أمركم ثم افترقوا
على ذلك وانعدوا الغد وتشاور الناس فيما بينهم وقالوا إن دخل
طلحة والزبير فقد استقامت فبعث البصريون إلى الزبير بصريا وقالوا
احذر لا تحابه وكان رسولهم حكيم بن جبلة العبدي في نفر فجاؤا به
يحدونه بالسيف وإلى طلحة كوفيا وقالوا له احذر لا تحابه فبعثوا
الاشتر في نفر فجاؤا به يحدونه بالسيف وأهل الكوفة وأهل البصرة
شامتون بصاحبهم وأهل مصر فرحون بما اجتمع عليه أهل المدينة
وقد خشع أهل الكوفة وأهل البصرة أن صاروا أتباعا لأهل مصر
وحشوة فيهم وازدادوا بذلك على طلحة والزبير غيظا فلما أصبحوا من
يوم الجمعة حضر الناس المسجد وجاء علي حتى صعد المنبر فقال
يا أيها الناس عن ملا وإذن إن هذا أمركم ليس لاحد فيه حق إلا من
أمرتم وقد افترقنا بالامس على أمر فإن شئتم فعدت لكم وإلا فلا أجد
على أحد فقالوا نحن على ما فارقناك عليه بالامس وجاء القوم
بطلحة فقالوا بايع فقال إنني إنما أبايع كرها فبايع وكان به شلل أول
الناس وفي الناس رجل يعتاف فنظر من بعيد فلما رأى طلحة أول من
بايع قال إنا لله وإنا إليه راجعون أول يد بايعت أمير المؤمنين يد شلاء
لا يتم هذا الامر ثم جئ بالزبير فقال مثل ذلك وبايع وفي الزبير
اختلاف ثم جئ بقوم كانوا قد تخلفوا فقالوا نبايع علي إقامة كتاب
الله في القريب والبعيد والعزير والدليل فبايعهم

[٤٥٧]

ثم قام العامة فبايعوا (كتب إلي السري) عن شعيب عن سيف عن
أبي زهير الأزدي عن عبدالرحمن بن جندب عن أبيه قال لما قتل

عثمان رضى الله عنه واجتمع الناس على علي ذهب الاشتهر فجاء بطلحة فقال له دعني أنظر ما يصنع الناس فلم يدعه وجاء به يتله تلا عنيفا وصعد المنبر فبايع (وكتب إلي السري) عن شعيب عن سيف عن محمد بن قيس عن الحارث الوالبي قال جاء حكيم بن جبلة بالزبير حتى بايع فكان الزبير يقول جاءني لص من لصوص عبدالقيس فبايعت واللح على عنقي (كتب إلي السري) عن شعيب عن سيف عن محمد وطلحة قالا وبايع الناس كلهم (قال أبو جعفر) وسمح بعد هؤلاء الذين اشترطوا الذين جئ بهم وصار الامر أمر أهل المدينة وكانوا كما كانوا فيه وتفرقوا إلى منازلهم لولا مكان النزاع والغوغاء فيهم أتساق الامر في البيعة لعلي بن أبي طالب عليه السلام وبويع علي يوم الجمعة لخمسة يقين من ذي الحجة والناس يحسبون من يوم قتل عثمان رضى الله عنه فأول خطبة خطبها علي حين استخلف فيما كتب به إلي السري عن شعيب عن سيف عن سليمان بن أبي المغيرة عن علي بن الحسين حمد الله وأثنى عليه فقال إن الله عزوجل أنزل كتابا هاديا بين فيه الخير والشر فخذوا بالخير ودعوا الشر الفرائض أدوها إلى الله سبحانه يؤدكم إلى الجنة إن الله حرم حرما غير مجهولة وفضل حرمة المسلم على الحرم كلها وشدد بالاخلاص والتوحيد المسلمين والمسلم من سلم الناس من لسانه ويده إلا بالحق لا يحل أذى المسلم إلا بما يجب بادروا أمر العامة وخاصة أحدكم الموت فإن الناس أمامكم وإن ما من خلفكم الساعة تحذوكم تخفوا تلحقوا وإنما ينتظر الناس أراهم اتقوا الله عباده في عباده وبلاده إنكم مسؤولون حتى عن البقاع والبهائم وأطيعوا الله عزوجل ولا تعصوه وإذا رأيتم الخير فخذوا به وإذا رأيتم الشر فدعوه واذكروا إذ أنتم قليل مستضعفون في الأرض ولما فرغ علي من خطبته وهو على المنبر قال المصربون خذها واحذرا أبا حسن * إنا نمر الامر إمرار الرسن

[٤٥٨]

وإنما الشعر * خذها إليك واحذرا أبا حسن فقال علي مجيبا إنني عجزت عجزة ما أعتذر * سوف أكيس بعدها وأستمر (وكتب إلي السري) عن شعيب عن سيف عن محمد وطلحة قالا ولما أراد علي الذهاب إلى بيته قالت السبائية خذها إليك واحذرا أبا حسن * إنا نمر الامر إمرار الرسن صولة أقوام كاسداد السفن * بمشرفيات كغدران اللبن ونطعن الملك بلين كالشطن * حتى يمرن على غير عنن فقال علي وذكر تركهم العسكر والكيونة على عدة ما منوا حين غمزوهم ورجعوا إليهم فلم يستطيعوا أن يمتنعوا حتى إنني عجزت عجزة لا أعتذر * سوف أكيس بعدها وأستمر أرفع من ذيلي ما كنت أجر * وأجمع الامر الشتيت المنتشر إن لم يشاغبني العجول المنتصر * أو يتركوني والسلاح يبتدر واجتمع إلى علي بعد ما دخل طلحة والزبير في عدة من الصحابة فقالوا يا علي إنا قد اشترطنا إقامة الحدود وإن هؤلاء القوم قد اشتركوا في دم هذا الرجل وأحلوا بأنفسهم فقال لهم يا إخوانه إنني لست أجهل ما تعلمون ولكني كيف أصنع بقوم يملكونا ولا نملكهم هاهم هؤلاء قد ثارت معهم عبدانكم وثابت إليهم أعرايكم وهم خلالكم يسومونكم ما شاؤا فهل ترون موضعا لقدرة على شئ مما تريدون قالوا لا قال فلا والله لا أرى إلا رأيا ترونه إن شاء الله إن هذا الامر أمر جاهلية وإن لهؤلاء القوم مادة وذلك أن الشيطان لم يشرع شريعة قط فيبرح الأرض من أخذ بها أبدا إن الناس من هذا الامر إن حرك على أمور فرقة ترى ما ترون وفرقة ترى ما لا ترون وفرقة لا ترى هذا ولا هذا حتى يهدأ الناس وتقع القلوب مواقعها وتؤخذ الحقوق فاهدؤا عني وانظروا ماذا يأتيكم ثم عودوا واشتد على قريش وجال بينهم وبين الخروج على حالها وإنما هيجه على ذلك هرب بني أمية وتفرق القوم

وبعضهم يقول والله لئن ازداد الامر لا قدرنا على انتصار من هؤلاء الاشرار لترك هذا إلي ما قال علي أمثل وبعضهم يقول نقضى الذي علينا ولا نؤخره ووالله إن عليا لمستغن برأيه وأمره عنا ولا نراه الا سيكون على قريش أشد من غيره فذكر ذلك لعلي فقام فحمد الله وأثنى عليه وذكر فضلهم وحاجته إليهم ونظره لهم وقيامه دونهم وانه ليس له من سلطانهم الا ذلك والاجر من الله عزوجل عليه ونادى برئت الذمة من عبد لم يرجع إلى مواليه فتذامرت السبائية والاعراب وقالوا لنا غدا مثلها ولا نستطيع نحتج فيهم بشئ (كتب الي السري) عن شعيب عن سيف عن محمد وطلحة قالا خرج علي في اليوم الثالث على الناس فقال يا أيها الناس أخرجوا عنكم الاعراب وقال يا معشر الاعراب الحقوا بمياهم فأبت السبائية وأطاعهم الاعراب ودخل علي بيته ودخل عليه طلحة والزبير وعدة من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فقال دونكم ثاركم فاقتلوه فقالوا عشوا عن ذلك قال هم والله بعد اليوم أعشى وأبى وقال لو أن قومي طاوعتني سراتهم * أمرتهم أمرا يديخ الاعاديا وقال طلحة دعني فلأت البصرة فلا يفجأك إلا وأنا في خيل فقال حتى أنظر في ذلك وقال الزبير دعني أت الكوفة فلا يفجأك إلا وأنا في خيل فقال حتى أنظر في ذلك وسمع المغيرة بذلك المجلس فجاء حتى دخل عليه فقال إن لك حق الطاعة والنصيحة وإن الرأي اليوم تحرز به ما في غد وإن الضياع اليوم تضيع به ما في غد أقرر معاوية على عمله وأقرر ابن عامر على عمله وأقرر العمال على أعمالهم حتى إذا أتتك طاعتهم وبيعة الجنود واستبدلت أو تركت قال حتى أنظر فخرج من عنده وعاد إليه من الغد فقال إنني أشرت عليك بالامس برأى وإن الرأي أن تعاجلهم بالنزوع فيعرف السامع من غيره ويستقبل أمرك ثم خرج وتلقاه ابن عباس خارجا وهو داخل فلما انتهى إلي علي قال رأيت المغيرة خرج من عندك ففيم جاءك قال جاءني أمس بذية وذية وجاءني اليوم بذية وذية فقال أما أمس فقد نصحك وأما اليوم فقد غشك قال فما الرأي قال كان الرأي أن تخرج حين قتل الرجل أو قبل ذلك فتأتي مكة فتدخل دارك وتغلق عليك بابك فإن كانت العرب جائلة مضطربة في أترك

لا تجد غيرك فأما اليوم فإن في بني أمية من يستحسنون الطلب بأن يلزموك شعبة من هذا الامر ويشبهون على الناس ويطلبون مثل ما طلب أهل المدينة ولا تقدر على ما يريدون ولا يقدرين عليه ولو صارت الامور إليهم حتى يصيروا في ذلك أموت لحقوهم وأترك لها إلا ما يعجلون من الشبهة وقال المغيرة نصحته والله فلما لم يقبل غششته وخرج المغيرة حتى لحق بمكة * حدثني الحارث عن ابن سعد عن الواقدي قال حدثني ابن أبي سبرة عن عبد الحميد بن سهيل عن عبيد الله بن عبد الله ابن عتبة عن ابن عباس قال دعاني عثمان فاستعملني على الحج فخرجت إلى مكة فأقمت للناس الحج وقرأت عليهم كتاب عثمان إليهم ثم قدمت المدينة وقد بوع لعلي فاتيته في داره فوجدت المغيرة بن شعبة مستخليا به فحبسني حتى خرج من عنده فقلت ماذا قال لك هذا فقال قال لي قبل مرته هذه أرسل إلى عبد الله بن عامر وإلى معاوية وإلى عمال عثمان بعهودهم تقرهم على أعمالهم ويباعون لك الناس فإنهم يهدئون البلاد ويسكنون الناس فأبیت ذلك عليه يومئذ وقلت والله لو كان ساعة من نهار لاجتهدت فيها رأيي ولا وليت هؤلاء ولا مثلهم يولى قال ثم انصرف من عندي وأنا أعرف فيه أنه يرى أنني مخطئ ثم عاد إلى الآن فقال إنني أشرت عليك أول مرة بالذي أشرت عليك وخالفني فيه ثم رأيت بعد ذلك رأيا وأنا أرى أن تصنع الذي رأيت فتزعمهم وتستعين بمن تتق به فقد كفى الله وهم أهون شوكة مما

كان قال ابن عباس فقلت لعلي أما المرة الأولى فقد نصحك وأما المرة الآخرة فقد غشك قال له علي ولم نصحنى قال ابن عباس لانتك تعلم أن معاوية وأصحابه أهل دنيا فمتى تثبتهم لا يبالون بمن ولى هذا الامر و متى تعزلهم يقولون أخذ هذا الامر بغير شورى وهو قتل صاحبنا ويؤلبون عليك فينتقض عليك أهل الشام وأهل العراق مع أني لا آمن طلحة والزبير أن يكررا عليك فقال علي أما ما ذكرت من إقرارهم فوالله ما أشك أن ذلك خير في عاجل الدنيا لاصلاحها وأما الذي يلزمني من الحق والمعرفة بعمال عثمان فوالله لا أولى منهم أحدا أبدا فإن أقبلوا فذلك خير لهم وإن أدبروا بذلت لهم السيف قال ابن عباس فأطعني وادخل دارك

[٤٦١]

والحق بمالك بينيع وأغلق بابك عليك فإن العرب تجول جولة وتضطرب ولا تجد غيرك فإنك والله لئن نهضت مع هؤلاء ليحملنك الناس دم عثمان غدا فأبى علي فقال لابن عباس سر إلى الشام فقد وليتها فقال ابن عباس ما هذا برأى معاوية رجل من بني أمية وهو ابن عم عثمان وعامله علي الشام ولست آمن أن يضرب عنقي لعثمان أو أدنى ما هو صانع أن يحبسني فيتحكم علي فقال له علي ولم قال لقرابة ما بيني وبينك وإن كل ما حمل عليك حمل علي ولكن اكتب إلى معاوية فمنه وعده فأبى علي وقال والله لا كان هذا أبدا * قال محمد وحدثني هشام بن سعد عن أبي هلال قال قال ابن عباس قدمت المدينة من مكة بعد قتل عثمان رضى الله عنه بخمسة أيام فجتت عليا أدخل عليه فقيل لي عنده المغيرة بن شعبة فجلست بالباب ساعة فخرج المغيرة فسلم علي فقال متى قدمت فقلت الساعة فدخلت على علي فسلمت عليه فقال لي لقيت الزبير وطلحة قال قلت لقيتهما بالنواصف قال من معهما قلت أبو سعيد بن الحارث بن هشام في فئة من قريش فقال علي أما إنهم لن يدعوا أن يخرجوا يقولون نطلب بدم عثمان والله نعلم أنهم قتلة عثمان قال ابن عباس يا أمير المؤمنين أخبرني عن شأن المغيرة ولم خلا بك قال جاءني بعد مقتل عثمان بيومين فقال لي أخلصني ففعلت فقال إن النصح رخيص وأنت بغية الناس وإني لك ناصح وإني أشير عليك برد عمال عثمان عامك هذا فاكتب إليهم بإثباتهم على أعمالهم فإذا بايعوا لك واطمأن الامر لك عزلت من أحببت وأقررت من أحببت فقلت والله لا أدهن في ديني ولا أعطى الدين في أمري قال فإن كنت قد أبيت علي فانزع من شئت واترك معاوية فإن لمعاوية جراءة وهو في أهل الشام يسمع منه ولك حجة في إثباته كان عمر بن الخطاب قد ولاه الشام كلها فقلت لا والله لا أستعمل معاوية يومين أبدا فخرج من عندي على ما أشار به ثم عاد فقال لي إنني أشرت عليك بما أشرت به فأبيت علي ثم نظرت في الامر فإذا أنت مصيب لا ينبغي لك أن تأخذ أمرك بخدعة ولا يكون في أمرك دلسة قال فقال ابن عباس فقلت لعلي أما أول ما أشار به عليك فقد نصحك وأما الآخر فغشك وأنا أشير عليك بأن تثبت معاوية

[٤٦٢]

فإن بايع لك فعلي أن أقلعه من منزله قال علي لا والله لا أعطيه إلا السيف قال ثم تمثل بهذا البيت ما مبيتة إن متها غير عاجز * بعار إذا ما غالت النفس غولها فقلت يا أمير المؤمنين أنت رجل شجاع لست بأرب بالحرب أما سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول بالحرب خدعة فقال علي بلى فقال ابن عباس أما والله لئن أطعنتي لاصدرن بهم بعد ورد لا تركنهم ينظرون في دبر الامور لا يعرفون ما كان وجهها في غير نقصان عليك ولا إنم لك فقال يا ابن عباس لست

من هنيأتك وهنيأت معاوية في شئ تشير علي وأرى فإذا عصيتك فأطعني قال فقلت أفعل إن أيسر مالك عندي الطاعة مسير قسطنطين ملك الروم يريد المسلمين (وفي هذه السنة) أعني سنة ٣٥ سار قسطنطين بن هرقل فيما ذكر محمد بن عمر الواقدي عن هشام بن الغاز عن عبادة بن نسي في ألف مركب يريد أرض المسلمين فسلط الله عليهم قاصفا من الريح فغرفهم ونجا قسطنطين بن هرقل فأتى سقلية فصنعوا له حماما فدخله فقتلوه فيه وقالوا قتلت رجالنا ثم دخلت سنة ست وثلاثين تفريق علي عماله على الامصار ولما دخلت سنة ٣٦ فرق علي عماله فما كتب إلي السري عن شعيب عن سيف عن محمد وطلحة قالا بعث علي عماله على الامصار فبعث عثمان بن حنيف على البصرة وعمارة بن شهاب على الكوفة وكانت له هجرة وعبيدالله بن عباس على اليمن وقيس بن سعد على مصر وسهل بن حنيف على الشام فأما سهل فانه خرج حتى إذا كان بتبوك لقيته خيل فقالوا من أنت قال أمير قالوا على أي شئ قال على الشام قالوا إن كان عثمان بعثك فجهلا بك وإن كان بعثك غيره فارجع قال أوما سمعتم بالذي كان قالوا بلى فرجع إلى علي وأما قيس ابن سعد فانه لما انتهى

[٤٦٣]

إلى أيلة لقيته خيل فقالوا من أنت قال من قالة عثمان فأنا أطلب من أوى إليه وانتصر به قالوا من أنت قال قيس بن سعد قالوا امض فمضى حتى دخل مصر فافترق أهل مصر فرقا فرقة دخلت في الجماعة وكانوا معه وفرقة وقفت واعتزلت إلى خربنا وقالوا إن قتل قتلة عثمان فنحن معكم وإلا فنحن على جديلتنا حتى نحرك أو نصيب حاجتنا وفرقة قالوا نحن مع علي ما لم يقد إخواننا وهم في ذلك مع الجماعة وكتب قيس إلى أمير المؤمنين بذلك وأما عثمان بن حنيف فسار فلم يرده أحد عن دخول البصرة ولم يوجد في ذلك لابن عامر رأى ولا حزم ولا استقلال بحرب وافترق الناس بها فاتبع فرقة القوم ودخلت فرقة في الجماعة وفرقة قالت ننظر ما يصنع أهل المدينة فنصنع كما صنعوا وأما عمارة فأقبل حتى إذا كان بزباله لقيه طليحة بن خويلد وقد كان حين بلغهم خبر عثمان خرج يدعو إلى الطلب بدمه ويقول لهفي علي أمر لم يسبقني ولم أدركه ياليتني فيها جذع * أكر فيها وأضع فخرج حين رجع القعقاع من اغائة عثمان فيمن أجابه حتى دخل الكوفة فطلع عليه عمارة قادمة على الكوفة فقال له ارجع فان القوم لا يريدون بأمرهم بدلا وإن أبيت ضربت عنقك فرجع عمارة وهو يقول احذر الخطر ما يماسك الشر خير من شر منه فرجع إلى علي بالخبر وغلب على عمارة بن شهاب هذا المثل من لدن اعتاصت عليه الامور إلى أن مات وانطلق عبيدالله بن عباس إلى اليمن فجمع يعلى بن أمية كل شئ من الجباية وتركه وخرج بذلك وهو سائر على حاميته إلى مكة فقدمها بالمال ولما رجع سهل بن حنيف من طريق الشام وأتته الاخبار ورجع من رجع دعا علي طلحة والزبير فقال إن الذي كنت أحذركم قد وقع يا قوم وإن الامر الذي وقع لا يدرك إلا بإمانته وإنها فتنة كالنار كلما سعرت ازدادت واستنارت فقالا له فأذن لنا أن نخرج من المدينة فإما أن نكابر وإما أن تدعنا فقال سأمسك الامر ما استمسك فإذا لم أجد بدا فأخر الداء الكي وكتب إلى معاوية وإلى أبي موسى وكتب إليه أبو موسى بطاعة أهل الكوفة وبيعتهم وبين

[٤٦٤]

الكاره منهم للذي كان والراضي بالذي قد كان ومن بين ذلك حتى كان علي على المواجهة من أمر أهل الكوفة وكان رسول علي إلى

أبي موسى معبد الاسلامي وكان رسول أمير المؤمنين إلى معاوية سيرة الجهنني فقدم عليه فلم يكتب معاوية بشئ ولم يجبه ورد رسوله وجعل كلما تنجز جوابه لم يزد على قوله آدم إدامة حصن أوجدا بيدي * حربا ضروسا تشب الجزل والضرم ما في جاركم وابنكم إذ كان مقتله * شنعاء شيبت الاصداع واللمما أعبى المسود بها والسيدون فلم * يوجد لها غيرنا مولى ولا حكما وجعل الجهنني كلما تنجز الكتاب لم يزد على هذه الابيات حتى إذا كان الشهر الثالث من مقتل عثمان في صفر دعا معاوية برجل من بني عيس ثم أحد بني رواحة يدعى قبيصة فدفع إليه طومارا مختوما عنوانه من معاوية إلى علي فقال إذا دخلت المدينة فاقبض على أسفل الطومار ثم أوصاه بما يقول وسرح رسول علي وخرجا فقدموا المدينة في ربيع الاول لغرته فلما دخلا المدينة رفع العيسى الطومار كما أمره وخرج الناس ينظرون إليه فتفرقوا إلى منازلهم وقد علموا أن معاوية معترض ومضى حتى يدخل على علي فدفع إليه الطومار ففض خاتمه فلم يجد في جوفه كتابة فقال للرسول ما وراءك قال آمن أنا قال نعم إن الرسل أمانة لا تقتل قال ورائي إني تركت قوما لا يرضون إلا بالقود قال ممن قال من خبط نفسك وتركت ستين ألف شيخ يبكي تحت قميص عثمان وهو منصوب لهم قد ألبسوه منبر دمشق فقال مني يطلبون دم عثمان ألسنت موتورا كثرة عثمان اللهم اني أبرأ اليك من دم عثمان نجا والله قتلة عثمان إلا أن يشاء الله فإنه إذا أراد أمرا أصابه اخرج قال وأنا آمن قال وأنت آمن فخرج العيسى وصاحت السبائية قالوا هذا الكلب هذا وافد الكلاب اقتلوه فنأدى يا آل مضر يا آل قيس الخيل والنبل إني أحلف بالله جل اسمه ليردنها عليكم أربعة آلاف خصى فانظروا كم الفحولة والركاب وتعاووا عليه ومنعته مضر وجعلوا يقولون له اسكت فيقول لا والله لا يفلح هؤلاء أبدا فلقد أتاهم ما يوعدون فيقولون له اسكت فيقول

[٤٦٥]

لقد حل بهم ما يحذرون انتهت والله أعمالهم وذهبت ريحهم فوالله ما أمسوا حتى عرف الذل فيهم استئذان طلحة والزبير عليا (كتب إلي السري) عن شعيب عن سيف عن محمد وطلحة قالا استأذن طلحة والزبير عليا في العمرة فأذن لهما فلحقا بمكة وأحب أهل المدينة أن يعلموا ما رأى علي في معاوية وانتفاضه ليعرفوا بذلك رأيه في قتال أهل القبلة أيجسر عليه أو ينكل عنه وقد بلغهم أن الحسن بن علي دخل عليه ودعاه إلى القعود وترك الناس فدسوا إليه زياد بن حنظلة التميمي وكان منقطعا إلى علي فدخل عليه فجلس إليه ساعة ثم قال له علي يا زياد تيسر فقال لاي شئ فقال تغزو الشام فقال زياد الإناة والرفق أمثل فقال: ومن لا يصانع في أمور كثيرة * يضرس بأنياب ويوطأ بمنسم فتمثل علي وكأنه لا يريد متى تجمع القلب الذكي وصارما * وأنفا حميا تجتنبك المظالم فخرج زياد على الناس والناس ينتظرونه فقالوا ما وراءك فقال السيف يا قوم فعرفوا ما هو فاعل ودعا علي محمد بن الحنفية فدفع إليه اللواء وولى عبدالله بن عباس ميمنته وعمر بن أبي سلمة أو عمرو بن سفيان بن عبد الاسد ولاة ميسرته ودعا أبا ليلي بن عمر بن الجراح بن أخي أبي عبيدة الجراح فجعله على مقدمته واستخلف على المدينة فثم بن عباس ولم يول ممن خرج علي عثمان أحدا وكتب إلى قيس بن سعد أن يندب الناس الي الشام وإلى عثمان بن حنيف وإلى أبي موسى مثل ذلك وأقبل على التهبؤ والتجهز وخطب أهل المدينة فدعاهم إلى النهوض في قتال أهل الفرقة وقال ان الله عزوجل بعث رسولا هاديا مهديا بكتاب ناطق وأمر قائم واضح لا يهلك عنه إلا هالك وان المبتدعات والشبهات هن المهلكات إلا من حفظ الله وان في سلطان الله عصمة أمركم فأعطوه طاعتكم غير ملوية ولا مستكره بها والله لتفعلن أو لينقلن الله عنكم سلطان الاسلام ثم لا ينقله اليكم أبدا حتى يارز الامر إليها

انهضوا إلي هؤلاء القوم الذين يفرقون جماعتكم لعل الله يصلح بكم ما أفسد أهل الآفاق وتقضون الذي عليكم فيناهم كذلك إذ جاء الخبر عن أهل مكة بنحو آخر وتمام على خلاف فقام فيهم بذلك فقال إن الله عزوجل جعل لطالم هذه الامة العفو والمغفرة وجعل لمن لزم الامر واستقام الفوز والنجاة فمن لم يسعه الحق أخذ بالباطل ألا وإن طلحة والزبير وأم المؤمنين وقد تمالؤا على سخط إمارتي ودعوا الناس إلى الاصلاح وسأصبر ما لم أخف على جماعتكم وأكف إن كفوا وأقتصر على ما بلغني عنهم ثم أتاه أنهم يريدون البصرة لمشاهدة الناس والاصلاح فتعبي للخروج إليهم وقال إن فعلوا هذا فقد انقطع نظام المسلمين وما كان عليهم في المقام فينا مؤونة ولا إكراه فاشتد على أهل المدينة الامر فتناقلوا فبعث إلى عبدالله بن عمر كميلا النخعي ف جاء به فقال انهض معي فقال أنا مع أهل المدينة إنما أنا رجل منهم وقد دخلوا في هذا الامر فدخلت معهم لا أفارقهم فإن يخرجوا أخرج وإن يقعدوا أقعد قال فأعطني زعيما بالأ تخرج قال ولا أعطيك زعيما قال لولا ما أعرف من سوء خلقك صغيرا وكبيرا لانكرتني دعوه فأتا به زعيم فرجع عبدالله بن عمر إلى المدينة وهم يقولون لا والله ما ندري كيف نصنع فإن هذا الامر لمشتبه علينا ونحن مقيمون حتى يضي لنا ويسفر فخرج من تحت ليلته وأخبر أم كلثوم بنت علي بالذي سمع من أهل المدينة وأنه يخرج معتمرا مقيما على طاعة علي ما خلا النهوض وكان صدوقا فاستقر عندها وأصبح علي فقيل له حدث البارحة حدث هو أشد عليك من طلحة والزبير وأم المؤمنين ومعاوية قال وما ذلك قال خرج ابن عمر إلى الشام فأتى علي السوق ودعا بالظهر فحمل الرجال وأعد لكل طريق طلابا وماج أهل المدينة وسمعت أم كلثوم بالذي هو فيه فدعت ببغلتها فركبتها في رحل ثم أتت عليا وهو واقف في السوق يفرق الرجال في طلبه فقالت مالك لا تزند من هذا الرجل إن الامر على خلاف ما بلغته وحدثته قالت أنا ضامنة له فطابت نفسه وقال انصرفوا لا والله ما كذبت ولا كذب وانه عندي ثقة فانصرفوا (كتب إلي السري) عن شعيب

عن سيف عن محمد وطلحة قالا ولما رأى من أهل المدينة ما لم يرض طاعتهم حتى يكون معها نصرته قام فيهم وجمع إليه وجوه أهل المدينة وقال إن آخر هذا الامر لا يصلح إلا بما صلح أوله فقد رأيتم عواقب قضاء الله عزوجل على من مضى منكم فانصروا الله ينصركم ويصلح لكم أمركم فأجابته رجلان من أعلام الانصار أبو الهيثم بن التيهان وهو بدري وخزيمة بن ثابت وليس بذئ الشهادتين مات ذو الشهادتين في زمن عثمان رضى الله عنه (كتب إلي السري) عن شعيب عن سيف عن محمد عن عبيدالله عن الحكم قال قيل له أشهد خزيمة ابن ثابت ذو الشهادتين الجميل فقال ليس به ولكنه غيره من الانصار مات ذو الشهادتين في زمان عثمان بن عفان رضى الله عنه (كتب إلي السري) عن شعيب عن سيف عن مجالد عن الشعبي قال بالله الذي لا إله إلا هو ما نهض في تلك الفتنة إلا ستة بدرين مالهم سابع أو سبعة ما لهم ثامن (كتب إلي السري) عن شعيب عن سيف عن عمرو بن محمد عن الشعبي قال بالله الذي لا إله إلا هو ما نهض في ذلك الامر إلا ستة بدرين ما لهم سابع فقلت اختلفتما قال لم نختلف إن الشعبي شك في أبي أيوب أخرج حيث أرسلته أم سلمة إلى علي بعد صفين أو لم يخرج إلا أنه قدم عليه فمضى إليه وعلي يومئذ بالنهروان (كتب إلي السري) عن شعيب عن سيف عن عبدالله ابن سعيد بن ثابت عن رجل عن سعيد بن زيد

قال ما اجتمع أربعة من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ففازوا على الناس بخير يجوزونه إلا وعلي بن أبي طالب أحدهم ثم إن زياد بن حنظلة لما رأى تناقل الناس عن علي ابتدر إليه وقال من تناقل عنك فإننا نخف معك ونقاتل دونك وبينما علي يمشى في المدينة إذ سمع زينب ابنة أبي سفيان وهو تقول ظلامتنا عند مدمم وعند مكحلة فقال إنها لتعلم ما هما لها بثأر (كتب إلي السري) عن شعيب عن سيف عن محمد وطلحة أن عثمان قتل في ذي الحجة لثمان عشرة خلت منه وكان على مكة عبدالله بن عامر الحضرمي وعلى الموسم يومئذ عبدالله عباس بعثه عثمان وهو محصور فتعجل أناس في يومين فأدركوا مع ابن عباس فقدموا المدينة بعد ما قتل وقبل أن يبايع علي وهرب بنو أمية فلحقوا

[٤٦٨]

بمكة وبويع علي لخمسة بقين من ذي الحجة يوم الجمعة وتساقط الهرب إلى مكة وعائشة مقيمة بمكة تريد عمرة المحرم فلما تساقط إليها الهرب استخبرتهم فأخبروها أن قد قتل عثمان رضى الله عنه ولم يجبههم إلى التأمير أحد فقالت عائشة رضى الله عنها ولكن أكياس هذا غب ما كان يدور بينكم من عتاب الاستصلاح حتى إذا قضت عمرتها وخرجت فانتهدت إلى سرف لقيها رجل من أخوالها من بني ليث وكانت واصله لهم رفيقة عليهم يقال له عبيد بن أبي سلمة يعرف بأمه أم كلاب فقالت مهيم فأصم ودمدم فقالت ويحك علينا أو لنا فقال لا تدري قتل عثمان وبقوا ثمانيا قالت ثم صنعوا ماذا فقال أخذوا أهل المدينة بالاجتماع على علي والقوم الغالبون على المدينة فرجت إلى مكة وهي لا تقول شيئا ولا يخرج منها شيء حتى نزلت على باب المسجد وقصدت للحجر فسترت فيه واجتمع الناس إليها فقالت يا أيها الناس إن الغوغاء من أهل الامصار وأهل المياه وعبيد أهل المدينة اجتمعوا أن عاب الغوغاء على هذا المقتول بالامس الارب واستعمال من حدثت سنة وقد استعمل أسنانهم قبله ومواضع من مواضع الحمى حماها لهم وهي أمور قد سبق بها لا يصلح غيرها فتابعهم ونزع لهم عنها استصلاحا لهم فلما لم يجدوا حجة ولا عذرا خلجوا وبادوا بالعدوان ونبأ فعلهم عن قولهم فسفكوا الدم الحرام واستحلوا البلد الحرام وأخذوا المال الحرام واستحلوا الشهر الحرام والله لاصبع عثمان خير من طباق الارض أمثالهم فيجاة من اجتماعكم عليهم حتى ينكل بهم غيرهم ويشرد من بعدهم ووالله لو أن الذي اعتدوا به عليه كان ذنبا لخلص منه كما يخلص الذهب من خبثه أو الثوب من دونه إذ ماصوه كما يماص الثوب بالماء فقال عبدالله بن عامر الحضرمي هاأنا ذا لها أول طالب وكان أول مجيب ومنتدب * حدثني عمر بن شعبة قال حدثنا أبو الحسن المدائني قال حدثنا سحيم مولى وبرة التميمي عن عبيد بن عمرو القرشي قال خرجت عائشة رضى الله عنها وعثمان محصور فقدم عليها مكة رجل يقال له أخضر فقالت ما صنع الناس فقال قتل عثمان المصريين قالت إنا لله وإنا إليه راجعون أيقتل قوما جاءوا يطلبون الحق وينكرون الظلم والله لا نرضى بهذا ثم قدم آخر فقالت

[٤٦٩]

ما صنع الناس قال قتل المصريون عثمان قالت العجب لاخضر زعم أن المقتول هو القاتل فكان يضرب به المثل أكذب من أخضر (كتب إلي السري) عن شعيب عن سيف عن عمرو بن محمد عن الشعبي قال خرجت عائشة رضى الله عنها نحو المدينة من مكة بعد مقتل عثمان فلقيها رجل من أخوالها فقالت ما وراءك قال قتل عثمان واجتمع الناس على علي والامر أمر الغوغاء فقالت ما أظن ذلك تاما ردوني

فانصرفت راجعة إلى مكة حتى إذا دخلتها أتاها عبدالله بن عامر الحضرمي وكان أمير عثمان عليها فقال ما ردك يا أم المؤمنين قالت ردني أن عثمان قتل مظلوما وأن الامر لا يستقيم ولهذه الغوغاء أمر فاطلبوا بدم عثمان تعزوا الاسلام فكان أول من أجازها عبدالله بن عامر الحضرمي وذلك أول ما تكلمت بنو أمية بالحجاز ورفعوا رؤسهم وقام معهم سعيد بن العاص والوليد بن عقبة وسائر بني أمية وقد قدم عليهم عبدالله بن عامر من البصرة وبعلى بن أمية من اليمن وطلحة والزبير من المدينة واجتمع ملؤهم بعد نظر طويل في أمرهم على البصرة وقالت أيها الناس إن هذا حدث عظيم وأمر منكر فانهبوا فيه إلى إخوانكم من أهل البصرة فأنكروه فقد كفاكم أهل الشام ما عندهم لعل الله عزوجل يدرك لعثمان وللمسلمين بثأرهم (كتب إلي السري) عن شعيب عن سيف عن محمد وطلحة قالا كان أول من أجاب إلى ذلك عبدالله بن عامر وبنو أمية وقد كانوا سقطوا إليها بعد مقتل عثمان ثم قدم عبدالله بن عامر ثم قدم بعلى بن أمية فاتفقا بمكة ومع يعلى ستمائة بغير وستمائة ألف فأناخ بالابطح معسكرا وقدم معهما طلحة والزبير فلقيا عائشا رضى الله عنها فقالت ما وراءكما فقالا وراءنا أنا تحملنا بقلبتنا هرابا من المدينة من غوغاء وأعراب وفارقنا قوما حيارى لا يعرفون حقا ولا ينكرون باطلا ولا يمنعون أنفسهم قالت فائتمروا أمرا ثم انهضوا إلى هذه الغوغاء وتمثلت لو أن قومي طاوعتني سرايهم * لانقذتهم من الحبال أو الخبل وقال القوم فيما ائتمروا به الشام فقال عبدالله بن عامر قد كفاكم الشام من يستمر في حوزته فقال له طلحة والزبير فأين قال البصرة فان لي بها صنائع ولهم

في طلحة هوى قالوا قبحك الله فوالله ما كنت بالمسالمة ولا بالمحارب فهلا أقمت كما أقام معاوية فنكتفي بك ونأتي الكوفة فنسد على هؤلاء القوم المذاهب فلم يجدوا عنده جوابا مقبولا حتى إذا استقام لهم الرأي على البصرة قالوا يا أم المؤمنين دعى المدينة فإن من معنا لا يقرنون لتلك الغوغاء التي بها وأشخصى معنا إلى البصرة فأنا نأتي بلدا مضيعا وسيحتجون علينا فيه ببيعة علي بن أبي طالب فتنهضينهم كما أنهضت أهل مكة ثم تقعدين فإن أصلح الله الامر كان الذي تريدان وإلا احتسبنا ودفعنا عن هذا الامر بجهدنا حتى يقضى الله ما أراد فلما قالوا ذلك لها ولم يكن ذلك مستقيما إلا بها قالت نعم وقد كان أزواج النبي صلى الله عليه وسلم معها على قصد المدينة فلما تحول رأيها إلى البصرة تركن ذلك وإنطلق القوم بعدها إلى حفصة فقالت رأيي تبع لرأي عائشة حتى إذا لم يبق إلا الخروج قالوا كيف نستقل وليس معنا مال نجهز به الناس فقال يعلى بن أمية معي ستمائة ألف وستمائة بغير فاركبوها وقال ابن عامر معي كذا وكذا فتجهزوا به فنادى المنادى إن أم المؤمنين وطلحة والزبير شاخصون إلى البصرة فمن كان يريد إعزاز الاسلام وقاتل المحليين والطلب بثأر عثمان ولم يكن عنده مركب ولم يكن له جهاز فهذا جهاز وهذه نفقة فحملوا ستمائة رجل على ستمائة ناقة سوى من كان له مركب وكانوا جميعا ألفا وتجهزوا بالمال ونادوا بالرحيل واستقلوا ذاهبين وأرادت حفصة الخروج فاتاها عبدالله بن عمر فطلب إليها أن تقعد فقعدت وبعثت إلى عائشة أن عبدالله حال بيني وبين الخروج فقالت يغفر الله لعبد الله وبعثت أم الفضل بنت الحارث رجلا من جهينة يدعى ظفرا فاستأجرته على أن يطوى ويأتي عليا بكتابها فقدم على علي بكتاب أم الفضل بالخبر * حدثني عمر بن شبة قال حدثنا علي عن أبي مخنف قال حدثنا عبدالله بن عبدالرحمن بن أبي عمرة عن أبيه قال قال أبو قتادة لعلي يا أمير المؤمنين ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قلدني هذا السيف وقد شتمته فطال شيمه وقد أنى تجريده على هؤلاء القوم الظالمين الذين لم يألوا الأمة غشا

فإن أحببت أن تقدمني فقدمني وقامت أم سلمة فقالت يا أمير المؤمنين لولا أن أعصى الله عزوجل وأنك

[٤٧١]

لا تقبله مني لخرجت معك وهذا ابني عمر والله لهو أعز علي من نفسي يخرج معك فيشهد مشاهدك فخرج فلم يزل معه واستعمله على البحرين ثم عزله واستعمل النعمان بن عجلان الزرقى * حدثني عمر قال حدثنا أبو الحسن قال حدثنا مسلمة عن عوف قال أعان يعلى بن أمية الزبير بأربعمائة ألف وحمل سبعين رجلا من قرينش وحمل عائشة رضى الله عنها على جمل يقال له عسكر أخذه بثمانين دينارا وخرجوا فنظر عبدالله بن الزبير إلى البيت فقال ما رأيت مثلك بركة طالب خير ولا هارب من شر (كتب إلي السري) عن شعيب عن سيف عن محمد وطلحة قالوا خرج المغيرة وسعيد بن العاص معهم مرحلة من مكة فقال سعيد للمغيرة ما الرأي قال الرأي والله الاعتزال فإنهم ما يفلح أمرهم فإن أظفره الله أتيناها فقلنا كان هوانا وصغونا معك فاعتزلا فجلسا فجاء سعيد مكة فاقام بها ورجع معهما عبدالله بن خالد بن أسيد * حدثني أحمد بن زهير قال حدثنا أبي قال حدثنا وهب بن جرير بن حازم قال سمعت أبي قال سمعت يونس ابن يزيد الايلي عن الزهري قال ثم ظهرا يعني طلحة والزبير إلى مكة بعد قتل عثمان رضى الله عنه بأربعة أشهر وابن عامر بها يجر الدنيا وقدم يعلى بن أمية معه بمال كثير وزيادة على أربعمائة بعير فاجتمعوا في بيت عائشة رضى الله عنها فارادوا الرأي فقالوا نسير إلى علي فنقاتله فقال بعضهم ليس لكم طاقة بأهل المدينة ولكننا نسير حتى ندخل البصرة والكوفة وطلحة بالكوفة شيعة وهوى وللزبير بالبصرة هوى ومعونة فاجتمع رأيهم على أن يسيروا إلى البصرة وإلى الكوفة فأعطاهم عبدالله بن عامر مالا كثيرا وإبلا فخرجوا في سبعمائة رجل من أهل المدينة ومكة ولحقهم الناس حتى كانوا ثلاثة آلاف رجل فبلغ عليا مسيرهم فأمر على المدينة سهل بن حنيف الانصاري وخرج فسار حتى نزل ذقار وكان مسيره إليها ثمان ليال ومعه جماعة من أهل المدينة * حدثني أحمد بن منصور قال حدثني يحيى بن معين قال حدثنا هشام بن وسف قاضى صنعاء عن عبدالله بن مصعب بن ثابت بن عبدالله بن الزبير عن موسى بن عقبة عن علقمة بن وقاص الليثي قال لما خرج طلحة والزبير وعائشة

[٤٧٢]

رضى الله عنهم عرضوا الناس بذات عرق واستصغروا عروة بن الزبير وأبا بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام فردوهما * حدثني عمر بن شبة قال حدثنا أبو الحسن قال أخبرنا أبو عمرو عن عتبة بن المغيرة بن الاخنس قال لقي سعيد بن العاص مروان بن الحكم وأصحابه بذات عرق فقال أين تذهبون وتأركم على أعجاز الابل اقتلوهم ثم ارجعوا إلى منازلكم لا تقتلوا أنفسكم قالوا بل نسير فلعلنا نقتل قتلة عثمان جميعا فخلا سعيد بطلحة والزبير فقال ان طفرتما لمن تجعلان الامر أصدقاني قال لا احدنا أينا اختاره الناس قال بل اجعلوه لولد عثمان فانكم خرجتم تطلبون بدمه قال نددع شيوخ المهاجرين ونجعلها لابنائهم قال أفلا أراني أسعى لآخريها من بني عبد مناف فرجع ورجع عبدالله بن خالد بن أسيد فقال المغيرة بن شعبة الرأي ما رأى سعيد من كان ههنا من ثقيف فليرجع فرجع ومضى القوم معهم أبان بن عثمان والوليد بن عثمان فاختلفوا في الطريق فقالوا من ندعو لهذا الامر فخلا الزبير بابنه عبدالله وخلا طلحة بعلقمة بن وقاص الليثي وكان يؤثره على ولده فقال أحدهما أنت الشأم وقال الآخر انت العراق وحاو كل واحد منهما صاحبه ثم اتفقا

على البصرة (كتب إلي السري) عن شعيب عن سيف عن محمد بن قيس عن الاغر قال لما اجتمع إلى مكة بنو أمية وبعلى بن منية وطلحة والزبير ائتمروا أمرهم واجمع ملؤهم على الطلب بدم عثمان وقتال السبائية حتى يثاروا وينقموا فأمرتهم عائشة رضی الله تعالى عنها بالخروج إلى المدينة واجتمع القوم على البصرة وردوها عن رأيها وقال لها طلحة والزبير إنا نأتي أرضا قد أضيعت وصارت إلي علي وقد أجبرنا علي علي بيعته وهم محتجون علينا بذلك وتاركو أمرنا إلا أن تخرجي فتأمري بمثل ما أمرت بمكة ثم ترجعي فنأدى المنادى أن عائشة تريد البصرة وليس في ستمائة بعير ما تعنون به غوغاء وجالية الاعراب وعبيدا قد انتشروا وافترشوا أذرعهم مسعدين لأول واعية وبعثت إلى حفصة فأرادت الخروج فعزم عليها ابن عمر فأقامت فخرجت عائشة ومعها طلحة والزبير وأمرت على الصلاة عبدالرحمن

[٤٧٣]

ابن عتاب بن أسيد فكان يصلي بهم في الطريق وبالْبصرة حتى قتل وخرج معها مروان وسائر بني أمية إلا من خشع وتيامنت عن أوطاس وهم ستمائة راكب سوى من كانت له مطية فتركت الطريق ليلة وتيامنت عنها كأنهم سيارة ونجعة مساحلين لم يدن من المنكدر ولا وأسط ولا فلج منهم أحد حتى أتوا البصرة في عام خصب وتمثلت دعى بلاد جموع الظلم إذ صلحت * فيها المياه وسيرى سير مذخور تخيري النبت فارعي ثم ظاهرة * وبطن واد من الضمار ممطور * حدثني عمر قال حدثنا أبو الحسن عن عمر بن راشد اليمامي عن أبي كثير السحيمي عن ابن عباس قال خرج أصحاب الجمل في ستمائة معهم عبدالرحمن بن أبي بكر وعبد الله بن صفوان الجمحي فلما جازوا بئر ميمون إذا هم بجزور قد نحرت ونحرها ينثعب فتطيروا وأذن مروان حين فصل من مكة ثم جاء حتى وقف عليهما فقال أيكما أسلم بالامرة وأؤذن بالصلاة فقال عبدالله بن الزبير على أبي عبدالله وقال محمد بن طلحة على أبي محمد فأرسلت عائشة رضی الله عنها إلى مروان فقالت مالك أتريد أن تفرق أمرنا ليصل ابن أختي فكان يصلي بهم عبدالله بن الزبير حتى قدم البصرة فكان معاذ بن عبيدالله يقول والله لو ظفرنا لافتتنا ما خلى الزبير بين طلحة والامر ولا خلى طلحة بين الزبير والامر خروج علي إلى الربيعة يريد البصرة (كتب إلي السري) عن شعيب عن سيف عن سهل بن يوسف عن القاسم ابن محمد قال جاء عليا الخبر عن طلحة والزبير وأم المؤمنين فأمر على المدينة تمام ابن العباس وبعث إلى مكة قثم بن العباس وخرج وهو يرجو أن يأخذهم بالطريق وأراد أن يعترضهم فاستبان له بالربيعة أن قد فاتوه وجاءه بالخبر عطاء بن رثاب مولى الحارث بن حزن (كتب إلي السري) عن شعيب عن سيف عن محمد وطلحة قالا بلغ عليا الخبر وهو بالمدينة باجتماعهم على الخروج إلى البصرة وبالذي اجتمع عليه ملؤهم طلحة والزبير وعائشة ومن تبعهم وبلغه قول عائشة وخرج علي بيادرهم

[٤٧٤]

في تعبته التي كان تعبي بها إلى الشام وخرج معه من نشط من الكوفيين والبصريين متخفين في سبعمائة رجل وهو يرجو أن يدركهم فيحول بينهم وبين الخروج فلقية عبدالله بن سلام فأخذ بعنانه وقال يا أمير المؤمنين لا تخرج منها فوالله لئن خرجت منها لا ترجع إليها ولا يعود إليها سلطان المسلمين أبدا فسبوه فقال دعوا الرجل فنعم الرجل من أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم وسار حتى انتهى إلى الربيعة فبلغه ممرهم فأقام حين فاتوه يأتمر بالربيعة (كتب إلي السري) عن شعيب عن سيف عن خالد بن مهرا

البيجلي عن مروان بن عبدالرحمن الجميسى عن طارق ابن شهاب قال خرجنا من الكوفة معتمرين حين أتانا قتل عثمان رضى الله عنه فلما انتهينا إلى الربذة وذلك في وجه الصبح إذا الرفاق وإذا بعضهم يتلو بعضا فقلت ما هذا فقالوا أمير المؤمنين فقلت ما له قالوا عليه طلحة والزبير فخرج يعترض لهما ليردهما فبلغه أنهما قد فاتاه وهو يريد أن يخرج في آثارهما فقلت إنا لله وإنا إليه راجعون أتى عليا فأقاتل معه هذين الرجلين وأم المؤمنين أو أخالفه إن هذا لشديد فخرجت فأتيته فأقيمت الصلاة بغلس فتقدم فصلى فلما انصرف أتاه ابنه الحسن فقال قد أمرتك فعصيتني فتقتل غدا بمصبة لا ناصر لك فقال علي إنك لا تزال تحن حنين الجارية وما الذي أمرتني فعصيتك قال أمرتك يوم أحيط بعثمان رضى الله عنه أن تخرج من المدينة فيقتل ولست بها ثم أمرتك يوم قتل أبا تبايع حتى يأتيك وفود أهل الامصار والعرب وبيعة كل مصر ثم أمرتك حين فعل هذان الرجلان ما فعلا أن تجلس في بيتك حتى يصطلحوا فان كان الفساد كان على يدى غيرك فعصيتني في ذلك كله قال أي بني أما قولك لو خرجت من المدينة حين أحيط بعثمان فوالله لقد أحبط بنا كما أحبط به وأما قولك لا تبايع حتى يأتى بيعة الامصار فإن الامر أمر أهل المدينة وكرهنا أن يضيع هذا الامر وأما قولك حين خرج طلحة والزبير فان ذلك كان وهنا على أهل الاسلام ووالله ما زلت مقهورا مذ وليت منقوصا لا أصل إلى شئ مما ينبغي وأما قولك اجلس في بيتك فكيف لي بما قد لزمني أو من تريدني أتريد أن أكون مثل الضيع التي يحاط بها

[٤٧٥]

ويقال دباب دباب ليست ههنا حتى يحل عرفوبها ثم تخرج وإذا لم أنظر فيما لزمني من هذا الامر ويعينني فمن ينظر فيه فكف عنك أي بني شراء الجمل لعائشة رضى الله عنها وخبر كلاب الجواب * حدثني إسماعيل بن موسى الفزاري قال أخبرنا علي بن عابس الأزرق قال حدثنا أبو الخطاب الهجري عن صفوان بن قبيصة الاحمسي قال حدثني العزني صاحب الجمل قال بينما أنا أسير على جمل إذ عرض لي راكب فقال يا صاحب الجمل تبيع جملك قلت نعم قال بكم قلت بألف درهم قال مجنون أنت جمل يباع بألف درهم قال قلت نعم جملي هذا قال ومم ذلك قلت ما طلبت عليه أحدا قط إلا أدركته ولا طلبني وأنا عليه أحد قط إلا فته قال لو تعلم لمن نريده لاحسنت بيعنا قال قلت ولمن تريده قال لامك قلت لقد تركت أمي في بيتها قاعدة ما تريد براحا قال إنما أريده لام المؤمنين عائشة قلت فهو لك فخذ به غير ثمن قال لا ولكن ارجع معنا إلى الرجل فلنعطك ناقة مهربية ونزيدك دراهم قال فرجعت فأعطوني ناقة لها مهربية وزادوني أربعمائة أو ستمائة درهم فقال لي يا أبا عرينة هل لك دلالة بالطريق قال قلت نعم أنا من أدرك الناس قال فسر معنا فسرت معهم فلا أمر على واد ولا ماء إلا سألوني عنه حتى طرفنا ماء الجواب فنبحتنا كلابها قالوا أي ماء هذا قلت ماء الجواب قال فصرخت عائشة بأعلى صوتها ثم ضربت عضد بغيرها فأناخته ثم قالت أنا والله صاحبة كلاب الجواب طروفا ردوني تقول ذلك ثلاثا فأناخت وأناخوا حولها وهم على ذلك وهي تآبى حتى كانت الساعة التي أناخوا فيها من الغد فجاءها ابن الزبير فقال النجاء النجاء فقد أدرككم والله علي بن أبي طاب قال فارتحلوا وشتموني فانصرفت فما سرت إلا قليلا وإذا أنا بعلي وركب معه نحو من ثلثمائة فقال لي علي يا أيها الراكب فأتيته فقال أين أتيت الطعينة قلت في مكان كذا وكذا وهذه ناقتها ويعتهم جملي قال وقد ركبتك قلت نعم وسرت معهم حتى أتينا ماء الجواب فنبحت عليها كلابها فقالت كذا وكذا فلما رأيت اختلاط أمرهم انفتلت وارتحلوا فقال علي هل لك دلالة بذي قار قلت لعلي أدل الناس قال

فسر معنا حتى نزلنا ذاقار فأمر علي بن أبي طالب بحوالقين فضم أحدهما إلى صاحبه ثم جئ برجل فوضع عليهما ثم جاء يمشي حتى صعد عليه وسدل رجليه من جانب واحد ثم حمد الله وأثنى عليه وصلى على محمد صلى الله عليه وسلم ثم قال قد رأيتم ما صنع هؤلاء القوم وهذه المرأة فقام إليه الحسن فبكى فقال له علي قد جئت تحن حنين الجارية فقال أجل أمرتك فعصيتني فأنت اليوم تقتل بمصيعة لا ناصر لك قال حدث القوم بما أمرتني به قال أمرتك حين سار الناس إلى عثمان رضى الله عنه ألا تبسط يدك بيعة حتى تجول جائلة العرب فانهم لن يقطعوا أمرا دونك فأبيت علي وأمرتك حتى سارت هذه المرأة وصنع هؤلاء القوم ما صنعوا أن تلزم المدينة وترسل إلى من استجاب لك من شيعتك قال علي صدق والله ولكن والله يا بني ما كنت لآكون كالضيع وتستمتع للدم إن النبي صلى الله عليه وسلم قبض وما أرى أحق بهذا الأمر مني فبايع الناس أبا بكر فبايعت كما بايعوا ثم إن أبا بكر رضى الله عنه هلك وما أرى أحق بهذا الأمر مني فجعلني سهما من ستة أسهم فبايع الناس عثمان فبايعت كما بايعوا ثم سار الناس إلى عثمان رضى الله عنه فقتلوه ثم أتوني فبايعوني طائعين غير مكرهين فأنا مقاتل من خالفني بمن اتبعني حتى يحكم الله بيني وبينهم وهو خير الحاكمين قول عائشة رضى الله عنها والله لا طلبن بدم عثمان وخروجها وطلحة والزبير فيمن تبعهم إلى البصرة (كتب إلي علي بن أحمد بن الحسن العجلي) أن الحسين بن نصر العطار قال حدثنا أبي نصر بن مزاحم العطار قال حدثنا سيف بن عمر عن محمد بن نويرة وطلحة بن الأعلم الحنفي قال وحدثنا عمر بن سعد عن أسد بن عبدالله عن أدرك من أهل العلم أن عائشة رضى الله عنها لما انتهت إلى سرف راجعة في طريقها إلى مكة لقيها عبد بن أم كلاب وهو عبد بن أبي سلمة ينسب إلى أمه فقالت له مهيم قال قتلوا عثمان رضى الله عنه فمكتوا ثمانيا قالت ثم صنعوا ماذا قال أخذها أهل

المدينة بالاجتماع فجازت بهم الامور إلى خير مجاز اجتمعوا على علي بن أبي طالب فقالت والله ليت ان هذه انطبقت على هذه إن تم الامر لصاحبك ردوني ردوني فانصرفت إلى مكة وهي تقول قتل والله عثمان مظلوما والله لا طلبن بدمه فقال لها ابن أم كلاب ولم فوالله إن أول من أمال حرفه لانت ولقد كنت تقولين اقتلوا نعتلا فقد كفر قالت إنهم استتابوه ثم قتلوه وقد قلت وقالوا وقولي الاخير خير من قولي الاول فقال لها ابن أم كلاب: منك البداء ومنك الغير * ومنك الرياح ومنك المطر وأنت أمرت بقتل الامام * وقلت لنا إنه قد كفر فهينا أظعنك في قتله * وقاتله عندنا من أمر ولم يسقط السقف من فوقنا * ولم ينكسف شمسنا والقمر وقد بايع الناس ذا تدرا * يزيل الشبا ويقيم الصعر ويلبس للحرب أثوابها * وما من وفى مثل من قد غدر فانصرفت إلى مكة فنزلت على باب المسجد فقصدت للحجر فسترت واجتمع إليها الناس فقالت يا أيها الناس إن عثمان رضى الله عنه قتل مظلوما والله لا طلبن بدمه (كتب إلي السري) عن شعيب عن سيف عن محمد وطلحة قالا كان علي في هم من توجه القوم لا يدري إلى أين يأخذون وكان أن أتوا البصرة أحب إليه فلما تيقن أن القوم يعارضون طريق البصرة سر بذلك وقال الكوفة فيها رجال العرب وبيوتاتهم فقال له ابن عباس إن الذي يسرك من ذلك ليسوؤني إن الكوفة فسطاط فيه أعلام من أعلام العرب ولا يحملهم عدة القوم ولا يزال فيهم من يسمو إلى أمر لا يناله فإذا كان كذلك شغب على الذي قد نال حتى يفتاه فيفسد بعضهم على بعض فقال علي ان

الامر ليشبه ما تقول ولكن الاثرة لاهل الطاعة وألحق بأحسنهم سابقة وقدمه فإن استووا أعفيناهم واجتبرناهم فان أقتنعهم ذلك كان خيرا لهم وإن لم يقتنعهم كلفونا إقامتهم وكان شرا على من هو شر له فقال ابن عباس ان ذلك لامر لا يدرك إلا بالقنوع (كتب إلي السري) عن شعيب عن سيف عن محمد

[٤٧٨]

وطلحة قالوا لما اجتمع الرأي من طلحة والزبير وأم المؤمنين ومن بمكة من المسلمين على السير إلى البصرة والانتصار من قتلة عثمان رضى الله عنه خرج الزبير وطلحة حتى لقي ابن عمر ودعواهم إلى الخفوف فقال إني أمرؤ من أهل المدينة فإن يجتمعوا على النهوض أنهض وإن يجتمعوا على القعود أقعد فتركاها ورجعا (كتب إلي السري) عن شعيب عن سيف عن سعيد بن عبدالله عن ابن أبي مليكة قال جمع الزبير بنه حين أراد الرحيل فودع بعضهم وأخرج بعضهم وأخرج ابني أسماء جميعا فقال يا فلان أقم يا عمرو أقم فلما رأى ذلك عبدالله بن الزبير قال يا عروة أقم ويا منذر أقم فقال الزبير ويحك أستصحب ابني وأستمتع منهما فقال إن خرجت بهم جميعا فأخرج وإن خلفت منهم أحدا فخلفهما ولا تعرض أسماء للثكل من بين نسائك فيكى وتركهما فخرجوا حتى إذا انتهوا إلى جبال أوطاس تيامنوا وسلكوا طريقا نحو البصرة وتركوا طريقها يسارا حتى إذا دنوا منها فدخلوها ركبوا المنكدر (كتب إلي السري) عن شعيب عن سيف عن ابن الشهيد عن ابن أبي مليكة قال خرج الزبير وطلحة ففصلا ثم خرجت عائشة فتبعها أمهات المؤمنين إلى ذات عرق فلم ير يوم كان أكثر باكيا على الاسلام أو باكيا له من ذلك اليوم كان يسمى يوم النحيب وأميرت عبدالرحمن بن عتاب فكان يصلى بالناس وكان عدلا بينهم (كتب إلي السري) عن شعيب عن سيف عن محمد بن عبدالله عن يزيد بن معن السلمى قال لما تيامن عسكرها عن أوطاس أتوا علي ملىح بن عوف السلمى وهو مطلع ماله فسلم على الزبير وقال يا أبا عبدالله ما هذا قال عدى على أمير المؤمنين رضى الله عنه فقتل بلا ترة ولا عذر قال ومن قال الغوغاء من الامصار ونزاع القبائل وظاهرهم الاعراب والعبيد قال فتريدون ماذا قال نهض الناس فيدرك بهذا الدم لئلا يبطل فإن في إبطاله توهين سلطان الله بيننا أبدا إذا لم يقطع الناس عن أمثالها لم يبق إمام إلا قتله هذا الضرب قال والله إن ترك هذا لشديد ولا تدرون إلى أين ذلك يسير فودع كل واحد منهما صاحبه وافترقا ومضى الناس

[٤٧٩]

دخلهم البصرة والحرب بينهم وبين عثمان بن حنيف (كتب إلي السري) عن شعيب عن سيف عن محمد وطلحة قالوا ومضى الناس حتى إذا عاجوا عن الطريق وكانوا بفناء البصرة لقيهم عمير بن عبدالله التميمي فقال يا أم المؤمنين أنشدك بالله أن تقدمي اليوم على قوم تراسلي منهم أحدا فيكفيكهم فقالت جئتني بالرأى وأنت امرؤ صالح قال فعجلني ابن عامر فليدخل فإن له صنائع فليذهب إلى صنائعه فليلقوا الناس حتى تقدمي ويسمعوا ما جئتني فيه فأرسلته فاندس إلي البصرة فأتى القوم وكتبت عائشة رضى الله عنها إلى رجال من أهل البصرة وكتبت إلى الاحنف بن قيس وصبرة بن شيمان وأمثالهم من الوجوه ومضت حتى إذا كانت بالحفير انتظرت الجواب بالخبر ولما بلغ ذلك أهل البصرة دعا عثمان بن حنيف عمران بن حصين وكان رجل عامة والزه بابي الاسود الدؤلي وكان رجل خاصة فقال انطلقا إلى هذه المرأة فأعلمها علمها وعلم من معها فخرجا فانتھيا إليها وإلى الناس وهم بالحفير فاستأذنا فأذنت لهما فسلما

وقالا إن أميرنا بعثنا اليك نسألك عن مسيرك فهل أنت مخبرتنا فقالت والله ما مثلي يسير بالامر المكتوم ولا يغطى لبينه الخبر إن الغوغاء من أهل الامصار ونزاع القبائل غزوا حرم رسول الله صلى الله عليه وسلم وأحدثوا فيه الاحداث وأووا فيه المحدثين واستوجبوا فيه لعنة الله ولعنة رسوله مع ما نالوا من قتل إمام المسلمين بلا ترة ولا عذر فاستحلوا الدم الحرام فسفكوه وانتهبوا المال الحرام وأحلوا البلد الحرام والشهر الحرام ومزقوا الاعراض والجلود وأقاموا في دار قوم كانوا كارهين لمقامهم ضارين مضرين غير نافعين ولا متقين لا يقدرين على امتناع ولا يأمنون فخرجت في المسلمين أعلمهم ما أتى هؤلاء القوم وما فيه الناس وراءنا وما ينبغي لهم إن يأتوا في إصلاح هذا وقرأت " لا خير في كثير من نجواهم إلا من أمر بصدقة أو معروف أو إصلاح بين الناس " نهض في الاصلاح ممن أمر الله عزوجل وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم الصغير والكبير والذكر والانثى فهذا شأننا إلى معروف نأمركم به ونحضكم عليه ومنكر نهاكم عنه ونحثكم على تغييره (كتب

[٤٨٠]

الي السري) عن شعيب عن سيف عن محمد وطلحة قالا فخرج أبو الأسود وعمران من عندها فأتيا طلحة قالا ما أقدمك قال الطلب بدم عثمان رضى الله عنه قالا ألم تباع عليا قال بلى واللج علي عنقي وما أستقبل عليا إن هو لم يحل بيننا وبين قتلة عثمان ثم أتيا الزبير قالا ما أقدمك قال الطلب بدم عثمان رضى الله عنه قالا ألم تباع عليا قال بلى واللج علي عنقي وما أستقبل عليا إن هو لم يحل بيننا وبين قتلة عثمان فرجعا إلى أم المؤمنين فودعاها فودعت عمران وقالت يا أبا الاسود إياك أن يقودك الهوى إلى النار " كونوا قوامين لله شهداء بالقسط " الآية فسرحتهما ونادى مناديهما بالرحيل ومضى الرجلان حتى دخلا على عثمان بن حنيف فبدر أبو الأسود عمران فقال يا ابن حنيف قد أتيت فانفر * وطاعن القوم وجماد واصبر وابرز لهم مستلثما وشمر فقال عثمان إنا لله وإنا إليه راجعون دارت رحى الاسلام ورب الكعبة فانظروا بأي زيفان تزيف فقال عمران إي والله لتعركنكم عركا طويلا ثم لا يساوى ما بقى منكم كثير شئ قال فأشر علي يا عمران قال إني قاعد فاقعد فقال عثمان بل امنعهم حتى يأتي أمير المؤمنين علي قال عمران بل يحكم الله ما يريد فانصرف إلى بيته وقام عثمان في أمره فاتاه هشام بن عامر فقال يا عثمان إن هذا الامر الذي تروم يسلم إلى شر مما تكره إن هذا فتق لا يرتق وصدع لا يجبر فسامحهم حتى يأتي أمر علي ولا تحادهم فأبى ونادى عثمان في الناس وأمرهم بالتهيؤ ولبسوا السلاح واجتمعوا إلى المسجد الجامع وأقبل عثمان على الكيد فكاد الناس لينظر ما عندهم وأمرهم بالتهيؤ وأمر رجلا ودسه إلى الناس خدعا كوفيا قيسيا فقام فقال يا أيها الناس أنا قيس بن العقدية الحميسى إن هؤلاء القوم الذين جاؤكم إن كانوا جاؤكم خائفين فقد جاءوا من المكان الذي يأمن فيه الطير وإن كانوا جاءوا يطلبون بدم عثمان رضى الله عنه فما نحن بقتلة عثمان أطيعوني في هؤلاء القوم فردوهم من حيث جاءوا فقام الاسود بن سريع السعدي فقال أو زعموا

[٤٨١]

أنا قتلة عثمان رضى الله عنه فانما فرغوا إلينا يستعينوا بنا على قتلة عثمان منا ومن غيرنا فإن كان القوم أخرجوا من ديارهم كما زعمت فمن يمنعمهم من إخراجهم الرجال أو البلدان فحصبه الناس فعرف عثمان إن لهم بالبصرة ناصرا ممن يقوم معهم فكسره ذلك وأقبلت عائشة رضى الله عنها فيمن معها حتى إذا انتهوا إلى المرید ودخلوا

من أعلاه أمسكوا ووقفوا حتى خرج عثمان فيمن معه وخرج إليها من أهل البصرة من أراد أن يخرج إليها ويكون معها فاجتمعوا بالمرید وجعلوا يثوبون حتى غص بالناس فتكلم طلحة وهو في ميمنة المرید ومعه الزبير وعثمان في ميسرته فأنصتوا له فحمد الله وأثنى عليه وذكر عثمان رضى الله عنه وفضله والبلد وما استحل منه وعظم ما أتى إليه ودعا إلى الطلب بدمه وقال إن في ذلك إعزاز دين الله عزوجل وسلطانه وأما الطلب بدم الخليفة المظلوم فانه حد من حدود الله وإنكم إن فعلتم أصبتم وعاد أمركم إليكم وإن تركتم لم يقيم لكم سلطان ولم يكن لكم نظام فتكلم الزبير بمثل ذلك فقال من في ميمنة المرید صدقا وبراً وقال الحق وأمرنا بالحق وقال من في مسيرته فجراً وغدراً وقالوا الباطل وأمرنا به قد بايعا ثم جأاً يقولان ما يقولان وتحاشى الناس وتحاصبوا وأرهجوا فتكلمت عائشة وكانت جمهورية يعلو صوتها كثرة كأنه صوت امرأة جلييلة فحمدت الله عزوجل وأثنت عليه وقالت كان الناس يجتنون على عثمان رضى الله عنه ويرون على عماله ويأتوننا بالمدينة فيستشيروننا فيما يخبروننا عنهم ويرون حسنا من كلامنا في صلاح بينهم فننظر في ذلك فنجده برياً تقياً وفيما ونجدهم فجرة كذبة يحاولون غير ما يظهرون فلما قووا على المكاثرة كاثروه فافتحموا عليه ذاره واستحلوا الدم الحرام والمال الحرام والبلد الحرام بلا ترة ولا عذر إلا إن مما ينبغي لا ينبغي لكم غيره أخذ قتلة عثمان رضى الله عنه وإقامة كتاب الله عزوجل (الم تر إلى الذين أتوا نصيباً من الكتاب يدعون إلى كتاب الله ليحكم بينهم - الآية) فافترق أصحاب عثمان ابن حنيف فرقتين فقالت فرقة صدقت والله وبرت وجاءت والله بالمعروف وقال الآخرون كذبتم والله ما نعرف ما تقولون فتحاثوا وتحاصبوا وأرهجوا فلما رأت

[٤٨٢]

ذلك عائشة انحدرت وانحدر أهل الميمنة مفارقين لعثمان حتى وقفوا في المرید في موضع الدباغين وبقي أصحاب عثمان على حالهم يتدافعون حتى تحاجزوا ومال بعضهم إلى عائشة وبقي بعضهم مع عثمان على فم السكة وأتى عثمان بن حنيف فيمن معه حتى إذا كانوا على فم السكة سكة المسجد عن يمين الدباغين استقبلوا الناس فأخذوا عليهم بغمها (وفيها) ذكر نصر بن مزاحم عن سيف عن سهل بن يوسف عن القاسم بن محمد قال وأقبل جارية بن قدامة السعدي فقال يا أم المؤمنين والله لقتل عثمان بن عفان أهون من خروجك من بيتك على هذا الجمل الملعون عرضة للسلاح إنه قد كان لك من الله ستر وحرمة فهتكت سترك وأبجت حرمتك إنه من رأى قتالك فانه يرى قتلك إن كنت أتيتنا طائعة فارجعي إلى منزلك وإن كنت أتيتنا مستكرهة فاستعيني بالناس قال فخرج غلام شاب من بني سعد إلى طلحة والزبير فقال أما أنت يا زبير فحواري رسول الله صلى الله عليه وآله وأما أنت يا طلحة فوقيت رسول الله صلى الله عليه وسلم بيدك وأرى أمكما معكما فهل جئتما بنسائكما قال لا قال فما أنا منكما في شئ واعتزل وقال السعدي في ذلك صنتم حلالتكم وقدتم أمكم * هذا لعمرك قلة الانصاف أمرت بجر ذبولها في بيتها * فهوت تشق البيد بالايحاف غرضاً يقاتل دونها أبنائها * بالنبل والخطي والاسياف هتكت بطلحة والزبير ستورها * هذا المخبر عنهم والكافي وأقبل غلام من جهينة على محمد بن طلحة وكان محمد رجلاً عابداً فقال أخبرني عن قتلة عثمان فقال نعم دم عثمان ثلاث أثلاث ثلث على صاحبة اليهودج يعني عائشة وثلث على صاحب الجمل الاحمر يعني طلحة وثلث على علي بن أبي طالب وضحك الغلام وقال ألا أراني على ضلال ولحق بعلي وقال في ذلك شعراً سألت ابن طلحة عن هالك * بجوف المدينة لم يقبر فقال ثلاثة رهط هم * أماتوا ابن عفان واستعبر فثلث على تلك في خدرها * وثلث على راكب الاحمر

وثالث علي ابن أبي طالب * ونحن بدوية قرقر فقلت صدقت علي الأولين * وأخطأت في الثالث الأزهر (رجع الحديث إلي حديث سيف عن محمد وطلحة) قال فخرج أبو الأسود وعمران وأقبل حكيم بن جبلة وقد خرج وهو علي الخيل فانشب القتال وأشرع أصحاب عائشة رضي الله عنها رماحهم وأمسكوا ليمسكوا فلم ينته ولم يثن فقاتلهم وأصحاب عائشة كافون إلا ما دافعوا عن أنفسهم وحكيم يذمر خيله ويركبهم بها ويقول إنها قريش ليردينها جنبها والطيش واقتتلوا علي فم السكة وأشرف أهل الدور ممن كان له في واحد من الفريقين هوى فرموا باقي الآخرين بالحجارة وأمرت عائشة أصحابها فتيامنوا حتى انتهوا إلى مقبرة بني مازن فوقفوا بها مليا وثار إليهم الناس فحجز الليل بينهم فرجع عثمان إلى القصر ورجع الناس إلى قبائلهم وجاء أبو الجرياء أحد بني عثمان بن مالك بن عمرو بن تميم إلى عائشة وطلحة والزبير فإشار عليهم بأمثل من مكانهم فاستنصحوه وتابعوا رأيهم فساروا من مقبرة بني مازن فأخذوا علي مسناة البصرة من قبل الجبانة حتى انتهوا إلى الزابوقة ثم أتوا مقبرة بني حصن وهي متنجية إلى دار الرزق فباتوا يتأهبون وبات الناس يسيرون إليهم وأصبحوا وهم علي رجل في ساحة دار الرزق وأصبح عثمان بن حنيف فغاداهم وغدا حكيم بن جبلة وهو يبربر وفي يده الرمح فقال له رجل من عبد القديس من هذا الذي تسب وتقول له ما أسمع قال عائشة قال يا ابن الخبيثة ألام المؤمنين تقول هذا فوضع حكيم السنان بين ثديه فقتله ثم مر بامرأة وهو يسبها يعني عائشة فقالت من هذا الذي ألجأك إلى هذا قال عائشة قالت يا ابن الخبيثة ألام المؤمنين تقول هذا فطعنها بين ثدييها فقتلها ثم سار فلما اجتمعوا وإقفوهم فاقتتلوا بدار الرزق قتالا شديدا من حين بزغت الشمس إلى أن زال النهار وقد كثر القتلى في أصحاب ابن حنيف وفتشت الجراحة في الفريقين ومنادى عائشة يناشدهم ويدعوهم إلى الكف فيأبون حتى إذا مسهم الشر وعضهم نادوا أصحاب عائشة إلى الصلح والتمتات فأجابوهم وتوعدوا وكتبوا بينهم كتابا علي أن يبعثوا رسولا إلى المدينة وحتى يرجع الرسول

من المدينة فإن كانا أكرها خرج عثمان عنهما وأخلى لهما البصرة وإن لم يكونا أكرها خرج طلحة والزبير * بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما اصطلح عليه طلحة والزبير ومن معهما من المؤمنين والمسلمين وعثمان بن حنيف ومن معه من المؤمنين والمسلمين أن عثمان يقيم حيث أدركه الصلح علي ما في يده وأن طلحة والزبير يقيمان حيث أدركهما الصلح علي ما في أيديهما حتى يرجع أمين الفريقين ورسولهم كعب بن سور من المدينة ولا يضار واحد من الفريقين الآخر في مسجد ولا سوق ولا طريق ولا فرصة بينهم عيبة مفتوحة حتى يرجع كعب بالخبر فإن رجع بأن القوم أكرهوا طلحة والزبير فالامر أمرهما وإن شاء عثمان خرج حتى يلحق بطيته وإن شاء دخل معهما وإن رجع بأتهما لم يكرها فالامر أمر عثمان فإن شاء طلحة والزبير أقاما علي طاعة علي وإن شاء خرجا حتى يلحقا بطيتهما والمؤمنون أعوان الفالح منهما فخرج كعب حتى يقدم المدينة فاجتمع الناس لقدمه وكان قدومه يوم جمعة فقام كعب فقال يا أهل المدينة إني رسول أهل البصرة اليكم أأكره هؤلاء القوم هذين الرجلين علي بيعة علي أم أتياها طائعين فلم يجبه أحد من القوم إلا ما كان من أسامة بن زيد فإنه قام فقال اللهم إنهم لم يبايعا إلا وهما كارهان فأمر به تمام فوائبه سهل بن حنيف والناس وثار صهيب بن سنان وأبو أيوب بن زيد في عدة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فيهم

محمد ابن مسلمة حين خافوا أن يقتل أسامة فقال اللهم نعم فانفرجوا عن الرجل فانفرجوا عنه وأخذ صهيب بيده حتى أخرجه فأدخله منزله وقال قد علمت أن أم عامر حامقة أما وسعك ما وسعنا من السكوت قال لا والله ما كنت أرى أن الامر يترامى إلى ما رأيت وقد أبسلنا العظيم فرجع كعب وقد اعتد طلحة والزبير فيما بين ذلك بأشياء كلها كانت مما يعتد به منها أن محمد بن طلحة وكان صاحب صلاة قام مقاما قريبا من عثمان بن حنيف فخشى بعض الزط والسيابجة أن يكون جاء لغير ما جاء له فنجاه فبعثا إلى عثمان هذه واحدة وبلغ عليا الخير الذي كان بالمدينة من ذلك فبادر بالكتاب إلى عثمان يعجزه ويقول والله ما أكرها

[٤٨٥]

إلا كرها على فرقة ولقد أكرها على جماعة وفضل فان كانا يريدان الخلع فلا عذر لهما وإن كانا يريدان غير ذلك نظرنا ونظرا فقدم الكتاب على عثمان بن حنيف وقدم كعب فارسلوا إلى عثمان أن اخرج عنا فاحتج عثمان بالكتاب وقال هذا أمر آخر غير ما كنا فيه فجمع طلحة والزبير الرجال في ليلة مظلمة باردة ذات رياح وندى ثم قصد المسجد فوافقا صلاة العشاء وكانوا يؤخرونها فأبطأ عثمان بن حنيف فقدم عبدالرحمن بن عتاب فشهر الزط والسيابجة السلاح ثم وضعوه فيهم فأقبلوا عليهم فاقتتلوا في المسجد وصبروا لهم فأناموهم وهم أربعون وأدخلوا الرجال على عثمان ليخرجه اليهما فلما وصل اليهما توطؤوه وما بقيت في وجهه شعرة فاستعظما ذلك وأرسلوا إلى عائشة بالذي كان واستلطعا رأيها فأرسلت اليهما أن خلوا سبيله فليذهب حيث شاء ولا تحبسوه فاخرجوا الحرس الذين كانوا مع عثمان في القصر ودخلوه وقد كانوا يعتقبون حرس عثمان في كل يوم وفي كل ليلة أربعون فصلى عبدالرحمن بن عتاب بالناس العشاء والفجر وكان الرسول فيما بين عائشة وطلحة والزبير هو أنها بالخبر وهو رجع اليهما بالجواب فكان رسول القوم * حدثنا عمر بن شبة قال حدثنا أبو الحسين عن أبي محنف عن يوسف بن يزيد عن سهل بن سعد قال لما أخذوا عثمان بن حنيف أرسلوا أبان بن عثمان إلى عائشة يستشيرونها في أمره قالت اقتلوه فقالت لها امرأة نشدتك بالله يا أم المؤمنين في عثمان وصحبته لرسول الله صلى الله عليه وسلم قالت ردوا أبانا فردوه فقالت احبسوه ولا تقتلوه قال لو علمت أنك تدعينني لهذا لم أرجع فقال لهم مجاشع بن مسعود اضربوه وانتفوا شعر لحيته فضره أربعين سوطا وانتفوا شعر لحيته ورأسه وحاجبيه وأشفار عينيه وحبسوه * حدثني احمد بن زهير قال حدثنا أبي قال حدثني وهب بن جرير ابن حازم قال سمعت يونس بن يزيد الأيلي عن الزهري قال بلغني انه لما بلغ طلحة والزبير منزل علي بذى قار انصرفوا إلى البصرة فأخذوا على المنكدر فسمعت عائشة رضى الله عنها نباح الكلاب فقالت أي ماء هذا فقالوا الحوآب فقالت إنا لله وإنا إليه راجعون اني لهيه قد سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول وعنده نساؤه ليت شعري

[٤٨٦]

أبتكن تنبجها كلاب الحوآب فارادت الرجوع فأنها عبد الله بن الزبير فزعم أنه قال كذب من قال إن هذا الحوآب ولم يزل حتى مضت فقدموا البصرة وعليها عثمان ابن حنيف فقال لهم عثمان ما نقتم على صاحبكم فقالوا لم نره أولى بها منا وقد صنع ما صنع قال فإن الرجل أمرني فأكتب إليه فأعلمه ما جئتم له على أن أصلى بالناس حتى يأتينا كتابه فوقفوا عليه وكتب فلما يلبث إلا يومين حتى وثبوا عليه فقاتلوه بالزابوقه عند مدينة الرزق فظهروا وأخذوا عثمان فأرادوا

قتله ثم خشوا غضب الانصار فنالوه في شعره وجسده فقام طلحة والزبير خطيبين فقالا يا أهل البصرة توبة بجوية إنما أردنا أن يستعقب أمير المؤمنين عثمان ولم نرد قتله فغلب سفهاء الناس الحلماء حتى قتلوه فقال الناس لطلحة يا أبا محمد قد كانت كتبك تأتيها بغير هذا فقال الزبير فهل جاءكم مني كتاب في شأنه ثم ذكر قتل عثمان رضى الله عنه وما أتى إليه وأظهر عيب علي فقال إليه رجل من عبدالقيس فقال أيها الرجل أنصت حتى نتكلم فقال عبدالله بن الزبير ومالك وللإسلام فقال العبدى يا معشر المهاجرين أنتم أول من أجاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فكان لكم بذلك فضل ثم دخل الناس في الاسلام كما دخلتم فلما توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم بايعتم رجلا منكم والله ما استأمرتمونا في شئ من ذلك فرضينا واتبعناكم فجعل الله عزوجل للمسلمين في إمارته بركة ثم مات رضى الله عنه واستخلف عليكم رجلا منكم فلم تشاورونا في ذلك فرضينا وسلمنا فلما توفي الامير جعل الامر إلى ستة نفر فاخترتم عثمان وبايعتموه عن غير مشورة منا ثم أنكرتم من ذلك الرجل شيئا فقتلتموه عن غير مشورة منا ثم بايعتم عليا عن غير مشورة منا فما الذي نقمتم عليه فنقاتله هل استأثر بغيئ أو عمل بغير الحق أو عمل شيئا تنكرونه فنكون معكم عليه وإلا فما هذا فهموا بقتل ذلك الرجل فقام من دونه عشيرته فلما كان الغد وثبوا عليه وعلى من كان معه فقتلوا سبعين رجلا (رجع الحديث) إلى المال والحرس في أيديهما والناس معهما ومن لم يكن معهما مغمور مستسر وبعثا حين أصبحا

[٤٨٧]

بأن حكيمًا في الجمع فبعثت لا تحبسا عثمان ودعاه ففعلًا فخرج عثمان فمضى لطلبته وأصبح حكيم بن جبلة في خيله على رجل فيمن تبعه من عبدالقيس ومن نزع إليهم من أفناء ربيعة ثم وجهوا نحو دار الرزق وهو يقول لست بأخيه إن لم أنصره وجعل يشتم عائشة رضى الله عنها فسمعت امرأة من قومه فقالت يا ابن الخبيثة أنت أولى بذلك فطعنها فقتلها فغضبت عبدالقيس إلا من كان اغتم منهم فقالوا فعلت بالامس وعدت لمثل ذلك اليوم والله لندعئك حتى يقيدك الله فرجعوا وتركوه والضى عثمان بن حنيف فيمن غزا معه عثمان بن عفان وحصره من نزاع القبائل كلها وعرفوا أن لا مقام لهم بالبصرة فاجتمعوا إليه فانتهى بهم إلى الزابوقة عند دار الرزق وقالت عائشة لا تقتلوا إلا من قاتلكم ونادوا من لم يكن من قتلة عثمان رضى الله عنه فيكف عنا فإننا لا نريد إلا قتلة عثمان ولا نبدأ أحدا فأنشب حكيم القتال ولم يرع للمنادى فقال طلحة والزبير الحمد لله الذي جمع لنا ثارنا من أهل البصرة اللهم لا تبق منهم أحدا وأقد منهم اليوم فاقتلهم فجادوهم القتال فاقتلوا أشد القتال ومعه أربعة قواد فكان حكيم بجياله وذيح بجياله والزبير وابن المحرث بجياله عبدالرحمن بن عتاب وحرقوص بن زهير بجياله عبدالرحمن بن الحارث بن هشام فزحف طلحة لحكيم وهو في ثلثمائة رجل وجعل حكيم يضرب بالسيف ويقول أضربهم باليابس * ضرب غلام عابس من الحياة آيس * في الغرفات نافس فضرب رجله فقطعها فحبا حتى أخذها فرمى بها صاحبه فأصاب جسده فصرعه فأتاه حتى قتله ثم اتكأ عليه وقال يافخذ لن تراعى * إن معي ذراعى * أحمى بها كراعى وقال وهو يرتجز ليس علي أن أموت عار * والعار في الناس هو الفراء والمجد لا يفضحه الدمار

[٤٨٨]

فأتى عليه رجل وهو رثيث رأسه على آخر فقال مالك يا حكيم قال قتل من قتلك قال وسادتي فاحتمله فضمه في سبعين من أصحابه فتكلم يومئذ حكيم وإنه لقائم على رجل وإن السيوف لتأخذهم فما يتعتع ويقول إنا خلفنا هذين وقد بايعا عليا وأعطياه الطاعة ثم أقبلا محالفين محاربين يطلبان بدم عثمان بن عفان ففرقا بيننا ونحن أهل دار وجوار اللهم إنهما لم يريدا عثمان فنأدى مناد يا خبيث جزعت حين عضك نكال الله عزوجل إلى كلام من نصبك وأصحابك بما ركبت من الامام المظلوم وفرقتهم من الجماعة وأصبتهم من الدماء ونلتهم من الدنيا فذق وبال الله عزوجل وانتقامه وأقيموا فيمن أنتم وقتل ذريح ومن معه وأفلت حرقوص بن زهير في نفر من أصحابه فلجأوا إلى قومهم ونادى منادى الزبير وطلحة بالبصرة ألا من كان فيهم من قبائلكم أحد ممن غزا المدينة فليأتنا بهم فجيئ بهم كما جاء بالكلاب فقتلوا فما أفلت منهم من أهل البصرة جميعا إلا حرقوص بن زهير فإن بني سعد منعوه وكان من بني سعد فمسهم في ذلك أمر شديد وضربوا لهم فيه أجلا وخشونوا صدور بني سعد وإنهم لعثمانية حتى قالوا نعتزل وغضبت عبدالقيس حين غضبت سعد لمن قتل منهم بعد الواقعة ومن كان هرب إليهم إلى ما هم عليه من لزوم وطاعة علي فأمر الناس بأعطياتهم وأرزاقهم وحقوقهم وفضلا بالفضل أهل السمع والطاعة فخرجت عبدالقيس وكثير من بكر بن وائل حين زووا عنهم الفضول فبادروا إلى بيت المال وأكب عليهم الناس فأصابوا منهم وخرج القوم حتى نزلوا على طريق علي وأقام طلحة والزبير ليس معهما بالبصرة ثار إلا حرقوص وكتبوا إلى أهل الشام بما صنعوا وصاروا إليه إنا خرجنا لوضع الحرب وإقامة كتاب الله عزوجل بإقامة حدوده في الشريف والوضيع والكثير والقليل حتى يكون الله عزوجل هو الذي يردنا عن ذلك فبايعنا خيار أهل البصرة ونجباؤهم وخالفنا شرارهم ونزاعهم فردونا بالسلاح وقالوا فيما قالوا نأخذ أم المؤمنين رهينة أن أمرتهم بالحق وحثتهم عليه فأعطاهم الله عزوجل سنة المسلمين مرة بعد مرة حتى إذا لم يبق حجة ولا عذر استبسلى قتلة أمير المؤمنين فخرجوا إلى مضاجعهم فلم يفلت

منهم مخبر إلا حرقوص بن زهير والله سبحانه مقبده إن شاء الله وكانوا كما وصف الله عزوجل وأنا نياشذكم الله في أنفسكم إلا نهضتم بمثل ما نهضنا به فنلقى الله عزوجل وتلقونه وقد أعذرتنا وقضينا الذي علينا وبعثوا به مع سيار العجلي وكتبوا إلى أهل الكوفة بمثله مع رجل من بني عمرو بن أسد يدعى مظفر بن معرض وكتبوا إلى أهل اليمامة وعليها سبرة بن عمرو العنبري مع الحارث السدوسي وكتبوا إلى أهل المدينة مع ابن قدامة القشيري فدمه إلى أهل المدينة وكتبت عائشة رضى الله عنها إلى أهل الكوفة مع رسولهم أما بعد فإني أذكركم الله عزوجل والاسلام أقيموا كتاب الله بإقامة ما فيه اتقوا الله واعتصموا بحبله وكونوا مع كتابه فإنا قدمنا البصرة فدعوناهم إلى إقامة كتاب الله بإقامة حدوده فأجابنا الصالحون إلى ذلك واستقبلنا من لا خير فيه بالسلاح وقالوا لنتبعنكم عثمان ليرتدوا الحدود تعطيلاً فعاندوا فشهدوا علينا بالكفر وقالوا لنا المنكر فقرأنا عليهم ألم تر إلى الذين أتوا نصيباً من الكتاب يدعون إلى كتاب الله ليحكم بينهم فاذعن لي بعضهم واختلفوا بينهم فتركناهم وذلك فلم يمنع ذلك من كان منهم على رأيه الاوول من وضع السلاح في أصحابي وعزم عليهم عثمان بن حنيف إلا قاتلوني حتى منعني الله عزوجل بالصالحين فرد كيدهم في نحورهم فمكتنا ستاً وعشرين ليلة ندعوهم إلى كتاب الله وإقامة حدوده وهو حقن الدماء أن تهراق دون من قد حل دمه فأبوا واحتجوا بأشياء فاصطلحنا عليها فخافوا وغدروا وخانوا وحشروا فجمع الله عزوجل لعثمان رضى الله عنه ثأرهم فأقادهم فلم يفلت منهم إلا رجل وأردأنا الله ومنعنا منهم بعمير بن مرثد ومرثد بن قيس ونفر من قيس ونفر من الرباب والأزد

فألزموا الرضى إلا عن قتلة عثمان بن عفان حتى يأخذ الله حقه ولا تخاصموا عن الخائنين ولا تمنعوهم ولا ترضوا بذوى حدود الله فتكونوا من الظالمين فكتبت إلى رجال بأسمائهم فثبطوا الناس عن منع هؤلاء القوم ونصرتهم واجلسوا في بيوتكم فان هؤلاء القوم لم يرضوا بما صنعوا بعثمان بن عفان رضى الله عنه وفرقوا بين جماعة الامة وخالفوا الكتاب والسنة حتى شهدوا علينا فيما أمرناهم به وحتتناهم عليه من إقامة كتاب الله وإقامة حدوده

[٤٩٠]

بالكفر وقالوا لنا المنكر فأنكر ذلك الصالحون وعظموا ما قالوا وقالوا ما رضيتم أن قتلتم الامام حتى خرجتم على زوجة نبيكم صلى الله عليه وسلم أن أمرتكم بالحق لتقتلوهما وأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وأئمة المسلمين فعزموا وعثمان بن حنيف معهم على من أطاعهم من جهال الناس وغوغائهم على زطهم وسيابجهم فلذنا منهم بطائفة من الفسباط فكان ذلك الداب ستة وعشرين يوما ندعوهم إلى الحق وألا يحولوا بيننا وبين الحق فغدروا وخانوا فلم نقايسهم واحتجوا ببيعة طلحة والزبير فأبردوا بريدا فجاءهم بالحجة فلم يعرفوا الحق ولم يصبروا عليه فغادوني في الغلس ليقتلوني والذي يحاربهم غيري فلم يبرحوا حتى بلغوا سدة بيتي ومعهم هاديهم إلي فوجدوا نفرا على باب بيتي منهم عمير بن مرثد ومرثد بن قيس ويزيد بن عبدالله بن مرثد ونفر من قيس ونفر من الرباب والأزد فدارت عليهم الرحي فأطاف بهم المسلمون فقتلوهم وجمع الله عزوجل كلمة أهل البصرة على ما أجمع عليه الزبير وطلحة فإذا قتلنا بئارنا وسعنا العذر وكانت الوقعة لخمس ليال يقين من ربيع الآخر سنة ٢٦ وكتب عبيد بن كعب في جمادي * حدثنا عمر ابن شبة قال حدثنا أبو الحسن عن عامر بن حفص عن أشياخه قال ضرب عنق حكيم بن جبلة رجل من الحدان يقال له ضخيم فمال رأسه فتعلق بجلده فصار وجهه في قفاه * قال ابن المثنى الحداني الذي قتل حكيم بن يزيد بن الاسحم الحداني وجد حكيم قتيلا بين يزيد بن الاسحم وكعب بن الاسحم وهما مقتولان * حدثني عمر قال حدثني أبو الحسن قال حدثنا أبو بكر الهذلي عن أبي المليح قال لما قتل حكيم بن جبلة أرادوا أن يقتلوا عثمان بن حنيف فقال ما شئتم أما إن سهل بن حنيف وال على المدينة وإن قتلتموني انتصر فجلوا سبيله واختلفوا في الصلاة فأمرت عائشة رضى الله عنها عبدالله بن الزبير فصلى بالناس وأراد الزبير أن يعطى الناس أرزاقهم ويقسم ما في بيت المال فقال عبدالله ابنه إن ارتزق الناس تفرقوا واصطلحوا على عبدالرحمن بن أبي بكر فصيروه على بيت المال * حدثني عمر قال حدثنا أبو الحسن علي عن أبي بكر الهذلي عن الجارود ابن أبي سيرة قال لما كان الليلة التي أخذ فيها عثمان بن حنيف وفي رحبة مدينة

[٤٩١]

الرزق طعام يرتزقه الناس فأراد عبدالله أن يرزقه أصحابه وبلغ حكيم بن جبلة ما صنع بعثمان فقال لست أخاف الله إن لم أنصره فجاء في جماعة من عبدالقيس وبكر ابن وائل وأكثرهم عبدالقيس فأتى ابن الزبير مدينة الرزق فقال مالك يا حكيم قال نريد أن نرتزق من هذا الطعام وأن تخلوا عثمان فيقيم في دار الامارة على ما كتبتم بينكم حتى يقدم علي والله لو أجد أعوانا عليكم أحببكم بهم ما رضيت بهذه منكم حتى أقتلكم بمن قتلتم ولقد أصبحتم وإن دماءكم لنا حلال بمن قتلتم من إخواننا أما تخافون الله عزوجل بم تستحلون سفك الدماء قال بدم عثمان ابن عفان رضى الله عنه قال فالذين

قتلتموهم قتلوا عثمان أما تخافون مقت الله فقال له عبدالله بن الزبير لا نرزقكم من هذا الطعام ولا نخلى سبيل عثمان بن حنيف حتى يخلع عليا قال حكيم اللهم إنك حكم عدل فاشهد وقال لاصحابه إني لست في شك من قتال هؤلاء فمن كان في شك فليصرف وقتلهم فاقتتلوا قتالا شديدا وضرب رجل ساق حكيم فقطعها فأخذ حكيم ساقه فرماه بها فأصاب عنقه فصرعه ووقذه ثم حبا إليه فقتله وإتكا عليه فمر به رجل فقال من قتلك قال وسادتي وقتل سبعون رجلا من عبدالقيس قال الهذلي قال حكيم حين قطعت رجله أقول لما جد بي زماعي * للرجل يا رجلي لن تراعي إن معي من نجدة ذراعي قال عامر ومسلمة قتل مع حكيم ابنه الاشرف وأخوه الرعل بن جبلة * حدثني عمر قال حدثنا أبو الحسن قال حدثنا المثنى بن عبدالله عن عوف الاعرابي قال جاء رجل إلى طلحة والزبير وهما في المسجد بالبصرة فقال نشدتكما بالله في مسيركما أعهد اليكما فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئا فقام طلحة ولم يجبه فناشد الزبير فقال لا ولكن بلغنا أن عندكم دراهم فجتنا نشارككم فيها * حدثني عمر قال حدثنا أبو الحسن قال حدثنا سليمان بن أرقم عن قتادة عن أبي عمرة مولى الزبير قال لما بايع أهل البصرة الزبير وطلحة قال الزبير ألا ألف فارس أسير بهم إلي علي فإما بيته وإما صبحته لعلي أقتله قبل أن يصل إلينا فلم يجبه أحد فقال إن هذه

[٤٩٢]

لهي الفتنة التي كنا نحدث عنها فقال له مولاة أتسميها فتنة وتقاتل فيها قال ويحك إنا نصر ولا نصر ما كان أمر قط إلا علمت موضع قدمي فيه غير هذا الأمر فإني لا أدري أمقل أنا فيه أم مدير * حدثني أحمد بن منصور قال حدثني يحيى بن معين قال حدثنا هشام بن يوسف قاضي صنعاء عن عبدالله بن مصعب بن ثابت بن عبدالله بن الزبير عن موسى بن عقبة عن علقمة بن وقاص الليثي قال لما خرج طلحة والزبير وعائشة رضى الله عنهم رأيت طلحة وأحب المجالس إليه أخلاها وهو ضارب بلحيتته على زوره فقلت يا أبا محمد أرى أحب المجالس إليك أخلاها وأنت ضارب بلحيتك على زورك أن كرهت شيئا فأجلس قال فقال لي يا علقمة بن وقاص بينا نحن يد واحدة على من سوانا إذ صرنا جبلين من حديد يطلب بعضنا بعضا إنه كان مني في عثمان شئ ليس توتيتي إلا أن يسفك دمى في طلب دمه قال قلت فرد محمد بن طلحة فإن لك ضيعة وعيالا فإن يك شئ يخلفك فقال ما أحب أن أرى أحدا يخلف في هذا الأمر فأمنعه قال فأتيت محمد بن طلحة فقلت له لو أقمت فإن حدث به حدث كنت تخلفه في عياله وضيعته قال ما أحب أن أسأل الرجال عن أمره * حدثني عمر بن شبة قال حدثنا أبو الحسن قال حدثنا أبو محنف عن مجالد ابن سعيد قال لما قدمت عائشة رضى الله عنها بالبصرة كتبت إلى زيد بن صوحان من عائشة ابنة أبي بكر أم المؤمنين حبيبة رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى ابنها الخالص زيد بن صوحان أما بعد فإذا أتاك كتابي هذا فاقدم فانصرنا على أمرنا هذا فإن لم تفعل فخذل الناس عن علي فكتب إليها من زيد بن صوحان إلى عائشة ابنة أبي بكر الصديق رضى الله عنه حبيبة رسول الله صلى الله عليه وسلم أما بعد فإنا ابنك الخالص إن اعتزلت هذا الأمر ورجعت إلى بيتك وإلا فإنا أول من نابذك قال زيد بن صوحان رحم الله أم المؤمنين امرت أن تلزم بيتها وأمرنا أن نقاتل فتركت ما أمرت به وأمرتنا به وصنعت ما أمرنا به ونهتتنا عنه ذكر الخبر عن مسير علي بن أبي طالب نحو البصرة (مما كتب به إلي السري) أن شعيبا حدثه قال حدثنا سيف عن عبيدة بن معتب

[٤٩٣]

عن يزيد الضخم قال لما أتى عليا الخبير وهو بالمدينة بأمر عائشة وطلحة والزبير إنهم قد توجهوا نحو العراق خرج يبادر وهو يرجو أن يدركهم ويردهم فلما انتهى إلى الريزة أتاه عندهم إنهم قد أمعنوا فأقام بالريزة أياما وأتاه عن القوم أنهم يريدون البصرة فسرى بذلك عنه وقال إن أهل الكوفة أشد إلي حبا وفيهم رؤس العرب وأعلامهم فكتب إليهم اني قد اخترتكم على الامصار واني بالاثرة * حدثني عمر قال حدثنا أبو الحسن عن بشير بن عاصم عن محمد بن عبدالرحمن بن أبي ليلى عن أبيه قال كتب علي إلى أهل الكوفة بسم الله الرحمن الرحيم أما بعد فاني اخترتكم والنزول بين أظهركم لما أعرف من مودتكم وحبكم لله عزوجل ولرسوله صلى الله عليه وسلم فمن جاءني ونصرني فقد أجاب الحق وقضى الذي عليه * حدثني عمر قال حدثنا أبو الحسن قال حدثنا حباب بن موسى عن طلحة بن الاعلم وبشير بن عاصم عن ابن أبي ليلى عن أبيه قال أبعث محمد بن أبي بكر إلى الكوفة ومحمد بن عون فجاء الناس إلى أبي موسى يستشيرونه في الخروج فقال أبو موسى أما سبيل الآخرة فان تقيموا وأما سبيل الدنيا فان تخرجوا وأنتم أعلم وبلغ المحمدين قول أبي موسى فيأيناه وأغلظا له فقال أما والله إن بيعة عثمان رضى الله عنه في عنقي وعنق صاحبكما الذي أرسلكما ان أردنا أن نقاتل لا نقاتل حتى لا يبقى أحد من قتلة عثمان إلا قتل حيث كان وخرج علي من المدينة في آخر شهر ربيع الآخر سنة ٣٦ فقالت أخت علي بن عدي من بني عبدالعزي بن عبد شمس لاهم فأعقر بعلي جملة * ولا تبارك في بعير حملة ألا علي بن عدي ليس له * حدثني عمر قال حدثنا أبو الحسن عن أبي محنف عن نمير بن وعلة عن الشعبي قال لما نزل علي بالريزة أتته جماعة من طيئ فقبل لعلي هذه جماعة من طيئ قد أتتك منهم من يريد الخروج معك ومنهم من يريد التسليم عليك قال جرى الله كلا خيرا وفضل الله المجاهدين على القاعدين أجرا عظيما ثم دخلوا عليه فقال علي ما شهدتمونا به قالوا شهدناك بكل ما تحب قال جزاكم الله خيرا فقد أسلمتم طائعين وقاتلتم المرتدين ووافيتم

بصدقاتكم المسلمين فنهض سعيد بن عبيد الطائي فقال يا أمير المؤمنين ان من الناس من يعبر لسانه عما في قلبه واني والله ما كل ما أجد في قلبي يعبر عنه لساني وسأجهد وبالله التوفيق أما أنا فسأنصح لك في السر والعلانية وأقاتل عدوك في كل موطن وأرى لك من الحق ما لا أراه لاحد من أهل زمانك لفضلك وقرابتك قال رجمك الله قد أدى لسانك عما يجن ضميرك فقتل معه بصفين رحمه الله (كتب إلي السري) عن شعيب عن سيف عن محمد وطلحة قال لما قدم علي الريزة أقام بها وسرح منها إلى الكوفة محمد بن أبي بكر ومحمد بن جعفر وكتب إليهم اني اخترتكم على الامصار وفزعت اليكم لما حدث فكونوا لدين الله أعوانا وأنصارا وأيدونا وانهضوا الينا فالاصلاح ما نريد لتعود الامة إخوانا ومن أحب ذلك وأثره فقد أحب الحق وأثره ومن أبغض ذلك فقد أبغض الحق وعمصه فمضى الرجلان وبقي علي بالريزة يتهيا وأرسل إلى المدينة فلحقه ما أراد من دابة وسلاح وأمر أمره وقام في الناس فخطبهم وقال إن الله عزوجل أعزنا بالاسلام ورفعنا به وجعلنا به إخوانا بعد ذلة وقلة وتباغض وتباعد فجرى الناس على ذلك ما شاء الله الاسلام دينهم والحق فيهم والكتاب إمامهم حتى أصيب هذا الرجل بأيدي هؤلاء القوم الذين نزعهم الشيطان لينزع بين هذه الامة ألا إن بين هذه الامة لا بد مفترقة كما افتترقت الامم قبلهم فنعوذ بالله من شر ما هو كائن ثم عاد ثانية فقال إنه لا بد مما هو كائن أن يكون ألا وإن هذه الامة ستفترق على ثلاث وسبعين فرقة شرها فرقة تتحلني ولا تعمل بعملها فقد أدركتم ورايتم فالزموا دينكم واهدوا بهدي نبيكم صلى الله عليه وسلم واتبعوا سنته واعرضوا ما أشكل عليكم على القرآن

فما عرفه القرآن فالزموه وما أنكروه فردوه وارضوا بالله عزوجل ربا وبالاسلام ديناً وبمحمد صلى الله عليه وسلم نبياً وبالقرآن حكماً وإماماً (كتب إلي السري) عن شعيب عن سيف عن محمد وطلحة قالاً لما أراد علي الخروج من الربذة إلى البصرة قام إليه ابن لرفاعة بن رافع فقال يا أمير المؤمنين أي شئ تريد وإلى أين تذهب بنا فقال أما الذي نريد وننوي فالاصلاح إن قبلوا منا وأجابونا إليه قال فان لم يجيبونا إليه

[٤٩٥]

قال ندعهم بعذرهم ونعطيهم الحق ونصبر قال فإن لم يرضوا قال ندعهم ما تركونا قال فإن لم يتركونا قال امتنعنا منهم قال فنعم إذا وقام الحجاج بن غزية الانصاري فقال لارضينك بالفعل كما أرضيتني بالقول وقال دراكها دراكها قبل الفوت * وانفر بنا واسم بنا نحو الصوت لا وألت نفسي إن هبت الموت والله لانصرن الله عزوجل كما سمانا أنصاراً فخرج أمير المؤمنين وعلى مقدمته أبو ليلي بن عمر بن الجراح والراية مع محمد بن الحنفية وعلى الميمنة عبدالله بن عباس وعلى الميسرة عمر بن أبي سلمة أو عمرو بن سفيان بن عبد الاسد وخرج علي وهو في سبعمائة وستين وراجز علي يرحز به سيروا أبابيل وحثوا السير * إذ عزم السير وقولوا خيراً حتى يلاقوا وتلاقوا خيراً * نغزو بها طلحة والزبير وهو أمام أمير المؤمنين وأمير المؤمنين علي على ناقة له حمراء يقود فرساً كميثاً فقتلهاهم بفيد غلام من بني سعد بن ثعلبة بن عامر يدعى مرة فقال من هؤلاء فقيل أمير المؤمنين فقال سفرة فانية فيها دماء من نفوس فانية فسمعها علي فدعاها فقال ما اسمك قال مرة قال أمر الله عيشك كاهن سائر القوم قال بل عائف فلما نزل بفيد أتته أسد وطئ فعرضوا عليه أنفسهم فقال الزموا قراركم في المهاجرين كفاية وقدم رجل من أهل الكوفة فيد قبل خروج علي فقال من الرجل قال عامر بن مطر قال الليثي قال قال الشيباني أخبرني عما وراءك قال فأخبره حتى سأله عن أبي موسى فقال إن أردت الصلح فأبو موسى صاحب ذلك وإن أردت القتال فأبو موسى ليس بصاحب ذلك قال والله ما أريد إلا الاصلاح حتى يرد علينا قال قد أخبرتك الخبر وسكت وسكت علي * حدثني عمر قال حدثنا أبو الحسن عن أبي محمد عن عبدالله بن عمير عن محمد بن الحنفية قال قدم عثمان بن حنيف على علي بالربذة وقد نتفوا شعر رأسه ولحيته وحاجبيه فقال يا أمير المؤمنين بعثتني ذا لحية وجئتك أمرد قال أصبت أجراً وخيراً إن الناس وليهم قبلي رجلان فعملنا بالكتاب ثم وليهم ثالث فقالوا

[٤٩٦]

وفعلوا ثم بايعوني وبايعني طلحة والزبير ثم نكنا بيعتي وألبا الناس علي ومن العجب انقيادهما لأبي بكر وعمر رضى الله عنهما وخلافهما علي والله إنهما ليعلمان أنى لست بدون رجل ممن قد مضى اللهم فاحلل ما عقدا ولا تبرم ما قد أحكما في أنفسهما وارهما المساءة فيما قد عملا (كتب إلي السري) عن شعيب عن سيف عن محمد وطلحة قالوا ولما نزل علي التعلبية أتاه الذي لقي عثمان بن حنيف وحرسه فقام وأخبر القوم الخبر وقال اللهم عافني مما ابتليت به طلحة والزبير من قتل المسلمين وسلمنا منهم أجمعين ولما انتهى إلى الاساد أتاه ما لقي حكيم بن جبلة وقتله عثمان ابن عفان رضى الله عنه فقال الله أكبر ما ينجيني من طلحة والزبير إذ أصابا نأرهما أو ينجيهما وقرأ (ما أصاب من مصيبة في الارض ولا في أنفسكم إلا في كتاب من قبل أن نبرأها) وقال دعا حكيم دعوة الزماع * حل بها منزلة النزاع ولما انتهوا إلى ذي قار

انتهى إليه فيها عثمان بن حنيف وليس في وجهه شعر فلما رآه علي نظر إلى أصحابه فقال انطلق هذا من عندنا وهو شيخ فرجع الينا وهو شاب فلم يزل يذئ قار يتلوم محمدا ومحمدا وأتاه الخبر بما لقيت ربيعة وخروج عبدالقيس ونزولهم بالطريق فقال عبدالقيس خير ربيعة في كل ربيعة خير وقال يا لهف نفسي على ربيعه * ربيعة السامعة المطيعة قد سبقتنني فيهم الوقية * دعا علي دعوة سميعة حلوا بها المنزلة الرفيعة قال وعرضت عليه بكر بن وائل فقال لهم مثل ما قال لطبيئ وأسد ولما قدم محمد ومحمد على الكوفة وأتيا أبا موسى بكتاب أمير المؤمنين وقاما في الناس بأمره فلم يجابا إلى شئ فلما أمسوا دخل ناس من أهل الحجى على أبي موسى فقالوا ما ترى في الخروج فقال كان الرأي بالامس ليس باليوم ان الذي تهاونتم به فيما مضى هو الذي جر عليكم ما ترون وما بقى إنما هما أمران العقود سبيل الآخرة والخروج سبيل الدنيا فاخاروا فلم ينفر إليه أحد فغضب الرجلان وأغلظا

[٤٩٧]

لابي موسى فقال أبو موسى والله ان بيعة عثمان رضى الله عنه لفي عنقي وعنق صاحبيما فإن لم يكن بد من قتال لا نقاتل أحدا حتى يفرغ من قتلة عثمان حيث كانوا فانطلقا إلى علي فوافياه يذئ قار وأخبراه الخبر وقد خرج مع الأشتر وقد كان يعجل إلى الكوفة فقال علي يا أشتر أنت صاحبنا في أبي موسى والمعترض في كل شئ اذهب أنت وعبد الله بن عباس فأصلح ما أفسدت فخرج عبدالله بن عباس ومعه الأشتر فقدموا الكوفة وكلما أبا موسى واستعانا عليه بأناس من الكوفة فقال للكوفيين أنا صاحبكم يوم الجرعة وأنا صاحبكم اليوم فجمع الناس فخطبهم وقال يا أيها الناس إن أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم الذين صحبوه في المواطن أعلم بالله عزوجل وبرسوله صلى الله عليه وسلم ممن لم يصحبه وان لكم علينا حقا فانا مؤديه اليكم كان الرأي ألا تستخفوا بسلطان الله عزوجل ولا تجترئوا على الله عزوجل وكان الرأي الثاني أن تأخذوا من قدم عليكم من المدينة فتردوهم إليها حتى يجتمعوا وهم أعلم بمن تصلح له الامامة منكم ولا تكلفوا الدخول في هذا فأما إذ كان ما كان فإنها فتنة صماء النائم فيها خير من اليقظان واليقظان فيها خير من القاعد والقاعد خير من القائم والقائم خير من الراكب فكونوا جرثومة من جراثيم العرب فأغمدوا السيوف وانصلوا الاسنة واقطعوا الاوتار وأووا المظلوم المضطهد حتى يلتئم هذا الامر وتنجلي هذه الفتنة (كتب إلي السري) عن شعيب عن سيف عن محمد وطلحة قالا ولما رجع ابن عباس إلى علي بالخبر دعا الحسن بن علي فأرسله فأرسل معه عمار بن ياسر فقال له انطلق فأصلح ما أفسدت فأقبلا حتى دخلا المسجد فكان أول من أتاها مسروق بن الاعدع فسلم عليهما وأقبل على عمار فقال يا أبا اليقظان علام قتلتم عثمان رضى الله عنه قال علي شتم أعراضنا وضرب أبشارنا فقال والله ما عاقبتم بمثل ما عوقبتم به ولئن صبرتم لكان خيرا للصابرين فخرج أبو موسى فلقى الحسن فضمه إليه وأقبل على عمار فقال يا أبا اليقظان أعدوت فيمن عدا على أمير المؤمنين فأحللت نفسك مع الفجار فقال لم أفعل ولم تسوؤني وقطع عليهما الحسن فأقبل على أبي موسى فقال يا أبا موسى لم تثبط الناس عنا فوالله ما أردنا

[٤٩٨]

إلا الاصلاح ولا مثل أمير المؤمنين يخاف على شئ فقال صدقت بأبي أنت وأمي ولكن المستشار مؤتمن سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول إنها ستكون فتنة القاعد فيها خير من القائم

والقائم خير من الماشي والماشي خير من الراكب وقد جعلنا الله عزوجل إخوانا وحرّم علينا أموالنا ودماءنا وقال (يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل.. ولا تقتلوا أنفسكم إن الله كان بكم رحيما) وقال عزوجل (ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم الآبى فغضب عمار وساءه وقام وقال يا أيها الناس إنما قال له خاصة أنت فيها قاعدا خير منك قائما وقام رجل من بني تميم فقال لعمار اسكت أيها العبد أنت أمس مع الغوغاء واليوم تسافه أميرنا وثار زيد بن صوحان وطبقته وثار الناس وجعل أبو موسى يكفكف الناس ثم انطلق حتى أتى المنبر وسكن الناس وأقبل زيد على حمار حتى وقف باب المسجد ومعه الكتابان من عائشة رضى الله عنها إليه وإلى أهل الكوفة وقد كان طلب الكتاب العامة فضمه إلى كتابه فأقبل بهما معه كتاب الخاصة وكتاب العامة أما بعد فثبطوا أيها الناس واجلسوا في بيوتكم إلا عن قتلة عثمان بن عفان رضى الله عنه فلما فرغ من الكتاب قال أمرت بأمر وأمرا بأمر: أمرت أن تقر في بيتها فأمرنا أن نقاتل حتى لا تكون فتنة فأمرتنا بما أمرت به وركبت ما أمرنا به فقام إليه شيث بن ربعي فقال يا عماني وزيد من عبدالقيس عمان وليس من أهل البحرين سرقت بجلولاء فقطعك الله وعصيت أم المؤمنين فقتلك الله ما أمرت إلا بما أمر الله عزوجل به بالإصلاح بين الناس فقلت ورب الكعبة وتهاوى الناس وقام أبو موسى فقال أيها الناس أطيعوني تكونوا جراثيم من جراثيم العرب ياوى اليكم المظلوم ويأمن فيكم الخائف إنا أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم أعلم بما سمعنا إن الفتنة إذا أقبلت شبهت وإذا أدبرت بينت وإن هذه الفتنة باقرة كداء البطن تجرى بها الشمال والجنوب والصبا والديور فتسكن أحيانا فلا يدري من أين تؤتى تذر الحليم كآبن أمس شيموا سيوفكم وقصدوا رماحكم وأرسلوا سهامكم واقطعوا أوتاركم والزموا بيوتكم

[٤٩٩]

خلوا قريشا إذا أبوا إلا الخروج من دار الهجرة وفراق أهل العلم بالامرة ترتق فتقها وتشعب صدعها فإن فعلت فلانفسها سعت وإن أتت فعلى أنفسها منت سمنها تهريق في أديمها استنصحوني ولا تستغشوني وأطيعوني يسلم لكم دينكم وديناكم ويشقى بحر هذه الفتنة من جناها فقام زيد فشال يده المقطوعة فقال يا عبد الله بن قيس رد الفرات عن دراجه اردده من حيث يجئ حتى يعود كما بدأ فإن قدرت على ذلك فستقدر على ما تريد فدع عنك ما لست مدركه ثم قرأ " ألم أحسب الناس أن يتركوا " إلى آخر الآيتين سيروا إلى أمير المؤمنين وسيد المسلمين وانفروا إليه أجمعين تصيبوا الحق فقام القعقاع بن عمرو فقال إنني لكم ناصح وعليكم شفيق أحب أن ترشدوا ولاقولن لكم قولاً هو الحق أما ما قال الأمير فهو الامر لو أن إليه سبيلا وأما ما قال زيد فزيد في هذا الامر فلا تستنصوه فانه لا يتنزع أحد من الفتنة طعن فيها وجرى إليها والقول الذي هو القول أنه لايد من إمارة تنظم الناس وتزع الظالم وتزع المظلوم وهذا علي يلي بما ولى وقد أنصف في الدعاء وإنما يدعو إلى الإصلاح فانفروا وكونوا من هذا الامر بمرأى ومسمع وقال سيحان أيها الناس إنه لايد لهذا الامر وهؤلاء الناس من وال يدفع الظالم ويعز المظلوم ويجمع الناس وهذا اليكم يدعوكم لينظر فيما بينه وبين صاحبيه وهو المأمون على الأمة الفقيه في الدين فمن نهض إليه فإننا سائرون معه ولان عمار بعد نزوته الاولى فلما فرغ سيحان من خطبته تكلم عمار فقال هذا ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم يستنفركم إلى زوجة رسول الله صلى الله عليه وسلم وإلى طلحة والزبير وإني أشهد أنها زوجته في الدنيا والآخرة فانظروا ثم انظروا في الحق فقاتلوا معه فقال رجل يا أبا اليقظان لهو مع من شهدت له بالجنة علي من لم تشهد له فقال الحسن أكف عنا يا عمار فإن للإصلاح أهلا وقام الحسن بن علي فقال يا أيها الناس أجيئوا دعوة أميركم وسيروا إلى إخوانكم فانه سيوجد لهذا الامر من ينفر إليه والله لان يليه أولوا

النهي أمثل في العاجلة وخير في العاقبة فأجيبوا دعوتنا وأعينونا على ما ابتلينا به وابتليتكم فسامح الناس وأجابوا ورضوا به وأنى قوم من

[٥٠٠]

طبيئ عديا فقالوا ماذا ترى وماذا تأمر فقال ننتظر ما يصنع الناس فأخبر بقيام الحسن وكلام من تكلم فقال قد بايعنا هذا الرجل وقد دعانا إلى جميل وإلى هذا الحدث العظيم لننظر فيه ونحن سائرون وناظرون وقام هند بن عمرو فقال إن أمير المؤمنين قد دعانا وأرسل إلينا رسله حتى جاءنا ابنه فاسمعوا إلى قوله وانتهوا إلى أمره وانفروا إلى أميركم فانظروا معه في هذا الأمر وأعينوه برأيكم وقام حجر بن عدي فقال أيها الناس أجيبوا أمير المؤمنين وانفروا خلفا وثقالا مروا أنا أولكم وقام الاشتهر فذكر الجاهلية وشدتها والاسلام ورخاه وذكر عثمان رضى الله عنه فقام إليه المقطع بن الهيثم بن فجع العامري ثم البكائي فقال اسكت فبحك الله كلب خلى والنباح فثار الناس فاجلسوه وقام المقطع فقال إنا والله لا نحتمل بعدها أن يبوء أحد بذكر أحد من أئمتنا وإن علينا عندنا لمقنع والله لئن يكن هذا الضرب لا يرضى بعلي فعرض أمرؤ على لسانه في مشاهدنا فاقبلوا على ما أحتاكم فقال الحسن صدق الشيخ وقال الحسن أيها الناس إني غاد فمن شاء منكم أن يخرج معي على الظهر ومن شاء فليخرج في الماء فنفر معه تسعة آلاف فأخذ بعضهم البر وأخذ بعضهم الماء وعلى كل سبع رجل أخذ البر ستة آلاف ومائتان وأخذ الماء ألفان وثمانمائة (وفيما) ذكر نصر بن مزاحم العطار عن عمر بن سعيد عن أسد ابن عبدالله عمن أدرك من أهل العلم أن عبد خير الخيواني قام إلى أبي موسى فقال يا أبا موسى هل كان هذان الرجلان يعني طلحة والزبير ممن بايع عليا قال نعم قال هل أحدث حدثا يحل به نقض بيعته قال لا أدري قال لا دريت فانا تاركوك حتى تدرى يا أبا موسى هل تعلم أحدا خارجا من هذه الفتنة التي تزعم أنها هي فتنة إنما بقي أربع قرون علي بطهر الكوفة وطلحة والزبير بالبصرة ومعوية بالشام وفرقة أخرى بالحجاز لا يجبي بها فئ ولا يقاتل بها عدو فقال له أبو موسى أولئك خير الناس وهي فتنة فقال له عبد خير يا أبا موسى غلب عليك غشك قال وقد كان الاشتهر قام إلى علي فقال يا أمير المؤمنين إني قد بعثت إلى أهل الكوفة رجلا قبل هذين فلم أره أحكم شيئا ولا قدر عليه وهذان أخلق من بعثت أن ينشب بهم الأمر على

[٥٠١]

ما تحب وولست أدري ما يكون فان رأيت أكرمك الله يا أمير المؤمنين أن تبعثني في أثرهم فان أهل المصر أحسن شئ لي طاعة وإن قدمت عليهم رجوت أن لا يخالفني منهم أحد فقال له علي الحق بهم فأقبل الاشتهر حتى دخل الكوفة وقد اجتمع الناس في المسجد الاعظم فجعل لا يمر بقبيلة يرى فيها جماعة في مجلس أو مسجد إلا دعاهم ويقول اتبعوني إلى القصر فانتهي إلى القصر في جماعة من الناس فاقترح القصر فدخله وأبو موسى قائم في المسجد يخطب الناس ويثبطهم يقول أيها الناس إن هذه فتنة عمياء صماء تطأ خطامها النائم فيها خير من القاعد والقاعد فيها خير من القائم والقائم فيها خير من الماشي والماشي فيها خير من الساعي والساعي فيها خير من الراكب إنها فتنة باقرة كداء البطن أنتكم من قبل مأمنكم تدع الحليم فيها حيران كابن أمس إنا معاشر أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم اعلمم بالفتنة إنها إذا أقبلت شبهت وإذا أدبرت أسفرت وعمار يخاطبه والحسن يقول له اعتزل عملنا لا أم لك

وتنح عن منبرنا وقال له عمار أنت سمعت هذا من رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أبوسى هذه يدي بما قلت فقال له عمار إنما قال لك رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا خاصة فقال أنت فيها قاعدا خير منك قائما ثم قال عمار غلب الله من غالبه وجاحده * قال نصر بن مزاحم حدثنا عمر بن سعيد قال حدثني رجل عن نعيم عن أبي مريم الثقفي قال والله إنني لفي المسجد يومئذ وعمار يخاطب أبا موسى ويقول له ذلك القول إذ خرج علينا غلمان لابي موسى يشتدون ينادون يا أبا موسى هذا الاشتهر قد دخل القصر فضرنا وأخرجنا فنزل أبو موسى فدخل القصر فصاح به الاشتهر اخرج من قصرنا لا أم لك أخرج الله نفسك فوالله إنك لمن المنافقين قديما قال أجلني هذه العشية فقال هي لك ولا تبين في القصر الليلة ودخل الناس ينتهبون متاع أبي موسى فمنعهم الاشتهر وأخرجهم من القصر وقال إنني قد أخرجته فكف الناس عنه نزول أمير المؤمنين ذاقار (كتب إلي السري) عن شعيب عن سيف عن عمرو عن الشعبي قال لما

[٥٠٢]

التقوا بذى قار تلقاهم علي في أناس فيهم ابن عباس فرحب بهم وقال يا أهل الكوفة أنتم وليتم شوكة العجم وملوكهم وفضتكم جموعهم حتى صارت اليكم مواريتهم فأغنيتم حوزتكم وأعنتم الناس على عدوهم وقد دعوتكم لتشهدوا معنا إخواننا من أهل البصرة فإن يرجعوا فذاك ما نريد وإن يلجوا داويناهم بالرفق وبايناهم حتى يبدؤنا بظلم ولن ندع أمرا فيه صلاح إلا أثرناه على ما فيه الفساد إن شاء الله ولا قوة إلا بالله فاجتمع بذى قار سبعة آلاف ومائتان وعبد القيس بأسرها في الطريق بين علي وأهل البصرة ينتظرون مرور علي بهم وهم آلاف وفي الماء ألفان وأربعمائة (كتب إلي السري) عن شعيب عن سيف عن محمد وطلحة بإسنادهما قالا لما نزل على ذاقار أرسل ابن عباس والاشتر بعد محمد بن أبي بكر ومحمد بن جعفر وأرسل الحسن بن علي وعمارا بعد ابن عباس والاشتر فخف في ذلك الأمر جميع من كان نفر فيه ولم يقدم فيه الوجوه اتباعهم فكانوا خمسة آلاف أخذ نصفهم في البر ونصفهم في البحر وخف من لم ينفر فيها ولم يعمل لها وكان علي طاعنا ملازما للجماعة فكانوا أربعة آلاف فكان رؤساء الجماعة القعقاع بن عمرو وسعد بن مالك وهند ابن عمرو والهيثم بن شهاب وكان رؤساء النصارى زيد بن صوحان والاشتر مالك ابن الحارث وعدي بن حاتم والمسيب بن نجبة ويزيد بن قيس ومعهم اتباعهم وأمثال لهم ليسوا دونهم إلا أنهم لم يؤمروا منهم حجر بن عدي وابن مجدوح البكري وأشباه لهما لم يكن في أهل الكوفة أحد على ذلك الرأي غيرهم فبادروا في الوقعة إلا قليلا فلما نزلوا على ذى قار دعا القعقاع بن عمرو فأرسله إلى أهل البصرة وقال له الق هذين الرجلين يا ابن الحنظلية وكان القعقاع من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فادعهما إلى الالفة والجماعة وعظم عليهما الفرقة وقال له كيف أنت صانع فيما جاءك منهما مما ليس عندك فيه وصاة مني فقال تلقاهم بالذي أمرت به فإذا جاء منهما أمر ليس عندنا منك فيه رأى اجتهدنا الرأي وكلمناهم على قدر ما نسمع ونرى أنه ينبغي قال أنت لها فخر القعقاع حتى قدم البصرة فبدأ بعائشة رضى الله عنها فسلم عليها وقال أي أمه ما أشخصك وما أقدمك هذه البلدة قالت أي بني إصلاح بين الناس قال

[٥٠٣]

فابعثني إلى طلحة والزبير حتى تسمعي كلامي وكلامهما فبعثت إليهما فجاءا فقال إنني سألت أم المؤمنين ما أشخصها وأقدمها هذه البلاد فقالت إصلاح بين الناس فما تقولان أنتما أمتابعان أم مخالفان

قالا متابعان قال فأخبراني ما وجه هذا الاصلاح فوالله لئن عرفناه لنصلحن ولئن أنكرناه لا نصلح فالأ قتلة عثمان رضى الله عنه فإن هذا ان ترك كان تركا للقرآن وان عمل به كان احياء للقرآن فقال قد قتلتما قتلة عثمان من أهل البصرة وأنتم قبل قتلهم أقرب إلى الاستقامة منكم اليوم قتلتم ستمائة إلا رجلا فغضب لهم ستة آلاف واعتزلوكم وخرجوا من بين أظهركم وطلبتم ذلك الذي أفلت يعني حرقوص بن زهير فمنعه ستة آلاف وهم على رجل فإن تركتموه كنتم تاركين لما تقولون فان قاتلتموهم والذين اعتزلوكم فأدبلوا عليكم فالذي حذرتم وقربتهم به هذا الامر أعظم مما أراكم تكرهون وأنتم أحميتهم مضر وربيعة من هذه البلاد فاجتمعوا على حربكم وخذلانكم نصره لهؤلاء كما اجتمع هؤلاء لاهل هذا الحدث العظيم والذنب الكبير فقالت أم المؤمنين فتقول أنت ماذا قال أقول هذا الامر دواؤه التسكين وإذا سكن اختلجوا فان أنتم بايعتمونا فعلامة خير وتباشير رحمة ودرك بنار هذا الرجل وعافية وسلامة لهذه الامة وإن أنتم أبيتم إلا مكابرة هذا الار واعتسافه كانت علامة شر وذهاب هذا الثار وبعثة الله في هذه الامة هزاهزها فأثروا العافية ترزقوها وكونوا مفاتيح الخير كما كنتم تكونون ولا تعرضونا للبلاء ولا تعرضوا له فيصرعنا وإياكم وايم الله إنني لاقول هذا وأدعوكم لإليه وإنني لخائف ألا يتم حتى يأخذ الله عزوجل حاجته من هذه الامة التي قل متاعها ونزل بها ما نزل فان هذا الامر الذي حدث أمر ليس يقدر وليس كالامور ولا كقتل الرجل الرجل ولا النفر الرجل ولا القبيلة الرجل فقالوا نعم إذا قد أحسنت وأصبت المقالة فارجع فان قدم علي وهو على مثل رأيك صلح هذا الامر فرجع إلى علي فأخبره فأعجبه ذلك وأشرف القوم على الصلح كره ذلك من كرهه ورضيه من رضيه وأقبلت وفود البصرة نحو علي حين نزل بذي قار فجاءت وفد تميم وبكر قبل رجوع القعقاع لينظروا ما رأى إخوانهم من

[٥٠٤]

أهل الكوفة وعلى أي حال نهضوا إليهم وليعلموهم أن الذي عليه رأيهم الاصلاح ولا يخطر لهم قتال على بال فلما لقوا عشائرتهم من أهل الكوفة بالذي بعثهم فيه عشائرتهم من أهل البصرة وقال لهم الكوفيون مثل مقالتهم وأدخلوهم على علي فأخبروه خبرهم سال علي جرير بن شرس عن طلحة والزبير فأخبره عن دقيق أمرهما وجليه حتى تمثل له: ألا أبلغ بني بكر رسولا * فليس إلى بني كعب سبيل سيرجع ظلمكم منكم عليكم * طويل الساعدين له فضول وتمثل علي عندها: ألم تعلم أبا سمعان أن * نرد الشيخ مثلك ذا الصداق ويذهل عقله بالحرب حتى * يقوم فيستجيب لغير داع فدافع عن خزاعة جمع بكر * وما بك ياسراقعة من دفاع (قال أبو جعفر) أخرج إلى زياد بن أيوب كتابا فيه أحاديث عن شيوخ ذكر أنه سمعها منهم قرأ علي بعضها ولم يقرأ علي بعضها فمما لم يقرأ علي من ذلك فكتبته منه قال حدثنا مصعب بن سلام التميمي قال حدثنا محمد بن سوقة عن عاصم بن كليب الجرهمي عن أبيه قال رأيت فيما يرى النائم في زمان عثمان بن عفان أن رجلا يلي أمور الناس مريضا على فراشه وعند رأسه امرأة والناس يريدونه ويبهشون إليه فلو نهتهم المرأة لانتھوا ولكنها لم تفعل فأخذه فقتلوه فكنت أقص رؤياي على الناس في الحضر والسفر فيعجبون ولا يدرون ما تأويلها فلما قتل عثمان رضى الله عنه أتانا الخبر ونحن راجعون من غزائنا فقال أصحابنا رؤياك يا كليب فانتھينا إلى البصرة فلم نلبث إلا قليلا حتى قيل هذا طلحة والزبير معهما أم المؤمنين فراع ذلك الناس وتعجبوا فإذا هم يزعمون للناس أنهم إنما خرجوا غضبا لعثمان وتوبة مما صنعوا من خذلانه وإن أم المؤمنين تقول غضبنا لكم على عثمان في ثلاث إمارة الفتى وموقع الغمامة وضربة السوط والعصا فما أنصفنا إن لم نغضب له عليكم في ثلاث جررتموها

إليه حرمة الشهر والبلد والدم فقال الناس أفلم تبايعوا عليا وتدخلوا
في أمره فقالوا دخلنا واللح على أعناقنا وقيل

[٥٠٥]

هذا علي قد أظلكم فقال قومنا لي ولرجلين معي انطلقوا حتى أتوا
عليا وأصحابه فسلوهم عن هذا الامر الذي قد اختلط علينا فخرجنا
حتى إذا دنونا من العسكر طلع علينا رجل جميل على بغلة فقلت
لصاحبي أرايتم المرأة التي كنت أحدثكم عنها أنها كانت عند رأس
الوالي فإنها أشبه الناس بهذا ففطن أنا نخوض فيه فلما انتهى إلينا
قال قفوا ما الذي فلتتم حين رأيتموني فأبينا عليه فصاح بنا وقال والله
لا تبرحون حتى تخبروني فدخلتنا منه هيبة فأخبرناه فجاوزنا وهو
يقول والله لقد رأيت عجبا فقلنا لادنى أهل العسكر إلينا من هذا
فقال محمد بن أبي بكر فعرفنا أن تلك المرأة عائشة رضی الله عنها
فازددنا لامرها كراهية وانتهينا إلى علي فسلمنا عليه ثم سأله عن
هذا الامر فقال عدا الناس على هذا الرجل وأنا معتزل فقتلوه ثم
ولوني وأنا كاره ولولا خشية على الدين لم أجبههم ثم طفق هذان
في النكت فأخذت عليهما وأخذت عهودهما عند ذلك وأذنت لهما في
العمرة فقدمتا علي أمهما حليمة رسول الله صلى الله عليه وسلم
فرضينا لها ما رغبنا لنسائهما عنه وعرضاها لما لا يحل لهما ولا يصلح
فاتبعتهما لكيلا يفتقوا في الاسلام فتقا ولا يخرقوا جماعة ثم قال
أصحابه والله ما نريد قتالهم إلا أن يقاتلوا وما خرجنا إلا لاصلاح فصاح
بنا أصحاب علي بايعوا بايعوا فبايع صاحبنا وأما أنا فأمسكت وقلت
بعثني قومي لامر فلا أحدث شيئا حتى أرجع إليهم فقال علي فإن
لم يفعلوا فقلت لم أفعل فقال أرايت لو أنهم بعثوك رائدا فرجعت
إليهم فأخبرتهم عن الكلا والماء فحالوا إلى المعاطش والجدوية ما
كنت صانعا قال قلت كنت تاركهم ومخالفيهم إلى الكلا والماء قال فمد
يدك فوالله ما استطعت أن أمتنع فبسطت يدي فبايعته وكان يقول
علي من أدهى العرب وقال ما سمعت من طلحة والزبير فقلت أما
الزبير فإنه يقول بايعنا كرها وأما طلحة فمقبل علي أن يتمثل الأشعار
ويقول ألا أبلغ بني بكر رسولا * فليس إلى بني كعب سبيل سيرج
ظلمكم منكم عليكم * طويل الساعدين له فصول فقال ليس كذلك
ولكن

[٥٠٦]

ألم تعلم أبا سمعان أنا * نصم الشيخ مثلك ذا الصداق ويذهل عقله
بالحرب حتى * يقوم فيستجيب لغير داع ثم سار حتى نزل إلى
جانب البصرة وقد خندق طليحة والزبير فقال لنا أصحابنا من أهل
البصرة ما سمعتم إخواننا من أهل الكوفة يريدون ويقولون فقلنا
يقولون خرجنا للصلح وما نريد قتالا فيبيناهم على ذلك لا يحدثون
أنفسهم بغيره إذ خرج صبيان العسكرين فتسابوا ثم تراموا ثم تتابع
عبيد العسكرين ثم ثلت السفهاء ونشبت الحرب وألجأتهم إلى
الخندق فاقتتلوا عليه حتى أقبلنا إلى موضع القتال فدخل منه أصحاب
علي وخرج الآخرون ونادى علي ألا لا تتبعوا مدبرا ولا تجهزوا علي
جريح ولا تدخلوا الدور ونهى الناس ثم بعث إليهم أن اخرجوا للبيعة
فبايعهم على الرايات وقال من عرف شيئا فليأخذه حتى ما بقى في
العسكرين شيء إلا قبض فأنتهى إليه قوم من قيس شباب فخطب
خطيبهم فقال أين أمراؤكم فقال الخطيب أصيبوا تحت نظار الجمل ثم
أخذ في خطبته فقال علي أما إن هذا لهو الخطيب السحسج وفرغ
من البيعة واستعمل عبدالله بن عباس وهو يريد أن يقيم حتى يحكم
أمرها فأمرني الاشتهر أن اشتري له أئمن بغير البصرة ففعلت فقال
أنت به عائشة وأقرتها مني السلام ففعلت فدعت عليه وقالت اردده

عليه فأبلغته فقال تلومني عائشة أن أفلت ابن أختها وأتاه الخبر باستعمال علي ابن عباس فغضب وقال علي ما قتلنا الشيخ إذ اليمن لعبيد الله والحجاز لقتم والبصرة لعبد الله والكوفة لعلي ثم دعا بدابته فركب راجعا وبلغ ذلك عليا فنادى الرحيل ثم أجد السير فلحق به فلم يره أنه قد بلغه عنه وقال ما هذا السير سبقتنا وخشى إن ترك والخروج أن يوقع في أنفس الناس شرا (كتب إلي السري) عن شعيب عن سيف عن محمد وطلحة قالا لما جاءت وفود أهل البصرة إلى الكوفة ورجع القعقاع من عند أم المؤمنين وطلحة والزبير بمثل رأيهم جمع علي الناس ثم قام علي الغرائر فحمد الله عزوجل وأثنى عليه وصلى على النبي صلى الله عليه وسلم وذكر الجاهلية وشقاءها والاسلام والسعادة وإنعام الله على الامة بالجماعة بالخليفة بعد

[٥٠٧]

رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم الذي يليه ثم الذي يليه ثم حدث هذا الحدث الذي جره على هذه الامة أقوام طلبوا هذه الدنيا حسدوا من أفاءها الله عليه على الفضيلة وأرادوا رد الاشياء على أديارها والله بالغ أمره ومصيب ما أراد ألا وإنني راحل غدا فارتحلوا ألا ولا يرتحلن غدا أحد أعان على عثمان رضى الله عنه بشئ من أمور الناس وليغن السفهاء عني أنفسهم فاجتمع نفر منهم علباء بن الهيثم وعدي بن حاتم وسالم بن ثعلبة العيسبي وشريح بن أوفى ابن ضبيعة والاشتر في عدة ممن سار إلى عثمان ورضى بسير من سار وجامعهم المصريون ابن السوداء وخالد بن ملجم وتشاوروا فقالوا ما الرأي وهذا والله علي وهو أبصر الناس بكتاب الله ممن يطلب قتلة عثمان وأقربهم إلى العمل بذلك وهو يقول ما يقول ولم ينفر إليه إلا هم والقليل من غيرهم فكيف به إذا شام القوم وشاموه وإذا راوا قتلنا في كثيرهم أنتم والله تراءون وما أنتم بأنجي من شئ فقال الاشتر أما طلحة والزبير فقد عرفنا أمرهما وأما علي فلم نعرف أمره حتى كان اليوم ورأى الناس فينا والله واحد وأن يصطلحوا وعلي فعلى دمائنا فهلموا فلنتوآب على علي فلحقه بعثمان فتعود فتنة يرضى منا فيها بالسكون فقال عبدالله بن السوداء بئس الرأي رأيت أنتم ياقتلة عثمان من أهل الكوفة بذي قار ألفان وخمسمائة أو نحو من ستمائة وهذا بن الحنظلية وأصحابه في خمسة آلاف بالاشواق إلى أن يجدوا إلى قتالكم سبيلا فارقاً على طلعك وقال علباء بن الهيثم انصرفوا بنا عنهم ودعوهم فإن قلوبا كان أقوى لعدوهم عليهم وإن كثروا كان أحرى أن يصطلحوا عليكم دعوهم وارجعوا افتعلقوا ببلد من البلدان حتى يأتيكم فيه من تتقون به وامتنعوا من الناس فقال ابن السوداء بئس ما رأيت ود والله الناس أنكم على جديلة ولم تكونوا مع أقوام برأء ولو كان ذلك الذي تقول لتخطفكم كل شئ فقال عدي بن حاتم والله ما رضيت ولا كرهت ولقد عجبت من تردد من تردد عن قتله في خوض الحديث فاما إذا وقع ما وقع ونزل من الناس بهذه المنزلة فان لنا عتادا من خيول وسلاح محمودا فان أقدمتم أقدمنا وإن أمسكتم أحجمنا فقال ابن السوداء أحسنت وقال سالم بن

[٥٠٨]

ثعلبة من كان أراد بما أتى الدنيا فاني لم أرد ذلك والله لئن لقيتم غدا لا أرجع إلى بيتي ولنن طال بقائي إذا أنا لاقيتكم لا يزد على جزر جزور وأحلف بالله أنكم لتفرقون السيف فرق قوم لا تصير أمورهم إلا إلى السيف فقال ابن السوداء قد قال قولاً وقال شريح بن أوفى أبرموا أموركم قبل أن تخرجوا ولا تؤخروا أمرا ينبغي لكم تعجيله ولا

تعجلوا أمرا ينبغي لكم تأخيره فإننا عند الناس بشر المنازل فلا أدرى ما الناس صانعون غدا إذا ما هم التقوا وتكلم ابن السوداء فقال يا قوم إن عركم في خلطة الناس فصانعوهم وإذا التقى الناس غدا فأنشوا القتال ولا تفرغوهم للنظر فإذا من أنتم معه لا يجدوا بدا من أن يمتنع ويشغل الله عليا وطلحة والزبير ومن رأى رأيهم عما تكروهون فأبصروا الرأي وتفرقوا عليه والناس لا يشعرون وأصبح على ظهر فمضى الناس حتى إذا انتهى إلى عبدالقيس نزل بهم وبمن خرج من أهل الكوفة وهم أمام ذلك ثم ارتحل حتى نزل على أهل الكوفة وهم أمام ذلك والناس متلاحقون به وقد قطعهم ولما بلغ أهل البصرة رأيهم ونزل علي بحيث نزل قام أبو الجرباء إلى الزبير بن العوام فقال إن الرأي أن تبعث الآن ألف فارس فيمسوا هذا الرجل ويصحبوه قبل أن يوافي أصحابه فقال الزبير يا أبا الجرباء إنا لنعرف أمور الحرب ولكنهم أهل دعوتنا وهذا أمر حدث في أشياء لم تكن قبل اليوم هذا أمر من لم يلق الله عزوجل فيه بعذر إنقطع عذره يوم القيامة ومع ذلك إنه قد فارقنا وافدهم على أمر وأنا أرجو أن يتم لنا الصلح فأبشروا واصبروا وأقبل صبرة بن شيمان فقال يا طلحة يا زبير انتهزنا بنا هذا الرجل فان الرأي في الحرب خير من الشدة فقال يا صبرة إنا وهم مسلمون وهذا أمر لم يكن قبل اليوم فينزل فيه قرآن أو يكون فيه من رسول الله صلى الله عليه وسلم سنة إنما هو حدث وقد زعم قوم أنه لا ينبغي تحريكه اليوم وهم علي ومن معه فقلنا نحن لا ينبغي لنا أن نتركه اليوم ولا نؤخره فقال على هذا الذي ندعوكم إليه من إقرار هؤلاء القوم شر وهو خير من شر منه وهو كأم لا يدرك وقد كاد أن يبين لنا وقد جاءت الأحكام بين المسلمين بإيثار أعمها منفعة راحوطها وأقبل كعب بن سور فقال ما تنتظرون يا قوم بعد تورديكم

[٥٠٩]

وأولهم اقطعوا هذا العنق من هؤلاء فقالوا يا كعب إن هذا أمر بيننا وبين إخواننا وهو أمر ملتبس لا والله ما أخذ أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم مذ بعث الله عز وجل نبيه طريقا إلا علمنا أين مواقع أقدامهم حتى حدث هذا فإنهم لا يدرون أمقبولون هم أم مدبرون إن الشئ يحسن عندنا اليوم ويقبح عند إخواننا فإذا كان من الغد قبح عندنا وحسن عندهم وأنا لنحتج عليهم بالحجة فلا يرونها حجة ثم يحتجون بها على أمثالنا ونحن نرجوا الصلح إن أجابوا إليه وتموا وإلا فإن آخر الدواء الكي وقام إلى علي بن أبي طالب أقوام من أهل الكوفة يسألونه عن إقدامهم على القوم فقام إليه فيمن قام الاعور بن بنان المنقري فقال له علي على الاصلاح وإطفاء النائرة لعل الله يجمع شمل هذه الامة بنا ويضع حربهم وقد أجابوني قال فإن لم يجيبونا قال تركناهم ما تركونا قال فإن لم يتركونا قال دفعناهم عن أنفسنا قال فهل لهم مثل ما عليهم من هذا قال نعم وقام إليه أبو سلامة الدألاني فقال أترى لهؤلاء القوم حجة فيما طلبوا من هذا الدم إن كانوا أرادوا الله عزوجل بذلك قال نعم قال فترى لك حجة بتأخيرك ذلك قال نعم إن الشئ إذا كان لا يدرك فالحكم فيه أحوطه وأعمه نفعا قال فما جالنا وحالكم إن ابتلينا غدا قال إنني لأرجو أن لا يقتل أحد نقي قلبه لله منا ومنهم إلا أدخله الله الجنة وقام إليه مالك بن حبيب فقال ما أنت صانع إذا لقيت هؤلاء القوم قال قد بان لنا ولهم أن الاصلاح الكف عن هذا الامر فإن بايعونا فذلك فإن أبوا وأبينا إلا القتال فصدع لا يلتئم قال فإن ابتلينا فما بالك قتلنا قال من أراد الله عزوجل نفعه ذلك وكان نجاهه وقام علي فخطب الناس فحمد الله وأثنى عليه وقال يا أيها الناس املكوا أنفسكم وكفوا أيديكم وألسنتكم عن هؤلاء القوم فإنهم إخوانكم واصبروا على ما يأتيكم وإياكم أن تسيقونا فإن المخصوم غدا من خصم اليوم ثم ارتحل وأقدم ودفع تعبته التي قدم فيها حتى إذا أطل على القوم بعث إليهم حكيم بن سلامة ومالك بن حبيب إن كنتم على ما فارقتم عليه القعقاع بن عمرو فكفوا وأقرونا ننزل وننظر في هذا الامر فخرج إليه

الاحنف بن قيس وبنو سعد مشمرين قد منعوا حرقوص بن زهير ولا
يرون القتال مع علي بن أبي طالب فقال يا علي ان قومنا

[٥١٠]

بالبصرة يزعمون انك ان ظهرت عليهم غدا أنك تقتل رجالهم وتسبى
نساءهم فقال ما مثلي يخاف هذا منه وهل يحل هذا إلا ممن تولى
وكفر ألم تسمع إلى قول الله عزوجل " لست عليهم بمسيطر إلا من
تولى وكفر " وهم قوم مسلمون هل أنت معن عني قومك قال نعم
واختر مني واحدة من ثنتين إما أن أكون آتيك فأكون معك بنفسى
وإما أن أكف عنك عشرة آلاف سيف فرجع إلى الناس فدعاهم إلى
العودة وقد بدأ يال خندق فأجابه ناس ثم نادى يال تميم فأجابه
ناس ثم نادى يال سعد فلم يبق سعدي إلا أجابه فاعتزل بهم ثم
نظر ما يصنع الناس فلما وقع القتال وظفر علي جاؤا وافرین فدخلوا
فيما دخل فيه الناس (وأما الذي يرويه المحدثون) من أمر الاحنف
فغير ما رواه سيف عمن ذكر من شيوخه والذي يرويه المحدثون من
ذلك ما حدثني يعقوب بن ابراهيم قال حدثنا ابن ادريس قال سمعت
حصينا يذكر عن عمرو بن جأوان عن الاحنف بن قيس قال قدمنا
المدينة ونحن نريد الحج فانا ليمنازلنا نضع رحالنا إذ أتانا أت فقال قد
فزعوا وقد اجتمعوا في المسجد فانطلقنا فإذا الناس مجتمعون على
نفر في وسط المسجد وإذا علي والزبير وطلحة وسعد بن أبي وقاص
وإنا كذلك إذ جاء عثمان بن عفان فقبل هذا عثمان قد جاء وعليه
ملينة له صفراء قد قنع بها رأسه فقال أهنا علي قالوا نعم قال
أهنا الزبير قالوا نعم قال أهنا طلحة قالوا نعم قال أنشدكم بالله
الذي لا إله إلا هو أن تعلمون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
من يبتع مريد بني فلان غفر الله له فابتعته بعشرين أو بخمسة
وعشرين ألفا فأتيت النبي صلى الله عليه وسلم فقلت يا رسول الله
قد ابتعته قال اجعله في مسجدنا وأجره لك قالوا اللهم نعم وذكر
أشياء من هذا النوع (قال الاحنف) فلقيت طلحة والزبير فقلت من
تأمراني به وترضيانه لي فاني لا أرى هذا الرجل إلا مقتولا قالا علي
قلت أتأمراني به وترضيانه لي قالا نعم فانطلقت حتى قدمت مكة
فبينما نحن بها إذ أتانا قتل عثمان رضى الله عنه وبها عائشة أم
المؤمنين رضى الله عنها فلقيتها فقلت من تأمريني أن أبايع قالت
علي قلت تأمريني به وترضيانه لي قالت نعم فمررت على علي
بالمدينة فبايعته ثم رجعت إلى أهل بالبصرة

[٥١١]

ولا أرى الامر إلا قد استقام قال فيينا أنا كذلك إذ أتاني أت فقال هذه
عائشة وطلحة والزبير قد نزلوا جانب الخريبة فقلت ما جاء بهم قالوا
أرسلوا اليك يدعونك يستنصرون بك على دم عثمان رضى الله عنه
فأتاني أقطع أمر أتاني قط فقلت إن خذلاني هؤلاء ومعهم أم
المؤمنين وحواري رسول الله صلى الله عليه وسلم لشديد وإن
قتالي رجلا ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أمروني
ببيعته لشديد فلما أتيتهم قالوا جئنا لنستنصر على دم عثمان رضى
الله عنه قتل مظلوما فقلت يا أم المؤمنين أنشدك بالله أقلت لك من
تأمريني به فقلت علي فقلت تأمريني به وترضيانه لي قلت نعم
قالت نعم ولكنه بدل فقلت يا زبير يا حواري رسول الله صلى الله عليه
وسلم يا طلحة أنشدكما الله أقلت لكما ما تأمراني فقلت والله
أتأمراني به وترضيانه لي فقلت نعم قالا نعم ولكنه بدل فقلت والله
لا أقاتلكم ومعكم أم المؤمنين وحواري رسول الله صلى الله عليه
وسلم ولا أقاتل رجلا ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم
أمرتموني ببيعته اختاروا مني واحدة من ثلاث خصال إما أن تفتحوا

لي الجسر فألحق بأرض الاعاجم حتى يقضى الله عزوجل من أمره ما قضى أو ألحق بمكة فأكون فيها حتى يقضى الله عزوجل من أمره ما قضى أو أعتزل فأكون قريبا قالوا إنا نأتمر ثم نرسل اليك فائتمروا فقالوا نفتح له الجسر ويخبرهم بأخباركم ليس ذاكم برأى اجعلوه ههنا قريبا حيث تطؤون على صماخه وتنظرون إليه فاعتزل بالجلحاء من البصرة على فرسخين فاعتزل معه زهاء على ستة آلاف ثم التقى القوم فكان أول قتيل طلحة رضى الله عنه وكعب بن سور معه المصحف يذكر هؤلاء وهؤلاء حتى قتل من قتل منهم ولحق الزبير بسفوان من البصرة كمكان القادسية منكم فلقية النعر رجل من مجاشع فقال أين تذهب يا حوارى رسول الله صلى الله عليه وسلم إلي فأنت في ذمتي لا يوصل إليك فأقبل معه فأتى الاحنف فقبل ذلك الزبير قد لقي بسفوان فما تأمر قال جمع بين المسلمين حتى ضرب بعضهم حواجب بعض بالسيوف ثم يلحق بيته فسمعه عمير ابن جرموز وفضالة بن حابس ونفيع فركبوا في طلبه فلقوه مع النعر فأتاه عمير بن جرموز من خلفه وهو على فرس له ضعيفة قطعته طعنة خفيفة وحمل عليه الزبير

[٥١٢]

وهو على فرس له يقال له ذو الخمار حتى إذا ظن انه قاتله نادى عمير بن جرموز يا نافع يافضالة فحملوا عليه فقتلوه * حدثني يعقوب بن ابراهيم قال حدثنا معتمر بن سليمان قال حدثني أبي عن حصين قال حدثنا عمرو بن جأوان رجل من بني تميم وذلك أني قلت له رأيت اعتزال الاحنف ما كان فقال سمعت الاحنف يقول أتيت المدينة وأنا حاج فذكر نحوه الحمد لله على ما قضى وحكم بعثة علي بن أبي طالب من ذي قار ابنه الحسن وعمار بن ياسر ليستنفرأ له أهل الكوفة * حدثني عمرو بن شبة قال حدثنا أبو الحسن قال حدثنا بشير بن عاصم عن ابن أبي ليلى عن أبيه قال خرج هاشم بن عتبة إلى علي بالريذة فأخبره بقدم محمد بن أبي بكر وقول أبي موسى فقال لقد أردت عزله وسألني الاشتهر أن أقره فرد علي هاشما إلى الكوفة وكتب إلى أبي موسى إنني وجهت هاشم بن عتبة لينهض من قبلك من المسلمين إلي فأشخص الناس فاني لم أو لك الذي أنت به إلا لتكون من أعواني على الحق فدعا أبو موسى السائب بن مالك الاشعري فقال له ما ترى قال أرى أن تتبع ما كتب به اليك قال لكني لا أرى ذلك فكتب هاشم إلى علي إنني قد قدمت على رجل غال مشاق ظاهر الغل والشنان وبعث بالكتاب مع المحل بن خليفة الطائي فبعث علي الحسن بن علي وعمار بن ياسر يستنفران له الناس وبعث قرظة بن كعب الانصاري أميرا على الكوفة وكتب معه إلى أبي موسى أما بعد فقد كنت أرى أن تعذب عن هذا الامر الذي لم يجعل الله عزوجل لك منه نصيبا سيمنعك من رد أمرى وقد بعث الحسن بن علي وعمار بن ياسر يستنفران الناس وبعث قرظة ابن كعب واليا على المصر فاعتزل مذموما مدحورا فان لم تفعل فاني قد أمرته أن يناديك فان نأبذته فظفر بك أن يقطعك آرابا فلما قدم الكتاب على أبي موسى اعتزل ودخل الحسن وعمار المسجد فقالا أيها الناس إن أمير المؤمنين يقول إنني خرجت مخرجي هذا ظلما أو مظلوما واني أذكر الله عزوجل رجلا رعى لله حقا إلا نفر فان كنت مظلوما أعانني وإن كنت ظلما أخذ مني والله إن طلحة والزبير

[٥١٣]

لاول من بايعني وأول من غدر فهل استأثرت بمال أو بدلت حكما فانفروا فمروا بمعروف وانفروا عن منكر * حدثني عمر قال حدثنا أبو الحسن قال حدثنا أبو مخنف عن جابر عن الشعبي عن أبي الطفيل

قال قال علي يأتيكم من الكوفة اثنا عشر ألف رجل ورجل فقعدت على نجفة ذي قار فأحصيتهم فما زادوا رجلا ولا نقصوا رجلا * حدثني عمر قال حدثنا أبو الحسن عن بشير بن عاصم عن ابن أبي ليلى عن أبيه قال خرج إلي علي اثنا عشر ألف رجل وهم أسباع على قريش وكنانة وأسد وتميم والرياب ومزينة معقل بن يسار الرياحي وسبيع قيس عليهم سعد ابن مسعود الثقفي وسبيع بكر بن وائل وتغلب عليهم وعلة بن مخدوج الذهلي وسبيع مذحج والاشعريين عليهم حجر بن عدي وسبيع بجيلة وأنمار وختعم والأزد عليهم مخنف بن سليم الأزدي نزول علي الزاوية من البصرة * حدثني عمر بن شبة قال حدثنا أبو الحسن عن مسلمة بن محارب عن قتادة قال نزل على الزاوية وأقام أياما فأرسل إليه الاحنف ان شئت أتيتك وان شئت كففت عنك أربعة آلاف سيف فأرسل إليه علي كيف بما أعطيت أصحابك من الاعتزال قال إن من الوفاء لله عزوجل قتالهم فأرسل كف من قدرت على كفه ثم سار علي من الزاوية وسار طلحة والزبير وعائشة من الغرضة فالتقوا عند موضع قصر عبيد الله أو عبدالله بن زياد فلما نزل الناس أرسل شقيق بن ثور إلى عمرو بن مرحوم العبدى أن أخرج فإذا خرجت فملى بنا إلى عسكر علي فخرجا في عبدالقيس وبكر بن وائل فعدلوا إلى عسكر أمير المؤمنين فقال الناس من كان هؤلاء معه غلب وودع شقيق بن ثور رايتهم إلى مولى له يقال له رشراشة فأرسل إليه وعلة ابن مخدوج الذهلي ضاعت الاحساب دفعت مكرمة قومك إلى رشراشة فأرسل شقيق أن أعن شأنك فانا نغنى شأننا فأقاموا ثلاثة أيام لم يكن بينهم قتال يرسل إليهم علي ويكلمهم ويردعهم * حدثنا عمر قال حدثنا أبو بكر الهذلي عن قتادة قال سار علي من الزاوية يريد طلحة والزبير وعائشة وساروا من الغرضة يريدون عليا فالتقوا

[٥١٤]

عند موضع قصر عبيد الله بن زياد في النصف من جمادى الآخرة سنة ٣٦ يوم الخميس فلما تراءى الجمعان خرج الزبير على فرس عليه سلاح فقيل لعلي هذا الزبير قال أما إنه أحرى الزجلين إن ذكر بالله أن يذكر وخرج طلحة فخرج إليهما علي فدنا منهما حتى اختلفت أعناق دوابهم فقال علي لعمرى لقد أعددتما سلاحا وخيلا ورجالا إن كنتما أعددتما عند الله عذرا فاتقيا الله سبحانه ولا تكونا كالتي نقضت غزلها من بعد قوة أنكاثا ألم أكن أخاكما في دينكما تحرمان دمي وأحرم دماءكما فهل من حدث أحل لكما دمي قال طلحة ألبت الناس على عثمان رضى الله عنه قال علي يومئذ يوفيهم الله دينهم الحق ويعلمون أن الله هو الحق المبين يا طلحة تطلب بدم عثمان رضى الله عنه فلعن الله قتلة عثمان يا زبير أتذكر يوم مررت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في بني غنم فنظر إلي فضحك وضحكت إليه فقلت لا يدع ابن أبي طالب زهوه فقال لك رسول الله صلى الله عليه وسلم صه إنه ليس به زهو ولتقاتلنه وأنت له ظالم فقال اللهم نعم ولو ذكرت ما سرت مسيرى هذا والله لا أقاتلك أبدا فانصرف علي إلى أصحابه فقال أما الزبير فقد أعطى الله عهدا ألا يقاتلكم ورجع الزبير إلى عائشة فقال لها ما كنت في موطن منذ عقلت الا وأنا أعرف فيه أمرى غير موطني هذا قالت فما تريد أن تصنع قال أريد أن أدعهم وأذهب فقال له ابنه عبدالله جمعت بين هذين الغارين حتى إذا حدد بعضهم لبعض أردت أن تتركهم وتذهب أحسست رايات ابن أبي طالب وعلمت أنها تحملها فتية أنجاد قال اني قد حلفت ألا أقاتله وأحفظه ما قال له فقال كفر عن يمينك وقاتله فدعا بغلام له يقال له مكحول فأعتقه فقال عبدالرحمن بن سليمان التميمي لم أر كاليوم أبا إخوان * أعجب من مكفر الايمان بالعتق في معصية الرحمن وقال رجل من شعرائهم يعتق مكحولا لصون دينه * كفارة لله عن يمينه والنكت قد لاح على حبينه

(رجع الحديث إلى حديث سيف عن محمد وطلحة) فارسل عمران بن حصين في الناس يخذل من الفريقين جميعا كما صنع الاحنف وأرسل إلى بني عدي فيمن أرسل فأقبل رسوله حتى نادى على باب مسجدهم ألا إن أبا نجيذ عمران بن الحصين يقربكم السلام ويقول لكم والله لأن أكون في جبل حصين مع أعنز خضر وضأن أجز أصوافها وأشرب ألبانها أحب إلي من أن أرمى في شئ من هذين الصفيين بسهم فقالت بنو عدي جميعا بصوت واحد إنا والله لا ندع ثقل رسول الله صلى الله عليه وسلم لشئ يعنون أم المؤمنين * حدثنا عمرو بن علي قال حدثنا يزيد بن زريع قال حدثنا أبو نعامة العدوي عن حجير بن الربيع قال قال لي عمران بن حصين سر إلى قومك أجمع ما يكونون فقم فيهم قائما فقل أرسلني إليكم عمران بن حصين صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ عليكم السلام ورحمة الله ويحلف بالله الذي لا إله إلا هو لأن يكون عبدا حبشيا مجدعا يرعى أعنزاً حصينات في رأس جبل حتى يدركه الموت أحب إلي من أن يرمى بسهم واحد بين الفريقين قال فرجع شيوخ الحبي رؤوسهم إليه فقالوا إنا لا ندع ثقل رسول الله صلى الله عليه وسلم لشئ أبدا (رجع الحديث إلى حديث سيف عن محمد وطلحة) وأهل البصرة فرق: فرقة مع طلحة والزبير وفرقة مع علي وفرقة لا ترى القتال مع أحد من الفريقين وجاءت عائشة رضى الله عنها من منزلها التي كانت فيه حتى نزلت في مسجد الحدان في الازد وكان القتال في ساحتهم ورأس الازد يومئذ صبرة بن شيمان فقال له كعب بن سور إن الجموع إذا تراءوا لم تستطع وإنما هي بحور تدفق فأطعني ولا تشهدهم واعتزل بقومك فإني أخاف ألا يكون صلح وكن وراء هذه النطفة ودع هذين الغارين من مضر وربيعة فهما أخوان فإن اصطلحا فالصلح ما أردنا وإن اقتتلا كنا حكاما عليهم غدا وكان كعب في الجاهلية نصرانيا فقال صبرة أخشى أن يكون فيك شئ من النصرانية أتأمرني أن أغيب عن إصلاح بين الناس وأن أخذل أم المؤمنين وطلحة والزبير إن ردوا عليهم الصلح وأدع الطلب بدم عثمان رضى الله عنه

لا والله لا أفعل ذلك أبدا فأطبق أهل اليمن على الحضور (كتب إلي السري) عن شعيب عن سيف عن الضريس الجلي عن ابن يعمر قال لما رجع الاحنف ابن قيس من عند علي لقيه هلال بن وكيع بن مالك بن عمرو فقال ما رأيك قال الاعتزال فما رأيك قال مكانة أم المؤمنين أفتدعنا وأنت سيدنا قال إنما أكون سيدكم غدا إذا قتلت وبقيت فقال هلال هذا وأنت شيخنا فقال أنا الشيخ المعصى وأنت الشاب المطاع فاتبعته بنو سعد الاحنف فاعتزل بهم إلى وادي السباع واتبعته بنو حنظلة هلالا وتابعت بنو عمر وأبا الجرباء فقاتلوا (كتب إلي السري) عن شعيب عن سيف عن محمد عن أبي عثمان قال لما أقبل الاحنف نادى بالزيد اعتزلوا هذا الامر وولوا هذين الفريقين كيسه وعجزه فقام المنجاب بن راشد فقال يال الرباب لا تعتزلوا واشهدوا هذا الامر وتولوا كيسه ففارقوا فلما قال يال تميم اعتزلوا وولوا هذين الفريقين كيسه وعجزه قام أبو الجرباء وهو من بني عثمان بن مالك بن عمرو بن تميم فقال يال عمرو لا تعتزلوا هذا الامر وتولوا كيسه فكان أبو الجرباء على بني عمرو بن تميم والمنجاب بن راشد على بني ضبة فلما قال يال زيد مائة اعتزلوا هذا الامر وولوا هذين الفريقين كيسه وعجزه قال هلال ابن وكيع لا تعتزلوا هذا الامر ونادى يال حنظلة تولوا كيسه فكان هلال على حنظلة وطاوعت سعد الاحنف واعتزلوا إلى وادي السباع (كتب إلي السري)

عن شعيب عن سيف عن محمد وطلحة قالا كان علي هوازن وعلي بن سليم والاعجاز مجاشع بن مسعود السلمي وعلي عامر زفر بن الحارث وعلي غطفان أعصر بن النعمان الباهلي وعلي بكر بن وائل مالك بن مسمع واعتزلت عبدالقيس إلى علي إلا رجلا فإنه أقام ومن بكر بن وائل قيام واعتزل منهم مثل من بقى منهم عليهم سنان وكانت الأزدي علي ثلاثة رؤساء صبرة بن شيمان ومسعود وزباد بن عمرو والشواذب عليهم رحلان علي مضر الخريت بن راشد وعلي قضاة والتوابع الرعبي الجرهمي وهو لقب وعلي سائر اليمن ذو الأجرة الحميري فخرج طلحة والزبير فنزلا بالناس من الزابوقة في موضع قرية الارزاق فنزلت مضر جميعا وهم لا يشكون في الصلح ونزلت ربيعة فوقهم جميعا وهم لا يشكون

[٥١٧]

في الصلح ونزلت اليمن جميعا أسفل منهم وهم لا يشكون في الصلح وعائشة في الحدان والناس في الزابوقة علي رؤسائهم هؤلاء وهم ثلاثون ألفا وردوا حكيما ومالكا إلى علي بأنا علي ما فارقنا عليه الفعقاع فاقدم فخرجنا حتى قدما عليه بذلك فارتحل حتى نزل عليهم بحيالهم فنزلت القبائل إلى قبائلهم مضر إلى مضر وربيعة إلى ربيعة واليمن إلى اليمن وهم لا يشكون في الصلح فكان بعضهم بحيال بعض وبعضهم يخرج إلى بعض ولا يذكرون ولا ينوون إلا الصلح وخرج أمير المؤمنين فيمن معه وهم عشرون ألفا وأهل الكوفة علي رؤسائهم الذين قدموا معهم ذاقار وعبد القيس علي ثلاثة رؤساء جذيمة وبكر علي ابن الجارود والعمور علي عبدالله بن السوداء وأهل هجر علي ابن الأشج وبكر بن وائل من أهل البصرة علي ابن الحارث بن نهار وعلي دنور بن علي الزط والسيابجة وقدم علي ذاقار في عشرة آلاف وانضم إليه عشرة آلاف * حدثني عمر بن شبة قال حدثنا أبو الحسن عن بشير بن عاصم عن فطر ابن خليفة عن منذر الثوري عن محمد بن الحنفية قال أقبلنا من المدينة بسبعمئة رجل وخرج إلينا من الكوفة سبعة آلاف وانضم إلينا من حولنا ألفان أكثرهم بكر ابن وائل ويقال ستة آلاف (رجع الحديث إلى حديث محمد وطلحة) قالا فلما نزل الناس واطمأنوا خرج علي وخرج طليحة والزبير فتوافقوا وتكلموا فيما اختلفوا فيه فلم يجدوا أمرا هو أمثل من الصلح ووضع الحرب حين رأوا الأمر قد أخذ في الانقشاع وأنه لا يدرك فافترقوا عن موقفهم علي ذلك ورجع علي إلى عسكره وطلحة والزبير إلى عسكرهما أمر القتال (وكتب إلي السري) عن شعيب عن سيف عن محمد وطلحة قالا وبعث علي من العشى عبدالله بن عباس إلى طلحة والزبير وبعثاهما من العشى محمد بن طلحة إلى علي وأن يكلم كل واحد منهما أصحابه فقالوا نعم فلما أمسوا وذلك في جمادى الآخرة أرسل طلحة والزبير إلى رؤساء أصحابهما وأرسل علي إلى رؤساء أصحابه ما خلا أولئك الذين هضوا علي عثمان فباتوا علي الصلح وباتوا بليلة لم

[٥١٨]

بيبتوا بمثلها للعافية من الذي أشرفوا عليه والنزوع عما اشتبهى الذين اشتبهوا وركبوا ما ركبوا وبات الذين أثاروا أمر عثمان بشر ليلة بانوها قط قد أشرفوا على الهلكة وجعلوا يتشاورون ليلتهم كلها حتى اجتمعوا على إنشباب الحرب في السر واستسروا بذلك خشية أن يفتن بما حاولوا من الشر فغدوا مع الغلس وما يشعر بهم جيرانهم انسلوا إلى ذلك الأمر انسلالا وعليهم ظلمة فخرج مضريهم إلى مضريهم وربيعهم إلى ربيعهم وبمانيهم إلى بمانيهم فوضعوا فيهم السلاح فثار أهل البصرة وثار كل قوم في وجوه أصحابهم الذين

بهتوهم وخرج الزبير وطلحة في وجوه الناس من مضر فبعثا إلى الميمنة وهم ربيعة يعبؤها عبدالرحمن بن الحارث بن هشام وإلى الميسرة عبدالرحمن بن عتاب بن أسيد وثبتا في القلب فقال ما هذا قالوا طرقتنا أهل الكوفة ليلا فقالا قد علمنا أن عليا غير منته حتى يسفك الدماء ويستجل الحرمة وأنه لن يطاوعنا ثم رجعا بأهل البصرة وقصف أهل البصرة أولئك حتى ردهم إلى عسكرهم فسمع علي وأهل الكوفة الصوت وقد وضعوا رجلا قريبا من علي ليخبره بما يريدون فلما قال ما هذا قال ذلك الرجل ما فجننا إلا وقوم منهم بيتونا فرددناهم من حيث جاءوا فوجدنا القوم على رجل فركبونا وثار الناس وقال علي لصاحب ميمنته أنت الميمنة وقال لصاحب ميسرته أنت الميسرة ولقد علمت أن طلحة والزبير غير منتهيين حتى يسفكا الدماء ويستجلا الحرمة وإنهما لن يطاوعانا والسبائية لا تفتن إنشابة ونادى علي في الناس أيها الناس كفوا فلا شئ فكان من رأيهم جميعا في تلك الفتنة ألا يقتلوا حتى يبدأوا يطلبون بذلك الحجة ويستحقون على الآخرين وإلا يقتلوا مدبرا ولا يجهزوا على جريح ولا يتبعوا فكان مما اجتمع عليه الفريقان ونادوا فيما بينهما (كتب إلي السري) عن شعيب عن سيف عن محمد وطلحة وأبي عمرو قالوا وأقبل كعب بن سور حتى أتى عائشة رضى الله عنها فقال أدركي فقد أبى القوم إلا القتال لعل الله يصلح بك فركبت وألبسوا هودجها الأدرع ثم بعثوا حملها وكان حملها يدعى عسكرا حملها عليه يعلى بن أمية اشتراه بمائتي دينار فلما برزت من البيوت وكانت بحيث تسمع الغوغاء وقفت فلم تلبث

[٥١٩]

أن سمعت غوغاء شديدة فقالت ما هذا فقالوا ضجة العسكر قالت بخير أو بشر قالوا بشر قالت فأبي الفريقين كانت منهم هذه الضجة فهم المهزومون وهي واقفة فوالله ما فجنها إلا الهزيمة فمضى الزبير من سننه في وجهه فسلك وادي السباع وجاء طلحة سهم غرب يخل ركبته بصفحة الفرس فلما امتلا موزجه دما وثقل قال لغلामه اردفني وامسكني وابغني مكانا أنزل فيه فدخل البصرة وهو يتمثل مثله ومثل الزبير فإن تكن الحوادث أقصدتني * وأخطأهن سهمي حين أرمى فقد ضعيت حين تبعت سهما * سفاها ما سفهت وصل حلمي ندمت ندامة الكسعي لما * شريت رضى بني سهم برغمي أطعتهم بفرقة آل لاي * فألقوا للسباع دمي ولحمي خبر وقعة الجمل من رواية أخرى (قال أبو جعفر) وأما غير سيف فإنه ذكر من خبر هذه الوقعة وأمر الزبير وانصرافه عن الموقف الذي كان فيه ذلك اليوم غير الذي ذكر سيف عن صاحبيه والذي ذكر من ذلك بعضهم ما حدثنيه أحمد بن زهير قال حدثنا أبي أبو خيثمة قال حدثنا وهب بن جرير بن حازم قال سمعت أبي قال سمعت يونس بن يزيد الأيلي عن الزهري في قصة ذكرها من خبر علي وطلحة والزبير وعائشة في مسيرهم الذي نحن في ذكره في هذا الموضع قال وبلغ الخبر عليا يعني خبر السبعين الذين قتلوا مع العبدى بالبصرة فأقبل يعني عليا في اثني عشر ألفا فقدم البصرة وجعل يقول يا لهف نفسي على ربيعه * ربيعة السامعة المطيعة * سنتها كانت بها الوقعة فلما توافقوا خرج علي فرسه فدعا الزبير فتوافقا فقال علي للزبير ما جاء بك قال أنت ولا أراك لهذا الأمر أهلا ولا أولى به منا فقال علي لست له أهلا بعد عثمان رضى الله عنه قد كنا نعدك من بني عبدالمطلب حتى بلغ ابنك ابن السوء ففرق بيننا وبينك وعظم عليه أشياء فذكر أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم مر عليهما فقال لعلي ما يقول ابن عمك ليقاتلك وهو لك ظالم فانصرف عنه الزبير وقال فاني لا أقاتلك فرجع إلى ابنه عبدالله فقال مالي في هذا الحرب بصيرة فقال له ابنه إنك

قد خرجت على بصيرة ولكنك رأيت رايات ابن أبي طالب وعرفت أن تحتها الموت فجهنت فأحفظه حتى أرعد وعضب وقال ويحك إني قد حلفت له ألا أقاتله فقال له ابنه كفر عن يمينك بعثي غلامك سرجس فأعتقه وقام في الصف معهم وكان علي قال للزبير أطلب مني دم عثمان وأنت قتلت سلط الله على أشدنا عليه اليوم ما يكره وقال علي يا طلحة جئت بعرض رسول الله صلى الله عليه وسلم تقاتل بها وخيات عرسك في البيت أما بايعتني قال بايعتك وعلى عنقي اللج فقال علي لأصحابه أيكم يعرض عليهم هذا المصحف وما فيه فان قطعت يده أخذه بيده الأخرى وإن قطعت أخذه بأسنانه قال فتى شاب أنا فطاف علي على أصحابه يعرض ذلك عليهم فلم يقبله إلا ذلك الفتى فقال له علي اعرض عليهم هذا وقل هو بيننا وبينكم من أوله إلى آخره والله في دمائنا ودمائكم فحمل علي الفتى وفي يده المصحف فقطعت يده فأخذه بأسنانه حتى قتل فقال علي قد طاب لكم الضراب فقاتلوهم فقتل يومئذ سبعون رجلا كلهم يأخذ بخطام الجمل فلما عقر الجمل وهزم الناس أصابت طلحة رمية فقتلته فيزعمون أن مروان بن الحكم رماه وقد كان ابن الزبير أخذ بخطام جمل عائشة فقالت من هذا فأخبرها فقالت واثكل أسماء فجرح فألقى نفسه في الجرحى فاستخرج فبرأ من جراحته واحتمل محمد بن أبي بكر عائشة فضرب عليها فسقاط فوقف علي عليها فقال استفزت الناس وقد فروا فأليت بينهم حتى قتل بعضهم بعضا في كلام كثير فقالت عائشة يا ابن أبي طالب ملكت فأسجح نعم ما أبلت قومك اليوم فسرحها علي وأرسل معها جماعة من رجال ونساء وجهزها وأمر لها باثني عشر ألفا من المال فاستقل ذلك عبدالله بن جعفر فأخرج لها مالا عظيما وقال إن لم يجزه أمير المؤمنين فهو علي وقتل الزبير فزعموا أن ابن جرموز لهو الذي قتله وأنه وقف بباب أمير المؤمنين فقال لحاجبه استأذن لقاتل الزبير فقال علي أئذن له وبشره بالنار * حدثني محمد بن عمار قال حدثنا عبيدالله بن موسى قال أخبرنا فضيل عن سفیان بن عقیبة عن قرة بن الحارث عن جون بن قتادة قال قرة بن الحارث كنت مع الاحنف ابن قيس وكان جون بن قتادة ابن عمي مع الزبير بن العوام فحدثني جون بن قتادة

قال كنت مع الزبير رضى الله عنه فجاء فارس يسير وكانوا يسلمون على الزبير بالامرة فقال السلام عليك أيها الأمير قال وعليك السلام قال هؤلاء القوم قد أتوا مكان كذا وكذا فلم أر قوما أرث سلاحا ولا أقل عددا ولا أرعب قلوبا من قوم أتوك ثم انصرف عنه قال ثم جاء فارس فقال السلام عليك أيها الأمير فقال وعليك السلام قال جاء القوم حتى أتوا مكان كذا وكذا فسمعوا بما جمع الله عزوجل لكم من العدد والعدة والحد فغذف الله في قلوبهم الرعب فولوا مدبرين قال الزبير أيها عنك الآن فوالله لو لم يجد ابن أبي طالب إلا العرفج لدب الينا فيه ثم انصرف ثم جاء فارس وقد كادت الخيول أن تخرج من الرهج فقال السلام عليك أيها الأمير قال وعليك السلام قال هؤلاء القوم قد أتوك فلقيت عمارا فقلت له وقال لي فقال الزبير انه ليس فيهم فقال بلى والله إنه لفيهم قال والله ما جعله الله فيهم فقال والله لقد جعله الله فيهم قال والله ما جعله الله فيهم فلما رأى الرجل يخالفه قال لبعض أهله اركب فانظر أحق ما يقول فركب معه فانطلقا وأنا أنظر اليهما حتى وقفا في جانب الخيل قليلا ثم رجعا الينا فقال الزبير لصاحبه ما عندك قال صدق الرجل قال الزبير يا جدع أنفاه أو يا قطع ظهراه قال محمد بن عمار قال عبيد الله قال فضيل لا أدري أيهما قال ثم أخذه أفكل فجعل السلاح ينتفض فقال جون ثكلتني أمي هذا الذي كنت أريد أن أموت معه أو أعيش معه والذي نفسي بيده ما أخذ هذا ما

أرى إلا لشئ قد سمعه أو رآه من رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما تشاغل الناس انصرف فجلس على دابته ثم ذهب فانصرف جون فجلس على دابته فلحق بالاحنف ثم جاء فارسان حتى أتيا الاحنف وأصحابه فنزلا فأتيا فأكبوا عليه فناجياه ساعة ثم انصرفا ثم جاء عمرو بن جرموز إلى الاحنف فقال أدركته في وادي السباع فقتلته فكان يقول والذي نفسي بيده إن صاحب الزبير الاحنف * حدثني عمر بن شبة قال حدثنا أبو الحسن قال حدثنا بشير بن عاصم عن الحجاج بن أرطاة عن عمار بن معاوية الذهبي حي من أحمرس بجيلة قال أخذ علي مصحفا يوم الجمل فطاف به في أصحابه وقال من يأخذ هذا

[٥٢٢]

المصحف يدعوهم إلى ما فيه وهو مقتول فقام إليه فتى من أهل الكوفة عليه قباء أبيض محشو فقال أنا فأعرض عنه ثم قال من يأخذ هذا المصحف يدعوهم إلى ما فيه وهو مقتول فقال الفتى أنا فأعرض عنه ثم قال من يأخذ هذا المصحف يدعوهم إلى ما فيه وهو مقتول فقال الفتى أنا فدفعه إليه فدعاهم فقطعوا يده اليمنى فأخذه بيده اليسرى فدعاهم فقطعوا يده اليسرى فأخذه بصدرة والدماء تسيل على قبائه فقتل رضى الله عنه فقال علي الآن حل قتالهم فقالت أم الفتى بعد ذلك فيما تراثى لا هم إن مسلما دعاهم * يتلو كتاب الله لا يخشاهم وأمهم قائمة تراهم * يأترون الغي لا تنهاهم فد خضبت من علق لحاهم * حدثني عمر قال حدثنا أبو الحسن قال حدثنا أبو مخنف عن جابر عن الشعبي قال حملت ميمنة أمير المؤمنين على ميسرة أهل البصرة فاقتتلوا ولأذ الناس بعائشة رضى الله عنها أكثرهم ضية والأزد وكان قتالهم من ارتفاع النهار إلى قريب من العصر ويقال إلى أن زالت الشمس ثم انهزموا فنادى رجل من الأزد كروا فضربه محمد بن علي فقطع يده فنادى يا معشر الأزد فروا واستحرجوا القتلى بالأزد فنادوا نحن على دين علي بن أبي طالب فقال رجل من بني ليث بعد ذلك سائل بنا يوم لقينا الأزد * والخيل تعدو أشقرا ووردا لما قطعنا كبدهم والزندا * سحقا لهم في رأيهم وبعدا * حدثني عمر بن شبة قال حدثنا أبو الحسن قال حدثنا جعفر بن سليمان عن مالك بن دينار قال حمل عمار على الزبير يوم الجمل فجعل يحوزه بالرمح فقال أتريد أن تقتلني قال لا انصرف وقال عامر بن حفص أقبل عمار حتى حاز الزبير يوم الجمل بالرمح فقال أتقتلني يا أبا اليقظان قال لا يا أبا عبدالله (رجع الحديث إلى حديث سيف) عن محمد وطلحة قالا ولما انهزم الناس في صدر النهار نادى الزبير أنا الزبير هلموا الي أيها الناس ومعه مولى له ينادى أعن حواري رسول الله صلى الله عليه وسلم تنهزمون وانصرف الزبير نحو وادي السباع واتبعه فرسان وتشاغل الناس عنه بالناس فلما

[٥٢٣]

رأى الفرسان تتبعه عطف عليهم ففرق بينهم فكروا عليه فلما عرفوه قالوا الزبير دعوه فلما نفر فيهم علباء بن الهيثم ومر القعقاع في نفر بطلحة وهو يقول إلى عباد الله الصبر الصبر فقال له يا أبا محمد أنك لجريح وإنك عما تريد لعليل فادخل الابيات فقال يا غلام أدخلني وإبغني مكانا فأدخل البصرة ومعه غلام ورجلان فاقتتل الناس بعده فأقبل الناس في هزيمتهم تلك وهم يريدون البصرة فلما رأوا الجمل أطافت به مضر عادوا قلبا كما كانوا حيث التقوا وعادوا إلى أمر جديد ووقفت ربيعة البصرة منه ميمنة ومنهم ميسرة وقالت عائشة حل يا كعب عن البعير وتقدم بكتاب الله عزوجل فدعهم إليه ودفعت إليه مصحفا وأقبل القوم وأمامهم السبائية يخافون أن يجرى الصلح فاستقبلهم كعب بالمصحف وعلي من خلفهم يزعمهم ويأبون إلا

إقداما فلما دعاهم كعب رشقوه رشقا واحدا فقتلوه ورموا عائشة في هودجها فجعلت تنادى يا بني البقية البقية وبعلو صوتها كثرة الله الله اذكروا الله عزوجل والحساب فيأبون إلا إقداما فكان أول شئ أحدثته حين أبوا أن قالت أيها الناس العنوا قتلة عثمان وأشياعهم وأقبلت تدعو وضح أهل البصرة بالدعاء وسمع علي ابن أبي طالب الدعاء ما هذه الضجة فقالوا عائشة تدعو ويدعون معها على قتلة عثمان وأشياعهم فأقبل يدعو ويقول اللهم العن قتلة عثمان وأشياعهم وأرسلت إلى عبدالرحمن بن عتاب وعبد الرحمن بن الحارث اثبتا مكانكما وذمرت الناس حين رأت أن القوم لا يريدون غيرها ولا يكفون عن الناس فازدلفت مضر البصرة فقصفت مضر الكوفة حتى زوحم على فينخس علي قفا محمد وقال احمل فنكل فأهوى علي إلى الراية ليأخذها منه فحمل فترك الراية في يده وحملت مضر الكوفة فاجتلدوا قدام الجمل حتى ضرسوا والمجنبات على حالها لا تصنع شيئا ومع علي أقوام غير مضر فمنهم زيد بن صوحان فقال له رجل من قومه تنح إلى قومك مالك ولهذا الموقف ألست تعلم أن مضر بحالك وأن الجمل بين يديك وأن الموت دونه فقال اموت خير من الحياة الموت ما أريد فأصيب وأخوه سيحان وارث صعصة واشتدت الحرب فلما رأى ذلك علي بعث إلى اليمن وإلى ربيعة أن اجتمعوا على ما يليكم

[٥٢٤]

فقام رجل من عبد القيس فقال ندعوكم إلى كتاب الله عزوجل قالوا وكيف يدعوننا إلى كتاب الله من لا يقيم حدود الله سبحانه ومن قتل داعى الله كعب بن سور فرمته ربيعة رشقا واحدا فقتلوه وقام مسلم بن عبدالله العجلي مقامه فرشقوه رشقا واحدا فقتلوه ودعت يمن الكوفة يمن البصرة فرشقوهم (كتب إلي السري) عن شعيب عن سيف عن محمد وطلحة قالا كان القتال الاول يستحر إلى انتصاف النهار وأصيب فيه طلحة رضى الله عنه وذهب فيه الزبير فلما أووا إلى عائشة وأبى أهل الكوفة إلا القتال ولم يريدوا إلا عائشة ذمرتهم عائشة فاقتتلوا حتى تنادوا فتحاجزوا فرجعوا بعد الظهر فاقتتلوا وذلك يوم الخميس في جمادى الآخرة فاقتتلوا صدر النهار مع طلحة والزبير وفي وسطه مع عائشة وتزاحف الناس فهزمت يمن البصرة يمن الكوفة وربيعه البصرة ربيعة الكوفة ونهد علي بمضر الكوفة إلى مضر البصرة وقال إن الموت ليس منه فوت يدرك الهارب ولا يترك المقيم * حدثني عمر قال حدثنا أبو الحسن قال حدثنا أبو عبد الله القرشى عن يونس بن أرقم عن علي بن عمرو الكندي عن زيد بن حساس قال سمعت محمد بن الحنفية يقول دفع إلى أبي الراية يوم الجمل وقال تقدم فتقدمت حتى لم أجد متقدما إلا على رمح قال تقدم لا أم لك فتكأأت وقلت لا أجد متقدما إلا على سنان رمح فتناول الراية من يدي متناول لا أدري من هو فنظرت فإذا أبى بين يدي وهو يقول أنت التي غرك مني الحسنى * ياعيش إن القوم قوم أعدا الخفض خير من قتال الابنا (كتب إلي السري) عن شعيب عن سيف عن محمد وطلحة قالا اقتتل المجنبتان حين تزاحفتا قتالا شديدا يشبه ما فيه القلبان واقتتل أهل اليمن فقتل على راية أمير المؤمنين من أهل الكوفة عشرة كلما أخذها رجل قتل خمسة من همدان وخمسة من سائر اليمن فلما رأى ذلك يزيد بن قيس أخذها فثبتت في يده وهو يقول قد عشت يانفس وقد غنيت * دهرنا فقطك اليوم ما بقيت أطلب طول العمر ما حييت

[٥٢٥]

وإنما تمثلها وهو قول الشاعر قبله وقال نمران بن أبي نمران
الهمداني جردت سيفي في رجال الازد * أضرب في كهولهم والمرد
كل طويل الساعدين نهد وأقبلت ربيعة فقتل على راية الميسرة من
أهل الكوفة زيد وصرع صعصعة ثم سيحان ثم عبدالله بن ربيعة بن
المغيرة ثم ابو عيدة برأشد بن سلمى وهو يقول اللهم أنت هديتنا
من الضلالة وأستنقذتنا من الجهالة وابتليتنا بالفتنة فكنا في شبهة
وعلى ربيعة حتى قتل ثم الحصين ابن معبد بن النعمان فأعطاها ابنه
معبدا وجعل يقول يا معبد قرب لها بوها تحذب فثبتت في يده (كتب
إلي السري) عن شعيب عن سيف عن محمد وطلحة قالا لما رأيت
الكمأة من مضر الكوفة ومضر البصرة الصبر تنادوا في عسكر عائشة
وعسكر علي يا أيها الناس طرفوا إذا فرغ الصبر ونزع النصر فجعلوا
يتوجؤون الاطراف الايدي والارجل فما رؤيت وقعة قط قبلها ولا بعدها
ولا يسمع بها أكثر يدا مقطوعة ورجلا مقطوعة منها لا يدري من
صاحبها وأصيب يد عبدالرحمن بن عتاب يومئذ قبل قتله وكان الرجل
من هؤلاء وهؤلاء إذا أصيب شئ من أطرافه استقتل إلى أن يقتل
(كتب إلي السري) عن شعيب عن سيف عن الصعب بن عطية بن
بلال عن أبيه قال اشتد الامر حتى أرزت ميمنة الكوفة إلى القلب
حتى لزقت به ولزقت ميسرة البصرة بقلبيهم ومنعوا ميمنة أهل
الكوفة أن يختلطوا بقلبيهم وإن كانوا إلى جنبهم وفعل مثل ذلك
ميسرة الكوفة وميمنة البصرة فقالت عائشة رضى الله عنها لمن عن
يسارها من القوم قال صبرة بن شيمان بنوك الازد قالت يال غسان
حافظوا اليوم جلاذكم الذي كنا نسمع به وتمثلت وجالد من غسان
أهل حفاظها * وهنب وأوس جالدت وشبيب وقالت لمن عن يمينها
من القوم وقالوا بكر بن وائل قالت لكم يقول القائل وجاؤا إلينا في
الحديد كأنهم * من العزة القعساء بكر بن وائل إنما يازائكم
عبدالقيس فاقتتلوا أشد القتال من قتالهم قبل ذلك وأقبلت على
كتيبة

[٥٢٦]

بين يديها فقالت من القوم قالوا بنو ناجية قالت نج نج سيوف أبطحية
وسيوف قرشية فجالدوا جلاذا يتفادى منه ثم أطافت بها بنو ضبة
فقالت ويهن جمرن الجمرات حتى إذا رقوا خالطهم بنو عدي وكثروا
حولها فقالت من أنتم قالوا بنو عدي خالطنا إخواننا فقالت ما زال
رأس الجمل معتدلا حتى قتلت بنو ضبة حولي فأقاموا رأس الجمل
ثم ضربوا ضربا ليس بالتعذيب ولا يعدلون بالتطريف حتى إذا كثر ذلك
وظهر في العسكرين جميعا راموا الجمل وقالوا لا يزال القوم أو يصرع
وأرزت مجنبتا علي فصارتا في القلب وفعل ذلك أهل البصرة وكره
القوم بعضهم بعضا وتلاقوا جميعا بقلبيهم وأخذ ابن يثربى برأس
الجمل وهو يرتجز وادعى قتل علياء ابن الهيثم وزيد بن صوحان وهند
بن عمرو فقال أنا لمن ينكرني ابن يثربي * قاتل علياء وهند الجملي
وابن لصوحان على دين علي فناده عمار لقد لعمرى لذت بحريز وما
إليك سبيل فإن كنت صادقا فاخرج من هذه الكتيبة إلي فترك الزمام
في يد رجل من بني عدي حتى كان بين أصحاب عائشة وأصحاب
علي فزحم الناس عمارا حتى أقبل إليه فاتقاه عمار بدرقته فضربه
فانتشب سيفه فيها فعالجه فلم يخرج فخرج عمار إليه لا يملك من
نفسه شيئا فأسف عمار لرجليه فقطعهما فوقع على استه وحمله
أصحابه فارتث بعد فأتى به علي فأمر بضرب عنقه ولما أصيب ابن
يثربى ترك ذلك العدو الزمام ثم خرج فناده من يبارز فخنس عمار
وبرز إليه ربيعة العقيلي والعدوى يدعى عمرة بن بحرة أشد الناس
صوتا وهو يقول يا أمنا أعق أم نعلم * والام تغدوا ولدا وترحم ألا ترين
كم شجاع يكلم * وتختلى منه يد ومعصم ثم اضطربا فأثن كل واحد
منهما صاحبه فماتا وقال عطية بن بلال ولحق بنا من آخر النهار رجل
يدعى الحارث من بني ضبة فقام مقام العدو فما رأينا رجلا قط
أشد منه وجعل يقول

نحن بنو ضبة أصحاب الجمل * ننعى ابن عفان بأطراف الاسل الموت أحلى عندنا من العسل * ردوا علينا شيخنا ثم بجل * حدثني عمر بن شبة قال حدثنا الحسن عن المفضل بن محمد عن عدي بن أبي عدي عن أبي رجاء العطاردي قال اني لانظر إلى رجل يوم الجمل وهو يقلب سيفاً بيده كأنه محراق وهو يقول نحن بنو ضبة أصحاب الجمل * ننازل الموت إذا الموت نزل والموت أشهى عندنا من العسل * ننعى ابن عفان بأطراف الاسل ردوا علينا شيخنا ثم بجل * حدثني عمر قال حدثنا أبو الحسن عن المفضل الضبي قال كان الرجل وسيم ابن عمرو بن ضرار الضبي * حدثني عمر قال حدثنا أبو الحسن عن الهذلي قال كان عمرو بن يثربي يحضض قومه يوم الجمل وقد تعاوروا الخطاب يرتجزون نحن بنو ضبة لا نفر * حتى ترى جماجماً تخر يخر منها العلق المحمر يا أمنا يا عيش لن تراعى * كل بنيك بطل شجاع يا أمنا يا زوجة النبي * يا زوجة المبارك المهدي حتى قتل على الخطاب أربعون رجلاً وقالت عائشة رضى الله عنها ما زال جملي معتدلاً حتى فقدت أصوات بني ضبة وقتل يومئذ عمرو بن يثربي علباء بن الهيثم السدوسي وهند بن عمرو الجملي وزيد بن صوحان وهو يرتجز ويقول أضربهم ولا أرى أبا حسن * كفى بهذا حزناً من الحزن إنا نمر الأمر إمرار الرسن فزعم الهذلي أن هذا الشعر تمثل به يوم صفين وعرض عمار لعمرو بن يثربي وعمار يومئذ ابن تسعين سنة عليه فر وقد شد وسطه بحبل من ليف فبدره عمرو بن يثربي فحى له درفته فنشب سيفه فيها ورماه الناس حتى صرع وهو يقول إن تقتلونني فانا ابن يثربي * قاتل علباء وهند الجملي

ثم ابن صوحان على دين علي وأخذ أسيراً حتى انتهى به إلى علي فقال استيقني فقال أبعده ثلاثة تقبل عليهم بسيفك تضرب به وجوههم فأمر به فقتل * وحدثني عمر قال حدثنا أبو الحسن قال حدثنا أبو مخنف عن اسحاق بن راشد عن عباد بن عبد الله بن الزبير عن أبيه قال مشيت يوم الجمل وبني سبع وثلاثون جراحة من ضربة وطعنة وما رأيت مثل يوم الجمل قط ما ينهزم منا أحد وما نحن إلا كالجيل الأسود وما يأخذ بخطام الجمل أحد إلا قتل فأخذه عبدالرحمن بن عتاب فقتل فأخذه الأسود بن أبي البخري فصرع وحنث فأخذت بالخطام فقالت عائشة من أنت قلت عبد الله بن الزبير قالت واثكل أسماء ومر بي الاشتهر فعرفته فعانقته فسقطنا جميعاً وناديت اقتلوني ومالكاً فجاء ناس منا ومنهم فقاتلوا عنا حتى تاجزنا وضاع الخطام ونادى علي أعفروا الجمل فانه ان عفر تفرقوا فضربه رجل فسقط فما سمعت صوتاً قط أشد من عجيج الجمل وأمر علي محمد بن أبي بكر فضرب عليها قبة وقال انظر هل وصل إليها شئ فأدخل رأسه فقالت من أنت ويلك فقال أبغض أهلك إليك قالت ابن الخثعمية قال نعم قالت بأبي أنت وأمي الحمد لله الذي عافاك * حدثني اسحاق بن ابراهيم بن حبيب بن الشهيد قال سمعت أبا بكر بن عياش يقول قال علقمة قلت للاشتهر قد كنت كارها لقتل عثمان رضى الله عنه فما أخرجك بالبصرة قال إن هؤلاء بايعوه ثم نكثوا وكان ابن الزبير هو الذي أكره عائشة على الخروج فكنت أدعو الله عزوجل أن يلقينيه فلقيني كفة لكفة فما رضيت بشدة ساعدي أن قمت في الركاب فضربه علي رأسه فصرعته * قلنا فهو القاتل اقتلوني ومالكاً قال لا ما تركته وفي نفسي منه شئ ذاك عبدالرحمن بن عتاب بن أسيد لقيني فاختلفنا ضربتين فصرعني وصرعته فجعل يقول اقتلوني ومالكاً ولا يعلمون من مالك فلو يعلمون لقاتلوني * ثم قال أبو بكر بن عياش هذا كتابك شاهده * حدثني به المغيرة عن ابراهيم عن

علقمة قال قلت للاشتر حدثني عبدالله بن أحمد قال حدثني أبي
قال حدثني سليمان قال حدثني عبدالله عن طلحة بن النضر عن
عثمان بن سليمان عن عبدالله بن الزبير قال وقف علينا

[٥٢٩]

شباب فقال احذروا هذين الرجلين فذكره وعلامة الاشتر أن إحدى
قدميه بادية ن شئ يجد بها قال لما التقينا قال الاشتر لما قصد لي
سوى رمحه لرجلي قلت هذا أحق وما عسى أن يدرك مني لو
قطعها ألسنته فإتاه فلما دنا مني جمع يديه في الرمح ثم التمس به
وجهي قلت أحد الاقران * حدثني عمر بن شبة قال حدثنا أبو
الحسن عن أبي مخنف عن ابن عبدالرحمن بن جندب عن أبيه عن
جده قال كان عمرو بن الأشرف أخذ بخطام الجمل لا يدنو منه أحد
إلا خبطه بسيفه إذ أقبل الحارث ابن زهير الأزدي وهو يقول يا أمنا
ياخير أم نعلم * أما ترين كم شجاع يكلم وتختلى هامته والمعصم
فاختلفا ضربتين فرأيتهما يفحصان الأرض بأرجلهما حتى ماتا فدخلت
على عائشة رضی الله عنه بالمدينة فقالت من أنت قلت رجل من
الأزد أسكن الكوفة قالت أشهدتنا يوم الجمل قلت نعم قالت ألنا أم
علينا قلت عليكم قالت أتعرف الذي يقول يا أمنا ياخير أم نعلم قلت
نعم ذاك ابن عمي فبكت حتى طننت أنها لا تسكت * حدثني عمر
قال حدثنا أبو الحسن عن ابن أبي ليلى عن دينار بن العيزار قال
سمعت الاشتر يقول لقيت عبدالرحمن بن عتاب بن أسيد فلقيت
أشد الناس وأروعه فعانقته فسقطنا إلى الأرض جميعا فنأدى
اقتلوني ومالكا * حدثني عمر قال حدثنا أبو الحسن عن ابن أبي
ليلى عن دينار بن العيزار قال سمعت الاشتر يقول رأيت عبدالله بن
حكيم بن حزام ومعه راية قريش وعدى بن حاتم الطائي وهما
يتصاولان كالفحلين فتعاورناه فقتلناه يعني عبدالله قطعن عبدالله
عديا ففقا عينه * حدثني عمر قال حدثنا أبو الحسن عن أبي مخنف
عن عمه محمد بن مخنف قال حدثني عدة من أشياخ الحبي كلهم
شهدا الجمل قالوا كانت راية الأزد من أهل الكوفة مع مخنف بن
سليم فقتل يومئذ فتناول الراية من أهل بيته الصعب وأخوه عبدالله
بن سليم فقتلوه فأخذها العلاء بن عروة فكان الفتح وهي في يده
وكانت راية عبدالقيس من أهل الكوفة مع القاسم بن مسلم فقتل
وقتل معه زيد

[٥٣٠]

ابن صوحان وسيحان بن صوحان وأخذ الراية عدة منهم فقتلوا منهم
عبدالله ابن رقية وراشد ثم أخذها منقذ بن النعمان فدفعها إلى ابنه
مرة بن منقذ فانقضى الامر وهي في يده وكانت راية بكر بن وائل من
أهل الكوفة في بني ذهل كانت مع الحارث بن حسان بن خوط
الذهلي فقال أبو العرفاء الرقاشي أبق على نفسك وقومك فأقدم
وقال يا معشر بكر بن وائل إنه لم يكن أحد له من رسول الله صلى
الله عليه وسلم مثل منزلة صاحبكم فانصروه فأقدم فقتل وقتل ابنه
وقتل خمسة إخوة له فقال له يومئذ بشر بن حسان بن خوط وهو
يقاتل أنا ابن حسان بن خوط وأبي * رسول بكر كلها إلى النبي وقال
ابنه أنعى الرئيس الحارث بن حسان * لآك ذهل ولآك شيبان وقال
رجل من ذهل تنعى لنا خير امرئ من عدنان * عند الطعان ونزال
الاقران وقتل رجال من بني محدوج وكانت الرئاسة لهم من أهل
الكوفة وقتل بني ذهل خمسة وثلاثون رجلا فقال رجل لآخيه وهو
يقاتل يا أخي ما أحسن قتالنا إن كنا على حق قال فإنما على الحق
إن الناس أخذوا يميننا وشمالنا وإنما تمسكنا بأهل بيت نبينا فقاتلا
حتى قتلا وكانت رئاسة عبدالقيس من أهل البصرة وكانوا مع علي

لعمرو بن مرحوم ورتاسة بكر بن وائل لشقيق بن ثور والراية مع رشراشة مولاه ورتاسة الازد من أهل البصرة وكانوا مع عائشة لعبد الرحمن بن جشم بن أبي حنين الحمامي فيما حدثني عامر بن حفص ويقال لصبرة بن شيمان الحداني والراية مع عمرو بن الاشرف العتكلي فقتل وقتل معه ثلاثة عشر رجلا من أهل بيته * حدثني عمر قال حدثنا أبو الحسن قال حدثنا أبو ليلى عن أبي عكاشة الهمداني عن رفاعة البيجلي عن أبي اليختر الطائي قال أطافت ضبة والازد بعائشة يوم الجمل وإذا رجال من الازد يأخذون بعرجل الجمل فيفتونه ويشمونهم ويقولون بعرجل أمنا ريحه ريح المسك ورجل من أصحاب علي يقاتل ويقول

[٥٣١]

جردت سيفي في رجال الازد * أضرب في كهولهم والمرد كل طويل الساعدين نهد وماج الناس بعضهم في بعض فصرخ صارخ أعقروا الجمل فضربه بجير بن دلجة الضبي من أهل الكوفة فقيل له لم عقرته فقال رأيت قومي يقتلون فخفت أن يغنوا ورجوت أن عقرته أن يبقى لهم بقية * حدثني عمر قال حدثنا أبو الحسن قال حدثنا الصلت ابن دينار قال انتهى رجل من بني عقيل إلى كعب بن سور رحمه الله وهو مقتول فوضع زج رمحه في عينيه ثم خضخضه وقال ما رأيت مالا قط أحكم نقد منك * حدثني عمر قال حدثنا أبو الحسن قال حدثنا عوانة قال افتتلوا يوم الجمل يوما إلى الليل فقال بعضهم شفى السيف من زيد وهند نفوسنا * شفاء ومن عيني عدى بن حاتم صبرنا لهم يوما إلى الليل كله * بضم القنا والمرهفات الصوارم وقال ابن صامت ياضب سيرى فإن الأرض واسعة * على شمالك إن الموت بالقاع كتيبة كشعاع الشمس إذ طلعت * لها أتى إذا ما سال دفاع إذا نقيم لكم في كل معترك * بالمشرفية ضربا غير إبداع * حدثنا العباس بن محمد قال حدثنا روح بن عباد قال حدثنا روح عن أبي رجاء قال رأيت رجلا قد اصطلمت أذنه قلت أخلقة أم شئ أصابك قال أحدثك بينا أنا أمشي بين القتلى يوم الجمل فإذا رجل يفحص برجله وهو يقول لقد أوردتنا حومة الموت أمنا * فلم ننصرف إلا ونحن رواء أطعنا قريشا ضلة من حلومنا * ونصرتنا أهل الججاز عناء قلت يا عبد الله لا إله إلا الله قال ادن مني ولقني فان في أذني وقرا فدنوت منه فقال لي ممن أنت قلت رجل من الكوفة فوثب علي فاصطلم أذني كما ترى ثم قال إذا لقيت أمك فأخبرها إن عمير بن الاهلب الضبي فعل بك هذا * حدثني عمر قال حدثنا أبو الحسن قال حدثنا المفضل الراوية وعامر بن حفص وعبد المجيد

[٥٣٢]

الاسدي قالوا جرح يوم الجمل عمير بن الاهلب الضبي فمر به رجل من أصحاب علي وهو في الجرحى فقال له عمير ادن مني فدنا منه ففقطع أذنه وقال عمير بن الاهلب لقد أوردتنا حومة الموت أمنا * فلم ننصرف إلا ونحن رواء لقد كان عن نصر ابن ضبة أمه * وشيعتها مندوحة وغناء أطعنا بني تيم بن مرة شقوة * وهل تيم الا أعبد وإماء (كتب إلي السري) عن شعيب عن سيف عن المقدم الحارثي قال كان منا رجل يدعى هانئ بن خطاب وكان ممن غزا عثمان ولم يشهد الجمل فلما سمع بهذا الرجز يعني رجز القائل نحن بنو ضبة أصحاب الجمل في حديث الناس نقض عليه وهو بالكوفة أبت شيوخ مذحج وهمدان * أن لا يردوا نعتلا كما كان خلفا جديدا بعد خلق الرحمن (كتب إلي السري) عن شعيب عن سيف عن الصعب بن عطية عن أبيه قال جعل أبو الجرباء يومئذ يرتجز ويقول أسمع أنت مطيع لعلي * من قبل أن تذوق حد المشرفي وخاذل في الحق

أزواج النبي * أعرف قوما لست فيه بعني (كتب إلي السري) عن شعيب عن سيف عن محمد وطلحة قالا كانت أم المؤمنين في حلقه من أهل النجدات والبصائر من أفناء مضر فكان لا يأخذ أحد بالزمام إلا كان يحمل الراية واللواء لا يحسن تركها وكان لا يأخذها إلا معروف عند المطيفين بالجمل فينتسب لها أنا فلان بن فلان فوالله إن كانوا ليقاتلون عليه وإنه للموت لا يوصل إليه إلا بطلبة وعنت وما رame أحد من أصحاب علي إلا قتل أو أفلت ثم لم يعدو لما اختلط الناس بالقلب جاء عدي بن حاتم فحمل عليه ففقت عينه ونكل فجاء الاشتهر فحامله عبدالرحمن بن عتاب بن أسيد وإنه لاقطع منزوف فاعتنقه ثم جلد به الارض عن دابته فاضطرب تحته فأفلت وهو جريض (كتب إلي السري) عن شعيب عن

[٥٣٣]

سيف عن هشام بن عروة عن أبيه قال كان لا يجئ رجل فيأخذ بالزمام حتى يقول أنا فلان بن فلان يا أم المؤمنين فجاء عبدالله بن الزبير فقالت حين لم يتكلم من أنت فقال أنا عبدالله أنا ابن أختك قالت واتكل أسماء تعني أختها وانتهى إلى الجمل الاشتهر وعدي بن حاتم فخرج عبدالله بن حكيم بن حزام إلى الاشتهر فمشى إليه الاشتهر فاختلفا ضربتين فقتله الاشتهر ومشى إليه عبدالله بن الزبير فضربه الاشتهر على رأسه فجرحه جرحا شديدا وضرب عبدالله الاشتهر ضربة خفيفة واعتنق كل واحد منهما صاحبه وخرأ إلى الارض يعتركان فقال عبدالله بن الزبير افتلونني ومالكا * وكان مالك يقول ما أحب أن يكون قال والاشتهر وإن لي حمر النعم وشد أناس من أصحاب علي وأصحاب عائشة فافترقا وتنقذ كل واحد من الفريقين صاحبه (كتب إلي السري) عن شعيب عن سيف عن الصعب بن عطية عن أبيه قال وجاء محمد بن طلحة فأخذ بزمام الجمل فقال يا أمه مريني بأمرك قالت أمرك أن تكون كخير بني آدم إن تركت قال فحمل فجعل لا يحمل عليه أحد إلا حمل عليه ويقول حم لا ينصرون واجتمع عليه نفر فكلهم ادعى قتله المكعبير الاسدي والمكعبير الضبي ومعاوية بن شداد العبسي وعفان بن الأشقر النصري فانفذه بعضهم بالرمح ففي ذلك يقول قائله منهم وأشعث قوام بآيات ربه * قليل الاذى فيما ترى العين مسلم هتكت له بالرمح جيب قميصه * فخر صريعا لليدين وللفم يذكرنني حم والرمح شاجر * فهلا تلا حم قبل التقدم على غير شئ غير أن ليس تابعا * عليا ومن لا يتبع الحق يندم (كتب إلي السري) عن شعيب عن سيف عن الصعب بن عطية عن أبيه قال قال القعقاع بن عمرو للاشتهر يؤلمه يومئذ هل لك في العود فلم يجبه فقال يا أشتهر بعضنا أعلم بقتال بعض منك فحمل القعقاع وإن الزمام مع زفر بن الحارث وكان آخر من أعقب في الزمام فلا والله ما بقى من بني عامر يومئذ شيخ إلا أصيب فدام الجمل فقتل فيمن قتل يومئذ ربيعة جد إسحاق بن مسلم وزفر يرتجز ويقول يا أمنا يا عيش لن تراعى * كل بنيك بطل شجاع

[٥٣٤]

ليس بوهام ولا براعى وقال القعقاع يرتجز ويقول إذا وردنا آجنا جهرناه * ولا يطاق ورد ما منعناه تمثلها تمثلا (كتب إلي السري) عن شعيب عن سيف عن محمد وطلحة قالا كان من آخر من قاتل ذلك اليوم زفر بن الحارث فزحف إليه القعقاع فلم يبق حول الجمل عامري مكتهل إلا أصيب يتسرعون إلى الموت وقال القعقاع يا بجير بن دلجة صح بقومك فليعفروا الجمل قبل أن يصابوا وتصاب أم المؤمنين فقال يال ضبة يا عمرو بن دلجة ادع بي اليك فدعا به فقال أنا آمن حتى أرجع قال نعم قال فاجتث ساق البعير فرمى بنفسه على شفه

وجرح البعير وقال القعقاع لمن يليه أنتم آمنون واجتمع هو وزفر على قطع بطان البعير وحملا اليهودج فوضعا ثم أطافا به وتغار من وراء ذلك من الناس (كتب إلي السري) عن شعيب عن سيف عن الصعب ابن عطية عن أبيه قال لما أمسى الناس وتقدم علي وأحيط بالجمل ومن حوله وعقره بجير بن دلجة وقال إنكم آمنون فكف بعض الناس عن بعض وقال علي في ذلك حين أمسى وانخس عنهم القتال إليك أشكو عجري وبجري * ومعشرا عشوا علي بصري قتلت منهم مضا بمضري * شفيت نفسي وقتلت معشري (كتب إلي السري) عن شعيب عن سيف عن إسماعيل بن أبي خالد عن حكيم بن جابر قال قال طلحة يومئذ اللهم أعط عثمان مني حتى يرضى فجاء سهم غرب وهو واقف فخل ركبته بالسرج وثبت حتى امتلا موزجه دما فلما ثقل قال لمولاه اردفني وإغنني مكانا لا أعرف فيه فلم أر كاليوم شيئا أضيع دما فركب مولاه وأمسكه وجعل يقول قد لحقنا القوم حتى انتهى به إلى دار من دور البصرة خربة وأنزله في فيئها فمات في تلك الخربة ودفن رضى الله عنه في بني سعد (كتب إلي السري) عن شعيب عن سيف عن البخترى العيدي عن أبيه قال كانت ربيعة مع علي يوم الجمل ثلث أهل الكوفة ونصف الناس يوم الوقعة كانت تعيبتهم

[٥٣٥]

مضر ومضر وربيعه وربيعه واليمن واليمن فقال بنو صوحان يا أمير المؤمنين أئذن لنا نقف عن مضر ففعل فأتى زيد فقيل له ما يوقفك حيال الجمل وبيحال مضر الموت معك وإبائك فاعتزل الينا فقال الموت نريد فأصيبوا يومئذ وأفلت صعصعة من بينهم (كتب إلي السري) عن شعيب عن سيف عن الصعب بن عطية قال كان رجل منا يدعى الحارث فقال يومئذ يال مضر علام يقتل بعضكم بعضا تبادرون لا ندري إلا أنا إلى قضاء وما تكفون في ذلك * حدثني عبدالله بن أحمد قال حدثني أبي قال حدثني سليمان قال حدثني عبدالله بن المبارك عن جرير قال حدثني الزبير بن الحرث قال حدثني شيخ من الحرميين يقال له أبو جبير قال مررت بكعب بن سور وهو أخذ بخطام جمل عائشة رضى الله عنها يوم الجمل فقال يا أبا جبير أنا والله كما قالت القائلة * يا بني لا تبني ولا تقاتل * حدثني الزبير بن الحرث قال مر به علي وهو قتل فقام عليه فقال والله إنك ما علمت كنت لصليبا في الحق قاضيا بالعدل وكيت وكيت فأثنى عليه (كتب إلي السري) عن شعيب عن سيف عن ابن صعصعة المزني أو عن صعصعة عن عمرو ابن جأوان عن جرير بن أشرس قال كان القتال يومئذ في صدر النهار مع طلحة والزبير فانهزم الناس وعائشة توقع الصلح فلم يفجاها إلا الناس فأحاطت بها مضر ووقف الناس للقتال فكان القتال نصف النهار مع عائشة وعلي وقد كان كعب ابن سور أخذ مصحف عائشة وعلي وقد كان كعب بن سور أخذ مصحف عائشة فبدر بين الصفيين يناشدهم الله عزوجل في دمائهم وأعطى درعه فرمى بها تحته وأتى بترسه فتنبكه فرشقوه رشقا واحدا فقتلوه رضى الله عنه ولم يمهلوهم أن شدوا عليهم والتحم القتال فكان أول مقتول بين يدي عائشة من أهل الكوفة (كتب إلي السري) عن شعيب عن سيف عن مخلد بن كثير عن أبيه قال أرسلنا مسلم بن عبدالله يدعو بني أبيينا فرشقوه كما صنع القلب بكعب رشقا واحدا فقتلوه فكان أول من قتل بين يدي أمير المؤمنين وعائشة رضى الله عنها فقالت أم مسلم ترثيه لا هم إن مسلما أتاهم * مستسلما للموت إذ دعاهم

[٥٣٦]

إلى كتاب الله لا يخشاهم * فرملوه من دم إذ جاهم وأمهم قائمة
تراهم * يأترون الغي لا تنهاهم (كتب إلي السري) عن شعيب عن
سيف عن الصعب بن حكيم بن شريك عن أبيه عن جده قال لما
انهزمت مجنبتا الكوفة عشية الجمل صاروا إلى القلب وكان ابن
يثرى قاضى البصرة قبل كعب بن سور فشهدهم هو وأخوه يوم
الجمل وهما عبدالله وعمرو فكان واقفا أمام الجمل على فرس فقال
علي من رجل يحمل على الجمل فانتدب له هند بن عمرو المرادي
فاعترضه ابن يثرى فاختلغا ضربتين فقتله ابن يثرى ثم حمل
سيحان بن صوحان فاعترضه ابن يثرى فاختلغا ضربتين فقتله ابن
يثرى ثم حمل علياء بن الهيثم فاعترضه ابن يثرى فقتله ثم حمل
صعصعة فضربه فقتل ثلاثة أجهز عليهم في المعركة علياء وهند
وسيحان وارتت صعصعة وزيد أحدهما وبقي الآخر (كتب إلي السري)
عن شعيب عن سيف عن عمرو بن محمد عن الشعبي قال أخذ
الخطام يوم الجمل سبعون رجلا من قريش كلهم يقتل وهو أخذ
بالخطام وحمل الاشتهر فاعترضه عبدالله بن الزبير فاختلغا ضربتين
ضربه الاشتهر فأماه وواثبه عبدالله فاعتنقه فخر به وجعل يقول اقتلونني
ومالكا وكان الناس لا يعرفونه بمالك ولو قال والاشتر وكانت له ألف
ألف نفس ما نجا منها شئ وما زال يضطرب في يدي عبدالله حتى
أفلت وكان الرجل إذا حمل على الجمل ثم نجا لم يعد وجرح يومئذ
مروان وعبد الله بن الزبير * حدثني عبدالله بن أحمد قال حدثني
عمي قال حدثني سليمان قال حدثني عبدالله عن جرير بن حازم
قال حدثني محمد بن أبي يعقوب وابن عون عن أبي رجاء قال قال
يومئذ عمرو بن يثرى الضبي وهو أخو عميرة القاضي: نحن بنو ضبة
أصحاب الجمل * نزل بالموت إذا الموت نزل وزاد ابن عون وليس في
حديث ابن أبي يعقوب: القتل أحلى عندنا من العسل * نعي ابن
عفان بأطراف الاسل ردوا علينا شيخنا ثم بجل

[٥٣٧]

(كتب إلي السري) عن شعيب عن سيف عن داود بن أبي هند عن
شيخ من بني ضبة قال ارتجز يومئذ ابن يثرى: إنا لمن أنكرني ابن
يثرى * قاتل علياء وهند الجملي وابن لصوحان على دين علي وقال
من يبارز فبرز له رجل فقتله ثم برز له آخر فقتله وارتجز وقال: أقتلهم
وقد أرى عليا * ولوا أشا أوجرتة عمريا فبرز له عمار بن ياسر وإنه
لاضعف من بارزه وإن الناس ليسترجعون حين قام عمار وأنا أقول
لعمار من ضعفه هذا والله لاحق بأصحابه كان قضيحا حمش الساقين
وعليه سيف حمائله بشقه قائمه قريب من إبطه فيضربه ابن يثرى
بسيفه فنشب في حافته وضربه عمار وأوهطه ورمى أصحاب علي
ابن يثرى بالحجارة حتى أثخنوه وارتنوه (كتب إلي السري) عن
شعيب عن سيف عن حماد البرجمي عن خارجة بن الصلت قال لما
قال الضبي يوم الجمل: نحن بنو ضبة أصحاب الجمل * نعي ابن
عفان بأطراف الاسل ردوا علينا شيخنا ثم بجل قال عمير بن أبي
الحارث: كيف نرد شيخكم وقد فحل * نحن ضربنا صدره حتى انجفل
(كتب إلي السري) عن شعيب عن سيف عن الصعب بن حكيم عن
أبيه عن جده قال عقر الجمل رجل من بني ضبة يقال له ابن دلجة
عمرو أو بجير وقال في ذلك الحارث بن قيس وكان من أصحاب
عائشة: نحن ضربنا ساقه فانجدلا * من ضربة بالنفر كانت فيصلا لو
لم تكون للرسول ثقلا * وحرمة لاقتسمونا عجلا وقد نحلنا ذلك
المثنى بن محرمة من أصحاب علي شدة القتال يوم الجمل وخبر
أعين بن ضبيعة وإطلاعه في اليهودج (كتب إلي السري) عن شعيب
عن سيف عن محمد بن نوبيرة عن أبي عثمان

[٥٣٨]

قال قال القعقاع ما رأيت شيئاً أشبه بشئ من قتال القلب يوم
الجمل بقتال صفين لقد رأيتنا ندافعهم بأسنتنا ونتكئ على أرجتنا
وهم مثل ذلك حتى لو أن الرجال مشت عليها لاستقلت بهم *
حدثني عيسى بن عبدالرحمن المروزي قال حدثنا الحسن ابن
الحسين العرنبي قال حدثنا يحيى بن يعلى الاسلمي عن سليمان
بن قرم عن الاعمش عن عبدالله بن سنان الكاهلي قال لما كان يوم
الجمل ترامينا بالنبل حتى فنيت وتطاعنا بالرمح حتى تشبكت في
صدورنا وصدورهم حتى لم سيرت عليها الخيل لسارت ثم قال على
السيوف يا أبناء المهاجرين (قال الشيخ) فما دخلت دار الوليد إلا
ذكرت ذلك اليوم * حدثني عبدالاعلى بن واصل قال حدثنا أبو فقيم
قال حدثنا قطر قال سمعت أبا بشير قال كنت مع مولاي زمن الجمل
فما مررت بدار الوليد قط فسمعت أصوات القصارين يضربون إلا ذكرت
قتالهم * حدثني عيسى بن عبدالرحمن المروزي قال حدثنا الحسن
بن الحسين قال حدثنا يحيى بن يعلى عن عبدالملك بن مسلم عن
عيسى بن حطان قال حاص الناس حيصة ثم رجعنا وعائشة على
حمل أحمر في هودج أحمر ما شبهته إلا القنفذ من النبل * حدثني
عبدالله بن أحمد قال حدثني أبي قال حدثني سليمان قال حدثني
عبدالله قال حدثني ابن عون عن أبي رجاء قال ذكروا يوم الجمل فقال
كأنني أنظر إلى خدر عائشة كأنه قنفذ مما رمى فيه من النبل فقلت
لابي رجاء أقاتلت يومئذ قال والله لقد رميت بأسهم فما أدري ما
صنعن (كتب إلي السري) عن شعيب عن سيف عن محمد عن
راشد السلمبي عن ميسرة أبي جميلة أن محمد بن أبي بكر وعمار
بن ياسر أتيا عائشة وقد عقر الجمل فقطعا غرضة الرجل واحتملا
الهودج فنحياه حتى أمرهما علي فيه أمره بعد قال أدخلها البصرة
فأدخلها دار عبدالله بن خلف الخزاعي (كتب إلي السري) عن
شعيب عن سيف عن محمد وطلحة قالوا أمر علي نفرا بحمل الهودج
من بين القتلى وقد كان القعقاع وزفر بن الحارث أنزلاه عن ظهر
البعير فوضعه إلى جنب البعير فأقبل محمد بن أبي بكر إليه ومعه نفر
فأدخل يده فيه فقالت من هذا قال أخوك البر قالت عقوق قال عمار
بن ياسر كيف رأيت

[٥٣٩]

ضرب بنيك اليوم يا أمه قالت من أنت قال أنا ابنك البار عمار قالت
لست لك بأم قال بلي وإن كرهت قالت فخرتم إن ظفرتم وأنتم مثل
ما نقتم هيات والله لن يظفر من كان هذا دأبه وأبرزوها بهودجها
من القتلى ووضعوها ليس قريبا أحد وكان هودجها فرخ مقضب مما
فيه من النبل وجاء أعين بن ضبيعة المجاشعي حتى اطلع في
الهودج فقالت إليك لعنك الله فقال والله ما أرى إلا حميراً قالت هتك
الله سترك وقطع يدك وأبدي عورتك فقتل بالبصرة وسلب وقطعت يده
ورمى به عريانا في خربة من خربات الأزدي فأنتهى إليها علي فقال
إي أمه يغفر الله لنا ولكم قالت غفر الله لنا ولكم (كتب إلي السري)
عن شعيب عن سيف عن الصعب بن حكيم بن شريك عن أبيه عن
جده قال أنتهى محمد بن أبي بكر ومعه عمار فقطع الإنساع عن
الهودج واحتملاه فلما وضعاه أدخل محمد يده وقال أخوك محمد
فقلت مذمم قال يا أخية هل أصابك شئ قالت ما أنت من ذلك قال
فمن إذا الضلال قالت بل الهداة وانتهى إليها علي فقال كيف أنت يا
أمه قالت بخير قال يغفر الله لك قالت ولك (كتب إلي السري) عن
شعيب عن سيف عن محمد وطلحة قالوا ولما كان من آخر الليل خرج
محمد بعائشة حتى أدخلها البصرة فأنزلها في دار عبدالله بن خلف
الخزاعي على صفية ابنة الحارث بن طلحة بن أبي طلحة بن
عبدالعزيز بن عثمان بن عبد الدار وهي أم طلحة الطلحات بن عبدالله
ابن خلف. وكانت الوقعة يوم الخميس لعشر خلون من جمادى الآخرة
سنة ٣٦ في قول الواقدي مقتل الزبير بن العوام رضى الله عنه (كتب
إلي السري) عن شعيب عن سيف عن الوليد بن عبدالله عن أبيه

قال لما انهزم الناس يوم الجمل عن طلحة والزبير ومضى الزبير رضى الله عنه حتى مر بعسكر الاحنف فلما رآه وأخبر به قال والله ما هذا انجياز وقال للناس من يأتينا يخبره فقال عمرو بن جرموز لاصحابه أنا فأتبعه فلما لحقه نظر إليه الزبير وكان شديد الغضب قال ما وراءك قال إنما أردت أن أسألك فقال غلام للزبير يدعى

[٥٤٠]

عطية كان معه أنه معد فقال ما يهولك من رجل وحضرت الصلاة فقال ابن جرموز الصلاة فقال الزبير الصلاة فنزلا واستديره ابن جرموز فطعنه من خلفه في جريان درعه فقتله وأخذ فرسه وخاتمه وسلاحه وخلي عن الغلام فدفنه بوادي السباع ورجع إلى الناس بالخبر فأما الاحنف فقال والله ما أدري أحسنت أم أسأت ثم انحدر إلى علي وابن جرموز معه فدخل عليه فأخبره فدعا بالسيف فقال سيف طالما جلى الكرب عن وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم وبعث بذلك إلى عائشة ثم أقبل على الاحنف فقال تربصت فقال ما كنت أراني إلا قد أحسنت وبأمرك كان ما كان يا أمير المؤمنين فارق فان طريقك الذي سلكت بعيد وأنت الي غدا أحوج منك أمس فأعرف احساني واستصف مودتي لغد ولا تقولن مثل هذا فاني لم أزل لك ناصحا من انهزم يوم الجمل فاخترت ومضى في البلاد (كتب إلي السري) عن شعيب عن سيف عن محمد وطلحة قالا ومضى الزبير في صدر يوم الهزيمة راجلا نحو المدينة فقتله ابن جرموز قالا وخرج عتبة ابن أبي سفيان وعبد الرحمن ويحيى ابنا الحكم يوم الهزيمة قد شجعوا في البلاد فلقوا عصمة بن أبيير التيمي فقال هل لكم في الجوار قالوا من أنت قال عصمة بن أبيير قالوا نعم قال فأنتم في جوارى إلى الجول فمضى بهم ثم حماهم وأقام عليهم حتى برئوا ثم قال اختاروا أحب بلد إليكم أبلغكموه قالوا الشام فخرج بهم في أربعمائة راكب من تيم الرباب حتى إذا وغلوا في بلاد كلب بدومة قالوا قد وفيت ذمتك وذممهم وفضيت الذي عليك فارجع فرجع وفي ذلك يقول الشاعر وفي ابن أبيير والرماح شوارع * بال أبي العاصى وفاء مذكرا وأما ابن عامر فإنه خرج أيضا مشججا فتلغاه رجل من بني حرقوص يدعى مري فدعاه للجوار فقال نعم فأجاره وأقام عليه وقال أي البلدان أحب اليك قال دمشق فخرج به في ركب من بني حرقوص حتى بلغوا به دمشق وقال حارثة بن بدر وكان مع عائشة وأصيب في الوقعة ابنه أو أخوه زراع (وفي نسخة أخرى دراع)

[٥٤١]

أتاني من الانبياء أن ابن عامر * أناخ وألقى في دمشق المراسيا وأوى مروان بن الحكم إلى أهل بيت من عنزة يوم الهزيمة فقال لهم أعلموا مالك بن مسمع بمكاني فأتوا مالكا فأخبروه بمكانه فقال لآخيه مقاتل كيف نصنع بهذا الرجل الذي قد بعث إلينا يعلمنا بمكانه قال ابعت ابن أخي فأجره والتمسوا له الامان من علي فان آمنه فذاك الذي نحب وان لم يؤمنه خرجنا به وبأسيافنا فان عرض له جالدنا دونه بأسيافنا فإما أن نسلم وإما أن نهلك كراما وقد استشار غيره من أهله من قبل في الذي استشار فيه مقاتلا فنهاه فأخذ برأي أخيه وترك رأيهم فأرسل إليه فأنزله في داره وعزم على منعه إن اضطر إلى ذلك وقال الموت دون الجوار وفاء وحفظ لهم بنو مروان ذلك بعد وانتفعوا به عندهم وشرفوهم بذلك وأوى عبدالله بن الزبير إلى دار رجل من الازد يدعى وزيرا وقال ائت أم المؤمنين فأعلمها بمكاني وإياك أن يطلع على هذا محمد بن أبي بكر فأتى عائشة رضى الله عنها فأخبرها فقالت علي بمحمد فقال يا أم المؤمنين إنه قد نهاني أن يعلم به محمد فارسلت إليه فقالت اذهب مع هذا

الرجل حتى تجيئني بابن أختك فانطلق معه فدخل بالازدي على ابن الزبير قال جئتك والله بما كرهت وأبت أم المؤمنين إلا ذلك فخرج عبدالله ومحمد وهما يتشامان فذكر محمد عثمان فشتمه وشتم عبدالله محمدا حتى انتهى إلى عائشة في دار عبدالله بن خلف وكان عبدالله بن خلف قبل يوم الجمل مع عائشة وقتل عثمان أخوه مع علي وأرسلت عائشة في طلب من كان جريحا فضمت منهم ناسا وضمت مروان فيمن ضمت فكانوا في بيوت الدار (كتب إلي السري) عن شعيب عن سيف عن محمد وطلحة قالا وغشى الوجوه عائشة وعلي في عسكره ودخل القعقاع بن عمرو على عائشة في أول من دخل فسلم عليها فقالت إنني رأيت رجلين بالامس اجتلدا بين يدي وارتجزا بكذا فهل تعرف كوفيك منهما قال نعم ذاك الذي قال أعق أم نعلم وكذب والله إنك لابر أم نعلم ولكن لم تطاعني فقالت والله لوددت أني مت قبل هذا اليوم بعشرين سنة وخرج فأتى عليا فأخبره أن عائشة سألته فقال ويحك من الرجلان قال ذلك

[٥٤٢]

أبو هالة الذي يقول كما أرى صاحبه عليا فقال والله لوددت أني مت قبل هذا اليوم بعشرين سنة فكان قولهما واحدا (كتب إلي السري) عن شعيب عن سيف عن محمد وطلحة قالا وتسلسل الجرحى في جوف الليل ودخلوا البصرة من كان يطيق الانبعاث منهم وسألت عائشة يومئذ عن عدة من الناس منهم من كان معها ومنهم من كان عليها وقد غشيها الناس وهي في دار عبدالله بن خلف فكلما نعى لها منهم واحد قالت يرحمه الله فقال لها رجل من أصحابها كيف ذلك قالت كذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فلان في الجنة وفلان في الجنة وقال علي بن أبي طالب يومئذ إنني لأرجو ألا يكون أحد من هؤلاء نقى قلبه إلا أدخله الله الجنة (كتب إلي السري) عن شعيب عن سيف عن عطية عن أبي أيوب عن علي قال ما نزل على النبي صلى الله عليه وآله آية أفرح له من قول الله عزوجل (وما أصابكم من مصيبة فيما كسبت أيديكم ويعفوا عن كثير) فقال صلى الله عليه وسلم ما أصاب المسلم في الدنيا من مصيبة في نفسه فيذنّب وما يعفو الله عزوجل عنه أكثر وما أصابه في الدنيا فهو كفارة له وعفو منه لا يعتد عليه فيه عقوبة يوم القيامة وما عفا الله عزوجل عنه في الدنيا فقد عفا عنه والله أعظم من أن يعود في عفوه توجع علي على قتلى الجمل ودفنهم وجمعه ما كان في العسكر والبعث به إلى البصرة (كتب إلي السري) عن شعيب عن سيف عن محمد وطلحة قالا وأقام علي ابن أبي طالب في عسكره ثلاثة أيام لا يدخل البصرة وندب الناس إلى موتاهم فخرجوا إليهم فدفنهم فطاف علي من معهم في القتلى فلما أتى بكعب بن سور قال زعمتم أنما خرج معهم السفهاء وهذا الخبر قد ترون وأتى علي عبدالرحمن بن عتاب فقال هذا يعسوب القوم يقول الذي كانوا يطيفون به يعني أنهم قد كانوا اجتمعوا عليه ورضوا به لصلاتهم وجعل علي كلما مر برجل فيه خير قال زعم من زعم أنه لم يخرج إلينا إلا الغوغاء هذا العابد المجتهد وصلى على قتلاهم من أهل البصرة وعلى قتلاهم من أهل الكوفة وصلى على قريش من هؤلاء وهؤلاء فكانوا مدنيين ومكيين ودفن على الاطراف في قبر عظيم وجمع ما كان في العسكر من شئ ثم بعث

[٥٤٣]

به إلى مسجد البصرة أن من عرف شيئا فليأخذه إلا سلاحا كان في الخزان عليه سمة السلطان فإنه مما بقى ما لم يعرف خذوا ما

أجلبوا به عليكم من مال الله عزوجل لا يحل لمسلم من مال المسلم المتوفى شئ وإنما كان ذلك السلاح في أيديهم من غير تنفل من السلطان عدد قتلى الجمل (كتب إلي السري) عن شعيب عن سيف عن محمد وطلحة قالا كان قتل الجمل حول الجمل عشرة آلاف نصفهم من أصحاب علي ونصفهم من أصحاب عائشة من الازد ألفان ومن سائر اليمن خمسمائة ومن مضر ألفان وخمسمائة من قيس وخمسمائة من تميم وألف من بني ضبة وخمسمائة من بكر بن وائل وقيل قتل من أهل البصرة في المعركة الاولى خمسة آلاف وقتل من أهل البصرة في المعركة الثانية خمسة آلاف فذلك عشرة آلاف قتيل من أهل البصرة ومن أهل الكوفة خمسة آلاف قالا وقتل من بني عدي يومئذ سبعون شيخا كلهم قد قرأ القرآن سوى الشباب ومن لم يقرأ القرآن وقالت عائشة رضی الله عنها ما زلت أرجو النصر حتى خفيت أصوات بني عدي دخول علي على عائشة وما أمر به من العقوبة فيمن تناولها (كتب إلي السري) عن شعيب عن سيف عن محمد وطلحة قالا ودخل علي البصرة يوم الاثنين فانتهى إلى المسجد فصلى فيه ثم دخل البصرة فأتاه الناس ثم راح إلى عائشة على بغلته فلما انتهى إلى دار عبدالله بن خلف وهي أعظم دار بالبصرة وجد النساء يبكين على عبدالله وعثمان ابني خلف مع عائشة وصفية ابنة الحارث مختمرة تكيي فلما رآته قالت يا علي يا قاتل الاحية يا مفرق الجمع أيتم الله بنيك منك كما أيتمت ولد عبدالله منه فلم يرد عليها شيئا ولم يزل على حاله حتى دخل على عائشة فسلم عليها وقعد عندها وقال لها جبهتنا صفية أما إنني لم أرها منذ كانت جارية حتى اليوم فلما خرج علي أقبلت عليه فأعادت عليه الكلام فكف بغلته وقال أما لهما وأشار إلى الابواب من الدار أن أفتح هذا الباب وأقتل من فيه

[٥٤٤]

ثم هذا فأقتل من فيه ثم هذا فأقتل من فيه وكان أناس من الجرحى قد لجأوا إلى عائشة فأخبر علي بمكانهم عندها فتعافل عنهم فسكتت فخرج علي فقال رجل من الازد والله لا تغفلنا هذه المرأة فغضب وقال صه لا تهتك سترنا ولا تدخلن دارا ولا تهيجن امرأة بأذى وإن شتمن أعراضكم وسفهن أمراءكم وصلحاءكم فإنهن ضعاف ولقد كنا نؤمر بالكف عنهن وإنهن لمشركات وإن الرجل ليكافئ المرأة ويتناولها بالضرب فيغير بها عقبه من بعده فلا يبلغني عن أحد عرض لامرأة فأنكل به شرار الناس ومضى علي فلحق به رجل فقال يا أمير المؤمنين قام رجلان ممن لقيت على الباب فتناولوا من هو أمض لك شتيمة من صفية قال ويحك لعليها عائشة قال نعم قام رجلان منهم على باب الدار فقال أحدهما جزيت عنا أمنا عقوقا * وقال الآخر يا أمنا توبي فقد خطئت فبعث القعقاع بن عمرو إلى الباب فأقبل بمن كان عليه فأحالوا على رجلين فقال اضرب أعناقهما ثم قال لانهكنهما عقوبة فضربها مائة مائة وأخرجهما من ثيابهما (كتب إلي السري) عن شعيب عن سيف عن الحارث بن حصيرة عن أبي الكنود قال هما رجلان من أزد الكوفة يقال لهما عجل وسعد ابنا عبدالله بيعة أهل البصرة عليا وقسمه ما في بيت المال عليهم (كتب إلي السري) عن شعيب عن سيف عن محمد وطلحة قالا بايع الأحنف من العشى لأنه كان خارجا هو وبنو سعد ثم دخلوا جميعا البصرة فبايع أهل البصرة على راياتهم وبايع علي أهل البصرة حتى الجرحى والمستأمنة فلما رجع مروان لحق بمعاوية * وقال قائلون لم يبرح المدينة حتى فرغ من صفين قالا ولما فرغ علي من بيعة أهل البصرة نظر في بيت المال فإذا فيه ستمائة ألف وزيادة فقسمها على من شهد معه فأصاب كل رجل منهم خمسمائة وقال لكم إن أطفركم الله عزوجل بالشأم مثلها إلى أعطياتكم وخاض في ذلك السبائية وطعنوا على علي من وراء وراء

سيرة علي فيمن قاتل يوم الجمل (كتب إلي السري) عن شعيب عن سيف عن محمد بن راشد عن أبيه قال كان من سيرة علي أن لا يقتل مدبراً ولا يذفف على جريح ولا يكشف ستراً ولا يأخذ مالا فقال قوم يومئذ ما يحل لنا دماءهم ويحرم علينا أموالهم فقال علي القوم أمثالكم من صفح عنا فهو منا ونحن منه ومن لج حتى يصاب فقتاله منى على الصدر والنحر وإن لكم في خمسه لغنى فيومئذ تكلمت الخوارج بعثة الاشتهر إلي عائشة بجمل اشتراه لها وخروجها من البصرة إلى مكة * حدثنا أبو كريب محمد بن العلاء قال حدثنا يحيى بن آدم عن أبي بكر بن عياش عن عاصم بن كليب عن أبيه قال لما فرغوا يوم الجمل أمرني الاشتهر فانطلقت فاشترت له جملاً بسبعمائة درهم من رجل من مهرة فقال انطلق به إلى عائشة فقل لها بعث به إليك الاشتهر مالك بن الحارث وقال هذا عوض من بعيرك فانطلقت به إليها فقلت مالك يقرئك السلام ويقول إن هذا البعير مكان بعيرك قالت لا سلم الله عليه إذ قتل يعسوب العرب تعني ابن طلحة وصنع بابن أخي ما صنع قال فرددته إلى الاشتهر وأعلمته قال فاخرج ذراعين شعراوين وقال أرادوا قتلي فما أصنع (كتب إلي السري) عن شعيب عن سيف عن محمد وطلحة قالا قصدت عائشة مكة فكان وجهها من البصرة وانصرف مروان والاسود بن أبي البخترى إلى المدينة من الطريق وأقامت عائشة بمكة إلى الحج ثم رجعت إلى المدينة ما كتب به علي بن أبي طالب من الفتح إلى عامله بالكوفة (كتب إلي السري) عن شعيب عن سيف عن محمد وطلحة قالا وكتب علي بالفتح إلى عامله بالكوفة حين كتب في أمرها وهو يومئذ بمكة من عبدالله علي أمير المؤمنين أما بعد فإننا التقينا في النصف من جمادى الآخرة بالخرابية فناء من أافية البصرة فأعطاهم الله عزوجل سنة المسلمين وقتل منا ومنهم قتلى كثيرة وأصيب ممن أصيب منا ثمامة بن المثنى وهند بن عمرو وعلباء بن الهيثم وسيحان وزيد ابنا صوحان ومحدوح وكتب عبدالله بن رافع وكان الرسول زفر بن قيس

إلى الكوفة بالبشارة في جمادى الآخرة أخذ علي البيعة على الناس وخبر زياد بن أبي سفيان وعبد الرحمن بن أبي بكره وكان في البيعة عليك عهد الله وميثاقه بالوفاء لتكونن لسلماً سلماً ولحربنا حرباً ولتكنفنا عنا لسانك ويدك وكان زياد بن أبي سفيان ممن اعتزل ولم يشهد المعركة قعد وكان في بيت نافع بن الحارث وجاء عبد الرحمن بن أبي بكره في المستأمنين مسلماً بعد ما فرغ علي من البيعة فقال له علي وعمك المتربص المقاعد بي فقال والله يا أمير المؤمنين إنه لك لواد وإنه علي مسرتك لحريص ولكنه بلغني أنه يشتكي فأعلم لك علمه ثم أتيتك وكنتم علياً مكانه حتى استأمره فأمره أن يعلمه فأعلمه فقال علي امش أمامي فاهدني إليه ففعل فلما دخل عليه قال تقاعدت عني وتربصت ووضع يده على صدره وقال هذا وجع بين فاعتذر إليه زياد فقبل عذره واستشاره وأراده علي على البصرة فقال رجل من أهل بيتك يسكن إليه الناس فإنه أجدر أن يطمئنوا أو ينقادوا وسأكفيكه وأشير عليه فافترقا على ابن عباس ورجع علي إلى منزله تأمير ابن عباس على البصرة وتولية زياد الخراج وأمر ابن عباس على البصرة وولى زياد الخراج وبيت المال وأمر ابن عباس أن يسمع منه فكان ابن عباس يقول استشرته عند هنة كانت من الناس فقال إن كنت تعلم أنك على الحق وإن من خالفك على الباطل أشرت عليك بما ينبغي وإن كنت لا تدري أشرت عليك بما ينبغي كذلك فقلت إنني على الحق وإنهم على الباطل

فقال أضرب بمن أطاعك من عصاك ومن ترك أمرك فإن كان أعز
للاسلام وأصلح له أن يضرب عنقه فاضرب عنقه فاستكتبته فلما ولى
رأيت ما صنع وعلمت أنه قد اجتهد لي رأيه وأعجلت السبائية عليا
عن المقام وارتحلوا بغير إذنه فارتحل في آثارهم ليقطع عليهم أمرا
إن كانوا أرادوه وقد كان له فيها مقام (كتب إلي السري) عن شعيب
عن سيف عن محمد وطلحة قالا علم أهل المدينة بيوم الجمل يوم
الخميس قبل أن تغرب

[٥٤٧]

الشمس من نسر مر بما حول المدينة معه شئ متعلقه فتأمله
الناس فوقع فإذا كف فيها خاتم نقشه عبدالرحمن بن عتاب وحفل
من بين مكة والمدينة من أهل البصرة من قرب من البصرة أو بعد وقد
علموا بالوقعة مما ينقل إليهم النسور من الايدي والاقدام تجهيز
علي عليه السلام عائشة رضى الله عنها من البصرة (كتب إلي
السري) عن شعيب عن سيف عن محمد وطلحة قالا وجهز علي
عائشة بكل شئ ينبغي لها من مركب أو زاد أو متاع وأخرج معها كل
من نجا ممن خرج معها إلا من أحب المقام واختار لها أربعين امرأة
من نساء أهل البصرة المعروفات وقال تجهز يا محمد فبلغها فلما كان
اليوم الذي ترتحل فيه جاءها حتى وقف لها وحضر الناس فخرجت
على الناس وودعوها وودعتهم وقالت يا بني تعتب بعضنا على بعض
استبطاء واستزادة فلا يعتدن أحد منكم على أحد بشئ بلغه من
ذلك إنه والله ما كان بيني وبين علي في القديم الا ما يكون بين
المرأة وأحمائها وإنه عندي على معتبتي من الاخير وقال علي يا
أيها الناس صدقت والله وبرت ما كان بيني وبينها الا ذلك وإنها لزوجة
نبيكم صلى الله عليه وسلم في الدنيا والآخرة وخرجت يوم السبت
لغرة رجب سنة ٣٦ وشيعها علي أميالا وسرح بنيه معها يوما ما روى
من كثرة القتلى يوم الجمل * حدثني عمر بن شبة قال حدثنا أبو
الحسن قال حدثنا محمد بن الفضل بن عطية الخراساني عن سعيد
القطعي قال كنا نتحدث أن قتلى الجمل يزيدون علي ستة آلاف *
حدثني عبدالله بن أحمد بن شيبويه قال حدثني أبي قال حدثنا
سليمان بن صالح قال حدثني عبدالله عن جرير بن حازم قال حدثني
الزبير بن الحرث عن أبي لبيد لمأزة بن زياد قال قلت له لم تسب
عليا قال ألا أسب رجلا قتل منا ألفين وخمسمائة والشمس هاهنا
قال جرير بن حازم وسمعت ابن أبي يعقوب يقول قتل علي بن أبي
طالب يوم الجمل ألفين وخمسمائة ألف وثلثمائة وخمسون من الأزد
وثمانمائة من بني ضبة وثلثمائة وخمسون من سائر الناس *
وحدثني أبي عن سليمان عن عبدالله عن جرير قال

[٥٤٨]

قتل المعرض بن علاط يوم الجمل فقال أخوه الحجاج لم أر يوما كان
أكثر ساعيا * بكف شمال فارقتها يمينها قال معاذ وحدثني عبدالله
قال قال جرير قتل المعرض بن علاط يوم الجمل فقال أخوه الحجاج لم
أر يوما كان أكثر ساعيا * بكف شمال فارقتها يمينها ما قال عمار بن
ياسر لعائشة حين فرغ من الجمل * حدثني عبدالله بن أحمد قال
حدثني أبي عن سليمان قال حدثني عبدالله عن جرير بن حازم قال
سمعت أبا يزيد المدني يقول قال عمار بن ياسر لعائشة رضى الله
عنها حين فرغ القوم يا أم المؤمنين ما أبعد هذا المسير من العهد
الذي عهد اليك قالت أبو اليقظان قال نعم قالت والله إنك ما علمت
قوال بالحق قال الحمد لله الذي قضى لي على لسانك آخر حديث
الجمل بعثة علي بن أبي طالب قيس بن سعد بن عبادة أميرا على
مصر (وفي هذه السنة) أعنى سنة ٣٦ قتل محمد بن أبي حذيفة

وكان سبب قتله أنه لما خرج المصريون إلى عثمان مع محمد بن أبي بكر أقام بمصر وأخرج عنها عبدالله ابن سعد بن أبي سرح وضبطها فلم يزل بها مقيما حتى قتل عثمان رضى الله عنه وبوبع لعلي وأظهر معاوية الخلاف وبإيعه على ذلك عمرو بن العاص فسار معاوية وعمرو إلى محمد بن أبي حذيفة قبل قدوم قيس بن سعد مصر فعالجا دخول مصر فلم يقدر على ذلك فلم يزالا يخذعان محمد بن أبي حذيفة حتى خرج إلى عريش مصر في ألف رجل فتحصن بها وجاءه عمرو فنصب المنجنيق عليه حتى نزل في ثلاثين من أصحابه وأخذوا وقتلوا رحمهم الله (وأما هشام بن محمد) فإنه ذكر أن أبا مخنف لوط بن يحيى بن سعيد ابن مخنف بن سليم حدثه عن محمد بن يوسف الأنصاري من بني الحارث بن الخزرج عن عباس بن سهل الساعدي أن محمد بن أبي حذيفة بن عتبة بن ربيعة بن عبد شمس بن عبد مناف هو الذي كان سرب المصريين إلى عثمان بن عفان وأنهم لما ساروا إلى عثمان

[٥٤٩]

فحصروه وثب هو بمصر على عبدالله بن سعد بن أبي سرح أحد بني عامر بن لؤي القرشي وهو عامل عثمان يومئذ على مصر فطرده منها وصلى بالناس فخرج عبدالله ابن سعد من مصر فنزل على تخوم أرض مصر مما يلي فلسطين فانتظر ما يكون من أمر عثمان فطلع راكب فقال يا عبد الله ما وراءك خبرنا بخبر الناس خلفك قال أفعل قتل المسلمون عثمان رضى الله عنه فقال عبدالله بن سعد إنا لله وإنا إليه راجعون يا عبد الله ثم صنعوا ماذا قال ثم بايعوا ابن عمر رسول الله صلى الله عليه وسلم علي ابن أبي طالب قال عبدالله بن سعد إنا لله وإنا إليه راجعون قال له الرجل كان ولاية علي بن أبي طالب عدلت عندك قتل عثمان قال أجل قال فنظر إليه الرجل فتأمله فعرفه وقال كأنك عبدالله بن أبي سرح أمير مصر قال أجل قال له الرجل فإن كان لك في نفسك حاجة فالنجا النجا فإن رأى أمير المؤمنين فيك وفي أصحابك سيئ إن ظفر بكم قتلكم أو نفاكم عن بلاد المسلمين وهذا بعدي أمير يقدم عليك قال له عبدالله ومن هذا الأمير قال قيس بن سعد بن عبادة الأنصاري قال عبدالله بن سعد أبعده الله محمد بن أبي حذيفة فإنه بغى على ابن عمه وسعى عليه وقد كان كفله ورباه وأحسن إليه فأساء جواره ووثب على عماله وجهز الرجال إليه حتى قتل ثم ولى عليه من هو أبعده منه ومن عثمان لم يمتعه بلسطان بلاده حولا ولا شهرا ولم يره لذلك أهلا فقال له الرجل أنج بنفسك لا تقتل فخرج عبدالله بن سعد هاربا حتى قدم على معاوية بن أبي سفيان دمشق (قال أبو جعفر) فخبّر هشام هذا يدل على أن قيس بن سعد ولي مصر ومحمد بن أبي حذيفة حي (وفي هذه السنة) بعث علي بن أبي طالب على مصر قيس بن سعد ابن عبادة الأنصاري فكان من أمره ما ذكر هشام بن محمد الكلبي قال حدثني أبو مخنف عن محمد بن يوسف بن ثابت عن سهل بن سعد قال لما قتل عثمان رضى الله عنه وولى علي بن أبي طالب الأمر دعا قيس بن سعد الأنصاري فقال له سر إلى مصر فقد وليتها وأخرج إلى رحلك واجمع إليه ثقاتك ومن أحببت أن يصحبك حتى تأتيها ومعك جند فان ذلك أرعب لعدوك وأعز لوليك فإذا أنت قدمتها إن

[٥٥٠]

شاء الله فأحسن إلى المحسن واشتد على المريب وارفق بالعامّة والخاصة فان الرفق يمن فقال له قيس بن سعد رحمك الله يا أمير المؤمنين فقد فهمت ما قلت أما قولك أخرج إليها بجند فوالله لئن لم أدخلها إلا بجند أتيتها به من المدينة لا أدخلها أبدا فانا أدع ذلك الجند

لك فان أنت احتجت إليهم كانوا منك قريبا وإن أردت أن تبعثهم إلى وجه من وجوهك كانوا عدة لك وأنا أصير إليها بنفسى وأهل بيتي وأما ما أوصيتني به من الرفق والاحسان فان الله عزوجل هو المستعان على ذلك قال فخرج قيس بن سعد في سبعة نفر من أصحابه حتى دخل مصر فصعد المنبر فجلس عليه وأمر بكتاب معه من أمير المؤمنين فقرأ على أهل مصر بسم الله الرحمن الرحيم من عبدالله علي أمير المؤمنين إلى من بلغه كتابي هذا من المؤمنين والمسلمين سلام عليكم فاني أحمد اليكم الله الذي لا إله إلا هو أما بعد فان الله عزوجل بحسن صنعه وتقديره وتدبيره اختار الاسلام دينا لنفسه وملأئكته ورسله وبعث به الرسل عليهم السلام إلى عباده وخص به من انتخب من خلقه فكان مما أكرم الله عزوجل به هذه الامة وخصهم به من الفضيلة أن بعث إليهم محمدا صلى الله عليه وسلم فعلمهم الكتاب والحكمة والفرائض والسنة لكيما يهتدوا وجمعهم لكيما لا يتفرقوا وزكاهم لكيما يتطهروا ورفهم لكيما لا يجوروا فلما قضى من ذلك ما عليه قبضه الله عزوجل صلوات الله عليه ورحمته وبركاته ثم إن المسلمين استخلفوا به أميرين صالحين عملا بالكتاب والسنة وأحسنا السيرة ولم يعدوا السنة ثم توفاهما الله عزوجل رضى الله عنهما ثم ولى بعدهما وال فأحدث أحداثا فوجدت الامة عليه مقالا فقالوا ثم نعموا عليه فغيروا ثم جاؤني فبايعوني فأستهدى الله عزوجل بالهدى وأستعينه على التقوى ألا وإن لكم علينا العمل بكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم والقيام عليكم بحقه والتنفيذ لسنته والنصح لكم بالغيب والله المستعان وحسبنا الله ونعم الوكيل وقد بعثت اليكم قيس بن سعد بن عبادة أميرا فوازره وكاتفوه وأعينوه على الحق وقد أمرته بالاحسان إلى محسنكم والشدة على مريبكم والرفق بعوامكم وخواصكم وهو ممن أَرْضَى هديه وأرجو صلاحه ونصيحته أسأل الله عزوجل لنا ولكم عملا

[٥٥١]

زاكيا وثوابا جزيلا ورحمة واسعة والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته وكتب عبيد ابن أبي رافع في صفر سنة ٣٦ قال ثم إن قيس بن سعد قام خطيبا فحمد الله وأثنى عليه وصلى على محمد صلى الله عليه وسلم وقال الحمد لله الذي جاء بالحق وأمات الباطل وكبت الظالمين أيها الناس أنا قد بايعنا خير من نعلم بعد محمد نبينا صلى الله عليه وسلم فقوموا أيها الناس فبايعوا على كتاب الله عزوجل وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم فإني نحن لم نعمل لكم بذلك فلا بيعة لنا عليكم فقام الناس فبايعوا واستقامت له مصر وبعث عليها عماله إلا أن قرية منها يقال لها خربت فيها أناس قد أعظموا قتل عثمان بن عفان رضى الله عنه وبها رجل من كنانة ثم من بني مدلج يقال له يزيد بن الحارث من بني الحارث بن مدلج فبعث هؤلاء إلى قيس بن سعد إنا لا نقاتلك فابعث عمالك فالارض أرضك ولكن أقرنا على حالنا حتى ننظر إلى ما يصير أمر الناس قال ووئب مسلمة بن مخلد الأنصاري ثم من ساعدة من رهط قيس بن سعد فنعى عثمان بن عفان رضى الله عنه ودعا إلى الطلب بدمه فأرسل إليه قيس بن سعد ويحك علي تشب فوالله ما أحب ان لي ملك الشام إلى مصر واني قتلتك فبعث إليه مسلمة أني كاف عنك ما دمت أنت والي مصر قال وكان قيس بن سعد له حزم ورأى فبعث إلى الذين بخربت اني لا أكرهكم على البيعة وأنا أدعكم وأكف عنكم فهادنهم وهادن مسلمة بن مخلد وحبى الخراج ليس أحد من الناس ينارعه قال وخرج أمير المؤمنين إلى أهل الجمل وهو علي مصر ورجع إلى الكوفة من البصرة وهو بمكانه فكان أثقل خلق الله على معاوية بن أبي سفيان لقربه من الشام مخافة أن يقبل إليه علي في أهل العراق ويقبل إليه قيس بن سعد في أهل مصر فيقع معاوية بينهما وكتب معاوية بن أبي سفيان إلى قيس بن سعد وعلي بن أبي طالب يومئذ بالكوفة قبل أن يسير إلى صفين من معاوية بن أبي

سفيان إلى قيس ابن سعد سلام عليك أما بعد فإنكم إن كنتم
نقمتم على عثمان بن عفان رضى الله عنه في أثره رأيتموها أو
ضربة سوط ضربها أو شتيمة رجل أو في تسييره آخر أو في
استعماله الفتى فانكم قد علمتم إن كنتم تعلمون أن دمه لم يكن
يحل لكم فقد

[٥٥٢]

ركبتم عظيما من الامر وجئتم شيئا إذا فتب إلى الله عزوجل يا قيس
بن سعد فإنك كنت في المجليين على عثمان بن عفان رضى الله
عنه ان كانت التوبة من قتل المؤمن تغنى شيئا فأما صاحبك فإننا
استقينا أنه الذي أغرى به الناس وحملهم على قتله حتى قتلوه
وانه لم يسلم من دمه عظم قومك فإن استطعت يا قيس أن تكون
ممن يطلب بدم عثمان فافعل تابعنا على أمرنا ولك سلطان العراقين
إذا ظهرت ما بقيت ولمن أحببت من أهل بيتك سلطان الحجاز ما دام
لى سلطان وسلني غير هذا مما تحب فانك لا تسألني شيئا الا
أوتيته واكتب الي برأيك فيما كتبت به اليك والسلام فلما جاءه كتاب
معاوية أحب أن يدافعه ولا يبدي له أمره ولا يتعجل له حربه فكتب
إليه أما بعد فقد بلغني كتابك وفهمت ما ذكرت فيه من قتل عثمان
رضى الله عنه وذلك أمر لم أقارفه ولم أطف به وذكرت أن صاحبي هو
أغرى الناس بعثمان ودهمهم إليه حتى قتلوه وهذا ما لم أطلع عليه
وذكرت أن عظم عشيرتي لم تسلم من دم عثمان فأول الناس كان
فيه قياما عشيرتي وأما ما سألتني من متابعتك وعرضت علي من
الجزاء به فقد فهمته وهذا أمر لي فيه نظر وفكرة وليس هذا مما
يسرع إليه وأنا كاف عنك ولن يأتيك من قبلي شئ تكرهه حتى ترى
ونرى إن شاء الله والمستجار الله عزوجل والسلام عليك ورحمة الله
وبركاته قال فلما قرأ معاوية كتابه لم يره إلا مقاربا مباحدا ولم يأمن
أن يكون له في ذلك مباحدا مكابدا فكتب إليه معاوية أيضا أما بعد فقد
قرأت كتابك فلم أرك تدنو فأعدك سلما ولم أرك تباعد فأعدك حربا
أنت فيما ههنا كحنك الجزور وليس مثلي يصانع المخادع ولا ينتزع
للمكايد ومعه عدد الرجال وبيده أعنة الخيل والسلام عليك فلما قرأ
قيس بن سعد كتاب معاوية ورأى أنه لا يقبل معه المدافعة
والمماثلة أظهر له ذات نفسه فكتب إليه بسم الله الرحمن الرحيم
من قيس بن سعد إلى معاوية ابن أبي سفيان أما بعد فان العجب
من اغترارك بي وطمعك في واستسقاطك رأيي أتسومني الخروج
من طاعة أولى الناس بالامرة وأقولهم للحق وأهداهم سبيلا وأقربهم
من رسول الله صلى الله عليه وسلم وسيلة وتأمرنى بالدخول في
طاعتك

[٥٥٣]

طاعة أبعد الناس من هذا الامر وأقولهم للزور وأصلهم سبيلا وأبعدهم
من الله عزوجل ورسوله صلى الله عليه وسلم وسيلة ولد ضالين
مضلين طاغوت من طواغيت إبليس وأما قولك إنني مالى عليك مصر
خيلا ورجلا فوالله إن لم أشغلك بنفسك حتى تكون نفسك أهم اليك
إنك لذو جد والسلام فلما بلغ معاوية كتاب قيس أيس منه وثقل
عليه مكانه * حدثني عبدالله بن أحمد المروزي قال حدثني سليمان
قال حدثني عبدالله عن يونس عن الزهري قال كانت مصر من حين
على عليها قيس ابن سعد بن عبادة وكان صاحب راية الانصار مع
رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان من ذوى الرأي والبأس وكان
معاوية بن أبي سفيان وعمرو بن العاص جاهدين على أن يخرجاه
من مصر ليغلبا عليها فكان قد امتنع فيها بالدهاء والمكايدة فلم يقدر
عليه ولا على أن يفتتجا مصر حتى كاد معاوية قيس بن سعد من

قبل علي وكان معاوية يحدث رجالا من ذوي الرأي من قريش يقول ما ابتدعت مكابدة قط كانت أعجب عندي من مكابدة كدت بها قيسا من قبل علي وهو بالعراق حين امتنع مني قيس قلت لاهل الشام لا تسبوا قيس بن سعد ولا تدعوا إلى غزوه فانه لنا شيعة يأتيها كيس نصيحتة سرا ألا ترون ما يفعل باخوانكم الذين عنده من اهل خربتا يجرى عليهم أعطياتهم وأرزاقهم ويؤمن سربهم ويحسن إلى كل راكب قدم عليه منكم لا يستنكرونه في شئ (قال معاوية) وهممت أن أكتب بذلك إلى شيعتي من اهل العراق فيسمع بذلك جواسيس علي عندي وبالعراق فيبلغ ذلك عليا ونماه إليه محمد بن أبي بكر ومحمد بن جعفر بن أبي طالب فلما بلغ ذلك عليا اتهم قيسا وكتب إليه يأمره بقتال اهل خربتا واهل خربتا يومئذ عشرة آلاف فأبى قيس بن سعد أن يقاتلهم وكتب إلي علي إنهم وجوه اهل مصر وأشراقهم واهل الحفاظ منهم وقد رضوا مني أن أو من سربهم وأجرى عليهم أعطياتهم وأرزاقهم وقد علمت أن هواهم مع معاوية فليست مكابدهم بأمر أهون علي وعليك من الذي أفعل بهم ولو أتى غزوتهم كانوا لي قرنا وهم أسود العرب ومنهم بسر بي ارباطا ومسلمة بن مخلد ومعاوية بن خديج فذرني فأنا أعلم بما أداري منهم فأبى علي إلا قتالهم وأبى قيس

[٥٥٤]

أن يقاتلهم فكتب قيس إلى علي إن كنت تتهمني فاعزلني عن عملك وابعث إليه غيري فبعث علي الاشر أميرا إلى مصر حتى إذا صار بالقلزم شرب شرية عسل كان فيها حتفه فبلغ حديثهم معاوية وعمرا فقال عمرو إن لله جندا من عسل فلما بلغ عليا وفاة الاشر بالقلزم بعث محمد بن أبي بكر أميرا على مصر فالزهري يذكر أن عليا بعث محمد بن أبي بكر أميرا على مصر بعد مهلك الاشر بقلزم. وأما هشام ابن محمد فانه ذكر في خبره ان عليا بعث بالاشتر أميرا على مصر بعد مهلك محمد ابن أبي بكر (رجع الحديث إلى حديث هشام عن أبي مخنف) ولما أيس معاوية من قيس أن يتابعه على أمره شق عليه ذلك لما يعرف من حزمه وبأسه وأظهر للناس قيله إن قيس بن سعد قد تابعهم فادعوا الله له وقرأ عليهم كتابه الذي لان له فيه وقاربه قال واختلق معاوية كتابا من قيس بن سعد فقراه على اهل الشام بسم الله الرحمن الرحيم للامير معاوية بن أبي سفيان من قيس بن سعد سلام عليك فاني أحمد إليكم الله الذي لا إله إلا هو أما بعد فاني لما نظرت رأيت أنه لا يسعني مظاهرة قوم قتلوا إمامهم مسلما محرما برا تقيا فنستغفر الله عزوجل لذنوبنا ونسأله العصمة لذنوبنا ألا وإنني قد ألقيت إليكم بالسلم وإنني أجتك إلى قتال قتلة عثمان رضى الله عنه إمام الهدى المظلوم فعول على فيما أحببت من الاموال والرجال أعجل عليك والسلام فشاع في اهل الشام أن قيس بن سعد قد بايع معاوية بن أبي سفيان فسرحت عيون علي بن أبي طالب إليه بذلك فلما أتاه ذلك أعظمه وأكبره وتعجب له ودعا بنييه ودعا عبدالله بن جعفر فأعلمهم ذلك فقال ما رأيكم فقال عبدالله بن جعفر يا أمير المؤمنين دع ما يريبك إلى ما لا يريبك اعزل قيسا عن مصر قال لهم على إنني والله ما أصدق بهذا على قيس فقال عبدالله يا أمير المؤمنين اعزله فوالله لئن كان هذا حقا لا يعتزل لك إن عزلته فانهم كذلك إذ جاء كتاب من قيس بن سعد فيه بسم الله الرحمن الرحيم أما بعد فاني أخبر أمير المؤمنين أكرمهم الله أن قبلي رجالا معتزلين قد سألونني أن أكف عنهم وأن أدعهم على حالهم حتى يستقيم أمر الناس فترى ويرا رأيهم فقد رأيت أن أكف عنهم وألا أتعجل حربهم وأن أتألفهم فيما بين ذلك

[٥٥٥]

لعل الله عزوجل أن يقبل بقلوبهم ويفرقهم عن ضلالتهم أن شاء الله فقال عبدالله بن جعفر يا أمير المؤمنين ما أخوفني أن يكون هذا ممالة لهم منه فمره يا أمير المؤمنين بقتالهم فكتب إليه علي بسم الله الرحمن الرحيم أما بعد فسر إلى القوم الذين ذكرت فإن دخلوا فيما دخل فيه المسلمون وإلا فناجزهم إن شاء الله فلما أتى قيس بن سعد الكتاب فقرأه لم يتمالك أن كتب إلى أمير المؤمنين أما بعد يا أمير المؤمنين فقد عجبت لامرك أتأمرني بقتال قوم كافين عنك مفرغيك لقتال عدوك وإنك متى حاربتهم ساعدوا عليك عدوك فأطعني يا أمير المؤمنين واكف عنهم فإن الرأي تركهم والسلام فلما أتاه هذا الكتاب قال له عبدالله بن جعفر يا أمير المؤمنين ابعث محمد بن أبي بكر علي مصر يكفك أمرها وعزل قيسا والله لقد بلغني أن قيسا يقول والله إن سلطانا لا يتم بقتل مسلمة بن مخلد لسلطان سوء والله ما أحب أن لي ملك الشام إلى مصر وإنني قتلت بن المخلد قال وكان عبدالله بن جعفر أخا محمد بن أبي بكر لأمه فبعث علي محمد بن أبي بكر علي مصر وعزل عنها قيسا ولاية محمد بن أبي بكر مصر قال هشام عن ابن مخنف فحدثني الحارث بن كعب الوالبي من والية الأزدي عن أبيه أن عليا كتب معه إلى أهل مصر كتابا فلما قدم به علي قيس قال له قيس ما بال أمير المؤمنين ما غيره أدخل أحد بيني وبينه قال له لا وهذا السلطان سلطانك قال لا والله لا أقيم معك ساعة واحدة وغضب حين عزله فخرج منها مقبلا إلى المدينة فقدمها فجاء حسان بن ثابت شامتا به وكان حسانا عثمانيا فقال له نزعك علي بن أبي طالب وقد قتلت عثمان فبقى عليك الاثم ولم يحسن لك الشكر فقال له قيس بن سعد يا أعمى القلب والبصر والله لولا أن ألقى بين رهطي ورهطك حربا لضربت عنقك اخرج عني ثم إن قيسا خرج هو وسهل بن حنيف حتى قدما على علي فخبره قيس فصدقه علي ثم إن قيسا وسهلا شهدا مع علي صفين (وأما الزهري) فإنه قال فيما حدثني به عبدالله بن أحمد قال حدثني أبي قال حدثني سليمان قال حدثني عبدالله عن يونس عن الزهري أن محمد بن أبي بكر قدم مصر

وخرج قيس فلقح بالمدينة فأخافه مروان والاسود بن أبي البخترى حتى إذا خاف أن يؤخذ أو يقتل ركب راحلته فظهر إلى علي فبعث معاوية إلى مروان والاسود يتغيظ عليهما ويقول أمددتما عليا بقبس بن سعد ورأيه ومكانه فوالله لو أنكما أمددتماه بمائة ألف مقاتل ما كان ذلك باغيظ لي من إخراجكما قيس ابن سعد إلى علي فقدم قيس بن سعد على علي فلما أنبأه الحديث وجاءهم قتل محمد بن أبي بكر عرف أن قيس بن سعد كان يقاسى أمورا عظاما من المكيدة وأن من كان يهزه على عزل قيس بن سعد لم ينصح له فأطاع علي قيس بن سعد في الأمر كله (قال) هشام عن أبي مخنف قال حدثني الحارث بن كعب الوالبي عن أبيه قال كنت مع محمد بن أبي بكر حين قدم مصر فلما قدم قرأ عليهم عهده بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما عهد عبدالله علي أمير المؤمنين إلى محمد بن أبي بكر حين ولاه مصر وأمره بتقوى الله في السر والعلانية وخوف الله عزوجل في الغيب والمشهد وباللين على المسلمين وبالغلظة على الفاجر وبالعدل على أهل الذمة وبإحسان المظلوم وبالشدة على الظالم وبالعفو عن الناس وبالإحسان ما استطاع والله يجزي المحسنين ويعذب المجرمين وأمره أن يدعو من قبله إلى الطاعة والجماعة فإن لهم في ذلك من العاقبة وعظيم المثوبة ما لا يقدرون قدره ولا يعرفون كنهه وأمره أن يجبي خراج الأرض على ما كانت تجبي عليه من قبل لا ينتقص منه ولا يبتدع فيه ثم يقسمه بين أهله على ما كانوا يقسمون عليه من قبل وأن يلين لهم جناحه وأن يواسى بينهم في مجلسه ووجهه وليكن القريب والبعيد في الحق سواء وأمره أن يحكم بين الناس بالحق وأن

يقوم بالقسط ولا يتبع الهوى ولا يخف في الله عزوجل لومة لائم فإن الله جل ثناؤه مع من اتقى وأثر طاعته وأمره على ما سواه وكتب عبدالله ابن أبي رافع مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم لغرة شهر رمضان قال ثم إن محمد بن أبي بكر قام خطيبا فحمد الله وأثنى عليه ثم قال الحمد لله الذي هدانا وإياكم لما اختلف فيه من الحق وبصرنا وإياكم كثيرا مما عمى عنه الجاهلون ألا إن أمير المؤمنين ولانى أموركم وعهد إلى ما قد سمعتم وأوصاني بكثير منه مشافهة ولن ألوكم

[٥٥٧]

خيرا ما استطعت وما توفيقى إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب فإن يكن ما ترون من إمارتي وأعمالي طاعة لله وتقوى فأحمدوا الله عزوجل على ما كان من ذلك فإنه هو الهادي وأن رأيتم عاملا لي عمل غير الحق زائعا فارفعوه إلي وعاتبوني فيه فانى بذلك أسعد وأنتم بذلك جديرون وفقنا الله وإياكم لصالح الاعمال برحمته ثم نزل * وذكر هشام عن أبي مخنف قال وحدثني يزيد بن ظبيان الهمداني أن محمد بن أبي بكر كتب إلى معاوية بن أبي سفيان لما ولى فذكر مكاتبات جرت بينهما كرهت ذكرها لما فيه مما لا يحتمل سماعها العامة قال ولم يلبث محمد بن أبي بكر شهرا كاملا حتى بعث إلى أولئك القوم المعتزلين الذين كان قيس وإدعهم فقال يا هؤلاء إما أن تدخلوا في طاعتنا وإما أن تخرجوا من بلادنا فبعثوا إليه إنا لا نفعل دعنا حتى ننظر إلى ما تصير إليه أمورنا ولا تعجل بحربنا فأبى عليهم فامتنعوا منه وأخذوا حذرهم فكانت وقعة صفين وهم لمحمد هائبون فلما أتاهم صبر معاوية وأهل الشام لعلي وأن عليا وأهل العراق قد رجعوا عن معاوية وأهل الشام وصار أمرهم إلى الحكومة اجترؤا على محمد بن أبي بكر وأظهروا له المبارزة فلما رأى ذلك محمد بعث الحارث بن جهمان الجعفي إلى أهل خربنا وفيها يزيد بن الحارث من بني كنانة فقاتلهم فقتلوه ثم بعث إليهم رجلا من كلب يدى ابن مضاهم فقتلوه (قال أبو جعفر) وفي هذه السنة فيما قيل قدم ماهويه مرزبان مرو مقرا بالصلح الذي كان جرى بينه وبين ابن عامر على علي ذكر ذلك قال علي بن محمد المدائني عن أبي زكرياء العجلاني عن ابن اسحاق عن أشياخه قال قدم ماهويه ابراز مرزبان مرو على علي بن أبي طالب بعد الجمل مقرا بالصلح فكتب له علي كتابا إلي دهاقين مرو والاساورة والجنند سلارين ومن كان في مرو بسم الله الرحمن الرحيم سلام على من اتبع الهدى أما بعد فان ماهويه ابراز مرزبان مرو جاءني وأناي رضيت عنه وكتب سنة ٣٦ ثم انهم كفروا وأغلقوا أبرشهر

[٥٥٨]

توجيه علي خليف بن طريف إلى خراسان قال علي بن محمد المدائني أخبرنا أبو مخنف عن حنظلة بن الاعلم عن ماهان الحنفي عن الاصبع بن نباتة المجاشعي قال بعث علي خليف بن قرة اليربوعي ويقال خليف ابن طريف إلى خراسان ذكر خير عمرو بن العاص ومبايعته معاوية (وفي هذه السنة) أعني سنة ٣٦ بايع عمرو بن العاص معاوية ووافقه على محاربة علي وكان السبب في ذلك ما كتب به إلى السري عن شعيب عن سيف عن محمد وطلحة وأبي حارثة وأبي عثمان قالوا لما أحيط بعثمان رضى الله عنه خرج عمرو بن العاص من المدينة متوجها نحو الشام وقال والله يا أهل المدينة ما يقيم بها أحد فيدركه قتل هذا الرجل إلا ضربه الله عزوجل بذل ومن لم يستطع نصره فليهرب ففسار وسار معه ابناه عبدالله ومحمد وخرج بعده حسان بن ثابت وتتابع على ذلك ما شاء الله قال سيف

عن أبي حارثة وأبي عثمان قالا بينا عمرو بن العاص جالس بعجلان ومعه ابنه إذ مر بهم راكب فقالوا من أين قال من المدينة فقال عمرو وما اسمك قال حصيرة قال عمرو حصر الرجل قال فما الخبر قال تركت الرجل محصورا قال عمرو يقتل ثم مكثوا أياما فمر بهم راكب فقالوا من أين قال من المدينة قال عمرو ما اسمك قال قتال قال عمرو قتل الرجل فما الخبر قال قتل الرجل قال ثم لم يكن إلا ذلك إلى أن خرجت ثم مكثوا أياما فمر بهم راكب فقالوا من أين قال من المدينة قال عمرو ما اسمك قال حرب قال عمرو يكون حرب فما الخبر قال قتل عثمان بن عفان رضى الله عنه وبويع لعلي بن أبي طالب قال عمرو أنا أبو عبد الله يكون حرب من حك فيها فرحة نكأها رحم الله عثمان ورضى الله عنه وغفر له فقال سلامة بن زبناح الجذامي يا معشر قريش إنه والله قد كان بينكم وبين العرب باب فاتخذوا بابا إذ كسر الباب فقال عمرو وذلك الذي نريد ولا يصلح الباب إلا أشاف تخرج الحق من حافة البأس ويكون الناس في العدل سواء ثم تمثل عمرو في بعض ذلك يا لهف نفسي على مالك * وهل يصرف اللهف حفظ القدر

[٥٥٩]

أنزع من الحر أودى بهم * فأعذرهم أم بقومي سكر ثم ارتحل راجلا بيكي كما تبكي المرأة ويقول واعثماناه أنعى الحياء والدين حتى قدم دمشق وقد كان سقط إليه من الذي يكون علم فعمل عليه (كتب إلي السري) عن شعيب عن سيف عن محمد بن عبد الله عن أبي عثمان قال كان النبي صلى الله عليه وسلم قد بعث عمرا إلى عمان فسمع هنالك من خبر شيئا فلما رأى مصداقه وهو هناك أرسل إلى ذلك الخبر فقال حدثني بوفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخبرني من يكون بعده قال الذي كتب إليك يكون بعده ومدته قصيرة قال ثم من قال رجل من قومه مثله في المنزلة قال فما مدته قال طويلة ثم يقتل قال غيلة أم عن ملا قال غيلة قال فمن يلي بعده قال رجل من قومه مثله في المنزلة قال فما مدته قال طويلة ثم يقتل قال غيلة أم عن ملا قال عن ملا قال ذلك أشد فمن يلي بعده قال رجل من قومه ينتشر عليه الناس ويكون علي رأسه حرب شديدة بين الناس ثم يقتل قبل أن يجتمعوا عليه قال أغيلة أم عن ملا قال غيلة ثم لا يرون مثله قال فمن يلي بعده قال أمير الأرض المقدسة فيطول ملكه فيجتمع أهل تلك الفرقة وذلك الانتشار عليه ثم يموت (وأما الواقدي) فإنه فيما حدثني موسى بن يعقوب عن عمه قال لما بلغ عمرا قتل عثمان رضى الله عنه قال أنا عبد الله قتلته وأنا بوادي السباع من يلي هذا الأمر من بعده إن يله طلحة فهو فتى العرب سيبا وإن يليه ابن أبي طالب فلا أراه إلا سيستنظف الحق وهو أكره من يليه إلي قال فبلغه أن عليا قد بويع له فاشتد عليه وتربص أياما ينظر ما يصنع الناس فبلغه مسير طلحة والزبير وعائشة وقال أستأنني وأنظر ما يصنعون فاتاه الخبر أن طلحة والزبير قد قتلوا فارتج عليه أمره فقال له قائل إن معاوية بالشأم لا يريد يبايع لعلي فلو قارنت معاوية فكان معاوية أحب إليه من علي بن أبي طالب وقيل له إن معاوية يعظم شأن قتل عثمان ابن عفان ويحرض على الطلب بدمه فقال عمرو ادعوا لي محمدا وعبد الله فدعيا له فقال قد كان ما قد بلغكما من قتل عثمان رضى الله عنه وبيعة الناس لعلي وما يرصد معاوية من مخالفة علي وقال ما تريان أما علي فلا خير عنده وهو رجل يدل

[٥٦٠]

بسابقته وهو غير مشركي في شئ من أمره فقال عبدالله بن عمرو توفى النبي صلى الله عليه وسلم وهو عنك راض وتوفى أبو بكر رضى الله عنه وهو عنك راض وتوفى عمر رضى الله عنه وهو عنك راض أرى أن تكف يدك وتجلس في بيتك حتى يجتمع الناس على إمام فتبايعه وقال محمد بن عمرو أنت ناب من أنياب العرب فلا أرى أن يجتمع هذا الأمر وليس لك فيه صوت ولا ذكر قال عمرو أما أنت يا عبد الله فأمرتني بالذي هو خير لي في آخرتي وأسلم في ديني وأما أنت يا محمد فأمرتني بالذي أنبه لي في دنياي وأشر لي في آخرتي ثم خرج عمرو بن العاص ومعه ابنه حتى قدم على معاوية فوجد أهل الشام يحضون معاوية على الطلب بدم عثمان فقال عمرو بن العاص أنتم على الحق اطلبوا بدم الخليفة المظلوم ومعاوية لا يلتفت إلى قول عمرو فقال ابنا عمرو لعمرو ألا ترى إلى معاوية لا يلتفت إلى قولك انصرف إلى غيره فدخل عمرو على معاوية فقال والله لعجب لك إنني أرفدك بما أرفدك وأنت معرض عني أما والله إن قاتلنا معك نطلب بدم الخليفة إن في النفس من ذلك ما فيها حيث نقاتل من تعلم سابقته وفضله وقربته ولكننا إنما أردنا هذه الدنيا فصالحه معاوية وعطف عليه توجيه علي بن أبي طالب جرير بن عبدالله البجلي إلى معاوية يدعوه إلى الدخول في طاعته (وفي هذه السنة) وجه علي عند منصرفه من البصرة إلى الكوفة وفراغه من الجمل جرير بن عبدالله البجلي إلى معاوية يدعوه إلى بيعته وكان جرير حين خرج علي إلى البصرة لقتال من قاتله بها بهمدان عاملا عليها كان عثمان استعمله عليها وكان الأشعث بن قيس على أذربيجان عاملا عليها كان عثمان استعمله عليها فلما قدم علي الكوفة منصرفا إليها من البصرة كتب اليهما يأمرهما بأخذ البيعة له على من قبلهما من الناس والانصراف إليه ففعل ذلك وانصرفا إليه فلما أراد علي توجيه الرسول إلى معاوية قال جرير بن عبدالله فيما حدثني عمر بن شبة قال حدثنا أبو الحسن عن عوانة ابعتني إليه فانه لي ود أتته فأدعوه إلى الدخول في طاعتك

[٥٦١]

فقال الاشتر لعلي لا تبعته فوالله إنني لاظن هواه معه فقال علي دعه متى نظرت ما الذي يرجع به إلينا فبعته إليه وكتب معه كتابا يعلمه فيه اجتماع المهاجرين والانصار على بيعته ونكت طلحة والزبير وما كان من حربه إياهما ويدعوه إلى الدخول فيما دخل فيه المهاجرون والانصار من طاعته فشرح إليه جرير فلما قدم عليه ماطله واستنظره ودعا عمرا فاستشاره فيما كتب به إليه فأشار عليه أن يرسل إلى وجوه الشام ويلزم عليا دم عثمان ويقاتله بهم ففعل ذلك معاوية وكان أهل الشام فيما كتب إلي السري يذكر إن شعيبا حدثه عن سيف عن محمد وطلحة لما قدم عليهم النعمان بن بشير بقميص عثمان رضى الله عنه الذي قتل فيه مخضبا بدمه وبأصابع نائلة زوجته مقطوعة بالبراجم أصبعان منها وشئ من الكف وأصبعان مقطوعتان من أصولهما ونصف الأبهام وضع معاوية القميص على المنبر وكتب بالخبر إلى الاجناد وثاب إليه الناس وبكوا سنة وهو على المنبر والأصابع معلقة فيه وآلى الرجال من أهل الشام ألا يأتوا النساء ولا يمسهم الماء للغسل إلا من احتلام ولا يناموا على الفرش حتى يقتلوا قتلة عثمان ومن عرض دونهم بشئ أو تغنى أرواحهم فمكتوا حول القميص سنة والقميص يوضع كل يوم على المنبر ويجلله أحيانا فيلبسه وعلق في أردانه أصابع نائلة رضى الله عنها فلما قدم جرير بن عبدالله على علي فيما حدثني عمر بن شبة قال حدثنا أبو الحسن عن عوانة فأخبره خبر معاوية واجتماع أهل الشام معه على قتاله وإنهم سيكون على عثمان ويقولون إن عليا قتله وأوى قتلته وإنهم لا ينتهون عنه حتى يقتلهم أو يقتلوه فقال الاشتر لعلي قد كنت نهيتك أن تبعث جريرا وأخبرتك بعداوته وغشه ولو كنت بعثتني كان خيرا من هذا الذي أقام عنده حتى لم يدع بابا

يرجو فتحه إلا فتحه ولا بابا يخاف منه إلا أغلقه فقال جرير لو كنت ثم لقتلوك لقد ذكروا أنك من قتلة عثمان رضى الله عنه فقال الاشر لو أتيتهم والله يا جرير لم يعينني جوابهم ولحملت معاوية على خطة أعجله فيها عن الفكر ولو أطاعني فيك أمير المؤمنين لحبسك وأشباهك في محبس لا تخرجون منه حتى تستقيم هذه الامور فخرج جرير بن عبدالله إلى قرقيسيا وكتب إلى معاوية فكتب إليه يأمره بالقدوم عليه وخرج أمير المؤمنين

[٥٦٢]

فعسكر بالنخيلة وقدم عليه عبدالله بن عباس بمن نهض معه من أهل البصرة خروج علي بن أبي طالب إلى صفين * حدثني عبدالله بن أحمد المرزوي قال حدثني أبي عن سليمان عن عبدالله بن معاوية بن عبدالرحمن عن أبي بكر الهذلي أن عليا لما استخلف عبدالله بن عباس على البصرة سار منها إلى الكوفة فتهيأ فيها إلى صفين فاستشار الناس في ذلك فأشار عليه قوم أن يبعث الجنود ويقيم وأشار آخرون بالمسير فأبى إلا المباشرة فجهز الناس فبلغ ذلك معاوية فدعا عمرو بن العاص فاستشاره فقال أما إذ بلغك أنه يسير فسر بنفسك ولا تغب عنه برأيك ومكيدتك قال أما إذا يا أبا عبدالله فجهز الناس فجاء عمرو فحضر الناس وضعف عليا وأصحابه وقال إن أهل العراق قد فرقوا جمعهم وأوهنوا شوكتهم وقلوا حدهم ثم إن أهل البصرة مخالفون لعلي قد وترهم وقللهم وقد تفانت صنائدهم وصناديد أهل الكوفة يوم الجمل وإنما سار في شردمة قليلة منهم من قد قتل خليفتم فالله الله في حقكم أن تضعوه وفي دمكم أن تبطلوه وكتب في أجناد أهل الشام وعقد لواءه لعمرو فعقد لوردان غلامه فيمن عقد ولابنيه عبدالله ومحمد وعقد علي لغلامه فبئر ثم قال عمرو: هل يغنين وردان عني فبيرا * وتغني السكون عني حميرا إذا الكماة لبسوا السنورا فبلغ ذلك عليا فقال: لاصحن العاصي ابن العاصي * سبعين ألفا عاقدني النواصي مجنين الخيل بالقلاص * مستحقين حلق الدلاص فلما سمع ذلك معاوية قال ما أرى ابن أبي طالب إلا قد وفى لك فجاء معاوية يتأنى في مسيره وكتب إلى كل من كان يرى أنه يخاف عليا أو طعن عليه ومن أعظم دم عثمان واستعواهم إليه فلما رأى ذلك الوليد بعث إليه يقول: ألا أبلغ معاوية بن حرب * فإنك من أذى ثقة مليم قطعت الدهر كالسدم المعنى * تهدر في دمشق فما تريم وإنك والكتاب إلى علي * كدابة وقد حلم الاديم

[٥٦٣]

يمنيك الامارة كل ركب * لانقاض العراق بها رسيم وليس أخو الترات بمن تواني * ولكن طالب الترة الغشوم ولو كنت القليل وكان حيا * لجرد لا ألف ولا سؤم ولا نكل عن الاوتار حتى * يبئ بها ولا برم جثوم وقومك بالمدينة قد أبيروا * فهم صرعى كأنهم الهشيم وقال غير أبي بكر فدعا معاوية شداد بن قيس كاتبه وقال ابغني طومارا فأناه بطومار فأخذ القلم فكتب فقال لا تعجل اكتب ومستعجب مما يرى من أتاننا * ولو زينته الحرب لم يترمرم ثم قال اطو الطومار فأرسل به إلى الوليد فلما فتحه لم يجد فيه غير هذا البيت قال أبو بكر الهذلي وكتب رجل من أهل العراق حيث سار علي بن أبي طالب إلى معاوية بيتين أبلغ أمير المؤمنين * ن أبا العراق إذا أتيتا إن العراق وأهلها * عنق إليك فهيت هيتا عاد الحديث إلى حديث عوانة فبعث علي زياد بن النضر الحارثي طليعة في ثمانية آلاف وبعث معه شريح بن هانئ في أربعة آلاف وخرج علي من النخيلة بمن معه فلما دخل المدائن شخص معه من فيها من المقاتلة وولى علي

المدائن سعد بن مسعود الثقفي عم المختار بن أبي عبيد ووجه علي من المدائن معقل بن قيس في ثلاثة آلاف وأمره أن يأخذ على الموصل حتى يوافيه ما أمر به علي بن أبي طالب من عمل الجسر على الفرات فلما انتهى علي إلى الرقة قال فيما حدثت عن هشام بن محمد عن أبي مخنف قال حدثني الحجاج بن علي عن عبدالله بن عمار بن عبد يغوث البارقي لاهل الرقة اجسروا لي جسرا حتى أعبر من هذا المكان إلى الشام فأبوا وقد كانوا ضموا إليهم السفن فنهض من عندهم ليعبر من جسر منبج وخلف عليهم الاشتهر وذهب ليمضى بالناس كيما يعبر بهم على جسر منبج فناداهم الاشتهر فقال يا أهل هذا الحصن ألا اني أقسم لكم بالله عزوجل لئن مضى أمير المؤمنين ولم تجسروا له عند مدينتكم جسرا حتى يعبر لاجردن فيكم السيف ثم لاقلتن الرجال ولاخرين الا أرض ولاخذن الاموال

[٥٦٤]

قال فلقي بعضهم بعضا فقالوا أليس الاشتهر يفى بما حلف عليه أو يأتي بشر منه قالوا نعم فبعثوا إليه إنا ناصبون لكم جسرا فأقبلوا وجاء علي فنصبوا له الجسر فعبر عليه بالاثقال والرجال ثم أمر علي الاشتهر فوقف في ثلاثة آلاف فارس حتى لم يبق من الناس أحد إلا عبر ثم إنه عبر آخر الناس رجلا * قال أبو مخنف وحدثني الحجاج ابن علي عن عبدالله بن عمار بن عبد يغوث أن الخيل حين عبرت زحم بعضها بعضا فسقطت فلنسوة عبدالله بن أبي الحصين الأزدي فنزل فأخذها ثم ركب وسقطت فلنسوة عبدالله بن الحجاج الأزدي فنزل فأخذها ثم ركب وقال لصاحبه إن يك ظن الزاجري الطير صادقا * كما زعموا أقتل وشيكا وتقتل فقال له عبدالله بن أبي الحصين ما شئ أو تاه أحب إلي مما ذكرت فقتلا جميعا يوم صفين * قال أبو مخنف فحدثني خالد بن قطن الحارثي أن عليا لما قطع الفرات دعا زياد بن النضر وشريح بن هانئ فسرحهما أمامه نحو معاوية على حالهما التي كانا خرجا عليها من الكوفة قال وقد كانا حيث سرحهما من الكوفة أخذنا على شاطئ الفرات من قبل البر مما يلي الكوفة حتى بلغا عانات فبلغهما أخذ علي على طريق الجزيرة وبلغهما أن معاوية قد أقبل من دمشق في جنود أهل الشام لاستقبال علي فقال لا والله ما هذا لنا برأى أن نسير وبيننا وبين المسلمين وأمير المؤمنين هذا البحر ومالنا خير في أن نلقى جنود أهل الشام بقلعة من معنا منقطعين من العدد والمدد فذهبوا ليعبروا من عانات فمنعهم أهل عانات وحبسوا عنهم السفن فأقبلوا راجعين حتى عبروا من هيت ثم لحقوا عليا بقرية دون قرقيسيا وقد أرادوا أهل عانات فتحصنوا وفروا ولما لحقت المقدمة عليا قال مقدمتي تاتيني من ورائي فتقدم إليه زياد بن النضر الحارثي وشريح بن هانئ فأخبراه بالذي رأيا حين بلغهما من الأمر ما بلغهما فقال سددتما ثم مضى علي فلما عبر الفرات قدمهما أمامه نحو معاوية فلما انتهيا إلى سور الروم لقيهما أبو الأعور السلمي عمرو بن سفيان في جند من أهل الشام فأرسلنا إلى علي إننا قد لقينا أبا الاعور السلمي في جند من أهل الشام وقد دعوناهم فلم يجيبنا منهم أحد فمرنا بأمرك فأرسل علي إلى الاشتهر فقال يا مالك إن زيادا وشريحا أرسلنا إلي يعلمانني أنهما لقينا أبا الاعور السلمي في جمع من أهل الشام وأبناي

[٥٦٥]

الرسول أنه تركهم متواقفين فالنجاء إلى أصحابك النجاء فإذا قدمت عليهم فأنت عليهم وإياك أن تبدأ القوم بقتال الا أن يبدؤك حتى تلقاهم فتدعوهم وتسمع ولا يجر منك شأنهم على قتالهم قبل دعائهم والاعذار إليهم مرة بعد مرة واجعل على ميمنتك زيادا وعلى

ميسرتك شريحا وقف من أصحابك وسطا ولا تدن منهم دنو من يريد أن ينشب الحرب ولا تباعد منهم بعد من يهاب البأس حتى أقدم عليك فأني حثيث السير في أثرك إن شاء الله قال وكان الرسول الحارث بن جهمان الجعفي فكتب علي إلى زياد وشريح أما بعد فأني قد أمرت عليكما مالكا فاسمعا له وأطيعا فانه ممن لا يخاف رهقه ولا سقاطه ولا بطؤه عما الاسراع إليه أحزم ولا الاسراع إلى ما البطاء عنه أمثل وقد أمرته بمثل الذي كنت أمرتكما به ألا يبدأ القوم حتى يلقاهم فيدعوهم ويعذر إليهم وخرج الاشتهر حتى قدم على القوم فاتبع ما أمره علي وكف عن القتال فلم يزالوا متواقفين حتى إذا كان عند المساء حمل عليهم أبو الأعور السلمي فثبتوا له واضطربوا ساعة ثم إن أهل الشام انصرفوا ثم خرج إليهم من الغد هاشم بن عتبة الزهري في خيل ورجال حسن عددها وعدتها وخرج إليه أبو الأعور فاقتتلوا يومهم ذلك تحمل الخيل على الخيل والرجال على الرجال وصبر القوم بعضهم لبعض ثم انصرفوا وحمل عليهم الاشتهر فقتل عبدالله بن المنذر التنوخي قتله يومئذ ظبيان بن عمار التميمي وما هو إلا فتى حدث وإن كان التنوخي لفارس أهل الشام وأخذ الاشتهر يقول ويحكم أروني أبا الاعور ثم إن أبا الاعور دعا الناس فرجعوا تحوه فوقف من وراء المكان الذي كان فيه أول مرة وجاء الاشتهر حتى صف أصحابه في المكان الذي كان فيه أبو الأعور فقال الاشتهر لسنان بن مالك النخعي انطلق إلى أبي الاعور فادعه إلى المباراة فقال إلى مبارزتي أو مبارزتك فقال له الاشتهر لو أمرتك بمبارزته فعلت قال نعم والله لو أمرتني أن أعترض صفهم بسيفي ما رجعت أبدا حتى أضرب بسيفي في صفهم قال له الاشتهر يا ابن أخي أطال الله بقاءك قد والله ازددت رغبة فيك لا أمرتك بمبارزته إنما أمرتك أن تدعوه إلى مبارزتي إنه لا يبرز إن كان ذلك من شأنه إلا لذوي الاسنان والكفاءة والشرف وأنت لربك الحمد من أهل الكفاءة والشرف غير أنك فتى حدث السن فليس بمبارز الاحداث ولكن ادعه إلى مبارزتي

[٥٦٦]

فأتاه فنادى آمنوني فأني رسول فأومن فجاء حتى انتهى إلى أبي الاعور * قال أبو مخنف فحدثني النضر بن صالح أبو زهير العيسى قال حدثني سنان قال فدنوت منه فقلت إن الاشتهر يدعوك إلى مبارزته قال فسكت عني طويلا ثم قال إن خفة الاشتهر وسوء رأيه هو حملة على إجلاء عمال ابن عفان رضى الله عنه من العراق وانتزائه عليه يقبح مجاسنه ومن خفة الاشتهر وسوء رأيه أن سار إلى ابن عفان رضى الله عنه في داره وقراره حتى قتله فيمن قتله فأصبح متبعا بدمه ألا لا حاجة لي في مبارزته قال قلت إنك قد تكلمت فاسمع حتى أجيبك فقال لا لا حاجة لي في الاستماع منك ولا في جوابك اذهب عني فصاح بي أصحابه فانصرفت عنه ولو سمع إلي لاخبرته بعذر صاحبي ولحجته فرجعت إلى الاشتهر فأخبرته أنه قد أبى المباراة فقال لنفسه نظر فواقفناهم حتى حجز الليل بيننا وبينهم وبتنا متحارسين فلما أصبحنا نظرنا فإذا القوم قد انصرفوا من تحت ليلتهم ويصبحنا علي بن أبي طالب غدوة فقدم الاشتهر فيمن كان معه في تلك المقدمة حتى انتهى إلى معاوية فواقفه وجاء علي في أثره فلحق بالاشتر سريعا فوقف وتوافقوا طويلا ثم إن عليا طلب موضعا لعسكره فلما وجده أمر الناس فوضعوا الأثقال فلما فعلوا ذهب شباب الناس وغلمتهم يستقون فمنعهم أهل الشام فاقتتل الناس على الماء وقد كان الاشتهر قال له قبل ذلك إن القوم قد سبقوا إلى الشريعة وإلى سهولة الارض وسعة المنزل فان رأيت سرنا نجوزهم إلى القرية التي خرجوا منها فانهم يشخصون في أثرنا فإذا هم لحقونا نزلنا فكننا نحن وهم على السواء فسكره ذلك علي وقال ليس كل الناس يقوى على المسير فنزل بهم القتال على الماء قال أبو مخنف وحدثني تميم بن الحارث الأزدي عن جندب بن عبدالله قال

إنا لما انتهينا إلى معاوية وجدناه قد عسكر في موضع سهل أفيح قد اختاره قبل قدومنا إلى جانب شريعة في الفرات ليس في ذلك الصقع شريعة غيرها وجعلها في حيزه وبعث عليها أبا الاعور يمنعا ويحميها فارتفعنا على الفرات رجاء أن نجد شريعة غيرها نستغني بها عن شريعتهم فلم نجدها فأتينا عليا فأخبرناه بعطش الناس وأنا لا نجد غير شريعة القوم قال فقاتلوهم عليها فجاءه الأشعث بن قيس الكندي فقال أنا أسير إليهم فقال له علي فسر إليهم فسار وسرنا معه حتى إذا دنونا من الماء

[٥٦٧]

ثاروا في وجوهنا ينضحوننا بالنبل ورشقناهم والله بالنبل ساعة ثم اطعنا والله بالرماح طويلا ثم صرنا آخر ذلك نحن والقوم إلى السيوف فاجتلدنا بها ساعة ثم إن القوم أتاهم يزيد بن أسد العجلي ممدا في الخيل والرجال فأقبلوا نحونا فقلت في نفسي فأمر المؤمنين لا يبعث الينا بمن يغنى عنا هؤلاء فذهبت فالتفت فإذا عدة القوم أو أكثر قد سرحهم الينا ليغنوا عنا يزيد بن أسد وأصحابه عليهم شبت بن ربيعي الرياحي فوالله ما ازداد القتال إلا شدة وخرج الينا عمرو بن العاص من عسكر معاوية في جند كثير فأخذ يمد أبا الاعور ويزيد بن أسد وخرج الأشتر من قبل علي في جمع عظيم فلما رأى الأشتر عمرو بن العاص يمد أبا الاعور ويزيد بن أسد أمد الأشعث بن قيس وشبت بن ربيعي فاشتد قتالنا وقتالهم فما أنسى قول عبدالله بن عوف بن الأحمر الأزدي خلوا لنا ماء الفرات الجارى * أو اثبتوا لجحفل جرار لكل فرم مستميت شارى * مطاعن برمجة كرار ضراب هامات العدى مغوار قال أبو مخنف وحدثني رجل من آل خارجة بن التميمي أن طبيان بن عمارة جعل يومئذ يقاتل وهو يقول هل لك يا طبيان من بقاء * في ساكن الأرض بغير ماء لا وإله الأرض والسما * فاضرب وجوه الغدر الأعداء بالسيف عند حمس الوغاء * حتى يجيبوك إلى السواء قال طبيان فضريناهم والله حتى خلونا وإياه * قال أبو مخنف وحدثني أبي يحيى ابن سعيد عن عمه محمد بن مخنف قال كنت مع أبي مخنف بن سليم يومئذ وأنا ابن سبع عشرة سنة ولست في عطاء فلما منع الناس الماء قال لي أبي لا تبرحن الرجل فلما رأيت المسلمين يذهبون نحو الماء لم أصبر فأخذت سيفي وخرجت مع الناس فقاتلت قال وإذا أنا بسلام مملوك لبعض أهل العراق ومعه قرية فلما رأى أهل الشام قد أفرجوا عن الشريعة اشتد حتى ملا قريبته ثم أقبل ويشتد عليه رجل من أهل الشام فيضربه فيصرعه وسقطت القرية منه قال وأشد على الشامي فأضربه فأصرعه واشتد أصحابه فاستنقذوه فسمعتهم وهم يقولون لا نأمن من عليك ورجعت إلى المملوك فاحتملته فإذا هو يكلمني وبه جرح رغيب فما كان أسرع من أن جاءه مولاه فذهب

[٥٦٨]

به وأخذت قريبته وهي مملوءة وأتى بها أبي مخنفا فقال من أين جئت بها فقلت أشتريتها وكرهت أن أخبره الخبر فيجد علي فقال اسق القوم فسقيتهم ثم شرب آخرهم ونازعنني نفسي والله إلى القتال فأنطلق فأتقدم فيمن يقاتل فقاتلناهم ساعة ثم أشهد أنهم خلوا لنا عن الماء فما أمسينا حتى رأينا سقانا وسقاتهم يزدحمون على الشريعة وما يؤذى إنسان إنسانا فأقبلت راجعا فإذا أنا بمولى صاحب القرية فقلت هذه قريبتك عندنا فأرسل من يأخذها أو أعلمني مكانك حتى أبعث بها إليك فقال رحمك الله عندنا ما نكتفي به فانصرفت وذهب فلما كان من الغد مر علي أبي فوق فسلم عليه ورأني إلى جنبته فقال ما هذا الفتى منك قال ابني قال أراك الله فيه

السروور أنقذ الله عزوجل أمس غلامي به من القتل حدثني شباب الحي أنه كان أمس أشجع الناس فنظر إلي أبي نظرة عرفت منها في وجهه الغضب فسكت حتى إذا مضى الرجل قال هذا ما تقدمت إليك فحلفني ألا أخرج إلى قتال إلا بإذنه فما شهدت من قتالهم إلا ذلك اليوم حتى كان يوم من أيامهم * قال أبو مخنف وحدثني يونس بن أبي اسحاق السبيعي عن مهران مولى يزيد بن هانئ قال والله إن مولاي يزيد بن هانئ ليقاتل على الماء وإن القرية لفي يده فلما انكشف أهل الشام انكشافاً عن الماء استدرت حتى أسقى وإنى فيما بين ذلك لا أقاتل وأرامي * قال أبو مخنف وحدثني يوسف بن يزيد عن عبدالله بن عوف بن الاحمر قال لما قدمنا على معاوية وأهل الشام بصفين وجدناهم قد نزلوا منزلاً اختاروه مستويًا بساطاً واسعاً أخذوا الشريعة فهي في أيديهم وقد صف أبو الأعور السلمي عليها الخيل والرجال وقد قدم المرامية أمام من معه وصف صفا معهم من الرماح والدرق وعلى رؤوسهم البيض وقد أجمعوا على أن يمنعوا الماء ففزعنا إلى أمير المؤمنين فخيرناه بذلك فدعا صعصعة ابن صوحان فقال له أتت معاوية وقل له إنا سرنا مسيرنا هذا إليك ونحن نكره قتالكم قبل الإعذار إليكم وإنك قدمت إلينا خيلك ورجالك فقاتلتنا قبل أن نقاتلك وبدأت بالقتال ونحن من رأينا الكف عنك حتى ندعوك ونحتج عليك وهذه أخرى قد فعلتموها قد حلتتم بين الناس وبين الماء والناس غير منتهين أو يشربوا فابعث إلى أصحابك فليخلوا بين الناس وبين الماء ويكفوا حتى ننظر فيما بيننا وبينكم وفيما قدمنا له وقدمتم له وإن كان أعجب إليك إن نترك

[٥٦٩]

ما جئنا له ونترك الناس يقتتلون على الماء حتى يكون الغالب هو الشارب فعلنا فقال معاوية لأصحابه ما ترون فقال الوليد بن عقبة امنعهم الماء كما منعه عثمان ابن عفان رضى الله عنه حصروه أربعين صباحاً يمنعونه برد الماء ولين الطعام اقتلهم عطشاً قتلهم الله عطشاً فقال له عمرو بن العاص خل بينهم وبين الماء فإن القوم لن يعطشوا وأنت ريان ولكن بغير الماء فانظر ما بينك وبينهم فأعاد الوليد بن عقبة مقالته وقال عبدالله بن أبي سرح امنعهم الماء إلى الليل فإنهم إن لم يقدروا عليه رجعوا ولو قد رجعوا كان رجوعهم فلا امنعهم الماء منعهم الله يوم القيامة فقال صعصعة إنما يمنعه الله عزوجل يوم القيامة الكفرة الفسقة وشربة الخمر ضربك وضرب هذا الفاسق يعني الوليد بن عقبة قال فتواثبوا إليه يشتمونه ويتهددونه فقال معاوية كفوا عن الرجل فإنه رسول * قال أبو مخنف وحدثني يوسف بن يزيد عن عبدالله بن عوف بن الاحمر أن صعصعة رجع إلينا فحدثنا عما قال لمعاوية وما كان منه وما رد فقلنا فما رد عليك فقال لما أردت الانصراف من عنده قلت ما ترد علي قال معاوية سيأتيكم رأيي فوالله ما راعنا إلا تسريته الخيل إلى أبي الأعور ليكفهم عن الماء قال فأبرزنا علي إليهم فارتمينا ثم اطعنا ثم اضطرنا بالسيوف فنصرنا عليهم فصار الماء في أيدينا فقلنا لا والله لا نسقيهموه فأرسل إلينا علي أن خذوا من الماء حاجتكم وارجعوا إلى عسكركم وحلوا عنهم فإن الله عزوجل قد نصركم عليهم بظلمهم وبغيرهم دعاء علي معاوية إلى الطاعة والجماعة قال أبو مخنف حدثني عبدالملك بن أبي حرة الحنفي أن علياً قال هذا يوم نصرتم فيه بالحمية وجاء الناس حتى أتوا عسكرهم فمكث علي يومين لا يرسل إلى معاوية أحداً ولا يرسل إليه معاوية ثم إن علياً دعا بشير بن عمرو بن محسن الأنصاري وسعيد بن قيس الهمداني وشيث بن ربعي التميمي فقال اتوا هذا الرجل فادعوه إلى الله وإلى الطاعة والجماعة فقال له شيث بن ربعي يا أمير المؤمنين ألا تطعمه في سلطان توليه إياه ومنزلة يكون له بها أثره عندك إن هو بايعك فقال علي أثنوه فألقوه واحتجوا عليه وانظروا ما رأبه وهذا في أول ذي الحجة فأتوه ودخلوا

عليه فحمد الله وأثنى عليه أبو عمرة بشير بن عمرو وقال يا معاوية
إن الدنيا عنك زائلة وإنك راجع إلى الآخرة وإن

[٥٧٠]

الله عزوجل محاسبك بعملك وجزائك بما قدمت يداك وإنني أشدك
الله عزوجل أن تفرق جماعة هذه الامة وأن تسفك دماءها بينها
فقطع عليه الكلام وقال هلا أوصيت بذلك صاحبك فقال أبو عمرة إن
صاحبي ليس مثلك إن صاحبي أحق البرية كلها بهذا الامر في
الفضل والدين والسابقة في الاسلام والقرابة من الرسول صلى الله
عليه وعلى آله وسلم فال فيقول ماذا قال يأمرك بتقوى الله عزوجل
وإجابة ابن عمك إلى ما يدعوك إليه من الحق فإنه أسلم لك في
دنياك وخير لك في عاقبة أمرك قال معاوية ونطل دم عثمان رضى الله
عنه لا والله لا أفعل ذلك فذهب سعيد بن قيس يتكلم فبادره شيب
بن ربعي فتكلم فحمد الله وأثنى عليه وقال يا معاوية إنني قد فهمت
ما رددت على ابن محصن إنه والله لا يخفى علينا ما تغزو وما تطلب
إنك لم تجد شيئا تستغوى به الناس وتستميل به أهواءهم
وتستخلص به طاعتهم إلا قولك قتل إمامكم مظلوما فنحن نطلب
بدمه فاستجاب له سفهاء طغام وقد علمنا ان قد أبطأت عنه بالنصر
وأحببت له القتل لهذه المنزلة التي أصبحت تطلب ورب متمنى أمر
وطالبه الله عزوجل يحول دونه بقدرته وربما أوتى المتمنى أمنيته
وفوق أمنيته وواله مالك في واحدة منهما خير لئن أخطأت ما ترجو
انك لشر العرب حالا في ذلك ولئن أصبت ما تمنى لا تصيبه حتى
تستحق من ربك صلى النار فاتق الله يا معاوية ودع ما أنت عليه ولا
تنازع الامر أهله فحمد الله وأثنى عليه ثم قال أما بعد فان أول ما
عرفت فيه سفهك وخفة حلمك قطعك على هذا الحسيب الشريف
سيد قومه منطقه ثم عنيت بعد فيما لا علم لك به فقد كذبت ولو
مت أيها الاعرابي الجلف الجافي في كل ما ذكرت ووصفت انصرفوا
من عندي فإنه ليس بيني وبينكم إلا السيف وغضب وخرج القوم
وشيب يقول أفعلينا تهول بالسيف أقسم بالله ليعجلن بها إليك فاتوا
عليا وأخبروه بالذي كان من قوله وذلك في ذي الحجة فأخذ علي
يأمر الرجل ذا الشرف فيخرج معه جماعة ويخرج إليه من أصحاب
معاوية آخر معه جماعة فيقتتلان في خيلهما ورجلها ثم ينصرفان
وأخذوا يكرهون أن يلقوا بجمع أهل العراق أهل الشام لما يتخوفون
أن يكون في ذلك من الاستئصال والهلاك فكان

[٥٧١]

علي يخرج مرة الاشتهر ومرة حجر بن عدي الكندي ومرة شيب بن
ربعي ومرة خالد بن المعمر ومرة زياد بن النضر الحارثي ومرة زياد بن
خصفة التيمي ومرة سعيد بن قيس ومرة معقل بن قيس الرياحي
ومرة قيس بن سعد وكان أكثر القوم خروجا إليهم الاشتهر وكان
معاوية يخرج إليهم عبدالرحمن بن خالد المخزومي وأبا الاعور
السلمي ومرة حبيب بن مسلمة الفهري ومرة ابن ذي الكلاع
الحميري ومرة عبيدالله بن عمر بن الخطاب ومرة شرحبيل بن
السمط الكندي ومرة حمزة بن مالك الهمداني فاقتتلوا من ذي
الحجة كلها وربما اقتتلوا في اليوم الواحد مرتين أوله وآخره * قال أبو
مخنف حدثني عبدالله بن عامر الفائضى قال حدثني رجل من قومي
أن الاشتهر خرج يوما يقاتل بصفين في رجال من القراء ورجال من
فرسان العرب فاشتد قتالهم فخرج علينا رجل والله لفل ما رأيت رجلا
قط هو أطول ولا أعظم منه فدعا إلى المبارزة فلم يخرج إليه أحد إلا
الاشتهر فاختلفا ضربتين فضربه الاشتهر فقتله وأيم الله لقد كنا أشفقنا
عليه وسألناه ألا يخرج إليه فلما قتله الاشتهر نادى مناد من أصحابه يا

سهم سهم ابن أبي العيزار * ياخير من نعلمه من زار وزاره حي من الازد وقال أقسم بالله لاقتلن قاتلك أو ليقتلني فخرج فحمل على الاشتر وعطف عليه الاشتر فضربه فإذا هو بين يدي فرسه وحمل عليه أصحابه سعيد بن قيس ومرة معقل بن قيس الرياحي ومرة قيس بن سعد وكان أكثر القوم خروجاً إليهم الاشتر وكان معاوية يخرج إليهم عبدالرحمن بن خالد المخزومي وأبا الاعور السلمى ومرة حبيب بن مسلمة الفهري ومرة ابن ذي الكلاع الحميري ومرة عبيدالله بن عمر بن الخطاب ومرة شرحبيل بن السمط الكندي ومرة حمزة بن مالك الهمداني فاقتلوا من ذي الحجة كلها وربما اقتتلوا في اليوم الواحد مرتين أوله وآخره * قال أبو مخنف حدثني عبدالله بن عامر الفائشي قال حدثني رجل من قومي أن الاشتر خرج يوماً يقاتل بصفين في رجال من القراء ورجال من فرسان العرب فاشتد قتالهم فخرج علينا رجل والله لقل ما رأيت رجلاً قط هو أطول ولا أعظم منه فدعا إلى المباراة فلم يخرج إليه أحد إلا الاشتر فاختلفا ضربتين فضربه الاشتر فقتله وأيم الله لقد كنا أشفقنا عليه وسألناه ألا يخرج إليه فلما قتله الاشتر نادى مناد من أصحابه يا سهم سهم ابن أبي العيزار * ياخير من نعلمه من زار وزاره حي من الازد وقال أقسم بالله لاقتلن قاتلك أو ليقتلني فخرج فحمل على الاشتر وعطف عليه الاشتر فضربه فإذا هو بين يدي فرسه وحمل عليه أصحابه فاستنقذوه جريحا فقال أبو ربيعة الفهمي هذا كان نارا فصادف إحصارا واقتتل الناس ذا الحجة كلها فلما انقضى ذو الحجة تداعى الناس إلى أن يكف بعضهم عن بعض المحرم لعل الله أن يجزي صلحا أو اجتماعا فكف بعضهم عن بعض (وحج) بالناس في هذه السنة عبدالله بن العباس بن عبدالمطلب بأمر علي إياه بذلك كذلك حدثني أحمد بن ثابت الرازي عن ذكره عن اسحاق بن عيسى عن أبي معشر (وفي هذه السنة) مات قدامة بن مظعون فيما زعم الواقدي (تم بعون الله - الجزء الثالث من تاريخ الامم والملوك) (وبليه - إن شاء الله - الجزء الرابع وأوله " سنة ٣٧ "